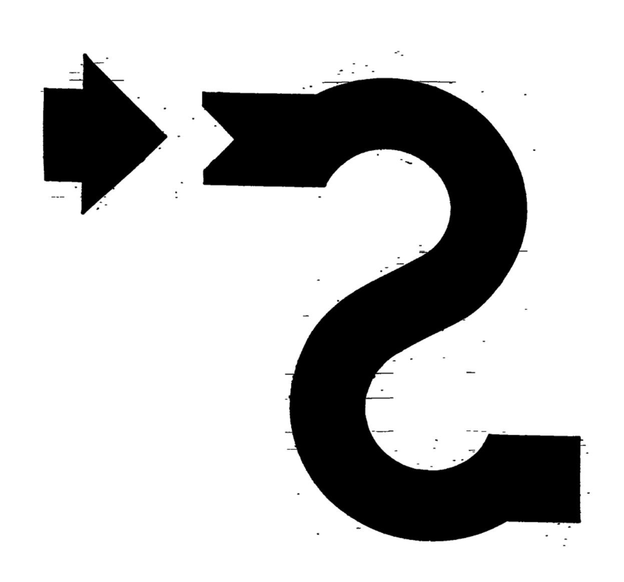

INSTITUT
DU MONDE
ARABE
معهد العالم العربي

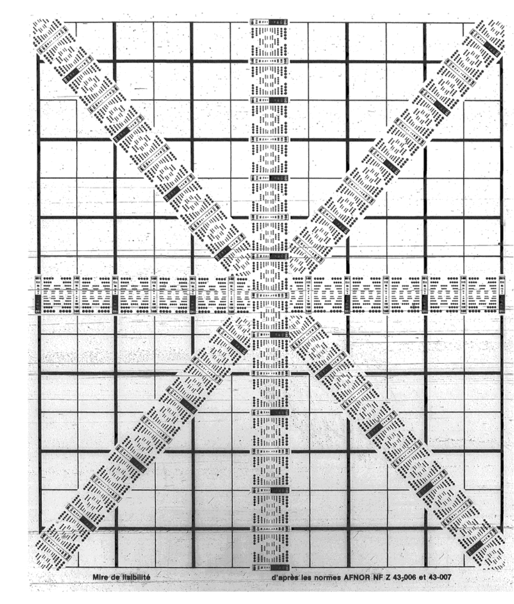


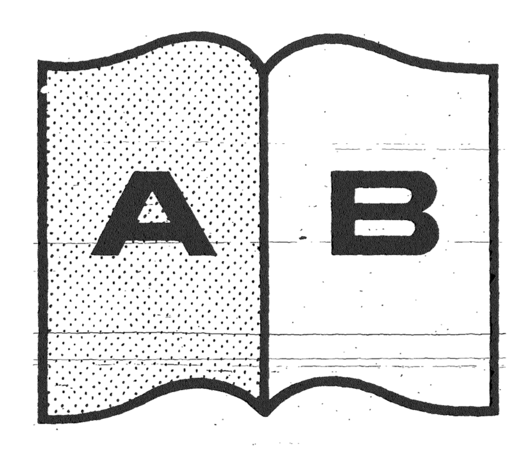
Suite d'une autre bobine

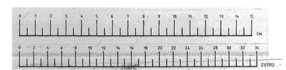
NF Z 43-120-7

1916

1917


Mire de lisibilité
d'après les normes AFNOR NF Z 43-006 et 43-007


A
B


0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15
CM
0 2 4 6 8 10 12 14 16 18 20 22 24 26 28 30 32 34
CICERO

1916


AHMED SOKKAR YOUSEF
BOOK-BINDER, HUSSEIN-CAIRO



الزهراء

مجلة علمية أدبية اجتماعية شهرية

تعنى بوجه خاص بالأبحاث العربية والاسلامية والشرقية

لمنشئها

محب الدين الخطيب

المجلد الثاني

١٣٤٤

﴿ الاشتراك السنوي ﴾

خمسون قرشاً مصرياً في المملكة المصرية وستون قرشاً في الخارج

تنشرها ادارة

المطبعة السلفية - ومكتبتها

صاحباها : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

الإدارة

في دار المطبعة السلفية ومكتبتها

بشارع الاستئناف (بجوار المحافظة) في القاهرة

رقم التلفون	العنوان التلغرافي
١٥ - ٧٣	القبول

فهرس

المجلد الثاني من مجلة «الزهراء»

﴿ ف ﴾

﴿ ن ﴾

﴿ هـ ﴾

﴿ و ﴾

﴿ ي ﴾



ج ١ : م ٢ — القاهرة — ١٥ المحرم ١٣٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على ما كان ، وأستعينه من أمري على ما يكون

وصلى الله على أفضل الخلق محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان

وبعدُ فإنّ ﴿ الزهراء ﴾ تنتقلُ اليومَ الى عامها الثاني وفي أذهانِ قرّائها صورةٌ لها تُغنيني عن استئناف التعريف بالمشكاة التي تَعشُو هذه المجلّة إلى نورها ، والمَطْمَح الذي تَرمي إليه ، بما تنشُره لأمراءِ البيان وفحول الكتّاب من جواهر العِلْم وعقائل الكلام

وإني أُسجِّل هنا آياتِ المحامد لصِحافتنا العربية التي استقبلتْ الزهراءَ بصدر رَحْب ، ونوّهتْ بها ، ومدّتْ لها يدَ المؤازرة . وأغتبطُ بما لقيتُ من تشجيع أهل العلم ورجال الفضل في البلاد العربية والممالك الاسلامية ؛ فلقد حلّتْ منهم الزهراء محلاً لم أكن أتوقّع لها أن تبلغه في سنوات . وليس لي ما أقابل به هذا العطف إلا توطين النفس على السّير بهذه المجلة سيرة القصد ، في الخطّة التي نالت من جمهور قومي الارتياحَ والرضى * والله الموفّق

محب الدين الخطيب

دار ابن لقمان

انتهزت فرصة وجودي بالمنصورة في هذه الايام فزرت بقايا دار ابن لقمان التى سجن فيها لويز التاسع ملك الفرنسيس [١] بحراسة الطواشي صبيح فى اغارته على مصر المعروفة بالحرب الصليبية السابعة . ولمّا كان هذا الاثر التاريخي يكاد يكون مجهولا عند المصريين فضلا عن غيرهم رأيت أن أتحف الزهراء بوصف موجز لماشاهدته بعد تلخيص ما لابدّ منه من خبر الاغارة لبيان ما لهذا الأثر من القيمة التاريخيه ثم التعريف بابن لقمان وصبيح لما لهما من العلاقة به .

﴿ ملخص خبر الاغارة ﴾

نمى الى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سلطان المملكة المصرية وهو عليل بالشام سنة ٦٤٦ أن ملك الفرنسيس عزم على قصد دمياط للاستيلاء على مصر فاقتضى علو همته مع إشتداد مرضه أن يسير الى مصر ليقود جيشه ويشاركه فى الدفاع عن بلاده . فسار اليها محمولا فى محفة ونزل بأشموم طناح [٢] فى المحرم سنة ٦٤٧ وأخذ فى اعداد الجيش وجمع في دمياط

(١) هو الملقب عند قومه بسان لويز Saint Louis أي القديس لويز ولد سنة ١٢١٥ وتوفي سنة ١٢٧٠ م . ويذكره مؤرخو العرب بالفرنسيس وبالافرنسيس وبعضهم بلتب روا دفرنس (Roi de France) أى ملك فرنسة ويقول بعضهم فيه ريدا فرنس . وذكر المقريزي في خططه أن اسمه (بواش) وكذلك فعل ابن تغري بردي في المنهل الصافي وترجمه في حرف الباء الموحدة . وسماه ابن شاكر في فوات الوفيات البرنس الفرنسيس وترجمه في الباء ايضا . ولم أجده مذكورا باسمه المعروف به عند قومه الا في النسخة المطبوعة بباريس من النهج السديد لأبي الفضائل فقد ورد فيها بلفظ لويس وكذلك أصلحوا بواش بلويس في نسخة الخطط المطبوعة حديثا في المجمع العلمي الفرنسي بالقاهرة كأنهم عدوه من تحريف النساخ . والظاهر أن أصل هذا التحريف من النساخ كأن يكون بعضهم كتبه لواس ولم يطل اللام فظنت باء وتصحيف السين بالشين قريب ثم سرى هذا الخطأ الى المؤلفين بدليل أن ابن تغري بردي ترجمه في حرف الباء .

(٢) تسمى الآن أشمون طناح بالنون في آخرها بدل الميم .

من الاقوات والاسلحة شيئاً كثيراً وأمر بتجهيز الاسطول من دار الصناعة بالقاهرة فجهز وشحن بالرجال والسلاح وسير اليه في النيل . ووصلت سفن الفرنسيس فى صفر وفيها جموع عظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل وكتب لويز الى الملك الصالح كتابا شديد اللهجة يطلب فيه تسليم البلاد ويقول فيه :

« لو حلفت لى بكل الايمان وأدخلت عليّ الاقساء [1] والرهبان وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك في أعز البقاع عليك ».

فلما قرىء على السلطان ـ وكان المرض مشتداً به ـ بكى واسترجع وأجابه بجواب من جنس كتابه ذكره فيه بعاقبة البغى والغرور . ثم وقعت مناوشات بين المصريين والفرنسيس انتهت برحيل الجيش المصري عن دمياط بلا سبب غير حماقة قائده فخر الدين ابن شيخ الشيوخ فدخلها الفرنسيس بلا قتال واستولوا على ما فيها من أقوات وسلاح . فانزعج الناس وحنق السلطان وأمر بعقاب الأمراء وانتقل الى المنصورة بعد ان حصنها وتطوع خلق كثير لمعاونة الجيش من البدو وأهالي النواحي حتى خرج الفلاحون وبأيديهم المقاليع والحجارة وأبلى الجميع بلاء حسناً في مناوشة الافرنج وايذائهم واختطاف من قدروا عليه منهم . هذا ومرض السلطان يتزايد حتى توفي في شعبان فأخفت جاريته شجرة الدر [2] موته وسيرت جثته فى حراقة سراً الى جزيرة الروضة وأرسلت الى ولده توران شاه بالحضور من حصن كيفا . ثم علم الافرنج بموت السلطان فخرجوا من دمياط في جموعهم وأسطولهم يحاذيهم في النيل

(١) كذا يروي في التواريخ والمعروف في جمع قس بالفتح قسوس بالضم وفي جمع قسيس بالكسر وتشديد السين قسيسون وتساوسة .

(٢) لم تكن شجرة الدر أم للمظم توران شاه كما توهمه بعض مؤرخي عصرنا وأثبتوه في تواريخهم وانما كانت ولدت للملك الصالح ولداً اسمه خليل مات صغيرا ولهذا كانت تكنى بأم خليل .

ودخلوا المنصورة ووصل ملكهم الى باب القصر السلطاني ولم يبق إلا أن يملكه . فقدر الله أن اشتدت عزيمة المصريين وحملوا عليهم حملة صادقة هزموهم بها شر هزيمة . ثم وصل السلطان الجديد المعظم توران شاه في ذي القعدة فاشتد به ساعد المصريين واستأنفوا القتال ووهنت قوة الافرنج فرحلوا الى دمياط فى المحرم سنة ٦٤٨ يريدون التحصن بها فركب المصريون أقفيتهم وأعملوا فيهم سيوفهم وأحاطوا بهم وقتلوا منهم وأسروا عدداً عظيما وانحاز الملك لويز وأكابر أمرائه الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الأمان فأحيط بهم وسيقوا الى المنصورة فقيد الملك واعتقل في الدار التي كان ينزل بها القاضي فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشي صبيح المعظمي خادم المعظم توران شاه[1] ثم فاوض المصريين في اطلاقه بشروط منها تسليم دمياط فأجيب الى ذلك ورفع العلم السلطاني عليها يوم الجمعة ثالث صفر وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق وأفرج عن الملك ومن معه فركبوا البحر وأقلعوا الى عكا . ثم بلغ المصريين انه يضمر العودة . فنظم جمال الدين ابن مطروح أبياته المشهورة التي يقول في أولها :

قل للفرنسيس اذا جئته مقال صدق من قؤول فصيحْ

ويقول في آخرها :

وقل لهم ان اضمروا عودة لأخذ ثار أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح[2]

(١) جاء في الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية أن الفرنسيس لما أسر سير به أم خليل (أي شجرة الدر) الى القاهرة في قفص من حديد على جمل ليراه الناس . وهو وهم من المؤلف وكأنه لما قرأ في أخبار هذه الغزوة أن الأسرى كانوا يساقون الى القاهرة ظن أن الملك سيق معهم .

(٢) تركنا ذكر سائرها لشهرتها ولتراجع في ديوان ابن مطروح طبع الجوائب ص ١٨١ وتاريخ ابن خلدون طبع بولاق ج ٥ ص ٣٦١ وخطط المقريزي طبع بولاق ج ١ ص ٢٢٣ وتاريخ أبي الفداء طبع الاستانة ج ٣ ص ١٩٠ وتاريخ ابن أياس ج ١ ص ٨٧ .

ومن طريف ما يروى أنّ لويز هذا قصد غزو تونس سنة ٦٦٨ فقال شابّ من أهلها اسمه أحمد بن اسماعيل الزيات :

يا فرنسيس تونس أخت مصر فتأهب لما اليه تصير[1]
لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير

فقدّر الله أن اصيب هو وجيشه بالوباء فهلك وهو محاصر لتونس سنة ٦٦٩ (الموافقة لسنة ١٢٧٠ م) وصحّ ما جرى على لسان الشابّ التونسي وكفى الله المؤمنين القتال[2]

﴿ ابن لقمان ﴾

هو فخر الدين ابراهيم بن لقمان الاسعرديّ ذكره السيوطيّ في حسن المحاضرة فى كتاب السرّ وقال إنه ولي ديوان الانشاء بعد بهاء الدين زهير فأقام الى انقراض الدولة الايوبية وبقي الى زمن قلاوون فنقله من الانشاء الى الوزارة . وترجمه الصفديّ في الوافي بالوفيات ترجمةً لا بأس بها جاء فيها أنه فخر الدين ابراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني الأسعردي الوزير الكاتب وانه ولد سنة ٦١٢ وطالت مدّته وتوفي بمصر سنة ٦٩٣ ولم يتعرض لذكر داره التى بالمنصورة . وترجمه ابن تغري بردي في المنهل الصافي بما لا يخرج عما في الوافي

﴿ صبيح ﴾

ويلقب بجمال الدين كان غلاماً حبشياً من غلمان المعظم توران شاه ولهذا

(١) في رواية أخرى يافرنسيس هذه أخت مصر .

(٢) هي الحرب الصليبية الثامنة آخر هذه الحروب . وقد وهم ابن شاكر في فوات الوفيات وابن تغري بردي في المنهل الصافي وأبو الفضائل في النهج السديد في جعلهم قصد الفرنسيس لتونس سنة ٦٦٠ ووفاته بها سنة ٦٦١ والصواب ما ذكرنا .

قيل له المعظمي وليس له ما يذكر به في التاريخ الا قيامه بحراسة لويز مدة اعتقاله ولولا أبيات ابن مطروح ولهج الناس بها ما اشتهر هذه الشهرة . وغاية ما وقفت عليه من خبره أن المعظم لما شرع في ابعاد غلمان أبيه وامرائه وتقريب من حضروا معه جعل صبيحاً أميرا وأنعم عليه بأموال كثيرة واقطاعات وأمر أن تكون له عصا من ذهب [1] قال ابن دقماق وهو الذي قيل فيه :

والقيد باق والطواشي صبيح

والمشهور في أقوال المؤرخين وأبيات ابن مطروح أنه كان طواشيا أى خصيا ولكن المقريزي خالف فى خططه فقال انه كان عبداً حبشياً فحلا

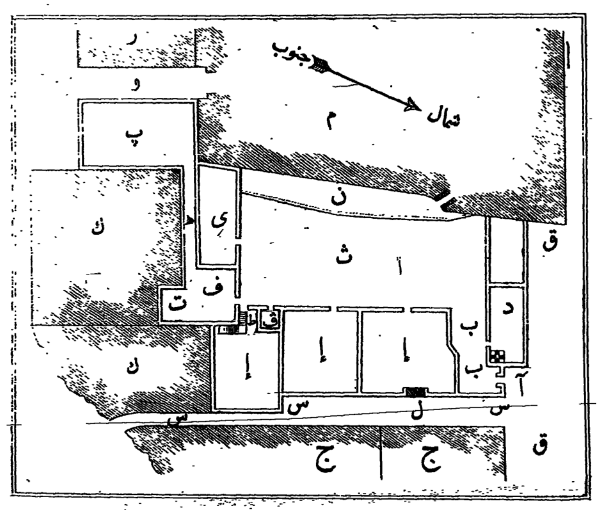
﴿ دار ابن لقمان ﴾

ذكرها المحبي فيما يعول عليه فقال « يتمثل بها المولدون في الوعيد بالسوء وكان الفرنسيس لما اسر بمصر جعل في دار رجل يقال له ابن لقمان ووكل به طواشى اسمه صبيح يحرسه » ثم ذكر بيتين من أبيات ابن مطروح وبيتي الشاب التونسي . ولم أجد أحداً من المؤرخين تكلم على هذه الدار بأكثر من ذلك ولا عن موقعها . والمستفيض عند أهل المنصورة فيما يتناقله الخلف عن السلف أنها في موضع مجاور لمسجد الشيخ عبد الله الموافى معروف عندهم وكانوا يسمون سان لويز المذكور (سنط ألوز) ثم صاروا يعبرون عن الاثر اليوم ببيت لويز كما سمعناه من أفواههم . وفي خطط علي مبارك باشا في كلامه على مسجد الموافي بالمنصورة « ويقال ان هذا المسجد من بناء الصالح أيوب في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم جدد في سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وبجواره من

(١) كذا في خطط المقريزى وهو الاصح والذي في النسخة التي عندنا من الجوهر الثمين لابن دقماق « وأمر أن تصاغ له عصابة من ذهب »

«الجهة القبلية مطبخ يطبخ فيه عند عمل مولد سيدى عبد الله الموافي كل سنة في شهر ربيع الآخر ، ويقال ان بهذا المطبخ حبس سلطان فرنسا أيام حرب دمياط [١]»

ويرجع الفضل في التنبيه على بقايا هذه الدار الى استاذنا العالم الجليل محمود رشاد بك رحمه الله [٢] بوضعه نبذة عنها في زيارته للمنصورة سنة ١٣٠٣



بقايا دار ابن لقمان ـ تخطيط رشاد بك

(١) المراد بالجهة القبلية عند عامة مصر الجنوب وعلى هذا فالمطبخ كان يتخذ فى الحجرة المرموز لها بحرف (پ) فى رسم رشاد بك الآتي .

(٢) كان آخر منصب تولاه رئاسة محكمة مصر الاهلية وهو معدود من كبار العلماء الباحثين وقد فجعت به مصر في أول ذي الحجة سنة ١٣٤٣

(١٨٨٦م)قدّمها الى المجمع العلمي المصري ومعها رسم لما شاهده من بقايا الدار [١]
وبدأ كلامه فيها بالمتداول على ألسنة أهل المنصورة من خبر هذه الاغارة
فاورده كما سمعه على علاته

ثم ذكر أنها مجاورة لمسجد الشيخ عبد الله الموافي في الجنوب الشرقي
منه وأنها كانت على ما يقال قريبة من النيل زمن أسر الملك مع أنها الآن
أصبحت بعيدة عنه[٢] وأن حدها في الجنوب ينتهي الى سوق الحدادين المرموز
له بحرف (و) وحدّها في الجنوب الغربي [٣] ينتهي الى خرائب وأطلال (ك)
والظاهر أنها كانت داراً كبيرة وان الطريق (س) والاماكن (ج) كانت
من أجزائها وكذلك كلّ ما يحيط بها الآن من الخرائب والاماكن المسكونة
اذ لا يعقل أن يسجن ملك في دار لا تبلغ سعتها الا ما يشمله الاثر اليوم بل
لا يعقل أن يسكن ابن لقمان وهو كاتب سر المملكة داراً في هذا الضيق
ومن الروايات الشائعة التي سمعها أن في الدار دهليزاً يفضى الى حجرة قديمة
خربة كانت اقامة الملك بها مدة اعتقاله وهى الحجرة المرموز لها بحرف (ب)
الواقعة شرقي سوق الحدادين (و) والدهليز ضيق مظلم وهو المرموز له بحرف
(ه) وحجتهم في ذلك أن اميرا فرنسيا زار هذه الدار حوالي سنة ١٢٦٢
(١٨٤٥ م) فقصد هذه الحجرة وعانى مشقات في اجتياز الدهليز حتى وصل
اليها فكشف عن رأسه وانحنى خاشعا ثم التقط حجرا من ارضها حمله معه
للتبرك به فلو لم يكن على علم بهذا الموضع بأدلة تثبت صحتها عنده لم يفعل
ذلك [٤]

---

(١) ترجمها يعقوب ارتين باشا الى الفرنسية وتلاها فى المجمع .
(٢) سيأتى الكلام على ذلك فى الخلاصة .
(٣) كذا والصواب الجنوب الشرقى كما يعلم من الرسم .
(٤) رجح رشاد بك ان الامير المذكور هو الدوك مونبانسيه Montpensier لانه من

قال والمشهور عند مرشدي الزوار بالمنصورة أن الحجرة التي سجن فيها الملك هي المرموز اليها بحرف (ف) وجرت العادة من الزمن القديم الى اليوم بارشاد السياح وحجاج الافرنج اليها وكذلك فعلوا مع أمير مصر محمد توفيق باشا لما ذهب الى المنصورة وزار هذه الدار

ثم قال إن للدار اليوم بابين أحدهما شرقي (ل) والثاني (آ) ويظهر أنه من الابواب القديمة الباقية ولم يزل يدخل منه الى الدار الى الآن . ومنظرها من الداخل والخارج حقير لا يدل على أنها كانت سجناً لملك عظيم يعد أسره من مفاخر مصر التاريخية . ثم أفاض في وصف باقي الأثر بما لا حاجة الى ذكره وانما نكتفي منه بالاشارة الى الاماكن التي رمز لها بالحروف وبينها في مقاله وهي :

(ب) مدخل . (د) بناء ذو ثلاث طبقات في كل طبقة حجرتان . (ث) ساحة الدار . (ك) حائط بين الدار ومسجد الموافي . (م) مسجد الموافي . (ي) حجرة للاستقبال . (ت) موضع يقال أنه كان به جب . (ط) باب يفضي الى سلم يصعد منه الى السطح .

ثم ذكر أنه اجتمع بشيخ جاوز السبعين وأقام بالمنصورة ٤٥ سنة سكن منها في هذه الدار ٢٣ وهو رئيس من رؤساء الملاحين فأخبره أن السياح من القساوسة والحجاج وغيرهم الذين يحضرون الى المنصورة يحرصون على زيارة الدار وأكثرهم

زار مصر في هذا التاريخ . ويؤيد ترجيحه ماجاء في كتاب (القطر المصري ـ تذكارات توراتية ومسيحية (L' Égypte, souvenirs bibliques et chrétiens, par le P. Jullien, Lille 1891) من أن هذا الدوك زار هذه الدار سنة ١٨٤٦ م . وهو على ما في المعاجم الفرنسية ابن لويز فيليب ملك فرنسة ومن سلالة لويز التاسع ولد سنة ١٨٢٤ وتوفي سنة ١٨٩٠ وساح في الشرق سنة ١٨٤٦م . أما الدليل على تعيين الحجرة فليس سوى ارشاد الاهالي كما سيأتي .

يلتقطون الحجارة من أرضها ويحملونها معهم .

هذا ملخص ماذكره رشاد بك أما حفظ الاثر وتسجيله في الآثار فيرجع الفضل فيه الى المرحوم محمد بيرم بك [1] فانه نبه اليه في جلسة لجنة حفظ الآثار العربية المنعقدة في ٩ نوفمبر سنة ١٨٩٧ م (جمادى الثانية سنة ١٣١٥) ثم قدم لها في أول مارس سنة ١٨٩٨ م (شوال ١٣١٥) رسماً وأربع صور شمسية للمكان فرأت اللجنة انتداب صابر صبري بك كبير مهندسي الاوقاف [2] لمعاينة الدار فزارها في تلك السنة وقال إنه ثبت له من المصادر الرسمية التي رجع اليها أن بقاياها الواردة في رسم رشاد بك كان يملكها منذ قرن رجل اسمه عبد الرحمن المغربي فوقفها ، ولكن بنته فطومه خاتون لم تكترث بالوقف وباعت جزءاً منه ثم انتقل ملك هذا الجزء الى عدة أشخاص وآل أخيراً الى امرأتين فهدمتاه سنة ١٨٩٣ م (١٣١١) وأقامتا عليه بناء جديداً وفي تلك السنة كان صابر بك بالمنصورة فاخبر ديوان الاوقاف بالهدم وطلب ايقافه حفظ للاثر فلم يستطع الديوان الا المحافظة على الجزء الباقي موقوفاً وهو ثلث المكان ثم وصف ماشاهده من هذا الجزء في زيارته له سنة ١٣١٥ فقال إنه يشتمل على مدخل يوصل الى ساحة بها حجرتان ومكان صغير كان مغطى بقلبة سلم لم يبق منه الا آثاره وسلم صغير مجاور للمسجد يوصل الى مقعد وكان فوق هذا المقعد طبقة أخرى لم يبق منها الا آثار تدل عليها [3] وجميع ذلك مبني بالآجر وسقوفه على سذاجة صناعتها قديمة العهد . وقد طلب المحافظة على هذه البقية وترميمها

(١) كان من خير الشبان وأفاضل الكتاب الباحثين وكانت وفاته سنة ١٣١٧ وهو ابن العلامة محمد بيرم الخامس التونسي المتوفى بمصر سنة ١٣٠٥ .

(٢) صار بعد ذلك باشا وتوفي سنة ١٣٣٤ .

(٣) هذا المكان في الجهة الشمالية من الدار ملاصق للمسجد في الجنوب الشرقي منه (راجع رسم رشاد بك) وهو الاثر الباقي الى اليوم الذي شاهدته كما سيأتي بيانه .

ومنع تأجيرها واعدادها لزيارة السياح واقامة حارس عليها فعملت اللجنة برأية

ثم زار هذه الدار هرتس بك كبير مهندسي اللجنة[1] في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٠٠ م (رجب سنة ١٣١٨) ومعه الاستاذ كازا نوفا فلم يجد هناك شيئاً قديماً وذكر أنه رأى لوحاً بحائط المسجد يدل على أنه جدد سنة ١١١٩ هـ وأن الباقي من آثار الدار ثلاثة أقسام قسمان في الجهة الشمالية وقسم في الجنوبية الغربية وفيه الحجرة التي زارها الدوك مونبانسية وكانت مظلمة ثم فتح لها باب على الطريق وجعلت مصبغة . أما القسم الأكبر من الدار الواقع بين الباقي منها في الشمال وفي الجنوب الغربي فقد هدم وجدد بناؤه وأصبح فاصلا بينهما . واقترح جمع المصادر والمستندات الخاصة بهذه الحادثة التاريخية وعرضها باحدى الحجر الباقية وحفظ الأثر كما هو

ثم عني الاستاذ بروا Barois بكتابة فصل عن هذه الدار تلاه في المجمع العلمي المصري في ١٣ يناير سنة ١٩١٩ (١٣٣٧) أتى فيه على خلاصة ماذكره رشاد بك وصابر بك وهرتس بك وذكر انه عثر في مجلة قديمة اسمها MagAsin Pittoresque[2] بالجزء الصادر منها في يونيه سنة ١٨٤٤ م (١٢٦٠) على فصل مصدّر بصورة للدار صورها في السنة المذكورة كارل جيراردية Karl Girardet المصور المشهور[3] ويلي الصورة وصف مجمل للدار جاء فيه أنها كانت مشرفة على النيل وأن الملك كان سجن في حجرة رطبة بالطبقة السفلى منها وكانت هذه الحجرة باقية الى ذلك الزمن ومتخذة مخزناً لجلود الجاموس والبقر . وأن ساحتها

(١) صار بعد ذلك باشا وتوفى سنة ١٣٣٧ .

(٢) هي مجلة فرنسية شهرية كان ينشرها أدوارد شرتون Edouard Charton المولود سنة ١٨٠٧ والمتوفى سنة ١٨٩٠ م .

(٣) ولد سنة ١٨١٠ وتوفى سنة ١٨٧١ م ولم ننقل هنا الصورة اكتفاء بالصورة التى صورها البارون تيلور لانها أوضح .

فرنسيا اسمه ريفو كان زار هذه الدار وهذه الحجرة ووصفهما قبل ذلك بسنين.
وختم الاستاذ برووا مقالته هذه سائلا عما اذا كان يستطاع تطبيق ماجاء في رسم رشاد بك ومباحث لجنة الآثار على شيء مما صوره المصور جيراردبه وعما اذا كان السائح ريفو ترك أثراً مدوناً عن رحلته هذه وبين المصادر التي اعتمد عليها في أن الحجرة التي زارها هي التي اعتقل فيها الملك . ثم قال ويعلم من رواية هذا السائح أن خبر هذا المكان لم يكن ابن يومه حينما زاره الدوك مونبانسيه سنة ١٨٤٦ م بل كان معروفا قبل ذلك بسنين .

وفى شهر فبراير من سنة ١٩١٩ م تلا الاستاذ داريسى Daressy مقالة أخرى فى هذا الموضوع المجمع العلمى ، ملخص مايعنينا منها انه بين للاستاذ برووا أن السائح ريفو وضع دليلا للسياح الذين يقصدون مصر والنوبة طبعه سنة ١٨٣٠ م وتكلم فيه عن هذه الدار وبعد ست وعشرين سنة من طبع هذا الدليل ظهر كتاب سنة ١٨٥٦ م بعنوان (مصر) منسوبا الى لاورتي حاجى Laorty Hadji وهوفي الحقيقة من تأليف البارون ايزيدور تيلور Isidore Taylor (المولود سنة ١٧٨٩ والمتوفى سنة ١٨٧٩ م) ذكر فيه زيارته لهذه الدار في سياحته بمصر وكان ساحها مرتين احداهما سنة ١٨٢٠ والاخرى سنة ١٨٣٠ ووصف الدار وصفا يطابق ماذكره عنها ريفو . وبعد ان أتى على نص العبارتين المتشابهتين وبين أن المنشور بمجلة Magasin مقتطف من وصف ريفو ببعض تغيير أبدى شكه في أن يكون ما كتبه ريفو من نتيجة بحثه لانه لم يكن من فرسان هذا الميدان (١) بل كان تاجراً للآثار العتيقة لايعرف غير التقاطها واستخراجها من مدافنها وبيعها لدور الآثار الافرنجية وهو مع ذلك لم يصرح في كلامه بزيارته للدار ولا ادعى أن ماذكره من نتيجة بحثه وتحقيقه بل قال في مفتتح عبارته « يزورون فى المنصورة المكان الذى سجن فيه سان لويز » .

(١) أورد الكاتب أدلة على مدعاه تركنا ذكرها اختصاراً .



دار ابن لقمان من تصوير البارون تيلور

الخ . ثم رجح أن يكون نقل هذا الوصف مما كتبه البارون تيلور ولكن لما كان هو السابق لنشر هذا الوصف قبل ظهور كتاب البارون بست وعشرين سنة فيحتمل ان يكون البارون كتب وصف الدار حينما زارها وأرسل به الى

صديقه ريبو Reybaud [١] فاطلع عليه لانهما كانا من سكان مدينة واحدة وهي مرسيلية فاعتمد عليه ولخص منه ماذكره في دليله كما يحتمل ان يكون رآه منشوراً في ذلك الحين في جريدة أو مجلة فنقله منها .

ولا حاجة بنا الى نقل ما كتبه البارون عن الدار بنصه المذكور في المقالة لانه لخص فيه خبر الحادثة عن المصادر العربية وهي معروفة وأغلب كلامه عن الدار في وصف ظاهرها وهو ممثل في الصورة الآتية . ولما تكلم عن حجرة الاعتقال لم يأت بمستند اعتمد عليه في تعيينها سوى ارشاد أهالي المنصورة ووصفها بأنها حجرة كبيرة في الطبقة السفلى رطبة مظلمة مربعة يبلغ طول كل ضلع منها من ٢٠ الى ٢٥ قدما ولا يدخلها الضوء الا من نافذة فوق بابها ذات قضبان من الحديد وقد جعلت في زمنه مخزنا لجلود البقر والجاموس

وقد لاحظ كاتب المقالة على البارون جعله الدار على النيل مع أن المشاهد الآن أنها في وسط المدينة وختم بحثه بقبول ما يرويه المنصوريون في تعيين موضع الدار ولكنه أنكر أن يكون شيء من آثارها باقيا الى الآن

﴿ الاثر كما شاهدته ﴾

لما وصلت المنصورة كان أكبر همي زيارة هذا الاثر فقصدت مسجد الموافي وهو مسجد كبير عامر تقع وجهته الشمالية الغربية على ميدان واسع ذي حديقة يسمى بميدان الموافي . ولما كنت متخيلا موضع الاثر بما قرأته عنه ورأيته في لوح تخطيطه سرت بجوار هذه الوجهة جاعلا لها عن يميني حتى وصلت الى آخرها ثم عطفت في الطريق الموصل اليه وبعد سير قليل واجهت الباب فرأيت في أعلاه

---

(١) كان ريبو هذا بدأ سنة ١٨٣٠ م في نشر مؤلفه في التاريخ العلمي والعسكري للاحتلال الفرنسي لمصر وكان البارون تيلور أحد المعاونين له في تأليفه وعلى اتصال به وصداقة .

لوحين من الرخام وضعهما لجنة الآثار ونقشت على احدهما التعريف بالأثر بالعربية وعلى الآخر بالفرنسية .

ولما دخلت وجدت ماوراء الباب يطابق ما وصفه به صابر باشا في تقريره فسرت في مدخل يفضي الى فناء مسقوف به مقعد تشرف نوافذه عليه ويصعد اليه بسلم ملاصق لحائط المسجد الذي به القبلة ثم خرجت منه الى فناء آخر أصغر منه مكشوف به حجرتان صغيرتان خربتان . هذا كل مابقى مسجلا باللجنة وهو المكان الواقع في رسم رشاد بك في الجهة الشمالية من الدار ملاصقاً للمسجد أما سائرها فقد بيع وهدم وجدد بناؤه وتغيرت معالمه وأصبح فاصلا بين هذا الاثر الباقي وبين جزء آخر من الدار فى الجنوب واقع في سوق الحدادين (١) كان تابعاً للاوقاف الى سنة ١٣١٨ كما يعلم من تقرير هرتس باشا ولكنه وبالاسف غير مسجل الآن باللجنة ولاداخل في حراسة حارس الاثر .

والبناء في الاثر المسجل جميعه بالآجر وهو على قدم عهده لا أثر للفن فيه ولا يظن أنه يرتقي الى عصر ابن لقمان بل لا بد من أن يكون مما جدد بعده . ولم يكن هذا الجزء ممتازاً بشيء تاريخي من بين أجزاء الدار فقيمته الآن محصورة في كونه البقية الباقية المحتفظ بها

أما الجزء الآخر الجنوبي فواقع في نهاية سوق الحدادين عن يمين الداخل فيه قاصداً باب المسجد الجنوبي وهو عبارة عن حجرة أرضية لها نافذة وباب على الطريق . كانت فيما يروى موضع اعتقال الملك (٢) وهي التى زارها البارون تيلور والدوك مونبانسيه من بعده ويقول هرتس باشا في تقريره انها كانت مظلمة ثم فتح لها باب على الطريق وجعلت مصبغة كما تقدم . وقد ذهبت الى سوق الحدادين لزيارتها فوجدت بابها مغلقاً ولم أشاهد منها غير الحائط الواقع على الطريق والملاصق .

(١) سوق الحدادين هو المرموز له بحرف (و) فى رسم رشاد بك .

(٢) هى المرموز لها بحرف (پ) فى رسم رشاد بك .

في نهايته لباب المسجد وهو مبني بالآجر شبيه في هيئته وتقدمه ببناء الجزء الشمالي المسجل . ومع سؤالي من كثيرين عن هذه الحجرة لم أجد أحداً يعرف عنها خبراً وعجبت كيف فات لجنة الآثار تسجيلها حفظاً لمعالمها من الدثور كما سجلت الجزء الشمالي وهو لا يمتاز عنها بشيء فني أو تاريخي بل قد يكون الأمر بالعكس فأن هذه الحجرة وان لم يثبت بطريق الجزم انها كانت معتقل الملك فقد اكتسبت بهذه الرواية وبزيارة العظماء والسياح قيمة تاريخية تستدعي الحرص عليها .

﴿ الخلاصة ﴾

والخلاصة اني من رأي الاستاذ داريسي في قبول مايرويه المنصوريون في تعيين موقع الدار ولا أرى سبيلا للشك في رواية متواترة تلقاها الخلف منهم عن السلف في كل عصر الى زماننا . واني من رأيه أيضا في انكار بقاء شيء من بنائها القديم من عهد ابن لقمان . وأزيد ان الدار التي صورها البارون تيلور من نحو قرن ليست فيما أرجح من هذا البناء كذلك ولكني لا أستبعد في الآثار الباقية الى اليوم أن تكون من بناء الدار المصورة لقرب العهد بها . أما تعيين حجرة الاعتقال المرموز لها بحرف (پ) أو المرموز لها بحرف (ف) في رسم رشاد بك فلا أستطيع الجزم به مع تغير معالم البناء كما لا اري من حقي المجازفة بنفيه لاحتمال احتفاظهم بموقعها كما احتفظوا بموقع الدار غير ان تشعب الخبر فيه الى روايتين يجعلني أميل الى أنه من اختراص المرشدين .

بقي ان الاستاذ أخذ على البارون تصويره الدار على النيل وقوله في رحلته عن موقعها « انها كانت في حدود ملتقى النيل بخليج أشمون » قال والمشاهد الآن أنها في وسط المدينة فاما أن يكون ذلك ناشئاً عن خطأ أو أن تكون الصورة مجرد زخرف أراد هذا المؤلف الشاعر أن يزين به رحلته لما أعياه الوصول

الى الحقيقة انتهى . وأبي من رأيه في استحالة اشراف الدار على النيل زمن البارون لا لاني أنكر تحول مجراه في كثير من الاحيان بل لأن المسافة التي بينه وبينها قدحدثت بها أماكن قبل زمن البارون بقرون حسبنا أن نذكر منها مسجد الصالح أيوب صاحب الواقعة مع لويز . ولكني أستبعد أن تكون الصورة مجرد زخرف ولا إخال البارون يرضى بهذا التلفيق في رحلة أراد أن يقص بها على قومه ماشاهده بالمشرق وهو يعلم أن رواد الافرنج يزورون هذا المكان . وأظنني استطعت الوصول الى حل هذا المشكل ولكن لا بطريق الجزم بل هو رأى لاح لى اعرضه للتمحيص بعد نقل مخطط الاستاذ داريسي الذي أثبته بعاليه وبين فيه موقع الدار والمديرية القديمة فعلى هذين الموقعين يتوقف تطبيق ماسأذكره .



مخطط الاستاذ داريسي

ولبيان ذلك لابد لنا من الرجوع الى كلام المقريزي عن المنصورة نتراه يقول في خططه أنها كانت واقعة على رأس بحر أشموم ومراده خليج أشموم طناح المسماة الآن أشمون بالنون . ثم يقول في موضع آخر عن زحف الفرنسيس من دمياط في واقعة لويز أنهم لما وصلوا تجاه المنصورة صار بينهم وبينها بحر أشموم فخندقوا هناك على أنفسهم . ويفهم من هذا ان الخليج كان شمالى المدينة

ويقول علي مبارك باشا فى خططه عن البحر الصغير انه من فروع النيل القديمة ويعرف في كتب التاريخ ببحر أشمون طناح . ويقول رشاد بك في بحثه بحسب الرواية التي سمعها ان لويز لما قصد المنصورة سار براً الى ان وصل الى فم البحر الصغير الآخذ من النيل وكان زمن الحادثة شمالى المدينة ثم غير بعد ذلك فكان وقت كتابته للبحث في الجنوب منها قال وترى الآن آثار الفم القديم بين المديرية والمدرسة الاميريه وهي عبارة عن رصيف مبني بالحجر والآجر مغمور بماء النهر (١)

فيعلم من مجموع هذه الاقوال ان هذا الخليج أو البحر كما يعبرون عنه كان وقت الحادثة شمالى المدينة ودلت الآثار على أن فمه كان فى الموضع المجاور للمديرية (أى المديرية القديمة التي جعل مكانها الآن ديوان الشرطة) فيكون مجراه على هذا ماراً فى الشمال الشرقي من دار ابن لقمان ومن المحتمل بقاء هذا المجرى الى الزمن الاخير فتكون الوجهة التي صورها البارون مشرفة على هذا الخليج لاعلى النهر الاعظم كما كان يظن. على أن افتراضي هذا اذا صح في تصوير الدار فأني لا أخلي البارون من المؤاخذة في قوله ان موقعها كان عند مأخذ الخليج من النيل فهذا بلا ريب مما زل به قلمه وقت تدوين رحلته .

وسواء علينا أ أصاب البارون أم أخطأ وصحت بعض الروايات أم لم تصح فالذي لاريب فيه أن هذه البقية على علاتها قد حفظت لنا موقع الدار وظلت على حقارتها ممثلة لجلال تلك المفخرة التاريخية لمصر والمصريين . ولقد زرتها وغادرتها فلم أحمل منها حجراً أذكرها به كما فعل غيري ولكني حملت أثراً في نفسي من ماضينا وحاضرنا أبسم له وابكي .

احمد تيمور

(١) فم هذا الخليج تغير مرات على ما فى خطط على باشا وهو الآن شمالي المدينة وراء ما أضيف اليها واستحدث من الاماكن .

خزائن الكتب فى القسطنطينية

تعدّ مدينة القسطنطينية من أغنى مدن العالم بنفائس الكتب العربية ، ونوادر مخطوطاتها . لان سلاطين آل عثمان ووزراءهم وولاتهم وقوّادهم وقضاتهم مابرحوا منذ بسطوا سلطانهم على عواصم العلم فى البلاد العربية — كالقاهرة ، ودمشق ،وحلب ، وبيت المقدس وبغداد ، والموصل ، ومكة والمدينة ، وصنعاء ، وزبيد وغيرها — ينقلون منها تلك النفائس بمختلف الوسائل ، أو تجلب الى عاصمة السلطنة تقرّبا الى عظمائها وطمعاً بمنصب أو عمالة أو جاه

وقد بلغ عدد خزائن الكتب العامة فى تلك المدينة حتى الزمن الاخير إحدى وأربعين خزانة .غيرأن الامر كان فيها فوضى لضئولة الرواتب التى يأخذها القيّمون على تلك الكتب ، فيبيحون للناس الانتفاع بمطالعتها اذا شاءوا ، ويوصدون دونها الابواب متى أرادوا . ولعل قلة رواتبهم وعدم الرقابة عليهم هما سبب ما كان يقع دائما من فقد كثير من نفائس تلك الخزائن وانتقاله الى بلاد أخرى . وفي مدة اقامتي بالقسطنطينية كنت أختلف الى بعض تلك الخزائن فأطلب الكتاب الذى لم نسمع بوجود نسخة اخرى منه فى بلد من البلاد فيقول قيّم المكتبة انه مفقود من أيام سلفه . وحدثنى عظيم من كبار علماء القاهرة وأعيانها أنه زار القسطنطينية سنتين متواليتين ، فاطلع في المرة الاولى على مخطوط نفيس في احدى الخزائن ثم عاد فطلبه في المرة الثانية فجيء بجلد ذلك الكتاب وفي داخله كتاب غيره لايساوى قرشين

والظاهر أن ذلك قديم العهد في العاصمة العثمانية فقدذكروا عن (فرنير) الذى كان قنصلا لدولة هولندة فى القسطنطينية حوالي سنة ١٦٠٠ مسيحية (أوائل القرن الحادى عشر الهجرى) أنه تمكن من ابتياع ألوف من تصانيف

أكابر علماء الاسلام الاقدمين ، وفيها خطوط التبريزي وابن الجواليقي والمقريزى والحافظ النسائى والعماد الكاتب وعبد الله بن الخشاب النحوي وغيرهم . ونقلها الى وطنه ، فكانت هى النواة الاولى لمكتبه (ليدن) الشهيرة التى تعد من أعظم دور الكتب العربيـة في العالم .وأكثر الكتب العربيـة المطبوعة في أوروبا — ولا سيما في مطبعة بْريل — هى من هـذه المكتبة ، لذلك امتازت تلك المطبوعات بأنها أصحّ من الكتب التى تطبع في المشرق لصحة الاصول التى اعتمد عليهـا المستشرقون عند الطبع

ولما قوّض الكماليون سلطنة آل عثمان ، ووضعوا تركة السلطنة على بسـاط البحث ، كانت هذه الخزائن مما حاروا في تعيين مصيره . غير أن هذا لم يمنعهم من احصاء محتوياتها ، ومعرفة مافيها . وبعدأن قضوا فى هذا العمل نحو عام ونصف عام بدا لهم فيها رأي جديد وهو أن يقسموا هذه الكتب الى قسمين : القسم الاول ما لا يرون بشبابهم حاجة الى مراجعته والاستفادة منه وسيرجئون البتّ فى أمر هـذا القسم الى وقت آخر . والقسم الثانى ماقـد يحتاج اليه أدباؤهم وناشئتهم ، وقد قرروا أن يضم هـذا القسم الى المكتبة التى يؤسسونها الآن لتكون ملحقة بمدرستهم الجامعة

واختاروا لمكتبة الجامعة بناء مدرسة (القضاء الشرعى) فى حى (بايزيد) ، وهو بناء حجرى تقل فيه أخطار الحريق ، وما برح خاليا منـذ الغى الكماليون محاكم الشرع الاسـلامى واستغنوا بالغائها عن تخريج القضاة لها فى تلك المدرسة فأقفلوا أبوابها

وتتألف مكتبة تلك الجامعة من الخزائن الآتى بيانها :

١ — خزائن المدارس العليا التى تتألف منها جامعـة القسطنطينية كمدرسة الحقوق ، وكلية الآداب ، وكلية العلوم . وأكثرها من الكتب المصرية المؤلفة بالتركية واللغات الاوربية .

٢ — بقايا مكتبة السلطان عبد الحميد التي في قصر يلدز . فانهم لما عولوا على جعل قصر يلدز ملهى يديره أحد الاجانب قرروا اعطاء مكتبة الجامعة الخزانة الحميدية التي فيه ، ومعها دواليبها النفيسة التي يكفي أن يقال انها من بدائع قصر يلدز . وبقايا مكتبة يلدز يبلغ عدد كتبها خمسة وثلاثين الف مجلد ، ومما تحتويه جميع مطبوعات الدور الحميدى ومخطوطات امتازت بجمال خطوطها واتقان تذهيبها ، ومئات الطوامير والوثائق والمستندات المتعلقة بالتاريخ العثمانى ، ومجموعة كبرى من الكتب القيمة التي أهداها كثير من الملوك الى السلطان عبد الحميد ، هذا عدا الصور المتعددة ، شمسية وغير شمسية

٣ — المنتخب من خزائن كتب القسطنطينية على ما ذكرناه آنفا ، وهذا لم يعلم بعد عدده ولا نوعه ، فلا يمكن الحكم على قيمته من الآن ، وان تكن هذه الخزائن فى نفسها من أغنى الخزائن بنفائس الكتب كما تقدم فى صدر هذا المقال

٤ — نحو أربعين الف مجلد أهديت الى مكتبة جامعة القسطنطينية من بعض أغنياء الترك فى سويسرا ومصر

فاذا تم تأليف مكتبة الجامعة على هذا النحو فان المنتظر أن يكون عدد كتبها مائة الف مجلد وخمسة وسبعين ألفاً . وبلدية القسطنطينية تواصل جلب الكتب الافرنجية من أوروبا بلا انقطاع فتلحق بهذه المكتبة

وكانت بلدية القسطنطينية قد ارسلت فى العام الماضي شاباً من شباب الترك الى فرنسا على نفقتها ليدرس فن تنظيم دور الكتب ، وهذا الشاب هو فهمى بك من خريجى الجامعة . وقد التحق بمدرسة شارت التي يتخرج فيها المشتغلون بحفظ المستندات والوثائق التاريخية على طريقة المجامع العلمية ، فلما رأى أن ذلك غير ماجاء لاجله انتقل الى مدرسة أخرى أسسها الامريكيون فى باريس منذ عهد

قريب لتخريج موظفين لدور الكتب العامة على الطريقة الامريكية وفيها دروس نظرية عن الطباعة ، وحل الكتابات الاثرية ، وأصول التاريخ . ودروس عملية تلقى على الطلبة بين خزائن كتب المكتبة الوطنية الكبرى التي تحتوى نحو ثلاثة ملايين من المجلدات . فاستفاد فهمى بك من هذه الدروس النظرية والعملية ومن الاختلاف الى مكتبة جامعة السوربون وفيها نحو مليون مجلد ، والى غيرها من خزائن الكتب المتعددة ولا سيما مكاتب الشَّعْب التي جرى الفرنسيون في تأسيسها وتكثير عددها على آثار الامريكيين الذين لهم في كل حي وفي كل قرية مكتبة من هذا القبيل فضلا عن المكتبات السيارة التي تتنقل بين قرى لاتزال محرومة من دور الكتب

والعناية منصرفة الآن في القسطنطينية الى احصاء الكتب في مكتبة الجامعة وتدوين أسمائها وتأليف فهرس لها

والذي يهمنا نحن من وجهة النظر الاسلامية والعربية أن لا يبلغ زهد القوم هناك بما نعدّه نحن والمستشرقون من نفائس خزائن القسطنطينية ومفاخرها الى أن يهمل أو تلعب به أيدى الضياع . اذ بين تلك الكتب من النسخ الفذّة ما اذا ضاع لا يمكن تعويضه بشيء من المال

يامعشر اللغة الفصحى

يامن يرى اللغة الفصحى وقد نُكبت ... بكل دهياء ردّت نورها ظُلَما
هوت من الذروة العلياء وبثّ لها ... شرَّ الغوائل قومٌ ضيّعوا الهمما
تخالهم عرَباً ، حتى إذا نطقوا ... في الناس أو كتبوا لم يفضلوا العجما
فتلك أشعارهم ساموا البيان بها ... مذلةً ، وأهانوا الطرس والقلما
لم ينشروا صحفاً للناس قيّمة ... وإنما نشروا بين الورى نقما

أمين بك ناصر الدين

جنة الدنيا

دمشق مدينة ذكريات تاريخية عظيمة الأثر في نفوس زائريها ، لانها أقدم مدينة عامرة على وجه الارض ، لم تزحزحها نكبات الدهر عن موضعها الاول في سفح جبل « قاسيون » ولا حرمتها كوارث الايام مج مغانيها بين جداول « بردى » . ومن هذه المدينة سارت جيوش الفتح الاسلامي ناشرة لغة العرب وحكمتهم وحضارتهم في القارات الثلاث : آسيا وافريقية وأوربا مدة الخلافة الاموية . وهي مع ما لها من هذا الامتياز التاريخي مابرحت معروفة من مئات السنين بانها « جنة الدنيا » بغوطتها الغناء وأوديتها السكرى بخمرة الجمال على خرير الجداول المتفرعه من بردى ، والعيون المنبثقة الى جانبها في اهضام تلك الاودية ذات الروعة الخالدة

وقف شوقي بك أمير شعراء العرب أمام هذه المشاهد، وتلك الذكريات ، فألهمته هذه الآية من شعره الحكيم ، وقد ألقيت في حفلة جمعت المئات الكثيرة من شباب دمشق وادبائها ، وقد اقاموها لتكريمه في دار المجمع العلمي العربي بدمشق

قم ناج جِلّقَ وانشُدْ رسمَ من بانوا ... مشتْ على الرسم أحداثٌ وأزمانُ [١]

هذا الاديمُ كتابٌ لا كفاءَ له ... رَثُّ الصحائف باقٍ منه عنوان

الدينُ والوحيُ والاخلاقُ طائفة ... منه ؛ وسائره دنيا وبهتان

ما فيه ـ ان قُلّبتْ يوما جواهرُه ـ ... إلا قرائح من « راد » [٢] وأذهان

(بنو أُميّةَ) للانباء ما فتحوا ... وللاحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سريرُ الشرق تحتَهمُ ... فهل سألتَ سريرَ الغرب ما كانوا ؟

عالينَ كالشمس في أطراف دولتها ... في كل ناحية مُلكٌ وسلطان

يا ويحَ قلبيَ مهما انتاب أرسمهم ... سرى به الهم أو عادته أشجان

بالامس قمتُ على (الزهراء) أندبهم ... واليوم دمعي على (الفيحاء) هتّان

(١) جلق : دمشق
(٢) الراديوم . وقد استعملها شوقي في قصائد أخرى

في الأرض منهم سماوات وألوية ونيّرات وأنواء وعقبان
معادن العز قد مال الرغام بهم لو هان في تربه الابريز ما هانوا
لولا (دمشق) لما كانت (طليطلة) ولا زهت ببني العباس (بغدان)[1]
مررت بالمسجد المحزون أسأله : هل في المصلى أو المحراب مروان ؟
تغير المسجد المحزون واختلفت على المنابر أحرار وعبدان
فلا الاذان أذان في منارته إذا تعالى ، ولا الآذان آذان

***

امنت بالله واستثنيت جنّته : دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق ـ وقد هبّت خمائلها ـ : الارض دار لها (الفيحاء) بستان
جرى وصفّق يلقانا بها (بَرَدَى) كما تلقّاك دون الخلد رضوان
دخلتها ، وحواشيها زمرّدة، والشمس فوق لجين الماء عقيان
والحور في (دُمَّر) أو حول هامتها حور كواشف عن ساق وولدان[2]
و (ربوة الواد) في جلباب راقصة الساق كاسية والنحر عريان[3]
والطير يصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان[4]
وأقبلت بالنبات الارض مختلفا أفوافه فهو أصباغ وألوان
وقد صفا (بَرَدَى) للريح فابتردت لدى ستور حواشيهن أفنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا جفّت من الماء أذيال وأردان

***

(١) بغدان من أسماء بغداد
(٢) الحور: في صدر البيت شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق. ودمر والهامة من متنزهات تلك المدينة في وادي بردى
(٣) الربوة متنزه في سفح جبل أعلاه أجرد وأدناه مكسو بالخضرة والشجر
(٤) العيون عيون الماء يسمع خريرها في الجبال والاودية

خلّفتُ (لبنانَ) جناتِ النعيم وما نبئت أن طريق الخلد لبنان
حتى انحدرتُ الى (فيحاءَ) وارفةٍ فيها النّدى وبها (طيٌّ) و(شيبان)
نزلتُ فيها بفتيان جحاجحة آباؤهم في شباب الدهر (غسّان)
بيض الأسرّة باقٍ فيهم صِيَدٌ من (عبد شمس) وإن لم تبقَ تيجان

***

يافتيةَ الشام شكراً لا انقضاء له لو أن إحسانكم يجزيه شكران
ما فوقَ راحاتكم يومَ السماح يدٌ ولا كأوطانكم في البشر أوطان
خميلةُ الله وشّتها يداهُ لكم فهل لها قيّمٌ منكم وجنّان[1]
شيدوا لها الملكَ وابنوا ركنَ دولتها فالملك غرسٌ، وتجديدٌ، وبنيان
لو يرجع الدهرُ مفقوداً له خطرٌ لآبَ بالواحد المبكيّ ثكلان
الملكُ أن تعملوا ما اسطعتمُ عملا وأن يبينَ على الاعمال إتقان
الملكُ أن تخرجَ الاموالُ ناشطةً لمطلبٍ فيه إصلاح وعمران
الملكُ تحتَ لسان حولَهُ أدبٌ وتحتَ عقل على جنبيهِ عرفان
الملكُ أن تتلاقوا في هوَى وطن تفرّقت فيه أجناسٌ وأديان

***

نصيحةٌ ملؤها الاخلاصُ صادقةٌ والنصحُ خالصُه دينٌ وإيمان
والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً، فهو تقطيع وأوزان
ونحن في الشرق والفصحى بنو رَحِم ونحن في الجرح والآلام إخوان

شوقي

(١) القيم يستعمل كالبستاني في العراق والجنان في الاندلس

يوم في القاهرة

يصدر من مطبعتنا السلفية في الاسبوع الآتي الجزء الاول من كتاب (البينات) للفاضل الشهير الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو مختار ماكتبه منذ نحو عشرين عاما في الدين والاجتماع والادب والتاريخ . وقد كان لنفثات قلمه البليغ أثرها في تكوين فكرة الاصلاح الاسلامي، فكانت جديرة بأن تجمع في كتاب مستقل تعميما لفائدتها

ومقالة « يوم في القاهرة » هي أحد فصول (البينات) رسم فيها الاستاذ صورة صفحة من تاريخ الحياة الفكرية والاجتماعية في العاصمة المصرية زمن الفاطميين حتى كأن القارىء موجود مع أهل ذلك الدور من أدوار التاريخ العربي . وقد نشرناها فيما يلي لنفاستها ولتكون نموذجا لاسلوب الاستاذ المغربي في (البينات)

كانت مدينة الفسطاط ـ المعروفة في هذه الايام بمصر القديمة ـ أثراً فخماً من آثار الفتح الاسلامي ، وقد استبحر العمران فيها وتبسطت الحضارة الى درجة كادت تزاحم فيها مدينة بغداد العظيمة . ثم لما ضعف شأن أمرائها وشاخت دولتهم طمع فيها ملك المغرب المعز لدين الله الفاطمي وأرسل اليها مملوكه (القائد جوهر) فلم يشأ هذا أن ينزل فيها وانما اختط له ولجنوده ـ حسب أمر سيده ـ مدينة على مقربة من تلك وسميت « القاهرة »

وكانت الأرض التي أنشئت فيها القاهرة رملةً فسيحة الاكناف يسلكها الذاهب من مصر القديمة الى عين شمس ، وما كان يشاهد فيها مجتازها سوى بستان لاحد أمراء مصر يعرف ببستان الكافوري ودير للنصارى يعرف بدير العظام، وفيه بئر سمتها العامة بعد ذلك بئر العظمة ، ومكان يعرف بقُصَير الشوك (بصيغة التصغير) ، ثم لما بُنيت القاهرة أنشيء في موضعه قصر الشوك الذي هو أحد قصور الخلافة الفاطمية

في هذه الرملة أنشأ جوهر مدينة القاهرة ، وكان أول ما اختطه فيها القصور الزاهرة ، والجامع الأزهر .

أما الجامع الأزهر فكلنا نعرفه ، وكان يسمى في كتب التاريخ جامع القاهرة ولعل وصف الازهر جاءه من كونه على مقربة من القصور الزاهرة ،ويرادبالقصور الزاهرة منازل الخلفاء الفاطميين ومساكن حُرمهم وبطانتهم ورجال دولتهم وهذه القصور قسمان :

(١) القصر الكبير الشرقي وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح ، وله عدة أبواب أعظمها باب الذهب ، ويعلو عقد هذا الباب منظرة يشرف منها الخليفة على الناس في أوقات معلومة ، ومن أبوابه باب الديلم وموضعه الآن جامع سيدنا الحسين ، ومن تلك الابواب باب تربة الزعفران ، وهي مقبرة الخلفاء ونسائهم وذراريهم ، وموضعها اليوم خان الخليلي

وبين باب الديلم (جامع الحسين) وتربة الزعفران (خان الخليلي) الخوخ السبع التي يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر في ليالي الوقدات ، فيجلس بمنظرة الجامع ومعه حرمه ، فيشرف منها على الجموع المحتشدة ، ويشاهد الوقيد والزينة

والخوخ جمع خوخة وهي مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليه باب ، فقد كان موضع جامع الحسين باباً للقصر ، وخان الخليلي باباً آخر ، وكان بين البابين منافذ ومسالك سبعة — هي الخوخ — ينفذ الخليفة الى الجامع الازهر من أيها شاء ، وتعدد تلك المنافذ يقصد به اظهار أبهة الملك وفضل عظمة الخلافة ، أو أن الخليفة كان يخشى أن يقعد أحد له بالمرصاد فيغتاله فهو قد اتخذ لنفسه عدة مسالك يعمّي بها على الناس الطريق الذي يسلكه

(٢) أما القصر الغربي فواقع على مقربة من الخليج ، وهو دون القصر الكبير منزلةً وشأنا ، وكان للخليفة فيه منظرة يتحوّل اليها في أيام النيل لاجل النزهة على الخليج

وبين القصرين الشرقي والغربي فضاء منفسح الاطراف يسع عشرة آلاف من العساكر يقال له بين القصرين ، ومن ميادين القصر الغربي الميدان المعروف بالخرنشف ، ولك أن تسميه الخرنفش أيضا

بُنيت القاهرة لأول أمرها موئلا وحصناً للخلافة الفاطمية ، وداراً ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه ورجال دولته وجنوده وقواده ، الى أن دالت الدولة الفاطمية وخلفتها الدولة الايوبية فتحولت الدولة برجالها وأبهتها الى قلعة الجبل وعادت القاهرة مدينة سكنى فهانت بعد عزّها وابتذلت بعد احترامها

وكان استيلاء الفاطميين على مصر في سنة ٣٥٨ من الهجرة ، وانقراض دولتهم منها في سنة ٥٦٧ فلبثوا فيها مائتي سنة تقريبا .

وكان شأنهم في مصر شان سائر الدول التي كانت تقوم في العصور القديمة : طفولية ، فشباب ، فكهولة ، فهرم ، فموت .

وقد تغلب في أُخريات أيام الخلافة الفاطمية القواد والمماليك والعمال — على نحو ماكان يحصل لأختها الخلافة العباسية — ومنهم أمير الجيوش بدر الجمالي وابنه الأفضل وصالح ابن رزّيك واضرابهم .وهذا الاخير بدأ استبداده بشؤون الدولة في زمن خلافة الفائز بأمر الله الذي تولى الخلافة وعمره خمس سنين وغادرها قبل أن يبلغ أَشُدّه .

ففي يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ — في زمن وزارة (الصالح بن رزيك) المذكور — كان الناس في القاهرة يتأهبون لاستقبال وفد جليل أو ركب مقدس يقدم عليهم من نحو بلاد الشام . وكانوا على اختلاف أجناسهم وطوائفهم يظهرون الاسف والحزن ، ويتأوهون من أعماق قلوبهم . وهناك نفر من الزعانف الذين لايبالون كانوا يقفزون ويغنون ، وهم في غفلتهم هائمون . وكان العقلاء ينهونهم ويؤنبونهم ويقولون لهم ان الاجدر بكم أن تبكوا وتندبوا ،

لا أن تغنوا و تصخبوا وكانت علائم الحزن واللوعة بادية على وجوه شيعة الفاطميين وأهل مذهبهم ، أكثر من ظهورها على الطوائف الاخرى التي كان يتألف من مجموعهم سكان القاهرة لذلك العهد كالاتراك والمغاربة والسودانيين والشاميين والعراقيين الذين ينسبون الى الدولة العباسية . ويدعون الى مبايعتها في السر

وكانت زرافات من الناس يمشون في الاسواق وينشدون المراثي والاشعار المحزنة

وكنت ترى بعض التجار من محبي الخير والاحسان يوزعون الصدقات والثياب على الفقراء والمعوزين . وبعضهم كان يفرش في حانوته سفرة من أدم (جلد) ويضع عليها ألوان الطعام والزبادي المفعمة بالاجبان والسلائط والمخللات والالبان الساذجة والصحاف المترعة بعسل النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد . ثم يدعو المارة أيا كان جنسهم الى الأكل ، عن روح سيد الشهداء (الحسين رضى الله عنه) . وهناك حانوت آخر جمع فيه صاحبه الوعاظ والقراء والشعراء . فكانوا يقرأون قصة مصرع الحسين ويندبونه ويعددون فضائله ومناقبه ويلعنون قاتليه وشانقيه

وقد بلغ الحزن ببعض الشيعة أن كانوا يمشون حفاة ملثمين وعلى غير زيهم المعتاد وكنت ترى الغيظ والحنق يقطر من وجوههم

وكانت الشوارع من على الجانبين مرصوفة بالمصاطب والدكك لاسيما الشارع الاعظم المؤدي الى الجامع الحاكمي (جامع الحاكم) وباب الفتوح حيث ينتظر أن يمر الموكب المتقدم . وكنت ترى المتفرجين متراصين على تلك المصاطب والدكك وهم يتنهدون ويتحسرون وآخرون يتخاصمون ويتلاكمون . ومنهم قوم يتجادلون فى أيّ وقت يمكن أن يصل فيه الوفد ؟

وكان بين المتفرجين رجلان أحدهما شاب ولد في القاهرة ونشأ على المذهب الشيعي الاسماعيلي الذي كان مذهباً للفاطميين . وقد درس العلوم وفنون المنطق والحكمة وأسرار الاديان وتاريخها في مدارس الفاطميين . وله غيرة ونعرة على مذهبه الشيعي . وكان يجادل فيه ، ويناضل عنه بقوة . وكانت تبدو على وجهه آيات الذكاء والفطنة . وتدل لهجته في حديثه أنه يحب أن يكون له تأثير على جليسه وفي قومه وبني نحلته .

أما رفيقه فقد كان في سن الشيخوخة وأصله من بلاد العراق وقد وفد على القاهرة من أجل تجارة ، ثم طابت له السكنى فيها . ولم يكن على المذهب الشيعي ولكنه يتظاهر به أحياناً ترويجاً لاشغاله ومصالحه ورغبة في الامتزاج بالمصريين الذين كان معظمهم لذلك العهد شيعياً

وكان العراقي يحبّ البحث والمذاكرة ويُكثر من المطالعة ويميل الى معاشرة العلماء والفضلاء . ولذلك كان يرتاح الى حديث الشاب ويدعوه الى حانوته من يوم الى آخر . وكلما كان الشاب يتكلم في موضوع أو يحقق مسئلة كان ذلك الشيخ يصغي اليه بانتباه واعجاب . فكان الشاب يزداد رغبة في التردّد عليه والتبسّط في الحديث بين يديه . وكان موعد وصول الموكب قُبيل العصر لكن العصر أذّن . وهتف المؤذنون على منار جامع الحاكم (بحّي على خير العمل) . والموكب لم يصل بعدُ . فقال الشاب الفاطمي لصديقه الشيخ العراقي : هيّا بنا نتفسح خارج باب الفتوح ونستقبل الموكب ثمّة . فأجابه الى سؤله وأخذا يخترقان الجموع تارةً ويتنحّيان عن طريق الجماعات المتدافعة في السير تارة أخرى . حتى وصلا الى باب الفتوح فجاوزاه الى الرحبة خارجه . وكان فيها (منظرة) من تلك المناظر التي كان يتخذها الخلفاء للنزهة والاشراف منها على الجمهور . وكان ثمّة بستانان كبيران ينتهيان الى (منية مطر) وقد عرفت بعد

ذلك بالمطرية .

ثم أخذا في التحوال هنا وهناك حتى وصلا الى الباب الآخر المسمى بباب النصر . وكان في رحبته الخارجية مُصَلى العيد ، فجعلا يتأملان في بناء الباب واحكام صنعه ثم قال الشيخ انى أرى في الشرفة العليا نقوشاً وخطوطاً لم أفقه لها معنى . فقال له الشاب الفاطمي إنها كتابة كوفيّـة ومعناها (لااله الا الله محمد رسول الله . عليّ وليّ الله . صلوات الله عليهما) ثم قصّ الشاب على صاحبه خبر ذلك الباب وباب الفتوح وانهما من آثار أمير الجيوش (بدر الجمالى) الذي قلده الخليفة المستنصر وزارتى السيف والقلم . ولم يقبل أمير الجيوش الوزارة مالم يمكنه الخليفة من سحق أمراء مملكته . فصرّفه فيهم . فجمعهم الوزير في داره من أجل دعوة صنعها لهم . ثم فعل بهم مافعله زميله (محمد على باشا) بالمماليك .

وقد اصلح أمير الجيوش مصر بعد ان قتل الكثير من سكانها حتى قيل انه قتل من أهل البحيرة وحدها عشرين ألف نفس . وهو أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر . ومن آثاره الباقية بمصر عدا البابين المذكورين باب زويلة (وهو الذي يقال له اليوم باب المتولي) وقد حدث بعضهم أنه « طاف البلاد ورأى مدن المشرق فلم يشاهد في مدينة من المدائن أعظم من باب زويلة . ولا رأى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه . ومن تأمل الاسطر التى قد كتبت على أعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير . هَدَم أعلاهما الملك المؤيد لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين » .

وذكر بعضهم « ان فردتيه يدوران في سكرجتين من زجاج »

وهذا الشارع الموصل الى باب الفتوح — ويسمى اليوم « مرجوش » —

منسوب الى هذا الأمير أيضاً ، ولفظه محرف عن (أمير الجيوش)

ثم تنفس الشاب الصعداء . وقال ان أول عناية بالرأس الشريف رأس سيدنا الحسين عليه السلام إنما كانت من هذا الأمير الجليل . فانه لما بلغه قتل ولده شعبان في مدينة عسقلان إحدى مدن ساحل بحر الروم في سنة ٤٦٠ نهض اليها . وبلغه ان بها مكانا دارساً فيه رأس الحسين ، فهتم بالامر وشرع في بناء مشهد فخم في عسقلان على نية أن يودعه الرأس الشريف . ولكن عهدي برأس الحسين عليه السلام انه بقي في دمشق فما الذي جاء به الى عسقلان ؟ فأجابه الشيخ العراقي : يغلب على ظني أن العباسيين هم الذين أرسلوه الى عسقلان . فقد ذكر رواة التاريخ انه بعد وقعة كربلاء المشؤومة وارسال رأس الحسين وأهل بيته الى دمشق « مكث الرأس مصلوباً فيها ثلاثة أيام . ثم أنزل في خزائن السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك فبعث اليه فجيء به وقد محل (تغير) وبقي عظما أبيض فجعله في سفط وطيبه . وجعل عليه ثوباً . ودفنه في مقابر المسلمين . فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح أن وجه الي برأس الحسين ابن علي . فكتب اليه ان سليمان أخذه وجعله في سفط . وصلى عليه ودفنه . فلما دخلت المسودة (وهم بنو العباس) سألوا عن موضع الرأس الكريم فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به » ثم قال ويخطر لي ان العباسيين أرادوا ان يضعوا رأس الحسين بحيث يخفى مكانه عن شيعة الامويين فلا ينالوه بأذى — وعن شيعة العلويين فلا يتخذوه ذريعة لتحريك الفتن واثارة القلاقل . وهييج الاحقاد والضغائن . فاختاروا له مدينة عسقلان . ثم طلب الشيخ من الفتى الفاطمي أن يتمم له حديثه عن المشهد الذي كان شرع أمير الجيوش في بنائه ليودعه الرأس — فقال له انه لم يكمله هو وانما أكمله ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل الذي تولى الوزارة بعده . فان

الافضل كان خرج في سنة ٤٩١ الى بيت المقدس وبها بعض أمراء الاتراك فاستخلصها منهم . وعاد منها فدخل عسقلان . ورأى ما كان شرع فيه والده فاجتهد في إكماله . ثم أخرج الرأس المبارك من مكانه وعطره وحمله في سفط على صدره . وسعى به ماشياً الى أن أحله في مقره من المشهد العسقلاني ، وهاهم اليوم يحملونه من ذلك المشهد الى القاهرة . وقد جاءت الإخبار من عسقلان الى بعض التجار هنا بأنهم حينما أخرجوا الرأس من مشهده وجدوا دمه لم يجف . وله ريح كريح المسك . فتبسم الشيخ العراقي لقوله وكان داهية وقال كيف يلتحم زعمك هذا مع مارويته لك آنفاً عن التاريخ — من أن الرأس بقي في دمشق في خزائن السلاح الى زمن سليمان بن عبد الملك . ولما أحضره في مجلسه وجده عظماً أبيض. فمن أين يقطر الدم ؟ وكيف يكتبون اليكم من عسقلان بذلك ؟

فحمي الفاطمي واحتملته الحماسة الدينية وقال للعراقي :

— كيف صدقت مؤرخيك وكذبت مؤرخينا ؟

فأجابه : ان خبرك ليس تاريخاً وانما هو مما يُراسل به بعض العامة بعضاً . ألم تقل ان الخبر أرسل من عسقلان الى بعض التجار هنا . وأنا من التجار وأعرف ما هو مبلغ عنايتهم بتمحيص الاخبار .

وبعد فاني لا أحبّ لك يابني أن يخنق عمى التقليد أو الغلو في الاعتقاد نور عقلك ويشوه جمال الحكمة التي أخذت تتجلى في نفسك . فتحسب أن حياة الشهداء حياة حيوانية لها خصائصها وتكاليفها . وانما هي حياة روحانية استأثر الله بعلمها وأشار تعالى الى هذا الاستئثار في آية الشهداء نفسها حيث قال « بل أحياء عند ربهم » فان كلمة « عند » تشير بلطف الى ما ذكرت لك . فسكت الفاطمي عن اقتناع ، وكان منصفا ، والانصاف شعار العقلاء ، وحلية الفضلاء .

ثم سأل الفتى الشيخ عن جثة الحسين رضي الله عنه ومصير أمرها بعد استقرار

الرأس في دمشق ثم في عسقلان . فقال له : ان الجثة بقيت بعد أخذ الرأس الى دمشق ، مطروحة في الفلاة حتى دفنها أهل العاصرية — وهم قوم من أسد — في أرض الطف . وبقيت بحيث تعرف وتزار الى زمن المتوكل العباسي ، وكان يكره العلويين ، فأمر أن تسوّى أرض كربلاء وتمهد وأن تزرع حنطة وشعيراً . ففعلوا وبقيت الارض هكذا مدة أربع عشرة سنة . حتى قتل المتوكل وخلفه ابنه المنتصر فأذن بزيارة قبور شهداء كربلاء رضي الله عنهم . ثم ان الشيعة غلّبوا الحدس والتخمين في تعيين مكان الجثة ، وأقاموا فيه قبراً ، إن لم يكن على الجثة نفسها فعلى مقربة منها . وهم الى الآن يزورون ذلك المشهد في كربلاء ويحجون اليه . فاغرورقت عينا الفاطمي بالدموع وقال حقا ان الامة لم تنصف آل البيت ولم ترع لهم ذمة . وقد اذكرني مارويته عن تاريخ مشهد الحسين بتاريخ مشهد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام . فان ابنه الحسن دفنه في أرض النَّجَف ليلا وأخفى قبره حسب وصيته له . وكان في تلك الارض بناآن يعرفان بالغريين « ويقال انهما قبرا مالك وعقيل نديمي جذيمة الابرش ، وسميا غريين لأن النعمان بن المنذر كان يُغرّيهما (أي يلصق بهما ويطليهما) بدم من يقتله إذا خرج في يوم بؤسه » أو أنهما سميا بذلك لحسنهما : فان الغري كغني الحسن . وكل بناء جيد حسن يصح لك أن تسميه غرياً . ثم قال :

وبقي مرقد عليّ عليه السلام مجهولا الى زمن هارون الرشيد فاتفق ان ذهب الرشيد الى أرض النجف لاجل الصيد فشاهد ثمه أبنية متهدّمة واطلالا دارسة فسأل الفلاحين الذين يعملون في الارض عن تلك الاطلال . فقالوا له انها بقايا الغريّين وانقاضهما . ونسمع عن آبائنا والاشياخ من قومنا أن قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على مقربة من الغريين وتحت طيات هذه الاطلال . فاهتم الرشيد بالامر وجعل يحقق الخبر بنفسه من سكان تلك الناحية حتى تلجت نفسه

أخيراً الى بقعة معينة حسب أنها تضم تجاليد أمير المؤمنين . فأمر حينئذ أن يشيد ثمة قبر باسمه عليه السلام . فشيد وبقي يزار ويتبرك به الى زمن معز الدولة من آل بويه . فبنى معز الدولة على ذلك القبر قبة فخمة . وأخذت الدور والمنازل تبنى وتُشيد من حواليه رويداً رويداً حتى أصبحت مدينة مقدسة هي مدينة (النجف) الشهيرة .

ثم لم يرُعْ الشيخ العراقيّ وفتاه الفاطمي الا طلائع الموكب تتبدّى لهم من بعد . وأصوات الدعاء والندب والنحيب تتعالى من كل جانب . وكان خدم قصر الخليفة يمشون في ثنيّات الموكب وعليهم دلائل الاهتمام وأمارات القلق والاضطراب . وكانوا ينظرون شزراً الى مماليك الوزير الصالح بن رزّيك الذي كان هو والخليفة اذ ذاك ينتظران الموكب في المنظرة خارج باب الفتوح . فكان الفتى الفاطمي يتفرس في وجوه أولئك المماليك والخدم كلما مر من أمامه أحد منهم . فسأله صاحبه عن شأنهم وما للخدم وللمماليك ؟ وكان عزيزاً على مثل ذلك الغريب — ممن ليس من صميم الشيعة الفاطمية — أن يعرف مثل تلك الاسرار . فقال له الفتى : ان فى الامر مشكلا عظيما . قال وماهو ؟ قال ان الوزير ابن رزيك سعى في نقل الرأس الشريف من مشهده في عسقلان الى القاهرة . وبنى جامعه خارج باب زويلة (بوابة المتولي) وأحبَّ أن يدفن الرأس فيه ليكون له بذلك الشرف والفخار ، على كر الدهور والاعصار . قال الشيخ ومن الذي يعارضه في ذلك والخليفة والدولة في قبضة يده ؟ قال الفتى نعم . غيرأن خدم قصر الخلافة تعصّبوا وتألّبوا وأبوا الا أن يدفنوا الرأس عندهم فى قبة الديلم حيث أحد أبواب القصر الشرقي الكبير . فبنوا له مشهداً ثمةْ ونقلوا اليه الرخام . ليكون الفخر لهم — أو لأجل أن يظهروا للملأ ان قصر الخلافة لم تزل فيه بقية من الارادة والسلطة والاختيار . فقال الشيخ وكيف ترى ، ولمن تكون الغلبة ؟ قال

الفتى لا أراها الا لأولئك الخدم ومن التفّ حولهم من العامة . لان المسئلة مهما كانت عظيمة لا تتعدى أنها دينية . وهؤلاء السياسيّون ــ ومنهم ابن رزّيك ــ انما يهمهم القبض على أزمة شئون المملكة ، وان تخلص السلطة لهم . فهو يدع للعامة والخدم والخصيان جميع الأضرحة والاولياء ، وكل ماله تعلق بالمملكة الباطنية إذا كانوا يدعون له الاستبداد بالمملكة الظاهرية . على أنه اذا لم يتيسر للوزير الظفر بهذه المنقبة ، منقبة دفن الرأس الشريف فى جامعه ، فانه فاز بمنقبة اسمى منها أعني أنه كان السبب في نقل الرأس من مشهد عسقلان الى القاهرة فقد مضى على بناء مشهد عسقلان ووضع الرأس فيه زهاء خمسين سنة . وهي المدة ما بين الافضل بن أمير الجيوش ووزيرنا الحالي الصالح بن رزيك . ولما رأى هذا استفحال أمر الصليبيين ، وتمكنهم من فلسطين ومدن الساحل ، أشفق على مشهد الحسين في عسقلان من أذاهم وعبث يدهم ، فأرسل وفداً من العلماء والنقباء والقضاة والشهود الى عسقلان وأمرهم أن يتحققوا من مكان المشهد واستقرار الرأس الشريف فيه ، ثم ينقلوه باحترام الى القاهرة . وقد فعلوا ما أمرهم به . وهذا هو اليوم المشهود الذي يصلون فيه . انظر انظر هذا هو الموكب

وكان في مقدمة الموكب الامير سيف المملكة تميم والي عسقلان . وكان يمشي بين يدي الرأس الكريم أيضا مشارف عسقلان القاضي المؤتمن بن مسكين ثم « قدم الاستاذ مكنون بالرأس وأنزله في بستان (الكافوري) ، ثم حمل فى السرداب الى قصر الزمرد ، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة (حيث مكانه فى المشهد الحسيني اليوم) فكان كل من يدخل من الخدمة يقبل الارض أمام القبر ، وكانوا (أي الفاطميون وشيعتهم) ينحرون فى يوم عاشوراء عند القبر الإبل والبقر والغنم ، ويكثرون النوح والبكاء ، ويسبون من قتل الحسين ، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم »

وثيقة تاريخية

عمّ تطورت مدارس الغرب الحاضرة ؟

من محاضرة للمربي العربي الكبير الاستاذ ساطع بك الحصري في تاريخ التربية ألقاها على طلاب دار المعلمين العليا بمدينة بغداد . قال ما معناه :

« يذهب الباحثون عن تطور جامعات الغرب الى مذاهب ثلاثة : فريق يرى ان الباعث على استقرارها على أوضاعها القويمة الحديثة انما هو تطور الكثلكة الذي نشأ عنه تطور التربية ، فان انتشار مذهب الاصلاح بدفاع اللوثريين هدم قواعد العقائد البابويه وجعل للانسان شخصية مستقلة وارادة حرة . وذهب فريق الى ان السبب في تطورها هو النشور ، أي بعث المدنية الرومانية بعد موتها . والفريق الثالث اعتقد ان تلك الجامعات الغربية انما نشأت بتأثير الحضارة العربية ، فقد كانت الجامعات أو الجوامع العربية الاندلسية مستراد شباب الغرب الالباء من أمم الفرنجة كافة ، يردون فيها موارد علوم العرب وآدابهم الرفيعة ثم يرجعون الى أهليهم باذلين جهادهم لنشرها . وبالثقافة العربية ارتقى بعضهم الى السدة البابويه . وأفاض الاستاذ المحاضر في تأييد المذهب الثالث . ومن الادلة التي أوردها وثيقة تاريخية خطيرة كان استشهد بها الاستاذ بول ملون في كتابه « التعليم العالي في اسبانيا » قائلا ما نصه : ان المسيحيين بتأثير حضارة تبهر بلالائها لم يعتموا ان استعربوا ، على الرغم مما يمنع الذوبان والاستعراب بنظام يجمعهم جمع أمة واحدة حول مطارنتهم واقماسهم ، ذلك بانهم نقلوا ـ مجذوبين مندهشين ـ الى لغة سادتهم اسفارهم المقدسة وقوانين كنيستهم ، فاستحقوا بذلك لائمة المستعرب الفارو القرطبي في كتابه : Indicuto Luminoso اذ يقول :

« يقرأ كثير من بني وطني القصائد والقصص العربية ، ويتدارسون آثار علماء الكلام والفلاسفة المسلمين ، لا ليردّوا عليهم ولكن ليتعلموا البلاغة وسحر البيان ؛ ان جميع الشبان ـ واحرباه ! ـ لا يعرفون شيئاً سوى لسان العرب وأدب العرب ، فهم يتلون مصنفاتهم بشغف لايدرسون به شيئاً سواها ولافتتانهم بها لايترددون في السخاء على انشاء مكتبات كبرى ناطقة بصوت جهوري بان الثقافة العربية هي الجديرة بالاعجاب وحدها . »

ذلك هو مبلغ العرب من السؤدد ، وحضارتهم من الاستبحار ، وسلطانهم القومي من النفوذ . فخلف من بعدهم خلف اضاعوا شرف الاجداد ، وانتهكوا حرمات البلاد ، فحقت عليهم كلمة الاستعباد

العرب هذا اليوم في حالة أرى لها كل الورى ساخره
رضوا من الدنيا بمرذولها وغيرهم قد فاز بالفاخره
قالوا لنا الأخرى أعدت لنا والله لا دنيا ولا آخره

« الكرخ » أبو قبيس

﴿ أئمة الخط العربي ﴾

كان أهل مصر يمشقون على طريقة أبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البوّاب صاحب الخط المنسوب ، توفي ببغداد سنة ٤٢٣ ودفن الى جانب قبر الامام أحمد رضي الله عنه

وأهل الشام يمشقون على طريقة الشرف ابن الأمير ، ولم أقف على تاريخ وفاته

وأهل بغداد يمشقون على نهج ياقوت المستعصمي المتوفى سنة ٦٦٧ ، وهذا النهج هو الذي انتقل الى الترك فى الأنضول والقسطنطينية

أبو العلاء المعرى والاندلس

يشتغل العالم المحقق الاستاذ عبد العزيز الراجكوتي - الاستاذ بالكلية الشرقية في لاهور (الهند) - بوضع كتاب عنوانه « أبو العلاء وما اليه » ومن الابحاث التي استقصاها فيه ذكر علماء الاندلس الذين كانت لهم عناية بالمعري وآثاره ، والاشارة الى ما كان يعرفه المعري أيضا عن الاندلس وأهلها . وقد اتحف الاستاذ قراء الزهراء بهذا المقال من كتابه :

قال أبو سعيد الاندلسي[1] في أبي بكر المخزومي :

يا ثانيا للمعرى في حسن نظم ونثر

وروى ابن الشيخ البلوى [2] أن المعرّيّ أنفذ الى أبي محمد بن حزم الظاهريّ بيتيه الشهيرين « يد بخمس مئي . . . » الخ . فاجابه ابن حزم :

صيانة النفس اغلاها وأرخصها خيانة المال فافهم حكمة الباري

فان ثبت هذا فانه يدل على ما ببلاد الاسلام إذ ذاك من قرب الصلات وتدانى الفئات . وليس ببدع فانا نرى لابن حزم [3] جوابا عن قصيدة نقفور النصرانى في المائة الرابعة . وبحسبك أن الغزالي وصله كتاب لابن حزم في الاسماء الحسنى فأحال عليه وهما كانهما معاصران . ولعل هذا الارسال بعد رجوع المعرّى عن بغداد فان ابن حزم ولد سنة ٣٨٤ هـ وأول سماعه للعلم سنة ٣٩٩ هـ وتوفى سنة ٤٥٦ . وأظن أن الارسال على ايدى بعض تلامذته من أهل الجزيرة - وهم فيما أعلم أبو الخطاب العلاء بن حزم الاندلسي [4] المتوفى سنة ٤٥٤ ، وابو تمام غالب بن عيسى الانصارى [5] لقيه نحو سنة ٤٢١ هـ كما يظهر من الابيات التي رواها عنه وهى عند الذهبي ، وابو عبد الله

(١) النفح ليدن ١ : ١١٧ - (٢) الف با ٢ : ٣٨٢ - (٣) طبقات الشافعية ٢ : ١٨٤ في
(٤) ترجم له ابن بشكوال في الصلة عدد ٩٥٦ والضبي ١٢٤١ والمقري مصر ٢ : ١٢ -
(٥) ترجم له ابن الابار في تكملته عدد ١٩٥٧ -

ابن جابر القرطبي [١] - أو على يدي بعض من دخلها من غير أهلها ؛ ومنهم أبو الفضل الدارمي الوزير ، وأبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيرواني روى عن الاول أبو محمد بن السيد البطليوسي ديوان السقط بلا واسطة وعن الآخر بواسطة أخيه أبي الحسن بن السيد

ثم إن القاضي أبا بكر بن العربي رجع الى الاندلس سنة ٤٩٣ هـ بعد ماقرأ على أبي زكرياء التبريزي حامل لواء الادب ببغداد إذ ذاك جملة من كتب أبي العلاء وهي على ماذكره تلميذه أبو بكر بن الخير في فهرسته [٢] السقط وضوءه ورسائله ومنها الاغريضية وشرحها له والفلاحية وشرحها له والصاهل والشاحج ولسانه له وخطبة الفصيح وسائر شعره في اللزوم . وقال في موضع آخر [٣] : تواليف أبي العلاء المعري وجميع ماله من منثور ومنظوم روايتي لذلك كله عن ابي بكر بن العربي عن أبي زكرياء التبريزي عنه .

ومن المتأخرين [٤] أبو محمد الانصاري صاحب ابن الابار المتوفى سنة ٦٤٥ هـ سمع شعر المعري على أبي اسحق بن أبي اليسر الكاتب عن أبيه عن جده عن أبي العلاء . ونسج أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي خمسين مقامة على منواله في اللزوم . قال ابن بشكوال في صلته [٥] هو صاحبنا ومقاماته أخذت عنه واستحسنت وتوفي بقرطبة سنة ٥٣٨ هـ

وذكر ابن الابار في التكملة [٦] أن لابن غلندة السرقسطي الاموي المتوفى سنة ٥٨١ هـ أيضاً لزوميات . ولابن الشيخ البلوي كثير في اللزوم [٧]

---

(١) قال ابن الابار في التكملة عدد ١٤٦٨ روى عن المعري شعره الخ (٢) طبع اسبانياس ٤١٢ - (٣) ص ٤٥٠ (٤) التكملة عدد ١٤٥٨ (٥) عدد ١١٧٥ - وذكر هذه المقامات ابن الابار في تكملته طبع الأندلس عدد ١٧٢٢ و ٢٦٦ و ١٢٤ مع ترجمة طويلة وطبع الجزائر عدد ٣١٢ والمعاهد ٢ : ١٠٦ - ومنها نسخة باسكوريال (٦) عدد ١٥١٦

(٧) راجع الف با ١ : ٤٠ و ٢ : ١٥٨ و ١٦٣ و ٢٧٣ و ٣٣٥ و ٣٩٣ و ٤١٢ و ٤٦٨ و ٤٨٠ و ٥١٤ الى غيرها .

وصنع أبو القاسم محمد بن عبد الغفور[1] للوزير الفقيه أبي أيوب ابن أمية رسالة سماها بالساجعة والغربيب حذا بها حذو أبي العلاء في الصاهل والشاحج له وبعث بها اليه فاقامت عنده أياما ثم استدعاها منه فصرفها اليه وكتب معها كتابا ظريفامنه «فأسعد أعزك الله بكرتها وسلها من افانين معرتها»

وللحافظ أبي الربيع الكلاعى[2] صاحب الاكتفا في مغازي الرسول (ص) والثلثة الخلفا كتاب سماه جهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح وآخر سماه مفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل. وأصل ملقى السبيل محفوظ الى الآن بمكتبة اسكوريال كبعض رسائل أخرى له — وفيها أيضاً نسخة من معارضة له أخرى لابي عبد الله بن أبي الخصال وزير يوسف بن تاشفين

وكل هذا مما يدل على ماتمكن فى نفوس أهل الجزيرة - من حب أبي العلاء وآثاره الخطيرة. فاقتفوا قفوه، واحتذوا حذوه. وجعلوه لانفسهم منارا يهتدى به، واماما يقتدى به.

ولم يكن أبو العلاء على بعد المزار وتنائى الديار غافلا عن رجالها وآثارها واحوالها واخبارها. فقد روى لنا في غفرانه[3] خبرا في اغراق ابن هانىء[4] وغلوه في المديح. ثم أتبعه بأن الشاعر المعروف بابن القاضى مدح [المنصور المتملك المتوفى سنة ٣٩٤ هـ] ابن ابي عامر صاحب الاندلس بقصيدة اولها :

ماشئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

فانكر عليه ابن ابي عامر وامر بجلده ونفيه اه

وهذا يدل على ان الرجل كان خبيرا باخبار المغرب والاندلس. وانه كان يقرع اسماعه منها ماتقر به الاعين وتلذ الانفس.

لاهور (الهند) عبد العزيز الراجكوتي

(١) تكملة الابار عدد ٦٥٢ والنفح ليدن ٢ : ٣٧٢ والمطمح مصر ٣٥ — (٢) النفح مصر ٢ : ٥٨٧ وليدن ٧٦٩ . (٣) ص ١٥٤ . (٤) وله رأي في شعره النظره في الوفيات في ترجمة ابن هانىء

الاسلام والحضارة العصرية

نقلنا في هذا الجزء من الزهراء نموذجا من كتاب (البينات) للاستاذ المغربي الذي يصدر قريبا من مطبعتنا . وفي أوله مقدمة جليلة بقلم أمير البيان العربي في هذا العصر الامير شكيب أرسلان تكلم فيها عن الاصلاح الاسلامي ، فرأينا أن نحلي جيد الزهراء بهذه الصفحات منها

الاسلام مرن سمح قابل لكل نوع من أنواع الحضارة العصرية الا الفسق والفجور واللعب والسكر وسائر الرذائل التى يعترف المتمدينون الاوربيون بأنهم وان توسعوا فيها ببلادهم فهي رذائل وقاذورات ، وليست من المصالح فضلا عن أن تكون من الضرورات .

أما قول اللورد (كرومر) بأنه لا يمكن اصلاح الاسلام ، وان الاسلام اذا أصلح فلا يعود هو الاسلام بل ديناً آخر ، فهو قول سياسي خبيث خبير متعمق في أسرار الشرق ، عارف بما يصيب بلاده من أثر نهوض الاسلام الذي لايحول دون نهضته الا مرض التقليد . ولم يكن اللورد كرومر وحده من أصحاب هذا الزعم بل قرأنا لكثير من أفاعي الاستعمار سواء من الفرنسيس أو من الهولانديين أو من غيرهم كلاما بهذا المعنى أخفى بعضهم فيه الغرض من ذهابه الى عدم قابلية الاسلام للاصلاح ، وأوهم انه رأي اجتهادي من عنده . وصرح بعضهم فيه بمراده جراهية بدون تورية ولا مواراة . وهو ان نقل الاسلام عن الجمود الذي ابتلي به هو الخطر الأعظم على الاستعمار الاوربي . وقد نقلنا في حواشينا على كتاب (ستودارد) الامريكي ما نصح به ذلك المستشرق الهولاندي [1] الذي أقام بمكة سنين متظاهراً بالاسلام ـ قومَه من العدول عن فكرة القوانين الشرعية ، وهي انتداب لجنة من علماء الحقوق لتأليف مجموعة قوانين أشبه بمجلة الاحكام العدلية

---

(١) هو المستشرق (كرستيان سنوك هرغرونجه Christian Snouck Hurgronje)
انظر حاضر العالم الاسلامي (١ : ٦٤ـ٦٨)

في تركيا يكون مأخذها من الشرع الاسلامي : ان لم يوجد المطلوب في هــذا المذهب أخذ من ذلك المذهب ، وان لم يرد فيه نص صريح من الكتاب والسنة رجع فيـه الى قول لاحد المجتهدين أو رجع الى القواعد الـكلية ؛ من قبيل إذا ضاق الأمر اتسع ، والضرورات تبيح المحظورات ، ولا ينكر تبـدل الاحكام بتبدُّل الأزمان ، وما ماثل ذلك . قال المستشرق الهولاندي المذكور : إن الذي يجب على الدول الاستعمارية ليس أن تسهل على المسلمين تطبيق دينهم على الاوضاع العصرية وتلائم بين شرعهم وبين المدنية الاوربية ، لأن هذا الاسلوب يزيدهم استمساكا بشريعتهم ، ويعليها في نظرهم على حين يلزم لنا اسقاطها . وانمـا الذي يجب على الحكومات الاوربيـة التي استولت على بلاد الاسلام أن تجتهد في اظهار التناقض بين الاسلام والمدنية العصرية واقناع ناشئة المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان ، فلا بدّ من رفع أحدهما . ولما كانت المدنية الحاضرة هي نظام كل شيء اليوم ولا مندوحة عنهـا لمن يريد أن يعيش ، كان من البديهي أن الذي سيرتفع من النقيضين هو الاسلام . هـذا المستشرق الهولاندي واللورد كرومر وغيرهما من دُهاة الاستعمار يريدون اظهار عجز الاسلام عن امتصاص الاحكام العصرية ، وإثبات كونه نظاماً قديما قد بلي واستشنّ . ولم يعد صالحا للحياة . على أمل أن الفوج الجديد من المسلمين الذين لا غنى لهم عن الحيـاة ينبذون الاسلام ظهرياً . وبنبذه تكون أوربا قد تخلصت من أعظم خطر يحيق بها ، وهو الحكم الشرعي الذي لا يجيز للمسلم أن يخضع لامير لم يكن على دينه . ولو لا هذه المادة وحدها لـكان الأوربيون يقيمون المسلمين الذين في مستعمراتهم على الشريعة المحمدية عن طيبة نفس ، ويلتمسون بذلك الزلفى اليهم . ولـكنهم يوجسون دائما خيفة ذلك الحـكم الهائل الذي يوجب على المسلم أن لا يطيع غير المسلم الا ريثما يتيسر له نقض طاعته . وما هنالك من أحكام الجهاد ، ومن وجوب تضامن المسلم مع أخيه ، مما جعل الاسلام بناء واحداً : لا يتخلخل منه مدماك

واحد بل حجرٌ واحد الا تمشى الخلل في جميعه . وهذا ما يسمونه بالجامعة الاسلامية التي لا يوجد على طباع الاوربيين المستعمرين اثقل منها .

فان لم يكن من علة لهذا الاصلاح الديني أو هذه الحركة الدينية بحسب تعبير جمال الدين سوى إظهار قوة الشرع الاسلامى على إدارة المدنية الحاضرة واتساعه لكل ضرْب من ضروب الرقيّ الصوري والمعنوي بدون أن يقلق وجدان المؤمن أوتتخلخل عقيدته وبحيث تحبط آمال الاستماريين الذين يحتالون لوضع الاسلام فى موقف المعاند للمدنية الذي يأبى الا أن يسود جميعه أو يزول جميعه — لكفى سبباً لنهوض ضيّابه المصلحين في هذا العصر لاظهار مرونة الاسلام ونفي جموده ، واثبات انه دين العقل ، يذهب مع العقل كيف سار . وبذلك قيل انه خاتمة الشرائع ، لانه ليس من أداة للفهم وراء العقل ، ولا من واسطة للتمييز سواه .

على أنه لا ينبغي أن يؤخذ من ذلك أننا نتلقى كل مذهب من مذاهب المدنية الاوربية من ضروريات الحياة . ونقول ما قاله (احمد اغايف) الكاتب التركي الروسي وهو : ان المدنية الاوربية كلٌّ لا ينفصل بعضه عن بعض ، أو جوهر فرد لا يجوز أن يتجزأ ، فلا بد من أن نقبلها بأصبارها . ومعناه أن نلبسها على علاتها ، ونقلب سيئاتها حسنات لمجرد صدورها عن قوم نراهم أرقى منا في الكيمياء والطبيعيات ونتهم صدق حسنا فى استهجان ماهو مستهجن من مناحي تلك المدنية قائلين إننا قوم لا يوثق بسيل تلعتنا . ولا قبل لنا بشيء حتى التمييز بين الغثّ والسمين ! كلاّ ليس هذا هو الذي نريد أن نفسح له صدر الشريعة الاسلامية . وأن ندعوها لهضمه . بل مهما كان من سماحة هذه الشريعة في تلقي العلوم والفنون والاخذ بأسباب القوة والمجد فيجب أن يكون أمرها بالعكس فيما يمسّ الفضائل والآداب وعفّة الانفس وطهارة الاخلاق

لا ينبغي لنا أن نتهوّر فيما تهوَّر فيه بعض شبّان الاتراك الذين زعموا أن شرب الخمور ولعب القمار هما من أسباب الرقيّ وشروط المدنية فلا غنى عنهما لامة (١) فلم يمض على ذلك سنة واحدة حتى رأوا أميركا ـ أحدث أمة متمدينة ـ تمنع استعمال المسكرات منعاً لا يقل عما هو في الشرع الاسلامي ، وأمماً أخرى في أوروبا كادت تمنعه لو لا بعض الاسباب الاقتصادية . فظهر لهم فساد رأيهم من كون كل ما ينحوه الاوربي صوابا . ولا ينبغي أن نعتقد من التمدن في شيء اباحة الزّفن للنساء مع الرجال ، وترك البنات يتمتعن بما شئن من اللذات الشهوانية بدون مانع ولا وازع . زعما بأنه لما كانت أوربة قد فعلت ذلك فلا بد أن يكون هو الحكمة بعينها ، وأصالة الرأي بفصّها . ولا أن نقول ما قاله أحد كتاب الاتراك التورانيين : من أنه لا رقي لهيئتنا الاجتماعية الا متى صارت الفتاة المسلمة تخاصر من شاءت من الشبان تركياً كان أو أوربياً ومسلماً كان أو مسيحياً أويهودياً . أو ما ذهب اليه عبد الله جودت المتفلسف التركي : من أنه لا بدّ لتجديد شباب الامة التركية من جلب شبان من الالمان والطليان وتزويجهم بالتركيات بدون نظر الى اختلاف الدين . ومثله ما نقله الاستاذ السيد مصطفى صادق الرافعي في كتابه البديع « السحاب الاحمر » عن بعض شبان المصريين. كلا لم يبق هنا محل للكلام على مرونة الشرع الاسلامي الذي مهما كان مرنا فهو أشدُّ الأنظمة ـ وينبغي أن يبقى أشدّ الانظمة ـ على الفجور والبغاء ومنع التهتك والاستهتار وتقييد الحرية بقيود الآداب ، إذ ليس فيما يسمّيه بعض المتفرنجين من الشرقيين مدنية وضرورة اجتماعية شيء من التمدّن ولا من الضرورة ، وانما هي مدنية شهوات ، ومعاقرة أبدان ، يدعو اليها باسم المدنية العصرية بغيانُ الاباحة واعداء النظام

شكيب ارسلان

---

(١) قرأت ذلك صريحا في مجلة « اجتماعيات عموميه مجموعه سي »

ديوان خير الدين الزركلي

كلمة فيه ، ولمحة من تاريخ حياة صاحبه

متى كتب تاريخ النهضة السورية ، وذكر الرجال العاملون على احيائها واستنهاض ذلك الشعب الذي عاش عدة قرون راسفاً تحت أنيار فوضى الاحكام التركية ، عدّ خير الدين الزركلي بين أولئك الافذاذ الذين جاهدوا في هذا السبيل

يبتدىء تاريخ النهضة السورية عام ١٩٠٨ أي في السنة التى أعلن فيها الدستور العثماني لان رجالها الذين جاهدوا قبل اعلان الدستور لم تكن مجهوداتهم الفكرية قد وصلت الى افكار العامة من ابناء البلاد فضلا عن الدهماء لسببين : الأول نزوح اكثرهم عن البلاد وجلا من مظالم الحكام ، والثاني أن أفكارهم الحرة لم تتسرب الا الى افراد من خاصة الامة كانوا عرضة للهلاك والرزايا فيما لو اذاعوا تلك الافكار بين الشعب

كان عام ١٩٠٨ ولم يكن في دمشق غير صحيفة الولاية الرسمية ، وجريدة (الشام) ، وما كان السواد الاعظم من الشعب ليدرك حينذاك ما هي الصحافة ، بل ان فوائد الدستور لم تكن معروفة عند معظم الاهالى . في ذلك العام المضطرب ، ومن وسط ذلك الشعب المستفهم المتسائل عن سبب سروره واعياده وأهازيجه ، عرفت الزركلى وكان يافعاً اذ ذاك لم يطرّ شاربه بعد ولم يكن هو نفسه يعرف انه سيكون له في حديقة الادب زهرة عطرة الرائحة بهجة المنظر ، وفي ساحات القتال سيف وبندقية وحصان ! ! !

ظهرت في دمشق جريدة (العصر الجديد) لصاحبها المحامي ناصيف بك ابي زيد ، وكان يحررها حينذاك الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . ثم تلتها

بالظهور جريدة (المقتبس) لصاحبها ومحررها الاستاذ محمد كرد علي . من هاتين الصحيفتين ، ومما كان يرد على دمشق من صحف بيروت ، استنارت الافكار واتجهت الآراء ـ المتيقظة بحكم الفطرة وبتأثير الحوادث ـ نحو الاخذ من مناهل العلم ليكون لها في ذلك المجتمع اللاغب صوت مرتفع ورأي مسموع

دعاني الزركلي ـ وكنت قد عرفته أمس ـ الى منزله فلبيت الدعوة ، فاذا بي وسط شبيبة لم يتجاوز اكبرهم سناً العشرين ربيعا ، وسمعت الزركلي يدعونا الى العمل المقرون بالمعرفة التامة وينبهنا الى ان دور الكلام والحديث والخطب سوف ينقضي ويعقبه دور العمل الجد وان الاكفاء سوف يشغلون المقام الاسمى في الهيئة الاجتماعيـة ، اما الحثالة فستنفض منصرفة الى حيث تعمل لتأكل

بدأ قراء الصحف يقرأون اسم خير الدين الزركلي في اكثر الاحايين ، وكثيراً ما كان يتحفهم بقصائد من الشعر كان بودي ان اقتبس شيئاً منها لتكون بمثابة معيار يعرفنا مقدار تطور شعره وما وصل اليه اليوم من الارتقاء الفكري ، غير ان الديوان الذي أتحفنا به خلو منها ، ولا ادري سبب ذلك ، ولكن يخيل الى ان رزم الاوراق التي وجدت عرضا في مطبعته هي الدافع الاكبر الى طبع الديوان وان قلتها اودت بحياة قصائده التي قالها ونشرت في المجلات والصحف السورية منذ عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩١٤ . أو أن السبب الحقيقي لخلو الديوان من قصائده الأولى هو أنه في عام ١٩١٩ وقد كان يصدر في دمشق جريدته « المفيد » اليومية اشتعلت النار في المطبعة فالتهمت كل شيء فيها حتى ديوانه الذي كان معداً للطبع والذي أسماه حينذاك « الدموع » لان قصائده كانت تنم عن عواطف الصبا وهل يرى الصبا كل شيء بغير منظار الحب الذي يروى بالدموع ؟ والذي أعرفه ان جميع تلك القصائد

نشرت في أوقات مختلفة في صحف دمشق وبيروت وأظن أن مجلة (المقتبس) العلمية تحوي في أجزائها كثيراً منها .

تنوعت الحوادث منذ اعلان الدستور العثماني حتى دخول تركيا الحرب العظمى عام ١٩١٥ وتقلبت على أشكال كلها مغايرة لمصلحة الفكرة العربية التي ولدت في جمهور الشعب مع الانقلاب العثماني ، وصارت قبلة يتجه نحوها كل ساع لاحياء مجد العرب وتجديد سلطانه الذي داهمته غير الحوادث ولم تبق منه الا الذكر الطيب المسطور في بطون التواريخ والعبر لمن يهتدي الى انشاء الملك والاتعاظ لمن ينام عن رعيته . يحدث كل هذا وعين الزركلي ترقبه فيقول في قصيدة أسماها (آمال وآلام) خاطب فيها عام ١٩١٥ (١) :

أرى سنة تمضي وعاما بنا يجري ... يضيّق من آجالنا فسحة العمر
وردنا على هذا الوجود أجنّة ... تسير بنا الايام في السهل والوعر
لنا أمل في كل عام مجدد ... نرجي به صفو الحياة وما ندري
مضى عامنا الادنى بذنب فعلّه ... يجيء الذي يتلو المغادر بالعذر
سلكنا به ظلماء حالكة الدجى ... ولما انقضى حانت لنا رقبة الفجر

غير أن الفجر الذي خاله الزركلي طلع عقب انصرام عام ١٩١٤ الداجي لم يكن بالفجر الذي « يعلل بالصفو المؤمل والبشر » بل كان عاما

تحبّس فيه الغيث حتى اذا انجلى ... لنا الامر كان الغيث من دمنا يجري

لأن الدولة التركية دخلت الحرب الكبرى وجذبت معها جميع عناصرها ليكتووا معها بنارها

طغى ظلم جمال باشا حاكم سورية مدة الحرب ، وعم جميع السكان ، وقصم الظهور من الرعب ، بما صاب من نخبة رجال سورية وأحرارها ، وأذل

(١) الديوان : ص ٨٤

من النفوس العزيزة بالفقر والجوع ، وسخر من الذمم الخربة بالدناءة ، وعبث بكل ما هو عزيز وشريف على الامة السورية ، وتدخل في أتفه أمور ادارة الولايات التي كان يحكمها ، وتنمر على شعب أنس فيه الضعف ووجد من بنيه من كان يوقع الاذى بأقرب الناس اليه . من حاشية جمال باشا هذه وجد شيخ يقدر الادب والادباء كان يسمع بالزركلي ولا يعرفه، حتى جاء شاعرنا يوما للسلام على الشيخ وعليه بزة جندي يخدم في أحد المستشفيات العسكرية ، فأراد الشيخ أن يستغل هـذه الفرصة الثمينة فأمر « العسكري الزركلي » ان لايبرح الغرفة حتى ينظم قصيدة مدح يودّع بها جمال باشا السائر على رأس جيشه لاجتياز قناة السويس واحتلال مصر ، لان « ركابه العالي » سيتحرك بعد ساعتين فقط . فقال بعد الاستهلال بالمديح غير المذكور بالديوان [1] :

إبن مجداً ولو بحدّ المواضي ما أرى الدهر عنى مهين براض
ان للدهر فرصة فانهزها ليس مافات أمس بالمستعاص
كل حي يرمي الى غرض مما تراءى له من الاغراض
للمصيب الاقبال والعز ، والمخطىء يرمى بالذل والاعراض
وأخو العزم من يبيت وكلتا مقلتيه لم تكتحل باغتماض
أفلح الخائض الغمار بعيد الغور رأيا ، وأخفق المتغاضى
لو نعت الزمان لم أر إلا عابثا في مستقبل أو بماض
ليس بالندب من اذا مسه الضيم تولى أو لاذ بالأرباض
إنما ابن العلاء من ليس بالمحـجم عن خصمه ولا الركاض

عرف الزركلي من جمال باشا الذي صار يدعوه « عند ليب » دمشق ، وانتزعت « السترة » العسكرية عن جسمه ، وأصبح بعدها الرجل الوحيد في

(١) الديوان : ص ٦٠٧

سوريا الذي أعفي من الخدمة العسكرية التي كانت كالموت على رءوس الجميع

مدح الزركلي جمالا وكان ثمن مديحه له حياته التى كانت هي ومئات أمثالها تقذف الى هوة الموت بلفظة ينطق بها جمال باشا عن جد، أو عبث، أو طيش. غير أن جميع تلك القصائد التى مدحه بها — وهي غير مدونة في الديوان — لم تخل واحدة منها من حث الناس على احياء القومية، والدعوة الى حياة الشرق. فاسمع ما يقوله الزركلي بهذه «الضرورة» التى لامه على اتيانها بعض أصدقائه مخاطباً جمال باشا «بسرّه» (1) :

مدحتكم وبودي لو هجوتكم لو أطلق الحكم لى في منطقي ويدي

حكمتهم فظلمتهم، فاتخذت فمي والشعر درعا تقي من شركم جسدي

ضرورة أحوجتني لامتداحكم وللضرورة حكم غير مطرد

وأظن أن العاقل الذي تلقيه الظروف بورطة كالتي وقع بها الزركلي لا يتوانى عن مديح الظالم وجلا على حياته. وأني ألوم أصحابه الذين تمنوا سكوته عن مديح جمال باشا على عدم تقديرهم موقفه بين الحياة والموت، وألوم الزركلي أيضاً لعدم تدوينه تلك القصائد في ديوانه لانها تمثل لنا «البطولة المقيدة» والدهاء المحلى بعذب الالفاظ، واستثارة المتالمين من جراحهم على ترديد «الانّات» التي كانوا يحبسون أنفاسهم عن ترديدها، عن صغار وذل لا عن انكماش ورهبة، ليعلم الناس مقدار الامراض الاجتماعية المتأصلة فينا، ومعيار الرقي الذي اكتسبناه بعد اجتياز تلك الكارثة الكونية

***

حياة الزركلي أشبه بسلسلة متعددة الحلقات مرتبط بعضها ببعض : بدأت حلقتها الاولى عام ١٩٠٨ وفيها وجد ذاته في وسط معمعة لاعلم له بها فسعى وهو

(1) الديوان : ص ٤٠

عصامي ذكي فتسلح بالأدب فملك نواصيه ، فنزل الى حلبة الحياة ففاز على الانداد ، فدهمته الحرب فكادت ان تضحيه على مذبحها وانتهت الحرب بجلاء الترك عن البلاد ، فسقطت البلاد بين يدي « فيصل بن الحسين » وهو رجل كثير الأماني الهادئة ، بعيد عن نزعة النفس المتمردة ، فجعلته هذه الصفات كآلة صماء تحركها مطامع السياسة الغربية لتطحن الامة السورية طحن الرحى ، وتقودها بيد شريف من أشراف عربها الى هوة الاستعمار المنظم ، بعد ان خلصت من استعمار الاتراك غير المنظم . خاض الزركلي ايضاً هذا البحر الخضم من بحور سياسة تشييد الممالك فلم يلبث أن وجد نفسه بين أمة متفرقة الغايات ، متعدده المآرب تتكل في حياتها على وعود غيرها فى هباتهم لها ، وتتوانى عن السعي الى الخطة التي اختطها الحق للامم في تقرير مصيرها ، وفي ذلك يقول مخاطباً قومه[1]:

فيمَ الونى وديار الشام تقتسم ، أين العهود التي لم ترع والذمم ؟
هل صح ماقيل من عهد ومن عدة ، وقد رأيت حقوق العرب تهتضم !

الى أن قال :

نسام خسفاً ونقصى عن محجتنا ويوثق الفم حتى تخفت الكلم . . .
نسجو على الضيم والاطماع حائمة ونكظم الغيظ والاكباد تضطرم

ثم يخاطب وعود « ولسن » تلك الوعود التي استغلها دهاقنة السياسة العتيقة ، سياسة تستخير المجاميع للفرد ، سياسة المتمولين الذين يستدرون آخر نقطة من البقرة الحلوب ، فيقول :

وعود ولسن كم أضللت من فئة لأنت أشأم ما سيست به الامم

ولكن أنى للشعب السوري الذي انهكت قواه الحرب والجمود الفكري والاغراض والمنافع الذاتية أن يدرك مصيره وقد استسلم ـ وهو تحت

(١) الديوان : ص ١٥ .

مؤثرات متعددة ــ الى سليل النبي العربي فيسمع ويعمل بكلام الزركلي القائل [(١)]:

ياراقدين على الهوان ، تأهبوا   وتجلببوا الادراع والاكفانا
من خال أن المجد يدرك هيناً   فلينتظر بعد الهوان هوانا

خدع الشعب السوري باستسلامه الى الامير فيصل بن الحسين أمير دمشق. ومشيد ملكها ، وظلم الشعب فيصلا بتكليفه ما لا طاقة له باتيانه ،

اسليل يعرب طال منك تريث   حتام تلبث لاهياً حيرانا
هلا امتطيت من الجياد عتاقها   وجلوت عنك العار والخذلانا
ان كنت من عدنان فاسلك نهجه   واذا جبنت فلست من عدنانا

وفي هذا الموقف يقول [(٢)]:

متى تزع الرجال بنا عقول   وأدمغة الرجال بلا عقول
ترى لهم مظاهر خالبات   كأن المجد تجرير الذيول

غير أن جر الذيول والاستمتاع بابهة المجد لم يحجم بالزركلي عن قول الحق. في المستمتع البسيط الذي لايدرك ماهية الملك فقال : [(٣)]

لا التاج ينفعه ولا استقلاله   إن لم يحلّ وثاقه وعقاله[(٤)]
ظلموه فاستبقوا الى وكناته   فسهوله محتلة وجباله
وعدوا عليه مع الزمان فخدرت   أعصابه ، وتزايلت أوصاله
وطن تزاحمت الخطوب ببابه   وجفاه من عقدت بهم آماله
أنى أنخت رأيت أهبه مزمع   هجران موطنه تشد رحاله
هل ينفع العلَم المنيف حماته   ناءون عنه ، مشتتون وآله

---

(١) الديوان : ص ٥٥ (٢) ص ٨١ (٣) ص ٥٢

(٤) نقل الى شاعر العراق معروف الرصافي البيت الاول من هذه القصيدة فظن أن الزركلي اكتفى به فاضاف اليه هذا البيت :

ملك نزا نزو الغراب وانما   في الرأس لافي رجله عقاله

ان اللواء اذا علاك فانما يحميه ظلك ، لاتقيك ظلاله

غير ان العاصفة الهوجاء لما عصفت على مملكة دمشق الحديثة اكتسحت التاج والمتوج ولم تعبأ بزلفى صاحب العرش والسرير ، وانزل العلم وا أسفاه عن سوريا بعد موقعة ميسلون المشئومة فقال الزركلي [1] :

الله للحدثان كيف تكيد « بردى » يغيض و « قاسيون » يميد

وفواجع الملوين ما لجماحها كبح ولا لجراحها تضميد

تفد الخطوب على الشعوب مغيرة لا الزجر يدفعها ولا التنديد

هل في الشآم وأهله من نابس والنائبات لها عليه وفود

مافي دمشق لناهض من عزة وبها سرادق غاصب ممدود

بلد تبوأه الشقاء فكلما قدم استقام له به تجديد

لانت عريكة قاطنيه وما دروا ان الضعيف معذب منكود

لمسوا حبال حقوقهم فتشبثوا والحق يعوزه قنا وبنود

لم ينقص السوريين قبل وقعة ميسلون القنا والبنود ، ولا العتاد والميرة ، انما الذي كان ينقصهم الخلاص من بلاء التردد الذي كان حائما حول قضيتهم ، والاحاطة باساليب الكذب الدولية التي أخذوا بها ، وعسى ان ينصف المؤرخون ، حين يكتبون تاريخ سورية ، رجال الحكومة حينذاك فيزنوا هذه المؤثرات بميزانها

ماتنفع الحجج الضعيف وانما حق القوي معزز معضود

من للحمى ، ايقيه من عثراته طول الاناة وفي الاناة جمود ؟

زعماؤه متنافرون ، واهله متناظرون ، وللعداة وعيد

ويح الجناه . . . .

---

(١) الزهراء ص ٤١ السنة الاولى ، والديوان : ص ٤٢

نذروا دمي حنقا علي وفاتهم ان الشقى بما لقيت سعيد

لاذ الزركلى بأهداب الفرار الى مصر وذكر تفاصيل تلك الرحلة في كتابه الذي سماه « ما رأيت وما سمعت »

أنا في هواك كما يشاء هواك لى كاف بحبك يا (دمشق) ودود

لم أنأ عنك قلى ولا لنقيصة ما أنت إلا ربعى المحمود

ولقد هجرتك حين حاق بك الاذى ما للإباة على الهوان قعود

* * *

لم ترنح صاعقة « ميسلون » الزركلي ، لانه لم يزل فيه حينذاك بقية من نشوة الحياة الاستقلالية التي لم تدم طويلا ، وما تسرب اليه اليأس القانط بعد ، غير أنه بدأ يعرف تلونات الرجال فقال[1] :

خل عنك اليأس ان اليأس داء مخترق

وتأهب لعوادى الدهر فالدهر حنق

وأسيء ما اسطعت بالناس الظنون لاتثق

واذا مكنت من خصمك فاسحق وانطلق

لبى دعوة ملك الحجاز « الحسين بن علي » عن رضى وغاية ، وحل في مكة فى ضيافة الملك ، على قصد أن يقول له[2] :

أور في جلق الكتيبة زندا وأقم للطعان في الشام سوقا

أمطر القوم بالصواعق حتى لا ترى أعين العداة البروقا

أدرك الزركلى بعد مكوث ثلاثة شهور طوال في ضيافة « جبار زمزم والحطيم » نفسية من استنجد به فقال هذه القصيدة الرائعة على اثر انعقاد المؤتمر العائلي في جدة[3] :

(١) الديوان : ص ١٩ (٢) ص ٩٣ (٣) ص ٦٨

تذكرت والذكرى تفيض جراحها دما فجرته مكة وبطاحها
وأوحشني والعين تأبى رقادها غدو خيالات الهدى ورواحها
أبيت اناجي النفس والليل ضامت كواكبه ماتمى عليه وشاحها
وظلماء أعياني ترقب فجرها وأيأس من ان يستفيق صباحها

. . . .

إلى م أجيل الراى ألتمس أمرأً تطيب به نفس اليه ارتياحها
أقلب طرفي في الرجال فلا أرى شمائل لاينعى عليّ امتداحها
عذيريَ من أياميَ الغبر انني أصاولها حتى يهون اطراحها
ربأت بنفسي أن تذل وما نبت بي الارض أو ضاقت عليّ فساحها
وما لفظتني أم صبح [1] لريبة علقت بها أو رف فوقي جناحها
ولكنني أحسنت ظني بأمة تعاصى على أهل الصلاح صلاحها

الى ان قال :

تمثل لي رهط « الحسين » وحوله لهاميم من عدنان بيض صفاحها
تفكر في أي الامرين ترتوي : أتخشع ، أم يزداد وقدا طماحها
كأني بابناء الحسين بدت لهم مناهج عذب مستساغ قراحها

ثم يقول :

هم نهضوا بالعرب حتى مشت لهم مصاليتها مطواعة ورماحها
~~وهم حملوا أعلامها فتقدمت تنوء بعبء طال منه رزاحها~~
وهم لبسوا تيجانها فعنت لهم وصبحهم بالتهنئات فصاحها
أيشغلهم عن شأنها اليوم شاغل وقد ضربت باسم الحسين قداحها

***

أبا نائف ! جاز الرصافة فيصل وسورية يعلو لديك نواحها

---

(١) من اسماء مكة

فهل أنت مذكي نارها فمجيرها عشية اذ ريعت وخيف افتضاحها
والا فيا للذل بعد اعتزازها . . . . . .

غير ان أبا نائف ـ وهو لقب أمير شرق الاردن عبد الله بن الحسين ـ كان له عن ذلك شاغل

وللزركلي مع أمير الاردن حديث طويل وحساب أطول دونه في كتاب سماه « عامان في عمان » ظهر منه مع الديوان الذي نحن بصدده الجزء الأول ويليه الثاني وهو تحت الطبع . وإني اجتاز هذا الشطر الواسع من حياة الزركلي في عمان لاترك للقارىء تلاوة حوادثه في هذا الكتاب الفريد الذى سيكون من أركان تاريخ « نهضه سوريا » متى قدر لمؤرخ أو لجماعة وضعه

***

اتخذ الزركلي مصر له مباءة « وغرس » في أرضها الحديد ، كما يقول ، أي أنه أسس المطبعة العربية ، وليس هدم اسس المطابع بالشيء السهل المنال ، وعكف على عمله بنشاط واجتهاد ، غير ان حياة مصر ، ذلك الميدان المكتظ بالمتزاحمين بالمناكب على طلب الحياة ، دفع بالزركلي في تلك المعمعة التي لا تهدأ فشكا[1] :

أيها السائلون عنا بمصر كيف نضحي وكيف فيها نبيت
نحن في هذه المدينة نحيا حين نمسي ، وفي النهار نموت

مسكين الزركلي العندليب المغرد في بساتين دمشق ، المستنجد المؤمل في أرض مكة ، المزمجر المرعد في شرق الاردن ، يموت في نهارات مصر ، ويحيى حين يجتمع في عشية كل ليلة مع اخوانه في « بارفنكس » ليتجاذبوا أطراف الحديث تارة عن الوطن ، وتارة يسيرون الجحافل ويدربون الفرس والرخ والفيل،

(١) الديوان : ص ٧٥

لتحيي دولة الشاه على رقعة الشطرنج

***

أنشبت مصر اظفارها في الزركلي ، ومصر ككل عاصمة عظيمة تجتذب الافذاذ من رجال العقل والارادة والقوة اليها ، وابن الشآم يرتع على ضفاف النيل في بحبوحة من العيش الرغد بين شعب حباه الله الدعة والانس ، فغدا الزركلي اسير مصر ومائها العذب وشمسها النيرة . غير ان سكنى العواصم تذكي في النفس الكبيرة جذوة الانانية والطمع والحنين الى مسقط الرأس ، أنانية شرهة فيها شيء وافر من الطمع تود لو تنتزع جميع الخيرات لتعطيها الى وطنها الاول ، وتحن الى الوطن بشيء من الغضب المشوب بالظلم ، فترجو لو يمحق جميع من في الوطن ممن لا يستأهلون الحياة لتوجد بدلا عنهم من الرجال العصاميين سكان العواصم الكبرى

هدأت نفس الزركلي المتمردة ـ الى حين ـ وشبت على أثر تلك الثورة التي انتزعت شطر صباه بكامله نزعة الشعر الفياض بعواطف الحنين الى الوطن المفقود والحسرة على جهاد ضاع سدى ، فيناجي النفس كصريع مازال يلهث من الاعياء ويقول (١) :

العين بعد فراقها الوطنا لا ساكناً ألفت ولا سكنا
ريانة بالدمع اقلقها أن لا تحس كرى ولا وسنا
كانت ترى في كل سانحة حسنا وباتت لا ترى حسنا
ليت الذين أحبهم علموا وهم هنالك مالقيت هنا
ما كنت احسبني مفارقهم حتى تفارق روحي البدنا

بودي لو انقل هذه القصيدة برمتها ولكني أترك ذلك لقراء الديوان

(١) الزهراء : ص ٥٦١ السنة الاولى . والديوان : ص ٨٢

وكم كنت أود لو سمى صديقي الجزء الاول من ديوانه (الوطنيات) لان كل ما فيه منها ، بل هو خلو من صنوف كثيرة من الشعر ، ولا غرو فهو يدعو السوريين وجميع قراء العربية الى عبادة وثنه الاوحد ، ومحط خيال حبه ، وهو:

لو مثلوا الى موطني وثنا   لهممت أعبد ذلك الوثنا

والزركلي يحمد الله معي على ان في الشرق اليوم من غدت قبلتهم المثلى ذلك الوطن الواجب عبادته بعد الله ، والتضحية من اجله قبل كل شيء

القاهرة   **حبيب الياس الزحلاوي**

ظمأ وحنين

١ — من الغائب الى المقيم

ياساكني مصر انّا لانزال على   عهد الوفاء — وان غبنا — مقيمينا
هلا بعثتم لنـا من ماء نهركم   شيئاً نبلّ به أحشـاء صادينـا
كلُّ المناهل بَعْدَ النيلِ آسنةٌ   ما أبعد النيل الأ عن أمانينا !

شوقي

٢ — من المقيم الى الغائب

عجبتُ للنيل يدري أنّ بلبله   صادٍ ويسْقي رُبَى مصر ويسقينا
والله ماطاب للاصحاب موردُهُ   ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنــه وانْ فارقت شاطئَهُ   وقد نأينا وانْ كنّا مقيمينا !

حافظ ابراهيم

٣ — رجع الصدى

يابلبلَ النّيل صّداحاً بغربتــهِ   وشَدْوُهُ حسراتٌ من مغانينَا
هوّنْ عليك فما فاتتك مكرمةٌ   وقد لهْونا فباعتنــا ملاهينــا
ظمئتَ والنيلُ ظآنٌ لشاعرِه   وبِنتَ وهوغريبٌ في أراضينا !

الدكتور ابو شادى

حركة النشر والتأليف

﴿ خطط الشام ﴾

المطبعة الحديثة بدمشق، المكتبة السلفية بالقاهرة * ٣١٠ ص بالقطع الكبير : ثمنه ٣٠ قرشا

من حسن حظ الأمة العربية أن عوادي الدهر رغم إلحاحها في إبادة مؤلفات السلف أزماناً طويلة لايزال لنا منها بين مخطوط ومطبوع ماحفظ لنا مادة تاريخنا ومصادر أخبار ماضينا. غير أن هذه المادة — التى تعب السلف بجمعها وتدوينها وحفظها وتحملوا في سبيل ذلك عناء عظيما - تحتاج الى أبناء بررة علماء منصفين يقفون حياتهم على تمحيصها ومعارضة بعضها ببعض وإنشاء تاريخنا منها انشاء جديداً. وفي مقدمة رجالنا الذين ألقت معارفهم هذا العبء على عواتقهم الاستاذ العلامة الجليل السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق فقد مضى عليه ربع قرن وهو بين كتب الشرق والغرب مخطوطها ومطبوعها فزار مكتبة البرنس كايتاني في ايطاليا ومكتبة العلامة تيمور باشا في القاهرة وغيرهما من دور الكتب التى امتازت بكثرة مافيها من المؤلفات في التاريخ والجغرافيا، حتى ألف كتابه في خطط الشام من نحو سبعمائة كتاب. فجاء في ستة مجلدات بين يدينا الآن المجلد الأول منها وفيه من المباحث الجليلة تقويم الشام، والعناصر التي تألفت منها سكانها، واللغات التي استعملت فيها، وتاريخها قبل الاسلام، ثم الفتح الاسلامى من سنة ٥ الى ١٨ للهجرة، فتاريخها زمن الدولة الأموية (١٨ — ١٣٢هـ) فتاريخها زمن الدول العباسية (١٣٢ — ٢٥٤) فدور الدولة الطولونية (٢٥٤ — ٢٩٢) فزمن الاخشيديين والحمدانيين (٢٩٢ — ٣٦٤) فالدور الفاطمي (٣٦٤ — ٣٩٤) وتتمته (٣٩٤ — ٤٦٣) فالدور السلجوقي (٤٦٣ — ٤٩٠) وفيه كان قيام أول

جمهورية عربية في حلب حيث عادت رياستها شورى في مشيختها وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل ، وبعد ذلك الحروب الصليبية(٤٩٠ — ٥٢٢)

وقد قدم الاستاذ كردعلي كتابه هذا الى صديقه العلامة العامل أحمد تيمور باشا لتفرده في المعاصرين بالاخلاق الطهر ، والعلوم الغر ، وحرصه على نشر آثار السلف ، وتفانيه في تثقيف عقول الخلف

وخطط الشام من أعظم الاعمال التي وفق الاستاذ رئيس المجمع العلمي العربي الى اتمامها ، وان كانت حياته كلها حياة عمل أفاد بها الثقافة العربية والعلوم الاسلامية فوائد يقدرها أهل الفضل قدرها

﴿ آخر بنى سراج ـ وخلاصة تاريخ الاندلس ﴾

مطبعة المنار ، المكتبة السلفية * ٤٢٠ ص بقطع الزهراء : ثمنها ١٥ قرشا

آخر بنى سراج قصة من بدائع البيان الفرنسوي، ألفها فيكونت شاتوبريان Chateaubriand الاديب الشهير (١٧٦٨—١٨٤٨) و«أدارها على سياحة شاب تام الرجولية من بقايا آل سراج الغرناطيين : هبّ من تونس ـ حيث كان جالية الاندلس قد نزل أكثرهم ـ سائحاً الى وطنه القديم ، هائماً على وجهه في تلك الأرض التى عمرها آباؤه مئين من السنين . وبينما هو يجول في شوارع غرناطة ـ مسكن أهله قبل الجلاء الأخير ـ كانت منه لفتة وقع فيها بصره على فتاة من سريات الاسبانيول فعلقت بقلبه، ووقع نظره منها على مثله فتعاشقا . وتوزعت القصة بين حبها وحبه ، وحال دون اقترانهما أعجاب كل بدينه ، ثم ماتبين لابن سراج بعد طول العشره من كون معشوقته سلالة من آل بيفار الفاتكين لكن الجلاء بآبائه ، فرأى اختلاط دم القاتل بدم المقتول غير خليق بآبائه »

ومن حسن حظ شاتوبريان في قصته هذه أنها نقلت الى لغة آخر أمراء

بنى سراج بقلم أمير البيان العربي الكاتب الاكبر الامير شكيب أرسلان ، ونشرت في جريدة الاهرام سنة ١٨٩٧ وطبعت في مطبعتها بكتاب مستقل في تلك السنة مذيلة بخلاصة عظيمة الاهمية لخاتمة تاريخ العرب في الاندلس الى سقوط غرناطة . ولهذا الكتاب فضل على عدد كبير من ناشئة العرب ببيانه ومعارفه ومراميه ، فقد كنت على عهد الدراسة في القسطنطينية عام ١٩٠٦ اقرؤه أنا وأخي الشهيد السعيد الامير عارف الشهابي على عدد كبير من اخواننا طلبة المدارس العليا . فكان أحد العوامل التي أيقظت فينا عاطفة الاعجاب بسلفنا ، والحرمة لماضينا ، وكوّنت فى أنفسنا عقيدة قومية قائمة على أساس الاتصال بين الحاضر والماضي والمستقبل

وقد أعيد الآن طبع هذا الكتاب البليغ وأضيف فيه الى رواية شاتو بريان ، وتاريخ الاندلس للامير شكيب أرسلان ، كتاب ثالث لمؤرخ عربي شهد وقائع سقوط الاندلس بنفسه سماه (أخبار العصر فى انقضاء دولة بني نصر) . وبعد ذلك اثارة تاريخية فى أربعة مراسيم سلطانية صادرة عن أبي الحسن علي بن أبي النصر بن أبي الاحمر الى بعض فرسان الاسبانيول وزعمائهم بين سنتى ٨٧٥ و ٨٨٠ هـ

وبعد فان مجموعة (آخر بنى سراج) هى مرجع قراء العربية الوحيد لمعرفة تاريخ خروج اجدادنا من الاندلس ، وهي من الكتب التي لا يليق بأديب أن تخلو خزانته منها

﴿ دليل القاهرة ﴾

عولت وزارة الاشغال المصرية على إصدار دليل لمدينة القاهرة ، يتضمن بيان آثارها ومعاهدها وشوارعها

﴿ تاريخ نجد ــ للسيد محمود شكري الآلوسي ﴾

المطبعة السلفية بمصر ، والمكتبة العربية ببغداد * ١١٧ ص بقطع الزهراء * ثمنه ٦ قروش .

نجدٌ من البلاد العربية التي اتجهت اليها أنظار الشرق والغرب في هذه الأيام لاتساع حدود سلطنتها في جزيرة العرب حتى صارت حكومتها صاحبة السلطان على أوسع مملكة عربية ، نشعر الناس بالحاجة الى كتب في بيان أحوالها الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والدينية . وقد تيسر لعلامة العراق الالوسي الرحلة الى نجد بنفسه ، والاختلاط بكثير من خاصة أهلها في وطنه ، ومعرفة مذهبها معرفة لا يتقدمه فيها أحد قط ، هذا فضلا عن علمه الواسع ببلاد العرب وتاريخها على ما علمه قراء كتابه (بلوغ الأرب) . فكتابه الذي نشر الآن عن تاريخ نجد يعد مرجعاً لاغنى عنه لطالبه.

طبع هذا الكتاب في مطبعتنا بنفقة السيد نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد ، وعني بتحقيقه الفاضل المحقق الاستاذ السيد محمد بهجة الاثري تلميذ المؤلف وقدم له مقدمة في التعريف به . ويبتدىء الكتاب بالكلام على تحديد نجد نقلا عن مؤلفي العرب ، وتليه جملة صالحة من شعر الاموي في التغني بنجد والحنين اليها ، ثم فصل فيما اشتملت عليه نجد من القرى والبلاد ، وفصل في قرى الاحساء وبلادها ، وفصل في شمائل أهل نجد ومعايشهم وأقواتهم وزيهم . ويلي ذلك بسط القال على معتقداتهم وأعمالهم وفيه مناظرة ابن جرجيس صاحب كتاب (صلح الاخوان) والشيخ عبد اللطيف حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وفيه سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ويلي ذلك بيان عظيم الاهمية للقبائل الساكنة اليوم في نجد ، وفصل في نسب آل رشيد وآل سعود وبيان من تفرع عنهم من الامراء ، وفيه ذكر رسم حكومتهم وبعض مكاتبات آل سعود في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي آخره

فصل في بعض من اشتهر من علماء نجد ولاسيما الشيخ ابن عبدالوهاب

والكتاب جيد الطبع والورق . فنشكر للاستاذ الاثري احياءه هذا الكتاب وللسيد الاعظمي تعميم النفع به .

﴿ القول الحق ـ في تاريخ سورية وفلسطين والعراق ﴾

المطبعة الحديثة بدمشق ، المكتبة السلفية بالقاهرة * ٢٥٦ ص : ثمنه ١٥ قرشا

للكتب التى تنشر في الغرب عن الشرق أثر في تكوين ذهنية الرأي العام الاوروبي ، ولهذه أثرها في علاقة الغرب بالشرق ، فمن مصلحة الشرق أن يكون أهله على علم بما يكتب عنهم بلغات الغرب ليقفوا على مواطن النفع والضرر من هذه الجهة وكيفية اتجاهها في سيرها . هذا فضلا عن الفوائد التي قد يصيبها الشرقي فيما يكتبه الغربي عن بلاده ولو بالاسلوب الذى تقضى به وجهة نظره . وقد أحسن الفاضل الوجيه نزيه بك المؤيد العظم بنقله الى العربية كتاب مستر لودر عن الاقطار العربية الثلاثة : سورية وفلسطين والعراق فى الحرب العامة وبعدها

والمؤلف أحد الرجال البريطانيين الذين زاولوا العمل في جمعية الامم ، وكان في ابتداء الحرب العامة على اتصال بحوادث الشرق الادنى والشرق الاوسط ، لوجوده في الدردنيل وفي مصر وفي قلم الاستخبارات السياسية للحملة المصرية كل مدة الحرب ، واشتغل بعد الحرب سنتين في ديوان الشئون الشرقية في وزارة الخارجية والتحق بجمعية الامم من أواخر سنة ١٩٢٠ فصرف وقته في مسائل القضية الشرقية

ويتألف كتابه من سبعة فصول : الاول في العرب والحرب العامة ، والثانى عن بلاد العرب أيام احتلال الحلفاء الى نهاية ١٩١٨ والثالث عن تأثير مساعى مؤتمر الصلح فى البلاد العربية سنة ١٩١٩ ، والرابع عن الفرنسيس والقومية

العربية فى سورية ، والخامس عن البريطانيين والقومية العربية فى العراق ، والسادس عن البريطانيين والعرب واليهود فى فلسطين ، والسابع فى الانتدابات والمعاهدات

وفى أوله مقدمة صغيرة بقلم اللورد سيسل ، وفى آخره تسعة ملاحق : فى الاول اتفاقية سايكس وبيكو ، وفى الثانى تاريخ الصهيونية ومقاصدها بقلم لاناردستين أمين سر هيأة الصهيونيين اللوندنية ، وفى الثالث معاهدة بريطانيا والعراق سنة ١٩٢٢ ، وفى الرابع ملخص دستور فلسطين الرسمي ، وفى الخامس جزء من اتفاقية الزيت العراقي الموقع عليها في سان ريمو سنة ١٩٢٠ ، وفي السادس المعاهدة البريطانية الفرنسوية فى ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وفى السابع صكوك الانتداب ، وفى الثامن ملاحظة سكرتير جمعية الامم على تطبيق الانتداب الفلسطيني فى شرق الاردن ، وفى التاسع الخلاف البريطانى التركي على حدود العراق

والمعرب الفاضل استدراكات لاحظ فيها على بعض ماذكره المؤلف في الكتاب وهو يشكر عليها بمقدار مايشكر على اتقان ترجمة الكتاب وطبعه وحبذا لو كان وضع الاستدراكات في حواشي المواطن المنتقدة من الكتاب بدلا من أن تلحق بآخره لئلا ينتقل القارىء من تلك المواطن الا وهو واقف على الفائدة التى أراد المعرب ان يستدركها

﴿ بشار بن برد ـ شعره وأخباره ﴾

المكتبة السلفية ، والمكتبة العربية * ١٠٩ ص بقطع الزهراء * ثمنه ٥ قروش

بشار بن برد علم من أعلام الشعر العربي ، ولكن سلاطة لسانه، وحنينه الى سخافات المجوسية ، وعدم اخلاصه للأمة التي عاش فيها ، كل ذلك مما قصر به عن أن يكون محبوباً من معاصريه ومذكوراً بالخير في أعقابهم ،

ومحفوظ الشعر في رواتهم ؛ فضاع في أجواء العصور الخالية ألوف القصائد من شعره . وقد نقل لنا أن في تونس ديوانا له عند الاستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب ، ولا نعلم ان كان جمع قديماً أم في هذه الأيام . وكان الاستاذ السيد محمد منيب الناطور قد عني سنين في جمع شعر بشار ، كما فعل الآن الشيخ احمد خسنين القرني صاحب المكتبة العربية وجامع الكتاب الذي بين أيدينا ، فقد استخرج من كتاب الأغاني وأمهات كتب الأدب جميع ماوصل الى يده من عفيف شعر بشار ومبتذله ، وأضاف اليه ماروي عنه من لطائف وطرائف وأثبتها بنصوصها . ثم علق على هذا وذاك شروحاً وفوائد كثيرة ، ورتب الشعر على القوافي وجعل له عناوين ، ونشر في أوله آراء طائفة من الأدباء العصريين في بشار وشعره

﴿ شعراء الشام في القرن الثالث ﴾

مطبعة الترقي بدمشق ٭ ٩٦ ص

قدم الاستاذ خليل بك مردم — الشاعر الدمشقي البليغ — بحثا الى المجمع العلمي العربي لمناسبة انتخابه عضواً به ، وقد تناول في هذا البحث الكلام على أربعة من فحول شعراء الشام في القرن الثالث الهجري ، وهم كلثوم بن عمرو العتابي (١) وحبيب بن أوس أبو تمام الطائي (٢) وديك الجن (٣) شاعر حمص وماجنها ، وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري (٤)

ووضع لهذا البحث النفيس مقدمة افتتحها بذكر يُمن القرن الثالث الهجري على العربية وآدابها ، ثم عالج تحديد خصائص شعراء الشام يومئذ تلك الخصائص التي سماها أبوالفرج الاصبهاني « مذهب الشاميين في الشعر (٥) » ووصفها

(١) أصله من أرض قنسرين بالشام ، وكان يقيم في رأس العين (توفي في حدود ٢٢٠هـ)
(٢) ولد في قرية جاسم من بلاد الجيدور من أعمال دمشق (١٩٠ — ٢٣١)
(٣) ١٦١ — ٢٣٥ (٤) ولد بمنبج من أرض حلب (٢٠٦ — ٢٨٤)
(٥) الاغاني ١٢ : ١٤٢ بولاق

أبو منصور الثعالبي « بطريقة الشاميين المثلى [1] » وعبر عنها أبوبكر الخوارزمي « بالطرائف الشامية [2] » . وهذه الخصائص هي : التثقيف ، والعلم ، والاستقصاء والجزالة من غير إغراب ، والعذوبة والسلاسة من غير تخنث

ولما ترجم ـ بعد هذه المقدمة ـ لكل واحد من هؤلاء الشعراء الاربعة على حدة أتى بما ينهض دليلا على رجحان هذا الزعم ، ويقوم حجة على صحة هذه الدعوى

« عامان في عمان ـ للسيد خير الدين الزركلي »

المطبعة العربية ، المكتبة السلفية * ٢٠٧ ص ، ثمنه ١٠ قروش

اذا كان أفاضلنا الذين شهدوا حقائق الحركة الحجازية والاستقلال السوري الذي جاء بعدها (سنة ١٩١٦ ـ ١٩٢٠) قد قصروا فى تدوين تلك الحقائق ونشرها كما أشرت الى ذلك فيما مضي (الزهراء ١ : ٦٥٤) فان شاعرنا الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي أحسن كل الاحسان بتدوينه مذكرات عن نتائج ذلك من بعد فاجعة ميسلون (٢٤ يوليو ١٩٢٠) فأصدر قبل سنتين كتابه (مارأيت وما سمعت) متضمنا رحلته الى الحجاز في النصف الثاني من تلك السنة ، ثم قفى الآن على أثره بالجزء الاول من مذكراته فى السنتين اللتين أقامهما فى عاصمة شرق الاردن (١٩٢١ ـ ١٩٢٢) ومنها يقف القارىء على الدور الذي مثله الامير عبد الله بن الحسين اذ جاء من الحجاز الى معان فشرق الاردن ليعمل كما عمل عبد الكريم ومصطفى كمال فى توحيدهما قوى البلاد واستعمالها لرد استقلالها ، فما لبث قناع الخيال أن انكشف عن وجه الحقيقة ، لان الامير عبد الله الذي قال للسوريين فى منشور ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٩ [3] « كيف ترضون بان تكون العاصمة الاموية مستعمرة فرنسية ؟ ان رضيتم بذلك فالجزيرة لاترضى ، وستأتيكم غضبى . وان غايتنا الوحيدة هي نصرتكم

(١) اليتيمة ١ : ٧ (٢) اليتيمة ١ : ٨ (٣) عامان في عمان ص ١٥ ـ ١٧

واجلاء المعتدين عنكم . . . وسأعود الى وطني يوم نزوح عدوكم عن بلادكم -
وعلى هذا اليمين بالشرف ، وأمركم حينئذ لكم » هو نفسه الامير عبدالله الذي
خطب يوم ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤١ فقال [١] « انني عظيم الرجاء من
أن الحكومة الجمهورية الفرنساوية الفخيمة لاتحمل حقدا على قوميتنا وقضيتنا .
واننا سنصل قريبا الى اسعاد الوطن كله بتعضيد دولتي الحلف الكبيرتين »

فالجزء الاول الذي بين أيدينا من كتاب (عامان في عمان) يتضمن الوثائق
الرسمية والمستندات التاريخية والوقائع والتفصيلات الخاصة باحوال حكومة
شرق الاردن بين منشور الامير عبد الله في ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٩ وخطبته
في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤١ . واننا ننتظر بفارغ الصبر من شاعرنا السيد
خير الدين اصدار الجزء الثاني من هذا الكتاب ليسد النقص في هذا الجانب
من تاريخنا

﴿ البيت والعالم ـ لطاغور ﴾

مطبعة الهلال ، المكتبة السلفية * ١٢٥ ص : ثمنه ١٠ قروش

رابندرانات طاغور الهندي من اعلام الادب والحكمة والشعر في هذا
العصر ، وكان الاستاذ السيد وديع البستاني قد نقل الى العربية قبيل الحرب
كتاب (البستاني) من شعر هذا النابغة ، وبين أيدينا الآن قصة جديدة له
نقلت الى اللغتين العربية والتركية في آن واحد ، وهي لغة (البيت والعالم) ،
فبينما كانت جريدة (وقت) التركية تنشرها متتابعة في أعدادها اليومية كان
الاديب المشهور طانيوس افندي عبده ينقلها الى العربية وهي من خير مايطالعه
قراء الروايات

---

(١) عامان عامان ص ٢٠٤

﴿ القول الفصل – في ترجمة القرآن الكريم ﴾

مطبعة النهضة ، المكتبة السلفية * ٣٩ ص : ثمنه قرشان ونصف

ان كان المراد من ترجمة القرآن الحكيم باللغات الاعجمية الدعوة بهذه التراجم الى الاسلام فان التجربة دلت على أن الثلاثمائة مليون من أمم الارض تشرفت بالهداية المحمدية بما فسّر لها من مبادىء هذا الدين الحنيف التي قررها القرآن . والفرس الذين حسن أسلامهم انما أسلموا قبل أن يخطر على بالهم خاطر ترجمة القرآن بالفارسية ، ولو أن جار الله الزمخشري نشأ نشأة فارسية ، وفهم الدين الاسلامي من ترجمة القرآن الفارسية والمؤلفات الفارسية لما جاء منه ذلك العالم الذي طبق الارض علماً بهداية القرآن ولغة القرآن مع ما هو عليه من علم واسع باللغة الفارسية . فالمشتغلون بالدعوة الى الاسلام يمكنهم أن يأخذوا من القرآن كل مبدإ من مبادئه وكل هداية من هداياته ويجعلوها موضوع بحث أو رسالة أو كتاب وينشروا ذلك بأي لغة شاءوا ، ويكفي المهتدي الى الاسلام أن يتعلم بالعربية الفاتحة وسورة أو أكثر من السور القصار ليؤدي بذلك فريضة الصلاة . فاذا وفقه الله بعد ذلك الى تعلم العربية تلا كتاب الله بها كما يفعل سائر المسلمين

أنزل الله كتابه الحكيم قرآنا عربياً قام الاعجاز بنظمه العربي فلا يجوز أن تبدل لفظة منه بمرادفها بالعربية فضلا عن أن يترجم كله بغيرها ، وقد انعقد على ذلك اجماع الأئمة فلم يخالفهم فيه مخالف . وما روي عن الامام أبي حنيفة لا ينطبق عليه شيء مما يريده الدعاة الى ترجمة القرآن باللغات الاعجمية ، فما قاله أبو حنيفة في واد وما يدعون اليه في واد آخر . وسيبوء بالخيبة والفشل اولئك الذين يريدون أن يكون لمسلمي الترك قرآن تركي ولمسلمي لندن قرآن انكليزي ولمسلمي قبرص قرآن يوناني . فالقرآن كما انزله الله سيبقى الى يوم الحشر

كتاب العالم الاسلامي كله : جامعاً لعلومهم وآدابهم ، وموحداً بين افرادهم وجماعاتهم .

هذا وغيره من الحقائق هو مادار عليه بحث الاستاذ العلامة الجليل الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الازهر سابقاً في مقالات أربع نشرها منذ بضعة أشهر في جريدة المقطم ثم جمعت الآن في رسالة مستقلة تعميما لنفعها وتقريباً لها من طالبها . جزاه الله خيراً

﴿ انتقاد المغنى ـ وبيان أن لا غناء عن الحفظ والكتاب ﴾

مطبعة الترقى بدمشق ، المكتبة السلفية بالقاهرة * ٥٦ ص : ثمنه ٣ قروش

أشرنا في سنة الزهراء الماضية (ص ٥٦) الى كتاب (المغني عن الحفظ والكتاب) لعمر بن بدر الموصلي (٥٥٧ — ٦٢٣) الذي أورد فيه أبوابا نص العلماء على أنه لم يصح فيها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي لم يرد فيها حديث بمرتبة الصحيح . ومن العلماء الذين نقل المؤلف أقوالهم : البخاري والترمذي وأحمد والدارقطني والحاكم وأبو حاتم الرازي وأبو جعفر العقيلي واسحاق الحنظلي وابن الجوزي وابن مردويه . ويقول المؤلف في مقدمة كتابه انه ألفه لوجوه : أحدها المبالغة في إيصال العلم الى المتعلمين ، الثاني أن في الناس من لا يتفرّغ للعلم ودراسته كالامراء والوزراء والقضاة وأرباب الحرف ، والثالث أن الانسان اذا وجد حلاوة القليل دعاه الى الكثير . وقد عنيت (جمعية نشر الكتب العربية) بهذا الكتاب فوضع له أحد أعضائها وهو الاستاذ العلامة الجليل السيد محمد الخضر بن الحسين التونسي مقدمة في وضع الحديث وأسبابه وأحواله ، وأشار الى اصطلاح المؤلف فى الكتاب . وعلق على المواضع التى تحتاج الى تفصيل أو زيادة بيان

وقد جاءتنا الآن رسالة بعنوان (انتقاد المغنى) اقتطفها الشاب النشيط

السيد حسام الدين القدسي من كتاب (التنكيت والافادة ، في تخريج أحاديث خاتمة سفر السعادة) لابن همّات الدمشقي (١٠٩١ — ١١٧٥) وفيه كلام على أحاديث اقتفى الفيروز أبادي فيها أثر صاحب المغنى . وان ماجاء في التنكيت حسن مفيد ، ونظن أن جمعية نشر الكتب العربية لو اطلعت عليه قبل طبع المغنى لضمته اليه كما فعلت في التعليق على مواضع من الكتاب . وفي رأيي أن ماجاء في كتاب ابن همّات لايعد رداً على المغنى ، لأن قول ابن بدر «لم يصح في هذا الباب شيء» لايمنع عنده أن يكون فى ذلك الباب أحاديث غير موضوعة . ثم انه اذا نقل صاحب المغني عن الترمذي أو أحمد او أبي حاتم في باب من الابواب انه لم يصح فيه شيء فالرد على صاحب المغنى لا يكون الا باثبات أن الترمذي أو احمد أو أبا حاتم لم يقولوا ذلك ، أو قالوه بصيغة أخرى ، أو أن ماقاله غيرهم خلافا لذلك أرجح من قولهم وأصح . وما جاء في انتقاد المغني ليس فيه شيء من ذلك قط فهو اذن ليس انتقاداً على المغنى بل لو ضم الى المغنى لزاده فائدة كما تقدم

أما دعوى الناشر في عنوان رسالته أنه « لاغناء عن الحفظ والكتاب » فصحيحة اذا أراد بها المنقطعين لعلم السنة ، ومؤلف المغني لم يؤلفه لهؤلاء بل للذين لايتفرغون لدراسة السنة من الامراء والوزراء . وكنا نود للناشر وهو في مقتبل التحصيل لعلم السنة أن يخفف من حماسته فيما بدر منه بحق ابى حفص عمر بن بدر وغيره من الاموات والاحياء ، فان الاخلاق المأثورة في السنة أرحب من ذلك وأسمى

أقول قولي هذا وأنا لست من المشتغلين بهذا العلم فأترك الكلمة فيه للاستاذ العلامة السيد محمد الخضر اذا شاء

﴿ قادة الفكر ﴾

مطبعة الهلال ، المكتبة السلفية * ١٣٢ ص : ثمنه ١٠ قروش

(قادة الفكر) عنوان لفصول كان الدكتور طه حسين نشرها في مجلة الهلال الغراء وقال في مقدمتها انه عرض فيها لا لتاريخ أشخاص بعينهم ، بل لتاريخ العقل الانساني وما اعترضه من ضروب التطور والوان الاستحالة والرقي حتى انتهى الى حيث هو الآن . وقد تكلم في هذه الفصول على هوميروس وسقراط وأفلاطون وأرسطو والاسكندر ويوليوس قيصر . ثم استعفى القاريء من أن يتحدث اليه عن المسيح لان المسيح ليس في حاجة الى أن تدرس شخصيته وآثاره وقيادته للفكر في فصل موجز أو كتاب مجمل . الى أن قال : « وبينما كان المسيح يسود في اوربا ويبسط لواءه على هؤلاء الوثنيين قليلا قليلا كانت حركة أخرى تحدث في آسيا ، في هذه الصحراء العربية التي لم يكد يظلها القرن السابع للمسيح حتى كانت كلها مضطربة بظهور الاسلام . ولم يكد ينتصف عليها هذا القرن حتى كانت قد قذفت بأهلها في أقطار الارض المجاورة ، فاذا هم يفتحون ويمعنون في الفتح وينشرون دينهم الجديد . واذا المسيحية تنقبض أمامهم في الشرق كما ينقبض أمامهم النظام السياسي القيصري أيضاً . ولست في حاجة الى ان أذكر لك أن ظهور الاسلام — مع أنه قد احتفظ للدين بقيادة الفكر الانساني — فقد قسم هذه القيادة بين دينين : فاما أحدهما فاستأثر بها في الشرق وهو الاسلام ، وأما الآخر فاستأثر بها في الغرب وهو المسيحية » وختم الكتاب بفصل عن (العصر الحديث) وقيادة الفلسفة والسياسة في الفكر الانساني

ضاق نطاق هذا العدد عن الكلام على (علل الحديث) لابن أبي حاتم ، و (شرح مجلة الاحكام) لعلي أفندي حيدر تعريب السيد فهمي الحسيني المحامي و (سيرة ابن عبد الكريم) للسيد رشدي ملحس ، و (نهضة اليابان) للفقيد السيد طه الهاشمي وغيرها . وموعدنا الجزء الآتي.

﴿ الحماسيات في النهضة العربية ﴾

مطبعة العرفان ، المكتبة السلفية * ٧٩ ص جابر : ثمنه ٦ قروش

هو الجزء الاول من ديوان نظمه الاستاذ الفاضل الضليع السيد محمد كامل شعيب من مشاهير رجال القريض في جبل عامل ، وقدم له مقدمة في « الشعر والشعراء وتطور الشعر العربي » أطرف بها قراء الزهراء في العام الماضي (ص ٣٢٤) . وفى هـذا الديوان ستة عشر قصيدة عامرة تتدفق فيها آيات الوطنية والمشاعر القوميـة ، وكلها ترمي الى الغاية المنشودة للشرق من الحياة والاستقلال فنرجو له الانتشار.

﴿ الحقوق الوطنية لفرنسيس افندى ميخائيل ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية * ٧١ ص جابر : ثمنها ٣ قروش

تضمنت هذه الرسالة على اختصارها بيانات لاغنى للناشىء عنها في تعرّف النظام الاجتماعي فى هذا الوطن ، وما للفرد فيه من حقوق وما عليه لمواطنيه من واجبات · وفيها مقتطفات عن القوانين والانظمة المصرية ، وتحديد للسلطات الثلاث : التشريعية والقضائية والتنفيذية . وهي نفيسة الطبع حسنة التبويب والترتيب

﴿ رواية باردليان ـ لمشيل زيفاكو ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية * ثلاثة اجزاء : ثمنها ٢٠ قرشا

باردليان عنوان رواية تدور حول الوصف التاريخي لما كانت عليه فرنسا في بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد ، وقد تضمنت حوادث البطولة والمروءات في أجمل عهد من عهود فرنسا ، لذلك اقبل قراء الروايات على طبعتها الاولى اقبالا لم يعهد له نظير . فأعاد معرّبها الكاتب البليغ طانيوس افندي عبده نشرها الآن بواسطة الزميل الفاضل الياس افندي انطون الياس فبرزت بحلة قشيبة وطبع جميل فنافت اليها الانظار



ج ٢ : م ٢ — القاهرة — ١٥ صفر ١٣٤٤

نظرة تاريخية

في حدوث المذاهب وانتشارها

ونريد بها الاربعة : الحنفيّ والمالكيّ والشافعيّ والحنبلي ، المعمول بها عند جمهور المسلمين الى اليوم ، وهي التي كتب لها البقاء والتغلّب على سواها من مذاهب أهل السنّة كمذهب سفيان الثوريّ بالكوفة والحسن البصري بالبصرة والاوزاعيّ بالشام والاندلس وغيرهما وابن جرير الطبريّ وأبي ثور ببغداد وداود الظاهريّ في كثير من البلدان وغير ذلك من مذاهب فقهاء الامصار

وكانت الفتيا قبل حدوث هذه المذاهب تؤخذ في عصر الصحابة عن القراء منهم ، وهم الحاملون لكتاب الله العارفون بدلالاته [1] فلما انقضى عصرهم وخلف من بعدهم التابعون اتبع أهل كلّ مصر فتيا من كان عندهم من الصحابة لا يتعدّونها الا في اليسير مما بلغهم عن غيرهم . فاتبع أهل المدينة في الاكثر فتاوي عبد الله بن عمر ، وأهل الكوفة فتاوي عبد الله بن مسعود ، وأهل مكة فتاوي عبد الله بن عبّاس ، وأهل مصر فتاوي عبد الله بن عمرو ابن العاص [2]

(١) عن ابن خلدون (٢) عن المقريزي والديباج

وأتى بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة ومالك وغيرهما ممن ذكرناهم ومن لم نذكرهم فاتبع أهل كلّ مصر مذهب فقيهه في الاكثر ثم قضت أسباب بانتشار بعض هذه المذاهب في غير أمصارها وبانقراض بعضها ، فلم يطل العمل بمذهب الثوري والبصريّ لقلة اتباعهما وبطل العمل بمذهب الاوزاعيّ بعد القرن الثاني وبمذهب أبي ثور بعد الثالث وابن جرير بعد الرابع [1] كما انقرض غيرها من المذاهب ، الا الظاهريّ فقد طالت مدته وزاحم الاربعة بل جعله المقدسيّ في أحسن التقاسيم رابع المذاهب في زمنه أي في القرن الرابع بدل الحنبليّ وذكر الحنبليّة في أصحاب الحديث وعدّه ابن فرحون في الديباج الخامس من المذاهب المعمول بها في زمنه أي في القرن الثامن ثمّ درس بعد ذلك ولم يبق الاّ الاربعة ومذاهب أخرى خاصةً بطوائف من المسلمين لايعدّها جمهورهم من مذاهب أهل السنّة ولهذا لم نتعرض لذكرها .

وذكر ابن خلدون أنّ الظاهريّ درس بدروس أئمته وانكار الجمهور على منتحله ولم يبق الا في الكتب وربمّا يعكف متكلفو انتحاله عليها لاخذ فقههم منها فلا يحلون بطائل ويصيرون الى انكار الجمهور عليهم ، ولم يبق الا مذهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من الحجاز

﴿ المذهب الحنفي ﴾

هو أقدم الاربعة وصاحبه الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان الكوفيّ رضي الله عنه المولود سنة ٨٠ والمتوفى ببغداد سنة ١٥٠ على الاصحّ . وكان منشأ هذا المذهب بالكوفة موطن الامام ثم انتشر في سائر بلاد العراق ويقال لاصحابه أهل الرأي لأنّ الحديث كان قليلا بالعراق فاستكثروا من القياس

---

(١) من الديباج

ومهروا فيه . ولامامهم مقام في الفقه لايلحق شبه له بذلك أهل جلدته وخصوصاً مالك والشافعي[١]. ويذكر أصحاب طبقات الحنفية أن هذا المذهب شاع في بلاد بعيدة ومدن عديدة ، كنواحي بغداد ومصر والروم وبلخ وبخارى وفرغانة وبلاد فارس وأكثر بلاد الهند والسند وبعض بلاد اليمن وغيرها ، وفي طبقات للحنفية عندنا نرجح انها (المرقاة الوفية للفيروزابادي) أن أصحاب أبي حنيفة الذين دونوا مذهبه أربعون رجلا منهم أبو يوسف وزفر وأن أول من كتب كتبه أسد بن عمرو . وفيها أيضاً أن نوح بن أبي مريم عرف بالجامع لأنه أول من جمع فقه أبي حنيفة في قول ، وقيل لقب بذلك لجمعه بين علوم كثيرة

ثم لما قام هارون الرشيد في الخلافة وولى القضاء أبا يوسف صاحب أبي حنيفة بعد سنة سبعين ومائة أصبحت تولية القضاة بيده فلم يكن يولى ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الى أقصى عمل إفريقية الا من أشار به ، وكان لايولي الا اصحابه والمنتسبين الى مذهبه فاضطرت العامة الى أحكامهم وفتاواهم وفشا المذهب في هذه البلاد فشوا عظيما كما فشا المالكي بالاندلس بسبب تمكن يحيى بن يحيى بن كثير من الحكم المنتصر حتى قال ابن حزم : « مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان : الحنفي بالمشرق ، والمالكي بالاندلس » (٢)

ولم يزل هذا المذهب غالباً على هذه البلاد لايثار الخلفاء العباسيين الحنفية بالقضاء حتى تبدلت الاحوال وزاحمته المذاهب الثلاثة كما سيأتي في الكلام عليها . وبلغ من تمسكهم به في القضاء أن القادر بالله استخلف مرة ابا العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي عن ابي محمد بن الأكفاني الحنفي قاضي بغداد باشارة أبي حامد الاسفرايني فاجيب اليه بغير رضا الاكفاني ، وكتب

(١) من ابن خلدون . (٢) من المقريزي ونفح الطيب وبغية الملتمس

أبو حامد الى السلطان محمود بن سُبكتكين وأهل خراسان : ان الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية . فاشتهر ذلك وصار أهل بغداد حزبين ثارت بينهما الفتن فاضطر الخليفة الى جمع الاشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن أن الاسفرايني أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والامانة وكانت على أصول الدخل والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزي الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بامير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من ايثار الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزي وأعاد الامر الى حقه وأجراه على قديم رسمه وحمل الحنفية على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدم اليهم أن لايلقوا أباحامد ولا يقضوا له حقا ولا يردوا عليه سلاماً وخلع على أبي محمد الاكفاني ، وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ٣٩٣ واتصل ببلاد الشام ومصر [١]

وكان الغالب على إفريقية السنن والآثار الى أن قدم عبدالله بن فرّوخ أبو محمّد الفارسيّ بمذهب أبي حنيفة ثمّ غلب عليها لمّا ولّى قضاءها أسد بن الفرات بن سنان [٢] ثمّ بقي غالباً عليها حتّى حمل المعزّ بن باديس أهلها على مذهب مالك [٣] وهو الغالب الى اليوم على أهلها الا قليلاً منهم يقلّدون المذهب

(١) من المقريزي (٢) من المقريزي . والمراد بافريقية مايشمل طرابلس وتونس والجزائر وجعلها بعضهم أقل من ذلك وتفصيل الخلاف فيها ليس هذا موضعه . ويستفاد من معالم الايمان أن ابن فروخ سمع من الامامين مالك وأبي حنيفة وكان اعتماده على مالك ولكنه كان يميل الى قول أهل العراق اذا ظهر عنده صوابه . وسمع ابن الفرات من مالك وأصحاب أبي حنيفة ونشر مذهب أهل العراق بافريقية لسبب ترك صاحب المعالم ذكره وذكر ابن خلدون أنه كتب عن أصحاب أبي حنيفة أولا ثم انتقل الى مذهب مالك .

(٣) من الكامل لابن الاثير وكانت ولاية المعز سنة ٤٠٧ وتوفى سنة ٤٥٣ .

الحنفيّ . وفي الديباج لابن فرحون أنّ الحنفيّ ظهر ظهوراً كثيراً بافريقية الى قريب سنة ٤٠٠ فانقطع ودخل منه شيء ماوراءها من المغرب قديماً بالأندلس ومدينة فاس . وفي أحسن التقاسيم المقدسيّ أنّ أكثر أهل صقليّة حنفيّون وذكر أيضاً أنّه سأل بعض أهل المغرب « كيف وقع مذهب أبي حنيفة رحمه الله اليكم ولم يكن على سابلتكم قالوا : لمّا قدم وهب بن وهب من عند مالك رحمه الله وقد حاز من الفقه والعلوم ماحاز استنكف أسد بن عبدالله أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه فرحل الى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلا فلمّا طال مقامه عنده قال له ارجع الى ابن وهب فقد أودعته علمي وكفيتكم به الرحلة فصعب ذلك على أسد وسأل هل يعرف لمالك نظير فقالوا فتىً بالكوفة يقال له محمّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . قالوا فرحل اليه وأقبل عليه محمّد اقبالاً لم يقبله على أحد ورأى فهماً وحرصاً فزقّه الفقه زقّاً . فلمّا علم أنّه قد استقلّ وبلغ مراده فيه سيّبه الى المغرب فلمّا دخلها اختلف اليه الفتيان ورأوا فروعاً حيّرتهم ودقائق أعجبتهم ومسائل ماطنّت على أذن ابن وهب وتخرّج به خلق وفشا مذهب أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب . قلت فلِمَ لم يفش بالأندلس ؟ قالوا لم يكن بالأندلس أقلّ منه هاهنا ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدي السلطان فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة؟ قالوا من الكوفة . فقال ومالك ؟ قالوا من المدينة قال عالم دار الهجرة يكفينا .فأمر باخراج أصحاب أبي حنيفة وقال لاأحبّ أن يكون في عملي مذهبان . وسمعت هذه الحكاية من عدّة من مشايخ الأندلس » انتهى . قلنا وفي هذه القصّة ما لا يخلو من نظر فانّ وهب بن وهب هذا لانعلم أحداً ذكره فيمن أخذ عن الامام مالك وانّما الآخذ عنه عبدالله بن وهب وهو لم يرحل الى المغرب بل كان بمصر ومات بها . وأمّا أسد بن عبدالله فصوابه على مايظهر أبو عبدالله ويكون المراد به أبا عبدالله أسد بن الفرات فهو الذي لقي محمّد بن

الحسن وتفقه بأصحاب الامام أبي حنيفة ونشر مذهبه بافريقية وذلك بعد أن رحل الى الامام مالك وأخذ عنه ولم يصادفه عليلاً فأحاله على ابن وهب كما ذكروا بل قال له لما استزاده بعد فراغه من السماع منه : حسبك ماللناس . أو: حسبك يامغربيّ ان أحببت الرأي فعليك بالعراق.

وكان أهل مصر لايعرفون هذا المذهب حتّى ولّى قضاءها اسماعيل بن اليسع الكوفيّ من قبل المهديّ سنة ١٦٤ وهو أوّل قاضٍ حنفيّ بمصر وأوّل من أدخل اليها مذهب أبي حنيفة وكان من خير القضاة الاّ أنه كان يذهب الى إبطال الأحباس فثقل أمره على أهل مصر وقالوا أحدث لنا أحكاماً لانعرفها ببلدنا فعزله المهديّ [1] . ثم فشا فيها بعد ذلك مدة تمكن العباسيّين الاّ أن القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفيّة بل كان يتولاه الحنفيّون تارة والمالكيّون أو الشافعيّون أخرى [2] الى أن استولى عليها الفاطميّون فأظهروا مذهب الشيعة الاسماعيليّة وولوا القضاة منهم فقوي هذا المذهب بالدولة وعمل بأحكامه الا أنه لم يقض على المذاهب السنيّة في العبادات لأنهم كانوا يبيحون للرعية التعبّد بمايشاءون من المذاهب . قال في صبح الأعشى إنهم كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ولا يمنعون من اقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد [3] على مخالفة معتقدهم في ذلك ومذاهب مالك والشافعيّ وأحمد ظاهرة الشعار في مملكتهم بخلاف مذهب أبي حنيفة ، ويراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه انتهى . قلنا بل قد أقام وزيرهم أبو عليّ احمد بن الأفضل بن أمير الجيوش

(١) عن « طبقات الحنفية » المتقدم ذكرها و« رفع الاصر »للحافظ ابن حجر و« قضاة مصر » لعلي بن عبد القادر الطوخي . (٢) عن المقريزي .

(٣) وقع ان بعض خلفائهم كانوا يمنعون الناس من صلاة التراويح وعاقب احدهم شخصا وجد عنده الموطأ . فمراد القلقشندي ما كان متبعا عندهم في الغالب

قضاة من المالكية والشافعية لمّا حجر على الخليفة الحافظ لدين الله وسجنه فانّه اعلن بمذهب الامامية وأقام أربعة قضاة : اثنان شيعيّان أحدهما إماميّ والآخر اسماعيليّ ، واثنان سنيّان أحدهما مالكي والآخر شافعيّ ، فكان كلّ قاض منهم يحكم بمذهبه ويورّث بمقتضاه . فلمّا قتل أبوعليّ عاد الأمر الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية [١] ، ويظهر لنا أن غضّ الفاطميين من المذهب الحنفي لم يكن الا لأنه مذهب الدولة العباسيّة المناوئة لهم في المشرق .

ثم لما قامت الدولة الأيوبية بمصر وكان سلاطينها شافعية قضوا على التشيّع فيها وأنشأوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية وكان نور الدين الشهيد حنفياً فنشر مذهبه ببلاد الشام ومنها كثرت الحنفية بمصر ، وقدم اليها أيضاً عدّة من بلاد المشرق فبنى لهم صلاح الدين الأيوبيّ المدرسة السيوفية بالقاهرة ، ومازال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ ، ولكن لم يبلغ المذهب مبلغه في القوة والكثرة بمصر إلا في آخر هذه الدولة [٢] وأول من رتّب دروساً أربعة للمذاهب الأربعة في مدرسة واحدة الصالح نجم الدين ايوّب في مدرسته الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١ [٣] ثم كثر هذا النوع من المدارس في الدولتين التركية والجركسية وحدث في الأولى جعل القضاة أربعة فعاد الحنفية الى القضاء بعد انقطاعه عنهم مدة الفاطميين والاقتصار مدة الأيوبيين على نوّاب منهم ومن المالكية والحنابلة عن القاضي الشافعي . ثم لما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء في الحنفية وأصبح الحنفي مذهب أمراء الدولة وخاصتها ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولّي القضاء ، الا انّه لم ينتشر بين أهل الريف والصعيد [٤] انتشاره في المدن ولم يزل كذلك الى اليوم .

---

(١) عن المقريزي وغيره (٢) عن المقريزى (٣) عن المقريزي وتحفة الاحباب للسخاوي (٤) كانوا قديماً يعبرون بالريف عن الوجه البحرى وبالصعيد عن الوجه القبلي فجاريناهم في ذلك .

أما بدء دخوله في سائر البلاد الاسلامية فيعسر تعيينه لكل بلد وغاية ماوقفنا عليه من انتشاره في القرن الرابع ماذكره المقدسي في أحسن التقاسيم في كلامه على كل اقليم ومنه يعلم انه كان الغالب على اهل صنعاء وصعدة باليمن والغالب على فقهاء العراق وقضاته وكان منتشراً بالشام تكاد لاتخلو فيها قصبة او بلد من حنفي وربما كان القضاة منهم، الا ان اكثر العمل فيها كان على مذهب الفاطمي في زمنه اي كما كان بمصر . وكان في اقليم الشرق اي خراسان وسجستان وما وراء النهر وغيرها إلا في بلاد منها ذكرها كان اهلها شافعية . وكان اهل جرجان وبعض طبرستان من اقليم الديلم حنفية . وكان غالبا على اهل دبيل من أقليم الرحاب الذي منه الران وارمينية واذربيجان وتبريز وموجودا في بعض مدنه بلا غلبة . وكان غالباً على أهل الري من إقليم الجبال وكثيرا في اقليم خوزستان المسمى قديما بالاهواز [1] وكان لهم به فقهاء وأئمة وكبراء . وكان باقليم فارس كثير من الحنفية الا ان الغلبة كانت في السنيين للظاهرية وكان القضاء فيهم . وكانت قصبات السند لاتخلو من فقهاء حنفية .

وفي معجم البلدان لياقوت ان أهل الري كانوا ثلاث طوائف : شافعية وهم الاقل وحنفية وهم الاكثر وشيعة وهم السواد الاعظم ثم فني أهل المذهبين وغلب الشافعية على ماسيأتي . وذكر أيضا أن أهل سجستان كانوا حنفية . وذكر ابن تغري بردي في المنهل الصافي أن ملوك بنجالة بالهند كانوا جميعاً حنفية . وسنذكر في الخاتمة مبلغ انتشار هذا المذهب اليوم في البلاد .

* * *

ويتبع الحنفية فى العقائد مذهب الامام أبي منصور محمد الماتريدي

---

(١) هو المسمى الآن بالمحمرة .

الحنفي وليس بين أصحابه وأصحاب الامام الاشعري خلاف الا في بضع عشرة مسألة . ومنهم أشعرية ولكن على قلة حتى قيل: من المستظرف أن يكون حنفي أشعرياً (١) . والذي في طبقات السبكي أن الحنفية أكثرهم أشاعرة أعني يعتقدون عقيدة الاشعري لايخرج منهم الا من لحق بالمعتزلة وذكر أنه تأمل عقيدة الطحاوي التي زعم انها ما كان عليه الامام أبو حنيفة وصاحباه فلم يجد فيها الا ثلاث مسائل خالف فيها الاشعرية ثم تصفح كتب الحنفية فوجد المسائل التى يخالفون فيها الاشعرية في العقائد ثلاث عشرة مسألة منها ست معنوية والباقي لفظي . قلنا وكأنه يريد ان خلافهم في هذه المسائل لايخرجهم عن كونهم اشعرية وإن تسموا بالماتريدية لتصريحه بعد ذلك بانها كالمسائل التي اختلف فيها الاشاعرة فيما بينهم ولأن المسائل الثلاث عشرة لم تثبت جميعها عن الشيخ ولا عن الامام ابي حنيفة .

﴿ المذهب المالكى ﴾

نسبة الى الامام مالك بن انس الاصبحي رضي الله عنه المولود سنة ٩٣ على الاشهر والمتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ على الصحيح وهو ثانى الاربعة في القدم ويقال لاصحابه أهل الحديث واختص امامه بمدرك آخر للاحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل أهل المدينة (٢) .

نشأ بالمدينة موطن الامام ثم انتشر في الحجاز وغلب عليه وعلى البصرة ومصر وما والاها من بلاد إفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى الى بلاد من أسلم من السودان . وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع وضعف بالبصرة بعد الخامس وغلب في خراسان على قزوين

(١) عن الكامل لابن الاثير والفوائد البهية . (٢) عن ابن خلدون .

وأبهر وظهر بنيسابور أولا وكان له بها وبغيرها أئمة ومدرسون . وكان ببلاد فارس وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام [(١)] وكان خمل بالمدينة فلما تولى قضاءها ابن فرحون سنة ٧٩٣ أظهره بعد خموله[(٢)]

وأول من قدم به الى مصر على ما فى خطط المقريزى عبدالرحيم بن خالد ابن يزيد بن يحيى مولى جمح ثم نشره بها عبد الرحمن بن القاسم فاشتهر بها أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر أصحاب مالك بها ولم يكن مذهب أبي حنيفة يعرف بمصر ، ويوافقه ما في الاوائل للسيوطي ولكنه ذكر في حسن المحاضرة نقلا عن الديباج أنه عثمان بن الحكم الجذامي ، وعبارة الديباج « مشهور من أصحاب مالك المصريين وهو أول من أدخل علم مالك بمصر ، ولم تنبت مصر أنبل منه » الى أن قال وتوفي سنة ١٦٣ ، وكلا القولين صحيح ففي ترجمة عثمان الجذامي من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ما نصه « وقال ابن وهب : أول من قدم مصر بمسائل مالك عثمان بن الحكم وعبد الرحيم ابن خالد بن يزيد » انتهى فالظاهر أنهما بعد أن أتما الاخذ عن الامام عادا معا الى مصر ونشرا بها علمه

وفي خطط المقريزي أن هذا المذهب ما زال معمولا به بمصر مع الشافعي ويولى القضاء من يذهب اليهما أو الى مذهب أبي حنيفة الى أن قدم القائد جوهر فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ما خالفه . قلنا ثم عاد الى الانتعاش في الدولة الايوبية وبنيت لفقهائه المدارس ثم عمل به فى القضاء استقلالا لما أحدث الظاهر بيبرس في الدولة التركية البحرية القضاة الاربعة وصار قاضيه الثاني في المرتبة بعد الشافعي وكان القضاء في الايوبية للشافعية ولقاضيهم نواب من المذاهب الثلاثة . ولم يزل منتشراً

(١) عن الديباج .(٢) من نيل الابتهاج

بمصر الى الآن معادلا الشافعي، وأكثر انتشاره فى الصعيد

وكان الغالب على أهل افريقية السنن ثم غلب الحنفي كما تقدم فلما تولى عليها المعز بن باديس سنة ٤٠٧ حمل أهلها وأهل ما ولاها من بلاد المغرب على المذهب المالكى وحسم مادة الخلاف فى المذاهب(١) فاستمرت له الغلبة عليها وعلى سائر بلاد المغرب وفي ذلك يقول مالك بن المرحل المالكى شاعر المغرب:

مذهبي تقبيل خدّ مُذْهَب سيّدي ماذا ترى في مذهبي
لاتخالف مالكاً في رأيه فعليه جلّ أهل المغرب (٢)

وهو الغالب على هـذه البلاد الى اليوم . وذكر الفاسي في العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين أن المغاربة كلهم مالكية إلا النادر ومنهم من ينتحلون الأثر .

وكان الغالب على أهل الأندلس مذهب الأوزاعي وأول من أدخله بها صعصعة بن سلام لما انتقل اليها وبقي بها الى زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن(٣) . ثم انقطع مذهب الاوزاعيّ منها بعد المائتين وغلب المالكيّ(٤) . وفي نيل الابتهاج أن أهل الاندلس التزموا مذهب الاوزاعي حتى قدم عليهم الطبقة الاولى ممن لقى الامام مالكا كزياد بن عبد الرحمن والغازي بن قيس وقرعوس ونحوهم فنشروا مذهبه وأخذ الأمير هشام الناس به فالتزموه وحملوا عليه بالسيف إلا من لايؤبه له

وفي بغية الملتمس للضبي أن هـذا المذهب انتشر بالاندلس بيحي بن يحي بن كثير وتفقه به جماعة لا يحصون وتوفى سنة ٢٣٤ وقيل ٢٣٣ . وفي خطط المقريزي والديباج لابن فرحون أن أول من أدخله بالاندلس زياد بن

(١) من ابن الاثير وابن خلكان ومواسم الادب . (٢) من كناش ابن مفلح .
(٣) من بغية الملتمس (٤) من الديباج

عبد الرحمن القرطبي الملقب بشبطون قبل يحيى بن يحيى وكانت وفاة زياد سنة ثلاث وقيل أربع وقيل تسع وتسعين ومائة [١] . وفي نفح الطيب تفصيل لذلك ملخصه أن جماعة من أمثال شبطون كقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم رحلوا الى الحج في زمن هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ماعظم به صيته بالاندلس فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان رائد الجماعة شبطون وهو أول من أدخل الموطأ الى الاندلس مكملا متقناً ، فاخذه عنه يحيى بن يحيى ، ثم أشار على يحيى بالرحيل الى مالك فرحل وأخذ عنه فكان انتشار المذهب به وبزياد وبعيسى بن دينار . وقال في موضع آخر : ان سبب حمل ملك الاندلس الناس على هذا المذهب في بعض الاقوال أن الامام مالكا سأل عن سيرته بعض الاندلسيين فذكروا له عنها ما أعجبه فقال نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم أو كلاماً هذا معناه وذلك لان سيرة بني العباس لم تكن مرضية عنده ولقي منهم مالقي مماهو مشهور فلما بلغ قوله ملك الاندلس مع ماعلم من جلالة مالك ودينه حمل الناس على مذهبه وترك مذهب الاوزاعي قلنا وقد ذكر هذا السبب ابن نباتة أيضاً في سرح العيون الا انه جعل ذلك في زمن عبد الرحمن الداخل والذي أجمع عليه المؤرخون أن دخول المذهب كان في زمن ابنه هشام .

ثم زاد انتشار هذا المذهب بالاندلس وبالمغرب بانتقال الفتيا اليه في دولة الحكم بن هشام وكان يحيى بن يحيى بن كثير مكيناً عنده مقبول القول فصار لايولي القضاء الا من أشار به فانتشر به مذهب مالك كما انتشر الحنفي بأبي يوسف في المشرق [٢]

(١) زاد في نفح الطيب وقيل أربع ومائتين (٢) عن المقريزي وبغية الملتمس و نفح الطيب.

وعلل ابن خلدون غلبة هذا المذهب على المغرب والاندلس تعليلا آخر فقال « أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والاندلس وان كان يوجد فى غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الاخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده فرجع اليه أهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته ، وأيضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التى لاهل العراق فكانوا الى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضاً عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب » انتهى ، قلنا وتقدم في الكلام على الحنفي شيء عن سبب انقطاعه بالاندلس وغلبة المالكي فيما رواه المقدسي .

ولما قامت دولة بنى تاشفين بالمغرب الأقصى في القرن الخامس واستولوا على الأندلس وتولى ثانيهم أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين اشتد ايثاره لأهل الفقه والدين فكان لايقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء وألزم القضاة بأن لايبتوا حكومة في صغير الأمور وكبيرها الا بمحضر أربعة من الفقهاء فعظم أمر الفقهاء ولم يكن يقرب منه ويحظى عنده إلا من علم مذهب مالك فنفقت في زمنه كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ماسواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد يعتني بهما كل الاعتناء [1] ثم لما دالت دولتهم واستولى الموحدون على مملكتهم في أوائل القرن السادس سلك خليفتهم عبدالمؤمن بن علي هذا

(١) من المعجب للمراكشي

المسلك فجمع الناس بالمغرب على مذهب مالك في الفروع ومذهب أبي الحسن الاشعري في الاصول [1] وكان مقصده في الباطن هو وابنه يوسف محو المذهب المالكيّ وحمل الناس على العمل بظاهر القرآن والحديث ولكنهما لم يتمكنا من ذلك [2] فلما تولى حفيده يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن تظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك فعظم أمر الظاهرية في أيامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية نسبة لابن حزم رئيسهم الا أنهم كانوا مغمورين بالمالكية فظهروا وانتشروا في أيام يعقوب ثم في آخر أيامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال اليهم [3]. قال المراكشي في المعجب وفي أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر باحراق كتب المذهب بعد أن يجرد مافيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدوّنة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره والتهذيب للبراذعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ولقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالأحمال فتوضع وتطلق فيها النار ثم أمر بجمع أحاديث من الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داوود والنسأيّ والبزار والدارقطني والبيهقي ومسندابن أبي شيبة في الصلاة ومايتعلق بها فكان يملي هذا المجموع بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه ويجعل لمن يحفظه الجعل السني من الكسى والاموال . انتهى ملخصاً

وكان في القرن الرابع بالعراق والاهواز ومنتشراً بمصر وبلاد المغرب وغالباً على الاندلس على ماذكره المقدسي في أحسن التقاسيم .

ويتبع المالكية في الاصول عقيدة أبي الحسن الاشعري بحيث لايرى مالكي الا أشعريا كما في الطبقات ومعيد النعم للتاج السبكي

البقية في الجزء الآتي

احمد تيمور

(١) عن كامل ابن الاثير (٢) عن المعجب للمراكشي (٣) عن كامل ابن الاثير

كلمة عظيمة لفولتير

عن محمد (صلى الله عليه وسلم)

لايخفى أن بعض النشء الجديد لايعتقدون بشيء ، ولا يحفلون بأمر ، ما لم ترو لهم فيه كلاماً عن فيلسوف اوروبي عظيم لاسيما اذا كان من كبار الملاحدة

ولهذا نريد ان ننقل لهم حكم رأس الملاحدة في كل أوروبة ، والعامل الاعظم في احداث الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ ، على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم

نشر أحد مراسلي جريدة الطان وهو المسيو لقال Leval كتابا في العدد المؤرخ في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٢٤ من هذه الجريدة يذكر فيه أنه اطلع في ڤينا على مذكرات غير مطبوعة للكونت شارل زينزندورف Zinzendorf محفوظة في دار الآثار الوطنية بالنمسا فيها قصة زيارات هذا الكونت لكل من جان جاك روسو وڤولتير في شهري سبتمبر واكتوبر من أشهر سنة ١٧٦٤ ، وكان الكونت زينزندورف ـ وبالالمانى تلفظ تسينسندورف — يومئذ في سن الخامسة والعشرين يطوف باحثاً منقبا في الاقطار ، وهو الذي صار فيما بعد من كبار ساسة النمسا ، وله كلام في مذكراته على نابليون بونابارت اثناء غارته على النمسا سنة ١٨٠٥ و١٨٠٩

وقد اختصر « لقال » ـ مراسل الطان ـ هذه المذكرات وأخذ أهم ما فيها ونشره في الطان . وأنا آخذ أهم ما في الاهم واختصر المختصر :

في ٧ سبتمبر — سافرت من نيوشاتل (سويسرة) في عربة على طريق معبد محاذٍ لبحيرة نيوشاتل ومررت بكروم وحراج ومناظر جميلة ودخلت في

مضيق منحوت في الصخر عن جانبه من الجهة الاخرى هاوية عميقة يمر بها نهر الرواس Reuss (١)

وصلت الى قرية موتيه Motiers فلقيت المسيو روسو Rousseau فيها ومعه الآنسة لوفاسور Le Vasseur ، فاعتذر بمقابلتي بالقفطان ، وسألني هل أريد أن أبقى هناك بعض ساعات ، ودعاني للغداء ، وصب لي الشاي بيده ، واستعلم مني عن رجل اسمه سوترن Sauttern وسألني عما اذا كنت من أنسباء الكونت

---

(١) في اللغة العربية لا يوجد اشارات للفرق بين حروف u eu ou o من الاحرف الافرنجية وكلها نضع له حرف الواو لا غير مع ان اللفظ بين الكلمات التي فيها كل من هذه الحروف مختلف عن الآخر فالكلمة التي نحن بصددها هي Reuss نضطر ان نكتبها كما نكتب « الروس » اي المسكوب وهي Russe او كلمة شقراء مؤنث اشقر وهي Rousse او كلمة كديش وهي Rosse فعندنا لفظ كل هذه الكلمات واحد وهو « روس » بالواو مع ان اسم هذا النهر Reuss هو بالواو مائلة الى الالف وهو ما يلفظ بحرفي eu ولفظة شقراء Rousse هي بالواو العربية المضيقة كما تلفظ عود وغول وهو ما يلفظ بحرفي ou ولفظة Russe اي روسي مسكوبي هي بالحرف u الذي لا يوجد عندنا ما يقابله وهو اشبه بواو مشربة بياء . ولفظة Rosse اي كديش هي بالواو المجردة مع التفخيم وفتح الحلق وهو ما يلفظ بحرف o لهذا رأيت تلافيا لهذا المشكل المهم ان اضع محل حرف o الواو المجردة فاذا قلنا Octobre كتبناها بالعربي اوكطوبر بواو بسيطة ليس عليها اشارة واذا جاءتنا كلمة افرنجية فيها حرفا ou مثل Louvre اي قصر اللوفر بباريز او Rouble روبل هذا النقد المعروف كتبناها بالواو ولكن وضعنا فوق الواو واواً صغيرة لتشعر بالفرق بينها وبين واو اوكطوبر او واو Orléan اورليان مثلا . واذا اردنا ان نعرب كلمة Russe مسكوبي وضعنا فوق الواو ياء صغيرة هكذا روسي وذلك لان واوها هنا مختلفة في اللفظ عن واو اوكطوبر واورليان وكذلك عن واو لوفر وروبل ومثل كلمة Russe اسم جول Jules فهذه يجب ان نكتبها هكذا « جول » لانها واو مشوبة بياء وهلم جرا . واذا اردنا تعريب Reuss او Meuse كتبنا هكذا « رواس » و « موآز » بالف صغيرة فوق الواو لانها واو مائلة الى الالف وبدون هذه الاشارات يبقى التعريب ناقصا جداً وهو شين لا حق بالعربية . وساكتب مقالة في تعريب هذه الحروف (ش)

تسينسندورف المشهور [1] فاجبته نعم وحكيت له عن المورافيين بصورة مجملة ...مر منها واعترف بأنه مخطىء في ظنه أنهم كانوا مجانين . وتكلمنا عن « هيولويز الجديدة Nouvelle Héloïse [2] فقال لى : انها تاريخه ، ثم عن البرنس لويس اوجين دو ڤورتمبرغ Vourtemperg الذى كانت بينه وبين روسو مراسلات ، ثم عن رجال آخرين من جملتهم ڤولتير ، وشكا منه كثيراً كثيراً وقال انه كان السبب في نفيه وصرح لى بأنه يكرهه . وحكيت له قصتى فوافق على كون الديانة الكاثوليكية أشد مطابقة لنفسها [3] ومما قاله لى انه يشعر بحاجة الى الحب ، ويظن أن هذه الحاجة ناشئة عن تركيب الحواس، وأنه بسبب كونه يدعو الناس أن يعيشوا سعداء بقدر ما يمكنهم أن يكونوا سعداء، صاروا يبغضونه ويقابلونه على حبه لاخوته في الانسانية بهذا الشنآن . وتكلمنا على الحالة المالية بفرانسة فقال لى ان هذه الحالة السيئة ستبقى كما هى وستؤول الى سقوط الحكومة (بعد ٢٥ سنة من هذا التاريخ كانت الثورة الفرنسوية وسقطت الحكومة الملكية) وقال ان الاغنياء لا يريدون قسمة المشاعات .

وبينما أنا عنده قدم اليه ضابط افرنسي من « بزانسون » وبجله وقرظه كثيرا قائلا له ان أخلاقه صلحت بمطالعة كتبه . فأجابه روسو بأن القراءة لا تنفع كثيراً الا على شرط الاعتدال وحسن الاختيار . وترجانى كثيرا أن لا أخوض معه في حديث ڤولتير وقال لى ان ڤولتير يتحمل كل شيء الا امراً واحداً وهو الاعتقاد بالله (جل شأنه)

في ٨ سبتمبر — دخلت الى بيت المسيو « مونسمولين » قسيس القرية

(١) هو الكونت نيقولا لويس تسينسندورف ولد سنة ١٧٠٠ و مات سنة ١٧٦٠ وكان مجدد كنيسة الاخوان المورافيين وهو عم صاحب المذكرات (٢) كتاب من القصص الموضوع لروسو هو من أشهر كتبه (٣) كان الكونت شارل تسينسندورف تحول من البروتستانتية الى الكاثوليكية في ١٤ مارس سنة ١٧٦٤

فقص لى كثيراً عن روسو وقال لى ان الملك لويس الخامس عشر أحب أن يراه وانه هو أبى أن يذهب اليه وأنه لما كان « ميلورماريشال » حاكم لوزان قد آوى روسو في بلده وكان هـذا الحاكم كتب الى الملك يستأذنه في هـذا الأمر ورد اليه الجواب من الملك قائلاً انه يجب أن يجرى عليه الرزق الذي يريده وأن يبني له صومعة للاعتزال في أي مكان أراد من البرية وان شاء الذهاب الى برلين فليس عليه أدنى حرج . ومما أخبرنى به أن كل دخل روسو السنوي لاتزيد على بعض مئات من الجنيهات (واليوم من ليسوا أهلاً أن يكونوا تلامذة في الانشاء لروسو يدخل للواحد منهم من شق قلمه كل سنة عشرات ألوف من الجنيهات) وأن « موتييه » قد صارت ذات اسم بسكنى روسو بها منذ سنتين .

ومما أتذكره من كلمات روسو أنه وصف بطرس الاكبر قيصر الروسية فقال : انه لمع قليلا بربرية شعبه ، وأنه مقلد عظيم . ولما جاء ذكر كاترينا قال كان يجب أن يربى الغراندوق (ابنها) عند التتار ، ثم يأتى فيفتح أوربة ويضرب عليها الذلة ، لأنها لاتنتظر فاتحاً الا من تلك الناحية . وقال روسو : انه يوقر كثيراً الملك ستانيسلاس (١) . وجرى بينهما مناقشة أدبية مرة اعترف الملك فيها أنه كان مخطئاً . وذكر لى روسو الفرق بين الحكم الاريستوقراطى والدولة الاريستوقراطية ، فقال لى : ان الحكم الاريستوقراطى جار في جنيف حيث الشعب ليس له سلطان لكنه ينتخب السلطان ، أما الدولة الاريستوقراطية فان الشعب ليس له فيها سلطان ولا ينتخب السلطان .

فى ٣ اكتوبر — فرناي Ferney (مقرفولتير) . أرسلت بالمكتوب الذي معى من البرنس لويس ، فاذا بالمسيو ڤولتير دخل الى قاعة الاستقبال

(١) ستانيسلاس ليكزنسكي ملك بولونيا

في الحال وسألني : من هو أمير ورتنبرغ ? وبعد أن شرحت له شيئاً عن نسبتي سألني عما اذا كنت من ذوي قربى خايمة المسيح (يشير على وجه المزاح الى عم تسينسندورف السابق الذكر) . ثم شدد الوقيعة فيما هي عليه حكومة فينا من التضييق في أمر الكتب ومطالعتها . وأطال الكلام على قيصرة الروسية زاعماً أن هذه الاميرة مضطرة ان تكون مذنبة .... ولما عرف ما هي دياتني قال لي متهكماً : ان شهود القداس فيه لذة عظيمة واني اقدر ان احضر قداسات جميلة في ايطالية . وتنزهت واياه قليلا في حديقته ونظرنا منها مناسف الثلج الممتدة طويلا . ومحله جميل في البرية تحف به اشجار كثيرة ومياه جارية . وبعد أن تحدث معي ساعة دخل الى غرفته وترك عندي ابنة اخيه العقيلة دنيس Mme Denis والعقيلة دوپوي Dupuits ابنة اخي كورنايل (الشاعر المشهور وكان ڤولتير ربى هذه الفتاة عنده) فقالت لي مادام دنيس : ان روسو آثم في ظنه ان ڤولتير عدوه . ثم حضر ڤولتير وتكلم عن ماري تيريز (امرأة لويس الرابع عشر) وزعم انه بكى من اجلها مرتين مظهراً انه رقيق القلب . وقال لي انه معجب بي كيف عملت حتى صرت اتكلم بالفرنساوي احسن مما يتكلمون في ڤرساي بينما هو يمثل باللغة الالمانية تمثيلاً . ثم تكلم عن ليوتارد (صاحب سويسري لڤولتير) وقال ان امرأة ليوتارد تتقاضاه قص لحيته اذ تجدها طويلة . ثم ذكر لي كيف جرى زواج مادام دوپوي . واجرى ذكر لوثير وكلڤين فقال لي : انهما لا يستحقان ان يكونا صانعي احذية عند محمد »

انتهى . وقص كلمات اخرى . والشاهد هو في هذه الجملة

ان الاوربيين يقولون لا سيما اهل شمالي اوربة ان سبب رقي هذه القارة وانبثاق فجر الحرية عليها كان ظهور ذينك المصلحين الاعظمين في الدين لوثير

وكالفين . وان ڤولتير هذا الفيلسوف الكاتب الاعظم — ملحداً كان في نفسه ام غير ملحد — لايرى ذينك الرجلين شيئاً بالقياس الى محمد (ص) وعمله في الدنيا ؟

شكيب ارسلان

مرسين ١٦ اغسطس ١٩٢٥

﴿ النقود الاسلامية في شمال أوربا ﴾

قال الاستاذ محمود بك سالم في خطبة له كان ألقاها يوم ١٩ المحرم عام ١٣٢٣ في الجمعية الجغرافية الخديوية :

« روى الدكتور جورج يا كوب أنهم وجدوا عام ١٨٣٦ نقوداً اسلامية في جهة (ميودال) من أعمال (ميرار) في جزيرة (اسلاندة) ، بل وفي غروينلاندة) على مقربة من القطب الشمالى . ولكن لم يظهر حتى الآن كيف نقلت تلك النقود الاسلامية الى المنطقة الجليدية

« ووجدت كنوز عديدة من النقود الاسلامية في كثير من الاقطار الاوروبية الشمالية ، وخاصة في روسيا ، والمانيا ، والسويد . وقد أحصى الاستاذ (تورنبرغ) عام ١٨٥٧ المحلات التي أخرجت منها النقود العربية في بلاد السويد وحدها فبلغ عددها ١٦٩ موضعاً

« وأحصى الدكتور (هانس هيلد براند) عام ١٨٧٣ قطع النقود الفضية العربية التى عثر عليها في جزيرة غوتلاندة وحدها على صغرها فأربى ما أحصاه على ١٣ ألف قطعة

« ووجدوا نقوداً بلغارية وألمانية ونورمندية وانكليزية سكسونية موشاة بخطوط كوفية جميلة »

عين تاب عربية

— شهادة المرحوم منيف باشا —

لما تفاهم الترك والفرنسويون منذ بضع سنين على القواعد التي بنوا عليها اتفاقية أنقرة المعلومة كان من نتيجتها أن الفرنسويين نزلوا لهم عن جانب كبير من بلاد الشام المتاخمة للانضول ، ومن ذلك (عين تاب) المعروفة عند علماء الجغرافية من قبل ياقوت الحموي بأنها من أعمال حلب ، وكانت تسمى دُلوك على ما قال ياقوت في مادة (عين تاب) من معجمه الجغرافي . وفي (قاموس الاعلام) أن مقاطعتها عربية ولكن التركية مقصورة على البلد يتكلمون بها مع العربية

وقد كنت في الامس أطالع في مجلة (خزينهٔ أوراق) التركية التي كانت تصدر في القسطنطينية منذ نحو خمسين سنة [1] وتكتبها الطبقة العليا من وزراء الدولة العثمانية وفحول علمائها وأدبائها فوجدت في صدر العدد السادس من سنتها الاولى رسالة بقلم العلامة منيف باشا وزير المعارف على أثر عودته الى القسطنطينية من زيارة وطنه عين تاب ، وقد ذكر في هذه الرسالة كيف كان يتنازعه الحب بين بلدته التي غذته بنسيمها ومائها ، وبين العاصمة التي ارتقى أوج المعالي تحت سمائها . ومما قاله :

« بريسى دايهٔ وجود ونشأتمدر ، بريسى مايهٔ فيض ورفعتمدر . بريسى عروس عربستاندر ، بريسى مغبوط عموم جهاندر . بريسى منبع علم وكمالدر [2] ، بريسى مركز جاه وجلالدر »

والشاهد في رسالة المرحوم منيف باشا قوله في صفة عين تاب « انها عروس البلاد العربية » . فاذا كان أعظم رجل ظهر من عين تاب في القرن الماضي يقرر هذه الحقيقة في قوميتها — وليس له في تقرير ذلك مصلحة أو مأرب — فمن الواجب على من يحترم الحق أن لا يداجي فيه

(١) تاسست تلك المجلة سنة ١٢٩٧ (٢) يشير الى النوابغ من العلماء الذين انجبتهم مدينة عين تاب كالعلامة العيني شارح صحيح البخاري وغيره

دار ابن لقمان

ولويز التاسع ملك فرنسا

وصفها العلامة الكبير سعادة الاستاذ أحمد باشا تيمور في الجزء الاول من المجلد الثاني « للزهراء » وكان الشاعر قد زارها سنة ١٩٠٩ م . صحبة صديقه الاستاذ القانوني محمود افندي عزمي من كبار رجال الضبط بمصر. وخطاب الشاعر وتقديره في مستهل قصيدته موجه الى سعادة الاستاذ المؤرخ الشهير.

بسَمْتَ ثم بكَيْتَ الذّكر للنّاسِ كما بكَيْتُ قديماً ملْءَ أنفاسي !

فثارَ شعْري باحساسي على قلبي وما بطاقةِ مثلي دفْعُ احساسي

فاصفحْ إذا كنتَ قد وفَيْتَ في عظةٍ درسَ الحكيم ، فقوْلي وصفةُ الآسي

لاخيرَ في الشّعر موقوفاً على طربٍ وعازفاً عن بيانِ الفضل والباس

ولا بشاعرِ قومٍ لا يعلّمهمْ أسْمَى الحياةِ بقلبٍ جدّ حسّاس

* * *

(دارُ ابن لقمان)[1] قد جدّدتَ دارسها بوصفكَ المُرْجع التاريخَ للناسي

تكادُ تُخْلَقُ من برّ معالمُها[2] رغمَ الزّمان وتبدو بين حُرّاس !

وقدْ صدقْتَ بما حقّقْتَ من أثرٍ[3] لكنّه وارثٌ مخبوءَ آساسِ

كأنّهُ حارس كنزاً يضنُّ بهِ وساترٌ للمعالي أيّ مِقْباس !

فهو الحقيرُ الجليلُ المنتمي شرَفاً للتّاج والمُلْكِ ثمّ السؤددِ الرّاسي !

---

(١) هي الدار المعروف موضعها بمدينة المنصورة ، وكانت للوزير الكاتب فخر الدين ابراهيم بن لقمان ، وفيها سجن ملك فرنسا لويز التاسع لما أسره المصريون بعد واقعة المنصورة الشهيرة سنة ٦٤٧ هـ . (١٢٤٨م.)

(٢) اشارة الى الوصف البليغ التفصيلي الذي سرده سعادة تيمور باشا ، حتى كأنما الدار تكاد تتجدد براً بوصفه !

(٣) اشارة الى ماوصل اليه تحقيق تيمور باشا متفقا مع الاستاذ داريسي Daressy من أن الاثر الحاضر غير الدار الاصلية وان كان في موضعها .

***

يادارُ عيشي على رغمِ الرَّدى القاسي … فخراً يشعُّ بنبراسٍ ونبراس

في موضعٍ سوَّرَ التاريخ ترقُبُهُ … حيْرَى وترفعُ فيه جمعَ أقواس!

ولا تفاخرُ منها أيُّ واقعةٍ … فقد تفرَّدْتِ في نصْرٍ ومقياس

وفي ظلالك سادتْ (مصرُ) في شمَمٍ[1] … الى التغلُّبِ من حزْمٍ ومن ياس

أعجوبةُ الهمّةِ القعساء إنْ صدقتْ … وغايةُ الصدْقِ من جُندٍ وسُوّاس

ولو درى ما بكي المأسورُ من خجلٍ … فالشَّعبُ في وَحدَةٍ كالضيغم العاسي[2]

إنَّ الأسيرَ لبأسٍ لا نظيرَ لهُ … غيرُ الاسيرِ العثورِ الخاطيء الخاسي

***

وأنتَ ياوطني الباكي لضيْعتهِ … بين الدسائسِ بعدَ الجهل والكاسِ

صبْراً فكلُّ بلاءٍ سوف يعقبُهُ … تكافؤٌ بين إسعادٍ واتعاس

وإنَّ ذِكراً (لأنثى)[3] قد رفعتَ بها … نُورَ الجلالِ ليكفينا لايناس

وإنَّ رسماً حواهُ المجدُ في حُجُبٍ … ولم يحجَبْ لأبْقى دونَ أحراس!

هيهات يُطفي دُخانُ العسفِ شُعلتَهُ … هيهاتَ! هيهاتَ! فالدُّنيا بقسطاس

ولنْ يضيعَ جهادٌ في توهُّجهِ … شمْسٌ، وفي خُلدهِ المفني لأرْماس!

***

وأنتِ يا (درَّةً)[4] ضنَّ الزَّمانُ بها … في الشرقِ قدرُكِ فوقَ الدُّرِّ والماس

أكسبتِ أسْرَ (لويزٍ)[5] أيما شرَفٍ … وتاجَ مُلككِ من نُبْلٍ ومنْ راسِ

---

(١) اشارة الى توحيد كلمة المصريين واشتداد عزيمتهم وحملهم حملة صادقة على الفرنسيين بعد أن كادوا يهزمون شر هزيمة

(٢) العاسي: الغليظ القوي الذي لاينثني.

(٣) يشير الى جارية الملك الهمام والوطني الغيور الصالح نجم الدين أيوب التي أخفت خبر موته وسيرت جثته في حراقة سرا الى جزيرة الروضة حتى لاتذهب قوة الجيش المصري المعنوية.

(٤) يشير الى جارية الملك أيضاً واسمها (شجرة الدر). (٥) هو لويز التاسع ملك فرنسا الملقب عند قومه بسانلويز Saint Louis أي القديس لويز. ولد سنة ١٢١٥ م وتوفي سنة ١٢٧٠ م من وباء قضى عليه وعلى جيشه وهو محاصر لتونس في الحرب الصليبية الثامنة.

بكى دماء (لنجم الدين) فارسه | فجئت آسية في بأس فرّاس
وعاش فضلك وضاء يشجعنا | بين المآتم مزجينا لأعراس
حتى نعيد جلالا صار غائبه | يشتاقنا شوق (لورين وألزاس) (١)
نحن الأحق بسيرات يرددها | جيل لجيل وأقمار لأشماس (٢)

أحمد زكي أبو شادي

هل استيقظ الشرق؟

مما يعنى الغربيون بدرسه وتفهمه مسألة اليقظة في الشرق ، والعناصر التي تتألف منها ، وهل هي يقظة حقيقية أم لا . وفي الولايات المتحدة الامريكية معهد سياسي اسمه (معهد ولمستون) أسس لترويض الاذهان على المشاكل الدولية . وقد أصدر هذا المعهد أخيراً كتاباً عنوانه (يقظة الشرق) مؤلفاً من فصول باقلام الاخصائيين في الامور الشرقية ، ومنهم السر (فالنتين تشيرول) الانكليزي الذي تناول الكلام على مصر والهند وأكد القول بأن يقظة الشرق حقيقية . ومما قاله ان الغرب قد عجز الآن عن تضييق الخناق على الشرق ، فينبغي لرجال السياسة ولاسيما الامريكيين أن يهتموا بدرس هذه اليقظه وتفهمها

ومن فصول الكتاب فصل بقلم المستر (تورسيني) الياباني ، ومن رأيه أن الشرق لم تتم يقظته بعد ، ولكنه سيستيقظ لامحالة عما قريب

(١) يضرب المثل بلورين وألزاس في وفاء التبعية .
(٢) أشماس : جمع شمس . قال الارجاني :

حقرت كل الورى لما اكتحلت به | والشمس تغني ضحى عن ضوء نبراس
ياشمس ان شئت بعد اليوم فانتقي | فمن محياه أقماري وأشماسي

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان

روى الحكيم الاسلامي الكبير أبو حيان التوحيدي في كتابه (الامتاع والمؤانسة) قال :

قال مالك بن عمارة اللخمي : كنت أجالس في ظل الكعبة أيام الموسم عبدالملك بن مروان ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعروة بن الزبير . وكنا نخوض في الفقه مرة ، وفي الذكر مرة ، وفي أشعار العرب وآثار الناس مرة . فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجد عند عبدالملك بن مروان : من الاتساع في المعرفة ، والتصرف في فنون العلم ، والفصاحة ، والبلاغة ، وحسن استماعه إذا حُدّث ، وحلاوة لفظه إذا حدّث

فخلوت معه ذات ليلة فقلت :

— والله إني لمسرور بك لما أشاهده من كثرة تصرفك ، وحسن حديثك ، وإقبالك على جليسك

فقال لي : ـ انك ان تعش قليلاً فسترى العيون طامحة لى ، والاعناق قاصرة نحوي . فلا عليك أن تعمل الىّ ركابك

فلما أفضت اليه الخلافة شخصت أريده ، فوافقته يوم جمعة وهو يخطب الناس ، فتصديت له . فلما وقعت عينه علي كشر في وجهي فأعرض عنى . فقلت : لم يثبتني معرفة ، او عرفني ما أظهر نكرة . لكن لم أبرح مكانى حتي قضيت الصلاة ودخل . فلم ألبث أن خرج الحاجب الىّ فقال :

— مالك بن عمارة !

فقمت وأخذ بيدى وأدخلني عليه . فلما رآني مدّ يده إلى وقال :

— إنك تراءيت لي في موضع لم يجز فيه إلا ما رأيت من الاعراض .

والانقباض ، فمرحباً وأهلا . كيف كنت بعدنا وكيف كان مسيرك ؟

فقلت : - بخير ، وعلى مايحبه أمير المؤمنين

قال : - أتذكر ما كنت قلت لك ؟

قلت : - نعم ، وهو الذي أعملني اليك

فقال : - ماهو بميراث ادّعيناه . ولكن أخبرك عن نفسي خصالا سمت لها نفسي الى الموضع الذي ترى: مالاحيت ذا ردّ قط ولا ذا قرابة ، ولاشمتُ بمصيبة عدو قط ، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي ، ولا قصدت كبيرة من محارم الله متلذذاً وواثباً عليها . وكنت من قريش في بيتها ومن بيتها في وسط، فكنت آمل أن يرفع الله مني ، وقد فعل . ياغلام بوّئه منزلا في الدار !

فأخذ الغلام بيدي وقال :

— انطلق الى رحالك !

وكنت في أخفض حال ، وأنعم بال . وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه . فاذا حضره عشاؤه أو غداؤه أتاني الغلام وقال :

— ان شئت صرت الى أمير المؤمنين ، فانه جالس

فأمشي بلا حذاء ولا رداء ، فيرفع مجلسي ، ويقبل على محادثتي ، ويسألني عن العراق مرة وعن الحجاز مرة ، حتى مضت لي عشرون ليلة . فتغديت يوماً عنده ، فلما فرغ الناس نهضت للقيام ، فقال :

- على رسلك أيها الرجل ! أي الامرين أحبّ اليك : المقام عندنا فلك النصفة في المعاشرة والمجالسة مع المواساة ، أم الشخوص ولك الحباء والكرامة ؟

فقلت : - فارقت أهلي وولدي على أن أزور أمير المؤمنين ، فان امرتني اخترت فِناءه على الاهل والولد

قال : - بل أرى لك الرجوع اليهم ، فانهم متطلعون الى رؤيتك ، فتحدث

بهم عهداً ويحدثون بك مثله ، والخيار في زيارتنا والمقام فيهم إليك . وقد أمرنا لك بعشرين الف دينار ، وكسوناك وحملناك . أتراني ملأت يدك أبا نصر ؟

قات : ـ ياأمير المؤمنين أراك ذاكرا لما ورثت عن نفسك

قال : ـ أجل ، ولا خير فيمن ينسى اذا وعد . ودّع اذا شئت ، صحبتك السلامة

﴿اسنان الذهب عند العرب﴾

روى السيوطي في طبقات النحاة أن مُعاذ بن مسلم الهراء كان يشد أسنانه بالذهب من طول ماعمّر . ويظن بعضهم أنه أول من وضع علم التصريف . ولد أيام عبد الملك بن مروان وتوفي سنة ١٨٧ . ومات أولاده وأولاد أولاده وهو باق ، حتى قال فيه أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي الشاعر من قصيدة :

ان مُعاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره أمَدُ
قدشاب رأس الزمان واكتهل الدهر ، وأثواب عمره جدد
يانسر لقمان كم تعيش وكم تأكل طول الزمان يالُبَد

﴿ تصحيح خطأ ﴾

وقع في مقالة الاستاذ العلامة المحقق صاحب السعادة أحمد تيمور باشا المنشورة في العدد الماضي عن (دار بن لقمان) غلطات نرجو تصحيحها كما يأتي :

صفحه ٥ سطر ٢٠ آخرة ، ص ٩ س ١٢ (ن) حائط بين الدار الخ ، ص ٩ من ٢٠ ـ ٢١ على مافى ، ص ١٠ س ١٢ حفظا ، ص ١٤ س ١ فاطلعه

صقر قريش عبد الرحمن الداخل

مَنْ لنضوٍ يتنزَّى(١) ألما
برّح الشوقُ به في الغَلَسِ
حنّ للبان وناجى العَلَما
أين شرقُ الأرضِ من أندلسِ

***

بُلبلٌ علّمه البينُ البيانْ بات في حبل الشُّجون ارتبكا
في سماءِ الليلِ مخلوعَ العِنانْ ضاقتِ الأرضُ عليه شَبَكا
كلما استوحش في ظل الجنان جُنَّ فاستضحكَ من حيثُ بكى

ارتدى بُرْنُسَهُ والتثما
وخطا خُطْوَةَ شيخ مُرعَس(٢)
ويُرى ذا حَدَبٍ إن جثما(٣)
فإن ارتدّ بدا ذا قَعَس(٤)

***

فمُهُ القاني على لَبَّتِه كبقايا الدم في نصلٍ دقيقْ
مدّهُ فانشقّ من مَنْبِتِه من رأى شِقَّيْ مقصٍ من عقيقْ
وبكى شجواً على شُعبته شجوَ ذات الثكل في السترِ الرقيق

سَلَّ من فيهِ لساناً عَنَما(٥)
ماضيا في البثِّ لم يحتبس

---

(١) يتوثب (٢) مرعش (٣) الحدب : خروج الظهر ودخول الصدر
(٤) القعس : دخول الظهر وخروج الصدر (٥) احمر كالعنم

وَتَرٌ من غير ضَرْبٍ رَنَّما
في الدُّجى أو شَرَرٌ من قَبَسِ

***

نَفَرَتْ لَوْعَتُه بعْدَ الهدوءْ والدُّجى بيتُ الجوى والبُرَحا
يَتَعايا بجَمَاحٍ وينوءْ بجَناحٍ مَدَّ وَهْيَ ماصَلَحا
ساءَه الدهرُ وما زال يسوءْ ماعليه لو أسا ما جَرَحا

كلما أدْمَى يَدَيْهِ نَدَما
سَالتَا من طوقِهِ والبُرْنُسِ
فَنِيَتْ أهدابُهُ إلاّ دَمَا
قَتَمَ كالياقوت لم ينبجسِ[١]

***

مَدَّ في الليلِ أنيناً وَخَفَقْ خفَقَانَ القرطِ في جُنْحِ الشَعَرْ
وَرَعَتْ منهُ النوى غيرَ رَمَقْ فضْلَةَ الجُرْحِ اذا الجرحُ نَعَرْ
يتلاشى نزَواتٍ في حِرَقْ كذُبالٍ آخِرَ الليلِ استَعَرْ

لم يَكُنْ طَوْقاً ولكن ضَرَما
ماعلى لبَّتِهِ من قَبَسِ
رَحْمَةُ اللهِ لَه هل عَلِما
أن تلك النَّفسَ من ذا النَّفَسِ

***

قلتُ لليل وللِيل عوادْ مَنْ أخو البثِّ فقال : ابنُ فراق
قلتُ ماواديه قال الشَّجْوُ وادْ ليس فيه من حجازٍ أو عِراقْ

---

(١) لم يسل

قلتُ لكنْ جفنُهُ غير جوادْ قال شرُّ الدمعِ ماليس يُراقْ

نضبطُ الطيرَ وما نعلم ما

هي فيهِ من عذابٍ بئسِ

فدعِ الطيرَ وحظاً قسما

صيّرَ الأيكَ كدورِ الأنسِ (١)

***

ناحَ إذ جفناي في أسر النجُوم رَسفا في السُّهْدِ والدمعُ طليقْ

أيُّهـا الصارخُ من بحْرِ الهمومْ ماعسى يُغني غريقٌ عن غريقْ

إنَّ هـذا السهم لي منه كلومْ كلنا نازحُ أيكٍ وفريقْ

قلّب الدنيا تجدها قسما

صرّفتْ من أنعمٍ أو أبؤسِ

وانظر النـاسَ تجدْ من سلما

من سهام الدَّهرِ شجتْهُ القسي

***

ياشبابَ الشّرْقِ عنوانَ الشبابْ ثمرات الحسبِ الزاكي النميرْ

حسبُكُم في الكرَمِ المحْضِ اللُّبابْ سيرةٌ تبقى بقاء ابنيْ سميرْ(٢)

في كتاب الفخرِ (للداخل)(٣) باب لم يلجْه من بني الملك أميرْ

في الشموس الزُّهْر في الشام انتمى

ونمَى الأقمـارَ بالأندلس (٤)

فعدَ الشرقُ عليهم مأتماً

وانثنى الغربُ بهم في عُرُسِ

---

(١) الانس : الناس (٢) ابنا سمير : الليل والنهار (٣) هو الامير عبد الرحمن

(٤) نماه أى رفعه بالنسب اليه

****

هل لكم في نبأ خير نبأ حليةِ التاريخ مأثورٍ عظيمْ
حلَّ في الأنباء ما حلت سبأ منزلَ الوسطى من العِقد النظيمْ
مِثْلَهُ المقدار يوماً ما خبأ لسليبِ التاج والعرْشِ كظيمْ
يُعجزُ القُصَّاصَ الا قلما
في سوادٍ من هوىً لم يُغمَسِ
يُؤثِرُ الصِدْقَ ويَجْزي علما
قَلَبَ العالمَ لو لم يُطْمَسِ

****

عن عِصاميٍّ نُبيلٍ مُغرِقٍ في بُناةِ المجْدِ أبناءِ الفَخَارْ
نهَضَتْ دُولَتُهم بالمشرقِ نَهضةَ الشَمْسِ بأطرافِ النَّهارْ
ثم خانَ التاجُ ودَّ المفرِقِ ونَبَتْ بالأنْجُمِ الزُّهْرِ الديارْ
غفَلوا عن ساهرٍ حولَ الحمى
باسطٍ من ساعديْ مُفترِسِ
حامَ حَوْلَ الملكِ ثم اقتحما
ومَشى في الدَّم مَشْيَ الضَّرِسِ

****

جُزِيَتْ مروانُ عن آبائها ما أراقوا من دماء ودُمُوعْ
ومِنَ النَفْسِ ومن أهوائها ما يؤدّيه عَن الأصلِ الفرُوعْ
خلَتِ الاعواد من أسمائها وتغطّت بالمصاليب الجذوعْ
ظَلَمتْ حتى أصابتْ أظلما

حاصدَ السيف وبيء المحبسِ
فطناً في دَعْوةِ الآل لما
همس الشاني وما لم يهمسِ

***

لَبِسَتْ بُرْدَ النَبِيّ النيِّرات مِنْ بني العباس نوراً فوقَ نور
وقديماً عنــد مروانَ ترِاتْ لزكيـاتٍ من الأنفسِ نُورْ
فنجا (الداخلُ) سَبْحاً بالفُراتْ تاركَ الفتنةِ تَطغَى وتَثُورْ
غَسَّ كالحوتِ به واقتحما
بين عبريْهِ عيون الحَرَسِ
ولقد يجْدي الفتَى أن يَعلَما
صهْوَةَ الماءِ ومَتْنَ الفرَسِ

***

صَحِبَ الداخِلَ من اخوتِهِ حدَثٌ خاضَ الغمارَ ابنُ ثمانْ
غَلَبَ الموجُ على قوَّتِهِ فكأن الموجَ من جُندِ الزمانْ
وإذا بالشطِّ من شقْوتهِ صائحٌ صَاحَ به : نِلْتَ الامانْ
فانثنى منخدعاً مستسلما
شاةٌ اغترَّتْ بعهد الأطلس [1]
خضبَ الجُنْدُ به الارضَ دما
وقلوبُ الجُنْدِ كالصخرِ القَسِي

***

أيُّهـا اليائسُ متْ قبلَ المماتْ أو اذا شئْتَ حيـاة فالرجا

---

(١) الذئب

لا يَضِقْ ذَرْعُكَ عنـد الازماتْ إن هي اشتَدَّتْ وأَمِّلْ فَرَجا
ذلك (الداخِلُ) لاقى مُظْلِماتْ لم يَكُنْ يأمُلُ منها مَخْرَجَا

قـد تَولّى عِزُّهُ وانصرما
فمضى ىن ردِّهِ لم ييأسِ
رَامَ بالمغربِ مُلْكاً فرمى
أبْعد الغَمْرِ وأقصى اليبسْ

***

ذاكَ واللهِ الفَتى كلُّ الفَتى أيَّ صَعْبٍ في المَعَالي ما سَلَكْ
ليسَ بالسائل إن همَّ : متى ؟ لا ولا النـاظِرِ ما يُوحي الفَلَكْ
زَايَلَ المُلكُ ذويْهِ فأَتى مُلكَ قَوْمٍ ضَيَّعوهُ فَملَكْ

غمـراتٌ عارَضَتْ مُقتحما
عَالِيَ النَّفْسِ أشَمَّ المَعطِسِ
كلُّ أرْضٍ حلَّ فيها أو حِمى
مَنْزِلُ البَدْرِ وغابُ البَيْهسِ (١)

***

نزل النـاجي على حُكْمِ النوى وتوارى بالسُّرَى من طالبيهْ
غـيرَ ذي رحْلٍ ولا زادٍ سوى جَوْهَرٍ وَافَاهُ من بِنْتِ أبيهْ
قمرٌ لاقى خُسوفاً فانزوى لَيْسَ من آبائِهِ الا نبيـهْ

لم يجِدْ أعوانَه والخـدَما
جَانبوه غيرَ (بَدْر(٢)) الكيِّس

(١) الاسد (٢) بدر اسم خادمه المشهور

من مَوالي مَروانَ القُدَما
لم يخُنهُم في الزّمانِ المؤنس

*
* *

حين في إفريقيا انحلَّ الوئام واضمحلّتْ آيةُ الفتحِ الجليلْ
باتت الأمةُ في غيرِ التئامْ وكثيرٌ ليس يلتامُ قليلْ
يَمَنٌ سلّتْ ظُباها والشآمْ شامَها هنديةً ذات صليل

فرّقَ الجندَ الغنى فانقسما
وغدا بينهُم الحقُّ نسي
أوحش السودَدُ فيهمْ وسَما
للمعالي من بهِ لم تأنس

***

رُحموا بالعبقَريٍّ النابهِ البعيدِ الهمّةِ الصعْبِ القيادْ
مدَّ في الفتحِ وفي أطنابه لم يقفْ عند بناء ابن زياد
هجر الصيدَ فما يُعنى به وهو بالملكِ رفيق ذو اصطياد

سلْ به أندلساً : هل سلِما
من أخي صيْدٍ رفيق مَرِسِ؟
جرّد السيف وهزَّ القلما
ورمى بالرأى أمَّ الخلَس(١)

***

بسلام ياشراعاً ما درَى ما عَليْه من حياء وسَخاء
في جناح المَلَكِ الروح جرى وبسَمحاءَ من اللطف رُخاء(٢)

---

(١) احسن الفرص (٢) الرخاء الريح اللينة

غسل اليمُّ جراحات الثرى وَمحا الشدةَ من نحو الرّخاءْ

هل درى أندلسٌ مَن قدِما
دارَهُ من نحو بَيْتِ المَقْدِسِ؟
بسليل الأمويين سَما
فَتْحُ موسى مُسْتَقِرّ الأُسس (١)

***

أمَويٌّ للعُلى رحلتهُ والمَعالي بِمطيّ وَطُرُقْ
كالهلال انفردت نقلته لا يجاريه ركابٌ فى الأُفقْ
بُنِيت من خلق دُولته قد يَشيدُ الدُّوَلَ الشمُّ الخُلُقْ

وإذا الأخلاقُ كانت سُلّما
نالَتِ النجْمَ يَدُ الملتمس
فارْقَ فيها ترق أسباب السما
وعلى ناصيةِ الشمسِ اجلسِ

***

أيَّ مُلك من أفاعيل الهممْ أسس الدّاخلُ فى الغَرْبِ وشادْ
ذلك الناشئ فى خير الأمم سادَ فى الأرض ولم يُخلَقْ يُساد
حكمت فيه الليالى وحكم في عواديها قياداً بقياد

سُلب العزَّ بشرق ، فرمى
جانبَ الغَرْبِ لعزّ أقعَسِ
وإذا الخيرُ لعبد قُسِما
سَنَحَ السَّعْدُ له فى النحس

---

(١) موسى بن نصير

***

أيها القلب أحقٌ أنت جارْ للذى كانَ على الدهر يجيرْ
ها هنا حلّ به الركب وسارْ وهنا ثاوٍ الى البعْث الأسيرْ
فلكٌ بالسعد والنحس مُدارْ صدعَ الجامَ وألوى بالمديرْ
هاهنا كنت ترى حُوَّ الدُّمى
فاتناتٍ بالشفاهِ اللُعُسِ
ناقلاتٍ فى العبير القَدَما
واطئاتٍ فى حبيرِ السندس

***

خذ عن الدنيا بليغ العظةِ قد تجلّتْ فى بليغ الكلِم
طرفاها جُمعا فى لفظةِ فتأمل طرفيْها تعلمِ
الأمانى حلمٌ فى يقظةِ والمنايا يقظةٌ منْ حُلم
كل ذى سقطين فى الجو سما (١)
واقعٌ يوماً وإن لم يُفرَسِ
وسيلقى حينهُ نسرُ السما
يومَ تُطوى كالكتابِ الدَّرسِ

***

أين ياواحدَ مروانَ عَلَمْ من دَعاكَ «الصقرَ» سماهُ العُقاب
رايةٌ صرّفها الفردُ العلم عنْ وُجُوهِ النصر تصريفَ النقاب
كنتَ إن جرّدت سيفاً أو قلم أُبْتَ بالألبابِ أو دِنت الرقابْ
مارأى الناسُ سواه علما
لم يُرَمْ فى لُجةٍ أو يبس

(١) السقط الجناح

أَعلى ركنِ السماكِ ادَّعما
وتغطى بجناحِ القُدُس ؟

***

قصرُكَ (المنيةُ) من قرطبةِ فيه واروك ولله المصيرْ
صدفٌ خُطَّ على جوهرةٍ بيْدَ أن الدَّهر نبَّاش بصيرُ
لم يدعْ ظلا لقصر (المنية) وكذا عُمْرُ الأمانيِّ قصيرْ
كنتَ صقراً قرشياً علما
ما على الصَّقْر اذا لم يرْمس ؟
إن تسلْ : أين قبورُ العظا ؟
فعلى الافواه أوفي الانفُس

***

كم قبورٍ زَينت جيدَ الثرى تحتها أنجسُ من ميْت المجوس
كان من فيها وان حازوا الثرا قبل موت الجسم أمواتَ النفوس
وعظام تتزكى عنبرا من ثناءٍ صرن أغفال الرموس
فتخذْ قبرك من ذكرٍ فما
تبنِ من محموده لا يُطمَس
هبك من حرصٍ سكنت الهرما
أين بانيه المنيع الملمس ؟

شوقي



احراق (دار العلم) بطرابلس الشام

من الكتب النفيسة التي دخلت أخيراً في (الخزانة التيمورية) العامرة بالقاهرة نسخة من (تاريخ الدول والملوك) لمحمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن المصري المعروف بابن الفرات (٧٣٥ ـ ٨٠٧ هـ) منقولة بالتصوير الشمسي من النسخة الفذة الموجودة في (مكتبة فينة) وهي في تسع مجلدات، وسأعرّف القراء بها وبمؤلفها في الجزء الآتي من (الزهراء) ان شاء الله .

واني أنقل الآن من تاريخ ابن الفرات ما ورد فيه عن احراق الصليبيين سنة ٥٠٣ هـ لمكتبة بني عمار العظيمة التي كانت في ثغر طرابلس الشام . وهي مكتبة (دار العلم) التي كانت تعد من عجائب الدنيا كما سترى من وصف عظمتها فيما يلي . فخسر التاريخ الاسلامي والادب العربي والعلوم الشرعية والعقلية بسبب ذلك خسارة لا تعوض

وقد اعتمد المؤلف فيما أثبته هنا عن حريق (دار العلم) لبني عمار في طرابلس الشام على ثلاثة كتب : أحدها (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) للامير ركن الدين بيبرس الدوادار ، والثاني (معادن الذهب ، في تاريخ الملوك والخلفاء وذوي الرتب) ليحيى بن أبي طي الغساني، والثالث (تاريخ الكامل) لعز الدين ابن الاثير الجزري الشيباني وهو متداول في الايدي

وهذه القطعة في حوادث سنة ٥٠٣ من تاريخ ابن الفرات ص ٣٨ ـ ٣٩ ج ١ قال ما نصه :

«واشتدّ القتال المجدّ ودام على طرابلس من أوّل شعبان الى ذي الحجّة من هذه السنة . وقال الحافظ ابن الأثير والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار ماصيغته : ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة أهلها من أوّل شهر رمضان من هذه السنة وألصقوا أبراجاً بسورها . فلمّا شاهد الجند وأهل البلد ذلك سقط في أيديهم وذلّت نفوسهم وزادهم ضعفاً تأخّر الأسطول المصريّ عليهم بالميرة والنجدة . وكان سبب تأخّره أنّه فُرغ منه وأُزيحت علّته واحتفلوا فيه أكثر من كلّ سنة وسار فردّته الريح فتعذّر عليهم الوصول ليقضى الله أمراً كان مفعولا . وشدّ الفرنج لعن الله تعالى من

مضى منهم وخذل من بقي منهم القتال عليها من الأبراج والزحف فهجموا البلد وملكوه عنوة وقهراً يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من هذه السنة ونهبوا مافيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة مالايحد ولا يحصى فإن أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالاً وتجارة . وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكانها وسلم الوالي الذي كان بها وجماعة من جندها لأنهم كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق . انتهى كلامها .

وقيل لما اشتد الأمر على أهل طرابلس طلبوا الأمان فيقال ان الفرنج أعطتهم الأمان ثم غدروا بهم وقيل انهم لم يعطوهم أمانًا فصبروا حينئذ صبر الكرام وقاتلوا قتال من لا ناصر له بعد الله عز وجل الا سيفه ودخلها الفرنج بالسيف وقيل بالأمان ثم غدروا بأهل طرابلس فقتلوا منهم خلقاً كثيراً لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ونهبوا مافيها وذبحوا الأطفال والنساء والرجال ذبح الشاء وأحرقوا منها عدة مواضع حتى قال لهم بعض المسلمين : ألستم عازمين على المقام بهذا البلد ؟ قالوا : نعم . قال : فعلام تخربونه[1] فأمسكوا حينئذ عن الهدم والحريق .

وقال الشيخ يحيى بن أبي طي حميد النجار الغساني الحلبي ماصيغته : كان في طرابلس (دار العلم) ولم يكن في جميع البلاد مثلها كثرة وحسناً وجودة . وقال : حدثني ابي قال حدثني شيخ من أهل طرابلس قال : كنت مع فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس وهو في شَيْزَر وقد وصله أخذ طرابلس ، فأغمي عليه ، وأفاق ودموعه مستبقة ، وقال « والله ما أسفي على شيء كأسفي

---

(١) في الاصل « تخربوه »

على (دار العلم) فان فيهـا ثلاثة آلاف الف الف [١] كتاب كلها في علم الدين والقرآن والحديث والأدب » وقال « ان بها خمسين [٢] ألف مصحف وانّ فيها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عزّ وجلّ . قال ابي : وكانت هـذه (دار العلم) من عجائب الدنيا ، وكان بنو عمّار قد عنوا بها العناية العظيمة ، كان فيهـا مائة وثمانون ناسخاً تنسخ بالجراية والجامكيّة منهم ثلاثون نفساً لا يفارقونها ليلا ولا نهاراً . وكان لهم في جميع البلاد من يشتري لهم الكتب المنتخبة . وكانت طرابلس في أيام بني عمّار قد صارت جميعهـا دار علم ، وقصدها الفضلاء من سائر الاقطار . ونفقت على بني عمّار سائر العلوم ، وقصدهم الناس بها ، لاسيما علم الامامية فانهم أحبوه وأحبّوا أهله . قال : ولما دخـل الفرنج الى طرابلس وافتتحوها أحرقوا (دار العلم) وكان السبب في احراقهم لها أن بعض القسوس لعنهم الله تعالى لمّا رأى تلك الكتب هالته ، واتفق انه وقع في خزانة المصاحف الكرام ، فمد يده الى مجلد فاذا هو مصحف ، ثم الى آخر فرآه كذلك ، ثم الى آخر فوجده مصحفا حتى اعتبر عشرين مجلداً فقال : كل ما في هذه الدار هو قرآن المسلمين . فلذلك أحرقوهـا ، وتخطف الفرنج لعن الله من مضى منهم وخذل من بقي منهم أشياء من الكتب ، وهي التي خرجت الى بلاد المسلمين . وهدموا ما فيها من المساجد ، وعولوا على قتل جميع من فيها من المسلمين . فقال لهم بعض النصارى : ليس هذا صواباً [٣] ، وهذا بلد كبير ، ومن أين لكم عامة [٤] والصواب ان تضربوا عليهم الجزية بعد أخذ أموالهم وتخلوهم عمارة للبلد الخ » انتهى بحرفه

(١) لعله « ثلاثة آلاف ألف » والزيادة من الناسخ
(٢) في الاصل « خمسون »
(٣) في الاصل « صواب »
(٤) هنا كلمة مطموسة

﴿ تراجم أفاضلنا ﴾

سيدي منشئ الزهراء ،

جاء في عرض كلام سعادة العالم المحقق أحمد تيمور باشا عن دار ابن لقمان ذكر اسم الاستاذ العالم الجليل المرحوم محمود رشاد بك وقلتم عنه في حاشيته هذه العبارة بنصها « كان ـ أي محمود رشاد بك ـ آخر منصب تولاه رئاسة محكمة مصر الاهلية ، وهو معدود من كبار العلماء الباحثين ، وقد فجعت به مصر في أول ذي الحجة سنة ١٣٤٣ » اه

فاسمحوا لي ياسيدي ان اعترض على حاشيتكم هذه التي تنم ولا شك عن واحد من أمرين : إما عدم معرفتكم فضل هذا العالم الجليل الذي رحل الى جوار ربه وهذا ما نشك فيه ، وإما تقصيركم عن وفاء حقه في تعريفه الى قراء مجلتكم الرصينة وهذا ما نطلبه منكم بالحاح

يعيش الاديب بطربه المعنوي وبلذّته الخاصة في العلم فان عرف له الادباء قدر ادبه وهو حي فذلك فضل يعرفه ذووه ، وان مات ألا يحق عليهم أن يصفوا تلك الصفات العلمية التي كان يتحلي بها صدر ذلك الذي عُرف فضله بالامس ولم يذكر اليوم عنه الا أنه كان آخر منصب تولاه رئاسة محكمة مصر الاهلية الى آخر ما قالت الزهراء عنه ؟

ثم كنت أحب بل أريد أن يكرم الادباء النبوغ في انسان وهو حي ، لا أن يندب بعد مماته ، وأن يمحص علمه وهو على قيد الحياة لا بعدها

وأرجوكم ياسيدي عرض كلمي على قرائكم عسى أن يتفضل أحدهم علينا بدرس حياة العالم الجليل الذي فقدناه . وتفضلوا بقبول احترامنا

مصر حبيب الياسين الزهلاوى

(الزهراء) لم تكن تلك الحاشية موضع توسع في ترجمة الفقيد الكبير . ونحن يسرنا أن نوفي رجالنا حق اقدارهم ، متى توفرت لدينا المادة الكافية لتعريف قرائنا بهم تعريفاً يلائم الطريقة العلمية النزيهة التي نحاول الجري عليها في هذه المجلة

كلمة عن قصيدة شوقي الدمشقية

ماذا يقول الانسان عن شعر شوقي بأجمعه . فحسب الانسان أن يقول انه شعر شوقي أو أن ينشد قول شوقي نفسه :

ما كلام الانام في الشمس الا أنها الشمس ليس فيها كلامُ

وقصيدته التي قالها مؤخراً في دمشق لا أتوخى وصفها من حيث أنها شعر لانها من النسج نفسه ومن القريحة بعينها التي لا تسيل الا بالبدائع والتي هي كالغيث لا يُدرَى أأوَّلهُ خيرٌ أم آخره . ولـكنني معجب بما فيها من المرامي القومية والمنازع الوطنية التي أثبتت لنا ما كنا نأمله من مبادىء شاعرنا الاكبر التي تزيده حباً ومكانة لدى الامة العربية ، وتبين به عن غيره من المصريين الذين لما دعاهم الفرنسيس في الصيف الماضي الى اجتماع عقدوه في لبنان تقارضوا وإياهم الثناء وتكلموا عن سورية في كل شيء الا عن استقلال سورية . . .

أما شوقي فحقق أنه كما ضارع أبا تمام والمتنبي في الشعر فقد ضارعهما في الحمية على قومه ، وانه بالفعل شاعر أمّة

انظر الى قوله :

حتى انحـدرتُ الى فيحاءَ وارفةٍ فيهـا النـدَى وبهـا طيٌّ وشيبانُ

نزلت فيهـا بفتيانٍ جحاجحةٍ آباؤهم في شـباب الدهر غسانُ

بيض الأسرَّة باقٍ فيهم صَيَدٌ من عبد شمس وان لم تبق تيجان

فهل تجري هذه الالفاظ على لسان لم يكن وراءه قلب مفعم بالعربية ؟

ثم انظر كيف يثير همم الشاميين الى تحرير وطنهم ، ونفض غبار السيطرة الاجنبية عن أنفسهم ، وهم أهل السماحة والسجاحة ، فهو يقول :

ما فوق راحاتكم يوم السماح يدٌ ولا كاوطانكم في البِشرِ أوطان

خميلة الله وشَّتها يداه لكم فهل لها قيِّم منكم وجنَّان

نعم ان شوقي يقول : ان الشام هي جنة الله في أرضه ، لكنه يريد أن يكون جنانها منها لا غريباً عنها . ثم انه يقول ولا يتلجلج :

شيدوا لها الملك وابنوا ركن دولتها فالملك غرس وتجديد وبنيان

نعم والله ما الملك الا الغرس والتجديد ، وادارة الحائط حول ماغرست وجدَّدت . ثم انه يعرِّف الملك بقوله :

الملك ان تعملوا ما استطعتم عملاً وأن يبين على الاعمال اتقان

أي ان تصلوا في العمل الى الدرجة القصوى فلا تدخروا مجهوداً ولا تحجموا عن مستطاع فإن الممالك أعمال لا آمال ولابد لكم من أن تجوِّدوا الاعمال حتى يظهر عليها أثر الكمال .

ثم كأنه لحظ ما في بر الشام من خلق الكرم وفرط السخاء منحصراً ذلك في الولائم والمآدب ، والمطاعم والمشارب ، حتى اذا جيء الى مصلحة وطنية ومشروع عام كزَّت الايدي وجمدت النفوس واثاقل من عهدته أسرع الناس مهزَّة ، فقال :

الملك ان تخرج الاموال ناشطة لمطلب فيه اصلاح وعمران

فعساك تُسمع الصم ياشوقي ، ويكون كلامك صور اسرافيل !

ثم حث الناس على العلم والادب لانهما من لوازم الملك وابنية الدول فقال :

الملك تحت لسانٍ حوله أدبٌ وتحت عقلٍ على جنبيه عرفان

لغة ذات آداب ، وعلمان مطبوع ومسموع ، ثم قال :

الملك أن تتلاقوا في هوى وطنٍ تفرقت فيه أجناس وأديان

وهي النصيحة الكبرى والعروة الوثقى التي لابد منها لاحراز الملك وتأسيس الاستقلال ، لاسيما في قطرٍ كثرت أجناسه وتعددت أديان أهله . ثم قال :

والشعر مالم يكن ذكرى وعاطفةً وحكمــةً فهو تقطيع وأوزان

أبى شوقي بحمية نفسه وجائشة صدره أن يجعل قصيدته عن دمشق أوصاف جنان، وذكرى روح وريحان، والترنم بأفواف نبات هي أصباغ وألوان، دون أن يذكر قومه بمجدهم السالف، ويعطف عليهم في بؤسهم الحاضر، ويبدى لهم رأيه فيما يجب أن يعملوه ليلموا شعثهم. وبمثل هذا تتفاضل الرجال، وتتفاوت الآماد في الاخلاق. ثم صرح بالتضامن، الذي كنا نحب أن نسمعه من كثير من المصريين، ونادى بالاخوة بين الناطقين بالضاد والمتجاورين في الشرق نداءً أغلى قيمته عندنا انه صُداح بلبل وادي النيل والطائر المحكي في الشرق كله. وأشار الى أنه ان لم يكن لنا جامعة سوى تشابه الحالات وكون السلسلة واحـدة لـكفى، فقال:

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم ونحن في الجرح والآلام اخوان

كانت هذه القصيدة برهاناً لشوقى على أنه فى الحمية القومية والنُعَرة العربية كما هو فى الملـكة الشعرية والعبقرية البيانية ندٌّ لابى تمام في قصائده على غزوات المعتصم، وللمتنبي في وصفه غارات سيف الدولة، وانه لا يكتفي بأن يكون عربى اللسان حتى يكون عربى الجنان. ولله ما اشجى قوله فى هذه القصيدة:

بنو أميــة للانبــاء مافتحوا وللاحاديث ما سادوا وما دانوا

بالامس قمتُ على الزهراء أندبهم واليوم دمعى على الفيحاء هتّان

لولا دمشق لما كانت طليطلةٌ ولا زهت ببنى العباس بغدان

هنا مجرى السوابق ومجرٌ حديث الغابر، ومفاض العبرات من المحاجر، ومجلى روح شوقي بتمامها بين ذلك الاول وهذا الآخر

ثم يقول:

تغير المسجد المحزون واختلفت على المنــابر أحرار وعبـدان

فلا الاذان اذان في منـارته اذا تعالى ولا الآذان آذان

كنت أحب أن يقول هنا :

اذا الاذان أذانٌ في منـارته وقد تعالى فما الآذان آذان

لأن الاذان باقٍ كما هو في الواقع ولـكن السامعين اليوم غير السامعين بالامس . والخلاصة اننا نسأل الله أن لا يسكت « هذا الطائر الغرِد » والشاعر الفرد الذي يسلي العرب على مصائبهم وينهض بهم الى اسـتئناف معاليهم واسترداد ماضيهم .

جنيف في ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٥

شكيب ارسلان

ملحق — في المقالة المنقولة عني في العدد الأخير من الزهراء تحت عنوان « الاسلام والحضارة العصرية » هذه الجملة : « وينبغي أن يبقى أشد الانظمة على الفجور والبغاء ومنع التهتك والاستهتار وتقييد الحرية بقيود الآداب » والصحيح هي « وينبغي أن يبقى أشد الانظمة على الفجور والبغاء والتهتك والاستهتار وفي تقييد الحرية بقيود الآداب »

شكيب

« العربية والانكليزية »

قال القسّ س . م . زويمر في كتابه « جزيرة العرب مهد الاسلام » :

« يوجد لسانان لهما النصيب الاوفر في ميدان الاستعمار المادي ، ومجال الدعوة الى الله ، وهما : الانكليزي والعربي . وهما الآن في مسابقة وعناد لا نهاية لهما لفتح القارّة السوداء مستودع النفوذ والمال ، يريد كل منهما أن يلتهم الآخر ، وهما المعضدان للقوتين المتنافستين في طلب السيادة على العالم البشري . أعني النصرانية والاسلام »

صفحة من تاريخ الاباضية

مملكة عمان

امامة الصلت بن مالك الخروصي رحمه الله

بويع يوم الجمعة قبل غروب الشمس لستة عشر خلت من ربيع الثاني سنة ٢٣٧ وهو اليوم الذي مات فيه الامام المهنا بن جيفر

قام ببيعته ثلة من العلماء الفخام فيهم من أئمة العلم من لايشق له غبار وفي مقدمتهم العلامة الاكبر الامام المحبوب محمد بن محبوب الذي انتهت اليه رياسة العلم والاجتهاد . بايعوه على العمل بالكتاب والسنة والسير على نهج سابقيه من أئمة العدل الراشدين فعمّر في الامامة مالم يعمره أحد قبله اذ كانت امامته خمسة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وأياماً فقام بالامر خير قيام وبسط للامة العدل وخفض لرجال العلم جناح الذل مع رسوخه في العلم والدين ومكانته في الجد والاجتهاد والجهاد .

وفي عهده أغارت النصارى على جزيرة سقطرى ، وكانت تحت نفوذ عمان من قبل ومستعمرة له ، فاحتلوها وارتكبوا فيها من الفساد والخراب شيئاً عظيما . فاستنجد أهلها بالامام فأرسل اليهم من الجيوش والقوة ما كفل لهم الحماية من العوادي وأنقذهم من مخالب الغاصبين وقد أرسل في هذه الغزوة أسطولا مركبا من مائة قطعة وقطعة . وأميرين : محمد بن عشيرة وسعيد بن شملال .وان حدث بأحدهما أمر فلآخر يتولى القيادة العامة . وأعد لكل طارئة عدتها حتى لايقع لجيوشه فشل ولا اختلال . فكانت غزوته هذه مباركة ناجحة . وله فيها عهد الى أمراء الجيش فيه ما يأتون وما يذرون من جميع وظائف الدين والسياسة

وحكم الاسارى والغنائم ، وسير الاحكام في الرعية بعد أن يستتب الامن ، ومعاملة الجند ، والجباية ، الى غير ذلك من لوازم الدولة في الظعن والاقامة

ولامرأة من أهل سقطرى اسمها (الزهراء) قصيدة تستنجد فيها بالامام عند مادهم العدو البلاد ، مطلعها :

قل للامام الذي ترجى فضائله ... يا ابن الكرام ويا ابن السادة النجب

وابن الجحاجحة الشم الذين هم ... كانوا سناما وكانوا سادة العرب

أمست سقطرى من الاسلام مقفرة ... بعد الشرائع والفرقان والكتب

وبعد حين حلال صار مغتبطا ... في ظل دولتهم بالمال والحسب

لم تبق فيها سنون المحل ناضرة ... من الغصون ولا عوداً من الرطب

واستبدلت بالهدى كفراً ومعصية ... وبالاذان نواقيسا من الخشب

وبالذراري رجالا لاخلاق لهم ... من اللئام علوا بالقهر والغلب

جار النصارى على واليك وانتهبوا ... من الحريم ولم يالوا من السلب

ومنها :

ما بال صلت ينام الليل مضطجعاً ... وفي سقطرى حريم باد بالنهب

يا للرجال اغيثوا كل مسلمة ... ولو حبوتم على الاذقان والركب

وكلها استغاثة بالامام والمسلمين ووصف ماحل بأهل الجزيرة من الشدائد وعظائم الاهوال .

وفي عهده أصيب قسم كبير من عمان بعاصفة شديدة لم يعهد لها مثيل فطغى السيل حتى خرب عدة بلاد ، فخرج أهلها هاربين يهيمون على وجوههم بعد ان ذرى السيل منهم عدداً لايستهان به ساقه التيار الجارف الى البحر أو دفنه تحت الانقاض

ومن مفاخر هذا الامام توليته امام العلم محمد بن محبوب قاضيا بصحار . فان

أمثال هذا العلم الشامخ اذا كانت الوظائف العظيمة بأيديهم فان الامام أو الامير أو الملك لاشك يكون قد وسد الامر الى أهله ، وفي ذلك من العدل ورعاية صالح الامة ماليس يخفى ، اذ بمثل هؤلاء العلماء الاعلام تستقيم أمور الدين وينتظم شمل الامة وتعلو مكانتها ، لانهم يرون الحق بالبصيرة ، وهو فوق كل شيء ولا يخافون فيه لومة لائم . ومن ولاته علي صحار محمد بن الازهر العبدي ويظهر أنه من العلماء الفضلاء استبدل به أبا مروان أحد قواد الامام المهنا وولاته وهو من مشاهير رجال عمان

وكان من كمال هـذا الامام التواضع العظيم ، والاستنارة بآراء الحكماء ، والاسترشاد بأفهام العلماء . وفتح بابه لكل أحد من الامة ، وكأنه استعمل الحزم في الامور الخارجية ، والتساهل في الامور الداخلية ، ولما طالت امامته وامتد حكمه وانتقل الى رحمة الله أولئك الذين كانوا له قوة ويداً ، وهم أهل المعرفة بكمال الرجال وعواقب الامور وأهل البصيرة والاخلاص ، فنشأ نشء من الشباب لم يعرف من واجبات السياسة شيئاً ولا من أساليب النظام جزءاً ، يتكلفون المعرفة والقدرة وهم من ذلك خلو . استضعفوا الامام علي ما يتبادر ، وقوي التحزب ، واستظهروا بآراء ، وفيهم من له غاية طبعاً يريد أن ينالها في حال عاصفة ، وكان هذا الامام الفخيم قد كبر وفقد القوة الجسمية ، فقام من أولئك الاحداث من يعلن الشغب والتهويش ، وما أسرع ما تقوّى حزبهم وانضم اليهم بعض كبار العلماء مظهراً النكران علي الامام وأهل الحل والعقد في ثباتهم وولايتهم له ومؤازرتهم . ولما رأى الامام عظم الأمر واستفحال الخطب وخشي أن تحدث فتنة تنازل عن الامامة وسلم الى أهل الرأي شعائرها

والذي يتبادر بعد التأمل أنه فقد بعض التأييد ورأى من بعض من يعتمد عليهم انخذالا . والا فكيف يكون بن الامام – مع ماعرف به من أصالة الرأي

ومكانة العلم والرسوخ في الملك ـ أن يتنازل عن الامامة لمجرد ثوران بعض الاحزاب اللهم الا أن يقال انه فعل ذلك فراراً من انتشاب الفتنة بعد اجتماع الكلمة ، ووقوع الافتراق بعد الاتحاد . وكان ممن ظهر في مقدمة الناقضين لبيعة الامام العلامة موسى بن موسى بن علي وهو أحد جهابذة العلم بل جزم بعض بأنه شيخ الاسلام يومئذ ، فانه سار الى (نَزوَى) عاصمة الملك وبيت الامامة ومعه ثلة من العلماء يريد عزل الامام وبينما هم مجتمعون في « فرق » اذ بلغهم تنازل الامام فبادروا الى مبايعة راشد بن النضر فتفرقت الكلمة فمن الناس من استمر على ولاية الامام الصلت وبيعته ، ومنهم من تولى موسى بن موسى ومن معه وراشداً ، ومنهم من توقف في الامر . وفي كل فريق من الثلاثة أئمة العلم والدين ممن تعنو لهم الرؤوس اجلالا ، ومن هنا التبس الامر على من التبس فتوقف والله أعلم

وكان تنازل الامام الصلت بن مالك رحمه الله يوم الخميس لثلاث خلون من ذى الحجة سنة ٢٧٢ فامامته خمس وثلاثون حجة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً

ومما هو جدير بالذكر أن بعض مؤرخى عمان ذكر مراجعة الامام للذين اجتمعوا اليه يطلبون تنازله ويحتجون بكبره وعدم قدرته على القيام بأمر الدولة ، فقال لهم الامام : أنظرُ فى الامر . فلما عزم على التنازل أجمع أمره وحول أثاثه من بيت الامامة الى المحل الذى اختاره لمسكنه ، وأرسل اليهم رسله بالتنازل ، منهم الحسن بن سعيد ومعه جمع من الشراة شهدوا : ان الامام أرسل الحسن بالتنازل بحضرتنا غير مجبور ولا مقهور . ثم برز الامام من بيت الامامة الى الناس فودعهم وداع تارك الامر معتزل بنفسه عما كان فيه وأمرهم بحفظ العسكر حتى ينظر المسلمون من يولوا أمرهم . وكان فى المعسكر خلق كثير فقال بعض المتكلمين : أتترك امامتك ؟ فزعق بهم ولم يلتفت الى قولهم . وكان أمره المسالمة . فاعتزل وعاش بجوارهم الى أن انتقل الى جوار ربه رحمه الله واثابه على جهاده بالروح والريحان

القاهرة أبو اسحاق : ابراهيم اطفيش

حضارة العرب – في اليمن

« اكتشاف تاريخي عظيم الاهمية »

اطلعنا على رسالة واردة من صنعاء اليمن تاريخها غرة المحرم ١٣٤٤، وأيدتها رسالة اخرى من صنعاء أيضاً صدرت بعدها، بان جماعة من رعاة الغنم بينما كانوا في لحف جبل من بلاد أرحب[1] لاحظوا أن في لحف الجبل شبه طاقة مسدودة، فحاولوا فتحها بحجر فسقط منها ملح. وما زالوا بها حتى فتح لهم باب صغير، ولما دخلوا منه وجدوا غرفة ينزل اليها بدرجات وفي داخلها أبواب. فبادر الرعاة الى ايصال خبر هـذا الاكتشاف الى جلالة الامام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين صاحب البلاد اليمنية. فأوفد جلالته وفداً من أهل العلم والنباهة الى موضع ذلك الاكتشاف من بلاد أرحب. فدخل رجال الوفد الى الغرفة التى دخلها الرعاة في جوف الجبل ثم وصلوا من أحد الابواب التي فيها الى محل واسع مظلم قيل ان الماشي يمشي فيه ثلاث ساعات. فجيء بنحو أربعين رجلا ومعهم المصابيح فوصلوا الى أماكن فيها آكام من تراب ذاتُ الوان

وكان على باب هذا المكان من داخل الغرفة كتابة منقوشة على الحجر، فألصق عليها رجال الوفد ورقاً لنقل ماهو مكتوب عليها وايصاله الى جلالة الامام، فتبين أن الكتابة بالحِمْيَرِية

أما آكام التراب التى وجدت في جوف الجبل فيغلب على الظن انها معادن، ويظن رجال الوفد أن منها ماهو معدن القصدير، ومنها ماهو معدن الذهب، ومنها ماهو أصباغ معدنية. وقد جاء الوفد بنماذج هذه الانواع الى صنعاء وأطلع عليها جلالة الامام فقرر ارسال نماذج منها الى المانيا ليفحصها الاخصائيون

(١) قال ياقوت : أرحب مخلاف باليمن سمي بقبيلة من همدان . واسم أرحب مرة بن دعام ابن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان

ويضعوا للحكومة اليمانية تقريراً عن حقيقتها

هذا مآل الرسالتين الواردتين من صنعاء عن هـذا الاكتشاف . واذا ثبت أن هذه الاكوام معادن ، فلايبعد ان يكون هذا المكان معدّاً في الازمان العريقة في القدم للتعدين ، فيؤتى الى هنا بالمادة الخام من مناجمها ليستخلص منها القصدير أو الذهب أو غيرهما : وقد اشتهرت اليمن قديما بسبك أجود أنواع الفولاذ حتى غدت السيوف التى تصنع من فولاذ اليمن مضرب المثل عند العرب. وان لم يكن هـذا الموضع مصنعا للمعادن فلعله شبه مدرسة يؤتى اليها بالنماذج ليتعلم الاحداث طريقة تعدينها

وعندنا ان أهم شيء تتحققه حكومة جلالة الامام هو قراءة الكتابة الحميرية المنقوشة على باب هذا الموضع ، فلا بد أنها تدل على شيء كثير مما تودّ هي وغيرها معرفته عن حقيقة هـذا الموضع ، وسرّ حفره في جوف الجبـل ، والغرض من هذه الانواع ذات الالوان من التراب الذي وجد هناك

﴿ مدرسة تركية لموظفي خزائن الكتب ﴾

يفتتحون في القسطنطينية في هذا الشهر مدرسة لتخريج موظفين لخزائن الكتب وتعليم الموظفين فيها الآن . وهذه المدرسة تابعة للجامعة ، ويدرس فيها فهمى أدهم بك مدير خزانة الجامعة الذى علم قراء الزهراء شيئاً عنه مما نشرناه في العدد الماضي (ص ٢١) ، وسيحاضر فيهـا أحمد توحيد بك مفتش دور الكتب وموضوع محاضراته « علم معرفة الكتب في الشرق » و «علم قراءة الخطوط القديمة » ، ومما يدرس في هذه المدرسة تاريخ الكتاب وفن الطباعة وأصول تجارة الكتب ، وتاريخ تأسيس المكاتب العامة ، وما يلزم في بنائها ، وكيفية تنظيمها ، وتأليف فهارسها الهجائية والعلمية ، وعمل جذاذاتها Fiches وتجليد كتبها ، وشروط الاعارة الى غير ذلك مما يحتاج موظفو دور الكتب العامة الى معرفته .

حركة النشر والتأليف

﴿ كتاب الانتصار .. — في الرد على ابن الراوندي ﴾

مطبعة دار الكتب المصرية ، المكتبة السلفية ＊ ٣٢٠ ص ، ٤ : ٥ ، ١٥ قرشا

اقتنى شيخنا العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله طائفة عظيمة من نوادر المخطوطات ، وقلما كان في الشرق والغرب من يبلغ مداه في معرفة طبقات علماء هذه الامة وأقدار مصنفاتهم . فلما أدركته الشيخوخة كان حريصاً على أن تحفظ نفائس مكتبته في خزائن البلاد الاسلامية الثابتة الدعائم ، كدار الكتب المصرية والخزانة التيمورية عمرهما الله تعالى

ومن كتبه التي دخلت دار الكتب المصرية عام ١٣٢٨ (١٩١٠ م) كتاب أبي الحسين الخياط المعتزلي (من فحول القرن الثالث) في الرد على معاصره ابن الراوندي الملحد . وقد أدرك اللورد كرومر يومئذ أهمية هذه النسخة الوحيدة في الدنيا فيما نعلم فنوّه بها في تقريره السنوى لذلك العام . وهي قديمة العهد جداً : كتبت سنة ٣٤٧ ، ثم وقفها أحد ملوك الشام على المدرسة الاتابكية ، وقرأها وكتب عليها محمد بن احمد الصميدى الشافعي القرشي ، ثم كانت من كتب المؤلف الدمشقي الشهير محمد بن طولون (٨٨٠ — ٩٥٣)

وابن الراوندى الذي رد عليه أبو الحسين الخياط في كتاب الانتصار هذا هو أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي [1] من أهل مرو الروذ وسكن بغداد ، كان في أول أمره حسن السيرة ، حميد المذهب ، كثير الحياء ، منتسباً الى المعتزلة ومعدوداً فيهم من أهل الطبقة الثامنة على ماذكره ابن المرتضى في كتاب (المنية والامل) ، ثم انسلخ من ذلك كله لاسباب عرضت له — وكان علمه

(١) راوند من قرى قاسان بنواحي أصبهان ، قال ياقوت اصلها (راهاوند)

ا كثر من عقله — فهجره علماء المعتزلة ونفوه . وأحرجه ذلك فاحب أن يكيد لهم فاظهر الرفض واعتقد الالحاد وألف الكتب في ثلبهم وترجيح الفرق الاخرى عليهم،وكان يؤلف كتبه الكفريات لابي عيسى اليهودي الاهوازي وفي منزله هلك . ويقال ان أباه كان يهوديا فاسلم ، وفي معاهد التنصيص (١ : ٧٦ — ٧٧ بولاق) نقلا عن كتاب محاسن خراسان لابي قاسم البلخي الكعبي تلميذ أبي الحسين الخياط : وقد حكي عن جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه ، وأظهر الندم ، واعترف بأنه صار اليه حمية وأنفة من جفاء أصحابه له وتنحيتهم اياه من مجالسهم

وكان أبو عثمان الجاحظ قد وضع كتاب (فضيلة المعتزلة) لما فقد علماؤها عطف الدولة عليهم زمن المتوكل . فجمع فيه محامدها ، وعدّ فضائلها ، وقصد فيه الى الرد على الرافضة والطعن فيهم . فألف ابن الراوندى كتابه (فضيحة المعتزلة) في الرد على كتاب الجاحظ تتبع فيه الاقوال المستبعدة في العقل والنقل مما ينسب الى المعتزلة فذكرها ونسب اليهم أقوالا حمله عليها الحقد والكفر معاً. فتصدى له أشهر علمائهم وهو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط فتتبع كتاب (فضيحة المعتزلة) فاقرّ ماثبت عنهم وقرّر الداعي اليه على حسب ما ظهر له ، ونفى مانسب اليهم افتراء

وان بقاء كتاب ابن الخياط محفوظاً الى الآن قد بين لنا موضوع كتاب الجاحظ (فضيلة المعتزلة) وأبوابه ، ونقل لنا معظم أقوال ابن الراوندي في كتاب الفضيحة ، وسيكون على صغره مرجعاً عظيم الاهمية في تعرّف مذهب المعتزلة والاطلاع على أقوال أئمتهم ، فان كثيراً من أقوالهم نراها في كتب المذاهب الأخرى في معرض الرّد عليها ، ولا نجد كتب المعتزلة نفسها المنقولة منها أقوالهم لأنها فقدت منذ عصور ، فكتاب ابن الخياط هذا من أصح

مايرجع اليه في هذا الباب

وكان علامتنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله قد سعى غير مرة لحمل الناشرين على طبع كتاب أبي الحسين بن الخياط ، والظاهر ان بعضهم وافقه مرة على الشروع في طبعه ثم احجم عن ذلك . وعندي قطعة من مسودة بخط أستاذنا الطاهر كان شرع في كتابتها لتكون مقدمة لنشر هذا الكتاب . فشاء القدر أن يكون ذلك من نصيب الاستاذ الفاضل صديقنا الدكتور نِيبَرْغ H. S. Nyberg الاستاذ بجامعة أُپسالة من مملكة السويد، فانه أقام بيننا في القاهرة أشهراً طويلة يخدم فيها هذا الكتاب ويدخل الى تحقيقه وتجويده والعناية به من كل باب . وقد نقل للقراء متن الكتاب بكل أمانة ، وأبدى ملاحظاته على المواطن التي توقف فيها . وقدم له مقدمة جليلة في تحقيق متن الكتاب وأصل النسخة ونسبتها الى مؤلفها ، وترجمة المؤلف وابن الراوندي المردود عليه وذكر مؤلفاته ، والكلام على مذهب المعتزلة وأصوله الخمسة . وألحق به تعليقات واستدراكات على أكثر صفحات الكتاب فزاده بذلك بياناً وايضاحاً . وضاعف فائدته بفهرس هجائي لما ورد في متن الكتاب من اسماء الرجال والفِرَق والمناسبات التي ذكروا فيها . وبفهرس هجائي آخر للكتب المذكورة فيه . وقد أعلن الاستاذ الناشر شكره للجنة التأليف والترجمة والنشر لأنها أنفقت على طبع الكتاب ، ولفضيلة رئيسها الشيخ أحمد أمين القاضي الشرعي لمساعدته في تصحيح العبارات العربية في كل من المقدمة والتعليقات والفهرس

ونحن نعلن هنا شكرنا للاستاذ الفاضل الدكتور نيبرغ على خدمته هذه الجليلة لآدابنا وعلوم سلفنا بنشره هذا الكتاب النفيس وابرازه بابدع حلة ونرجو أن يوفق الى اعمال كثيرة كهذا العمل

﴿ علل الحديث لابن أبي حاتم ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها * الجزء الاول : ص ٤٩٥ بقطع الزهراء

فن علل الحديث من أعظم فنون السنة المحمدية خطراً ، وأرفعها مكانة ، وهو يدل على مبلغ عناية الصدر الاول من علماء هذه الامة في حياطة الحديث وحراسة أسانيده . وأول من ألف فيه ـ على مانعلم ـ الامام مسلم بن الحجاج القشيري المتوفى سنة ٢٦١ ، ثم جاء بعده مؤلف هذا الكتاب الحافظ الكبير عبدالرحمن بن أبى حاتم (٢٤٠ — ٣٢٧) فمحص علل نحو ثلاثة آلاف حديث ذاكراً في كل واحد منها اسم الراوي الذي جاءت علة الحديث من ناحيته ، وقد تلقى ذلك عن والده أبي خاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازي وعن أبي زرعة الرازي

وابن أبى حاتم من كبار سلف هذه الامة الذين زهدوا في لذائذ الدنيا ، وتنقلوا في أطراف الارض ، وتحملوا شظف العيش ، لخدمة السنة النبوية وتدوين الشريعة الاسلامية ودفع الزغل عنهما . وقد جاء بعد ابن أبي حاتم من كتب في علل الحديث كالحافظ الدار قطنى فان له في ذلك كتابا في خمس مجلدات الا أن كتاب ابن أبي حاتم أحسن ترتيباً وأقرب لاستفادة الناس

وقد وفق الله الفاضل الكريم الشيخ محمد نصيف عين أعيان مدينة جدة وجماعة معه من أفاضل المسلمين الى احياء هذا الكتاب بالطبع فصدر الآن من مطبعتنا السلفية نصفه الاول في نحو خمسمائة صفحة ، منقولا عن نسختين خطيتين احداهما في الخزانة التيمورية العامرة (رقم ١٣٥ حديث) كتبت في دمشق سنة ٦١٥ والثانية في دار الكتب المصرية (رقم ٩٠٨ حديث) وهي أيضاً قديمة . وقد طبع طبعاً حسناً على ورق جيد . جزى الله الذين عملوا على نشره خير الجزاء

البينات — للاستاذ الشيخ عبدالقادر المغربي

المطبعة السلفية ومكتبتها ٭ ٢٠٦ ص بقطع الزهراء : ثمنها ١٥ قرشا

للاستاذ الكاتب الاصلاحي الشهير الشيخ عبدالقادر المغربى عضو المجمع العلمي العربى بدمشق فصول ممتعة في الدين والاجتماع والأدب والتاريخ ، هى من بنات تفكيره الطويل وثمرات بحثه الكثير . وأكثر ما كانت تنشر في جريدة (المؤيد) يوم كانت أعظم جريدة عربية اسلامية . وكان كثيرون يتمنون لو جمعت هذه الفصول في كتاب يحفظها ويجعلها قريبة التناول من أيدي طالبيها . فاختار الاستاذ في الآونة الاخيرة أمتعها وأهمها ، وجمعها في جزءين صدر أولها من مطبعتنا السلفية ، والثاني تحت الطبع فيها . وفي هذا الجزء الاول واحد وأربعون فصلا بعضها في التاريخ على مثال النموذج الذي نقلناه في الجزء الماضي من الزهراء وعنوانه « يوم فى القاهرة » ، وآخر عنوانه «سياحة الذاكرة في أزقة القاهرة » وثالث عنوانه « ثورة سنة ٢٥٦هـ » في جناية الموالى على الخلافة العباسية ، وفصل عنوانه « منذ سبعمائة سنة » فيما كانت عليه حالة بغداد الاجتماعية في ذلك العهد . ومن الفصول الاصلاحية في كتاب البينات مقالتان في الاصلاح الاسلامي ، ومقالة فيما كان للحرية العلمية في الاسلام من التأثير العظيم في ارتقاء الحضارة وتقدم العلوم ، ومقالات في حقيقة الطلاق ، وغيرها في مقاومة البدع . ومن المقالات الاجتماعية مقالة « البطالة والعمل » ومقالات « السعادة » ومقالة في وصف اضطراب العائلة الاوروبية . وبالجملة فهذا الجزء من كتاب البينات حافل بالابحاث التى يحرص كل أديب على التأمل فيها

ولكاتب الشرق الاكبر وأمير البيان العربى الامير شكيب أرسلان مقدمة جليلة جدا لكتاب البينات في نحو ستة عشر صفحة تناول فيها الكلام

على الاصلاح الاسلامي من نواحي كثيرة ، وقد اقتطفنا منها في الجزء الماضي من الزهراء مقال « الاسلام والحضارة العصرية » وفيه من الآراء الحكيمة ما لو اتبعه شباب امتنا لكان منهم الجيل الذي يرجوه الشرق للنهوض من كبوته.

وكتاب البينات مطبوع على مثل ورق الزهراء ومن حروفها وفي أوله صورة الاستاذ المؤلف . فنلفت اليه الانظار

نهضة اليابان ـ وتأثير روح الامة في النهضة

مطبعة دار السلام ، المكتبة العربية ببغداد * ١٩٦ ص بقطع الزهراء

السيد طه الهاشمي ـ كأخيه ياسين باشا ـ من رجال العسكرية الذين تفتخر الامة العربية باخلاصهم لقوميتهم وشهامتهم وتفوقهم . ومن دلائل حبه لقومه أنه نقل لهم محاضرة الكونت أوستروروغ التى القاها في القسطنطينية عام ١٩١٠ عندما كان مستشاراً لوزارة العدلية بتركيا ، وتكلم فيها على نهضة اليابان بما كان لها من مزايا موروثة استطاع رجال تلك الامة أن يوجهوها نحو الغاية المنشودة . وفي هذه المحاضرة خلاصة تاريخ اليابان ، ومناقب الساموراي ، ثم دور اعتداء الحضارة الافرنجية عليهم ، ومحاولتها فتح موانئهم لها ، وحملها اليابانيين على توقيع المعاهدات التى تطلبها . وهنالك فصل فيما كان من نفوذ الصين الادبي على اليابان ، وكيف بدأ دور الانتباه في بلاد الشمس المشرقة ، ودخولها فى دور العمل ثم في دور الاصلاح . وقد ضرب الكونت استروزوغ المثل لتركيا باليابان وكيف استطاعت ان تسود نفسها وتكون قوية محترمة ، وذلك بما لليابانيين من سجية الاستعداد لادراك أفضلية الحضارة والسعي الحثيث لتمثيلها أي تحويلها الى شكل قومي وطني ، وكانت القاعدة التى تقررت عند شبابهم هي « ان الواجب القومي يقضي على اليابانيين بأن يسعوا للحصول على الحقوق القومية التي هضمها الاجانب ، ويجدّوا للوصول الى المساواة العامة المنشودة » وقد توصلوا الى ذلك باقتباس جوهر العلوم الحديثة والصناعات

الراقية وأساليب تنمية الثروة ووسائل القوة

هذا هو موضوع محاضرة الكونت اوستروروغ . ويتألف منها النصف الثاني من كتاب السيد طه الهاشمي . أما نصفه الاول فيتضمن شرح الروح القومية التى قال الكونت انها سر نهضة اليابان ، وان الاصلاح الذي توفق اليابانيون اليه انما كان بتوجيه الروح القومي الى الغاية التى بلغت بها اليابان مستوى الأمم القوية ، فذكر في هذا الباب آراء الحكيم (إيبولت تن) والاجتماعي (إدمون ديمولان) والدكتور (غوستاف لوبون) . ثم شرع السيد الهاشمي في مقارنة سجايا الشعب العربى بالسجايا اليابانية فأورد نبذة من تاريخ العرب ، وكيف تكونت سجاياهم وتأثير بيئتهم في ذلك . وعقد فصلاً لمقدرتهم على الحضارة وأن هذه المقدرة تنجلي بوضوح كلما تمكنت الأمة العربية من الاتحاد الذي يجعل حضارتهم بارزة قوية الشكيمة . وأشار بوجوب المبادرة الى ادخال اصلاح وتعديل في سجية التضحية عند العرب حتى تبلغ درجة الكمال . ومن رأيه أن في الامكان الاقتصاد في الوقت الطويل الذي تحتاج اليه الأمة لتعديل سجاياها اذا رزقت زعيماً يلتمس الطرق الحكيمة بارادة قوية لتعجيل ذلك التعديل ، وضرب لذلك الامثال من التاريخ البعيد والقريب . ونحن معه في ذلك لو رزقت الامة زعماء يحسنون اختيار الطريق الذي يوفق بين محاسن الماضي ومطالب المستقبل ، أما اذا كان الزعماء يضمرون العداء لمحاسن الماضي ومساوئه على السواء ويحاولون تقليد الاقوياء بمساوئهم قبل محاسنهم ، فان مثل ذلك يكون محفوفاً بالاخطار ومهدداً بالانتقاض ؛ لأنه غير طبيعي

وبعد فاننا نستدل من صدور هذا الكتاب وأمثاله في العراق على أن هناك نهضة حميدة ، وحياة جديدة ، سدد الله خطوات ذلك القطر الشقيق ووفقه الى استعادة عصره الذهبي في الحضارة العربية الاسلامية

﴿درر الحكام ، شرح مجلة الاحكام ـ لعلي حيدر افندي﴾

المطبعة العباسية في حيفا * ٣٦٨ ص بالقطع الكامل : ثمن المجلد الاول ٥٠ قرشا

نقلنا في المجلد الاول من الزهراء (ص ٤٧٧) قول المستشرق المجري الشهير الاستاذ ڤمبري لهاشم ولي افندي لما زاره في مدينة بودابست قبل وفاته : « ان فقهكم واسع جداً الى درجة أنني أقضى العجب كلما فكرت في انكم لم تستنبطوا منه الانظمة والاحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم »

ومن المؤكد الذي لاريب فيه أن الفقه الاسلامي لو كان مما ورثه هؤلاء الاوربيون عن سلفهم لكانوا أبرّ به منا ، ولنظّموه تنظيماً عجيباً ، وأخرجوا منه للناس مَعْلَمة فقهية[1] على نحو معالم دالّوز وكاربنتيه والپاندكت في القانون . ولو أن الفقه كان من تراثهم وخدموه تلك الخدمة لكان شبابنا يشغفون به ، ويجدون اللذة كل اللذة في درسه ، واستنباط وجوه العدل منه ؛ هذا مع بقاء جواهر أحكامه على ماهي عليه دون ان يدخلها شيء جديد غير التنظيم والتنسيق والمقارنة بين منازع الاختلاف في وجوه النظر الى الادلة

ويرى القارىء من البحث التاريخي الجليل الذي كتبه لنا استاذنا العلامة المحقق أحمد تيمور باشا ونشرنا شطره في صدر هذا الجزء من الزهراء أن العالم الاسلامي مابرح منذ بضعة عشر قرنا يأنس بأحكام الفقه ، ويتمتع بما فيه من لذة العدل ، ويرضخ اليه عن رضى واختيار ، لرجوع أحكامه الى أصول الشرعية الاربعة المعلومة

وفيما كان من حق الاحكام الفقهية على الحكومات الاسلامية أن تعهد الى الاخصائيين في الفقه والقانون بافراغ قسم المعاملات من جميع المذاهب الاسلامية في قالب قانون مدني يفي بحاجة أمتنا في هذا العصر ، ويكون الى جانبه قانون

(١) المعلمة : دائرة المعارف انظر المجلد الاول من الزهراء ص ٥٠٥ .

للمرافعات يضمن للمتقاضين الراحة والطمأنينة - رأينا الحكومات الاسلامية أخذت تنصرف عن ذلك الى قوانين أجنبية عن الامة غير منتزعة من روحها ولا سبق لها الاستئناس بها ، فاصبح القضاء المدني في أوطاننا غريباً عنا

نعم ، ان الحكومة العثمانية اتخذت لها من الفقه الاسلامي قانوناً مدنياً في الستين سنة الماضية ، لكنها ضيقت على نفسها وعلى الناس إذ تقيدت بفقه الامام أبي حنيفة ، ولو توسعت لوجدت في سائر مذاهب الفقه الاسلامي ماتستمدّ منه أرقى قانون مدني عرفه الناس . وكذلك فعلت الحكومة التونسية وأحسنت كثيراً ، وكان يكون احسانهـا أعمَّ وأعظم شمولاً لوتشجعت في الاغتراف من بحر الفقه الاسلامي الذي لا نهاية لخيراته ، فلم تتقيد بمذهبي المالكية والحنفية دون غيرهما . وسمعتُ من رجال العلم أن الحكومة المصرية عزمت في وقت من الاوقات على أن تستمدّ قانونهـا المدني من ذلك البحر العظيم ، واشترط صاحب الاريكة المصرية يومئذ عدم التقيد بمذهب واحد ، فوافق بعض الشيوخ وعارض بعضهم بدعوى عدم جواز التلفيق ، فكانت النتيجة أن أصبح قانون مصر المدني افرنجياً ظاهراً وباطناً

في غرة المحرم سنة ١٢٨٦ ﻫ رفع العلاّمة المرحوم أحمد جودت باشا وزير العدلية تقريراً الى الصدر الاعظم عالي باشا موقعاً منه ومن اثنين من رجال وزارته وهما السيد خليل بك والسيد احمد حلمي بك ، واثنين من أعضاء شورى الدولة وهما العلامة السيد محمد أمين الجندي الحمصي وسيف الدين بك ، ومن مفتش الاوقاف السلطانية السيد خليل بك ، ومن الفقيه الدمشقي الكبير الشيخ علاء الدين عابدين ، يبشرونه فيه بأنهم أنجزوا قسماً كبيراً من القانون المدني للدولة ، وأنهم أخذوه من الاقوال الراجحة في مذهب أبي حنيفة ولم يعدلوا عنه الى غيره إلا في مسألة البيع بالشرط فانهم أخذوا فيها بمذهب الامام ابن شبرمة

لأنه أوفق لحاجة العصر ، وكذلك عدلوا عن قول الامام الى قول صاحبيه أو احدهما في نحو ثلاث مسائل . وقد اعترفوا في هذا التقرير بالعناء الذي وجدوه في عملهم لاقتصارهم على مذهب السادة الحنفية الذي لم يحصل فيه التنقيح كما حصل في فقه الشافعية . ولو أراد رجال الدولة أن يستفيدوا من التنقيح الحاصل في فقه الشافعية ، ومن الرحمة التى تكون للأمة من اختلاف سائر الأئمة رضي الله عنهم ، لكان المجال لديهم واسعاً إذ للامام أن يأمر بالعمل حتى بالقول الضعيف فيقوى بذلك . وللاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله رأى في هذا الباب أثبته في ص ٦٤ — ٦٦ من تقريره الى وزير الحقانية عام ١٣١٦ ه في اصلاح المحاكم الشرعية

ومما لاتفوتنا الاشارة اليه من تاريخ محاولة الحكومات الاسلامية اتخاذ قانون مدني من الفقه الاسلامي أن الدولة العثمانية خطر على بالها هذا الخاطر من قبل تأليف المجلة فقد جاء في تقرير جودت باشا وزملائه الذي أشرنا اليه آنفا أنه قدسبقهم الى هذا العمل جمعية علمية عقدتها الحكومة العثمانية في ادارة مجلس التنظيمات فدونت كثيراً من المسائل . ولكن عملها انقطع ، فجاءت جمعية جودت باشا — التى كان من رجالها المرحوم السيد محمد أمين الجندي والشيخ علاء الدين بن عابدين — واستأنفت العمل بعد سنين وأبرزت للامة أجود قانون مدني يمكن تنظيمه من الاقوال الراجحة في فقه أبي حنيفة النعمان رحمه الله

ومنذ أصبح قانون الدولة المدني مأخوذا من الفقه انكبّ رجال القانون على درس فقه الحنفية ، حتى أن كثيراً من أفاضل المسيحيين كانوا من الفقهاء الذين يشار اليهم بالبنان . وبلغني أن العلامة الشرتوني صاحب معجم أقرب الموارد تلقى علم الفقه مع استاذنا الشيخ طاهر الجزائري على علامة الشام

في زمانه الشيخ عبد الغني الميداني ، وإن القانوني اللبناني المشهور سليم افندي باز قد شرح مجلة الاحكام الشرعية التي هي موضوع بحثنا شرحاً استفاد منه عدد عظيم من الطلبة والمحامين

وكانت « مجلة الاحكام العدلية » باعتبارها قانون الدولة المدني في مقدمة الدروس التي تلقى في مدارس الحقوق العثمانية ، ولا تزال الى يومنا هذا تدرس بمدرسة الحقوق العربية بدمشق لأنها هي القانون المدني في سوريا و لبنان وكذلك في فلسطين وشرق الاردن والعراق . وقد تولى تدريسها في مدرسة الحقوق بالقسطنطينية كثيرون من فحول العلماء ، ولكن أعلمهم وأفضلهم على الاطلاق هو علي حيدر افندي الذي كان أمين الفتيا في باب المشيخة الاسلامية ورئيس محكمة التمييز (النقض والابرام) التي تعد قراراتها من المستندات القضائية . وقد تولى هذا الاستاذ في حين مّا وزارة العدلية العثمانية أيضاً . وشرحه الذي كتبه على « مجلة الاحكام العدلية » هو نتيجة تدريس سنين طويلة ، وقد طبع مرات في القسطنطينية ، وتفسيره لمواد المجلة كانت المحاكم النظامية في تركيا تعده حجة يرجع اليها لأن هذا الشرح مأخوذ من أقوال في فقه الحنفية موافقة للاقوال التي اختارها مؤلفو المجلة . وقد تصفحه علماء وفقهاء في دائرة الفتيا الاسلامية العالية ووافقوا عليه

وقد تولى تعريب هذا الشرح الاستاذ القانوني الفاضل السيد فهمي الحسيني المحامي صاحب مجلة الحقوق التي تصدر في يافا . وصدر منه المجلد الاول في حلة قشيبة حسن الورق والطبع والوضع محتويا على شرح اكثر من أربعمائة مادة من مجلة الاحكام العدلية وسيكون الكتاب كله في ستة مجلدات . وقد ساعده على نشره حضرة الوطني الغيور السيد رشيد الحاج ابراهيم وحضرة الصحفي المخلص السيد كمال عباس . فنرجو الله أن يوفقهم الى اكمال هذا العمل النافع

﴿ الموشح ـ للمرزباني ﴾

« فى مآخذ العلماء على الشعراء »

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٤٨٠ ص بقطع الزهراء : ثمنه ٢٥ قرشا

سبقت لقراء مجلتنا معرفة مكانة علاّمة الادب الامام الحجّة أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزُباني (٢٩٦ ـ ٣٨٤ هـ) بما نشرناه في المجلد الماضي ص ٢٧٢ من ترجمته وبيان مصنفاته . وقد انتهت الآن جمعية نشر الكتب العربية في القاهرة من طبع كتابه (الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء) وهو من أنفس كتب الادب ذكر فيه عيوبَ الشعراء التي نبه عليها أهل العلم ، وأوضحوا الغلط فيها : من اللحن ، والسناد ، والايطاء ، والاقواء والاكفاء ، والتضمين والكسر ، والاحالة ، والتناقض ، واختلاف اللفظ ، وهلهلة النسج ، وغير ذلك من سائر ماعيب على الشعراء قديمهم ومحدثهم في أشعارهم خاصة

وقد افتتح كتابه بعد الخطبة بذكر عيوب الشعر . ثم أتى على شعراء الجاهلية واحداً بعد آخر فذكر في ترجمة كل واحد ماعابه العلماء من شعره وحججهم في ذلك . ثم ذكر الشعراء الاسلاميين . وقفّى على أثرهم بالشعراء المحدثين الى زمانه . فكان مجموع من عقد لهم التراجم من الشعراء يقرب من مائة شاعر غير من ذكرهم اجمالا أو لمناسبة

ويتخلل الكتاب كلام جليل نفيس على فنون الشعر وعيوبه مما ذكره قدامة بن جعفر ، وأبو عمر الجرمي ، وابن طباطبا العلوي ، وغيرهم من علماء نقد الشعر

وقد طبع هذا الكتاب عن نسخة العلامة محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي المحفوظة في دار الكتب المصرية . وناطت جمعية نشر الكتب العربية بجماعة من رجال الادب من أعضائها تحقيق متنه ، وشكل المشكل من

منظومه ومنثوره ، وردّ غلطات الاصل - وهي قليلة - الى أصلها ، اعتماداً على أمهات كتب الادب ودواوينه المعروفة . وقد تولى منشىء هذه المجلة وضع فهرس مفصل لما فى متن الكتاب من الاعلام التاريخية والجغرافية فجاءت في أكثر من ثمانين صفحة تسهيلا للقراء على نحو مايصنع المستشرقون في كتبنا التي ينشرونها في أوروبا ، وذلك فضلا عن الفهرس الموضوع فى هذه الطبعة للشعراء المعقود لكل واحد منهم فصل خاص به ، وعن الفهرس الذي أفرد لفنون الشعر وعيوبه . وقد وضع فى أول الكتاب ترجمة مؤلفه وثبت مصنفاته نقلا عن كتب التراجم المعتبرة

وان (جمعية نشر الكتب العربية) قد خدمت الادب العربي بنشرها هذا الكتاب النفيس أجلّ خدمة . وهو جيد الطبع والورق والتصحيح .وجدير بكل أديب أو شاعر أن لاتخلو خزانته من نسخة منه

❁جامع العلوم والحكم - لابن رجب❁

مطبعة النهضة ، المكتبة السلفية ❁ الرسالة الاولى والثانية في ٩٠ صفحة : ثمنهما ٤ قروش

الامام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (٧٥٦ - ٧٩٥ هـ) من كبار علماء الحديث والفقه .ومن مؤلفاته شرحه على الاربعين النووية واكملها خمسين حديثا وقد سماه (جامع العلوم والحكم) . وكان هذا الكتاب قد طبع فى الهند طبعة كثيرة التحريف ، فرأى حضرة الاستاذ العالم الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي أن يخدم علم السنة بطبع هذا الكتاب طبعاً مصححا وأن ينشره أجزاء صغيرة تسهيلا لاقتنائه . وبين يدينا الآن الرسالتان الاولى والثانية منه جميلتي الطبع جيدتي الورق معتنى بتصحيحهما ، مع التعليقات المفيدة التى لاغنى عنها . وكان حضرته قد نشر لهذا المؤلف فيما مضى رسالة كشف الكربة فى شرح حديث « بدىء الاسلام غريبا » . أحسن الله جزاءه

﴿ خطط الشام ﴾

« الجزءان الثاني والثالث »

مطبعة الترقي بدمشق * الجزء الثاني ٣٢٠ ص والثالث ٢٨٠ ص : ثمن الجزء ٣٠ قرشاً

جاءنا بعد صدور الجزء الماضي من الزهراء الجزءان الثاني والثالث من خطط الشام للاستاذ العلامة السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق : وهما كالجزء الاول في حسن الطبع ، وسعة البحث ،والمبالغة في التحقيق ، والذوق في التبويب والتنسيق. وبهما تمّ التاريخ المدني لبلاد الشام ، وفي الاجزاء الاخرى يكون الكلام عليها من جهة خططها وأوضاعها الجغرافية والعمرانية . وقد ابتدأ الجزء الثاني بتاريخ الشام زمن الدولة النورية (سنة ٥٢٢ ـ ٥٦٩) يليه تاريخها زمن الدولة الايوبية (٥٦٩ ـ ٦٣٧) فدولة المماليك البحرية وظهور التتر (٦٣٧ ـ ٦٩٠) فدولة المماليك (٦٩٠ ـ ٧٩٠) فوقائع تيمور (٧٩٠ ـ ٨٠٣) فعهد المماليك الاخير (٨٠٣ ـ ٩٢٢) فالزمن العثماني (٩٢٢ ـ ١٢٠٠) * وفي الجزء الثالث الكلام على بقية الزمن العثماني الى سنة ١٢٤٧ ثم دور الحكومة المصرية (١٢٤٧ ـ ١٢٥٦) الذي كان الاستاذ المؤلف تفضل به على مجلة الزهراء (١ : ١٢٩ ـ ١٥٨) فالعهد العثماني من سنة خروج المصريين الى اعلان الدستور، فنشوب الحرب العظمى فخروج الترك من الديار الشامية (١٣٣٦ هـ)، ثم العهد الحديث(١٣٣٦ ـ ١٣٤٣). وبعده فصل في التقاسيم الادارية الحديثة وآخر في العقود والعهود الاخيرة . وعلى هذا فالاجزاء الثلاثة الاولى من خطط الشام هي تاريخ جيد للشام بوجه خاص وللعرب والاسلام بوجه عام . وقد عنى مؤلفه حفظه الله بجمع مواده عناية يقل الشكر في جانبها . وكنا نتمنى لو أنه أشار الى أرقام صفحات الكتب التي نقل عنها تسهيلا على من يريد التوسع في البحث من قراء هذا الكتاب النفيس

﴿ سيرة الامير محمد بن عبد الكريم ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٩٢ ص بالقطع الكامل : ثمنها ٥ قروش

ألف هذا الكتاب الاستاذ الوطنى الفاضل السيد رشدي الصالح ملحس رئيس النادي العربى في مدينة نابلس ، وقدم له مقدمة في تاريخ النضال بين الشرق والغرب ، ثم عقد فصلاً لجغرافية بلاد المغرب الاقصى مزيناً بخريطة دقيقة مفصلة لبلاد الريف والسلطنة المغربية . وبعد تلك الجملة الجغرافية تأتى جملة تاريخية عن ماضي المغرب في العهد القديم والعهد العربي وعهد الاستقلال . تليها جملة عن ماضي العداء بين اسبانيا والمغرب ، وأخرى عن مسألة طنجة . وبعد ذلك يأتى فصل خاص بسيرة الأمير ابن عبدالكريم : مولده ونسبه ، نشأته ، أوصافه ، أخلاقه ، نبوغه ومواهبه ، حالته قبل الحرب العظمى ، وفي الحرب ، وبعد الحرب ، وأسباب ثورته ، وحادثة الكرباج ، ودعوته بني ورياغل الى الانتقام للأندلس ، ورصاصة الانذار في ١٤ ذي القعدة ١٣٣٩ ، والجمعية الوطنية ، والميثاق القومى ، والعَلَم الريفي . واتخاذ أجدير عاصمة ، وأقوال الأجانب والصحف في الأمير ، وبيان ماقام به من التشكيل الاداري والاصلاح ، وأعماله السياسية ، ووفود الريف الى أوربا ، وخطاب الامير الى العالم الاسلامى ومنشوره على جمعيات الهلال الاحمر ، وتصريحات الامير للمراسلين ، ومساعيه في سبيل السلام ، ونص رسالته الى مستر مكدونلد . وفي هذا الفصل صورتان للأمير احداهما تمثله منفرداً وهي آخر صورة له ، والأخرى تمثله وهو في مركز القيادة . وفي الفصل الثالث كلام على الجيش الريفى ، والتجنيد العام ، ومجمل الوقائع الحربية مع الاسبان سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢ وواقعة الحسيمة ومفاوضات الصلح ، وموقعة داغيت سنة ١٩٢٣ ، ومؤتمر تطوان ، ورسالة الاسبان الى الامير وجواب الريف عليها ، والمعارك الاخيرة مع الاسبانيين على انفراد وهي

التي انتهت بدحرهم وانسحابهم في العام الماضى . وفى آخر الفصل نصيحة مستر لويد جورج لمن يحاربون الريف . والفصل الرابع خاص بفرنسا والريف والحرب بينهما من أول مايو سنة ١٩٢٥ الى يوم صدور الكتاب . وفى الفصل الخامس وصف بطولة الريفيين ومرامى حركاتهم على ما اعترف به المراسلون الاجانب ، وقطعة من رسالة الامير الى جمعية الطلبة فى بونس أيرس . وبعد ذلك خاتمة الكتاب .

وهو مطبوع على ورق نفيس ومزين بصورة الامير . وقد نشرته مكتبتنا السلفية اعجاباً بما قام به اخواننا أبطال الريف من الجهاد الظافر ان شاء الله تعالى

﴿ انين ورنين ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٢١٠ ص بقطع الزهراء : ثمنه ١٥ قرشا

عنيت جمعية المواساة الاسلامية في السويس بنشر ديوان جديد للاستاذ الشاعر المبدع الدكتور احمد زكي أبي شادي ، وهو ديوان « أنين ورنين — صور من شعر الشباب » .

وقد عني بجمع هذا الديوان حضرة الصحفي الفاضل حسن افندي صالح الجداوي ، وافتتحه بوصف شعر هذا الشاعر المبدع وكيف ينظم شعره . وذيله بفصول في النقد أحدها بعنوان « النفس الشاعرة » بقلم الشاعر الكبير احمد افندي محرّم ، وبقطعة من بليغ البيان العربى بعنوان « صور من شعر الشباب » للاستاذ الكاتب الضليع محمد صادق افندي عنبر ، وفي آخرها فصل بتوقيع الفاضل جامع الديوان في موضوع النقد البياني . وهذا الديوان كسائر دواوين الاستاذ الشاعر حافل برقائق المعاني وبدائع التصورات وفرائد الوصف الشعرى وهو دليل على فيض قريحة الاستاذ الدكتور أبي شادي وكثرة حسناته

﴿ مجموعة الرسائل المنيرية ﴾

« الجزء الثاني »

ادارة الطباعة المنيرية ، المكتبة السلفية * ٢٩٠ ص بقطع الزهراء : ثمنه ١٢ قرشا

أشرنا فى السنة الماضية (ص ٥٣٩) الى ما احتواه الجزء الاول من هذه المجموعة . وقد صدر الآن الجزء الثاني منها وفيه رسالة الدواء العاجل للشوكانى المتوفى سنة ١١٨٢ فى موضوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها الاشارة الى بعض أحوال اليمن زمن المؤلف . وهي فى ١٨ ص * ورسالة العقل والروح لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ . فى ٣٠ ص * وقاعدة له فى صفة الكلام . فى ٣٥ ص * والتحف فى مذاهب السلف للشوكانى . فى ١٣ ص * وايضاح الدلالة فى عموم الرسالة لشيخ الاسلام ابن تيمية . فى ٥٦ ص (انظر الزهراء ١ : ٥٤١) * والانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف لابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ فيما كان عليه علماء السلف فى قراءة البسملة . فى ٤٢ ص (انظر الزهراء ١ : ٥٤١) * والزهر النضر فى نبأ الخضر للحافظ ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ . فى ٤٠ ص * وترجمة الامام الليث بن سعد فقيه الديار المصرية المتوفى سنة ١٧٥ واسمها « الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية » للحافظ ابن حجر . فى ٣١ ص * وشرح الصدر بذكر ليلة القدر للزين العراقي . فى ١٤ ص * ورسالة الحافظ البيهقى الى أبى محمد الجوينى والد امام الحرمين فى أهمية الاحتجاج بصحيح الحديث والرجوع الى الحق فيه . فى ١١ صفحة . وهى كما ترى مجموعة من نفائس الرسائل لكبار العلماء . وقد طبعت طبعاً نظيفاً على ورق جيد كسائر مطبوعات الاستاذ الفاضل الشيخ محمد منير الدمشقى جزاه الله خيراً

﴿ فصول التماثيل ـ لابن المعتز ﴾

المطبعة العربية ، المكتبة السلفية * ١١٢ ص جاير : ثمنه ٤ قروش

« فصول التماثيل فى تباشير السرور » كتاب لابى العباس عبد الله بن المعتز العباسي قال في خطبته انه لما انحطت أخلاق الندامى « وقبحت بهم النعمة ، وحسنت منهم الحشمة ، وانصرف السمع والبصر عن قبيح لهوهم الرث ، وذميم هزلهم الغث ، ونبت النفوس عن مباشرة حديثهم السوقي ولفظهم العامى ، عملت على مجانبة منادمتهم تكرماً ، واعتزال معاشرتهم تلوماً ، وعدلت الى مايجب لنفسي على نفسي من تحصيل فصول التماثيل المتصلة باللفظ المنثور والقريض المشهور » . وقد بنى كتابه على فصول أربعة : الاول لما قيل فى الكروم والاعناب وفى خواص الشراب ، والتحذير من عتيقه وما فيه من الاضرار بالاعصاب وذكر ماورد فى الشعر من وصف الوانه . الثانى فى الابانة عن اختيارات القدماء للاشربة . والثالث لما قيل فى تحريم الشراب وتحليله وفيه مايفهم منه أن اصطلاح ذلك العصر فى كلمة « الشراب » و « النبيذ » أنه مالم يبلغ حد الاسكار . والرابع فى وجود سبب السكر وذمه وما قيل فيه من الشعر . وقد أخبرنا طابع هذا الكتاب الشيخ محيي الدين صبري الكردى أنه نقله عن نسخة فى دار الكتب المصرية ، ولكنه لم ينبه الى ذلك فى الكتاب . وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد

﴿ الادب الجديد ﴾

المطبعة العصرية ببغداد * ١١٣ ص بالقطع الصغير

جمعت رصيفتنا مجلة الحرية الغراء طائفة من منثور الادباء العصريين ومنظومهم بعنوان « الادب الجديد » وزينتها بصور بعضهم وأهدتها مع « الربيعيات » ـ التى سيأتي ذكرها ـ الى قرائها . وبعثت الينا بنسخة منها . فنشكرها على ذلك

﴿ الربيعيات ﴾

مطبعة دار السلام ببغداد * ١٠٠ ص بالقطع الصغير

« الربيعيات » مجموعة أدبية لطيفة تضمنت أربع عشرة مقالة للكاتب العراقي السيد رفائيل بُطّي مؤلف كتاب « الادب العصري في العراق » ومحرر رصيفتنا مجلة « الحرية » البغدادية . وكان أكثر هذه المقالات نشر بجريدة « العراق » بلا توقيع أو بتوقيع « شاعر » ونشر بعضها في صحف أخرى بتوقيع « أحمد خالد » . وقد اختار فيها الكاتب أسلوب أدبائنا في أمريكا . وجعلها هدية لقراء مجلة الحرية

﴿ الاصلاح ﴾

عنوان صحيفة شهرية للابحاث العلمية والسياسية أصدرها الاستاذ مولوي محمد بركة الله الهندي في مدينة سان غال من بلاد سويسرا باللغة العربية، للدعوة الى رأيه في الخلافة وهو أن يعمل على انشائها من جديد على أن تكون روحية فقط تتولى تنظيم الصدقات والاوقاف في العالم الاسلامي وتنفقها في الشئون المشتركة بين المسلمين . وهو يرى صواباً ما كان من تقويض الترك للخلافة العثمانية على ما فهمناه من العدد الاول من مجلته هذه

﴿ الصراط المستقيم ﴾

أصدر رصيفنا الفاضل الاستاذ الشيخ عبد الله القلقيلي هذه الجريدة الغراء في مدينة يافا من أعمال فلسطين وهي صحيفة عربية اسلامية جاءتنا أعدادها الاولى فوجدناها حافلة بالابحاث النافعة والانباء الممحصة، فنتمنى لها المكانة الرفيعة في عالم الصحافة الاسلامية

﴿ مجلة المنهاج ﴾

أصدر صديقنا حضرة الاستاذ العالم الفاضل الشيخ ابراهيم اطْفَيّشْ الجزائري مجلة علمية سياسية اجتماعية باسم (المنهاج) أراد أن تكون صلة بين الشرق الاسلامي والغرب الاسلامي بما ينقله من أحوال كل منهما ، وما ينشره من الحقائق عنهما ، مع الدفاع عن حقوق الامة والبلاد . وقد صدر منها جزءان مملوءان بالمقالات الاسلامية والطرف الادبية والتحقيقات العلمية، ومنها مالايجده القارىء في المراجع المتداولة بين أيدينا كالمقالة التى ذكر فيها تاريخ دخول الاسلام في السودان وما كان من التأثير في ذلك للدعاة الاولين كالشيخ على ابن يخلف التميجارى النفوسي من علماء أوائل القرن السادس ومن اقتدى به بعده من تجار وعلماء. فنرجو لرصيفتنا (المنهاج) الغراء سعة الانتشار والتوفيق فيما انتدبت له من الخدمة العامة

﴿ البراهين الجلية في صحة الاسلامية ﴾

مطبعة العرفان بصيدا * ٣٤ ص بقطع الزهراء

السيد الياس أبو غنام فاضل من مواطنينا المسيحيين فى ديار الشام ، وقد آلمه ماراّه من تحامل الملاحدة على الاديان المنزلة ولا سيما الدين الاسلامي فألف كتابا بهذا العنوان يقع فى ستة أجزاء صغيرة جاءنا الجزء الاول منه وقد أتى فى مقدمته على النصوص الاسلامية التي تدحض زعم الملاحدة ان الاسلام ينافي الترقي ويضاد العلم واستشهد بأقوال طائفة من علماء أوروبا فى مدنية الاسلام وعلومه . ثم خص هذا الكراس بالكلام على صفحة من تاريخ نشأة الاسلام عنوانها « هرقل فى القدس » وفيه كثير من البشارات المحمدية ، وسيكون عنوان الكراس الثاني « هرقل وأبو سفيان » فنشكر للمؤلف الفاضل هديته اللطيفة

﴿ بيان من المجلس الاسلامى الاعلى في القدس ﴾

أصدر المجلس الاسلامى الاعلى فى بيت المقدس بيانًا عما دار فى اجتماعه العامّ الذي عقدته الهيئة الانتخابية العامة يومى ٥ و ٦ صفر حول اقتراح تعديل المادة الخامسة من نظامه . وفى هذا البيان نص الدعوة من رئيس المجلس ، وأسماء الذين حضروا الاجتماع ، وخطبة الافتتاح ، وفيها بيانات عن مشروع العمارة فى الحرم المقدسي وعن المستوصف الاسلامى والمدارس الاسلامية التي أنشأها المجلس والطلبة الذين يساعدهم وعن صناديق الايتام والمساعى الاقتصادية والآثار الاسلامية . وبعد هذه الخطبة تأتى تفاصيل التعديل الذي عقد الاجتماع لاجرائه فى قانون المجلس والمناقشات التى دارت حوله . ألف الله قلوبنا وأصلح أحوالنا

أنباء عن الكتب

عثر الاستاذ الفاضل عبد العزيز الراجكوتي في الهند على مخطوطات نادرة منها (كتاب ما تلحن فيه العامة للكسائي) في غشر صفحات . و(كتاب الممدود والمنقوص ـ للفرّاء) في خمس وعشرين صفحة . و (كتاب المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء ـ للآمدي) نسخة مخرومة قديمة مقابلة على نسخة المؤلف والسمسمي في خمسين صفحة. وهي آية في الضبط والاتقان . و(رسالة ابن عربى الى الامام فخر الدين الرازي) في خمس صفحات.و (مكارم الاخلاق للثعالبي) في خمس صفحات و(كتاب « كلا » لابن فارس اللغوى) في ست صفحات . و (حواشي الدرّة) لابن برّي ولابن ظفر الصقلي فيمائة صفحة . وقدذكرنا في السنة الماضية (ص ٤٧٤) أنه عثر على (كتاب التيجان في أنساب حِمْيَر لابن هشام) وكتب الينا الآن أن هذا الكتاب في ٤٥٠ صفحة

حكم

هيئة كبار العلماء

في كتاب الاسلام وأصول الحكم

قال الله تعالى :

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . وإن كثيراً من الناس لفاسقون » سورة المائدة : الآية ٥٢

﴿ هدية ﴾

من أحد المسلمين لاخوانه في جميع الأقطار

« ويوزع مجاناً من »

المطبعة السلفية ـ ومكتبتها

بشارع خيرت رقم ٤٠ بالقاهرة * تليفون ١٥ ـ ٧٣

القاهرة

غرة ربيع الأول، عام ١٣٤٤



الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على علم الهدَى ، ومرشد الورَى : سيدنا محمد الداعي الى مافيه سعادة الدنيا ، والفوز في الاخرى * وسلّمَ تسليما كثيرا

وبعد فقد صدر في مصر كتاب عنوانه « الاسلام وأصول الحكم » للشيخ علي عبد الرازق خرج فيه على الاصول التى سُمّيَ بها عالماً شرعياً ، وكان بها أهلا للفتيا والقضاء.

ولما تحقق ذلك لهيئة كبار العلماء فى الجامع الازهر الشريف ناقشته وحكمت بالاجماع باخراجه من زمرة العلماء ، ووضعت فى ذلك المذكرة التالية :

المذكرة

هيئة كبار العلماء المجتمعة بصفة تاديبية بمقتضى المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١ في دار الادارة العامة للمعاهد الدينية يوم الاربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد ابي الفضل شيخ الجامع الازهر ، وحضور اربعة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء وهم حضرات اصحاب الفضيلة الاساتذة :

الشيخ محمد حسنين والشيخ دسوقى العربي والشيخ احمد نصر والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد شاكر والشيخ محمد احمد الطوخى والشيخ ابراهيم الحديدى والشيخ محمد النجدي والشيخ عبد المعطي الشرشيمي والشيخ يونس موسى العطافي والشيخ عبد الرحمن قراعه والشيخ عبد الغنى محمود والشيخ محمد ابراهيم السمالوطى والشيخ يوسف نصر الدجوى والشيخ ابراهيم بصيلة والشيخ محمد الاحمدى الظواهري والشيخ مصطفى الهيهاوي والشيخ يوسف شلبي الشبرابخومي والشيخ محمد سبيع الذهبي والشيخ محمد جموده والشيخ احمد الدلبشانى والشيخ حسين والى والشيخ محمد الحلبي والشيخ سيد علي المرصفي

نظرت في التهم الموجهة الى الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الازهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية

التى تضمنها كتابه « الاسلام وأصول الحكم » وأعلنت له في يوم الاربعاء ٨ المحرم سنة ١٣٤٤ (٢٩ يوليه ١٩٢٥)

وقد قام بعمل السكرتارية لهذه الهيئة محمد قدرى افندي رئيس اقلام السكرتارية العامه لمجلس الازهر الاعلى والمعاهد الدينية وعلي احمد عزت افندي الكاتب الاول للجامع الازهر والمنتدب بالادارة العامة للمعاهد الدينية

الوقائع

نشر باسم الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الجامع الازهر والقاضى الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية الكتاب المسمى « الاسلام وأصول الحكم » فقدمت الى مشيخة الجامع الازهر عرائض وقع عليها جم غفير من العلماء في تواريخ ٢٣ ذى القعدة وأول و ٨ ذى الحجة سنة ١٣٤٣ (١٥ و ٢٣ و ٣٠ يونيه سنة ١٩٢٥) وقد تضمنت ان الكتاب المذكور يحوي أموراً مخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع الامة . منها :

١ — جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لاعلاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا

٢ — وان الدين لايمنع من ان جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك لافى سبيل الدين ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين

٣ — وان نظام الحكم في عهد النبي ﷺ كان موضوع غموض

أو ابهام أو اضطراب أو نقص وموجبا للحيرة

٤ — وان مهمة النبي ﷺ كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ

٥ — وانكار اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام ، وعلى انه لا بد للامة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا

٦ — وانكار أن القضاء وظيفة شرعية

٧ — وان حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضى الله عنهم كانت لا دينية

وقرر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد أبي الفضل شيخ الجامع الازهر بناء على ذلك اجتماع هيئة كبار العلماء بصفة تأديبية في يوم الاربعاء ١٥ المحرم سنة ١٣٤٤ (٥ اغسطس سنة ١٩٢٥) الساعة العاشرة صباحا في دار الادارة العامة للمعاهد الدينية وأعلن ذلك للشيخ علي عبد الرازق في يوم الاربعاء ٨ المحرم سنة ١٣٤٤ (٢٩ يوليه سنة ١٩٢٥) وكلف الحضور امام الهيئة المذكورة في التاريخ والمكان المذكورين

وفي التاريخ المذكور اجتمعت الهيئة برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد أبي الفضل شيخ الجامع الازهر وحضور ثلاثة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء « وهم المذكورة أسماؤهم أولا عدا فضيلة الاستاذ الشيخ دسوقي العربي » ولم يحضر الشيخ على عبد الرازق وانما أرسل خطابا مؤرخا في ١٤ المحرم سنة ١٣٤٤ يطلب فيه اعطاءه

فرصة طويلة تكفي لاعداد ما يلزم للمناقشة . وقد عرض الخطاب على الهيئة فى هذه الجلسة فقررت تأجيل النظر في الموضوع الى يوم الاربعاء ٢٣ المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ اغسطس سنة ١٩٢٥) الساعة العاشرة صباحا فى دار الادارة العامة للمعاهد الدينية وأعلن ذلك للشيخ على عبد الرازق في يوم الاربعاء ١٥ المحرم سنة ١٣٤٤ (٥ اغسطس سنة ١٩٢٥)

وفي التاريخ المذكور اجتمعت الهيئة برئاسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد أبي الفضل شيخ الجامع الازهر وحضور أربعة وعشرين عالما من هيئة كبار العلماء (وهم المذكورة أسماؤهم أولا) وقد حضر الشيخ علي عبد الرازق أمام هـذه الهيئة وسئل عن كتابه « الاسـلام وأصول الحكم » المشار اليه فاعترف بصدوره منه ثم تليت عليه التهم الموجهة اليه وما أخذها من كتابه . وقبل اجابته عنها وجه دفعاً فرعيا وهو أنه لا يعتبر نفسه أمام هيئه تأديبية وطلب ألا تعتبر الهيئة حضوره أمامها اعترافا منه بان لها حقا قانونيا

فبعد المداولة القانونية فى هذا الدفع قررت الهيئة رفضه اعتماداً على أنها انمـا تنفذ حقا خوله إياها القانون وهي المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسـلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١

ثم دعى الشيخ على عبد الرازق أمام هذه الهيئة فأعلن له حضرة صاحب الفضيلة الاسـتاذ الاكبر الرئيس رفض دفعه طبقا للمادة المذكورة . فطلب الشيخ على عبد الرازق أن تسمع له الهيئة مذكرة

أعدها للدفاع عن التهم الموجهة اليه . فأذن له حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الرئيس أن يتلوها فتلاها . وبعد الفراغ من تلاوتها وتوقيعه على كل ورقة منها أخذت منه وحفظت في اضبامة الجلسة ثم انصرف

﴿ هيئة كبار العلماء ﴾

بعد الاطلاع على كتاب « الاسلام وأصول الحكم » المطبوع في مطبعة مصر الطبعة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ الموافقة سنة ١٩٢٥ م السابق الذكر والعلم بما تضمنه من الامور المخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع الامة وسماع ما جاء في مذكرة دفاع الشيخ علي عبد الرازق عن التهم الموجهة اليه ،

وبعد الاطلاع على المادة الاولى بعد المائة من قانون الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وعلى المادة الرابعة من هذا القانون ،

وبعد المداولة القانونية :

— ١ —

من حيث أن الشيخ عليا جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا فقد قال في ص ٧٨ و ٧٩ « والدنيا من أولها لآخرها وجميع ما فيها من أغراض وغايات أهون عند الله من أن يقيم على تدبيرها غير ما ركب فينا من عقول وحبانا من عواطف وشهوات وعلمنا من أسماء ومسميات هي

أهون عند الله تعالى من أن يبعث لها رسولا وأهون عند رسل الله تعالى من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها »

وقال فى ص ٨٥ « ان كل ما جاء به الاسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فانما هو شرع دينى خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينية لا غير . وسيان بعد ذلك أن تتضح لنا تلك المصالح الدينية أم تخفى علينا ، وسيان أن يكون منها للبشر مصلحة مدنية أم لا ، فذلك مالا ينظر الشرع السماوى اليه ولا ينظر اليه الرسول »

الدين الاسلامى باجماع المسلمين ما جاء به النبي ﷺ من عقائد وعبادات ومعاملات لاصلاح أمور الدنيا والآخرة

وان كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في امور الدنيا وأحكام كثيرة في أمور الآخرة

والشيخ على في ص ٧٨ و ٧٩ يزعم أن امور الدنيا قد تركها الله ورسوله ﷺ تتحكم فيها عواطف الناس وشهواتهم وفى ص ٨٥ زعم أن ما جاء به الاسلام انما هو للمصلحة الاخروية لا غير وأما المصلحة المدنية أو المصلحة الدنيوية فذلك مما لا ينظر الشرع السماوى اليه ولا ينظر اليه الرسول

وواضح من كلامه أن الشريعة الاسلامية عنده شريعة روحية محضة جاءت لتنظيم العلاقة بين الانسان وربه فقط ، أما ما بين الانسان من المعاملات الدنيوية وتدبير الشؤون العامة فلا شأن للشريعة به وليس من مقاصدها

وهل في استطاعة الشيخ على أن يشطر الدين الاسلامي شطرين. ويلغي منه شطر الاحكام المتعلقة بامور الدنيا ويضرب بآيات الكتاب العزيز وسنة رسوله ﷺ عرض الحائط!

* * *

وقد قال الشيخ على في دفاعه انه لم يقل ذلك مطلقا لا في الكتاب ولا في غير الكتاب ولا قال قولا يشبهه أو يدانيه . . .

وقد علمت ان ذلك واضح من كلامه الذي نقلناه لك . وقد ذكر مثله في مذكرة دفاعه

وقال في دفاعه أيضا «ان النبي ﷺ قد جاء بقواعد وآداب وشرائع عامة وكان فيها ما مس ـ الى حد كبير ـ أكثر مظاهر الحياة في الامم فكان فيها بعض أنظمة للعقوبات وللجيش والجهاد وللبيع والمداينة والرهن ولآداب الجلوس والمشي والحديث الخ ص ٨٤ »

غير انه قال عقب ذلك ص ٨٤ أيضا « ولكنك اذا تأملت وجدت ان كل ما شرعه الاسلام وأخذ به النبي المسلمين من أنظمه وقواعد وآداب لم يكن فى شيء كثير ولا قليل من أساليب الحكم ... الي آخره» فآخر كلامه في الصفحة المذكورة يهدم دفاعه ولا ينفعه ركونه الى حديث « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما متع الكافر منها بشربة ماء » وحديث « انتم اعلم بامور دنياكم » لان الحديث الاول ضعيف لا يصلح حجة . وهو على فرض صحته وارد في معرض التزهيد في الدنيا وعدم الافراط في طلبها . وليس معناه كما يزعم الشيخ علي

أن يترك الناس فوضى تتحكم فيهم العواطف والشهوات ليس لهم حدود يقفون عندها ولا معالم ينتهون اليها

ولو لم يكن معناه كما ذكرنا لهدم آيات الاحكام المتعلقة بامور الدنيا وصادم آيات كثيرة كقوله تعالى « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » وقوله تعالى « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » وقوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا »

ولان الحديث الثاني وارد في تابير النخل وتلقيحه ويجري فيما يشبه ذلك من شؤون الزراعة وغيرها من الامور التي لم تجيء الشريعة بتعليمها وانما تجيء لبيان أحكامها من حل وحرمة وصحة وفساد ونحو ذلك . يعلم ذلك من له صلة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

وهل يجتريء الشيخ علي أن يسلخ الاحكام المتعلقة بامور الدنيا من الدين ويترك الناس لاهوائهم ويقول « ان ذلك من الاغراض الدنيوية التي انكر النبي ﷺ ان يكون له فيها حكم وتدبير » ويدّعي على النبي ﷺ هذه الدعوى !

وهل يرى الشيخ علي ان تدبير أمور الدنيا وسياسة الناس أهون عند الله من مشية يقول الله في شأنها : « ولا تمش في الارض مرحا » وأهون عند الله من شيء من المال يقول الله في شأنه : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ويقول أيضا : « ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك

ولا تبسطها كل البسط » . وأهون عندالله من صاع شعير أورطل ملح يقول الله فى شأنهما « أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم » !

وماذا يعمل الشيخ علي فى مثل قوله تعالى « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » . وقوله تعالى « وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم » . وقوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقوله تعالى « لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » . وقوله تعالى فى شأن الزوجين : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » . وقوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » ؟

وماذا يعمل الشيخ علي في مثل مارواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن ابنة النضر أخت الربيع لطمت جارية فكسرت سنها فاختصموا الي النبي ﷺ فامر بالقصاص . فقالت ام الربيع يارسول الله اتقتص من فلانة لا والله . فقال سبحان الله ياأم الربيع كتاب الله القصاص . ومثل مارواه البخاري فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما انه قال : قضى رسول الله ﷺ بالشفعة فى كل مالم يقسم فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة . وما رواه ايضا عن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال : قضى النبي ﷺ اذا تشاجروا فى الطريق بسبعة أذرع »

وما رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قضى باليمين على المدعي عليه . وما رواه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قضى بيمين وشاهد

— ٢ —

ومن حيث أنه زعم أن الدين لايمنع من ان جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك ، لافى سبيل الدين ، ولا لا بلاغ الدعوة الى العالمين

فقد قال في ص ٥٢ « وظاهر أول وهلة ان الجهاد لايكون لمجرد الدعوة الى الدين ، ولالحمل الناس على الايمان بالله ورسوله »

ثم قال فى ص ٥٣ « واذا كان ﷺ قد لجأ الى القوة والرهبة فذلك لايكون في سبيل الدعوة الى الدين ، وابلاغ رسالته الى العالمين ، وما يكون لنا أن نفهم الا أنه كان في سبيل الملك »

فالشيخ على في كلامه هذا يقطع بأن جهاد النبي ﷺ كان فى سبيل الملك ، لافي سبيل الدين ، ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين

وفي كلامه الذى سنذكره يزعم أن الدين لايمنع من أن جهاده ﷺ كان فى سبيل الملك

فقد قال في ص ٥٤ « قلنا ان الجهاد كان آية من آيات الدولة الاسلامية ، ومثالا من أمثلة الشؤون الملكية . واليك مثلا آخر : كان في زمن النبي ﷺ عمل كبير متعلق بالشؤون المالية من حيث الايرادات والمصروفات ومن حيث جمع المال من جهاته العديدة ـ الزكاة والجزية والغنائم الخ ـ ومن حيث توزيع ذلك كله بين مصارفه ، وكان له ﷺ

سعاة وجباة يتولون ذلك له . ولا شك أن تدبير المال عمل ملكي ، بل هو أهم مقومات الحكومات »

ثم قال في ص ٥٥ « اذا ترجح عند بعض الناظرين اعتبار تلك الامثلة واطمأن الى الحكم بأنه صلى الله عليه وسلم كان رسولا وملكا فسوف يعترضه حينئذ بحث آخر جدير بالتفكير ، فهل كان تأسيسه صلى الله عليه وسلم المملكة الاسلامية وتصرفه فى ذلك الجانب شيئاً خارجاً عن حدود رسالته صلى الله عليه وسلم أم كان جزءا مما بعثه الله له وأوحى به اليه ؟ فاما أن المملكة النبوية عمل منفصل عن دعوة الاسلام وخارج عن حدود الرسالة فذلك رأي لا نعرف في مذاهب المسلمين مايشاكله ولا نذكر في كلامهم مايدل عليه وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه ولا نرى القول به يكون كفراً ولا الحاداً وربما كان محمولا على هذا المذهب مايراه بعض الفرق الاسلامية من انكار الخلافة في الاسلام مرة واحدة . ولا يهولنك أن تسمع أن للنبى صلى الله عليه عملا كهذا خارجاً عن وظيفة الرسالة وان ملكه الذى شيده هو من قبيل ذلك العمل الدنيوى الذى لاعلاقة له بالرسالة فذلك قول ان انكرته الاذن لان التشدق به غير مألوف في لغة المسلمين فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبى صلى الله عليه وسلم كل ذلك لا يصادم رأيا كهذا ولا يستفظعه بل ربما وجد مايصلح له دعامة وسنداً ولكنه على كل حال رأى نراه بعيداً »

فالشيخ على أخذاً من ص ٥٤ يقول « ان الجهاد كان مثالا من أمثلة الشؤون الملكية فهو اذن في سبيل الملك لا فى سبيل الدين » وأخذاً

من ص٥٥ يقول « وهو على ذلك رأى صالح لان يذهب اليه ولانرى القول به يكون كفراً ولا الحاداً » ثم قال بعدذلك « فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبي ﷺ كل ذلك لا يصادم رأيا كهذا ولا يستفظعه بل ربما وجد مايصلح له دعامة وسنداً ولكنه على كل حال رأى نراه بعيداً »

فعلم من كلامه هذا أن الدين لايمنع من أن جهاد النبي ﷺ كان في سبيل الملك، لافي سبيل الدين، ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين. وهذا أقل مايؤخذ عليه في مجموعة نصوصه

على أنه لا يقف عند هذا الحد، بل كما جوز أن يكون الجهاد في سبيل الملك ومن الشؤون الملكية جوز أن تكون الزكاة والجزية والغنائم ونحو ذلك في سبيل الملك أيضاً، وجعل كل ذلك على هذا خارجا عن حدود رسالة النبي ﷺ لم ينزل به وحي ولم يأمر به الله تعالى

ومن حيث ان دفاع الشيخ على بقوله « اننا قد استقصينا الكتاب أيضاً فلم نجد ذلك القول فيه وربما كان استنتاجا لم نهتد الى مقدماته » غير صحيح لان مااتهم به نجده صريحا في صحيفة ٥٢و٥٣ و٥٤وفي ص٥٥ حيث يقول « وهو على ذلك رأى صالح لان يذهب اليه ولانرى القول به يكون كفراً ولا الحاداً » وحيث يقول بعد ذلك « فقواعد الاسلام ومعنى الرسالة وروح التشريع وتاريخ النبي ﷺ كل ذلك لا يصادم رأيا كهذا ولا يستفظعه بل ربما وجد مايصلح له دعامة وسنداً »

ومن حيث ان دفاع الشيخ على بقوله « انه رأى من الآراء لم نرض

به ومذهب رفضنا آخر الامر أن نذهب اليه » غير مطابق للواقع، لانه قال « وهو على ذلك رأي صالح لان يذهب اليه الخ » وقوله بعد ذلك « ولكنه على كل حال رأى نراه بعيداً » لا ينفعه فانه مع قوله وهو على ذلك رأى صالح لان يذهب اليه الى آخره . . أسلوب تجويز لا أسلوب رفض ، يعرف ذلك من له إلمام بالمنطق وأساليب الكلام

وقال الشيخ على في دفاعه بعد ذلك « بل نحن قررنا ضد ذلك على خط مستقيم ص ٧٠ حيث قلنا : . . . وفي سبيل هذه الوحدة الاسلامية ناضل عليه السلام بلسانه وسنانه . وقلنا في ص ٧٩: لا يريبنك هذا لذى ترى أحيانا في سيرة النبي ﷺ فيبدو لك كانه عمل حكومى ومظهر للملك والدولة فانك اذا تأملت لم تجده كذلك بل هو لم يكن الا وسيلة من الوسائل التى كان عليه ﷺ أن يلجأ اليها تثبيتا للدين وتأييداً للدعوة وليس عجيباً أن يكون الجهاد وسيلة من تلكم الوسائل ».

ودفاعه هذا لا يجدى . فانه زعم ان ما قاله هنا ضد لما اتهم به والواقع أنه ليس ضداً لانه ساقه محتملا أن يكون نضاله وجهاده عليه الصلاة والسلام مما خرج عن حدود رسالته ﷺ وأن يكون جزءاً مما بعثه الله له وأوحى به اليه على الرأيين اللذين قررهما الشيخ علي فالتهمة الموجهة اليه باقية

والشيخ علي بذلك لا يمنع أن يصادم صريح آيات الكتاب العزيز فضلا عن صريح الاحاديث الصحيحة المعروفة ، ولا يمنع أن ينكر معلوماً من الدين بالضرورة

قال الله تعالى : « فقاتل في سبيل الله » . وقال تعالى « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » وقال تعالى : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . وقال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » . وقال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال تعالى في بيان مصارف الزكاة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله » . وقال تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وقال تعالى « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل »

— ٣ —

ومن حيث أنه زعم ان نظام الحكم في عهد النبي ﷺ كان موضع غموض أو ابهام أو اضطراب أو نقص وموجبا للحيرة فقد قال في ص ٤٠ « لاحظنا أن حال القضاء زمن النبي ﷺ غامضة ومبهمة من من كل جانب »

وقال في ص ٤٦ « كلما أمعنا كثيراً في حال القضاء زمن النبي ﷺ وفي حال غير القضاء أيضاً من أعمال الحكم وأنواع الولاية وجدنا ابهاماً في البحث يتزايد وخفاء في الامر يشتد ثم لا تزال حيرة الفكر تنقلنا من لبس الى لبس ، وتردنا من بحث الى بحث ، الى أن ينتهى النظر بنا

الى غاية ذلك المجال المشتبه الحائر »

وقال فى ص ٥٧ « اذا كان رسول الله ﷺ قد أسس دولة سياسية أو شرع في تأسيسها فلماذا خلت دولته اذاً من كثير من أركان الدولة ودعائم الحكم ؟ ولماذا لم يعرف نظامه في تعيين القضاة والولاة ؟ ولماذا لم يتحدث الى رعيته فى نظام الملك وفي قواعد الشورى ؟ ولماذا ترك العلماء في حيرة واضطراب من أمر النظام الحكومى في زمنه ؟ ولماذا ولماذا ! نريد أن نعرف منشأ ذلك الذى يبدو للناظر كانه ابهام أو اضطراب أو نقص أو ما شئت فسمّه في بناء الحكومة أيام النبى ﷺ وكيف كان ذلك وما سره ؟ »

وهذا تصريح من الشيخ على بما يثبت التهمة

واذا كان قد اعترف ببعض أنظمة للحكم فى الشريعة الاسلامية فانه نقض الاعتراف وقرر أن هذه الانظمة ملحقة بالعدم

قال فى ص ٨٤ « ربما أمكن أن يقال ان تلك القواعد والآداب والشرائع التي جاء بها النبى ﷺ للامم العربية ولغير الامم العربية أيضا كانت كثيرة وكان فيها ما يمس الى حد كبير اكثر مظاهر الحياة في الامم فكان فيها بعض أنظمة للعقوبات وللجيش وللجهاد وللبيع والمداينة والرهن ولآداب الجلوس والمشى والحديث وكثير غير ذلك » ثم قال « ولكنك اذا تأملت وجدت ان كل ماشرعه الاسلام وأخذ به النبي المسلمين من أنظمة وقواعد وآداب لم يكن في شىء كثير ولا قليل من أساليب الحكم السياسى ولا من أنظمة الدولة المدنية ، وهو بعد

اذا جمعته لم يبلغ أن يكون جزءاً يسيراً مما يلزم لدولة مدنية من أصول سياسية وقوانين »

ومن حيث انه قال فى دفاعه انه ساق ذلك مساق الاعتراض على من يقول ان النبي ﷺ كان صاحب حكومة وانه اخذ في رد الاعتراض عقب توجيهه ، ولكنه رد الاعتراض بجوابين لم يرتض واحداً منهما ص ٥٩ و ٦٣ فالتهمة باقية

وقد رضي لنفسه بعد ذلك مذهبا هو قوله « انما كانت ولاية محمد ﷺ على المؤمنين ولاية الرسالة غير مشوبة بشيء من الحكم » ص ٨٠ . وهذه هي الطريقة الخطيرة التى خرج اليها ، وهي انه جرد النبي ﷺ من الحكم وقال : رسالة لا حكم ، ودين لا دولة

وما زعمه الشيخ على مصادم لصريح القرآن الكريم . فقد قال الله تعالى « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله » وقال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » وقال تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم » وقال تعالى « فان تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا » ومعلوم ان الرد الى الله بالرجوع الى كتابه العزيز والرد الى الرسول بالرجوع الى سنته ﷺ . وقال تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » والدين عند المسلمين ما جاء به محمد ﷺ من عند الله في معاملة الخالق والمخلوق .

— ٤ —

ومن حيث أنه زعم أن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغاً للشريعة مجرداً عن الحكم والتنفيذ فقد قال الشيخ على في ص ٧١ « ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي ﷺ لم يكن له شأن في الملك السياسي، وآياته متضافرة على أن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان »

ثم عاد فأكد ذلك فقال في ص ٧٣ « القرآن كما رأيت صريح في أن محمداً ﷺ لم يكن من عمله شيء غير ابلاغ رسالة الله تعالى الى الناس وانه لم يكلف شيئا غير ذلك البلاغ، وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه »

ولو كان الامر كما زعم هو لكان ذلك رفضا لجميع آيات الاحكام الكثيرة في القرآن الكريم، ودون ذلك خرط القتاد!

وقد قال الشيخ على في دفاعه انه قرر في مكان آخر من الكتاب بصراحة لا مواربة فيها أن للنبي ﷺ سلطانا عاما، وانه ناضل في سبيل الدعوة بلسانه وسنانه

وهذا دفاع لايجدى اذ لو كان معنى ذلك الذى قرره في ص ٦٦ و٧٠ كما أشار اليه ان عمل رسول الله ﷺ السماوى يتجاوز حدود البلاغ المجرد عن كل معاني السلطان لما كان سائغا ان يقول بعد ذلك في صفحة ٧١ ان آيات الكتاب متضافرة على ان عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وان يقول بعد ذلك في صفحة ٧٣

إن القرآن صريح فى انه عليه الصلاة والسلام لم يكن من عمله شيء غير ابلاغ رسالة الله تعالى الى الناس ولم يكلف شيئاً غير ذلك وليس عليه ان يأخذ الناس بما جاءهم به ولا ان يحملهم عليه

والواقع ان السلطان الذى اثبته انما هو السلطان الروحي كما صرح به فى مذكرة دفاعه حيث قال فيها « ان رسول الله ﷺ يستولى على كل ذلك السلطان لا من طريق القوة المادية واخضاع الجسم كما هو شأن الملوك والحكام ولكن من طريق الايمان به ايمانا قلبيا والخضوع له خضوعا روحيا » فكان دفاعه اثباتا للتهمة لا نفيا لها

على أنه قد نسب في ص ٦٥ و ٦٦ السلطان الى عوامل أخرى من نحو الكمال الخلقي والتميز الاجتماعى لا الى وحي الله وآيات كتابه الكريم كما أنه جعل الجهاد في موضع آخر من كتابه وسيلة كان على النبي ﷺ أن يلجأ اليها لتأييد الدعوة ولم ينسبه الى وحي الله وأمره

وكلام الشيخ على مخالف لصريح كتاب الله تعالى الذى يردّ عليه زعمه ويثبت أن مهمته ﷺ تجاوزت البلاغ الى غيره من الحكم والتنفيذ فقد قال الله تعالى « انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » وقال تعالى « وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » وقال تعالى « وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم » وقال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » وقال تعالى « قاتلوا الذين

لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون بدين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وقال تعالى « فقاتل في سبيل الله » وقال تعالى « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال » وقال تعالى « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وقال تعالى « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله »

وكلام الشيخ علي مخالف أيضاً لصريح السنة الصحيحة فقد روى البخاري في صحيحه انه ﷺ قال « أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة اذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام » وروى عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه انه أتى النبي ﷺ برجل قد شرب فقال اضربوه . وروى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت وقالوا من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترىء عليه الا اسامة حب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ فقال: اتشفع في حد من حدود الله . ثم قام فخطب فقال يا أيها الناس انما ضل من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد . وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها

فهل يجوز ان يقال بعد ذلك في محمد ﷺ ان عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان وانه لم يكلف ان

يأخذ الناس بما جاءهم به ولا أن يحملهم عليه ؟

وهل يجوز ان يقال بعد ذلك فى القرآن الكريم انه صريح في انه ﷺ لم يكن من عمله شيء غير ابلاغ رسالة الله الى الناس وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به ولا ان يحملهم عليه ؟

— ٥ —

ومن حيث انه انكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى انه لابد للامة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا . فقد قال في ص ٢٢ « أما دعوى الاجماع في هذه المسألة — وجوب نصب الامام — فلا نجد مساغا لقبولها على أي حال ومحال اذا طالبناهم بالدليل ان يظفروا بدليل . على اننا مثبتون لك فيما يلي ان دعوى الاجماع هنا غير صحيحة ولا مسموعة سواء أرادوا بها اجماع الصحابة وحدهم أم الصحابة والتابعين أم علماء المسلمين أم المسلمين كلهم بعد ان نمهد لهذا تمهيدا »

ادعى الشيخ علي فى ذلك التمهيد ان حظ العلوم السياسية في العصر الاسلامي كان سيئا على الرغم من توافر الدواعي التي تحمل على البحث فيها وأهمها ان مقام الخلافة منذ زمن الخليفة الاول كان عرضة للخارجين عليه غير ان حركة المعارضة كانت تضعف وتقوى . ثم ساق بعض أمثلة يؤيد بها ما يدعيه من أن الخلافة كانت قائمة على السيف والقوة لا على البيعة والرضا

ولو سلم للشيخ علي ذلك جدلا لما تم له ما يزعمه من انكار اجماع الصحابة على وجوب نصب امام للمسلمين . فان اجماعهم على ذلك شيء

واجماعهم على بيعة امام معين شيء آخر . واختلافهم في بيعة امام معين لايقدح في اتفاقهم على وجوب نصب الامام ، أي امام كان. وقد ثبت اجماع المسلمين على امتناع خلو الوقت من امام . ونقل الينا ذلك بطريق التواتر فلا سبيل الى الانكار .

وقد اعترف الشيخ علي في دفاعه بأنه ينكر الاجماع على وجوب نصب الامام بالمعنى الذي ذكره الفقهاء . وقال عن نفسه انه يقف في ذلك في صف جماعة غير قليلة من أهل القبلة (يعني بعض الخوارج والاصم) وهو دفاع لايبرئه من انه خرج على الاجماع المتواتر عند المسلمين وحسبه في بدعته انه في صف الخوارج لافي صف جماهير المسلمين : وهل وقوفه فى صف الخوارج الذين خالفوا الاجماع بعد انعقاده يسوغ له ان يخرج على اجماع المسلمين؟ قال فى المواقف وشرحه « تواتر اجماع المسلمين فى الصدر الاول بعد وفاة النبي ﷺ على امتناع خلو الوقت عن خليفة وامام ، حتى قال أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته المشهورة حين وفاته عليه السلام «الا أن محمدا قد مات ولابد لهذا الدين ممن يقوم به » فبادر الكل الى قبوله ولم يقل أحد لاحاجة الى ذلك بل اتفقوا عليه وقالوا ننظر فى هذا الامر وبكروا الى سقيفة بني ساعدة وتركوا له أهم الاشياء وهو دفن رسول الله ﷺ . واختلافهم فى التعيين لايقدح فى ذلك الاتفاق ولم يزل الناس على ذلك في كل عصر الى زمننا هذا من نصب امام متبع في كل عصر » .

وقد روى مسلم فى صحيحه حديث حذيفة وقد جاء فيه أن النبي

ﷺ قال « تلزم جماعة المسلمين وامامهم . قلت فان لم يكن لهم امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت » وروى مسلم أيضا ان النبي ﷺ قال « من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامه ولا حجة له ومن مات و ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » وروى مسلم أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لانبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر . قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا بيعة الاول فالاول وأعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم » وروى مسلم أيضاً عن النبي ﷺ انه قال : انما الامام جُنّة يقاتل من ورائه ويتقى به فان أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر وان يأمر بغيره كان عليه منه »

— ٦ —

ومن حيث انه أنكر أن القضاء وظيفة شرعية فقد قال في ص ١٠٣ « والخلافة ليست فى شيء من الخطط الدينية كلاولا القضاء ولاغيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة لاشأن للدين بها فهو لم يعرفها ولم ينكرها ولا أمر بها ولا نهى عنها وانما تركها لنا نرجع فيها الى أحكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسة ».

وكلام الشيخ علي فى دفاعه يقضى بأن الذين ذهبوا الى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعاً عن الخلافة فمن أنكر الخلافة

أنكر القضاء

وكلامه غير صحيح فالقضاء ثابت بالدين على كل تقدير تمسكا بالادلة الشرعية التي لايستطاع نقضها . وقد ذكرنا فيما تقدم كثيراً من الآيات والاحاديث في الحكم والقضاء . وسنذكر شيئاً من ذلك فيما يأتي

وقال الشيخ علي في دفاعه «ان الذى أنكر انه خطة شرعية انما هو جعل القضاء وظيفة معينة من وظائف الحكم ومراكز الدولة واتخاذه مقاماً ذا أنظمة معينه وأساليب خاصة» .

وهو دفاع غير صحيح فان عبارته في صفحة ١٠٣ فيها انكار ان القضاء نفسه خطة دينية . وقد زعم أنه خطة سياسية صرفة لاشأن للدين فيها .

وقد نقل عن ميزان الشعرانى في دفاعه «ان الامام احمد في أظهر رواياته يرى أنه — أى القضاء — ليس من فروض الكفايات ولايجب على من تعين له الدخول فيه وان لم يوجد غيره»

وهذا دفاع عن القضاء نفسه . وبذلك تبين أيضا أنه قد أنكر أن القضاء نفسه وظيفة شرعية لاجعل القضاء وظيفة معينة من وظائف الحكم ومراكز الدولة واتخاذه مقاماً ذا أنظمة معينة وأساليب خاصة. فلزمته التهمة

واستناده الى مانقله الشعرانى في ميزانه عن الامام احمد استناد لاينفعه فان الذي حرر من ميزان الشعرانى انما هو الى باب مايحرم من النكاح وقد ذكر ذلك الشعرانى نفسه في ص ٨ من الجزء الاول من

الميزان . وكتاب الاقضية واقع بعد ذلك بسبعة عشر كتابا فكتاب الاقضية في ميزان الشعرانى لم يحرر حتى يكون مافيه مستنداً صحيحاً

وقال صاحب (الاشاعة في أشراط الساعة) ان الشعراني لم يحرر ميزانه في حياته وانه قال : لا أحل لاحد أن يروي هذا الكتاب عني حتى يعرضه على علماء المسلمين ويجيزوا ما فيه . انتهى كلامه

والمعروف في كتب الحنابلة ان القضاء من فروض الكفايات راجع ص ٢٥٨ من الجزء الرابع من المنتهى وص ٩٦٧ من الاقناع وص ٥٨٩ من المقنع وقد ذكر محشيه عند قوله « وهو فرض كفاية » ان ذلك هو المذهب وذكر قولا عن الامام أحمد بأن القضاء سنة

فاذا لم يكن القضاء فرضاً عند الامام أحمد فهو سنة عنده والمسنون من الخطط الشرعية

فما زعمه الشيخ على من انكار أن القضاء وظيفة شرعية وخطة دينية باطل ومصادم لآيات الكتاب العزيز . قال الله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وقال تعالى : « فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » وقال تعالى « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » وقال تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

— ٧ —

ومن حيث أنه يزعم ان حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من

بعده رضي الله عنهم كانت لادينية فقد قال في ص ٩٠ « طبيعي ومعقول الى درجة البداهة ألا توجد بعد النبي ﷺ زعامة دينية . وأما الذى يمكن أن يتصور وجوده فانما هو نوع من الزعامة جديد ليس متصلا بالرسالة ولا قائماً على الدين ، هو اذاً نوع لاديني »

وهذه جرأة لادينية فان الطبيعي والمعقول عند المسلمين الى درجة البداهة ان زعامة أبي بكر رضي الله عنه كانت دينية يعرف ذلك المسلمون سلفهم وخلفهم جيلا بعد جيل . ولقد كانت زعامته على أساس (أنه لا بد لهذا الدين ممن يقوم به) وقد انعقد على ذلك اجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . كما سبق

ودفاع الشيخ على بأن الذى يقصده من أن زعامة أبي بكر لادينية أنها لا تستند الى وحي ولا الى رسالة مضحكٌ موقعُ في الاسف فان أحداً لا يتوهم أن أبا بكر رضي الله عنه كان نبيا يوحى اليه حتى يعنى الشيخ على بدفع هذا التوهم

لقد بايع أبا بكر رضي الله عنه جماهير الصحابة من أنصار ومهاجرين على أنه القائم بأمر الدين في هذه الامة بعد نبيها محمد ﷺ فقام بالامر خير قيام . ومثله في هذا بقية الخلفاء الراشدين

وان ماوصم به الشيخ علي أبا بكر رضي الله عنه من أن حكومته لادينية لم يقدم على مثله أحد من المسلمين ، فالله حسبه

ولكن الذى يطعن في مقام النبوة يسهل عليه كثيرا أن يطعن في مقام أبي بكر واخوانه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين

* * *

ومن حيث انه علاوة على ماذكر يقف الشيخ علي في ص ٣٤ و٣٥ من المسلمين موقف الطاعن على دليلهم الديني والخارج على اجماعهم المتواتر الذي انعقد على شكل حكومتهم الدينية أو موقف المجيز للمسلمين اقامة حكومة بلشفية . وكيف ذلك والدين الاسلامي في جملته وتفصيله يحارب البلشفية لان البلشفية فتنة في الارض وفساد كبير . لقد وضع الدين الاسلامي أنظمة للمواريث يلجأ اليها أحيانا غير المسلمين لما فيها من الرحمة والعدل . وأوجب على المسلمين مقادير من الصدقات تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم . وأمرنا باقامة الحكومة الدينية العادلة التي تحفظ لكل ذي حق حقه ولكل عامل ثمرة عمله وجعل للدماء والاعراض والاموال حرمة لايجوز انتهاكها وضرب على أيدي المفسدين في الارض . وحسبنا في ذلك أن نقول ان البلشفية تهدم نظام المجتمع الانساني وتضيع حكمة الله في جعل الناس درجات ينتفع بعضهم من بعض قال الله تعالى : نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا .

ومن حيث ان الشيخ عليا يقول في ص ١٠٣ «لاشيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الامم الاخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا اليه . وان يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما انتجت العقول

البشرية وأمتن مادلت تجارب الامم على انه خير اصول الحكم » ومعلوم ان اصول الحكم ومصادر التشريع عند المسلمين انما هى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ واجماع المسلمين . وليس هناك للمسلمين خير منها . والشيخ على يطلب أن يهدموا مابنوه على هذه الاصول من نظام حكومتهم (العتيق) ويطلب اليهم أن يبنوا حكومتهم وشئونهم الدينية والدنيوية على اصول خير من اصولهم يجدونها عند الامم غير الاسلامية . فكيف يبيح دين الاسلام للمسلمين أن يهدموه ؟

ومن حيث انه يزعم في ص ٨٣ و ٨٤ ان النبي ﷺ لم يغير شيئا من أساليب الحكم عند أى امة أو قبيلة في البلاد العربية وانما تركهم ومالهم من فوضى أو نظام ، وهذا طعن صريح على محمد ﷺ بانه لم يرسل لسعادة الناس فى دينهم ودنياهم ، وطعن صريح على كتاب الله تعالى بانه غير واف بما يلزم في الشؤون الاجتماعية . وقد قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين . وقال تعالى : ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون . وقال تعالى : اليوم أكملت لكم

دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا

ومن حيث أنه تبين مما تقدم أن التهم الموجهة ضد الشيخ على عبد الرازق ثابتة عليه ، وهى مما لا يناسب وصف العالمية وفاقا للمادة (١٠١) من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ ونصها :

« اذا وقع من أحد العلماء أيا كانت وظيفته أو مهنته مالا يناسب وصف العالمية يحكم عليه من شيخ الجامع الازهر باجماع تسعة عشر عالما معه من هيئة كبار العلماء المنصوص عليها فى الباب السابع من هذا القانون باخراجه من زمرة العلماء . ولا يقبل الطعن في هذا الحكم

ويترتب على الحكم المذكور محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الازهر والمعاهد الاخرى وطرده من كل وظيفة وقطع مرتباته فى أى جهة كانت وعدم أهليته للقيام باية وظيفة عمومية دينية كانت أو غير دينية »

فبناء على هذه الاسباب

حكمنا نحن شيخ الجامع الازهر باجماع أربعة وعشرين عالما معنا من هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الجامع الازهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب « الاسلام واصول الحكم » من زمرة العلماء

صدر هذا الحكم بدار الادارة العامة للمعاهد الدينية فى يوم الاربعاء ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤ (١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥)

شيخ الجامع الأزهر

نقض

كتاب الإسلام وأصول الحكم

تأليف

الاستاذ العلامة الجليل السيد

محمد الخضر حسين

من علماء جامع الزيتونة وقضاة المحاكم الشرعية بتونس سابقا

يصدر عما قريب من

المطبعة السلفية - ومكتبتها



ج ٣ - ٤ م ٢ : ربيع الاول وربيع الثاني ١٣٤٤

حول المعجم العربي

بعض حاجاتنا العلمية ـ سلطان اللغة العربية ـ اللغة العربية وقاعدة التوحيد ـ تدوين اللغة
نشوء المعجم العربي ـ عيوب معاجمنا ـ المعجم الذي نحن في حاجة اليه

﴿ بعض حاجاتنا العلمية ﴾

حقاً إنها لحالةٌ محزنة !

أمةٌ ناهضة ، تموج أنحاء المغرب من آسيا بشعوبها ، وتتغنّى ربوعُ الشمال من إفريقية ببيانها ، ويرجع العالم الاسلامي في جميع الدنيا الى مكتبتها وعلومها باحترام وإجلال ، وهي لا تزال ـ مع ذلك ـ فقيرةً فيما لا غنى لامةٍ عنه :

مِن كتابٍ في التاريخ منقّحٍ محرَّر ، يروي غلّةَ الصادي من شباب هذه الشعوب العربية الى تعرُّفٍ دخائل ذلك الماضي المليء بالبطولة والمروءة والاحسان والعرفان ، والمتعثّر بالغلطات والتراخي والتقاطع والنسيان ، ويستعين به أفاضلنا على فهم ما كان أجدادُنا متحلّين به من سجايا نهضت بأعباء مجدهم ، ثم ما طرأ على الامة بعدُ من أخلاقٍ وأمراض ودسائس وكوارث أودت بنا الى ما صرنا اليه ؛ مع عزو كل فقرة الى مصدرها ، وإرشاد المطالع الى جميع المراجع التي تمكّنه من الاستقصاء في التوسع اذا شاء

ومن معجم يحيط بتراجم رجالنا في العلم والعمران والسياسة والحرب والشعر والرواية والموسيقى وغيرها ، من أقدم الازمان الى الآن ، على اختلاف بلدانهم ومذاهبهم ومشاربهم ، بحيث يجمع هذا المعجم من أخبار رجالنا خلاصة ما في كتب التراجم والطبقات والوفيات وأسفار الجرح والتعديل وما تبعثر في كتب التاريخ والأدب وغيرها مخطوطةً أو مطبوعة ، حتى لا يكاد يخلو من هذا المعجم الحافل ذكرُ رجل يرد اسمه في كتبنا العربية ؛ هـذا مع الايجاز البليغ والتنقيح المنخول ، والتنبيه في نهاية كل ترجمة الى الكتب التي توسعت في ذكر هذا المترجَم له ليرجع اليها من أراد البسط والتفصيل . ويزداد هذا المعجم حسناً اذا كان له في آخره فهارس تُصنَّف فيها التراجم كلها بحسب العلوم التي اشتهر بها المترجم لهم : فتكون ثمة فهارس لطبقات الفقهاء والشعراء والاطباء والنحاة . . الخ ، وأخرى بحسب البلدان كالمصريين والشاميين والعراقيين واليمانيين والمغاربة والاندلسيين . . الخ ، وثالثة باعتبار المذاهب كطبقات المعتزلة والشيعة . . الخ ، ورابعة بترتيب العصور لأعيان المائة الاولى والثانية والثالثة . . الخ

وحاجتنا ماسة أيضاً الى معجم جغرافي يحيط باسماء البلدان والاماكن والجبال والأنهار والبقاع والقصور والمساجد والمباني الأثرية وغير ذلك مما يرد ذكره في دواوين الشعر وكتب الأدب وحوادث التاريخ وتراجم الرجال ، بحيث يجمع ما ذكره ياقوت الى ما أورده أبو عبيد البكري ومن أتى قبلهما أو بعدهما من جغرافيي العرب المحققين ، وإكمال ذلك بما حدث بعد هؤلاء جميعاً في وطننا الاكبر من بلدان ومباني وآثار عمرانيـة ، والاشارة الى الاسماء القديمة التي بدّلت بأسماء مستحدثة ، مع الاستعانة بالمصوَّرات (الخرائط) الموضعية والعـامة التي تعين القارىء على فهم الوصف الجغرافي

ونحتاج الى معجم ثالث لجماعاتنا القومية والدينية : من قبائلَ ونِحَلٍ ومذاهبَ

وبيوتٍ كبرى : ممن سجَّل لهم التاريخ آثاراً علمية أو سياسية أو عمرانية ، بحيث تنتظم في هذا المعجم كلُّ المعلومات المتفرقة في كتب الأنساب والتاريخ والتراجم عن هذه البيوت والجماعات ، وجميع ما في كتب النِحَل والفِرَق من التحقيقات المنقحة عن هـذه المذاهب ، مع الحرص على اقتباسها من كتب أهلها بقدر الامكان والابتعاد عما يقوله أهل المذاهب المختلفة بعضُهم في بعض .

وما لم تتغلَّب العزائم والهمم ـ من أنصار العلم وأهل الاختصاص وذوي الحول والطول ـ على تذليل العقبات وتسهيل السبل لاظهار مثل هذه الكتب والمعاجم وتقريب يوم انتشارها في أيدي الناشئة فمن الصعب أن تكون لنا مَعْلَمة (دائرة معارف) للعلوم العربية والمعارف الاسلامية يمكن الاعتماد عليها ، لان هذه الكتب ـ اذا كانت تامة الاحاطة ومُشاراً فيها الى جميع المصادر والمراجع مع تعيين مواضعها ـ هي الأساس للمَعْلَمَة ، وهي الطليعة بين يديها

ولو كان في شبابنا العددُ الكافي من المتطوّعين لخدمة العلم ، المنقطعين للاشتغال به ، الذين يُؤْثرون حياة الخلود على حياة الفناء ؛

أو لو كانت لنا سجية التعاون والاشتراك في الأعمال التي لا يقوم بها الفرد وحده ؛

أو لو كانت حكومات بلاد الناطقين بالضاد متشبّعة بادراك الواجب القومي فتمدّ يد المعونة لمثل هذه الأعمال العظيمة ، كما تفعل حكومة الترك لهذا العهد ؛

بل لو كان الازهر ـ الذي يُنفَق عليه من أوقافه ما لا يقل عن مائتي ألف جنيه مصري في كل سنة ـ أعدَّ نفسه لتكوين الدعائم الاساسية في المعارف العربية والاسلامية ،

لو كان هذا كله ـ أو شيء منه ـ موجوداً ، اذن لكانت تكون حركة التأليف والنشر في العالم العربي متمشية مع نهضة شعوبه ، ولائقة بكرامته ،

وجديرة بممالكه الكثيرة وسكانها الذين لا يُؤتون من قلة

واذا كانت هذه المعاجم والكتب ـ بل و « المَلَكة العربية الاسلامية » نفسها ـ معدودات من الضروريات لامة ناهضة ، فنحن فى حاجة أمسّ ، وفاقة أعظم ، الى ما هو أكثر استعمالاً ، أعني « المعجم اللغوي » الذي لا تكون للامة حياة علمية وأدبية الا به . وهو ما أردتُ أن أتكلم عليه في هذا المقال بتوسع ، مكتفياً بالاشارة السريعة الى مثل الكتب التي ذكرتها آنفاً

وان المجال في هذه الصفحات يضيق عن استعراض أسماء المعاجم العربية التي ألفها علماؤنا فى اللغة من أيام الخليل بن أحمد رحمه الله الى اليوم ، وعن بيان مزية كل معجم ونقائصه والغرض الذي أُلّف لاجله والبيئة التي أُلّف لها ؛ فان تاريخ المعاجم جدير بأن نفرد له مقالا خاصاً به

« سلطان اللغة العربية »

اللغة العربية فرع من اللغات السامية ، وهي أخت اللغات التي كان يتكلم بها الكلديون والاشوريون فى العراق ، والسريانيون والفينيقيون والعبرانيون فى الشام ، والحبشةُ وراء الساحل الغربى من بحر القُلْزُم ، ولها صلة عظيمة جداً بلغة قدماء المصريين . وكانت هذه اللغات فى العصور الاولى متشابهة بحيث يُعتبرن كلهنّ لهجاتٍ للغة واحدة ، ولذلك استطاع سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يتنقل بين العراق والشام ومصر والحجاز وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الاقطار ، اذ لم يكن يومئذ بين لغاتها من فرق الا كما يوجد الآن بين لهجات العربية فى المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد . ولا نستطيع القول بأن واحدة منهن هي الاصل وان الاخرى فروع عنها ، بل الراجح أن اللغة الاصلية ـ التي ترجع اليها كل هذه اللغات ـ ذابت فيهن ، غير أن الحالة التي كانت

عليها كل اللغات السامية قبل ظهور الاسلام تحملنا على القول بكل جزم وتأكيد ان العربية أرقاهن ، ومعنى هذا أنها أعرقهن في القدم ، فلا يبعد أن تكون هي البنت البكر لأمها السامية الاولى . وأرى أن من معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي لم يذكرها العلماء في جملة معجزاته أنه أعاد للبلاد السامية وحدتها القومية واللغوية بعد أن فرق بينها كرّ الازمان ، وترامي الاوطان ، فأصبحت اللغة العربية لغة الامم السامية كلها كما كانت أمها اللغة السامية الاولى لغتهن قبل التشتت والانقسام . فحينما ترى العربية راسخة الدعائم ثابتة الاصول يعضّ أبناؤها بالنواجذ على آدابها وبديع أسرارها ، فاعلم أن ذلك عن إرث من اللغة السامية الاولى ، انتقل الى بنتها البكر لغة زهير بن أبي سُلمى وأبي تمام الطائي وأبي الطيب المتنبي وحكيم المعرّة . وقد انتشرت العربية في أواسط آسيا وجنوب أوربا حيناً من الدهر غير أنها تراجعت عنهما بتراجع الجيوش العربية ولم تثبت الا حيثما كان لها من تراث امها السامية أسس ودعائم . فالوطن العربي الحاضر قائم على أساس صحيح من القومية ، وله من الاستحالات اللغوية سلطان شرعي خالد . واذا كانت المطامع الاوروبية قد قطعت كل آصرة سياسية بين أقطاره الوطن العربي الاكبر فان البيان العربي سيمثل دوره العجيب ، في المستقبل البعيد أو القريب ، والليالي من الزمان حبالى

﴿ اللغة العربية وقاعدة التوحيد ﴾

انبلج نور الاسلام في جزيرة العرب واللغةُ العربية سائرة الى غاية لا تلائم قاعدة التوحيد التي هي روح الاسلام ، فكان للاسلام أثره الاجتماعي البليغ في ردّها عن طريقها ذاك ، ومنعها من الاستمرار فيه . فكما كانت اللغة السامية الاولى قد بلغت ـ قبل ألوف السنين ـ الطور الذي جعلها تتفرّع الى لهجات

صارت فيما بعدُ لغاتٍ مختلفة ، هكذا كانت العربية العدنانية ـ وهي بنتها البكر كما قلنا ـ تتحوّل رويداً رويداً الى لهجاتٍ يتباعد بعضها عن بعض حتى يكون مآلها الافتراق . وفي الواقع كانت العربية عند ظهور دين التوحيد لغةَ قبائل: لرَبيعة في شمال جزيرة العرب لهجةٌ ، ولتَميم وقَيس ومن انضاف اليهم في وسط الجزيرة لهجةٌ ، ولكِنانة وهُذَيل وثَقيف وخُزاعة وأَسد وضَبَّة وألفافها من عرب الحجاز وتِهامة لهجةٌ ، فضلاً عن لغة اليمانيين في جنوب الجزيرة . وكانت لهجة القبيلة الواحدة تفترق عن لهجة غيرها في مادة اللغة وفي كيفية النطق بها .

ولما جمع الله العرب بالاسلام تحت لواء واحد ، وائتلفت قبائلهم في السرّاء والضراء ، واختلطت في السلم والحرب ، في مواطنهم والبلاد التي فتحها الله لهم ؛ كان للاجتماع والائتلاف أثرهما على ألسنتهم فخطا بالعرب خطوات في سبيل توحيد اللغة : فبعد ان كانت اللهجات المتعددة مظهراً من مظاهر الفرقة والضعف القومي تحوّلت فيما بعد الى سبب من أسباب الاتساع الادبي . لانّ تعدد الاسماء عند القبائل المختلفة للمسمى الواحد دعا عند تباري علماء الاسلام في تدوين مادة اللغة في الدفاتر والمعاجم الى ماترى من غناء اللغة العربية بالمفردات وكثرة المترادفات ، وما كان من اختلاف تلك القبائل في كيفية النطق ــ من امالة وتفخيم وهمز ومد وقصر ـ أفاد وسيفيد أهل كل قطر عربي في معرفة القبائل التى نزلت ديارهم في صدر الاسلام وقبل ذلك وبعده ، لأن افتراق القبائل في مصر والشام والمغرب وسائر الاقطار قد ترك أثراً من لهجة كل قبيلة على ألسنة أهل البلاد التى نزلتها ، وما نراه اليوم من اختلاف لهجات المصريين والشاميين والعراقيين والمغاربة راجع الى أسباب هذا من أهمها

علم القراء بما تقدّم أن الاسلام كان ينزع الى التوحيد حتى في غير العقائد

وأن من مظاهر ذلك ما كان له من التأثير في توحيد اللغة العربية . وقد روى عشرون من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، ونصَّ أبو عبيد على أن صحة هذا الحديث بلغت حدَّ التواتر لكثرة رواته . وأخرج البخاري ومسلم عن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أقرأني جبريل على حرف . فراجعته . فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف » . وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير السبعة الاحرف ، ومن مذاهبهم فيها أنها سبع لغات كل حرف منها لقبيلة . ورويت عنهم نصوص في تعيين هذه القبائل فقال بعضهم : خمس في هَوازن واثنتان لسائر العرب . وقال آخرون : لغة قريش ولغة اليمن ولغة جُرْهُم ولغة لهوازن ولغة لقُضاعة ولغة لتميم ولغة لطَيّء . وقال عبدالله بن العباس : لغة الكعبَيْن وهما كعب بن عمرو وكعب بن لُؤَيّ ، ولبطونهما سبع لغات . ورأى آخرون أن السبعة الاحرف هي الهمز والامالة والفتح والكسر والتفخيم والمد والقصر ، وهي أيضاً من لغات القبائل

﴿ تدوين اللغة ﴾

كان للتوحيد اللغوي والاجتماعي في الاسلام نوعان من التأثير في لغة العرب : أحدهما داخلي ، والثاني خارجي . فتوحيد الامة العربية نفسها جعل لغة قريش التي ظهر الاسلام فيها تحت تأثير لهجات مَن اختلطت قريشٌ بهم من سائر العرب كما أنها هي نفسها قد كُتب لها الغلبة عليهن لان الله اختارها لكتابه وحكمة رسوله صلى الله عليه وسلم ولأنّ الدولة الاسلامية مدة الراشدين وبني أمية وصدر من بني العباس كان كبار رجالها وذوو التأثير فيها من قريش وبني عمومتهم من مُضَر ، فذهب ذلك بلغات القبائل الاخرى ولم يبق منها الا ما حفظه شعرها وما

اندمج في لغة قريش فصار منها . أما التأثير الخارجي فقد تجلى في اختلاط العرب بسائر الامم فنشر فيها لغة الضاد وأعاد الى سلائل الامم السامية وحدتهم اللغوية ، غير أن اللغة العامية كانت قد انفرجت مسافة الخلف بينها وبين الفصحى ، فكان ذلك مما حمل علماء القرن الثاني للهجرة وما بعده الى جمع مادة اللغة العربية من أفواه عرب البادية وفصحائها وشعرائها ممن لم يصل تأثير الاعاجم الى بيئتهم ولم تَشُب ألسنتهم شائبة . وكان عملهم هذا من أعظم ما خدم به علماء أمةٍ قوميتهم

انهم حفظوا مادة هـذه اللغة ذات الاسرار العجيبة والتكوين المعجز ، ولو تأخروا في جمعها قرناً واحداً لكان ذلك الاهمال كارثة لايقوى الزمان على تلافيها

إذن فلنذكرهم بالرحمة والرضوان ، ولنوسع لهم من قلوبنا وصدورنا موضعَ حرمة وإجلال يتوارثه عنا أولادنا الى الابد

❊ نشوء المعجم العربي ❊

لما انبرى علماء السلف رحمهم الله لجمع اللغة العربية وتدوينها سلكوا لذلك طريقين : أحدهما يُنتقَل فيه من جانب اللفظ الى المعنى ، والآخر يُنتقَل فيه من جانب المعنى الى اللفظ [1] . فالاول منهما موضوع لمن شعر باللفظ ، كمن سمع لفظ « الشَّفَق » أو رآه في كتاب ولكن جهل معناه أو هيئة مبناه ، وهذه الكتب مرتبة على حسب المباني (الألفاظ) ليتيسر للطالب أن يجد الكلمة في الموضع المعقود لذلك المبنى ليقف فيه على المعنى والمعاجم كلها من هذا الصنف ❊ والثاني منهما موضوع لمن شعر بالمعنى كمن رأى « الشَّفَق » في السماء ولكن جهل اللفظ الدالَّ عليه ، وهذه الكتب مرتبة على المعاني ، ككتاب المخصص لابن سيده

والخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ — ١٧٥ هـ) أول من فكر في وضع

(١) مقدمة (الكافي في اللغة) لاستاذنا الشيخ طاهر الجزائري ص ٢٣

المعجم للغة العربية [1] . وهو نابغةٌ عربي من مَفاخر الأزد ، من بطن منهم اسمهم آل يَحْمَد. قال أبو الطيّب اللغوي في كتابه (مراتب اللغويين) : « ان الخليل ألف كلام العرب على الحروف في (كتاب العين [2]) فرتب أبوابه ، وتُوفي من قبل أن يحشوه » والمفهوم من كتب التاريخ أن جماعة من العلماء من تلاميذ الخليل حَشَوْا كتاب العين وأكملوه ، ووقع فيه خلل لتعدّد الأيدي التي تداولته. ولكن من المحقق أن الخليل هو راسم خطة المعجم وواضع بنائه ، وكتاب العين هو المعجم الأول في العربية.

ولقد ترقى المعجم العربي بسنة النشوء ، فاجتاز طرائق ثلاثاً :

﴿ الطريقة الاولى ﴾ طريقة الخليل في كتاب العين وتابعه عليها كثيرون منهم أبو منصور محمد بن أحمد بن الازهر (٢٨٢ ـ ٣٧٠) في معجمه (تهذيب اللغة) ثم أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الضرير الاندلسي (٣٧٨ ـ ٤٥٨) في معجمه (المحكم) . وبيان هذه الطريقة أن الخليل كان يذكر الكلمة وما ينشأ عنها بالقلب فيذكر مثلاً مواد ضام وضمى ومضى وضمّ وأمض وأضم في موضع واحد ، ويفرد كل نوع من الصحيح والمضاعف والمهموز والمعتلّ على حدة ليمتاز كل نوع عن غيره . والحكمة في ترتيب كتاب العين على ما تقدم أن الكلمات

(١) وكذلك كان أول من استقصى أنواع الالحان في أغاني العرب وزمّ أصناف النغم فيها ووضع في ذلك كتاب (الموسيقى) فكان آية في الابداع . وهو أول من استقصى شعر العرب فاستخرج منه أوزان الشعر في علم سماه (العروض) وله فيه كتاب (الفرش) وكتاب (المثال) ومات وهو يفكر في اختراع طريقة لم يسبق اليها في تسهيل علم الحساب . وهو الذي بسط النحو ومد أطنابه ، وسبب علله ، وفتق معانيه ، وأوضح الحجاج فيه ، حتى بلغ أقصى حدوده فلقن سيبويه من دقائق نظره ونتائج فكره ، وحمله عنه سيبويه فألف فيه (الكتاب)

(٢) كان جماعة من أهل الغيرة على العربية شرعوا في طبع مختصره لابي بكر الزبيدي بمدينة بغداد قبيل الحرب العظمى ، وهذا المختصر خير من أصله ، ولكنهم انقطعوا عن مواصلة العمل

التى تشترك في الحروف وان اختلفت في الترتيب لابد أن يكون لها معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها

ويدخل في هذه الطريقة ما جرى عليه نابغة آخر من نوابغ الازد أيضاً — أي من قوم الخليل بن أحمد — وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ — ٣٢١) إمام العصر الثالث في اللغة والادب والشعر ، فانه ألف معجمه (جمهرة الكلام [١]) وابتدأه بالثنائي أب ثم أت ثم أث . . الى آخر الحروف . وانتقل بعد ذلك الى بت ثم بث ثم بج . . الخ . وبعد الثنائي أتى على الثلاثي ثم الرباعي ثم ملحق الرباعي وكذا الخماسي والسداسي وملحقاتهما وجمع النوادر في باب مفرد . وصنع ما صنعه الخليل من ذكر الالفاظ الثلاثية مع مقلوبها

﴿ الطريقة الثانية ﴾ طريقة العلامة إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري (توفي في حدود الاربعمائة) وقد نظر فيها الى أواخر الكلمات المجردة لا الى أوائلها . فابتدأ كتابه بالكلمات التى أواخرها همزة ورتب هذه الكلمات التي أواخرها همزة بحسب أوائلها فقدم ما أوله همزة ثم الذي أوله باء . . الخ وبعد ان انتهى من الكلمات التي أواخرها همزة انتقل الى ما أواخره باء فقدم منه ما أوله همزة ثم ما أوله باء . . الخ وترك طريقة الخليل في جمع الالفاظ ومقلوبها ، ووضع المقلوب في بابه على طريقته . ولا نعلم مزية لهذه الطريقة غير التسهيل على طالبي القوافي والاسجاع ، لان الكلمات تتسلسل فيه على حرف واحد في أواخر الكلم . والجوهري أول من وضع هذه الطريقة الثانية ، وهي مع كونها غير طبيعية قد استحسنها الناس وانتشر كتاب (الصحاح) فيهم لتركه الجمع بين الكلمة ومقلوبها كما تقدم ، ولمزية أخرى امتاز بها وهي اقتصاره على اللغات

(١) عني بتصحيحها الاستاذ كرنكو Krenkow الانكليزي وعارضها بسبع نسخ ، وتستعد مطبعة دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن (الهند) لطبعها ، وقد أشرنا الى ذلك في السنة الماضية ص ٤٧٣

الصحيحة الفصيحة الثابتة بالرواية ، فهو في اللغة كصحيح البخاري في الحديث

وتابع الجوهريَّ على طريقته الامامُ رضيُّ الدين الحسن بن محمد بن الحسن ابن حيدر العدوي العمري الصغاني (٥٧٧ ـ ٦٥٠) في معجمه (العُباب) ولعل الذي حمله على ذلك أنه ألف (تكملة الصحاح) وهي أكبر حجماً منه فتابعه على ترتيبه في التكملة وفي العباب . ويمتاز العباب بأن الصغاني ذكر في آخر كل مادة منه ما يدل عليه تركيبها من معنى عامّ تندرج تحته معاني مشتقاتها المختلفة ، وينبه على الالفاظ المقلوبة .

ثم جرى على هذه الطريقة الامام جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري الخزرجي (٦٩٠ ـ ٧٧١) في معجمه العظيم (لسان العرب) ، وقاضي القضاة مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الصدّيقي الفيروزابادي (٧٢٩ ـ ٨١٧) في معجمه (القاموس المحيط) .

﴿ الطريقة الثالثة ﴾ أن يُنظَر في الترتيب الى أوائل حروف الكلمات المجرّدة ، ويراعى الحرف الثاني والثالث وما بعدها . وهي أرق الطرق في ترتيب موادّ المعاجم ، وسماها استاذنا الشيخ طاهر الجزائري في مقدّمة معجمه الكافي (طريقةَ الجمهور) . وأول من جرَى عليها فيما أعلم الامامُ أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٢٩ ـ ٣٩٥ [1]) في معجمه (المجمل) [2] ومعاصرُه الامامُ أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفّى سنة ٤٠١) ، وكلاهما معاصر للجوهري فكأن الطريقتين وجدتا في المعاجم العربيه في عصر واحد . وقد سلك (طريقة الجمهور) كثيرون من مؤلفي المعاجم كالراغب الاصفهاني (المتوفى عام ٥٠٥) في كتابه (مفردات غريب القرآن) والامام جار الله الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨)

(١) مؤلف كتاب (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) الذي نشرناه قبل ستة عشر عاما ، وفي صدره ترجمة مطولة للمؤلف .

(٢) طبع ربعه الاول في القاهرة سنة ١٣٣٢ في ٣٢١ صفحة وبلغ الى آخر مادة (دلك)

في معجمه (أساس البلاغة) وأبو موسى محمد بن أبي بكر المديني الاصفهاني (المتوفى سنة ٥٨١) في (الاستدراك على الغريبين) ومجد الدين بن الاثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦) في معجمه (النهاية) والفيومي (٧٣٤) في (المصباح) ومحمد طاهر بن علي الصدّيقي الفتّني (٩١٤ ـ ٩٨٦) في (مجمع بحار الأنوار) والبستاني في (محيط المحيط) و (قطر المحيط) والشرتوني في (أقرب الموارد)

﴿ الموازنة بين مزايا الطرائق الثلاث ﴾ ان الذين أطالوا النظر وردّدوه في دقائق أسرار اللغة العربية أدركوا شيئاً كثيراً من ذلك في مختلف حالاتها : فمن هذه الاسرار اللطيفة أن الالفاظ المركبة من حروف لا تختلف الا بترتيب تركيبها يجمعها في الغالب معنى عام مشترك بينها . وان الرغبة في التماس هذا المعنى المشترك بين الالفاظ ومقلوبها هو الذي حمل العلاّمة الحكيم الخليل بن أحمد على إيثار الطريقة الاولى في تأليف المعجم العربي ، غير أن صعوبة استعمال الناس لهذه الطريقة أدّى الى إهمالها

ومما ثبت عند علماء الاشتقاق أن التقارب في حروف أوائل الكلمات وأواخرها ـ نحو قَسَمَ وقَصَمَ ـ يدلّ على التقارب بين معانيها ، وهذا متوفّر في الطريقة الثانية التي اتبعها الجوهري ومَن تابعه

ولكن التقارب الاعظم بين المعاني يكون في التقارب بين الكلمات في حرفيها الاوّلين ـ مثل بَتَرَ وبَتَكَ ـ وهو الغالب في اللغة العربية . جاء في مقدمة (الكافي) للشيخ طاهر ص ٣٥ : « وكأنّ القائلين بهذا القول يذهبون الى أن الأصل في هذا الباب هو حرفان وضعا لمعنى ثم زيد عليهما حرف آخر ليدلّ على معنى آخر يكون بمنزلة النوع للمعنى الأول الذي هو بمنزلة الجنس لانواع معاني الالفاظ التي نشأت عنه بالزيادة » وما دام الاستقصاء قد دلّ على أن التقارب الاعظم في المعاني تابع للتقارب في الحرفين الاوّلين فالافضلية ثابتة للطريقة الثالثة

التي هي طريقة الجمهور ، زد على ذلك أنها الاسهل استعمالا عند القرّاء

﴿ عيوب معاجمنا ﴾

كان أول ما حرصَ عليه علماء السَّلَف عند تدوين المعاجم العربية في القرنين الثاني والثالث وما يليهما أن يصونوا جواهر هذه اللغة الشريفة من العبث والضياع : فكانت هممهم مصروفة الى جمع متنها ، وتصحيح رواية مفرداتها ، وتحديد معانيها . وهم — مع ذلك — لم يهملوا ملاحظة المزايا العلمية فيما اختاروه من طرائق الترتيب ، كما أشرنا الى ذلك آنفاً . وقد محّص الزمانُ طرائقهم فدَرستْ الطريقة الاولى منذ عصور لصعوبة استعمالها ، وعاشت الطريقة الثانية مع الاسجاع والقوافي ، وكتبَ اللهُ البقاءَ لطريقة الجمهور : فهي لا تزال في موضع الانس والرضى من مؤلفي المعاجم العربية ومستعمليها . والحقُّ أن علماء القرنين الثاني والثالث قد قاموا بما عليهم لغة القرآن من جمعهم مادّتها ، كما قام من جاء بعدهم من العلماء بمهمة الاستقصاء والتبصّر

وكان يكون جانب الكماليات في تأليف معجمنا مستوفى على أتمّه لو لم تستعجم الدولة وتنتقل من أيدى أبناء الشرف وسادة البيان الى أيدى مماليك « لم يكن لهم ذلك العقل الذي راضَهُ الاسلام ، والقلبُ الذي هذّبه الدين ، بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل ، يحملون ألوية الظلم : لبسوا الاسلام على أبدانهم ولم ينفذ شيء منه الى وجدانهم » كما قال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده [1] فوقف سير العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والكونية ، وعمّ الجمود كل ضرب من ضروب الحياة في الأمة . ولو لاهم لكان تقدمنا في استمرار ، ولبقيت قيادةُ الحضارة في أيدينا ، ولكننا اليومَ من أوربا في مكان أوربا اليومَ منا ، مع

(١) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص١٢٢

التفاوت المعلوم فيما بين حضارتنا الروحية ولينها ، وحضارتهم المادّية وقسوتها

إن مانجده في معجمنا من مظاهر النقص انما هو عَرَض من أعراض النقص العامّ في مجتمعنا الحاضر ، ومن الواجب علينا وقد بدأنا نفكّر في الاصلاح أن ينصرف المشتغلون منّا باللغة الى التفكير في أقوم الطرق لاصلاح معجمنا بحيث يسدّ حاجتنا العصرية من كل الوجوه

وهنا ملاحظة لا بد من إيرادها وهي أن الفوضى في الاصلاح شرٌّ من الجمود ، فكما أن الاصلاح الاسلامي مطلوب للمسلمين بشرط أن يبقوا مسلمين حقاً ، فكذلك الاصلاح في المعجم العربي لا مناص منه بشرط أن يبقى عربياً حقاً

والعيب في معجمنا الحاضر آتٍ من جهتين أصليتين : الاولى من جهة ترتيب أجزاء المادة ، والثانية افتقاره الى الاسماء الجديدة للمسميات الجديدة

فأما النقص الاول فسببه أن الجمود اعترض سبيل المعجم بعد زمان جمع مادة اللغة ، فحال الجمود دون الخلاص من ذلك النقص ، مع أن هذه الامة نبغ فيها نوابغ كان لهم ذوق دقيق في تفهّم أسرار هذه اللغة العجيبة ، واكتشاف ما بين ألفاظها ومعانيها من مناسبات لا يدركها إلاّ الحكيم ، بل قال العلاّمة الكبير أبو الفتح ابن جني في كتاب (الخصائص) قبل نحو ألف سنة : « ان وراء هذا ما اللطفُ فيه أظهر ، والحكمةُ أعلى وأصنع . وذلك أنهم قد يضيفون الى اختيار الحروف تشبيه أصواتها بالاحداث المعبَّر عنها ، وتقديم ما يضاهي أوّل الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود ، والغرض المطلوب » .

وإني على مثل اليقين من أنه لولا عارض الجمود الذي أبان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده سببه السياسيّ على ما نقلناه آنفاً لبلغ المعجم العربي أوج الكمال منذ عصور كثيرة ، ولظهر في مؤلفي المعاجم عندنا مَن اقتبس حكمة العلاّمة ابن جني في فهم فقه اللغة وأسرار العربية وسار فيها شوطاً بعيداً وطبّق ذلك بالعمل

في ترتيب مادة اللغة ترتيباً تتجلى فيه أسرار الاشتقاق الاكبر ويكون مثابة لتاريخ المادة من موادّ اللغة وكيف تسلسلت وجوه استعمالاتها وصيغ مشتقاتها منذ كانت في دور الفطرة الاولى الى أن بلغت عصر الحضـارة . انظر الى دقة فهم ابن جني لهذا الضرب من فقه اللغة فقد جاء بمادة (شَدَّ) مثالا لذلك وقال « فالشين لما فيها من التفشي تشبه صوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ، ثم يليها إحكام الشدّ والجذب فيعبّر بالدال التي هي أقوى من الشين ، لا سيما وهي مدغمة فهي أقوى لصيغتها وأدلّ على المعنى الذي أريد بها . فاما الشدة في الامر فانها مستعارة من شـدّ الحبل » أي ان معنى « شدّ الحبل » أقدم عند ابن جني من معنى « الشدة في الامر » فذلك أصل وهذه مستعارة منه

مثل هـذه الملاحظات الدقيقة لم يجد مؤلفو المعاجم الاولى وقتاً للعمل بها في ترتيب موادّ المعجم ، لانهم كانوا في شاغل عنها من جمع اللغة نفسها وتحقيقها ، وما قاموا به عمل أساسي وما شُغلوا عنه عمل كمالي . واذا قرأت كتاب (الجاسوس على القاموس) و (سر الليال في القلب والابدال) للعلامة أحمد فارس الشدياق ترى أن ما يجب على من يتصدّى لتأليف المعجم أن يلاحظه في هذا الباب أوسع من أن يشار اليه في مقال

وأما نقص المعجم العربي من جهة الاسماء الجـديدة للمسميات الجديدة فان الخطب فيه أعظم ، وحاجتنا الى التعاون على تلافيه أكبر . ولا يتسنى لنا هذا إلا بتوطين العزائم عليه ، وتوجيه جميع القوى اليه ، واقناع حكومات الاقطار العربية بتشجيع المساعي له . ولا مناص لنا — مع ذلك — من سلوك الطريق التي سلكته الامم الاخرى وهو الاصطلاح على أن لا تدخل كلمة جديدة في المعجم إلا اذا أقرها مجمع علمي مؤلف من كبار رجال الاختصاص في الفنون تكون له السلطة العليا في آدابها

﴿ المعجم الذي نحن في حاجة اليه ﴾

إذا قلت « المعجم » فانما أريد الكتاب الذي يرجع اليه الناس في تعرّف معاني مفردات اللغة : فيجدون فيه ضالّتهم بأصح وجه ، وأقرب وقت ، ويغنيهم عن التماسها في كتاب آخر

ان المنقطعين للعلم — في كل عصر وفي كل أمة — حريصون على أن يستفيدوا من وقتهم إلى أقصى مدى . ومن حقّهم على من يؤلف في أي ضرب من ضروب العلم — ولا سيما معاجم اللغة والتراجم والبلدان — أن يحقق لهم هذه الأمنية المشروعة ، فيتعب المؤلف مرّة ليستريحوا في كل مرة

إذن فالمعجم الاكبر يجب أن يمتاز بميزات ثلاث : الصحة ، وسهولة المراجعة ، والاحاطة

أما ﴿ الصحة ﴾ فالضمان الوحيد لها أن يكون المتصدّي لهذا العلم من الإخصائيين فيه الذين تفقهوا بكتب علمائه ، وتذوّقوا دقائق أسراره ، وخبروا قواعد العلوم التي هي من لوازمه ، وأن يحرص مع ذلك على نقل تفسير اللغة من أقوال العلماء بنصوصها التي كانوا يشدّون الرجال لتلقيها من أهلها الاولين

وأما ﴿ سهولة المراجعة ﴾ فتكون بالتزام المؤلف ترتيب مشتقات المادة الواحدة بطريقة علمية اذا عرفها المراجع وأراد أن يراجع معنى أحد المشتقات يستطيع أن يعرف موضعها بالتقريب اذا كان في أول مشتقات المادة أو في وسطها أو في آخرها . مثل أن يلتزم مؤلف المعجم وضع المجرّد قبل المزيد فيه ، والحقيقة قبل المجاز ، والكلمات التي هي من أوضاع الفطرة الاولى قبل الكلمات التي هي من مستحدثات الحضارة . ومن المسلم به أن لغات البشر لم توجد كل مفرداتها في آن واحد ، بل كانت في أقدم الازمان بحالة أبسط ثم حدثت فيها

أسماء جديدة لمسميات جديدة عصراً بعد عصر . واذا تأمل ذو الذوق في هذا الامر يرى بين بعض مشتقات المادة رابطة قريبة جداً ويرى بين البعض الآخر من مشتقات المادة نفسها رابطة أبعد . ومن المعقول أن الكلمتين المتقاربتين في رابطة المعنى قد اشتقت احداهما من الاخرى إما بلا واسطة أو بواسطة قريبة. فاصابة الحزّ وتطبيق المفصل في تأليف المعجم أن يجعل المؤلف الكلمات المتقاربة في المعنى متقاربة في الوضع بحيث اذا نظر القاريء الى مشتقات المادة مرتبة على هذا الترتيب تحدث عنده فكرة تدله ـ بقدر الامكان ـ على تاريخ تلك المادة وتسلسل ألفاظها والروابط المعنوية فيما بينها من أقدم صيغ تلك المادة الى أحدثها

وأما « الاحاطة » فلا مناص منها للمعجم الاكبر ، وقد حاولها العلاّمة ابن مكرم الانصاري في (لسان العرب) والسيد مرتضى الزبيدي في (تاج العروس) فسدّا بذلك مسدّاً عظيما غير أن المجال لا يزال متسعاً للاستمداد من المعاجم الاخرى من مخطوطة ومطبوعة ، ومن الرسائل والكتب المؤلفة في اللغة لابواب خاصة . وزيادةً في الاستقصاء والاستيفاء يجب أن يحوي المعجم الاكبر جميع الشواهد ليستغني الناس به عن غيره في كل ما يتعلق باللغة . أما الأعلام التاريخية والجغرافية فأرى أن تجرّد من المعجم على كل حال ، وسيّان بعد ذلك أن يجمع ما يوجد منها في كتب اللغة ويوضع في آخر المعجم على حدة بشكل كتاب مستقل أو أن يترك هـذا الامر لمعجم التراجم الاكبر والمعجم الجغرافي المحيط اللذين أشرت اليهما في صدر هذا المقال

ومن الواجب الآن الاقتصار في المعجم الاكبر على المواد التي احتوتها المعاجم القديمة حتى يكون هذا المعجم مرجعاً صحيحاً لأصل اللغة ، ويكون المورد الصافي لعلماء اللغة وللمجمع اللغوي المنتظر متى شرعوا في وضع الاسماء العربية الجديدة للمسميات الجديدة ، وحينئذ يتسنى إضافة الجديد الى القديم في معجم

آخر غير هذا

وقد بشرتنا دار الكتب المصرية في تقريرها الذي صدر أخيراً (ص ٢٢ ـ ٢٣) بأنها تفكر في طبع معجمي لسان العرب والفيروزا بادي اللذين جمعهما معاً المرحوم محمد النجاري بك وحوّلهما الى طريقة الجمهور [1] . ولصديقي القاضي الفاضل الاستاذ الشيخ أحمد شاكر فضل السعي في تحقيق هذا المشروع النافع . وترى دار الكتب المصرية أن تعهد الى لجنة من أهل الفضل باكمال الجزء الاخير من هذا المعجم وأن تكون بين يديها كتب اللغة الاخرى الموثوق بها فما وجدته زائداً عما في معجم النجاري بك وضعته في موضعه مع بيان المصادر المنقول عنها * وليس لي ما أقترحه عليها وعلى اللجنة التي ستعهد اليها بهذا العمل غير العناية بترتيب مشتقات كل مادة ترتيباً علمياً على نحو ما وصفت آنفاً . ثم ان المرحوم نجاري بك نقل الكلمات المزيد فيها من مواضعها في مادتها الرئيسية ووضعها في المكان الذي تقضي به حروف الزيادة . مثال ذلك أنه نقل كلمة « مفتاح » من مادة « ف ت ح » في حرف الفاء الى حرف الميم . وأنا أعارض في ذلك كل المعارضة وأراه مشوّهاً لجمال هذه اللغة ، وضارباً بحجاب كثيف دون روابط الاشتقاق الموجودة فيما بين أجزاء المادة الواحدة . ونحن لا نتصوّر أن بين الذين يراجعون معجماً كبيراً كهذا من يجهل مراجعة كلمة « مفتاح » في مادة « فتح »

المادة اللغوية أمّ وأجزاؤها أطفالها ، وان التفريق بينهما على هذا الوجه ينافي أصالة اللغة العربية ، وتغدو به الكلمة ـ وهي كالغصن الغضّ في الشجرة

(١) أظن أنني أول من اطلع هذا المعجم ، فقد ندبتني لذلك جريدة (المؤيد) عقب وفاة مؤلفه المرحوم نجاري بك فكتبت في وصفه مقالة نشرت في فاتحة أحد أعداد المؤيد . وكان نجاري بك قد أكمل تسعة عشر جزءاً من لسان العرب وما يقابلها من القاموس وبقي الجزء الاخير من اللسان وما يقابله من القاموس على حالهما .

الوارقة الظلال ـ كالحطبة التي تقطع من الجذع وتلقى بعيداً عنه ، وهل هـذا الا انتقال من الحياة الى الموت ؟

ان المشروع لايزال في دور التفكير والتكوين وفي استطاعة اللجنة التى أشار اليها تقريردار الكتب أن تعيد هذه الالفاظ المشرَّدة الى مواطنها ، ونرجو لدار الكتب بعد ذلك التوفيق من الله سبحانه في تحقيق هذه الامنية وإمتاع ناشئة الامة بهذا المعجم الجزيل النفع

«الساعات العربية ـ خزانة المنجانة»

قال الحافظ أبو عبد الله التنسي في كتابه (نظم الدر والعقيان في شرف بنى زيان [1]) فى معرض وصفه حفلات المولد النبوي في تلمسان أيام حكم صاحبها أبى حمو المعاصر لابن خلدون :

« وخزانة المنجانة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة ، بأعلاها أيكة تحمل طائراً فرخاه تحت جناحيه ، ويختله فيها أرقم خارج من كوة بجذر الاريكة صاعداً . وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية ، يصاقب طرفيها بابان كبيران ، وفوق جميعها دُوَين رأس الخزانة قمر أكمل يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك ، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج ، فينقضّ من البابين الكبيرين عقابان في يد كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها الى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب يفضي بها الى داخل الخزانة فيرن وينهش الارقم أحد الفرخين فيصفّر له أبوه . فنهالك يفتح باب الساعة الذاهبة وتبرز منه جارية محتزمة كأظرف ماأنت راء، بيمناها اضبارة فيها اسم ساعتها منظوماً ، ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة » .

(١) نفح الطيب ٤ : ١٩٣ طبع مصر سنة ١٣٠٢

عبد الكريم

بطل الريف ورئيس جمهوريتها



بنيتَ للذكرِ ما يمصاهُ سُلوانُ   والذكرُ عقلٌ وانشاءٌ واحسانُ

يامُرْجِعَ النهضةِ الكبرى بيقظتِهِ   وثائراً هُزَّ من نجْواهُ بُلْدانُ

أنت الأمينُ علي التاريخ تنشرُهُ   صِدْقاً ، وتثأرُ لا تنسيكَ أزمانُ

تقمّصتْ فيك روحٌ من جلالتهمْ — وكان منكَ لهمْ في البأسِ (مَرْوَانُ)
تجمّعتْ حولكَ الثاراتُ من قِدَمٍ — وذكرياتٌ من الأجدادِ تزدانُ
في كلِّ شبْرٍ من الأرضِ الحنينُ لهمْ — حيٌّ ، وفي الجوِّ للأحياءِ آذانُ
وفي رءوسِ الجبالِ الشُّمِّ سائلهمْ — مازال يرقبُ أن يدعوه أعوانُ
مَضَوْا وقد خلّفوا جُنْداً لدولتهمْ — النُّبْلُ والبأسُ والعرفانُ ماكانوا
هيهاتَ يصدأُ سيفٌ في شُعاعِ عُلَى — أو يستَذِلُّ مع الاخلاص عرفانُ
مشتْ قرونٌ بأستارٍ محجّبةٍ — حتّى هممْتَ ، فزالتْ حولَ من عانوا
فأُشْعِلَ (الرّيفُ) من نارٍ به خُبِئَتْ — مَدَى القرون ، وثار الانسُ والجانُ
على زئيرٍ تهابُ الأسْدُ سَوْرَتَهُ — وتستعزُّ به في الرَّوْعِ أوطانُ
وفي وثوبٍ كأنَّ (الصقْرَ)[1] قائده — (وطارقاً)[2] يُسعِفٌ يتلوهُ فُرْسانُ
و(بربروسا)[3] على الغاراتِ محتكمٌ — في البحرِ يُزْعِجُ من ذكراه (إسبانُ)
تاهتْ (مليلةُ) من حقٍّ بتربيةٍ[4] — كما حبا (شَلَمَنْكا) منك سلطانُ[5]
ومن مقاديرِ هذا الدهرِ في عجبٍ — أن يُكرِمَ المرءَ أعداءٌ وخِلّانُ

***

(عبدَ الكريم) اذا كُرِّمْتَ ماكذبتْ — فيكَ الكرامةُ والاجلالُ والشانُ
بذلتَ جهدَكَ في توحيدِ من نزعوا — عن وَحْدَةٍ هي للاكبارِ عنوانُ
وفي انتشالِ الأُلى مالَ الرغامُ بهمْ — من رقدةٍ عافها دينٌ وايمانُ

(١) الصقر : هو عبد الرحمن الداخل .
(٢) طارق بن زياد .
(٣) هو خير الدين بربروس الذي استطاع بمساعدة أهالي المغرب مناوأة الاسبانيين بحراً وبراً الى أن تمكن نهائيا من طردهم من المغرب فالحقه بملك آل عثمان .
(٤) مليلة : هي المدينة التي شب فيها الأمير عبد الكريم وترعرع .
(٥) تلقي الامير عبد الكريم دراسته العالية بجامعة شلمنك باسبانيا حيث نال شهادة الحقوق والآداب ولقب « دكتور » .

وفي الثبات على الاخلاص محتقراً عيشاً لذاذته وهمٌ وخذلانُ
أقلت شعباً تجددت الحياة به كما تجدد بعد النوم أذهانُ
فخاض في النار للأعداء مقتحماً طلقاً كما تطلق العقبان نيرانُ
وتستحل ملايين تهدمه وهو الشجاع الذي يخشاه شجعانُ
يناشد (المغرب الأقصى) محبته وعند (أندلس) الزهراء تحنانُ
وفي ديار بني (الاسلام) من شغف بمجده الفذ مالم يعد حسبانُ
وحينما ساد فضل العرب وانتلقت من سالف العصر الغرّاء تيجانُ

***

سل الحسيمة أو داغيت[1] ما صنعت سيوف من أرهقوا ظلماً فما دانوا
حمية ترهب الاجيال نزعتها ونخوة بسناها القطر مزدانُ
جاء الصليب مع البهتان يهدمها وكم أساء إليه أمس بهتانُ
فيم التعصب يامن خربوا دولاً فكان منهم على العرفان طغيانُ
فيم الفخار وهذا عز (قرطبة) مضى، فما كان بعد الأمس بنيانُ
مضت قرون وأنتم في جهالتكم للبطش والعسف أغرارٌ وعبدانُ
أتحسبون نهوض اليوم يرهبكم وكلُّ فردٍ لهم في الحرب انسانُ
من كلِّ قلبٍ غذاه مجد غابره وكلُّ عزمٍ له في الصبر فرقانُ
وليس داعٍ لكم إلاّ مطامعكم بئست، ومرشدكم للقتل رهبانُ
والله عارٌ على أرض يضمخها دمُ الفوارس لم يعوزه برهانُ
أن تستحيل قبوراً ملؤها جيفٌ منكم، وان تظلم الكثبان أكفانُ
لولا احتكامٌ الى الثارات تدفعهم لولا رضاءٌ من الماضي وغفرانُ
فيا مروجا لدى (غرناطة) أكتأبت عمراً فأذبلها وجدٌ وأشجانُ

(١) وقعت بهما واقعتان حربيتان شهيرتان انتصر فيهما الريفيون انتصارا عظيما

ويا ظلالاً علي جنَّات (أندلسٍ) اليومُ يومُك فلتهجرْكِ أحزان

* * *

وأنتَ يا (ورغة)[1] المفديّ مشرقُهُ فدًى لِحُسْنِكَ أجبالٌ وعُقبان
غنَّتْ لنهرك آمالٌ مردَّدَة في الشرقِ واستجمعَ الآمالَ (تطوان)[2]
عُدِدْتَ مصدَرَ أقواتٍ تجود بها وأنتَ للعصرِ والتاريخ بُستان
كم فيك جُمِّعَ حَظُّ الفتح وانبثقتْ من السَّنى والمُنى حورٌ وولدان
ومن مُرُوجِكَ للأرزاق ما وسعت ومن رياضِكَ للارواح ريْحان
يُرفرفُ (العَلَمُ الريفيُّ) عن كثبٍ وأنتَ للعلمِ الخفَّاقِ لَهْفان
فمن أديمك ما يعتزُّ منه علي باقي البلادِ وممَّا فيك غنيان
ومن هوائك طِبٌّ للحياة فما يحيا البنون اذا آباؤهم هانوا
ونهرُكَ العذبُ بسامٌ، ولؤلؤهُ أحرى بهِ من شفاهِ الغيدِ مرجان
لا أن يلوِّثَ بالاشرارِ قد ملكوا كنوزَه، فسيرٌ فيه عمران
وكم حسانٍ به في الأسرِ قد خفقتْ قلوبهنَّ وناجاهنَّ هيمان
صبراً، فما هي الا دورةٌ قربت فيجمع الشَّملَ فرسانٌ واخوان
ويستعيدُ الجمالُ الحرُّ دولته في أمةٍ رَمزها فنٌّ وفنَّان
لها الشجاعةُ عنوانٌ؛ كذاك لها فيما أصابتْ من الاحسانِ اتقان
(بنو امية) أعطوهمْ عهودَهم فلم تزلْ، ولو أنَّ الدهرَ غيران

أحمد زكي أبو شادي

---

(١) وادي الورغة الخصب معدود من الأسباب الرئيسية للحرب الريفية نظراً لمطالبة الريفيين به .

(٢) تطوان : البلد الذي عقد به مؤتمر يولية سنة ١٩٢٣ م بين الريفيين والاسبانيين حيث أصر الوفد الريفي على تطبيق الميثاق القومي .

نظرة تاريخية

في حدوث المذاهب وانتشارها

﴿ المذهب الشافعي ﴾

نسبة الى الامام محمد بن إدريس الشافعي القرشي رضي الله عنه المولود بغزة سنة ١٥٠ والمتوفى بمصر سنة ٢٠٤ وكان آية في الفهم والحفظ واجتمع له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره . ومذهبه ثالث الأربعة في القدم ويقال لأصحابه أهل الحديث كالمالكية[١] بل كان اصطلاح أهل خراسان اذا أطلقوا « أصحاب الحديث » لايعنون إلا الشافعية[٢] . وهو ممن أخذ عن الامام مالك ثم استقل بمذهب خاص ، قال ابن خلدون : رحل الى العراق بعد مالك ولقي أصحاب الامام أبى حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب وخالف مالكاً رحمه الله في كثير من مذهبه .

ويذكر أصحاب الطبقات أن ظهوره كان أولاً بمصر وكثر أصحابه بها ، ثم ظهر بالعراق وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان وتوران والشام واليمن ودخل ماوراء النهر وبلاد فارس والحجاز وبعض بلاد الهند ودخل شيء منه افريقية والاندلس بعد سنة ٣٠٠[٣] .

وكان الغالب على أهل مصر الحنفي والمالكي كما تقدم ، فلما قدم اليها الامام الشافعي انتشر بها مذهبه وكثر[٤] قال ابن خلدون وأما الشافعي فمقلدوه

(١) عن ابن خلدون وطبقات السبكي .

(٢) عن طبقات السبكي .

(٣) عن الديباج والفوائد البهية .

(٤) قال على بن عبد القادر الطوخي فى كتابه (قضاة مصر) : ان عيسى بن المنكدر قاضى مصر صاح في وجه الامام الشافعي فقال : دخلت هذه البلدة وأمرها

بمصر أكثر مما سواها ، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشحنت كتب الخلافيات بأنواع استدلالاتهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره . وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر أخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحارث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشى من سواهم الى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف ابن أيوب ورجع اليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى أحسن ما كان ونفق سوقه ، واشتهر منهم محيي الدين النووي من الحلبة التى ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعزالدين بن عبدالسلام أيضاً ثم ابن الرفعة بمصر وتقي الدين بن دقيق العيد ثم تقي الدين السبكي بعدهما ، الى أن انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر وكبير العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر . انتهى

ولما أخذت الدولة الأيوبية في انعاش مذاهب السنة بمصر ببناء المدارس لفقهائها وغير ذلك من الوسائل جعلت للشافعي الحظ الاكبر من عنايتها فخصت به القضاء لكونه مذهب الدولة وكان بنو أيوب كلهم شافعية إلا المعظم عيسى بن العادل أبي بكر سلطان الشام فانه كان حنفياً ولم يكن فيهم حنفي سواه وتبعه أولاده [1] وكان متغالياً في التعصب لمذهبه ويعده الحنفية من فقهائهم ألف شرحاً على الجامع الكبير في عدة مجلدات وله السهم

واحد ورأيها واحد ففرقت بينهم . يشير الى مخالفة متبعيه لاصحاب مالك فان أهل مصر قبل وجود الشافعي كانوا لايعرفون الا رأى مالك . انتهى . وفيه نظر لان الحنفي كان معروفا أيضا عندهم (١) من ابن خلكان .

المصيب في الرد على الخطيب البغدادي فيما نسبه للامام أبي حنيفة في تاريخ بغداد [1] ثم لما خلفتها دولة الترك البحرية وكان سلاطينها شافعية أيضاً [2]، استمر العمل في القضاء على ذلك حتى أحدث الظاهر بيبرس القضاة الاربعة فكان لكل قاض التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ونصب النواب واجلاس الشهود وميز الشافعي باستقلاله بتولية النواب في سائر بلاد القطر لايشاركه فيها غيره كما أفرد بالنظر في مال الايتام والاوقاف [3]، وكانت له المرتبة الاولى بينهم ثم يليه المالكي فالحنفي فالحنبلي [4] ثم استمر الأمر على ذلك في الدولة الجركسية حتى استولى العثمانيون على مملكتهم فأبطلوا القضاة الأربعة وحصروا القضاء في الحنفي لأنه مذهبهم ولم يزل مذهب الدولة الى اليوم إلا أن ذلك لم يؤثر في انتشار الشافعي والمالكي بين الاهلين لسابق تمكنهما وانتشارهما بينهم فبقيا غالبين على الريف والصعيد والشافعي أغلب على الريف المعبر عنه بالوجه البحري. وكانت شياخة الازهر – وهي رئاسة العلماء الكبرى – محصورة في علمائه من سنة ١١٣٧ [5] الى أن تولاها من الحنفية الشيخ محمد المهدي العباسى سنة ١٢٨٧ مضافة الى الافتاء فلم تنحصر بعد ذلك في مذهب من المذاهب ولكن لم يتولها حنبلي لقلتهم بمصر

(١) من الفوائد البهية .

(٢) كان سيف الدين قطز المتولى قبل بيبرس حنفيا ولكن لم يؤثر ذلك في مذهب الدولة لقصر مدته . وزعم السيوطي في حسن المحاضرة أنه لم يعرف فيهم غير شافعي سواه .

(٣) و (٤) من صبح الاعشى . وذكر ابن بطوطة ان ترتيبهم بمصر مدة الملك الناصر كان بتقديم الحنفي على المالكي فلما ولي القضاء برهان الدين بن عبد الحق الحنفي اشار الامراء على الملك الناصر بجلوس المالكي فوقه كما جرت بذلك العادة القديمة فعمل باشارتهم واستمر الأمر على ذلك

(٥) أول من استطعنا معرفته ممن تولى شياخة الازهر الشيخ محمد الخرشي المتوفى سنة ١١٠١ وكان مالكيا وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوي الشافعي وتوفي سنة ١١٠٦ ثم انحصرت بعده في المالكية الى سنة ١١٣٧ فانتقلت الى الشافعية .

وكان الغالب على أهل الشام مذهب الاوزاعي حتى ولى قضاء دمشق بعد قضاء مصر أبوزرعة محمد بن عثمان الدمشقي الشافعي فأدخل اليها مذهب الشافعي وحكم به وتبعه من بعده من القضاة وهو أول من أدخله الشام وكان يهب لمن يحفظ مختصر المزني مائة دينار وتوفى سنة احدى أو اثنتين أو ثلاث وثلاثمائة [1]. وذكر المقدسي في أحسن التقاسيم أن الفقهاء باقليم الشام في زمنه أي في القرن الرابع كانوا شافعية. قال ولا ترى به مالكيا ولا داوديا.

وفي طبقات السبكي والاعلان بالتوبيخ للسخاوي أن هذا المذهب انتشر بما وراء النهر بمحمد بن اسماعيل القفال الكبير الشاشي وتوفي سنة ٣٦٥. وذكر المقدسي أنه كان الغالب على كثير من البلدان في اقاليم المشرق ككورة الشاش وايلاق وطوس ونسا وأبيورد وغيرها وكان بهراة وسجستان وسرخس ونيسابور ومرو الى آخر ماذكره. وذكر أن سجستان وسرخس كانت تقع فيهما عصبيات بين الشافعية والحنفية تراق فيها الدماء ويدخل بينهم السلطان. وذكر عن اقليم الديلم أن أهل قومس وأكثر أهل جرجان وبعض طبرستان كانوا حنفية والباقون حنابلة وشافعية. وكان لا يرى ببيار صاحب حديث الا شافعيا. وذكر عن اقليم القور الذي من بلاده الموصل وآمد الخ انتشار الحنفي والشافعي فيه قال وفيه حنابلة وذكر أن الشافعي كان الغالب على اقليم كرمان.

وفي الاعلان بالتوبيخ أن الحافظ عبدان بن محمد بن عيسى المروزي هو الذي أظهر مذهب الشافعي بمرو وخراسان بعد أحمد بن سيار وكان السبب في ذلك أن ابن سيار حمل كتب الشافعي الى مرو وأعجب بها الناس فنظر عبدان في بعضها وأراد أن ينسخها فلم يمكنه ابن سيار فباع ضيعة له وخرج الى

(١) عن رفع الاصر والاعلان بالتوبيخ والثغر البسام في قضاة الشام لابن طولون.

مصر فأدرك الربيع وغيره من أصحاب الشافعي فنسخ كتب الشافعي ورجع إلى مرو وابن سيار حيّ ومات عبدان سنة ٢٩٣ . وذكر أيضا أن أباعوانة يعقوب بن اسحاق النيسابورى الاسفراينىّ صاحب الصحيح المستخرج على مسلم أول من أدخل مذهب الشافعي وتصانيفه الى اسفراين وهو ممن أخذ عن الربيع والمزنيّ ومات سنة٣١٦ . الى أن قال: وأبو اسماعيل محمد بن اسماعيل بن يوسف السلميّ الترمذي هو الذي حمل كتب الشافعي من مصر فانتسخها اسحاق بن راهويه وصنف عليها (الجامع الكبير) لنفسه وهو ممن روى عن البويطى ومات سنة ٢٨٠ ، وعن ابن سريج انتشر مذهب الشافعى في أكثر الآفاق .

وفي معجم البلدان لياقوت أن أهل الريّ كانوا ثلاث طوائف شافعية وهم الاقل وحنفية وهم الاكثر وشيعة وهم السواد الاعظم فوقعت العصبية بين السنة والشيعة فتضافر عليهم الحنفية والشافعية وتطاولت بينهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف ، ثم وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية فكان الظفر للشافعية مع قلتهم فخربت محالّ الشيعة والحنفية وبقيت محلة الشافعية وهي أصغر محال الري ولم يبق من الشيعة والحنفية الاّ من يخفي مذهبه . وذكر في كلامه على ساوة التي بين الريّ وهمذان أن أهلها كانوا سنية شافعية وكان يقربها مدينة يقال لها آوة أهلها شيعة امامية فكانت تقع بينهم العصبية .

وفي الكامل لابن الاثير في حوادث سنة ٥٩٥ مانصه : « وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكرامية [1] وصار

(١) نسبة الى محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥ وقد اختلفوا في ضبط كرام فقيل بتخفيف الراء وكسر الكاف أو فتحها وقيل بفتح الكاف وتشديد الراء . وكان محمد صاحب مذهب في العقائد معروف الا أن المقريزي ذكر في خططه انه انفرد في الفقه أيضا بأشياء منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان وأجاز الصلاة في ثوب

شافعي المذهب . وكان سبب ذلك أنه كان عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفنناً في كثير من العلوم فأوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين أباالفتح محمد بن محمود المرورذي الفقيه الشافعي فأوضح له مذهب الشافعي وبين له فساد مذهب الكرامية فصار شافعياً وبنى المدارس للشافعية وبنى بغزنة مسجدا لهم أيضا وأكثر مراعاتهم ، فسعى الكرامية في أذى وجيه الدين فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك . وقيل ان غياث الدين وأخاه شهاب الدين لما ملكا في خراسان قيل لهما ان الناس في جميع البلدان يزرون على الكرامية ويحتقرونهم والرأي أن تفارقا مذاهبهم فصارا شافعيين وقيل ان شهاب الدين كان حنفياً والله أعلم » .

وكان الحنفي غالباً على بغداد كما قدمنا ثم زاحمه فيها الشافعي وكانت له كثرة ومع أن الحنفي كان مذهب الدولة لم يمنع ذلك من تقليد بعض الخلفاء للشافعي كما فعل المتوكل وهو أول من فعل ذلك منهم [1] . وكان الحسن بن محمد الزعفراني من رواة القديم عن الشافعي أحد من نشره فيها وتوفي سنة ٢٦٠ قال السخاوي في الاعلان بالتوبيخ « حج الربيع بن سليمان سنة اربعين ومائتين فالتقى مع أبي علي الحسن بن محمد الزعفراني بمكة فسلم أحدهما على الآخر فقال الربيع ياأبا عليّ أنت بالمشرق وأنا بالمغرب نبث هذا العلم يعني علم الشافعي » انتهى يريد بالمغرب مصر لأنها كذلك بالنسبة لبغداد . وفي طبقات السبكي أن بني أبي عقامة هم الذين نشر الله بهم مذهب الشافعي في تهامة .

هذا ما انتهى الينا علمه عن انتشار هذا المذهب بمصر وسائر بلاد المشرق وأما المغرب فلم يكن حظه منها كبيراً لغلبة المالكي .

مستغرق في النجاسة وزعم أن العبادات تصح بغير نية وتكفي نية الاسلام الى آخر ما ذكره مما يدل على أنه صاحب آراء في الفروع ومنه يعلم معنى انتقال غياث الدين من هذا المذهب الى المذهب الشافعي .

(١) عن محاضرة الاوائل

على بلاده حتى زعم المقدسي في أحسن التقاسيم انهم كانوا بسائر المغرب على عهده الي حدود مصر لايعرفونه وأنه ذاكر بعضهم مرة في مسألة فذكر قول الشافعي فقال : من الشافعي ؟ أنما كان أبوحنيفة لاهل المشرق ومالك لأهل المغرب. قال ورأيت أصحاب مالك يبغضون الشافعي ويقولون أخذ العلم عن مالك ثم خالفه. وقال عن القيران ليس في أهلها غير حنفي ومالكي مع الفة عجيبة لاشغب بينهم ولا عصبية. وقال عن الاندلس ليس بها الامذهب مالك فان ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه. وفي الكامل لابن الاثير أن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بعد أن تظاهر بمذهب الظاهرية مال الى الشافعية في آخر أيامه واستقضاهم على بعض البلاد

ويتبع غالب الشافعية في الاصول مذهب أبي الحسن الاشعري قال التاج السبكي في الطبقات إن غالبهم أشاعرة لايستثني الا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لايعبأ الله به .

﴿ المذهب الحنبلي ﴾

نسبة الى الامام أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه المولود ببغداد سنة ١٦٤ والمتوفى بها سنة ٢٤١ وقيل ولد بمرو وحمل الى بغداد رضيعاً . ومذهبه رابع المذاهب السنية المعمول بها عند جمهور المسلمين. وكان من خواص أصحاب الامام الشافعي أخذ منه ولم يزل مصاحبه الى ان ارتحل الشافعي الي مصر . وكان منشأ هذا المذهب ببغداد ثم شاع في غيرها ولكن دون شيوع باقي المذاهب[1] قال ابن فرحون في الديباج « وأما مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله فظهر ببغداد ثم انتشر بكثير من بلاد الشام وضعف الآن » أي في القرن

(١) عن الفوائد البهية

الثامن . وقال ابن خلدون « وأما أحمد بن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته في معاضدة الرواية وللاخبار بعضها ببعض . وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث »

وقد تأخر ظهوره بمصر ظهوراً بيّنا الى القرن السابع وعلله السيوطيّ في حسن المحاضرة بقوله « وهم بالديار المصرية قليل جداً ولم أسمع بخبرهم فيها الا في القرن السابع وما بعده وذلك أن الامام أحمد رضي الله عنه كان في القرن الثالث ولم يبرز مذهبه خارج العراق الا في القرن الرابع وفي هذا القرن ملك العبيديون مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلا ونفياً وتشريداً وأقاموا مذهب الرفض والشيعة ولم يزولوا منها إلا في أواخر القرن السادس فتراجعت اليها الأئمة من سائر المذاهب . وأول امام من الحنابلة علمت حلوله بمصر الحافظ عبد الغنى المقدسي صاحب العمدة » انتهى . وذكر المقريزي في خططه أنه لم يكن له وللمذهب الحنفى كبير ذكر بمصر في الدولة الايوبية ولم يشتهر الا في آخرها انتهى . ثم زاد انتشاره بها بعد ذلك في زمن القاضي عبد الله بن محمد بن عبد الملك الحجاوي المتولى قضاء قضاة الحنابلة بمصر سنة ٧٣٨ والمتوفى سنة ٧٦٩ كما فى السبل الوابلة [١] .

وذكر المقدسي أنه كان موجوداً في القرن الرابع بالبصرة وباقليم أقور والديلم والرحاب وبالسوس من اقليم خوزستان وأن الغلبة في بغداد كانت له وللشيعة . وذكر في كلامه على مصر أن الفتيا في زمنه كانت فيها على مذهب الفاطمىّ الاّ أنّ سائر المذاهب كانت موجودة ظاهرة بالفسطاط قال وثم محلّة الكرامية وجلبة للمعتزلة والحنبلية . قلنا ومهما يكن من انتشاره في كثير

(١) السبل الوابلة على ضرائح الحنابلة لمحمد بن حميد المكي وهو فى طبقاتهم

من البلدان فان مقلديه فيها قليلون في كل عصر والى ذلك يشير الخفاجي في الريحانة في ترجمة زين الدين محمد الانصاري الخزرجي بقوله « تفقه على مذهب احمد بن حنبل . فكان لطلابه سهل المورد عذب المنهل . (وللناس فيما يعشقون مذاهب) وهم في كل عصر أقل من القليل . وهكذا الكرام كما قيل :

يقولون لي قد قلّ مذهب أحمد وكل قليل في الأنام ضئيل
فقلت لهم مهلا غلطتم بزعمكم ألم تعلموا أن الكرام قليل
وماضرّنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل »

انتهى . ولم نسمع له بغلبة على ناحية الا على البلاد النجدية الآن وعلى بغداد في القرن الرابع ، واستفحل أمره بها حوالي سنة ٣٢٣ قال ابن الاثير في حوادث هذه السنة « وفيها عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القواد والعامة وان وجدوا نبيذاً أراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا في البيع والشراء ومَشْي الرجال مع النساء والصبيان فاذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه من هو فأخبرهم والا ضربوه وحملوه الى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة فارهجوا بغداد فركب بدر الخرشنيّ وهو صاحب الشرطة عاشر جمادى الآخرة ونادى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البربهاري الحنابلة ألاّ يجتمع منهم اثنان ولا يتناظرون في مذهبهم » الى أن قال « فلم يفد فيهم وزاد شرّهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون المساجد وكانوا اذا مر بهم شافعي المذهب أغروا به العميان فيضربونه بعصيهم حتى يكاد يموت فخرج توقيع الراضي بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم » الى آخر ماذكره . ولا ريب في أن اثارة امثال هذه الفتن لم تكن الا من عصبية عامتهم وغوغائهم وكثيراً ما كانت ترجع الى

امور اعتقادية يخالفهم غيرهم فيها لانفراد اصحاب هذا المذهب بعقيدة خاصة في الاصول . وذكر التاج السبكي في الطبقات ان اكثر فضلاء متقدميهم كانوا اشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الاشعري الا من لحق بأهل التجسيم قال وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم

﴿ الخاتمة ﴾

اخذت المذاهب الاربعة تتغلب مع الزمن وغيرها من المذاهب السنية يدرس حتى اذا كان القرن السابع تم لها التغلب والتمكن وافتى الفقهاء بوجوب اتباعها فدرس ماعداها الا بقايا من الظاهري بقيت في بعض البلاد الى القرن الثامن ثم درست كما قدمنا . قال المقريزي « فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولي بمصر [1] والقاهرة اربعة قضاة وهم شافعي ومالكيّ وحنفيّ وحنبليّ ، فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمائة حتى لم يبق في مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب اهل الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعري وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الاسلام وعودي من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ولم يول قاض ولاقبلت شهادة احد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس احد مالم يكن مقلداً لاحد هذه المذاهب وافتى فقهاء هذه الامصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها والعملُ على هذا الى اليوم » انتهى . ولا ريب في ان المراد عند جمهور المسلمين ، والا فمذهب الاباضية كان ولم يزل معمولا به في بلادهم شرقا وغرباً وفقه الشيعة معمول به في فارس وغيرها من البلدان . وفي قوله « وعقيدة

(١) المراد بمصر الفسطاط وكانت منفصلة عن القاهرة ثم اتصلت بها بعد ذلك وصارت قسما من اقسامها يعرف اليوم بقسم مصر العتيقة

الاشعري » نظرا لأن الحنفية يتبعون في الاصول عقيدة الماتريدي الا ان يكون عدهم من الاشعرية بالمعنى الذي اراده التاج السبكي وسبق لنا بيانه . وكأنه لم يعتد بالحنابلة لقلتهم مع أن لهم عقيدة خاصة كما قدمنا .

ولنختم هذا البحث بمبلغ انتشار هذه المذاهب الآن عند جمهور المسلمين مستندين في الكثير منه على مصادر افرنجية لقلة الموجود منها بالعربية فنقول: الغالب على المغرب الاقصى الآن المذهب المالكى وهو الغالب أيضا على الجزائر وتونس وطرابلس لاتكاد تجد فيها من مقلدي غيره الا الحنفية بقلة وهم من بقايا الأسر التركية وأكثرهم في تونس ومنهم أفراد بيت الامارة بها ولهذا تمتاز حاضرتها بالقضاء الحنفى مشاركا للقضاء المالكي وأما سائر أعمالها فقضاتها مالكية وفي الحاضرة كبيرا المفتين وهما الحنفي ويلقب بشيخ الاسلام وله التقدم والزعامة المعنوية على الجميع والمالكى وله المقام الثاني وقد تساهلوا الآن في تلقيبه بشيخ الاسلام أيضا . ومع قلة المقلدين للمذهب الحنفى فان من السنن المتبعة عندهم أن يكون نصف مدرسي جامع الزيتونة حنفية والنصف مالكية . وانما امتاز الحنفى بذلك لكونه مذهب الاسرة المالكة

ويغلب في مصر الشافعي والمالكي الأول في الريف والثاني في الصعيد والسودان ويكثر الحنفي وهو مذهب الدولة والمتبع في الفتوى والقضاء والحنبلي قليل بل نادر . ويغلب الحنفي في بلاد الشام يكاد يشمل نصف أهل السنة بها والربع شافعية والربع حنابلة . ويغلب الشافعي على فلسطين ويليه الحنبلي فالحنفي فالمالكي ويغلب الحنفي على العراق ويليه الشافعي وبه مالكية وحنابلة. والغالب على الاتراك العثمانيين والالبان وسكان بلاد البلقان الحنفى وعلى بلاد الاكراد الشافعى وهو الغالب على بلاد أرمينية لأن مسلميها من أصل

تركمانى أو كردي . والسنيون من أهل فارس أغلبهم شافعية وقليل منهم حنفية . والغالب على بلاد الافغان الحنفى وبقل الشافعى والحنبلي . وعلى تركستان الغربية التى منها بخارى وخيوة الحنفى وأما تركستان الشرقية المسماة أيضاً بالصينية فكان الغالب عليها الشافعى ثم تغلب الحنفى بسعى العلماء الواردين عليها من بخارى . والغالب على بلاد القوقاز وما والاها الحنفى وفيهم شافعية .

والغالب في الهند الحنفى ويقدر اتباعه بنحو ٤٨ ألف ألف وأتباع الشافعى بنحو ألف ألف ويكثر بها أهل الحديث والآثار وفيها مذاهب اخرى مما لم نتعرض لذكره. ومسلمو جزيرة سرنديب (سيلان) وجزائر الفلپين والجاوة وما جاورها من الجزائر شافعية وكذلك مسلمو سيام ولكن بها حنفية بقلة وهم النازحون اليها من الهنود . ومسلمو الهند الصينية شافعية وكذلك مسلمو استرالية . وفي البرازيل من أميركا نحو ٢٥ ألف مسلم حنفية وفي البلاد الاميركية الأخرى مسلمون مختلفو المذاهب وتبلغ عدّة الجميع نحو ١٤٠ ألفاً

والغالب على الحجاز الشافعى والحنبلي وفيه حنفية ومالكية في المدن . وأهل نجد حنابلة وأهل عسير شافعية . والسنيون فى اليمن وعدن وحضرموت شافعية أيضا وقد يوجد بنواحى عدن حنفية . والغالب على عُمان مذهب الاباضية ولكنها لاتخلو من حنابلة وشافعية . ويغلب على قَطَر والبحرين المالكى وفيهما حنابلة من الواردين عليهما من نجد . والغالب على أهل السنة في الاحساء الحنبلي والمالكى . والغالب على الكويت المالكى والله أعلم

احمد تيمور

المصائب ...

يجدر بنا ـ ونحن نلقي النظرة بعد النظرة على شئوننا العامة في حياتنا الاجتماعية ـ أن لا يفوتنا الكلام على عامل كبير من عوامل ايقاظنا وانهاضنا ، وأعني به المصائب ... فهي موضع سر الله في تهذيب عباده وإعدادهم لكل خير ، ومغزى حكمته في استكمال أسباب وقايتهم من كل ضير . وان أمة لا تنفذ مداركها الى مطاوي حكمة الله فيما يختصها به من مصائب الدهر وصروف الحدثان لهي أمة غرقى في نومها ، سكرى بأوهامها وأحلامها

المصائب عصا الازلية ، تسوق بها أبناء البشر الى فراديس السعادة الابدية. ومن خصائصها أنها تزداد ثخناً وغلظاً بكثرة الاستعمال. فيالسعادة أمة تذعن للخفيف من ضربات تلك العصا فتكتفي بأولاها عن أخراها . وويل لأمة تفقد نعمة الاحساس ، فلا تؤدّبها ضربات المصائب ، ولا توقظها نكبات الدهر

المصائب نتائج متحتمة ، لذنوب متقدّمة . وما كان الله ليصيب قوماً بمصيبة الا بما قدمت أيديهم من أسبابها . فاذا انتبهوا بعدها الى سوء سلوكهم فأصلحوا من شأنهم وصاروا أمة صدق وحزم وشجاعة وتعاون وانصاف تكن المصيبة حينئذ سبب شفائهم من أمراضهم الاخلاقية ، وعلاجاً لادوائهم الاجتماعية . وإن كأس المصيبة وكأس العلاج صنوان متشابهان : كلاهما مرّ المذاق ، وكلاهما مفيد اذا جاء على شرطه . والمصاب أخو المريض في آلامه وفي دواعي السلامة منها

أنا لا أخشى سرعة وقوع المصيبة التي تحوك مقدّماتها ، فهي واقعة على كل حال. وخير لنا أن يؤدّبنا الله بها قبل حين عسى أن ينفعنا التأديب ، فنثوب الى رشدنا ونعدل الى جادة الصواب في حياتنا ، فنكون أمة جديرة بسعادة السعداء ، وقوة الاقوياء ، وعزة الأعزاء . أما بقاؤنا على عيوبنا واستمرارنا في طرق غينا

فذلك ماأخافه علينا ، وحبذا المصيبة تأتي على أثره ، فتوقظنا من غفلتنا ، وتأخذ بأيدينا الى طريق الرجولية الصحيحة

أهلا بالمصيبة تزلزل بنا مراقدنا ، فتنبهنا من سُبات أزعجنا كابوسه ، وأثقل رءوسنا بخار خموله وكسله وانحلاله

أهلا بالمصيبة توحّد كلمتنا ، وتستلّ سخائم نفوسنا ، وتجعلنا أعواناً للحق على أنفسنا ، مسرعين الى اداء الواجب في ساعة الحاجة الى ادائه

أهلا بالمصيبة تصلينا بنارها ، فتطهر جوهر حديدنا من هذا الصدإ المتراكم عليه ، فنكون حينئذ صالحين لأن يُصنع منا ذلك الصارم المحمود عمله في يوم الشدائد . . .

أيتها المصائب !

ان أمتي صندوق مواهب الخير ، وان بلادى خزانة ثروة الطبيعة ، وأنتِ أيتها المصائب مفتاح ذلك الصندوق وهذه الخزانة ، وكنا قد أضعناه من بضعة قرون فوجدناه بكِ الآن ، فمرحبا بمفتاح الخير لهذه الأمة وبلادها

أيتها المصائب !

ان أمتي أجهدت نفسها في ايقاد مصابيح المدنية بين البشر ، أيام كان البشر غارقا في دياجير الجهالة ، ثم تعبت من عملها هذا فنامت ، وكان نومها طويلاً . . . أما الآن فاني أرى النائمة تتحرك في سريرها ، وقد أخذت تستيقظ على صوت نفير المصائب ، فمن ذا الذى يكره المصيبة اذا كانت من عوامل اليقظة والانتباه ؟

أيتها المصائب !

ان الزمان قد استدار . ونحن الآن في إبان الانتقال من طور الى طور

العود — كما كنا — أمة عاملة صالحة تعرف واجبها نحو الانسانية فتؤدّيه في حينه ، وتعرف حقها في هذه الحياة فتطلبه من كل وجوهه . وقد كان لوخزاتك المؤلمة أيتها المصائب فضل كبير علينا في إخراجنا من طور الراحة المميتة الى طور العمل المفيد . لذلك أنا أمجدك أيتها المصائب ، وأعدك من أكبر عوامل نهوضنا ، وأقول كما كان أسلافنا يقولون :

« جزى الله المصائب كل خير »



تربية العزيمة

نقل الاستاذ أحمد فهمي بك العمروسي — في محاضرة له — عن الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (روح التربية) أنه حدث له في أثناء زيارته للهند أن تعرّف بموظف انكليزي كبير كان كثيراً مّا يخرج وحده ليلا الى الغابات الشاسعة لاصطياد النمور ، فسأله عن سبب ذلك فقال له انه كثيراً مّا شعر بضعف في عزيمته ، وعجز عن مقاومة نفسه والتغلب عليها ، فلم يجد علاجاً يعوّدها الصبر والاناة ورباطة الجأش في أدقّ المواطن وأحرج المراكز خيراً من أن يقضي الساعات ، بل الليالي ، يرتقب مرور النمر ليقتله ، عالماً تمام العلم أنه اذا أخطأ المرمى ولم يصبه في مقتله مدة ثلاث الثواني التي يمر فيها فهو هالك لا محالة

وعزم الشاعر الانكليزي وُرْدسْوُرْثْ Wordsworth مرّة على تسلق جبل للتنزّه والرياضة . وبينما هو يصعد إذ هبّت عاصفة شديدة فاستمرّ في الصعود — على الرغم من قصف الريح — وهو يحدّث نفسه بقوله : « ان العدول عن عمل قام في سبيله خطر لهو خطرٌ على الأخلاق كبيرٌ » فالمثابرة والارادة من أقوم الأخلاق التي تمتاز بها أفراد الامم الراقية

كلنا مسلمون

أطفحوا الكيلَ أرهقوا الكأسَ حتى ... أبلغوها من الزهوق التراقي
وقنعنا بالموت ، فاستكثروه ... واستلُّوا الارواحَ دون الخناق
أرهقونا حتى نثور ، فثرنا ! ... وهم الممعنون في الإرهاق

***

مُنكِحُ الظلمِ أُمَّةً تنجِبُ الحرْ ... بَ عليه — ماقوله في الطلاق ؟
وبتاتاً مع الثلاث ، ولابو ... رك في مهرها ولا في الصَّداق

***

كم بكينا مما لقينا دماءً ، ... ثم نبكي على الدم المهراق
لارقيقُ الكلام أجدى ولا الصَّمْتُ ... ولا رنّةُ الصفاح الرقاق
لا ولا خرَّةُ الصريع غريقاً ... في ذكيّ من جرحه دفّاق
سئموا قتلَ طالبِ الموتِ منّا ... ومُلاقي عِزريلَ فيما يلاقي
فانتحوا الدُّورَ والخدورَ وودّوا ... لو أصابوا الرقود في الاطباق
بشظايا قنابل هادمات ، ... وشظايا قنابلِ الاحراق
ليلةً بعد اختها ونهاراً ... غربت شمسهُ بلا إشراق
ودخانٌ وعِثْيَرٌ ونفوسٌ ... ملءُ جوّ (الفَيْحاء) والآفاق
وجدارٌ على جدار ، ودارٌ ... تحت دارٍ والرعبُ حظُّ البواقي
والشظايا في الليل في الحيّ عميا ... ء أفاعٍ وضّاءةُ الأحداق
بعض أهدافها صدورُ العذارَى ... ووجوهُ الاطفالِ في الأسواق
وشيوخٌ ، ونسوةٌ ، وصُراخٌ ... وسكوتٌ ، والقوم في إطلاق
وكأن الهواءَ نارَ عليهم ... وهو ساجٍ يشكو من الإقلاق

***

ثورةٌ بنت ظلمهم وَأَدُوها : شــدَّ ويلُ المخلوق من خلاق !
أمُّها أمّةُ الأباةِ ولودٌ نَزِقاتٍ مثـل البُعول النزاق
والأباةُ الضعافُ قُوت المنايا وهي غرثى لهـامةُ الأشـداق
يتبارون في استباقٍ اليها وعيونُ الطغاة حول السباق
يافرنسا ! سطرتِ ماليس يُنسى في صدور الأجيـال والاوراق

***

أيهـا الناطقونَ بالضـاد ! صَحْواً ، أكُلّكم نائمٌ وغير مفـاق
صيحةُ الحق قد علتْ ، فاسمعوها ، وصـداها يرنُّ في الأبواق
لانصارى ولا دروز ولـكن أرض سوريةٍ وأرض العراق
كلنا « مسلمون » في مذهب الغر بِ عداةٌ منقوضةُ الميثـاق
ويهودٌ وأرمنٌ ومجوسٌ سُلَّمٌ دون غايةٍ ومَراق

***

إيه حَورانُ ! قد دهتكِ الدواهي وتحملتِ فوق كل مُطاق
كان قحطٌ والشملُ عنك شَتيتٌ وأنت حربُهم فـكانت تلاقي
فجهادٌ حتى المحاق تمادَى نِعمَ غِبُّ الجهـادِ حتى المحـاق
وفداكِ القرى وقد دمّروها وعمرتِ الاوطانَ بالاخلاق
حرةٌ أنتِ في الفلاة ، وبَعـد الدَّا ر دُورٌ على ظهور النياق
لستِ بالامـة العبيدُ بنوهـا فزتِ قبـلَ الجميع بالاعتـاق

***

ودمشق — ياشاعر النيل — صفها من جديد ، والدمعُ ملء المـآقي
واسقنا الحزنَ من كئوس رقاقٍ طافحاتٍ من المعـاني دِهاق
دمَّروها ، فجلَّقٌ بعدَ عينٍ أثرٌ ماثلٌ على الدهر باق

صاحبُ الدار نحتها وهو أدرَى: سَلْه عن خطبها، وقل للرفاق ...

* * *

يادمشق الفيحاء ! ماذا نسمّيك بُعَيد الاحراق والاغراق

بَرَداك العذيبُ فارَ دماء وتجارتْ حوليه حُمرُ السواقي

وطِلاق الصروح مثلُ الأثافي شاحِباتٌ أو كالطلول العتاق

والرياحينُ صوّحتْ ، والمغاني بعد أنس الصدّاح للنعّاق

والغنى والثراء فقرٌ وبؤس فهلاك في وَهدة الاملاق

نكبةٌ أيُّ نكبةٍ يادمشق ! فتكةُ الغدر ما وقَى منه واق

* * *

أنكَروا قولنا ، ولو صدّقوه ما أتونا بالنكبة المصداق

القدس : ٢٩ اكتوبر ١٩٢٥ وديع البستاني

ذات الامثال

لابي العتاهية (١)

قال ابو دلف هاشم بن محمد الخزاعى : تذاكروا يوما شعر ابى العتاهية بحضرة الجاحظ الى ان جرى ذكر ارجوزته المزدوجة التي سماها (ذات الامثال) فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى الى قوله :

يالشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد : قف . ثم قال : انظروا الى قوله « روائح الجنة في الشباب » فان له معنى كمعنى « الطرب » لايقدر احد على معرفته الا بالقلوب ،

(١) عن (مختصر الاغاني) لابن مكرم الانصاري صاحب (لسان العرب)

وتعجز عن ترجمته الألسن ، الا بعد التطويل وادامة التفكر . وخير المعاني ما كان القلب الى قبوله اسرع من اللسان الى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع الشعر ، يقال ان فيها اربعة آلاف مثل ، منها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمني أو فذر إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدر
لكل مايؤذي وإن قلَّ ألم ما اطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله
من جعل النمّام عينا هلكا مبلغك الشر كباغيه لكا
إن الفساد ضده الصلاح ورب جد جده المزاح
إن الشباب والفراغ والجده مَفسدة للمرء أي مفسده
ماعيش من آفته بقاؤه نغص عيشاً كله فناؤه
ما زالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذى
من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض ويطيب بعض
يارُبَّ من أسخطنا بجهده قد سرنا الله بغير حمده
ماتطلع الشمس ولا تغيب الا لأمر شأنه عجيب
لكل انسان طبيعتان خير وشر وهما ضدان
والخير والشر اذا ماعدّا بينهما بون بعيد جدا
انك لو تستنشق الشحيحا وجدته أنتن شيء ريحا
كذا قضى الله فكيف أصنع والصمت ان ضاق الكلام أوسع

وكان الاصمعي يستحسن قول أبي العتاهية :

أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهرَ أخوهْ
فاذا احتجت اليه ساعة مجَّكَ فوه

كتاب الآداب لابن المعتز

علم القراء مما ذكرناه في السنة الماضية (ص ٤٧٣) أن الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي ـ عضو المجمع العلوم الروسي يعنى بتحقيق وتصحيح كتاب الآداب لامير المؤمنين عبد الله بن المعتز العباسي ، معتمداً على نسخة المتحف البريطاني . وقد نشر الاستاذ أخيرا كتاب ابن المعتز في مجلة العالم الشرقي Le Monde Oriental وهو مجموعة حكم بليغة بعضها من قول ابن المعتز وبعضها من نوادر كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأمثال المتقدمين . والكتاب مع مقدمة الاستاذ كراتشقوفسكي عن ابن المعتز وعن كتابه هذا وسائر آثاره يقع في نيف وستين صفحة . وقد اخترنا من كتاب الآداب الحكم الآتية :

الادبُ صورة العقل ، فحسّن عقلك كيف شئت

إعادةُ الاعتذار تذكير بالذنب

العقل غريزة تربّيها التجارب

العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم

النفس أدنى عدوّ

النيّة أساس العمل

النصحُ بين الملإ تقريع

إذا تمّ العقل نقص الكلام

أقم الرغبة اليك مقام الحرمة بك

عظم نفسك عن التعظيم ، وتطوّل ولا تُطاول

الاملُ رفيقٌ مؤنس : إن لم يُبلغك فقد استمتعتَ به

لايقوم عزّ الغضب بذُلّ الاعتذار

نفاق المرء من ذُلّه

عقوبة الحاسد من نفسه

نعمة الجاهل كروضة على مزبلة

أنس الأمن يُذهب وحشة الواحد ، ووحشة الخوف تُذهب أنس الجماعة

لا تُنكح خاطبَ سرّك

من أحبّ البقاء فليعدّ للمصائب قلباً صبورا

علامة الكذّاب جُوده باليمين لغير مستحلِف

من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع غنم كثيرة

افرح بما لم تنطق به من الخطأ مثل فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب

إذا علمتَ فلا تفكر فى كثرة من دونك من الجهال ، ولكن أذكر مَن فوقك من العلماء

المرض حبس البدن والهمُّ حبس الروح

إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، وإذا طلبهم فاهرب منه

البِشر دالٌّ على السخاء ، كما يدلُّ النَّوْر على الثمر

من تملّقك فقد استغرّ فطنتك

النمام جسر الشر

من لم يضنّ بالمودّة كثر غفرانه للذنوب

لا تشِنْ وجه العفو بالتقريع

الجزع أتعب من الصبر

إنما أهل الدنيا كصور في صحيفة : كلما نُشر بعضها طُوي بعضها

العاقل لا يَدَعُهُ ما سَتر الله من عيوبه يفرح بما أظهر من محاسنه

أن تُذمّ بالعطاء خير من أن تُذمّ بالمنع

من لم يتعرّض للنوائب تعرّضتْ له

اذا رأيتَ المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شيء

الأعمال المفترضة تذكرة العبد بربه ، لئلا يغلب نسيانه عليه

اجتنب مصادقة الكذّاب . فان اضطُررت اليه فلا تصدّقه ، ولا تعلمه انك تكذبه فينتقل عن ودّه ولا ينتقل عن طبعه

مبالغة الظالم في العقوبة تقرّبه من حكم الله عليه

العجز نائم والحزم يقظان

قبر العاقّ خير منه

من تجرّأ لك تجرّأ عليك

لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعةَ غيره وطاعةُ نفسه عليه ممتنعة

الحسد والنفاق والكذب أثافيّ الذلّ

العقل بلا أدب كالشجرة العاقر

عبد الشهوة أذلُّ من عبد الرقّ

لا تستبطىء الدعاء بالاجابة وقد سدَدْتَ طريقه بالذنوب

الناس نفسان : واجد لا يكتفي ، وطالب لا يجدَ

كلما كثر خُزّان الاسرار ازدادت ضياعاَ

ما أدري أيُّهما أمرُّ : موت الغني أو حياة الفقير

لله في السرّاء نعمة التفضّل ، وفي الضرّاء نعمة التطهير

لا تكاد تصحُّ لكذّاب رؤيا ، لأنه يخبر من نفسه في اليقظة بما لم يرَ فتُريه في النوم مالا يكون

بشّر مال البخيل بحادث أو وارث

الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة ، والهمُّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها

بالمكارِهِ تظهر حيل العقول

العالم يعرف الجاهل لانه قد كان جاهلا ، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالمًا

حسبكُ من عدوكَ ذله في قدرتك

إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضاً

كفى بالظَّفَر شفيعاً للمذنب الى الحليم

من ترفَّع بعلمه وضعه الله بعمله

الساعي كاذب لمن سعى اليه ، أو خائن لمن سعى عليه

البلاغةُ بلوغ المعنى ولم يَطُلْ سَفَرُ الكلام

أوهنُ الاعداء كيداً أظهرهم لعداوته

حُسن الصورة الجمال الظاهر ، وحسن العقل الجمال الباطن

من مدحك بما ليس فيك فحقيقٌ أن يذمك بما ليس فيك

أبقِ لرضاك من غضبك

إذا طرتَ فقعْ قريباً

قلوب العقلاء حصون الاسرار

دار الوفاء لا تخلو من كريم ، ولا يستقرّ فيها لئيم

النفس المنفردة ان تطلب الرغائب وحدها تهلك

من قرأ سطراً قد ضُرب عليه من كتاب فقد خان ، لأن الخطَّ يحرم منه ما تحته

ان لم تدرك الحاجة بالرفق والدوام فبأى شيء تدرك

إذا قدُمتْ الحرمة تشبهت بالقرابة

لا تسرع الى أرفع موضع فى المجلس ، فالموضع الذى ترفع اليه خير من الموضع الذى تنحطُّ منه

اشتغل بشكر النعمة عن البطر بها

من تكلَّف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه

اذا قوي العقل كثر يقينه ، وإذا ضعف كثر شكُّه

السامع للغيبة أحد المغتابين

المسئول حرٌّ حتى يَعِد ، ومسترَقٌّ بالوعد حتى ينجز

المصائب مفاتيح الأجر

لو تميَّزت الاشياء كان الكذبُ مع الجبن ، والصدق مع الشجاعة ، والتعب مع الطمع ، والراحة مع اليأس ، والحرمان مع الحرص ، والذلُّ مع الدَّين

المعروف غُلٌّ لا يفكُّه عنك إلا شكر أو مكافأة

لا تذكر الميت بسوء فتكون الارض عليه أكتم

لم يكتسب مالاً من لا يصلحه

كثرة مال الميت يعزي ورثته عنه

مَن كرمت عليه نفسه هان عليه ماله

رأس السخاء أداء الامانة

من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه

رب صديق يؤتى من جهله لا من نيته

ليست الصورة الانسانَ انما الانسانُ العقلُ

عِلْمُ الانسان ولدُه المخلد

من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الانس ، أثمرت مودته ندما

اللحظ طرف الضمير

الامانة رأس مال

الجاهل صغير وإن كان شيخاً ، والعالم كبير وان كان حدثا

الميت يقلُّ الحسد له ، ويكثر الكذب عليه

الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة العود

لسان الجاهل مفتاح حتفه

الملك بالدين يبقى ، والدين بالملك يقوى

العُجْب شرُّ آفات العقل

اذا صحت النية ، وتوكّدت الثقة ، سقطت مئونة التحفظ

الخضاب من شهود الزور

الدنيا تهين من كانت تكرمه ، والارض تأكل من كانت تُطعمه

لا أشجعَ من بريء ، ولا أجبن من مذنب

الظلم من اللؤم ، والانصاف من السخاء

أهل الدنيا كركب يُسار بهم وهم نيام

الأعمال أثمار النيات

غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل فى فعله

كأن الحاسد خُلق ليغتاظ

أغنِ من وليته عن السرقة ، فليس يكفيك من لم تكفه

عقل الكاتب فى قلمه

التواضع سُلّم الشرف

العيون طلائع القلوب

التجارب عقل مكتسب

وعاء الخطأ بالصمت يختم

لا ترى الجاهل الا مفْرطاً أو مفرّطاً

ما كل من يحسن وعده يحسن انجازه

ربما شرِق شارب الماء قبل ريّه

التثبّت يسهّل طريق الرأي الى الاصابة

من ولج في النائبة صابراً خرج منها مثقفاً

لما عرف أهلُ النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظِّمَ صغيراً ويرفع يسيراً ، وليس بفاعل

الناس وَفدُ البِلَى ، وسُكان الثرى ، ودَين المنايا

أنفاس الحيّ خُطاه الى أجله

العاقل لا يستقبل النعمة ببطر

الاختيار يدل على العقل ، كما يدل توريق الشجرة على حسنها

أعدلُ الناس من أنصف عقله من هواه

ربّ مزاح في غَوره جدّ

***

جملة من كلام (ابن المعتز) في (الفصول القصار)

الحكمة شجرة تَنبُت في القلب ، وتُثمر في اللسان

خُلْفُ الوعد خُلُق الوغد

الشرّير لا يظنُّ بالناس خيراً ، لانه يراهم بعين طبعه

الطمع في وثاق الذلّ

العتاب حياة المودّة

العلم جمال لا يَخفَى ، ونسب لا يُجفَى

ما مات من أحيا عِلْماً

مات خزَنة الأموال وهم أحياء ، وعاش خُزّان العلم وهم أموات

من أسرع كثر عثاره

من لم يتّضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره

نُصح الصديق تأديب ونصح العدوّ تأنيب

لقب الطواشي

استدراك على مقالة « دار ابن لقمان »

قلنا في التعريف بالطواشي صبيح من مقالتنا عن دار ابن لقمان مانصه [١] :

« والمشهور في أقوال المؤرخين وأبيات ابن مطروح أنّه كان طواشياً أي خصيّاً ولكنّ المقريزيّ خالف في خططه فقال إنّه كان عبداً حبشياً فحلاً » . وانّما قلنا ذلك لما اشتهر قديماً وحديثاً من اطلاق الطواشي على الخصيّ حتى اشتقّت العامة منه فعلاً فقالت (طوّش) بتشديد الواو واستعملته في الانسان والحيوان بل استعملته أيضاً في النبات وأرادت به قطع جذع الشجرة بفروعه من أعلاه لتنبت منه فروع أخرى . ومن ذلك قول صاحب صبح الاعشى في كلامه على مقدّم المماليك « وهو لقب على الذي يتولى أمر المماليك للسلطان أو الأمير من الخدّام الخصيان المعروفين الآن بالطواشية » الخ وقوله في موضع آخر عن الحرم الشريف « وقد جرت العادة أن يكون له خادم من الخصيان المعبّر عنهم بالطواشية يعيّن لذلك من الأبواب السلطانية » . وكذلك فعل تاج الدين السبكي في معيد النعم فانّه لما تكلم على الطواشي وما يجب عليه عرّفه بأنه الخصيّ الملقب بالزمام أو بمقدّم المماليك . وقال ابن اياس في حوادث الطاعون سنة ٨٨١ : « ومات من الطواشية نحو من خمسة وعشرين نفراً حتى قيل إن السلطان حمل بطيخة صيفية بنفسه حتى دخل بها الى الحريم بدور الحرم لقلة الطواشيّة » ولا يخفى أن خدّام دور الحرم المأذون لهم بمخالطتهن هم الخصيان . وفي خطط المقريزي فى الكلام على القبة المنصورية [٢] « وهذه القاعة معدّة لاقامة الخدام الملوكية

(١) الزهراء ٢ : ٦

(٢) هي المدفون بها الملك المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد ولم تزل باقية في الشارع المعروف اليوم بشارع النحاسين بالقاهرة .

الذين يعرفون اليوم فى الدولة التركية بالطواشية واحدهم طواشي وهذه لفظة تركية أصلها بلغتهم طابوشي[1] فتلاعبت بها العامة وقالت طواشى وهو الخصي ». وغير ذلك مما لا نطيل على القراء بذكره .

فاعتماداً على هــذه النصوص وعلى ماهو مشهور صرفنا تلقيبهم صبيحاً بالطواشي الى إرادة هذا المعنى ، وحملنا وصف المقريزيّ له بالفحولة على المخالفة لغيره . ولم نكن نعلم أنّه غير خاصّ بالخصيان الا من عبارتين وقفنا عليهما أخيراً يفهم منهما أنه كان أيضاً من ألقاب كبار الخدّام ومن كانت مرتبتهم في الجندية دون مرتبــة الامرة ، أي انه كان يشبه لقب الاغا في زماننا فهو مع غلبته على الخصيان قد يراد به أيضاً بقايا الامّيين من الاتراك ، وكان يطلق فى الزمن الماضي الذي أدركناه على ضباط الجند ، وفى الزمن القديم على الرؤساء والامراء . ونص العبارة الاولى عن (البرد الموشّى فى صناعة الانشا) للقاضى تاج الدين موسى ابن الحسن الموصليّ « الخطاب بالطواشي . وماأظنّ لهذه اللفظة أصلاً في اللغة وهي إما أن تكون لفظة عجمية أو مولدة وهي تطلق على من صغر أمره عن الامرة والولاية لأن الطواشي بعض أجناد الامير . وأما إطلاقها على الخدّام فهي أعلى مراسمهم وهي على كل حال ماكان دون رتبة الامير إلا إنْ ترقت الحال بالخادم الى الامرة فلا يجــوز خطابه عنـد ذلك الا بالأمير » انتهى . والثانية عن (المفتاح المُنْشا لحديقة الانشا) لضياء الدين بن الأثير الجزري مؤلف المثل السائر ، فقد قال فى صفة مخاطبة الأمراء بالمجاس السامي المولى الأمير الـكبير: إن المرتبة إنْ نقصت أبطل المولى فان نقصت أيضاً قيل المجلس السامي الامير الأجل الأخص فان نقصت قيل الحاجب الاجل فان نقصت قيل الطواشي الاجل

(١) لم نعثر عليه في المعاجم التركية القديمة التي وقفنا عليها . وورد فى الحديثة منها بلفظ (طواشي) وفسر باغا الحرم مع التنبيه على أنه دخيل من العربية (أي المولدة) .

إلا في مخاطبة الخدام فان اسم الطواشي من أسمى أسمائهم الرفيعة. انتهى

وعلى هذا فصبيح لم يكن خصياً لتصريح المقريزيّ بذلك ، وانما كان يلقب بالطواشي كغيره من كبار الخدام قبل أن ينقله المعظم توران شاه الى الامرة ، ولم يخالف المقريزيُّ فيه غيره كما كنا توهمنا . ويظهر ذلك أيضاً لمن ينعم النظر في عبارة المقريزي نفسه في خططه فيراه يلقبه فيها بالطواشي مع وصفه له بالفحولة ولكنا لم نتنبه لذلك قبل وقوفنا على النصين المتقدمين

أحمد تيمور

رأي عالم تركي
« في الحجّاج بن يوسف الثقفي »

سليمان نظيف بك — والي البصرة قبل الحرب العظمى — معدود من أئمة الادب ، ومن كبار رجال القلم في تركيا . وقد قرأت له في كتابه « تاريخك يبلان حكايه سى » (ص ٤٥ — ٤٦) رأياً في الحجاج بن يوسف هذا تعريبه :

« لم يكن للحجّاج مطمح غير الحرص على سلامة دولته ، وإعلاء شأن بيت الملك الذي يمتُّ اليه بنعمته . وهو الذي سيّر الجيوش التي نصبت لواء الحمد الاسلامي على سرّة آسيا ، وكان يتولى إرشادها وإدارتها في بعض الاحيان من مجلسه في العراق . ومانسب الى هذا الرجل الكبير من الامور أكثره مكذوب عليه ، لأن الذين أرادوا أن يقوّضوا مُلك بني أمية اتخذوا من المبالغة والافتراء سلاحاً يهاجمون به أقوى قلعة من قلاع تلك الدولة وأعني بها الحجاج ، ولاتزال تلك الهجمات مستمرّة الى يومنا هذا »



ذكرى الحضارة العربية

والامير شكيب أرسلان

يامُتْعباً قلبَه في نصْحِ امّتِهِ بالدّرسِ والعلمِ والتذكير للناسي
وكاتباً طالما غنّى اليراعُ بما قدخطَّ من سِحْرِهِ المستَعْذَبِ الآسي
وشاعراً قدرُهُ مأثورُ ماخبأتْ خزائنُ الشّعرِ من رَادٍ ومن ماسِ [1]
ومصلحاً لم يَدَعْ فُرَصاً لغايتِهِ مُثابراً هازئاً بالجبنِ واليأسِ
هَوّنْ عليكَ فما ينسى ذوو شمَمٍ تاريخَ عزّتِهم والسؤددِ الرّاسي
وأيُّ قلبٍ له خَفْقٌ يُذكرهُ بأمسِهِ يَرْتجي دَفْناً بأرماسِ ؟!
فالمرءُ بِضْعَةُ ماضيه، وحاضرُهُ مرآةُ آتيهِ من حظٍ وإتعاسِ
وإنَّ شعباً بلا حُبٍّ لدولتهِ هيهاتِ يبلغُ مَرْقَى المجدِ في النّاسِ
فلا تخفْ بأسَ إلحادٍ فما برحتْ جلالةُ الأمسِ أصلَ الفضلِ والباسِ
جلالةٌ خشعَ التّاريخُ حارسُها في معرضِ الوصفِ وضّاءً بنبراسِ
حضارةٌ هيَ جَمْعٌ من فنونِ عُلَى للنّابهين ومِقْباسٌ لمِقْباسِ
كفتْ جميعَ بني الأعراب جامعةً على تبايُنِ أديانٍ واحساسِ

ابو شادى

﴿ النسّاخة ، الرَّوْسم ، الشجّار ﴾

* سمّى المجمع العلمي العربي بدمشق الآلة الكاتبة Typewritre «النسّاخة»

* وسمّى الكليشه Cliché « الرَّوْسم »

* واستعمل ابن البيطار في مفرداته اسم « الشجّار » للعالم الذى يبحث في أحوال الشجر . قال في مادة (قرصعنة) : وكلها مشهورة عند الاطباء والشجّارين

(١) الراد : هو الجوهر المشع المعروف علميا بالراديوم .

الطرق الاربعة ـ الى معرفة الحق

ورجالها * والكتب المعتمدة عند أهل كل طريق

قد ذكروا ان الطريق الى معرفة الحق اما طريق النظر والاستدلال ، وإما طريق الرياضة والمجاهدات . وطريق النظر والاستدلال اما أن يكون مقيداً بالكتاب والسنة أو غير مقيد . فان كان مقيداً بالكتاب والسنة فهو (طريق المتكلمين) وان كان غير مقيد بهما فهو (طريق الحكماء المشائيين) . وكذلك طريق الرياضة والمجاهدات اما أن يكون مقيداً بالكتاب والسنة أو غير مقيد بهما فان كان مقيداً بالكتاب والسنة فهو (طريق الصوفية السائرين) وان كان غير مقيد بهما فهو (طريق الحكماء الاشراقيين) . فتلخص من هذا ان المسالك والطرق لهذا الغرض أربعة : طريقة المتكلمين ، وطريقة الحكماء المشائيين ، وطريقة الصوفية السائرين ، وطريقة الحكماء الاشراقيين

﴿ طريقة المتكلمين * ورجالها * وكتبها ﴾

فاما رئيس الطريقة الاولى فهو (ابو الحسن الاشعري) شيخ المتكلمين على الأطلاق * وسلك على منهاجه الامام علم الهدى أبو منصور الماتريدي رئيس المتكلمين وشيخهم بما وراء النهر . والامام عبدالله بن مجاهد . والامام أبو الحسن الباهلي من تلامذة الأشعرى . وسيف السنة أبو بكر بن الطيب القاضى الباقلانى شيخ المتكلمين في عصره بالعراق وهو تلميذ ابن مجاهد صاحب الاشعرى ، وقد اشتهر الباقلانى هذا بكثرة التصانيف في هذه الطريقة ولو لم يكن له الا النقض الكبير في ستين مجلدة وبعض النقض في ثلاثين والهداية في أربع وعشرين لكفاه وقد رأيت بعض أجزاءها في المغرب وله الامامة الكبيرة ، والامامة الصغيرة ، والتمهيد ، وشرح اللمع ، وشرح أدب الجدل ، والتقريب والارشاد

في أصول الفقه ، وكتاب التبصرة ، وكتاب كشف الاسرار في الرد على الباطنية، وجواب أهل فلسطين ، وإعجاز القرآن ، والمسائل الكلامية وقد طالعت فيه فما رأيت لاحد من المتكلمين كتابا يضاهيه على كثرة مارأيت من كتبهم وله من كتب التفسير مايطول ذكره . وكذا صاحب المقاصد الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني شيخ المتكلمين في عصره بنيسابور وديار خراسان . والاستاذ ابن فورك وشهرته في العلم والزهد تغني عن الشرح * ومما يدلك على ميزان علمهما وعلم الباقلاني هذه الحكاية وهي ان رجلا من أهل العلم سأل الصاحب بن عباد شيخ عبد القاهر الجرجاني عن ابن فورك وعن منزلته في العلم فقال له « بحرٌ مغرق » ثم سأله عن أبي اسحاق الاسفرايني فقال له « نار تحرق » ثم سأله عن أبي بكر الباقلاني فقال « صلٌّ مُطرق » . ولا يخفى أن التخلص من البحر والنار ممكن وأما التخلص من الصل فغير ممكن على مايقال ، وهو نوع من الافاعي يقضى على الانسان في ساعته

وممن نهج على هذه الطريقة القاضى أبو الطيب الطبرى ، وأبو بكر الجرمقاني، وابن اللبان ، والقاضى أبو جعفر السمناني الذى أخذ عنه الكلام شيخ الاندلس القاضى أبو الوليد الباجى صاحب المنتقى وهؤلاء الاربعة من تلامذة الباقلاني. والاستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى تلميذ أبي اسحاق الاسفرايني ، وابن فورك ، والاستاذ أبو أيوب ابن أبى أيوب الاشعري، والامام شاهفور الاسفرايني ذو التصانيف الجليلة فى الكلام ، والامام أبو سهل الصعلوكي ، والامام الصابونى ، والامام أبو القاسم الاسفرايني ، والشيخ أبو محمد الجويني وابنه أبو المعالى إمام الحرمين صاحب (البرهان) و (الشامل) في الكلام ، وتلميذه حجة الاسلام الغزالى صاحب (المستظهري) المسمى بفضائح الباطنية وله مصنف سماه (فيصل التفرقة) وآخر سماه (تهافت الفلاسفة)

تعقبه فيه ابن رشد وكلاهما من أنبل ماصنف في الكلام

وممن سلك هذه الطريقة عبد الحق بن محمد بن هارون التميمي القرشي من أهل صقلية أو سجلبا لقي إمام الحرمين بمكة وباحثه في مسائل أجابه عنها وهي مؤلفة مشهورة فاعترف إمام الحرمين بفضله وكان مقدماً بعيد الصيت له شرح كبير على المدونة مسمى بتهذيب الطالب وله عقيدة رويت عنه . وأبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري صاحب المصنفات المشهورة في الكلام والتفسير ، والامام نجم الدين النسفي صاحب التأويلات النجمية والعقائد ، وأبو المعين النسفي صاحب بحر الكلام ، والسمرقندي صاحب الصحايف والكيا الامام شمس الاسلام أبو الحسن الهراسي ، ومحمد بن يحيى أشهر تلامذة الغزالى ، والشيخ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب (الملل والنحل) و (نهاية الاقدام) والكتب الكثيرة . والامام أبو عبد الرحمن الاكاف ، وأبو طاهر العطاردي ، وأبو الفتح ناصر الانصاري ، ووالد الامام فخر الدين الرازي واستاذه وهو الامام ضياء الدين عمر خطيب الري . وهؤلاء الخمسة الاخيرة استفادوا من الامام أبي القاسم الانصارى تلميذ ابي اسحق الاسفرايني وابن فورك . وقد كان الامام فخر الدين الرازي رئيس المتكلمين في عصره بالمشرق كما كان ابن رشد رئيسهم في الاندلس والمغرب . ومن أجلّ تصانيف الفخر الرازي (أسرار التنزيل) و (المطالب العالية) و (المنتخب) و(كتاب الاربعين) و (ملخص آراء الحكماء والمتكلمين) وكلها جيدة بغاية الاتقان . ويليه بل قرينه سيف الدين الآمدي صاحب (الاحكام) في الاصول و (أبكار الافكار) في الكلام وكلاهما مأخذ معتمد عند الاصوليين والمتكلمين ، وكل من سلك طريقة المتكلمين فهو عيال على مصنفات هؤلاء الرجال من أبي الحسن الاشعري الى هنا ، مامن واحد منهم الا وكتبه حجة معروف عند المتكلمين

ومن بعد هؤلاء العظماء اشتهر تاج الدين محمد بن الحسين الارموي صاحب (الحاصل) من الاصول ، وشمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسرو شاهي ، والقاضي شمس الدين الخُويّ . وهؤلاء الثلاثة ممن أخذوا عن الفخر الرازي . واشتهر بما وراء النهر صدر الشريعة صاحب (التوضيح والتنقيح) وصاحب (تعديل المنطق والكلام) . وباذربيجان البيضاوي صاحب (التفسر) ومنهاج الاصول وصاحب (الطوالع) من الكلام . واشتهر من بين المتكلمين أخيراً شمس الائمة الاصفهاني شارح الطوالع ، والعضد صاحب (المواقف) وشارح أصول ابن الحاجب ، والعلامة التفتازاني صاحب (التهذيب) و (المقاصد) والشرح المشهور على العقائد ، والسيد الشريف شارح المواقف وقد أبدع فى اتقان شرحه كحواشي شرح التجريد ، والجلال الدواني شارح العقايد العضدية وصاحب (الحورا والزورا) و (اثبات الواجب) وخوجه زاده الرومي (صاحب تهافت الفلاسفة) الذي حاكم فيه بين ابن رشد والغزالي وهو مصنف بغاية الاتقان وقرينه الخيالى صاحب الحواشي المحررة على شرح العقائد والمحقق الهندي عبد الحكيم السيلكوتي صاحب الحواشي على الخيال وعلي شرح المواقف ، والفاضل العصام صاحب الحواشي على شرح العقايد وغيرهم ممن يطول ذكرهم

﴿ تنبيه ﴾ هناك فرقة تسمى بالمعتزلة كأبى علي الجبّائي والكعبي ومعمر والقاضي عبد الجبار وقاضي القضاة عند عضد الدولة بشر بن الحسن وأبي أسحق القصيبي والاحدب وأبى على الفارسي والصاحب ابن عباد شيخ الادباء وعبد القاهر شيخ البلاغة وعلومها وابن المعلم الذي كانت بينه وبين الباقلانى مناظرات وغيرهم يعدّون من طائفة المتكلمين ، الا أنهم يتشبثون بأذيال الفلاسفة في بعض المسائل التي لا تعد من أصول الايمان كانكارهم لرؤية الله وعذاب القبر والصراط وتأويلهم ماورد في ذلك متبعين طريق الفلسفة وقولهم بأن العبد خالق لافعاله

وان القرآن مخلوق ، فهؤلاء لم يخرجوا عن طائفة المتكلمين الا أن الفلسفة غلبت على علمهم بالحديث والسنة

﴿ طريقة الحكماء المشائين * ورجالها * وكتبها المعتمدة ﴾

وأما رئيس الحكماء المشائين فهو المعلم الأول ارسطو واضع المنطق ومعلم الاسكندر ، وقد صنف في الفلسفة كتباً كثيرة ترجمت الى العربية في عهد بني العباس وأصلحها وهذبها عدة رجال من فلاسفة الاسلام من العرب وغيرهم. ويليه المعلم الثاني ابو نصر الفارابي صاحب كتاب (احصاء العلوم والتعريف بأغراضها) لم يسبق اليه ولايستغنى طلاب العلوم كلها عنه والكتاب الذي في (أغراض أفلاطون وارسطو) فانه يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة ولايوجد أجدى على طالب الفلسفة منه فانه يعرف بالمعاني المشتركة لجميع العلوم والمعاني المختصة بعلم علم منها وكتابه (الفصوص) أصل يعتمد عليه في هذه الطريقة كما أن سائر مصنفاته في هذا الشأن أصل يعتمد عليها . وكان من البارعين بفن الموسيقي وله مصنفات فيه جيدة ، وهو على ماقيل مخترع القانون احدى آلات الموسيقى

ومن سلك هذه الطريقة عبد الله بن المقفع صاحب (اليتيمة في الأخلاق) وهو أول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية للمنصور العباسي : ترجم (كتب أرسطو المنطقية) الثلاثة و (ايساغوجي للفيلسوف الصوري) و (كليلة ودمنة)

وأبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي المشتهر بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ذو التصانيف الكثيرة في الفلسفة والمنطق والحساب والهندسة والنجوم والفلك والطب والجدل والنفس والسياسة وغير ذلك ، له من التلاميذ والوراقين جماعة منهم حسنويه ونفطويه وسلمويه ورحمويه وأحمد بن الطيب

وأحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي أحد فلاسفة الاسلام وهو تلميذ يعقوب الكندي وكان أحد المتفننين فى علوم الفلسفة ، وله تآليف جليلة ، وكان جيد القريحة بليغ اللسان مليح التصنيف حلو العبارة جيد الاختصار متفنناً في علوم كثيرة . ومن تصانيفه كتاب (المسالك والممالك) الذي عظمت فائدته

وابراهيم بن حبيب الفزاري من حكماء الاسلام ، وهو أول من عمـل فى الاسلام اصطرلابا . وله كتاب فى (تسطيح الكرة) منـه أخذ كل الاسلاميين وكان من أولاد سمرة بن جندب رضى الله عنه

وأبو احمد بن كرنيب من اساتذة متى بن يونس

وأبو الفضل جعفر بن المكتفى بالله من أولاد الخلفاء كبير القدر عالم بعلوم متعددة من علوم الاوائل متحقق بذلك أتم تحقيق ، قال هلال بن المحسن : كان فاضلا عاقلا عارفا بكثير من العلوم القديمة

وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي أحد المشهورين في علم المنطق والهندسة وغيرها من علوم الفلسفة برع في الطب والفلسفة براعة المتقدمين . وذكره ابن النديم فقال فيه : أوحد دهره وفريد عصره . له تآليف كثيرة منها كتاب (الآراء الطبيعية) وكتاب (الطب الروحاني) وكتاب (أكل الفواكه)

وابو الفرج عبد الله بن الطيب العراقى الفيلسوف المطلع على كتب الاوائل وأقاويلهم المجتهد في البحث والتفتيش وبسط القول . اعتني هـذا الفيلسوف بشروح الكتب القديمة في المنطق وأنواع الحكمة من تآليف ارسطو ومن الطب كتب جالينوس . وقد تلمذ له جماعة منهم المختار بن بُطلان وقال فيه : شيخنا أبو الفرج عبد الله بن الطيب بقى عشرين سنة في تفسير مابعد الطبيعة ومرض من الفكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها . وهذا يدلك على حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه ولولا ذلك لما تكلف

وأبو علي بن السمح المنطقى العراقي له شروح جميلة منقولة فى كتب ارسطو اشتهر ذكرها

والحسين بن اسحق بن ابراهيم بن يزيد الكاتب كان في نهاية الفضل والاضطلاع بالعلوم الطبيعية القديمة وكان يذهب مذهب الفلاسفة الطبيعيين وله تصانيف منها (الرد على ثابت بن قرة) وكتاب في (الاجناس والانواع)

وأبوسليمان بن محمد طاهر السجستانى شارح كتب ارسطو . وكان أبو حيان التوحيدي صاحب (المقابسات) المطبوع من أصحابه المختصين به ولاجله صنف كتاب (الإمتاع والمؤانسة) وهو اسم طابق مسماه ، قل ان يوجد كتاب من هذا النوع على شاكلته

وأبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي كان امام الرياضيين بالاندلس و أعلم من كان قبله بعلم الافلاك وقد رأيتُ في بعض خزائن القسطنطينية تصانيف لهذا الرجل . ومجريط المنسوب اليها هي مدينة مدريد عاصمة الاندلس في زماننا

وأبو الفتوح مسعود المعروف بابن الغضايري البغدادي الفيلسوف الشاعر

وأبو علي بن مسكويه الخازن صاحب (تجارب الامم) في التاريخ الذي طبع أخيراً . وأبو الوفاء مبشر بن فاتك أصله من دمشق وموطنه مصر وهو من الحكماء الإماثل صاحب فضل بارع وخاطر لجميع الفضائل جامع

ويحيى النحوي المصري الاسكندرانى شارح كتب ارسطو كان ممن اشتهر بمعرفة طريقة الحكماء المشائين وكان كثير التصانيف وعلى مذهب النصارى اليعقوبية فى أول أمره ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث لما قرأ كتب الحكمة فحرموه وأسقطوا منزلته

ويوحنا بن ماسويه السريانى مترجم الكتب الطبية القديمة التي وجدت بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم . وضعه الرشيد امينا على الترجمة ورتب له

كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه . وله تصانيف جميلة

وأبو زيد حنين بن اسحق النصراني العبادى نسبة لقبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة كان تلميذا ليوحنا بن ماسويه وكان حسن النظر فى التأليف قعد فى جملة المترجمين لكتب الحكمة واستخراجها الى الى السرياني والى العربي وكان فصيحاً في اللسان اليوناني وفي اللسان العربى بارعاً شاعراً خطيباً لسنا دخل البصرة ولزم الخليل بن احمد حتى برع باللسان العربى وأدخل كتاب العين بغداد وأختير للترجمة وائتمن عليها . وله تآليف نافعة بارعة متقنة منها كتاب فى المنطق أحسن فيه التقسيم . وخدم بالطب بعض الخلفاء العباسيين . وله ولد اسمه اسحق أتقن الترجمة وأحسن فيها وكانت نفسه أميل الى الفلسفه وهو الذي ترجم كتاب النفس لارسطو

وحبيش بن الاعسم كان نصرانيا أحد تلاميذ حنين والناقلين من اليوناني والسرياني الى العربى وكان حنين يقدمه ويعظمه ويصفه ويرضى نقله . وقيل من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له وان اكثر مانقله حبيش نسب الى حنين وقد الف كتاب الزيادة في المسائل التي لحنين

وقسطا بن لوقا البعلبكى صاحب كتاب الفردوس فى التاريخ وكتاب شرح مذاهب اليونانيين كان معاصراً ليعقوب بن اسحق الكندى فيلسوف العرب واستدعي الى العراق ليترجم كتبا ويستخرجها من لسان يونان الى لسان العرب وتوفى بأرمينية عند بعض ملوكها وبني على قبره قبة اكراما له كاكرام قبور الملوك أو رؤساء الشرائع . قال ابن النديم كان قسطا بن لوقا بارعا فى علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى لايطعن عليه ، فصيحا فى اللغة اليونانية ، جيد العبارة العربية

بيت المقدس خليل الخالدى

قوة الحق

جلَّتْ قدرةُ الحق ، فهو القاهرُ الذي تعنو له قوة كل باطل ، الظافرُ الذي ترتكزُ رايتهُ فوقَ كل رابية ، وهو الشمسُ التي ينقشعُ بضيائها رُكام كل ظلام

الحقُّ قوة روحانية ، ما لمستْ القلبَ المتواضعَ إلا ملأتهُ ثقةً بالله ، وأيَّدتهُ بالاعتماد على الله ، وأنارتْ سرارَهُ بجلال الله

الحق اسم من أسماء صاحب هذا الملكوت ، ومدبر ما يحدث فيه من حركة وسكون . فاذا كان لقومٍ ولاية على حق في هذا الكون ، فأحسنوا المحافظة عليه ، والدفاع عنه ، والقيام بواجباته ؛ رفعهم الله الى كريم عليائه ، وأنزلهم منازلَ أوليائه . فلينتهز صاحب الحقّ الصريح هذه الفرصةَ السانحة للدخول في زمرة أولياء الحق جلت قدرته ، وعز سلطانهُ

خسيءَ من قال ان الحق شيء والقوة شيء آخر : الحق قوة القُوى ؛ ولا يستهين بها الا غافلٌ عن سرّ الكون ، جاهلٌ بتصاريف الناموس ، ذاهل عن أنّ الحقّ جل جلاله مؤيّد لكل حق ، موفّق لكل من يدافع عن حق . وقد كتب الله على كل قوة تجنح الى جانب الباطل أن يمسخها ضعفاً بكل صفات الضعف ومعانيه

كمالُ الحق في أن يؤمن صاحبهُ بالحق ، ويقوم بواجب الاحتفاظ به والدفاع عنه . ومتى اقترن الى الحق ايمان ثابت ، وعزم اكيد ، وسعي حكيم ؛ كان الحق المتواضع أمنع على الباطل الطامع به من جبهة الاسد

ان فيما ورثناه عن أجدادنا من المقدسات الخالدة ان النجاة للمُتَقحِّم والهلكةَ للمتَلَوِّم . وقد كان لهاميم العرب وسنامها الاعظم في كل عصر وقطر يكتنفون

حفافَيْ راياتِ الحق ، ولا يزالون يناضلون عنها حتى يكونوا غير محجوز بينهم وبين غاياتهم المشروعة بعقبَةٍ ولا مانع

ان عصا موسى لما تجلت فيها آية الحق صارت رمزاً لقوته التى لاينالهاوهن، وعنواناً لظفَره الذي لايشوبه تلـكُّؤ ولا ضعف . وما زال الباطل يُذعر من لحق ذُعر المعزى من زئير الاسد

هل الحق بذاته موجود أو غير موجود ؟

هذه المسألة مسألة ايمان وجحود . مسألة اعتقاد بالمادة وحدها أو وثوق بها وبالذي أوجدها من العدم

وجود الحق حقيقة ، لايمكن ان يرتاب فيها الا المخدوع بالقوة الظاهرة ، الغافل عن قوة الغيب القاهرة ، تلك القوة التى لاتحيط بها العقول ، ولا تدرك سرَّها الاحلام

قوة الحق هي التى أيدت كل حق من بداية الخلق حتى الساعة . ولولا هذه القوة لما وجدت في هـذا العالم فضيلة ، ولا قامت لدين من الاديان قائمة ، ولا خاض بطل حومة الوغى ، ولا ارتفعت معالم الاوطان ، ولا خفق لواء العز لامة من الامم

لقد حاول الباطل من بداية خلق العالم الى هذه الساعة ان يسحق الحق ويطفيء نوره ، وكان الله يتم نوره ، ولو كره المبطلون

الحق عين القوة مادام مستمدا قوته من الحق جل جلاله . وان القلب الممتلىء بقوة الحق هو الذي برهن في التاريخ على فوزه وانتصاره ، أما اذا تهاون صاحب الحق باوامر الحق ، ورضخ لقوة الباطل الموهومة ؛ فانه يعدُّ متنازلا عن حقه ، مبدداً له بارادته ، وحينئذ لا يستحق ذلك المدد الروحاني الذي كتب الله على نفسه ان ينصر به من ينصره ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

الديك

نقل استاذنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله فى جزء سنة ١٣٣٥ من تذكرته عن (التذكرة الكمالية) لرئيس الشام كمال الدين بن العديم العقيلي الحلبي (٥٨٦ ـ ٦٦٦ هـ) قال : انبأنى غير واحد من شيوخي عن أبي طاهر السلفي (١) قال انشدني ابوا الثناء حامد ابن ثابت النزي بالاسكندرية أنشدني ابراهيم بن صدقة لابن ممممة الحمصي (٢) فى الديك :

يا ابن أقيال وائلٍ والكرام الصـ ... يد من تغلبٍ قروم القروم

والامير الذي عليه أمارا ... ت المعالي : من حادث وقديم

قد مدحتُ الأميرَ بالامس منثو ... راً ، وجئتُ الغداةَ بالمنظوم

فاستمعْ قصتي ، وفرِّج باحسا ... نك مابي من طارقات الهموم

***

ليَ ديكٌ ـ حضنتُه وهو في البيـ ... ضة ـ من منصبٍ كريم الخيم

ثم ربيتُه وهو كالطفـ ... ل رضيعاً ومنذ حال الفطيم

يأكل العفو كيف شاء من ما ... لي كأكل الوصي مالَ اليتيم

وهو عندي في صورة الولد البرّ ... وفي صورة الشفيق الحميم

أبيضُ اللون أفرق الطرف نظّا ... رٌ بعين كأنها عينُ ريم

وعلى نحره وشاحان من شذ ... رٍ بهيج ولؤلؤ منظوم

رافع رايةً من الذهب المشر ... قِ يسعى بها كسعي الظليم

وإذا ما مشى التبهنسَ مشيَ ... الطرف المنتشي من الخُرطوم

وَسَمَ الارضَ وَسْمَ طيِّ كتابٍ ... بخواتيم كاتب مختوم

---

(١) في حاشية تذكرة ابن العديم بجانب البيت الاول من القصيدة مانصه : قرأتها على عز الدين عبد الله بن الحسين بن رواحة بروايته عن السلفي سماعا بهذا الاسناد . وسمعها ولدي محمد انماه الله ، وذلك بحلب في شهر ربيع الآخر من سنة أربعين وستمائة . وصح عندى سماعه لها من السلفي

(٢) هو منبجي ، لكنه كان خطيب حمص فنسب اليها

وله خنجران من قصب السا قين قد رُكّبا لحفظ الحريم
وعليه من ريشه طَيْلسانٌ صِيغَ من صنعة اللطيف الحكيم
وجميع الديوك تشهد في حمـ ص له بالجلال والتعظيم
يتجاوبن بالصياح مشيرا تٍ اليه في ذاك بالتسليم
وإذا مارأيتَــه بين خمس من دجاجاته كبارِ الجسوم
قلتَ مَلْكٌ يخدمنه فتياتٌ يتهادين بين زنج ورُوم
وترى عُرفه فتحسبه التا جَ على رأس كِسْرَويٍّ كريم
ثاقب العلم بالمواقيت ليلاً ونهاراً ، وحاذق بالنجوم
ويحثُّ الجيرانَ حولى على البرِ كحثِّ المدير كأسَ النديم
وإذا قمتُ للصلاة دعوت اللهَ بالعز والنعيم المقيم
لشريف أبي المعالي بن سيف الد ولة السيد الكريم الرحيم

***

وله أيها الأمير عليَّ الـ عهدُ في سالف الزمان القديم
أنه آمِنٌ من السوء عندي غيرَ يوم المنية المحتوم
وقد احتجتُ أن أضحيَ بالعيـ دِ به ، حاجة الاديب العديم
وبناتي يقلن : « يا أبتانا أنتَ في ذاك بين غدْرٍ ولُوم »
وتراهُنّ حوله يتباكيـ ن بدمع لفقده مسجوم
وعزيزٌ سؤال من يفتديه فافْدِهِ منعماً بذِبحٍ عظيم
تُبقِ في ذاك سنّةً لك يُنسي ذكرُها ذِكْرَ كبش إبراهيم
عشتَ في العزِّ مادعاالله داعٍ أبداً بين زَمْزَمٍ والحطيم

ابن معمعة الحمصي

﴿ العامية والفصحى في لغات أوربا ﴾

قال العلامة الاستاذ جبر ضومط في مقال له نشرته
(مجلة السيدات والرجال) م ٦ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ :

خذ الانكليزية مثلا فترى فيها لغتين : مكتتبة وهي الفصحى ، وعامية وهي الدارجة . والفصاحة في المكتتبة بالغة أعلى درجاتها في لندن ، والدارجة بالغة أحطّ درجاتها أيضاً في بعض أقسام من تلك المدينة حيث الفقر والجهل على أشدهما

ومثل الانكليزية الفرنساوية ، ومثل لندن باريس ، فان اللغة المكتتبة فيها وصلت في كتابات بعضهم إلى ماوصلت اليه تماثيل اليونان الجميلة ، أو تماثيل ميشال انجلو ، أو الى ما أشار اليه المتنبي :

والقائل القولَ لم يترك ولم يقلِ

ولكن اللغة الدارجة في بعض شوارع باريس لايزيد نصيبها عما هي فيها يقابلها من شوارع لندن . بل في برلين مدينة العلم والعلماء ، ومدينة الأدب والادباء ، تهبط اللغة الدائرة على الألسنة في أفواه الأفدام من الغوغاء والحشارة الى مالا يستطيع أن يتصوّر مثلهَ بين أفدام العامية عندنا أبكى الباكين على الفصاحة العربية واندثارها من على الالسنة

تعرّفتُ منذ عدة سنين بمستشرق اسوجي جاء الى بيروت ولبنان لدرس اللغة العربية الدارجة ، وكان الرجل والحق يقال يفهم مايقول ويفهم مايقال . فقلت له مرة في عرض الحديث :

— أعندكم ياأستاذ لغتان فصحى ودارجة ؟

قال : — عندنا

قلت : — مائة بالمائة منكم يقرأون ، وعندكم لغة دارجة ! اذن ينبغي أن

تكون قريبة جداً من اللغة الفصحى (لغة الكتابة)

قال : — بل هي بعيدة عنها

قلت : — وأى الدارجتين من لغتنا ولغتكم أقرب الى أختها الفصحى ؟

قال : — دارجتكم

وكنت أنتظر جوابه هذا الخالي من العصبية لما كنت أتوسم فيه من سعة العلم والفضل والانصاف

﴿ أصل كلمه مسيح ﴾

قال العلامة أحمد فارس الشدياق (فى كتابه الجاسوس على القاموس — ص ٤٩) : كان من عادة اليهود اذا ملّكوا عليهم ملكاً أن تمسحه أحبارهم بالدهن كما مسحوا شاول وداود وسليمان وغيرهم . فكان يقال لمن فُعل به ذلك (مسيح الرب) وهو مرادف للملك . ولما كانت اليهود بعد انقراض دولتهم يترقبون مجيء مسيح ـ أي ملك ـ ليخلصهم مما صاروا اليه من الذل والهوان ، وظهر سيدنا عيسى عليه السلام ورويت عنه المعجزات، استبشروا به فآمن به من آمن واعتقدوا أنه المسيح المخلّص لهم . ثم لما رأوه زاهداً فى الدنيا وسمعوا منه أن ملكوته سماوى لاأرضى قالوا : إن مسحته إلهية روحانية . وهذا القول لم يقنع الذين كانوا يترقبون مسيحاً دنياويا حقيقياً لامجازياً ، ولذلك تقول اليهود الآن : ان عيسى لم يكن مسيحاً . وهو بالعبرانيــة « مشيح » وبالسريانية « مشيحو » وبالكلدانية « مشيحا » مشتق من « مشح » بمعنى « مسح » . ويقال ان عادة مسح الملك بالدهن لم تزل مستعملة عند الحبش الى يومنا هذا ، فانهم يدّعون أن ملوكهم من ذرية سيدنا سليمان عليه السلام وقد بقوا محافظين على بعض سنن من سنن التوراة : كالختان وإباحة التسرّي للملك ، وغير ذلك

كارثة دمشق

١٨ ــ ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥ م

نكبت عاصمة الامويين ــ وهي من أقدم مدن التاريخ الباقية وأجلها ــ بضرب مدافع الفرنسيس ، ذعرا منهم أمام قوة الثوار المحررين . فاهتزت لذلك أرجاء العالم الاسلامي خاصة والانسانية عامة . وقد عبر الشاعر في هذه القصيدة عن العواطف الحية التي سرت في مصر عطفا على شقيقتها في اللغة والدين والحضارة والنسب .

رِيعَتْ لنكبةِ مجدكِ الأحلامُ[1] ... وبكاكِ بأسم فخاره (الاسلامُ)

يادُرّةَ (الشرقِ) الشقيِّ بمُلْكه ... أبداً يحاولُ نهبَكِ الظلاّمُ

ضُرّجتِ بالدمِ في مقامٍ قدْرُهُ ... أن تستعزَّ محبّةٌ وسلامُ

قُدّستِ في دينٍ وعُرفِ حضارةٍ ... وَرَنتَ لِمرْشِدِ وحيكِ الافهامُ

مِنْ عهد (بولس)[2] قد فَتَنْتِ وقبلَه ... (داوودُ)[3] أوْلَعَهُ بكِ الإعظامُ

ومِن (الاشوريين)[4] نِلْتِ غرامَهمْ ... و(الفُرْسُ)و(الرُّومانُ) باسمكِ هاموا

و(التركُ)[5] لم ينْسوكِ يومَ جلالهمْ ... بل كانَ مجْدُكِ للجلالِ يُرامُ

و (عليٌّ)[6] ثبّتَ فيكِ أيَّ صداقةٍ ... من (مصر) لم تعبثْ بها الاعوامُ

حجُّوا اليكِ ولم يكنْ فتحاً لهم ... فلربَّ فتحٍ مِلؤُهُ الإكرام

(١) الأحلام العقول .

(٢) أقام القديس بولس فترة قصيرة فى دمشق حيث بدأ انتشار المسيحية فى منطقتها .

(٣) ورد في (سفر الملوك) فتح سيدنا داوود لدمشق .

(٤) استولى الاشوريون على دمشق سنة ٧٣٢ قبل الميلاد . ولم تصبح جزءا من الامبرطورية الرومانية الا في سنة ١٠٥ ميلادية .

(٥) استولى السلطان سليم الأول على دمشق في سنة ١٥١٦ م .

(٦) هوعزيز مصر الكبير محمد على باشا وقد كانت دمشق تابعة لمصر من سنة ١٨٣٢ م الى سنة ١٨٤٠ م .

نَشَرَتْ تعاليمُ (المسيحِ) سَلاَمَها حيناً عليكِ ، فدالتِ الأيّامُ
وأتى الطغامُ اليومَ بأسمِ رسولِها ما لا تُقاسُ بِخُبثِهِ الآثامُ
حربُ الصّليبِ[1] رددتِها في أمسِهِمْ شرَفاً ، فعادوا ينقمون وهاموا
وتشدَّقوا بالعلمِ وهو مُحقَّرٌ فيهم ، وبالإفضالِ وهو حرامُ
نكبوا (أُميّةَ) في مقرِّ جلالهم[2] لكنّما نكباتُهم أوهامُ
سيعيشُ رغمَ السيفِ باسقُ غرسهِمْ وتبوحُ رغمَ المدفعِ الاقلام

* * *

عيشي (دمشقُ) وانْ فُجِعْتِ وان بكتْ حقّاً عليكِ مآثرٌ وعظام
عيشي فما ينسى بنوكِ وفاءَهم[3] كلا ، وان يتضاءَلَ الأعلام
تلكَ الجراحُ — وانْ تبقّى ذكرُها عاراً على الجانينِ — قد تلتام
لبس السّوادَ على مروعِ مُصابِها أُمٌّ ، فهوّنَ صبرُكِ البسّام
في الرّزءِ هازئةٌ وأنتِ حزينةٌ في الرّوعِ تضحكُ حولكِ الآجام[4]
فقدَ الشجاعةَ رغمَ بطشِ حرابِهِمْ غازوكِ ، واستبقى لها الايتام!!
منْ كان يملكُ ماملكتِ من العُلى ومن التّراث الفخمِ ليس يُضام
والشّعب قيمتُهُ الحياةُ اذا نما فيه وعاش تضامنٌ ووئام
ما كان للخذلانِ حقٌّ بملكٍ أبداً ، ولا بلغ العُلى استسلام

---

(١) اشارة الى حصار الصليبيين لدمشق تحت امرة لويس السابع ملك فرنسا وكنراد الثالث امبراطور ألمانيا سنة ١١٤٨ م . حيث ردوا عنها خائبين .

(٢) فتح العرب دمشق سنة ٦٣٥ م . وصارت مقر الخلافة سابقة لبغداد من سنة ٦٦٠ م . الى سنة ٧٥٣ م .

(٣) من أجل مظاهر العزاء في هذه الكارثة ما أبداه أهالي دمشق على تباين مذاهبهم الدينية من الوحدة الوطنية المتينة

(٤) اشارة الى النياض والغابات التي عسكر بها الثوار ظافرين خارج دمشق .

ثار (الدّروزُ) وأحدقوا بك مثلما أوْفَى[1] على الكنز العزيز زحام
جذّابة النّفحاتِ ، عُمْرُكَ عُمْرُما تصبو الفنون له وتُزْهى (الشام)
في كلِّ هاويةٍ خوالدُ دولةٍ ونثيرُ تربكِ كله إلهام
يرمي (الفرنسيسُ) القنابلَ واللّظَى رميَ الأبالسةِ الذين تعاموا[2]
فتبيدُ من شرَفٍ يُظَنُّ لشعبهم وتظلُّ عاليةً بك الأعلام
ويُرى المؤذّنُ حافظاً لعهوده وعلى المنائر للسّلام سلام
وجميع أهلك في المكارم وحْدَةٌ تَبْقى ، وقد تسمو بها الآلام

***

فخراً لنبلكَ يازعيم عصابةٍ ماشاب غايةَ نُبلها الاجرام
غلبتْ شجاعتها الجبابرة الأُلى نشروا الفساد وفاخروا وأقاموا !!
وحفظتَ يا (حَسَنٌ)[3] حياةَ مَواطن فمن المماتِ تعصُّبٌ وخصام
أنت الصغير كما ذكرت[4] ، وانّما فيك المناقبُ للزعيم حُسام
أقسمت غسْلَ العار وهو نصيبُهمْ ولقد صدقت وبرّت الأقسام

(١) أوفى : أشرف .

(٢) لما أوشك الفرنسيس أن يهزموا هزيمة تامة ويطردوا من دمشق عمدوا الى قذف المدينة بقنابل النفط ليتخذوا من الحريق مانعا يحول دون تقدم الثوار الذين لم تستطع القوة منع تقدمهم واستمرت هذه الجريمة الشنيعة ترتكب من عصر الاحد ١٨ اكتوبر الى ما بعد غروب شمس الثلاثاء ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥ م .

(٣) هو حسن الخراط الشهير زعيم العصابة التي هاجمت دمشق .

(٤) اشارة الى رسالة حسن الخراط الى الجنرال سراي مندوب فرنسا السامي في الشام ، حيث يقول له مؤنبا ومباهيا : « . . . . . أما سياسيا فاني كللت شرف العرب بما هو اهله ، واستحسن نعلي العالم بأجمعه بحسن ادارة رجالي ومحافظتهم على اخواننا المسيحيين والاجانب خصوصا ، وعلى الضعفاء عموما . أما أنت فقد نحرت شرف فرنسا ، وصوبت قنابلك الى قلبها . .. يامثل فرنسا وأنا حارس دمشق ! أسرت جندك أسرا شريفا ، وأنت ضربت النساء والاطفال والشيوخ ضربا دنيئا . حافظت على الآثار القديمة وأنت هدمتها ياجنتار ، يامثل فرنسا! كان بودك أن تجعلها دينية اسلامية وتفرق بيننا وبين اخواننا ، ولكن الله أبى . فضيعت رشدك وخربت الاحياء الاسلامية على رءوس أهليها البريئة

أطعمتهمْ طعْم الهوان بحصْنهمْ وأريتهمْ كيف الحِمامُ حمام
وضربت أمثلة الشّهامة كُلها للعابثين ، فكيف كيف تُلام ؟!

***

والآن يابلداً أعدَّ مصابهُ رُزْئي ... كذلك تفرض الارحام
والله ما أدرى أجرحُك حقه مني العزاء ، أم الدّماء وسام ؟!
فخرتْ بموقفك المشارق مثلما سالت عليك عواطف وغمام
في الصّبرْ ، في البرِّ الجسيم ، وفي الوغي لا الهوْلُ ماتخشى ولا الارْغام
شرفاً رفعت شعاره بك ، هكذا تحيا البلاد ويُخذلُ الصّمصام !

احمد زكي أبو شادي

﴿ العلوم والصناعات — عند الالمان والفرنسويين ﴾

قال مسيو ليبان — وهو من أكبر مديري الجامعة الفرنسوية — أمام لجنة التحقيق البرلمانية :

« بينما العلوم والصناعات تنمو على اطّراد فى ألمانيا إذا بها عندنا فى تدهور يزداد يوماً بعد يوم . ومرجع هذا التقهقر فى اعتقادي هو أن طرق التربية والتعليم فى فرنسا نقلها اليسوعيون عن بلاد الصين ، ونبتت فى مدرسة « لويز لُ غْران » القديمة التي أسسها هؤلاء القساوسة العائدون إلى فرنسا من بلاد الشرق الاقصى ، ومنها انتشرت فى البلاد كلها . ولاتزال هذه الطرق متأصلة الى اليوم فى نفوس المعلمين مالكة عليهم مشاعرهم جميعاً »

أملا بأني اقابلك بالمثل ، وقد فاتك أننا عرب ونحافظ على الجار
انا لقوم أبت أخلاقنا شرفا أن نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
انت جنرال وقائد الفرق والجيوش ، وأنا حارس جمت عقلي وضيعت رشدك ... » .

محمد بن عبد الرحيم بن الفرات

٧٣٥ – ٨٠٧ هـ

وكتابه « تاريخ الدول والملوك »

محمد بن عبد الرحيم بن عليّ بن محمد بن الحسن [1] بن عبد العزيز بن محمد ابن الفرات ناصر الدين المصري الحنفي

ولد سنة ٧٣٥ . وأُسْمِع وهو صغير على أبي الفرج بن عبد الهادى ، وأبي الفتوح الدلاصي ، وأبي بكر بن الصناج في آخرين . وأجاز له من دمشق الحافظان المزّى ، والذهبي ، وأبو الحسن البندنيجي

قال السخاوي في الضوء اللامع : روى لنا عنه خلقٌ أجلّهم شيخنا (يعنى الحافظ ابن حجر)

وقال ابن حجر في معجم شيوخه في معرض الكلام على ابن الفرات : « انه اشتغل وتكسّب بحوانيت الشهود ، وولي خطابة المدرسة المعزّية بمصر » . وقال ابن حجر أيضاً في (أنباء الغمر) : « وكان يتولى عقود الانكحة ، ويشهد في الحوانيت ظاهر القاهرة ، مع الخير والدين والسلامة »

توفي ليلة عيد الفطر سنة ٨٠٧ ، وهو في عقود المقريزي . وقد ترك ولداً ينوب في الحكم . واسمه عبد الرحيم (ولد سنة ٧٥٩ بالقاهرة وتوفي بها سنة ٨٥١) وكان من العلماء وله مؤلفات وأخذ عنه جماعة منهم السخاوي وأثبت له ترجمة في حرف العين من الضوء اللامع

***

(١) هكذا أورد ابن الفرات نسبه في أثناء الجزء التاسع من تاريخه . والذي في (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى سنة ٩٠٢) : محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن بن محمد

﴿ تاريخ الدول والملوك ﴾

قال الحافظ ابن حجر في معجم شيوخه عند الكلام على ابن الفرات «وكان لهجاً بالتاريخ، لا يزال مكباً على كتابته بحيث كتب فيه كتاباً كبيراً جداً، بيض منه المئين الثلاثة الأخيرة (أي القرن السادس والقرن السابع والقرن الثامن) في نحو عشرين مجلداً وأظن لو أكمله لكان ستين. ولكنه لم يحسن الاعراب، ولذا وقع فيه اللحن الفاحش، إلاّ أن كتابته كثيرة الفائدة من حيث الفن الذي هو بصدده، وآخر ما كتب الى انتهاء سنة ٨٠٣ وقد بيع مسودّةً لعدم اشتغال ولده بذلك [١]»

وقال ابن حجر (في انباء الغمر): وتاريخه كثير الفائدة إلا أنه بعبارة عامية جداً». وقال «انه تفقه وكتب في التاريخ مسودّةً تبلغ مائة مجلد، بيض منها نحو العشرين. وقفت عليها واستفدت منها». وقال في مقدمة النسخة المحفوظة في الخزانة التيمورية من أنباء الغمر: «وغالب ما أورده فيه ماشاهدته، أو تلقفته ممن أرجع اليه، أو وجدته بخط من أثق به من مشايخي ورفقتي، كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين بن الفرات»

اذن فتاريخ ابن الفرات بيع مسودّة في زمن ابن المؤلف. وهذه المسودّة توجد الآن في دار الكتب العامة بالعاصمة النمسوية ڤينة National Bibliothek وقد نسخت منها أخيراً نسخة بالتصوير الشمسي للخزانة التيمورية بالقاهرة وفي بعض مواضع منها هذه العبارة «فى نوبة شرف الدين ابن شيخ الاسلام عفا الله

(١) قد تقدم أن ولده عبد الرحيم كان من العلماء وله مؤلفات، وكان السخاوى من تلاميذه. والظاهر من عبارة ابن حجر أن عبد الرحيم لم يشتغل بالتاريخ

عنه [١] » ومثل هذه العبارة موجود على كتب متعددة بالخزانة التيمورية ، وهي تدل على ان مسودة تاريخ ابن الفرات بقيت في مصر الى القرن الحادى عشر ، وربما بقيت مدة أخرى بعد وفاة شرف الدين قبل نقلها الى النمسا

أما بعد نقلها الى أوربا فقد جيء بها الى باريس أثناء الحرب مع نابليون سنة ١٨٠٩ م (١٢٢٤ ه) وبقيت في باريس الى سنة ١٨١٤ (١٢٣٠ ه) ، فعكف المستشرق جوردن Jourdain على درسها وتلخيصها . ولما كتب ميشو تاريخ الحروب الصليبية استفاد من هذه الخلاصة شيئاً كثيراً ، كما ان رينو Reinaud نقل بعض فصولها الى المجلد الرابع من المكتبة الصليبية La Bibliotheque Croisades

ونسخة تاريخ ابن الفرات الموجودة في مكتبة ڤينة واقعة في تسعة مجلدات والاخير منها ينتهي بآخر حوادث سنة ٧٩٩ ه

﴿ مصادره ﴾

ومما يزيد تاريخ ابن الفرات أهمية انه نقل عن مصادر اكثرها غير موجود الآن . ومن المصادر التي ذكرها المؤلف في عدة مواضع من أجزاء تاريخه :

تاريخ ذي الرياستين ابن دحية

تاريخ ابن الجزري

معادن الذهب في تاريخ الملوك والخلفاء وذوي الرتب * ليحيى بن ابي طي الغساني الحلبي

---

(١) هو أبو المواهب يحيى بن زين العابدين بن محيي الدين عبد القادر بن ولي الدين أبي زرعة أحمد بن جمال الدين يوسف ابن شيخ الاسلام زكريا الانصاري ، وقد ترجمه صاحب خلاصة الاثر (٢ : ٢٢٢) لكنه لم يعرف اسمه فوضع الترجمة بلقبه (شرف الدين) في حرف الشين

تاريخ الشيخ محمد بن نظيف الحلبى

الجوهر المنتخب في أخبار أهل العلم والأدب * لابي الحسن علي بن أبي العلاء بن أبي غالب البلدي

زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة للأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري

نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك * لناصر الدين شافع سبط ابن عبد الظاهر

الجمع والبيان فى أخبار القيروان * لعبد العزيز شدّاد بن تميم بن المعزّ من بنى باديس

مفرّج الكروب في دولة بني أيوب * لجمال الدين ابن واصل (١)

ذخيرة الكاتب * لابن مكرّم الانصاري صاحب لسان العرب

نزهة المقلتين في سيرة الدولتين (لم يذكر اسم مؤلفه)

الدرّ المنضد في وفيات أمة محمد * لابن دقماق

نزهة الانام في تاريخ الاسلام * لابن دقماق أيضاً

الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة * للقاضي عز الدين محمد ابن علي بن شدّاد الحلبي

الفضل الباهر من أخبار الملك الظاهر (بيبرس) * للقاضى محيي الدين ابن عبد الظاهر

وبعد فان رجوع هذه الصورة من تاريخ ابن الفرات الى مصر بعد أن خلت منها نحو قرنين أو أكثر لممّا يعين المؤرخ العربىّ على تجويد عمله يوم ييسّر الله كتابة تاريخ هذه الامة على وجه قريب من الكمال

(١) منه جزء بخزانة رفاعة بك بالقاهرة

افلاس الحضارة الغربية

— خلاصة المحاضرة التي ألقتها الكاتبة الفرنسوية
مدام سنت بوانت في جمعية الرابطة الشرقية بالقاهرة —

إخواني الشرقيين ،

لم أقف اليوم بينكم لاتكلم عن محضر اتهام الحضارة الغربية الذي فتحه منذ نصف قرن المفكرون من رجال الشرق ، بل والكثيرون من رجال الفكر في الغرب أيضاً

ان المناقشة دائرة بشدة بين أولئك الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن المدنية الغربية والذين يحملون عليها ، وقد تناولت هذه المناقشة صفحات الحياة الاجتماعية ، وتجاوزت حدود الاطلاع . أما أنا فمن الفريق الذي يتهم المدنية الغربية ، ويحمل عليها . ولم تكن حملتي عليها بنت اليوم ، بل ترجع الى زمن طويل . وفي كل يوم يقوم دليل جديد يؤيد مذهبي فيها ، ويبرهن على أني إنما كنت على صواب في الحملة عليها

لم تكن هذه الادلة الجديدة أقوالاً مجردة ، بل هي أعمال قطعية : أشلاء ، وحرائق ، وخرائب ، ومن وراء ذلك دموع سخينة تذرف ، ودماء طاهرة تسفك ، وأحقاد تتأصل جذورها في الصدور . . .

ولكنكم تروني ـ أيها السادة ـ ضعيفة اليوم عن توجيه التهمة على أتمها الى المتهمين ، على مايرضي العدل والانصاف

ولعلي كنت أكون محتفظة برباطة الجأش بعد (مجزرة دمشق) لو كنت شرقية ، ولكن شاء القدر أن أكون غربية وأن أكون مشاركة في ذلك مع الجلادين ، وأن أحمل عبء التهمة الشنيعة ، وأن يكون لي نصيب من تبعة جرائم الغرب

أنا اليوم فى موقف الطفل يتهم أمَّه ، فياهول الموقف الذي أقفه !

انَّ لي أن أقوم بهذه المهمة كما يمليه عليَّ الواجب الانسانى ، وأن أرفع الدعوى على الغرب ، وأنا لاقدرة لي على احتمال الاحتقار ، ولا طاقة لي بكبح جماح مايثور فى نفسي من غضب على ما ارتكبته قوة الغرب ، وعلى الدماء التى أسرفتْ فى سفكها حضارة الغرب . . .

وكيف لاتأخذني القشعريرة ، ولا يتولاني الألمُ من جرّاء هذه الاعمال ، وأنا مضطرة الى الوقوف أمامكم موقف المتهمة لقومها ؟

أجل ، انني واقفة اليوم فيكم موقف المتهمة لقومها ، والآلام تنتاب قلبي لأنى لاأزال من الغربيين ، وأحمل اسمهم كما يحمله آخرون غيري من مفكري أوربا وأمريكا الذين يستهجنون هذه الاعمال

وسنرى إفلاس المدنية الغربيـة ، وسنفحص أسبابه بتؤدة واعتـدال وإنصاف . ومن الواجب على الشرق أن يعرف هـذا الافلاس ويدرس أسبابه لئلا يقع هو أيضاً فيما وقع فيه الغربيون من أغلاط ، ولئلا يبني أحكامه على هذه القواعد المزيفة التي شادها الغرب

إنني أتهم المدنية الغربية بأنها قصَّرت في القيام بالمهمة التي تزعم أنها ألقيت على عاتقها فى الأجيال الاخيرة ، أعني المهمة التي ترمى الى نشر تعاليم الانسانية وتعميمها على وجه الارض ، وتؤدي الى الاتحاد

ويمكن للانسان أن يعبّر عن هذه المهمة العظيمة بوسيلتين لاغير ، وهما وسيلة « حب الذات » ووسيلة « حب الغير » . احداهما قذرة شنيعة ، والثانية كريمة سامية . أما الغرب فانه لم يقع اختياره الا على الوسيلة الاولى ، وسـيلة الانانيـة وحب الذات . وكان اختياره لها جريمة ، وكان ذلك سبب ضياعه واضمحلال نفوذه ، لان الوسيلة التى لجأ اليها قذرةٌ ملعونة

ان الانانيـة تقضي على الخير ، وتلتهم كل بر ؛ فيجب على الامم — كما يجب على الافراد — أن يقضوا على الانانية ، ويقوّضوا دعائمها ، لأنها شر البلايا

لقد أراد الغرب أن يوحد العالم ، ولـكن تحت سلطانه ولمصلحته . والعالم لا يساس إلا بالعدل ، وبالحب ، وبالاخاء ، وبردّ الحقوق الى أهلهـا . ولـكن الغرب لجأ الى القوة الغاشمة ، ولم يرع غير مصلحته وحدها ، ولم يهتم إلا بأطماعه

اعتمد الغرب على القوة وحدها ، وتعدّى حدود الله ، وعبث بالشرائع الدينية ، وخالف تعاليم المسيح عيسى بن مريم الذي أمر بمحبة الناس أجمعين

تعلمت أوربا دين المحبة وقواعد الحقوق من الحضارة الشرقية القديمة ومن مصر واليونان ، لـكنها أنكرت الجميل ؛ وجحدت فضل الشرق ، وعبثت بقواعد الحضارة الحقيقية ؛ وكان مما ارتكبته فيما سلف أنهـا أحرقت الآثار ، وأتلفت المتاحف ، وأبادت دور الـكتب ، وقضت على جمال الماضى

وفي الحقيقة إن الشرق أضاء دياجير أوربا بنور تعاليمه ، وما هـذه العلوم التي يفخر بها الغرب إلا من علوم الشرق ، وما هذه الحضارة التي يتشدق بهـا الغربيون الا بنت حضارة للشرقيين السالفة

ليس الذي يحجب النور عن الانظار هو تمدن الشرق القديم ، بل الوحشية الغربيـة ، ودين القوة ، وحب الذات ، والانانيـة التي يعمل بها الغرب ؛ كل ذلك حجب كثيفة تحجب نور السعادة الحقيقية عن البشر . ان الغرب مجرم ، وقد اختار الرذيلة على الفضيلة ، وانه بالتجائه الى الوسائل التي لا تقرها الانسانية قد اثبت أن مدنيته أفلست

لا بد أن يعود للاخاء الفعلي سلطانه على أمم الشرق ، ولـكن لا تنتظروا ذلك من الغرب ، والبرهان على ذلك أنوار الحرائق التي شبت فى (دمشق) وانعكست اشعتها على دماء الضحايا التي امتلأت بها الطرق فى تلك المدينة المقدّسة

لقد ديس الحق بالاقدام أمام المبانى الاثرية التي هدّمت أو أحرقت فى (دمشق) ، وأمام المفكرين الذين سحقت رءوسهم في الديار الشامية أو ألقوا فى غيابات السجون ، وأمام الاطفال والنساء والشيوخ الذين أزهقت أرواحهم ، وأمام الشهداء الذين ذهبوا ضحية القوة

لا يستطيع الشرق عملا بعد اليوم إلا بالاتحاد ، لأن الاتحاد هو سر البعث ، وسبب الرجوع الى الحياة

انى أكرر القول بأن الاتحاد الشرقي أصبح لامناص منه لتثبيت الحضارة في العالم . فيجب على الشرق أن يتحد ليحرّر نفسه

لا تنتظروا خيراً من الغرب ، واعملوا على ضمّ صفوفكم أيها الشرقيون . اعملوا لاتحاد أمم الشرق الادنى الذى اعتدت عليه دول أوربا . واذا لم تتمكنوا من القضاء على مطامعكم الخاصة ، وأن تستأصلوا الانانية من نفوسكم ، واذا بقيت مآربكم الشخصية ممتزجة بواجباتكم القومية ، وإذا قصرتم في تثقيف أبنائكم وإعدادهم لحمل أعباء الواجب ، فذلك هو القضاء على الشرق قضاء مبرماً يجعله فريسة للغرب واداةً تتصرّف فيها القوة الغاشمة . وما القضاء على الشرق غير القضاء على المدنية العظيمة التي باتت الانسانية في حاجة اليها

ان بعض المصائب لايزال ينتظركم ، فلا يَفُتَّ ذلك في أعضادكم ، وتعاونوا لاحتمال هذه الآلام والمصائب

اعملوا لمساعدة هذه الضحايا البريئة التي تجاهد في سبيل استقلالها ، وكونوا في صفوف اولئك الأفراد الذين يجمعون لهم ماقد يخفف من أحزانهم

إنني أوجّه اليكم هذه الدعوة ، وأعلم أنها لا تذهب صرخة في واد . وسأعوج بكم لا تسلّم منكم ماتستطيعون تقديمه لاولئك الذين يتألمون . و لا أقول لكم « شكراً » إذا جُدتم بما ستجودون به ، لأن الانسانية نفسها ستشكركم ، والإخاء سيمجّدكم ، لانكم عملتم لمساعدة إخوانكم

رفيق بك العظم

١٢٨٢ – ١٣٤٣ ه



﴿ نشأته ﴾

إذا كانت الطوائف غير الاسلامية من أبناء الشام مَدِينةً لمدارس التبشير الأجنبية بما تلقّته عنها من لغاتٍ وفنون وآداب وتقاليد وعصبيّات وميول ، فان يقظة النشء الاسلامي في تلك الديار جاءت متأخرة لاحجام المسلمين عن إلقاء بنيهم في أحضان المبشرين الاجانب ، ولم يبدأ اقبال مسلمي الشام على

تلقي المعارف العصرية إلا منذ سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) عندما قام جماعة من كبار علماء دمشق [١] بتأسيس (الجمعيـة الخيرية) في أواخر ولاية مدحت باشا [٢]

وكانت هـذه الجمعية قد اتخذت لها في بادىء الأمر مطبعة باسم (مطبعـة الجمعية الخيرية) لتستخدمها في طبع المؤلفات ونشر الانظمة ، وأسست تسع مدارس ابتدائية للبنين ومدرستين ابتدائيتين للبنات ، وجمعت من المساجد والمدارس الـكتب الموقوفة التي كانت عرضة للضياع فأسست بمجموعها دار كتب عامة في البناء الاثري المدفون به الملك الظاهر بيبرس ، وأوجدت في العاصمة السورية حركة اصلاح وتجديد قائمة على أساس نافع متين . وكان الشيخ طاهر الجزائري مفتش المدارس الابتدائية — ثم مفتش المعارف العام — يتنقل في حمص وحماه وبيروت وجبل عامل وفلسطين مؤسساً للمدارس الابتدائيـة الاسـلامية ومفتشا لها

عند تأسيس هـذه الحركة الاصلاحية كان فقيدنا الـكبير رفيق بك العظم رحمه الله في الخامسة عشرة من عمره ، يعيش في كنف والده الشاعر اللبيب المرحوم محمود بك العظم في أحد قصور آل العظم الواقع في حيّ مأذنة الشحم بدمشق ، وما أدري لماذا لم يُدخله والده في احدى المدارس التي أسسها الجمعيـة الخيرية يومئذ ، مع أن لوالده يداً في الأدب ، وأخوه زكي بك ـ وهو الاكبر ـ كان

(١) أخص بالذكر منهم العلامة الشهير السيد محمود الحمزاوي مفتي دمشق يومئذ ، والفقيه الـكبير المتفنن الشيخ علاء الدين عابدين أحد واضعي مجلة الاحكام الشرعية (القانون المدني العثماني) ومحدّث الشام الشيخ سليم الـكزبري ، والعلامة الشيخ احمد المنيني ، والعالم الكبير محمد سعيد افندي الجندي ، واستاذنا الشيخ طاهر الجزائري

(٢) كان مدحت باشا يومئذ قد بلغ سن الشيخوخة ، ولم يكن له نشاطه القديم في مشروعات الاصلاح . وكان المحرك الحقيقي في ايجاد (الجمعية الخيرية) وأعمالها رجلان : الاول الشيخ طاهر الجزائري وكان مفتش المدارس الابتدائية ، والثاني بهاء بك رئيس ديوان الرسائل في حكومة الشام وهو صديق الشيخ طاهر وتلميذه

ضابطاً يتردّد بين مصر والشام والقسطنطينية ، وكان فى هذا وذاك مايغري مثل رفيق بك أيام نشأته الاولى بأن يكون أحد طلاب تلك المدارس الجديدة . ولعل مما صدّه عن ذلك إحجام أبناء الاسر السرّية فى دمشق يومئذ عن دخول تلك المدارس وأن أبناء الفقراء أقبلوا عليها رغبة فيما وعدتهم به الحكومة أيام مدحت باشا ثم فى أيام حمدي باشا من توظيف المتخرجين فيها فكان أبناء الاعيان لا يرون لهم حاجة فى وظائف الحكومة ورواتبها

وكان لرفيق بك فى بدء نشأته ولع بقراءة السِيَر والفتوح ، وانتقل منها الى قراءة الأمّهات من كتب التاريخ . وسرت اليه من والده عدوَى الشعر فكان له ذوق فى صوغه وتجويد ديباجته

﴿ نشأته ﴾

ما لبثت حركة التجديد التى أوجدتها الجمعية الخيرية أن انتقلت من يد كبار علماء دمشق ونيطت بموظفين من الترك يأتون من القسطنطينية بعنوان « مدير المعارف » وما أشبه ذلك من العناوين ، فتحولت حركة التجديد الاهليـة في دمشق الى حلقة خاصة كان واسطة عقدها الشيخ طاهر الجزائري الذي ظل مفتشاً للمعارف فى الديار الشامية رغم هذ التحول الى أن ألغيت هذه الوظيفة وعهد الى الشيخ بمفتشيه دور الـكتب . وكانت حلقة أصدقائه مؤلفة من محبي الحضارة الاسلامية من الموظفين العثمانيين ، ومن أنصار النهضة من أفاضل الدمشقيين

لست أدري في أي سنة اتصل فقيدنا رفيق بك العظم بحلقة أصدقاء الشيخ طاهر ، ولـكنني منذ عرفت هذه الحلقة في طفولتي كان رفيق بك من خاصتها ، حتى كان منزله فى حي مأذنة الشحم مجتمعاً لها عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع

كان لحلقة الشيخ طاهر أغراض أساسية يعملون لها : منها احياء علوم السلف الاسلامي فى الصدر الاول أيام كانت المشارب أصفى وينابيع الشريعة أقرب الى

طالبيها. ومنها اقتباس أنظمة الغرب وفنونه التي لاقوة لامة في هذا العهد الا بها. ومنها التماس الاسباب لجعل الحكم شورى فى الدول الاسلامية ذا نظام نيابي، وتعميم الدعوة الى ذلك فى كل مكان

وحدث فى مدة ولاية حسن باشا فى الشام أن بعض رجال هذه الحلقة — ومنهم الفقيد رفيق بك العظم — اتصلوا برجال جمعيات تركيا الفتاة الموجودة فى أوربا ووحّدوا مسعاهم مع مساعيها، ونمى خبر ذلك الى المابين الحميدي، فلم ينجُ القوم من الاذى والنكال الا بعون من الله [1]. ولعل هذه الحادثة كانت سبب انتقال رفيق بك الى القطر المصري

﴿ حياته العلمية والاصلاحية ﴾

جاء رفيق بك الى مصر وهو مقتنع بثلاثة مبادىء إصلاحية: الرجوع الى ينابيع الشريعة الاسلامية الصافية، والاخذ من الحضارة العصرية بأسباب القوة، وأن يكون الحكم فى الدول الاسلامية لهذا العهد قائما على أساس النيابة والشورى. وقد عقد النية منذ حلّ فى مصر على أن يكون رجل علم وعمل وإصلاح فى هذه

---

(١) خلاصة هذه الحادثة أن رجلا من أهل نجد — وقد أفسدت الحضارة في مصر والشام أخلاقه — حضر الى دمشق ونزل ضيفا في منزل الشهيد الامير عمر الجزائري، واتفق فى أحد الايام أنه حضر عند الامير مجلسا فيه الشيخ طاهر الجزائري والشيخ سليم البخاري (مفتي الجيش العثماني فى الشام يومئذ) وأسعد بك (قائد من أركان الحرب) وغيرهم وكانوا يقرأون جريدة (القانون الاساسي)، فذهب النجدي الى أحمد باشا الشمعة وأخبره بان الجماعة يقرأون مقالات فيها طعن على السلطان عبد الحميد، فذهب أحمد باشا الشمعة الي المشير عبد الله باشا قائد الجيش العثماني في الشام فاخبره بذلك — وكان بين المشير والوالى حسن باشا ضغائن — فطير عبد الله باشا الخبر الى المابين السلطاني ناسبا هذه الامور الى تهاون الوالي وطالبا نفي سبعة أشخاص منهم الشيخ طاهر. ومرت البرقية بمركز تلغراف حلب وكان مدير التلغراف من أصدقاء القائد الاديب الكبير رفعت بك المناسترلى رئيس أركان حرب فرقة حلب وهذا كان صديق الشيخ طاهر وتلميذه، فاستطاعوا أن يؤخروا البرقية مدة قليلة ريثما أوصلوا الخبر الى الشيخ طاهر وأصدقائه بالامر ليتخذوا الاهبة لمثل هذا الموقف. وكانت هذه الحادثة سبب عزل الوالى حسن باشا ونقل الوالي ناظم باشا من بيروت الى دمشق

الامة ، فتعرّف بحمَلة الاقلام ورجال العلم وكانت له فيهم المكانة العليا بما نشره في الصحف والمجلات من فصول ممتعة ومقالات دلت على طول باعه وبعد نظره في تشخيص داء هذا الشرق ووصف الدواء له

وأول كتاب نُشر له بعد قدومه الى مصر « رسالة في كيفية انتشار الاديان» ألفها سنة ١٣١٢ هـ على أثر مناظرة دارت بينه وبين كاتب في الهلال لسنته الثالثة زعم أن الاسلام قام بالسيف فنشر رفيق بك مقالات متوالية في تلك السنة محاولا فيها اقناع ذلك الكاتب بأن الدعوة الى الاسلام انما قامت « بالحكمة والموعظة الحسنة » كما ورد في نص القرآن الكريم وأن الجهاد إنما كان لحماية الدعوة من أن تقف القوة في سبيلها . وبعد تلك المناظرة ألف هذه الرسالة وأتى فيها على تفصيل ما أجمله في الهلال مشفوعاً بتحقيقات أخرى

وكان من أهمّ ماتبحث فيه الصحف الاسلامية في ذلك الحين موضوع الاصلاح الاسلامي ، وتمحيص ماطرأ على حياة المسلمين السياسية والاجتماعية والفردية من دخائل غريبة عن الاسلام أضرّت به وسقطت بأهله في هاوية الضعف والعجز والاستكانة ، فكان لرفيق بك في هذا الموضوع مقالات عظيمة الفائدة في جريدة (المؤيد) ومجلة (المنار) [1]

وفي سنة ١٣١٦ هـ عُهد الى رفيق بك بالاشراف على ادارة مدرسة أسست في مصر اسمها (المدرسة العثمانية[2]) فألف لها كتاب (الدروس الحكمية للناشئة الاسلامية) وهو أجود ما ألف في بابه للمدارس الاسلامية الى ذلك الحين ، وان الناظر المدقق ليجد فيه اشارات مهمة للمرامي الاصلاحية التي كان يعتقد رفيق بك حاجة المسلمين اليها [3]

(١) انظر اشارته الى هذه المقالات في مقدمة كتابه (الدروس الحكمية للناشئة الاسلامية)

(٢) أسسها ابن عمه السري الكريم المرحوم والد صديقي صلاح الدين بك العظم

(٣) طبع هذا الكتاب في مطبعة المؤيد عام ١٣١٧

وفي ذلك الدور من حياة فقيدنا رفيق بك تأسست في القاهرة (شركة طبع الكتب العربية) فكان مع الشيخ علي يوسف وعلى بك بهجت في جملة مؤسسيها ، وقد توفقت الى نشر كتب نافعة

وفيه أيضاً حضر الى مصر علي بك المؤيد العظم وأسس جمعية (شمس الاسلام) فكان رفيق بك من أركانها

وظهرت لرفيق بك مقالات جليلة في السنة الثانية من مجلة (الموسوعات) بعنوان (مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام) جمعت سنة ١٣١٨ هـ في كتاب عنوانه (تنبيه الأفهام)

والاثر الخالد المجيد لرفيق بك هو كتاب (أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة) لانه أول كتاب عربي في تاريخ الاسلام سلك فيه مؤلفه مسلك تحكيم العقل في تمحيص الاخبار ، وأطلق فيه للفكر والقلم حريتهما مع معرفة لقدر الاخلاق السامية والاعمال العظيمة والخطط الحكيمة التي كانت لرجال الصدر الاول من هذه الامة أجزل الله لهم المثوبة . والذي صدر من هذا الكتاب أربعة أجزاء في نحو تسعمائة صفحة من قطع الزهراء : الاول في سيرة الصدّيق وقائد جيوشه خالد بن الوليد رضي الله عنهما . والثاني في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . والثالث في رجال عهد عمر وهم أبو عبيدة بن الجرّاح وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص رضي الله عنهم . والرابع في سيرة عثمان بن عفان وعبد الله بن عامر وحبيب بن مَسْلمة الفهري اللذين اشتهرا في دولته رضي الله عنهم جميعاً . ولولا أن حالة رفيق بك الصحية حالت دون الاستمرار في اكمال هذا الكتاب الجليل لكان لنا منه بعد مؤلفه مكتبة في تاريخ الاسلام السياسي مازلنا في حسرة على بقاء مكانها فارغاً

ولرفيق بك رسالة عنوانها (الجامعة الاسلامية وأوربا) تدل على بعد نظره وصحة تفكيره وعظيم غيرته على تلك الرابطة المعنوية الوثيقة التي بين الامم

الاسلامية فى العالم

وقد اشترك مع حقي بك العظم فنقلا الى العربية رحلة صادق باشا المؤيد العظم الى الحبشة ، وكان صادق باشا ياوراً للسلطان عبد الحميد وفريقاً أولَ في الجيش العثماني ، وقد ندبه السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢١ (١٩٠٣) لمقابلة منليك نجاشي الحبشة فى أديس أبابا فكتب رحلته الى تلك الديار بالتركية واشترك فقيدنا رفيق بك فى ترجمتها بالعربية

﴿ حياته السياسية ﴾

علم القاريء مما تقدّم أن رفيق بك كانت له صلة بجمعيات تركيا الفتاة من قبل انتقاله الى مصر . ولما مررتُ بالقاهرة في طريقي الى اليمن في شهر رمضان سنة ١٣٢٥ (اكتوبر سنة ١٩٠٧) أطلعني رفيق بك على نظام (جمعية الشورى العثمانية) التي كانت تأسست في القاهرة منذ عهد قريب [1] ، وأخبرني بما لها من الفروع في البلاد العثمانية وغيرها ، واتفقتُ معه على انشاء فرع لها في اليمن وقد وفق الله لذلك بأقرب مدّة ، فتألف الفرع الرابع عشر للجمعية هناك[2] . ولو تأخر اعلان الدستور العثماني فيمناستر سنة أخرى لكان في الامكان أن يرتفع صوت الجيش باعلانه من اليمن . وهذا الفرع من فروع (جمعية الشورى العثمانية) هو الذي بدأ بإزالة حالة العداء التى كانت بين الامام يحيي والحكومة العثمانية . فانه ماكاد يعلن الدستور حتى كتبتُ الى رفيق بك أسأله عما اذا كان الوقت ملائماً للشروع في ذلك فأشار عليَّ بالمضي فيه ، وكان قد تأسس لجمعية الاتحاد والترقي فرع في الحديدة . ورئيس ذلك الفرع هو رئيس فرع الشورى العثمانية وأكثر

(١) كان من مؤسسيها الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا ، ورفيق بك العظم ، وحقي بك العظم ، واحمد صائب بك مؤلف (وقعة السلطان عبد العزيز) و (تاريخ السلطان مراد) و (الحرب الاخيرة بين العثمانيين والروس) و (دليل الانقلاب) ، والدكتورعبد الله جودت صاحب مجلة (اجتهاد) وغيرهم

(٢) تألف ذلك الفرع من قائد حامية الحديدة ، ورئيس أركان حرب الفرقة العسكرية وبعض أطباء الجيش وأحدهم موجود الآن فيالقاهرة

أعضائه من أعضاء الشورى ، فكتبنا للامام يحيى عدة رسائل رسمية وخاصة نطلب إليه أن يطلق سراح من عنده من الاسرى وأخبرناه بما حدث من تغير في نظام الدولة ، فلم يلبث الامام أن أجابنا الى ماسألناه وأرسل الاسرى الى حدود الادارة العثمانية فأرسلنا قوة استقبلتهم وعادوا باحتفال عجيب . وكان لجمعية الشورى جريدة باسمها بالعربية والتركية تأتينا الى اليمن بانتظام فتوزع على رجال الجيش من قبل اعلان الدستور

﴿حزب اللامركزية﴾

تأسس «حزب اللامركزية الادارية العثماني» في القاهرة عام ١٣٣١ (١٩١٣) وكان رفيق بك رئيسه ومن كبار مؤسسيه ، وقد قال هذا الحزب في بيانه الذي وضعه عند التأسيس : « مماثبت بالتجارب لهذا العهد أن أفضل أشكال الحكومات هو الدستوري ، وأفضل أشكال الدستوري هو اللامركزية ، خصوصاً في الممالك التي تعددت فيها الفروق والمذاهب واللغات . . لانها تأبى بطبيعتها أن تكون تبعة الحكم مقصورة على أفراد قليلين تصدر عنهم القوة والعمل الى كل ناحية من أنحاء المملكة ، فيكونوا كالمحرك في آلة كبيرة جداً إذا أصابه عطب أو ضعف تعطلت أجزاء سائر الآلة عن العمل دون أن يكون لأي جزء من هذه الاجزاء قوة ذاتية يعمل بها بنفسه ؛ ودون أن يكون مسئولا عن نتيجة وقوفه عن العمل »

وهذه النظرية صحيحة جداً وقد سلم بصحتها جمهور كبير من العقلاء ، بل ان مدحت باشا الذي يسمونه أبا الدستور العثماني قد ألح بضرورة العمل بها في سورية نفسها في تقاريره الى المابين السلطاني وإلى الباب العالي قبل خمسين عاماً [1] وشعرت وزارة شيوخ الدولة (كامل باشا والغازي مختار

(١) انظر المستندات رقم ١١ في الكتاب الذي نشره ابنه بعنوان « مدحت باشا » ج ١ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٨ وفيها تقريره الى الصدر الاعظم وعريضته الى رئيس كتاب المابين

باشا . . الخ) سنة ١٩١٣ بأنه لامناص من العمل بها بعد أن تبين – من مفاجأة ايطاليا لطرابلس الغرب ودول البلقان لولايات الروملّي – أن الاعتماد في الولايات النائية على قوة المركز وحده ليس من سداد الرأي في شيء

كان رفيق بك يعتقد بكل اقتناع وبعد تفكير طويل أن عمل الدولة العثمانية بالنظام اللامركزي يكسبها قلوب العرب ويجعلهم قوة تستطيع الاعتماد عليها ، وهو فى الوقت نفسه تمرين للعرب على صناعة الادارة ، ومنعشٌ للثقافة العربية ، ومبشّر بحياة جديدة فى دولة آل عثمان

كانت سورية والعراق على هذا المبدأ ، وكانتا مخلصتين فيه ، وزعماؤهما لايرون أنهم يعيشون فى زمن يحدث فيه أي انفصال عن الدولة العثمانية ، ولا أستثني من ذلك غير عدد من أعضاء جمعية الاصلاح البيروتية معروفين ، وكان معهم زملاء لهم من مواطنيهم هم مثال الشهامة والاخلاص وقد قرّروا في أنفسهم أن لايفترقوا عنهم ليمنعوا كل عمل ينافي تلك الخطة ومراميها

ولما تظاهر الاتحاديون بالتخلّي عن شيء من غلوائهم ، وعن تجاهل وجود أمة في المملكة العثمانية ذات حاضر وماضٍ وأعني بها الامة العربية ، فمدّوا أيديهم للاتفاق مع رجال الحزب – بواسطة مدحت شكري بك وسليمان افندي البستاني والشهيد عبد الكريم الخليل – كان رفيق بك في مقدمة المبتهجين بذلك والحريصين على تحقيقه ، لأنه يرى حياة الترك والعرب معاً في هذا الاتفاق الذي لايُبني على نظرية فناء أمة في أمة . ولكن الاتحاديين فهموا الضعف من استعجال رفيق بك وجماعته في إجابة هذه الدعوة الطيّبة ، فنكصوا . وانظرْ ما كتبه رفيق بك في ذلك الى سليمان افندي البستاني بتاريخ ٢٤ يوليو سنة ١٩١٣ :

« صديقي العلاّمة عطوفة سليمان افندي البستاني ناظر الزراعة والتجارة

« في البريد الماضي قدم لكم الاخ اسكندر بك عمون كتابا يشكركم فيه باسم اللجنة على مساعيكم الحسنة في التوفيق بين الحكومة والعرب . وأنا أضيف شكري الخاص الى شكر

اخواني ، وأكتفي بما يخالج ضميركم من معرفة مافي قلبي لكم من الاحترام عن البسط والبيان
« وقد أقرّت اللجنة على ارسال وفد منها لشكر الحكومة والتفاهم معها على بعض النقط المبهمة من الاتفاقية ، ورأت أن أكون أحد أعضاء الوفد ، ولكن الاخبار التي تلقاها قد أدخلت عليّ من اليأس ماجعلني في تردد عظيم . وضمن هذا الكتاب قصاصات من جرائد اقرأوها تعلمون السبب
« وأقسم لكم بالله والشرف أننا منذ قامت حركة الاصلاح الى اليوم دائبون على أن نمحو كل روح تدعو الى الشغب خوفا على هذا الوطن العزيز . فما بال الحكومة وقد وضعت أساس الاتفاق وحسن التفاهم لاتقتدي بلجنتنا لتخطو بالبلاد أول خطوة في سبيل الاصلاح ؟
« الحق أقول لكم انني متردد بعد هذه الحوادث بالسفر ، واذا امتنعت عن السفر امتنع اخواني أعضاء الوفد مالم يروا بدءاً بالعمل في سبيل الاتفاق
« هذا رأيي أبسطه لديكم ، وأرجوكم الجواب عنه تلغرافيا حتى اذا صحت عزيمة الحكومة على العمل الجدي نساعدها بكل قوانا ، والا نبقى حيث كنا ولا تضحك علينا العالم »

ومضى خمسة أسابيع على ذلك الكتاب كان كل يوم منها يأتي ببرهان على أن الاتحاديين لايزالون كما كانوا . وانظر ما كتبه رفيق بك الى حافظ بك السعيد في يافا بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩١٣ :

« ... وقد علمتم أن الجماعة في الاستانة لم يفوا بما وعدوا به ، وما أعلنوه من مواد الاصلاح انما هو طلاء كاذب ، ونحن كلما بعدنا يوما عن اصلاح بلادنا واصلاح أحوالنا قربنا يوما من الخطر الذي سببه فوضى الحكومة ، والجهل الشامل لاصناف الامة . وان الله سبحانه وتعالى اذا سأل الأتراك مرة عن مصير العرب ولا سيما السوريين فانه يسال زعماء الامة العربية مرارا ويعاقبهم عقابا كبيرا
« ها نحن أولاء نرى الاتفاقات بين دول اوربا تعقد لاجلنا ، ونرى حكومتنا تزيد في نفوذ الاجانب في بلادنا ، دون أن يكون لنا من الامر شيء ودون أن يكون لنا رأي حق في التصرف بمرافقنا . وهذه حال لانهاية لها الا انقراضنا وانقراض دولة الترك معنا ، من حيث يظن رجالها انهم يحافظون على دولتهم بالضغط على سواهم ، وبئس هذا الرأي رأي ضعاف المدارك والعقول »

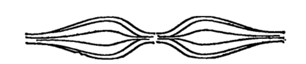
وبعدُ فان رفيق بك ثبت ـ الى يوم انتقاله الى الرفيق الأعلى ـ على مبادئه الاصلاحية الاولى ، وغاياته الشريفة التي نصب نفسه عاملا للوصول اليها . أما ثباته على عهد الامانة والولاء للصحيح من تاريخ سلف هذه الامة فقد صاحبه حتى في فراش مرضه ، ولعل آخر مقال نُشر له في صحيفة سيّارة رسالته الى

جريدة السياسة يوم ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٤١ منتقداً بناء الاحكام السوداء في التاريخ الابيض الناصع على مقدّمات لا يصحّ للمؤرّخ الممحّص أن يعتمد عليها أو أن يكتفي بها

وما قطُّ تألفت في القاهرة جمعية أو قام فيها عمل ذو بال يتفق مع مبادئه الاصلاحية إلا كان في مقدّمة العاملين لانجاحه

ولقد جاءت مناسبات تسنّى فيها لرفيق بك أن يكون في مناصب عالية : عقب اعلان الدستور العثماني ، وعندما تظاهر الاتحاديون بالاتفاق مع سكان الولايات العربية ، وفي الحقبة التي استقلت فيها سوريا بادارتها قبل اللعبة التي دخلت بها جيوش الجنرال غورو عاصمة البلاد السورية . ولكن رفيق بك كان يربأ بنفسه عن أن ينتهي جهاده القومي بمناصب شخصية

كان لي شرف الاتصال برفيق بك العظم منذ كنتُ في الخامسة عشرة من عمري الى أن توفاه الله اليه ، وإني لا أعرف بين من فقدناهم من زعماء نهضتنا أشدّ ثباتاً على المبادىء الصحيحة وأعظم إخلاصاً للوطن والامة من اثنين في شيوخنا وهما الشيخ طاهر الجزائرى ورفيق بك العظم ، واثنين من شبابنا هما الشهيدان الكريمان الامير عارف سعيد الشهابي والدكتور صالح قنباز الذي فتك به سلاح الفرنسويين أخيراً في مدينة حماة ، هذا مع أخلاق سامية أذابتْ أنانيتهم في غيرتهم ، وأفنت مصالحهم الذاتية في ما يعتقدون فيه المصلحة العامة . فرحمهم الله وأحسن اليهم يوم تجزى كل نفس بما كسبت من صالح الاعمال



يشكو الحضارة !

ما كاد يدوي في عاصمة الدولة العباسية (بغداد) صدى القذائف التي صبها رجال التمدن الحديث من الفرنسويين على رءوس الرجال والنساء والشيوخ والاطفال من سكان عاصمة الدولة الاموية (دمشق) حتى هب البغداديون واجين مذعورين غاضبين ، واجتمعت الالوف من جميع طبقاتهم في مسجد الحيدر خانة بعد صلاة الجمعة ، فخطب فيهم الواعظ الشهير الشيخ نعمان الاعظمي واصفا تلك الاعمال الفظيعة ، فأبكى الناس جميعا . وقد تلا أبياتا من القصيدة النونية الاندلسية فكان لها وقع بليغ . وممن تكلم في ذلك الموقف صديقنا العالم الفاضل صاحب هذه القصيدة ، فخطب بلآلىء الدموع ودرر البيان معا ، نثراً ثم نظما ، واختص الزهراء بالقصيدة التى أنشدها يومئذ ، وهذه هى :

قفْ فى المنازل نادباً أطلالَها ... ماذا يفيدك أن تطيل سؤالَها

قد أُحرقت عمداً دمشق فلم تعد ... تصف الجميلة للورى وجمالها

لا وصلُها ذاك الوصال ، وأهلها ... في الغوطتين ، ولا الدلال دلالها

النار تمطرها العشية وابلاً ... والملج ، ويل الملج ، جاس خلالها

لبثت ثلاثا والمدافع تُقذَف ... الرعد يقصف ماحكى جلجالها

والطير ترمي بالشمائل حُوَّماً ... فتزيد فوق خرابها إشعالها

ثلثا دمشق يهدَّمان تمدناً ... ومن الدماء ترى به أسيالها

إن الدخان الى السما متصاعداً ... يشكو الحضارة والوحوشَ رجالها

*
* *

يارُبَّ آمنةٍ هنـاك بسِربْهـا ... تغدو لتصلح دارها وعيالها

أمست وما غير السماء لحافها ... ظلماً ، ولا غير الطريق حمى لها

فهنا مُخدَّرةٌ تغادر خِدْرها ... وبناره قد ألهبت سربالها

برزت تصيح وشعرها متفرق ... سترت به حذر العيون جمالها

وهناك نائحة تنوح لبعلها الثا ... وي ، وتنـدب بعده أطفالها
الله للاطفال كيف غدت لقى ... صرعى القنابل بعثرت أوصالها
تشجيك أيدي صبيةٍ بُترت وأر ... جلها نُثرن يمينها وشمالها
أو عاجلوا الايدي مخافة ضربها ... بالمشرفيّ وهزّها عسّالها
والارجلَ الصغرى مخافة زحفها ... كيما تحطم في غد أغلالها
جمعوا من الاسواق من لم يشترك ... بالحرب ساعة شمرت أذيالها
عُزّلاً وهم أحياء فيها ألهبوا ... بالنفط ، ثم تناهبوا أموالها
نسفوا القرى في الغوطتين واحرقوا ... أشجارها وزروعها وغلالها
ما « الاشرفية » روضة أُنُف ولا ... ضيف « المليحة » يستطيب وصالها [1]
حرموك « داريّا » وطيب كرومها ... لاجنيها تلقى ولا جريالها
قلبي يفيض أسى على « جسرين » ما ... ذكر الصبى مفتونها فصبا لها
ويطول بي لهفي على أخواتها ... تسفي عليها السافياتُ رمالها

***

أعلمت ان (حماة) لم يدعوا بها ... حجراً على حجر يريك ظلالها
عرّج عن الوادي فليس به سوى ... (العاصي) يريق من الدموع سجالها
وسوى النواعير التي بنواحها ... تبكي حماة نساءها ورجالها
تبكي فتى الفتيان « صالحها » [2] الذي ... ما انفكّ يُنهضها وينهض آلها
تبكي على جدث من الانقاض قا ... م مقامها فتخاله تمثالها
تعلوه شاهدة [3] على استبسالها ... يوم الوغى ترجو به استقلالها

---

(١) الاشرفية والمليحة وجسرين وداريا من قرى الغوطة دمرتها الطيارات الفرنسية
(٢) شهيد المروءة والقومية الطبيب « صالح قنباز » منشىء مدرسة دار العلم والتربية بحماة وزعيم شبابها الناهض والركن الركين في كل عمل نافع هناك
(٣) الشاهدة هي القبرية أي الحجر المنقوش ينصب على القبر ليدل على صاحبه

البأس يهوى من حماة أسودها ... وهوى الفتوة لم يدع أشبالها
شلت يد الجاني الاثيم بما جنت ... وانا الكفيل بان أرى شلالها

***

ياعُرب حتى مَ القرار على الاذى ! ... وديارُكم قد غالها ما غالها
اوتجبنُون عن الفرنجة بعد ما ... سامتكُم إرهاقها ونكالها
سلبت رجالَكم النُضارَ وعزةً ... قعساء أو طأت السماك نعالها
ولئن صبرتم للخسيفة بعدها ... فلتسلبن من النساء حجالها
لاتخدعنكمُ غداً أقوالُها ... أقوالها ماشابهت أفعالها
(سلطانُ) حصن بلادنا وثمالها ... لاتتركوا سلطانها وثمالها
إن تنصروه تعدَّكم أنصارَها ... أو تخذلوه تعدُّكم خُذّالها
إن الدروز رجالها اخوانُكم ... لاتُغضبوا إخوانكم ورجالها
فاذا تحلُّ من الحروب كريهة ... فرجالها تخشى الجيوشُ نزالها
وسمعت حمحمة الجياد وقد رأت ... حرب الاسود وثوبها وقتالها
وهم « بنو المعروف » إما لزبةٌ ... وضعت لعمرك في الديار رحالها
رهطي هُم وبهم فخار عشيرتي ، ... فاذا صرمتهمُ صرمت حبالها
ياقوم حتى مَ التقاطع بيننا ... وبه نسنّ من العداة نصالها
لستم لقحطانٍ اذا لم تثأروا ... لبلادكم وتقتّلوا قتّالها
اين الحمية والربوع بلاقع ... تذر النفوس مديمةً بلبالها
طمست محاسنها مدافعهم ضحى ... والطائرات رمت بها أثقالها
فلئن محت منها الرسومَ من الثرى ... لم تمح من قلبي الحزين مثالها

« دار السلام »

ابو قيس

حركة النشر والتأليف

﴿ نقض كتاب الاسلام واصول الحكم ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ﴿ ٢٥٢ ص بقطع الزهراء : ثمنه ١٠ قروش

لما ظهر كتاب (الاسلام وأصول الحكم) للشيخ علي عبد الرازق كنتُ أول من أشار الى بعض مافيه من مواطن الضعف (الزهراء : م ١ ص ٦٥٧ - ٦٦١) عقب لمحة سريعة في الكتاب ، وقلت ان ذلك لايفي ببحث اختصه المؤلف بكتاب سلخ في وضعه عشرة أعوام ، لذلك أترك هذا الموضوع لأهله ممن درسه ومحّصه

وقد صدر الآن من المطبعة السلفية كتاب في نقض كتاب الشيخ علي عبد الرازق بقلم صديقنا العلامة المحقق الضليع السيد محمد الخضر حسين أحد مدرّسي جامع الزيتونة ومن قضاة المحاكم الشرعية بتونس سابقاً ، حلل فيه الكتاب المنقوض تحليلا ، وكشف الغطاء عن مراميه ، وأبان عن وجوه مخالفته للحق . فابتدأ الكتاب المنقوض من فاتحته ، وأورد الجمل المنقوضة واحدةً واحدة بنصها مقرونةً بما يدل علي مكانها من الدين الاسلامى وعلى وزنها في قسطاس الحقائق . قال في مقدمته « لا أقصد في هذه الصحف الى أن أعجم الكتاب جملة ، وأغمز كل ما ألاقي فيه من عوج ، فان كثيراً من آرائه تحدّثك عن نفسها اليقين ، ثم تضع عنقها في يدك ، دون أن تعتصم بسند أو تستتر بشبهة . وإنما أقصد الي مناقشته في بعض آراء يتبرأ منها الدين الحنيف ، وأخرى يتذمّر عليه من أجلها التاريخ الصحيح »

وقد تمكن الاستاذ السيد محمد الخضر من أن يبرز لنا في كتابه صورة الحق

الذي عليه الشرع الاسلامي في أهم المسائل التي حاول الشيخ علي عبد الرازق الكتابة فيها ، مع بيان ما استند اليه هذا النقض من نصوص علمية لفحول العلماء وذكر مواضعها من الكتب المعتمدة مخطوطة ومطبوعة

إن كتاب الشيخ علي عبد الرازق يتضمَّن شُبَهاً وتشكيكات أقيمت مقام الادلة لنتائج وُضعت قبل مقدّماتها ، وأحكام أصدرها صاحبها قبل أن يكون في يده شيء من بيناتها . وجملة الحال في ذلك أنه نظر الى ضعفنا وقوّة أوربا لهذا العهد ، ورأى في كتب الاوربيين أن رجال الدين عندهم كانوا تسلَّطوا باسم الدين على أمم النصرانية فحالوا دون تقدُّمها بما أحدثوه من تشريع لم يكن لهم فيه سلطان من نصوص الدين الاولى ، وسمع أن الاوربيين إنما ارتقوا حين حالوا بين رجال الدين وبين أمور ليست هي من دينهم ، فكان ذلك سبب نجاحهم . فقاس الشيخ حالنا على حالهم متغاضياً عن الفوارق البالغة حد التناقض ، وأصدر في نفسه حكماً بان دين محمد كدين المسيح عليهما الصلاة والسلام « رسالة لا حكم ودين لا دولة » ، ثم أخذ يبحث لهذا الحكم عن بينات فلم يجد غير تلك الشُّبه والتشكيكات التي ما كاد الأستاذ السيد محمد الخضر يعرضها على نصوص الشرع الثابتة وحكمته الواضحة حتى كان مَثَلُ « كتاب الاسلام وأصول الحكم » مع « نقضه » كالمثل الذي ضربه الله تعالى بقوله « وأما الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاء وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكُثُ في الارض »

فنهنيء مؤلف النقض بما توفق اليه من تجويد العمل الذي تصدّى له

﴿ نيل الاوطار — للشوكاني ﴾

نيل الاوطار لقاضي قضاة اليمن محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ من أمهات كتب السنة ، شرح فيه كتاب المجد بن تيمية (جد شيخ الاسلام) الذي سماه المنتقى من الاخبار في الاحكام . وكان نيل الاوطار قد طبع فاقبل عليه المشتغلون بالسنة في العالم الاسلامي حتى نفدت نسخه فشرع الآن الاستاذ الشيخ محمد منير الدمشقي باعادة طبعه بقطع (الزهراء)

﴿ تفسير سورة النور ـ لابن تيمية ﴾

المطبعة العربية ، المكتبة السلفية * ١٣٢ ص بقطع الزهراء : ثمنه ٥ قروش

كتبُ شيخ الاسلام ابن تيمية مما لايجوز لطالب العلوم الاسلامية أن يفوته إدامة النظر فيها ، ليفهم الشرع الاسلامي على وجهه ، ويأخذ أصوله من ينابيعها ببيان فصيح بليغ . ومما كتبه هذا الامام الاكبر تفسيرٌ لسورة النور من كتاب الله الحكيم أشبع فيه القول على جميع المعاني الواردة في هذه السورة الشريفة ، وابن تيمية هو القائل « طالعتُ التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ماشاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير » فلا غرْوَ أن يكون مايكتبه في تفسير كتاب الله من أوفَى وأصحّ ما كتبه العلماء في ذلك . وقد نشر تفسيره لسورة النور الاستاذ الهمام الشيخ محمد منير الدمشقي نقلا عن كتاب الكواكب الدراري في ترتيب مسند الامام أحمد على أبواب البخاري الذي يوجد منه نحو خمسين مجلداً في المكتبة الظاهرية بدمشق

﴿ الفوائد ـ لابن القيّم ﴾

ادارة الطباعة المنيرية * المكتبة السلفية * ٢٢٤ ص بقطع الزهراء : ثمنه ١٥ قرشا

الامام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية ـ كاستاذه شيخ الاسلام ابن تيمية ـ من فحول العلماء الذين طبقوا الارض علماً ، وكانوا ممن جدّد لهذه الامة أمر دينها فردُّوا الناس الى ينبوعه الصافي في صدره الاول . وكتبُ ابن القيّم في جميع العلوم الاسلامية أشهر من ان تذكر ، وقد طبع بعضها ولا يزال كثير منها غير مطبوع ، ومن غير المطبوع كتابان لا يدخلان في فن بعينه وانما كان هذا المؤلف الكبير يعلّق فيهما مسائل تخطر له وتحقيقات يتوقع ان يلحقها فيما بعد بكتاب من كتبه فيثبتها في أحد هذين الكتابين الى

يوم الحاجة اليها . وقد سمّى أحدهما (الفوائد) والثاني (بدائع الفوائد) . أما الثاني فلا يزال مخطوطا ومنه نسخة في الخزانة التيمورية العامرة ، وأما الاول فقد وفق الله الى نشره الآن الاستاذ الشيخ محمد منير الدمشقي نقلا عن كتاب الكواكب الدراري في ترتيب مسند الامام أحمد على أبواب البخاري . وقد اشتمل كتاب (الفوائد) على فوائد شتى ونكت حسان في تفسير آية أو حديث أو أثر سلفي يتعلق بعلم التوحيد القولي والعملي الارادي ، ولا يخلو الكتاب من دقائق مفيدة في علوم العربية وخفايا التاريخ وذوقيات التصوف المقتبس من الشريعة ، كعادة المؤلف في التعرّض لكل هذه المعاني واشباع الكلام عليها . وقد طبع الكتاب طبعاً جميلا على ورق نفيس

﴿كتاب الاربعين في أصول الدين ـ للغزالي﴾

المطبعة العربية ، المكتبة السلفية * ٣٢٠ ص بقطع الجاير

للامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله كتاب عنوانه (جواهر القرآن) يتألف من ثلاثة أقسام عنوان الثالث منها (كتاب الاربعين في أصول الدين) وقد أجاز ان يكتب هذا الكتاب الاخير مفرداً ، فافرده بعضهم وأبقاه آخرون مع كتاب الجواهر ، وعندي نسخة خطية جُمع فيها الكتابان معاً : وانما سماه المؤلف (كتاب الاربعين) لانه أرجع اصول الدين الى أربعين أصلا : عشرة منها في العقائد تسمى علوما ، وعشرة فى العبادات وتسمى أعمالا ظاهرة ، وعشرة في تزكية القلب عن الدنايا وهي الاعمال الباطنة المذمومة ، وعشرة فى الفضائل وتسمى الاعمال الباطنة المحمودة ، فهى أربعون أصلا من أصول الدين التى أراد المؤلف بيانها . وكان حضرة الشيخ محيي الدين صبرى الكردى قد طبع هذين الكتابين من كتب الغزالى ، ثم نفدت نسخ كتاب الاربعين فاعاد طبعه الآن على ورق جيد وقابله بنسخ خطية غير التى طبع عليها فى المرة الاولى

﴿ التوفيق العملي بين الحضارة والاسلام ﴾

مطبعة المنار ، المكتبة السلفية * ٧٦ ص بقطع الزهراء : ثمنه ٥ قروش

وضع هذا الكتاب حضرة العالم الفاضل الشيخ رضوان شافعي المتعافي — من علماء مدرسة القضاء الشرعي — وقد رأى فريقا من الناس يسطون ألسنتهم نحو الدين الحنيف ليسوءوا جماله ، ورأى رجال الدين غير دائبين على تعزيزه ، فكانت مغبة ذلك أنّ شُبَه الحضارة قد رانت على أفئدة كانت لاترى غير الله مذهبا ، ولاتعرف غير القرآن والسنّة منقلبا . فأخذ على نفسه بيان مابين الحضارة والاسلام من اتفاق على تقرير الحقائق ليعلم أهل الحضارة أن الاسلام لايناقضها ، ويعلم أهل الدين الحنيف أنها لاتنبو عنه بل تأوي الى أصوله ويسكن الى مُحْدَثاتها

وطريقته في ذلك أنه اقتطف النظريات الحديثة اليقينية — سواء في ذلك العلوم الكونية كالكيمياء والفلك والحيوان ، وغيرها كعلمي الأخلاق والنفس — ثم اتخذ منها براهين على حكمة التشريع الاسلامي وعلى إعجاز الآيات القرآنية . أي انه يرى النظريات الصحيحة في العلوم وسائل لفهم نصوص الكتاب والسنة وحسن تفسيرها ، وان النماذج التي أوردها في كتابه من هذا القبيل دلت على أن تفسير النصوص الاسلامية بهذه الحقائق العلمية أدلُّ عليها وأكثر التئاماً معها مما كانت تفسر به من قبل

فنشكر للمؤلف خدمته حقائق الدين من هذا الجانب ونرجو الله أن يكثر في أهل العلم من أمثاله

﴿ رفع الارتياب عن حكم الاغتياب ﴾

مطبعة السعادة * ٤٤ ص بقطع الجاير

الغيبة مرض أخلاقي يؤدّي الى نتائج سيئة في المجتمع . وقد زجرَ الله المؤمنين عنه فقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض

الظن إثم . ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه . واتقوا الله إن الله تواب رحيم »

وقد ألف حضرة صاحب الفضيلة السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوي رسالة في تفسير هذه الآية الحكيمة وبيان أسباب الغيبة ونتائجها ، سماها (رفع الارتياب ، عن حكم الاغتياب) . وقد ألم فيها بهذا المبحث الجليل من كل أطرافه ، وتكلم عليه بما يكفي ويشفي . جزاه الله خيرا

﴿ علم الاجتماع ــ الكتاب الثاني ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية * ٣٣٠ ص بقطع الزهراء : ثمنه ٢٥ قرشا

وصفنا في المجلد الاول من الزهراء (ص ٣٤٣) الكتاب الاول من علم الاجتماع الذي ألفه الاستاذ المفضال السيد نقولا حداد ، وكان موضوع ذلك الكتاب (حياة الهيئة الاجتماعية) وتحليلها من الوجهتين المادية والعقلية . وقد صدر في هذا الشهر الكتاب الثاني منه خاصاً بالشطر الثاني من هذا العلم وهو (تطور الهيئة الاجتماعية) ، نظر فيه الى الحياة الاجتماعية من حيث تغيرها في درجات النمو وتحليل هذا التغير للكشف عن كيفية سير الهيأة الاجتماعية في مجرى حياتها . وقد قارن فيه بين اجتماعية الجسم الحي وجسمانية المجتمع ، وبين نواميس التطور الاجتماعي ومنها البيئة والوراثة والتنازع ، وانتقل الى التطور الاجتماعي التاريخي منذ انبثقت الانسانية من الحيوانية الى أن حدث التجمع السلالي فالتجمع الشعبي فتكوين المملكة والدولة بقوة الدين والجندية فدور الحرية الشرعية فدور الدمقراطية السياسية ثم انتقل الى الكلام على دمقراطية المستقبل ومعنى التقدم التمدني وغايته.

ان كتاب (علم الاجتماع) ثمرة دراسة خمسة عشر عاماً قضاها رجل العمل السيد نقولا حداد في جمع مواده وتهذيبها وتنقيحها وتنظيمها ، وقد أحسن في تبويبه وتنسيقه كما أحسن في جمعه وتأليفه . فنشكر له ولناشره الفاضل إلياس افندي انطون إلياس عنايتهما باصدار هذا السفر النفيس

﴿ الموجز في الاجتماع ﴾

مطبعة المفيد بدمشق ٭ ٢١١ ص : ثمنه ١٥ قرشا

عهدت الجامعة العربية في دمشق الى الاستاذ القانوني المفضال عارف بك النكدي – مفتش العدلية في الحكومة السورية – بالقاء دروس في علم الاجتماع على طلبة معهد الحقوق هناك، فوضع في ذلك محاضرات مدرسية قيّمة استخلصها الآن في كتاب عنوانه (الموجز في الاجتماع) وصدر شطره الاول متضمناً مقدمة في علم الاجتماع ، وتاريخه ، والهيأة الاجتماعية [1] ، وتأثيرها ، وعواملها . وبعد المقدمة أربعة فصول : أحدها في الانسان . والثاني في الهيئات الاجتماعية (الاسرة ، الامة ، الانسانية) وحلقاتها وروابطها . والثالث فيما يحفظ الهيئات الاجتماعية (الزواج ، المرأة ، الوطن ، اللغة ، العنصر ، الدين ، المنفعة) . والرابع في الدولة والحكومة وفيه الكلام على منشأ الحكومة وأصناف الحكم ، وعلى القوانين ، والعقوبات ، والقوّة المادية والمعنوية

ولما كان علم الاجتماع حديث الوضع والتدوين ولا يزال في جملته مذهباً اجتهادياً ، لذلك كثرت فيه الانظار [2] وعارض بعضها بعضاً . وقد حاول الاستاذ المؤلف ان يجتنب هذه المتعارضات جهد الطاقة واثبت ما يصلح أن يكون أساساً للنواميس الاجتماعية مما أجمع عليه علماء الاجتماع أو اتفقوا فيه . وقد عزا كل رأي اعتمد عليه الى صاحبه . وامتاز كتابه بالاشارة الى ما سبق العربُ الى معرفته من آراء ومباحث اجتماعية ، واكثرَ من الاستشهاد بالامور الشرقية ، وان ذلك مما يبعث في نفس القارئ العربي الاستئناس بهذا العلم

---

(١) حقق المؤلف ان شيخ الاسلام ابن تيمية استعمل لفظ « الهيئة الاجتماعية » بالمعنى الذي يستعمل به اليوم

(٢) « الانظار » استعملها ابن خلدون لما يعرف اليوم « بالنظريات »

﴿ أعلام المقتطف ﴾

مطبعة المقتطف ، المكتبة السلفية * ٣٣٠ ص بقطع الزهراء : ثمنه ٢٥ قرشا

المقتطف شيخ مجلاتنا ودائرة ثمينة للمعارف العصرية في لغة الضاد . ومما خدم به العربية ماورد فيه من تراجم أقطاب العلم وأعيان العالم . وقد عُنى أخيراً بتجريد خمس وثمانين ترجمة مما نشره في الخمسين سنة الاخيرة فطبعت في كتاب عنوانه (أعلام المقتطف) يحتوي تراجم خمسة من اليونانيين الاقدمين وستة من المصريين والسوريين المتأخرين وأربعة وسبعين من الاوربيين والامريكيين * وقد زُين بصور المترجم لهم ووُضع في آخره فهرس للتراجم وآخر للاعلام التى ورد ذكرها في خلال هذا الكتاب الذى لا يستغنى عنه كل من يريد أن يعرف تاريخ حياة مؤسسي العلوم الحاضرة والذين لهم يد في تقدمها

﴿ مبادىء الرئيس ولسن الدموقراطية ﴾

مطبعة المقتطف ، المكتبة السلفية * ١١٦ ص بقطع الزهراء ثمنه ٥ قروش

لما مرَّ مستر تشارلس كراِنْ الامريكى بالقاهرة عام ١٩٢٢ زار جمعية الرابطة الشرقية وسُرَّ بها ، وعند عودته الى أمريكا أخبر الدكتور وِلْسُنْ رئيس الولايات المتحدة السابق بخبرها فانتخب بعض خطبه ورسائله العامة وخوّل الجمعية القيام بترجمتها ونشرها فى الشرق . وقد فعلت جمعية الرابطة الشرقية ذلك الآن ، وأضافت الى هذه الخطب محاضرة القاها الدكتور ألدرمن رئيس جامعة فرجينيا فى ديسمبر سنة ١٩٢٤ أمام مجلسي الشيوخ والنواب الامريكيين عند اجتماعهما لتكريم ذكرى الدكتور ولسن ، وفيها وصف دقيق لاخلاقه العالية وسياسته النزيهة

ان مبادىء وِاْسُنْ الدموقراطية هى الغاية التى يسعى الشرق فى حاضره للوصول اليها فى مستقبله ، فجدير بالشرق أن يطيل النظر فيها ، وقد أحسنت جمعية الرابطة الشرقية بوضع بعضها بين أيدى قراء العربية تعميماً لها وتقريبا لفوائدها وتسهيلا لتناولها

﴿ في أوقات الفراغ ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية * ٤٠٠ ص بقطع الجاير : ثمنه ١٥ قرشا

للدكتور محمد بك حسين هيكل فصول في الأدب والتاريخ كتب بعضها سنة ١٩١١ — ١٩١٢ في (الجريدة) ، وبعضاً منها سنة ١٩١٥ — ١٩١٧ في (السفور) وكثيراً منها سنة ١٩٢٢ — ١٩٢٥ في (السياسة) . وقد جمعها الآن في مجموعة نشرها له الوصيف الفاضل الياس افندي أنطون الياس محتوية ثلاثة كتب : في صدر الاول منها مقال في النقد ثم ست مقالات عن أناتول فرانس وفصول عن پيير لوتي وقاسم أمين والرئيس ولْسُنْ وكتاب الاخلاق لارسطو الذي ترجمه لطفي بك السيد ودائرة معارف فريد بك وجدي وكتابي الرافعي وزيدان في تاريخ الادب العربي * والكتاب الثاني في آثار الفراعنة وتذكارات الطفولة * وفي الكتاب الثالث ثلاث مقالات حديثة عنوانها : الادب القومي ، القديم والحديث ، العرب والحضارة الاسلامية

ولمؤلف « في أوقات الفراغ » مزية تنظيم أفكاره ، وحسن تأديتها الى ذهن القاريء . وأسلوبه فيها أسلوب « لغة الجرائد » الذي انتصَرَ له في هذا الكتاب غير مرة ، وهو أسلوب يختلف الحكم عليه باختلاف الكاتبين به ، بل أن انشاء الدكتور هيكل نفسه يختلف في فصول كتابه هذا بحسب زمن كتابته بين سنتي ١٩١١ و ١٩٢٥ . وعندي أن التماس السهولة في الانشاء لاينافي تحرّي الجزالة والصحة . ومع ذلك فان الكاتب المصري لايستغني في كثير من الاحوال عن إحياء ألفاظ متروكة للتعبير بها عما ليس له لفظ مأنوس

وقد حاول المؤلف أن يروض نفسه في بعض هذه الفصول على التجرّد ومن الميول الناشئة عن عصبية المرء لقوميته ووطنيته وعقيدته الدينية ، وهذا

التجرّد — اذا كان في سبيل الحق المطلق والانصاف الصحيح — يعدّ في كثير من المواقف من الخلائق الحميدة التي يجدر بمن يشتغل بالعلم أن يتحلّى بها وأن يستعملها بأناة وحكمة ، ولكننا رأينا المؤلف أسرف في ذلك في بعض ماعرض له من القول عن أحوال العرب والاسلام وما كان لهما من آداب وثقافة ، ومن شأن هذا الاسراف أن يذهب بالفائدة المرجوّة من التجرّد

وقد أحسن الدكتور هيكل بك فيما أشار اليه (ص ١٦٤ و٢٢١) من أن حشد المعارف وشحن الكتب بها ليس مما يستحسن كثيراً . وهذا صحيح ، لان حشد المعارف لايسدّ النقص العلميّ في المكتبة العربية الا اذا قام على أساس النقد والتحقيق ، بشرط أن يكون النقد بريئاً من التعصب والتحامل معاً

« نظرية التطور وأصل الانسان »

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية * ٢٢٤ ص بقطع الجاير : ثمنه ١٥ قرشا

نظرية التطوّر — أو النشوء والارتقاء — Evolution هي مبنى التعليل الآن عند العلماء لوجود كل شيء في هذا الكون ، اذ لاشيء مما تقع عليه أنظارنا من مادة الارض وسائر أجرام الكون قد وُجد منذ وجد على هذه الحالة بل هو قد تنقل ولايزال يتنقل من حال الى حال . وهذه النظرية صحيحة بجملتها ولكنها تكون أقرب الى الظنون منها الى الحقائق كلما توغل المفكّر في التفصيل والتعيين والتحديد ، وقد أفرط في ذلك المشتغلون بهذه النظرية حتى إذا رأوا في طبقة من طبقات الارض بقايا ضرس من حيوان منقرض مجهول الشكل تمثّلوا له شكلا وصوروه وأثبتوه في المؤلفات والمجلاّت حتى يظنه عامة القرّاء حقيقة

وقد كُتب بلغتنا شيء كثير عن هذه النظرية العلمية منذ بدأ المقتطف

والدكتور شبلي شميّل يعرّفان بها قراء العربية الى يومنا هـذا ، ولـكن ذلك انما كان يفيد القراء الذين لهم المام بمباديء العلوم الطبيعية من خريجي المدارس الثانوية وما فوقها ، وقد لاحظ ذلك الاستاذ سلامة افندي موسى فوضع في نظرية التطوّر كتاباً اجتنب فيه اصطلاحات العلوم والقضايا العويصة والمسائل التي لا يزال العلماء في حيرة من أمرها واقتصر على مايفهمه جمهور القراء في هذا الباب لتتكوّن عندهم فكرة اجمالية لما كان عليه هذا الـكون وما صار إليه

وقد نشر هذا الـكتاب رصيفنا الفاضل الياس افندي انطون الياس وزينه بالصور الـكثيرة

﴿ عم متولى ـ وقصص أخرى ﴾

المطبعة السلفيه ومكتبتها * ٢٣٠ ص بقطع الجاير : ثمنه ٥ قروش

هو عنوان مجموعة ثانية للسري المفضال محمود بك تيمور تحتوي احدى عشرة أقصوصة من نوع الاقاصيص التى نشرها من قبل بعنوان « الشيخ جمعه وقصص اخرى » وقد وعد المؤلف فى مقدمة مجموعته الجديدة أن يثابر على هذا النوع من التأليف رغبة فى تجويده

والذى يطالع هذه الاقاصيص يتنقل منها بين صفحات الحياة المصرية ويطلع فيهـا على خبايا النفوس وأسرار الاسر من طبقات مختلفة اختارها الـكاتب موضوعاً لقصصه التى ان تكن فى ظاهرها اداة من أدوات التسلية للذين اعتادوا قتل الوقت بمطالعة الروايات فهى فى الحقيقة تحليل علمى لاخلاق جماعات يعرضها المؤلف على قرائه فى أشخاص هذه الاقاصيص

وكان فى نية محمود تيمور بك أن يجعل فى أول مجموعته الثانية مقدمة فى نشوء الاقصوصة وتطورها ، ولـكن اتساع أطراف البحث حمله على ارجائها لمجموعة ثالثة وعد باصدارها قريباً

﴿ مجموعة أربع محادثات ـ للسيد محمد بن الحسين ﴾

مطبعة العرب بتونس * ٤٧ ص بقطع الزهراء

أهدتنا جمعية قدماء المدرسة الصادقية بتونس نسخة من مجموعة تحتوي أربع محادثات (محاضرات) لنائب رئيسها الاستاذ السيد محمد بن الحسين: الاولى في « الفنون الجميلة وعلاقتها بالرقي » والثانية عن « أثر الوسط في تكوين الكتّاب » وعنوان الثالثة « هل تتطور اللغة ؟ » والرابعة « موقفنا إزاء التعليم »

إن الفاضل صاحب هذه المحاضرات على صواب فيما ينشده للغة العربية حتى تكون لساناً صالحاً لوصف كل مافي عصرنا من مظاهر حضارته وثمراتها وضروب تفكير أهلها ، وأن يكون فيها لكل شيء لفظه الدالّ عليه . ولكن السبيل الى ذلك فيما نرى بعيد عما جرى عليه ادباء لم يدرسوا اللغة كالذين أشاد بذكرهم في آخر ص ٣٩ ، لأن فاقد الشيء لايعطيه ، والنقص الذى نشعر به في لغتنا لايستطيع أن يكمله فريق الجامدين كما لايستطيع ذلك فريق الاباحيين ، لأنه — مثل كل عمل علميّ — لايتمّ الا على أيدي كبار رجال الاختصاص وفقاً للقواعد العلمية المقررة في اللغة العربية من عهد ابن جنّي واضرابه من علماء فقه اللغة . ان جميع العقلاء يشاركون الفاضل صاحب هذه المحاضرات فيما ينشده من الترقي للغة العربية ، ولكن من العبث أن يتمّ ذلك الا على أيدي أهل الكفاية من الاخصائيين فيه ، عند ما تتهيأ لذلك الاسباب التي ليس منها بدّ

﴿ ذيل على كتاب الاشارة الى من نال الوزارة ﴾

مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة * ٢٤ ص بالقطع الكامل

أشرنا في م١ ص ٢٨٧ الى عناية العالم المفضال السيد عبد الله مخلص بتحقيق كتاب (الاشارة الى من نال الوزارة) لابن منجب الصيرفي صاحب ديوان الانشاء في القاهرة على عهد الحاكم بأمر الله . وقد أصدر الاستاذ الآن

ذيلاً لهذا الكتاب يتضمن تصحيح الخطأ ، واستدراكات علمية على الحواشي التي كان حلى بها متن الكتاب ، وسبع فهارس أبجدية : أحدها لاسماء الكتب التي رجع اليها في التحقيق والتعليق ، والثاني لاسماء الكتب المذكورة في متن الكتاب ، والثالث لاسماء الدواوين والعالات والمصطلحات الواردة فيه ، والرابع للنعوت والالقاب ، والخامس لاسماء القبائل والاجيال والشعوب ونحوها ، والسادس لاسماء الرجال ، والسابع لاسماء البلاد والاماكن . فكان هذا العمل اللاحق كالا للعمل المجيد السابق

﴿ قضايا التاريخ الكبرى ﴾

مطبعة الهلال ، المكتبة السلفية * ٢٦٠ ص بقطع الزهراء : ثمنه ١٥ قرشا

ألف الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامي كتاباً بهذا العنوان جمع فيه خلاصة أربع عشرة قضية من القضايا الكبرى التى حوكم فيها رجال في حوادث كان لها شأن في التاريخ الاوربي ، الا واحدة منها مصرية وهي محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر قائد جيش الاحتلال الفرنسوي في مصر . وقد حلي الكتاب بصور تاريخية ذات شأن في تلك القضايا ، وفي أوله مقدمة بقلم الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل بك القى بها نظرة نافذة الى الكتاب وموضوعه ومزاياه وما قد يؤخذ عليه . وهذا الموضوع مما يجد فيه القارىء لذة القصص وفائدة التاريخ

﴿ مجموعة صور عظماء الشرق ﴾

نشرت ادارة الهلال صُوَر محمد علي باشا واسماعيل باشا وعلي باشا مبارك ومحمود باشا الفلكي والسيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وأحمد فارس افندي الشدياق والشيخ علي يوسف ومصطفى باشا كامل وقاسم بك أمين والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ ناصيف اليازجي والسيد مصطفى المنفلوطي والمعلم بطرس البستاني وجرجي بك زيدان والدكتور فنديك * وجعلت خلف كل صورة ملخص ترجمة صاحبها . وهي ذكرى جميلة لهؤلاء العظماء

انباء اجتماعية

﴿ متحف صحي في القاهرة ﴾

صدرت ارادة صاحب الجلالة ملك مصر بانشاء متحف صحي في القاهرة تعرض فيه نماذج وصور تمثل الامراض المختلفة التي تفتك بسكان وادي النيل ، وتوضح أسبابها وطرق انتشارها ، ليسهل على من يشاهد هذه النماذج والصور ادراك وسائل اجتنابها وطرق اتقائها . وقد تفضل جلالة الملك بمنح أربعة آلاف وخمسمائة جنيه مصري لاعداد الوسائل اللازمة لهذا المشروع الذي سيعنى القائمون به عناية خاصة بعرض أنفع الطرق العملية لتربية الطفل وتغذيته والعناية به . ويخصص قسم من المتحف لبيان طرق المعيشة الصحية ومايتبع ذلك من العناية بالمسكن واختيار الملابس الملائمة والاغذية الصالحة . وسيعين اخصائي لارشاد الزائرين الى أهمية المعروضات وشرحها لهم . وتلقى في المتحف محاضرات للجمهور في الشئون الصحية موضحة بالسينما والفانوس السحري

﴿ مؤتمر مكة الاسلامي ﴾

أرسل الامام عبد العزيز بن سعود سلطان نجد كتباً الى رؤساء حكومات مصر وتركيا والعراق والافغان وايران يدعوهم بها الى الاشتراك في عقد مؤتمر اسلامي بمكة المكرمة للنظر في المبدأين الآتيين :

١ — أن يكون الحجاز للحجازيين من جهة الحكم ، وللعالم الاسلامي من جهة الحقوق المقدسة التي له هناك

٢ — استفتاء الحجازيين في اختيار حاكم لهم تحت اشراف مندوبي العالم الاسلامي بالشروط التالية :

ا . أن تكون الشريعة الاسلامية السلطان الاول والمرجع للناس كافة

ب . وأن تكون حكومة الحجاز مستقلة في داخليتها ، على أن لاتحارب أحداً ، وأن لاتعقد اتفاقات سياسية مع أية دولة ، وأن لاتعقد اتفاقات اقتصادية مع دولة غير اسلامية

ج . وأن يتولى مندوبو الامم

الاسلامية تحديد حدود الحجاز ووضع النظم المالية والقضائية والادارية لتلك البلاد المقدسة .

د . يحدد عدد مندوبي الامم الاسلامية باعتبار المركز الذي تشغله كل دولة في العالم الاسلامي والعربي ، وينضم اليهم ثلاثة مندوبين من جمعية الخلافة وجماعة أهل الحديث وجمعية العلماء في الهند

﴿ آل قاجار ﴾

عرضت حكومة رضا خان في طهران اقتراحاً على مجلس الامة الايرانية بخلع الشاه أحمد خان وأسرته (آل قاجار) التركمانية من الحكم حباً بمصلحة الامة الايرانية وخير الوطن . فوافق المجلس على ذلك بأكثرية ٨٠ صوتاً من ٨٥ ، وقرر أن يعهد بالحكم مؤقتاً في دائرة النظام الدستوري الى الوزير الأول رضا خان الفهلوي الى أن تنعقد الجمعية الوطنية المؤسسة فتقرر نظام الحكم الدائم ولما أعلن هذا القرار في طهران اطلق سبعة مدافع إيذاناً بانتهاء حكم الأسرة التركمانية ، وخرج ولي عهد الشاه من قصر الملك مع ذويه . وقد اعترفت بهذا التغيير حكومات بريطانيا العظمى والمانيا وإيطاليا وروسيا وبلجيكا ومصر والولايات المتحدة وبولونيا

وأصل أسرة (قاجار) من عشيرة تركمانية تنزل بين طبرستان واستراباد في شمال فارس ، وأول من تولى الحكم منها في ايران رئيس لهذه العشيرة اسمه (محمد حسن) على أثر الفوضى التى ظهرت فى البلاد بعد نادر شاه ، وجاء بعده ابنه (آقا محمد) فكان في جلاد وعراك مع أسرة (زند) الى أن تغلب عليها ، وهو الذي اتخذ (طهران) عاصمة لقربها من منازل عشيرته وأنصاره وكانت قبل ذلك قرية لا أهمية لها . ويعتبر بدء تأسيس دولة آل قاجار سنة ١٢١٠هـ التى جلس فيها آقا محمد على عرش إيران وجاء بعده ابن أخيه فتح علي شاه سنة ١٢١٢ ثم محمد شاه حفيد فتح علي سنة ١٢٤٨ ثم ناصر الدين شاه سنة ١٢٦٤ ثم مظفر الدين شاه سنة ١٣١٤ . ثم جاء بعده محمد علي شاه الذي خلع لعدم قبوله الحكم النيابي . وتولى بعده أحمد خان الشاه الحالى الذي كان خاتمة الملوك الايرانيين من أسرة قاجار

تمثال للفردوسي

تبرع السر هورمسجي أونوالا — المثري الهندي — بنصف نفقات تمثال يقام أمام دار النيابة الفارسية في طهران للشاعر الفارسي الاكبر أبي القاسم الحسن بن اسحاق الفردوسي (٣٢٠ ـ ٤١١ هـ) . وقد اكتتب آخرون في بومباي بربع النفقة . والربع الاخير ـ وهو ٥٠٠٠ روبية ـ سيجمع من البلاد الاخرى . وأبو القاسم الفردوسي هو ناظم (الشاهنامة) للسلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي في تاريخ فارس وأخبار الاكاسرة وأساطير الفرس . وهي في ستين ألف بيت عكف على نظمها في ثلاثين عاماً ، وتعد الشاهنامة عند الفرس بمنزلة الالياذة عند اليونان

حوض أثري

في أحد منازل اسرتنا في دمشق (١) حوض حجري يرجع تاريخه الى ماقبل ألف وسبعمائة سنة مكتوب عليه باليونانية اسم حاكم دمشق لذلك العهد وهو سيواروس بن اسقايونوس

مومياء توت عنخ أمون

تم فحص جثة فرعون مصر توت عنخ أمون فظهر من الوجهة التشريحية أن هذه الجثة هي جثة ذكر مراهق ، لأن هيكل العظم يدلّ على أن نموّه الطبيعي لم يكمل بعد . وكان الجسم في حالة هزال عظيم ومفحمًا (مُكَرْبَنًا) ، وفي قدميه حذاء من الذهب ، وعلى كل ابهام من القدمين ـ وكذا على كل إصبع ـ غطاء من الذهب ، ولم تظهر الى الآن آثار لمستندات كتابية . وساعدا الجثة محلان بجواهر نفيسة ، وما على الجثة من الحلي يفوق بكثير ما كان يمكن تصوّره ، أما التابوت نفسه فهو من الذهب الصب

من خسائر دمشق

لأجل أن يدرك من لا يعرف مدينة دمشق فداحة الكارثة التي نزلت بها في اليومين اللذين كانت فيهما تحت قذائف المدافع يكفيه أن يعلم أن منزلا من منازلها التي احترقت — وهو منزل عارف بك القوتلي في زقاق سيدي عمود — قدّرت خسائره المادّية بثمانين ألف جنيه ذهباً ، وذلك غير قيمته التاريخية التي لا تعوّض بمال

(١) هو منزل العالم الفاضل الشيخ هاشم الخطيب في زقاق البرغل على مقربة من باب الجابية أحد أبواب دمشق

﴿ جمعية نشر الكتب العربية ﴾

أما وقد بدأت تظهر ثمرات العمل الذي أخذت (جمعية نشر الكتب العربية) عن عاتقها القيام به ، فقد حق علينا أن نلفت الانظار اليها ، ونعرف القراء بشيء من أمرها

تأسست هذه الجمعية منذ عهد قريب ، والغرض من تأسيسها أدبي قبل كل شيء ، وهو حسن اختيار الكتب التي في طبعها فائدة للنهضة العلمية الاسلامية الحاضرة ، والعناية بتصحيحها ووضع الفهارس لها ونشرها للقراء

ومن مؤسسي هذه الجمعية صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قرّاعة مفتي الديار المصرية وصاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري وأصحاب السعادة احمد تيمور باشا عضو مجلس الشيوخ وأبو بكر يحيى باشا والسيد علي جلال بك الحسيني المستشارين بمحكمة الاستئناف وأصحاب الفضيلة الشيخ خليل الخالدى رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس . والاستاذ الشيخ احمد الاسكندرى من كبار مدرسي مدرسة دار العلوم والشيخ عبد المعطي السقا المدرس بالقسم العالى بالازهر والشيخ محمد كامل القصاب من كبار العاملين على نشر المعارف في سوريا والأستاذ عبد العزيز بك المويلحي المحامي الشهير والعالم التونسى الجليل السيد محمد الخضر حسين والأستاذ الفاضل الشيخ محمد عبدالسلام القبانى من علماء الازهر

وقد نشرت هذه الجمعيات كتاب (الموشح) للمرزبانى وهو أوفى كتاب عربي فى نقد الشعر فى نحو ٥٠٠ صفحة وشرح العلامة الاسنوى على كتاب المنهاج فى الاصول للقاضى البيضاوى مع حاشية الاستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت فى ثلاثة مجلدات كبيرة صدر بعضها ويتم الباقي قريباً ، وطبعت المغني عن الحفظ في ما لم يصح فيه شيء من الحديث النبوي لعمر بن بدر الموصلى . وقررت أخيراً طبع كتاب جليل الفائدة وهو (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) لابن العماد فى أربعة مجلدات كبرى تضمن خلاصة تاريخ الاسلام وتراجم مشاهير الرجال من السنة الاولى للهجرة الى سنة ١٠٠٠ وهو من هذه الوجهة أوفي كتاب في موضوعه .

﴿ الثورة السورية ﴾

سورية بلاد تعرف معنى القومية، وتعد نفسها فى جهاد مقدس الى ان تكون سيدة نفسها. وقد بدأت تذوق لذة هذه السيادة سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩ ـ ١٩٢٠م) لولا ان القوة القاهرة سلبتها مظهر الاستقلال وبقيت حقيقته عقيدة متأصلة فى قلوب الرجال والنساء، والشيوخ والاطفال: يترنم الجميع باناشيدها، ويترقبون ساعة نشورها.

ما برح المترجمون عن هذه العقيدة من المشتغلين بالسياسة السورية يزور بعضهم السجن أو المنفى، ويفد بعضهم الى أوربا فى كل عام معربين لاقطاب السياسة ورجال جمعية الامم عن عقيدة السوريين القومية وعن تذمرهم من نظام الانتداب. فكان ساسة أوربا يصغون الى أقوال فرنسا القوية ويصمون آذانهم عن تلبية مطالب السوريين لانهم ضعاف، مكتفين بمقابلة وفودهم المقابلة الحسنة التي يقتضيها مقامهم الاجتماعي

ولما حضر النائب الفرنسوي المسيو برونه الى ديار الشام يسأل أهلها رأيهم في الادارة الحاضرة كان فيما طلبته الامة أن يكون لها الحرية التامة في انتخاب جمعية تأسيسية تضع قانون البلاد الاساسي ثم يكون لها مجلس نواب حقيقي تعتمد عليه الحكومة الوطنية وتكون مسئولة تجاهه. فقال لهم النائب برونه في تصريح له نشرته جريدة (الاحرار) البيروتية يومئذ: « ان هذا طلب ثوري لا تناله أمة الا بالقوة »

كل هذا كانت الامة تراقبه بتؤدة، وتصغى اليه برباطة جأش، حتى اذا لم يشأ القابضون على زمام الامر فى سوريا أن يفهموا هذه اللغة يكن حينئذ من المشروع للامة أن تعرب عن ارادتها وعقيدتها بلغة أخرى عند أول فرصة

واتفق أن انقدحت شرارة صغيرة فار بها دم الامة السورية النقي الاصيل الرابض أهله فى معاقل الجنوب، وأعني بهم الدروز، فنهض سائر اخوانهم من السوريين معهم، حتى أصبح أربعة أخماس بر الشام اليوم تحت ادارة الثوار العادلة يفصلون فى قضاياها ويجندون أهلها للاشتراك فى العمل لتحقيق العقيدة القومية. ولم يرتفع حتى الآن صوت من لسان رجل صادق مدعياً أن زعماء الثور

عملوا عملا صغيراً أو كبيراً إلا الذي يستحقّ أن يسجَّل لهم في تاريخ المآثر والمفاخر

ولما أسرفت قيادة الجيش الفرنسوي في صب القذائف الجهنمية من الطيارات وفوهات المدافع على المنازل — وفيها الموالون لهم والمخاصمون ، وفيها المرأة الحامل والطفل المولود — وتكرّر ذلك بعد القرى في القصبات ثم في مدينة حماه الشهيرة ثم في جنة الدنيا دمشق فاستمر تدميرها وإحراقها بالموادّ الجهنمية خمسين ساعة متواصلة ، هاجت حينئذ أقطار الشرق الاسلامي ، وماجت جوانبه ، وارتفع الصوت باستفظاع ذلك في الهند وفارس والعراق ومصر وفلسطين وكان لذلك أثره في الرأي العام الاوربي . ومع أن هذا العمل البشع هو من أثر النظام الذي تدار به البلاد لا من عمل الذين يتولون ادارتها فقد رأت حكومة فرنسا المركزية أن تضحي بمندوبها في سوريا تسكينا للخواطر ، فاستدعت الجنرال سراي وندبت لمنصبه رجلا غير عسكري وهو المسيو هنري دوجوفنيل الذي جعل يصرح بأقوال عامة قاصداً بها أن يوهم السوريين انهم على أبواب اصلاح يقربهم خطوات من غايتهم ، ولكن السوريين تعلموا من الامثولة المصرية أن العبرة للافعال لا للاقوال ، ومن سجايا العربيّ أن يتأثر دماغه من طريق نظره أكثر مما يتأثر من طريق سمعه

﴿ الافرنجي أمس واليوم ﴾

قال الأمير شكيب ارسلان في مقال له بالشورى « ان الافرنجي هو الافرنجي ماتغير شيء من طبعه ، فهو اليوم كما كان عندما زحف الينا من ثمانمائة سنة بما فيه من الظمأ الى الدماء ، والقرم الى اللحم . وان هذه المدنية التي يتدرع بدعواها إن هي إلا غطاء سطحي لما هو كامن في طبعه ، متهيّء للظهور لأدنى حادث ، فالمدنية العصرية لم تزد الافرنجي إلا تفننا في آلات القتل ، وفصاحة في التمويه وتسمية الاشياء بغير أسمائها . وبالجملة فالذي ازددناه منه هو الرثاء لاغير »

﴿ مكتبة سوهاج ﴾

يشكو أدباء مدينة سوهاج ما انتاب مكتبتها من إهمال . وهذه المكتبة كان قد أنشأها المرحوم علي أبو الفتوح باشا أيام كان مديراً لجرجا ،



ج ٥ : م ٢ القاهرة جمادى الاولى ١٣٤٤

الازهر

٣٥٩هـ — ١٣٤٤هـ

يا معبداً أفنى القرونَ جدارُه	وطوى الليالي ركنُه والاعصرا
ومشى على يبس المشارق نورُه	وأضاء أبيضَ لجها والاحمرا
وأتى الزمان عليه يحمي سُنةً	ويذود عن نسك ويمنع مشعرا
عين من الفرقان فاض نميرها	وحيا من الفصحى جرى وتحدّرا
ان الذى جعل (العتيق) مثابة	جعل (الكناني) المبارك كوثرا
العلم فيه مناهلا ومجانيا	يأتي لها النزّاع يبغون القرى

شوقي

﴿ أوّلية الازهر ﴾

اختلّ أمر مصر بعد موت كافور الاخشيدي (١٠ جمادى الاولى سنة ٣٥٧) فكتب جماعة من اعيانها ورجال الدولة فيها الى أبي تميم المعزّ لدين الله مَعَدّ الفاطمي أمير المغرب يطلبون منه عسكراً ليسلّموا اليه إدارة البلاد المصرية . فجهّز المعزّ جيشاً سار من القيروان — يوم الجمعة ١٤ ربيع الاول سنة ٣٥٨ — بقيادة أبي الحسن جوهر بن عبد الله . وفى يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ تمّ للقائد الفاطمي جوهر فتح مملكة مصر ، وكانت قاعدتها (الفسطاط [1]) فأنشأ جوهر شمالها

(١) هى مصر القديمة الآن

ـ حيث كانت مضروبة خيام جيشه ـ مدينةً أخرى دعاها (المنصورية [١]) .
وابتدأ البناء بمسجد المدينة الجديدة وهو (الازهر) يوم السبت ٢٢ جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ . ولما بلغ في البناء الى المحراب كتب بدائرة القبة التي اقيمت عليه في الرواق الاول على يمنة المنبر والمحراب :

« بسم الله الرحمن الرحيم * مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين * على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي * وذلك في سنة ستين وثلاثمائة »

وتم بناء الأزهر ـ وما حوله من قصور الخلافة وبيوت كبار رجال الدولة ـ في نحو ثلاثين شهراً . وأول جمعة صلاها الفاطميون في مسجدهم الجديد (الازهر) كانت يوم ٦ رمضان سنة ٣٦١ هـ

ولم يكن في العاصمة المصرية من المساجد الكبرى يوم بني الازهر سوى اثنين : جامع عمرو بن العاص الذي شيده بالفسطاط عام ٢١ هـ ، وجامع ابن طولون الذي بناه على جبل يشكر في القطائع ـ بين الفسطاط والقاهرة ـ عام ٢٤٧ هـ ثم كان لها مسجدان آخران : الازهر هذا ، والانور وهو الجامع الحاكمي الذي بني سنة ٣٩٣ هـ على ما سيأتي . والمظنون أن (الازهر) انما سمي بهذا الاسم لان الفاطميين أرادوا أن يشيروا به الى اسم السيدة فاطمة (الزهراء) عليها السلام لانهم ينتسبون اليها .

﴿ الأزهر زمن الدولة الفاطمية ﴾

ذكر المقريزي أن أول ما درّس في الازهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة ، فانه في صفر عام ٣٦٥ جلس قاضي مصر (أبو الحسن عليّ بن النعمان بن محمد بن حيّون) بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وأملى مختصر أبيه في

(١) ولما حضر المعز الفاطمي الى مصر بعد أربع سنوات سماها (القاهرة المعزية)

الفقه عن أهل البيت ويعرف هذا المختصر بـ (الاقتصار) وكان جمعاً عظيما ، وأثبت أسماء الحاضرين

واستمرّ الحال على ذلك الى سنة ٣٧٨ حيث تولى الوزارة يعقوب بن كلّس للخليفة الفاطمي أبي منصور العزيز بالله نزار ابن الملك المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ وكان الوزير من كبار العلماء ، وكذلك كان الخليفة وآباؤه من قبله من فحول العلماء أيضا ، فاختارت الحكومة خمسة وثلاثين عالما من الطبقة الاولى فى المعارف الاسلامية لذلك العهد وجعلتهم مدرّسين في الازهر يسكنون في منازل أنشأتها لهم حول الجامع الأزهر [1] ، وكبير العلماء يومئذ أبو يعقوب قاضي الخندق ، فاذا كان يوم الجمعة حضر هؤلاء العلماء الى الازهر ، وتحلّقوا فيه بعد الصلاة لقراءة الفقه ومدارسة الحكمة وعقائد الدين وفنون الادب

ولم يقتصر نشر العلم زمن الوزير ابن كلّس على ما يُلقى من الدروس في الازهر ، بل ان الوزير رتّب في داره العلماء — من الادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين — وأجرى لجميعهم الارزاق . والوزير نفسه الف كتابا في الفقه يتضمن ما سمعه من الخليفة المعزّ لدين الله ومن ابنه العزيز بالله ، وهو مبوّب على أبواب الفقه الفاطمي . وكان للوزير مجلس يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل ، ومجلس آخر يوم الجمعة يقرأ فيه مصنّفاته على الناس بنفسه . وكان لعلماء الازهر صلة من مال الوزير في كل سنة ، وكان الخليفة العزيز بالله يخلع عليهم في عيد الفطر ويحملهم على البغال

وفى زمن الحاكم بامر الله زُيّن الازهر بقناديل من الفضة تعلّق فيه فى شهر

(١) هذه المنازل ألحقت بالازهر فيما بعد وصارت من أروقته . ولعلّ سكنى علماء الازهر وطلبته في مثل هذه المنازل المجاورة له من قديم الزمان هو السبب في اطلاق لقب «المجاورين» على المشتغلين بالعلم في هذا المعهد

رمضان . وكان الازهر ومناراته ينار بالمصابيح أيام الخلفاء الفاطميين بزينة باهرة فى المواسم . وفى قصر الخلافة منظرة مخصوصة تطلّ على الازهر يشاهد منها الخليفة تلك الزينة واسمها (منظرة الجامع الازهر)

وكان فى محراب الازهر منطقة فضة بقيت الى زمن السلطان صلاح الدين والمنبر الاصلى القديم الذي انشيء للازهر فى بداية تأسيسه نقل فيما بعد الى الجامع الحاكمى

وكان الخلفاء الفاطميون يخطبون بانفسهم على منبر الجامع الأزهر [1] ، واستمر

(١) من مراسم خطبة الخلفاء الفاطميين في الجامع الازهر أن متولي خزانة الفروش الخليفة يحضر الى الجامع قبل صلاة الجمعة فيتلق المقصورة التي برسم الخليفة ، والمنظرة ، وأبواب المقاصير . ثم يركب متولي بيت المال . وتفرش في الحرم السجادات اللطيفة ، والحصر ، ويطلق البخور ، وتغلق أبواب المسجد ، ويجعل عليها الحجاب والبوابون . فاذا دنا وقت حضور الخليفة الى الجامع ضربت السلسلة ولا يمكن أحد من الترجل الا عندها . ثم يركب الخليفة ويسلم لكل واحد من مقدمى الركاب في الميمنة والميسرة أكياس الذهب والورق والفضة ، سوى الرسوم المستقرة والهبات والصدقات في طول الطريق . ويخرج الخليفة والمظلة بعشدة الجوهر على رأسه ، وعليه الطيلسان . فيسير الخليفة في أسواق زينت دكاكينها بأواني الذهب والفضة ، الى أن يصل الى الجامع ووزيره بين يديه . فترفع السلسلة ، ويبقى الخليفة راكبا الى باب الجامع الازهر ، فينزل ويدخل من باب الجامع الى الدهليز الاول الصغير ، ومنه الى القاعة المعلقة التى كانت برسم جلوسه ، فيجلس فى مجلسه ، وترخى القرمة الحرير (وهي ستر رقيق أحمر أو ملون ، فيه رقم ونقوش) ويقرأ القارئون ، وتفتح أبواب الجامع حينئذ ، فاذا كان وقت الاذان أذّن مؤذنو القصر كلهم على باب مجلس الخليفة ، ورئيس الجامع على باب المنبر وبقية المؤذنين في المآذن . وعند ما يسمع قاضي القضاة الاذان يتوجه الى المنبر ويقبل أول درجة ، وبعده متولي بيت المال ومعه المبخرة وهو يبخر أيضا . ولا يزالان يقبلان درجة بعد أخرى الى أن يصلا ذروة المنبر ، فيفتح القاضي بيده التزرير ، ويرفع الستر ويتناول من متولي بيت المال المبخرة وهو يبخر ، ثم يقبلان الدرج وهما نازلان بظهورهما ، وبعد نزولهما يخرج الخليفة ـ والقارئون بين يديه بتلك الاصوات اللطيفة ـ الى أن يصعد المنبر فاذا صار بأعلاه أشار للوزير بالطلوع ، فيطلع اليه فيقبل الدرج حتى يصل اليه فيزرعليه القبة ثم ينزل الوزير ويقف على الدرجة الاولى ويجهر القراء بالقراءة ثم يكبر المؤذنون ثم يشرعون في الصمت ويخطب الخليفة ، حتى اذا فرغ من الخطبة طلع اليه الوزير وحل الازرار فينزل الخليفة ومن يمينه الوزير وعن يساره القاضي والداعي بين يديه . والقاضي والداعي هما اللذان يوصلان الاذان الى المؤذنين حتى يدخل الخليفة المحراب ويصلي بالناس ويسلم ، فاذا انقضت الصلاة أخذ لنفسه راحة بالجامع بمقدار ما يعرض عليه الرسوم ويفرق الاحسانات

الحال على ذلك فيه من العبادة والتعليم معاً الى أن ضاق بالمصلّين ، فأنشأ الحاكم بأمر الله أبوعلي منصور بن عبدالعزيز نزار في سنة ٣٩٣ بناء الجامع الانور الذي عرف بالجامع الحاكمى بين بابى النصر والفتوح فشارك الجامعُ الحاكمي الجامعَ الازهر فى العلم والعبادة ، وصار الخليفة يخطب مرة فى الازهر ، ومرة فى الجامع الانور، ومرة في جامع عمرو بن العاص ، ومرة فى جامع ابن طولون

وجدّد الحاكم بأمر الله الازهر، وهو أول من وقف الاوقاف عليه [1] ، ثم تبعه مَن بعده فى أسداه الخيرات الى المشتغلين بالعلم فى هذا المعهد الاسلامى

وفي سنة ٤٢٧ هـ تولى الخلافة الفاطمية المستنصر بالله معدّ بن الظاهر لاعزاز دين الله ، وفي مدة خلافته جدّد الجامع الازهر . ثم اقتفى أثره حفيده المنصور أبو على الآمر بأحكام الله الذي تولى الخلافة سنة ٤٩٥ فأحدث في الأزهر تجديداً . ويوجد الآن فى دار الآثار العربية لوح من خشب كان يعلو محراب الجامع الازهر الذى بناه المنصور أبو علي وقد كتب عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم * حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين * أمر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الازهر سيدنا المنصور أبو علي الامام الآمر بأحكام الله »

---

(١) لم يقتصر وقف الحاكم على الجامع الازهر بل شمل الجامعَ الحاكمي وجامع المقس ودار العلم بالقاهرة وهي من بناء الحاكم أيضا نقل اليها الكتب العظيمة وأجلس فيها العلماء . وقد وقف على هذه المعاهد الاربعة رباعا واسعة بمصر . وحفظ لنا التاريخ نص كتاب الوقفية الذي ذكر فيه جميع الرباع الموقوفة بحدودها . ثم قال :

« يؤجر ذلك في كل عصر من ينتهي اليه ولايتها ، ويرجع اليه أمرها ، بعد مراقبة الله واجتلاب ما يوفر منفعتها ـ من اشهارها عند ذوي الرغبة في اجارة أمثالها ـ فيبتدأ من ذلك بعمارة ذلك على حسب المصلحة وبقاء العين ومرمته ، من غير أجحاف بما حبس ذلك عليه . وما فضل كان مقسوما على ستين سهما : فمن ذلك للجامع الازهر الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع ، يصرف ذلك فيما فيه عمارة له ومصلحة ، وهو من العين المعزّي الوازن ألف دينار وسبعة وستون ديناراً ونصف دينار وثمن الدينار »

ثم يأتي في كتاب الوقفية على كيفية توزيع ريع الوقف ومصارفه

ثم تولى سنة ٥٢٤ أبو الميمون الحافظ لدين الله عبد المجيد فجدد فى الازهر أبنية وأنشأ فيه (مقصورة فاطمة الزهراء) وهى مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى فى مقدمة الجامع بداخل الرواقات

ولما أمرت الحكومة المصرية سنة ٥٦٣ - أو ٥٦٤ - باحراق مدينة الفسطاط وأضرمت فيها النار ٥٤ يوماً خوفا من الافرنج أن يملكوها تغيَّر ما فيها من معالم أوقاف الازهر ودرست

وكان الازهر من أول عهد انشائه الى اليوم مشتملا - كسائر الجوامع الاسلامية - على حرم مسقوف ، وصحن مكشوف . وان المقصورة الكبيرة التي فيها القبلة القديمة تحت الايوان هي من انشاء القائد جوهر ، وتمتد من باب الشوام الى رواق أهل الشرقية ، وتشتمل على ٧٦ اسطوانة من الرخام الابيض الجيّد على صفوف متسامتة ، وعليها قواصير مرتفعة بين كل عمودين قوصرة وكان فيها دكة كبيرة للمبلّغين وفيها المنبر ، وكان سقف المقصورة القديمة منخفضاً عن الجديدة مقدار ذراعين وانقضت الدولة الفاطمية ومساحة الازهر ١٣٠٠٠ ذراع ، أي أقل من نصف مساحته الآن

﴿ الإزهر بعد الفاطميين ﴾

أول انقلاب جوهري حدث في تاريخ الأزهر كان في القرن السادس - بعد أكثر من مائتي سنة من تأسيسه - وذلك عند ما قضى السلطان الملك الناصر صلاح الدين الايوبي على الدولة الفاطمية في مصر (٥٦٧ هـ) فانقضى معها ما كان من سلطان لمذهبها وتقاليدها وأساليبها . وقد علمت آنفاً أن الجمعة كانت تقام في أربعة مساجد ، أحدها الازهر ، ولما كان الحكم في البلاد قد صار الى مذهب الشافعية الذي يمنع اقامة خطبتين في بلد واحد صدر أمر قاضي القضاة صدر

الدين عبد الملك بن دِرْباس الشافعي بمنع الخطبة من الازهر وغيره وإقرارها في الجامع الحاكمي بسبب اتساعه وكانت مساحته ٣٦٠٠٠ ذراع . فلم يزل الازهر معطَّلا من إقامة الجمعة فيه مائة سنة [1] ، وأيدي المغتصبين تمتدّ الى كثير مما كان له مدة الدولة الفاطمية من أوقاف ، والوَهَنُ يتطرّق الى جدرانه وأركانه [2] ، الى أن قيَّض الله له جاراً كريماً ذا غيرة على العلم والدين وهو الامير عز الدين أيْدَمُر الحلي من أمراء دولة الملك الظاهر بيبرس، فجمع بعض ماتبدَّد من أوقاف الازهر وانتزعه من أيدي غاصبيه ، واستعان بماله وجاهه في تقوية ما وهن من بناء هذا المعهد ، وتجديد سقوفه وتبليط أرضه وفرشه وكسوته ، وإعادة الحياة اليه ، ليكون مثابة للناس في عباداتهم وتلقيهم ضروب العلم وأفانين الحكمة عن شيوخها

وكان للامير بدر الدين بيلبك الخازندار الظاهري يدٌ محمودة في هذا التجديد ، فأنشأ رواقاً كبيراً وقف عليه المزارع والعقار ، واشترط أن ينفق من غلاتها على من ينقطع في هذا الرواق لقراءة القرآن الحكيم ، وإسماع كتب السنة النبوية ، وتدريس فقه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه مع أن مذهب الامير بيلبك حنفي

وبعد أن تم تجديد الازهر على هذا النحو أراد جارُه والعامل على تجديده ، أعني الامير عزّ الدين أيْدَمُر ، أن تُعاد خُطبة الجمعة في منبره الى ما كانت

(١) وأنشأ السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٦ المدرسة الناصرية و (المدرسة السيوفية) الشافعية و (المدرسة القمحية) للمالكية وكثرت بعد ذلك المدارس التي زاحمت الأزهر حتى بلغ عددها زمن المقريزي ٤٥ مدرسة

(٢) ومع ما اعترى الازهر في المائة السنة المذكورة من اهمال فان العناية به لم تنقطع بتة ، بدليل أن القبلة الخشبية التى كانت تعرف بقبلة الخطيب الشربيني بقرب رواق الشرقاوية في مؤخر المقصورة القديمة عليها كتابة بالخط تدل على أن عملها كان سنة ٦٢٧ (انظر خطط علي باشا مبارك ٤ : ١٦٧)

عليه من قبل، فأجاب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز أن مذهب الشافعيـة يمنع من اقامة خطبتين في بلد واحد ، والجامع الحاكمي أوسع مساحة من الازهر فيجب الاقتصار عليـه في إقامة الجمعة . قال ابن الفرات في حوادث سنة ٦٦٥: « وكتبت بذلك فتاوى ، فمن الفقهاء من أجاز ومنهم من منع . . وفيمن أجاز قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي . . فعمل الامير عز الدين بقول من أجاز » وكان لاعادة الخطبة الى الازهر حفلة رسمية عظمى في هـذا الجامع ثم في دار الامير عز الدين حضرهما رجال الدولة وعظماء الناس [1]

وفي سنة ٧٠٢ داهمت الشرقَ الادنى زلزلةٌ عنيفة خرَّبت قسما عظيما من بلاد مصر والشـام ، وأخرجت المياه من الآبار الى سطح الارض ، وفاضت البحار الى اليابسـة فأغرقت خلقاً كثيراً ، وأصابت الزلزلةُ (الازهرَ) وسائر مساجد القـاهرة بأذاها ، فتقاسم الامراء عمارتها وأخذ الامير سـلار ـ من رجال دولة المماليك البحرية ـ على نفسه عمارة الازهر الشريف وتجديده

وفي سنة ٧٠٩ انتهى الامير علاء الدين طيبرس الخـازنداري ـ نقيب الجيوش ـ من انشاء مدرسته التي هي اليوم (دار الـكتب الازهرية) وجعلها مسجداً وقرر بها درساً للفقهاء الشافعية وتأنق في رخامها وتذهيب سقوفها بحيث لم يقدر أحد على محاكاة ما فيها من صناعة الرخام . وجميعه على أشكال المحاريب وفرشها يبسط منقوشة بشكل المحاريب ، وجعل في المدرسة خزانة كتب [2]

---

(١) قال ابن الفرات كان ذلك يوم الجمعة ١٨ ربيع الاول سنة ٦٦٥ ، وقد حضر الصلاة فيه الاتابك والصاحب بهاء الدين وجماعة من الامراء والـكبراء والفقهاء ـ الا قاضي القضاة تاج الدين عبدالوهاب ابن بنت الاعز والملك الظاهر الذي أبى أن يصلي في الازهر الا اذا صلى فيه قاضي القضاة تاج الدين ـ وكانت جمعة مشهودة ووجد الناس باقامة الجمعة فيه رفقا وراحة لقربه من أحياء القاهرة

(٢) مما يدل على اخلاص هذا الامير النية لله فيما تقرب اليه به من عمله هذا أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضر اليه مباشروه حساب مصروفها . فلما قدم اليه استدعى بطست فيه

وفي سنة ٧٢٥ جدد الازهر القاضي نجم الدين محمد بن حسين الاسعردي محتسب القاهرة.

وفى سنة ٧٤٠ انتهى الامير آقبغا علاء الدين الواحدي من انشاء مدرسته المتصلة بالمدرسة الطيبرسية (مخزن المكتبة الازهرية) لكنه لم يؤسس بنيانها على التقوى: فأخذ أرضها بغير رضى من أصحابها، وأنشأها بالعسف والغصب. وقد وقف عليها أوقافا دارّة وجعل لها منارة هى احدى المنارات الخمس الازهرية غير أن هذه المدرسة ما برحت مظلمة منذ أنشأها وليس عليها بهجة المدارس العلمية ولا أنس بيوت العبادة

وفي سنة ٧٦١ جدده الامير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري لما سكن بقرب الازهر فأحب أن يؤثر فيه أثراً صالحاً، فاستأذن الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فأخرج من الازهر الخزائن والصناديق ونزع عدة مقاصير، وكان كل ذلك مضيقاً للجامع، وتتبع جدرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيضه وبلطه، وأنشأ على بابه القبلي حانوتا لتسبيل الماء العذب، وعمل فوقه مكتبا لاقراء أيتام المسلمين، ورتب فيه دروسا لفقهاء الحنفية وأنشأ لفقراء المجاورين مطبخا يومياً، ووقف على ذلك أوقافا جليلة

وفى سنة ٧٨٤ تولى النظر على الأزهر الامير بهادر الطواشي فتنجز من السلطان الملك الظاهر برقوق مرسوما بأن من مات من مجاوري الازهر عن غير وارث تعطى تركته لاقرانه من المجاورين. ونقش ذلك على حجر الباب الشمالي

وفى سنة ٨١٨ بلغ عدد المجاورين فى الازهر ٧٥٠ رجلا ما بين مصريين ومغاربة وزيالعة وعجم، ولكل طائفة رواق يعرف بهم. وكان الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بالفقه والحديث والتفسير والنحو

ماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيء منها وقال «شيء خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه»

ومجالس الوعظ . وكان أرباب الاموال يقصدونه بأنواع البر من الذهب والفضة وسائر النقود اعانة للمجاورين ، ويرسلون اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلوى ولا سيما فى المواسم. وتولى نظارة الازهر فى هذه السنة (٨١٨) الامير سودوب القاضي صاحب الحجاب فاساء الى الازهريين باخراجهم من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه فساروا فى القرى . ثم طرق الازهر فى احدى الليالي فوجد أناسا يبيتون فيه ما بين تاجر وفقيه وجندي ، وكان الناس لا يُمنعون من ذلك ولا سيما في ليالي الصيف ، فضربهم سودوب ، وصادر ما كان معهم من نقود وكل ما فى الازهر من فرش . وعمل ثوبا اسود للمنبر وعلمين مزوقين وبلغت النفقة على ذلك ١٥٠٠٠ درهم

وفي شوال سنة ٨٢٧ ابتديء بعمل الصهريج وسط الجامع ، فوجد هناك آثار فسقية ماء ، ورمم أموات ، فعمل الصهريج فى نصف سنة وعمل باعلاه مكان مرتفع له قبة يسيل فيه الماء

وفى مدة الملك الاشرف أبى النصر قايتباي المحمودي (٨٧٢ـ ٩٠١) أحدث الملك تجديداً فى الازهر فانشأ باب المزينين والمنارة التى هناك ، وأحدث فيه فسقية وسبيلا وميضأة وصهريجاً تجاه باب المغاربة ، وبنى على باب الجامع مكتباً ، ونقش فى الحجر على الباب بعد كتابة كوفية دقيقة يعسر قراءتها :

« انما الاعمال بالنيات ولكل امريء مانوى »

« لا اله الا الله محمد رسول الله * نصر من الله وفتح قريب »

« بسم الله الرحمن الرحيم * أمر بانشاء هذا الباب والمئذنة الشريفة مولانا السلطان الاشرف قايتباي بتاريخ شهر رجب الفرد ثلاثة منه سنة ...... »

وجدد رواق المغاربة ، ونقش على بابه :

« أمر بتجديده مولانا وسيدنا السلطان الملك الاشرف قايتباي * على يد الخواجا مصطفى ابن الخواجا محمود . غفر الله لهما»

ولا يزال اسم قايتباي على احد المحاريب وبعض الشبابيك .ويقال ان رواق

الشوام ورواق الاتراك من انشائه

وفي سنة ٨٤٤ أنشأ جوهر القنقبائي الحبشي الخازندار المدرسة الجوهرية عند الباب الشمالي الصغير للازهر تجاه زاوية العميان، وبداخلها مدفن منشئها

وفي سنة ٩٠٠ أنفق الخواجا مصطفى بن محمود بن رستم خمسة عشر الف دينار من ماله على عمارة الجامع الازهر فجاء في غاية الحسن وقد نقش اسمه على أحد محاريب الازهر . وكانت توجد في رواق اليمنية خزائن مكتوب علي بعضها :

« بسم الله الرحمن الرحيم * وقف هذه الخزانة الفقير لله تعالى الخواجا مصطفى افندي ابن الخواجا محمود على المجاورين اليمنية بالجامع الأزهر »

وفي سنة ٩٠٤ رتب الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه ـ خال الناصر بن قايتباي ـ الخبز والخريزة [1] في الازهر أيام رمضان . ثم لما جاء الملك الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦) ضاعف ذلك في أيامه أضعافا كثيرة، ورتب في رمضان ٦٧٠ ديناراً لمطبخ الازهر وأنشأ مئذنته المعتبرة داخل باب المزينين

وفي عام ٩٢٣ زاره السلطان سليم العثماني وصلى فيه الجمعة وتصدق بمبلغ كبير

وفي سنة ١٠٠٤ أحدث الشريف محمد باشا والى مصر تجديداً في الأزهر ورتب للطلبة طعاماً يطبخ لفقرائهم كل يوم ، فكان ذلك سبب اقبال الطلاب عليه من جميع القرى

وفي سنة ١٠١٤ عمّر حسن باشا والي مصر مقام الحنفية أحسن عمارة وبلطه

وفي ١١٠٥ وقف عليه محمد باي ابن مراد باي حاكم ولاية تونس أوقافاً

ثم جدّد سقف الجامعَ الأزهر الامير اسماعيل بك القاسمي المتوفى سنة ١١٣٦

وفي سنة ١١٤٨ أنشأ الامير عثمان كتخدا زاوية العميان وعمر رواق الاتراك

---

(١) عصيدة باللحم.

ورحبته المسقوفة ورواق السليمانية (الافغانيين) وزاد فى رواق الشوام ، ورتب لذلك مرتبات من وقفه

وفي سنة ١١٦١ تقلد ولاية مصر أحمد باشا كور ، وتتلمذ للشيخ حسن الجبرتى (والد الشيخ عبد الرحمن صاحب التاريخ) وعمل مزاول لمعرفة المواقيت وضع احداها في ركن صحن الأزهر ، على يسار الداخل فوق رواق معمر

وفي سنة ١١٦٧ أنشأ الامير عبد الرحمن كتخدا الزيادة التى زادها على الازهر ، وهي كما ذكر الجبرتي : مقدار نصف المقصورة طولا وعرضاً ويشتمل على خمسين عموداً من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت وسقف أعلاها بالخشب النقي وبنى به محرابا جديداً ومنبرا وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة وبنى بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الايتام من أطفال المسلمين القرآن وبداخله رحبة متسعة وصهريج عظيم وسقاية لشرب العطاش المارين ، وعمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة ، وبها أيضا رواق مخصوص بمجاوري الصعيد المنقطعين لطلب العلم وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب ، وبنى بجانب ذلك الباب منارة ، وأنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع وجعل عليه منارة أيضا ، وجدد المدرسة الطيبرسية وجعلها مع المدرسة الاقبغاوية المقابلة لها من داخل باب المزينين الكبير الذى انشأه خارجها جهة القبو الموصل الى شارع السكة الجديدة بجوار المشهد الحسيني . وهذا الباب مؤلف من بابين عظيمين كل باب بمصراعين . وجعل على يمينه منارة ازيلت سنة ١٣١٥ وفوقه مكتب ، وبداخله ميضأة . ووراء ذلك درج المنارة ورواق البغداديين والهنود . فجاء باب المزينين وما بداخله من الطيبرسية والاقبغاوية والاروقة من أحسن المبانى في العظم والوجاهة والفخامة . وزاد فى رواق الشوام

ووقف عليه ، وجدد رواق المكيين والتكروريين ، وأجرى زيتاً للمصابيح وزاد في مرتبات الجامع وأخبازه ، وفي طعام المجاورين ولا سيما في يومي الاثنين والخميس فضلا عما رتبه لرمضان من وسائل الرفاهة والتوسيع ، فكان مجموع ما عمله في الازهر مما تقصُر عنه همم الملوك [1] .

وفي مدة مشيخة الشيخ عبدالله الشرقاوي (١٢٠٨ — ١٢٢٧) كان مواطنوه من مجاوري مديرية الشرقية ليس لهم رواق خاص بهم وإنما يقطنون المدرسة الطيبرسية ، واتفق حدوث خلاف بينهم وبين من في المدرسة من الطلبة أدى الى اخراجهم منها فأرسل الشيخ الشرقاوي امرأة عمياء فقيهة تحضر عنده في درسه الى عديلة هانم زوجة ابراهيم بك المعروف بالوالى فكلمت زوجها في انشاء رواق لهؤلاء الطلبة فكان ذلك سبب انشائه رواق الشرقاويين

وفي سنة ١٢٢٠ أنشأ محمد علي باشا جدّ الاسرة المالكة (رواق السنّارية) بالتماس الشيخ محمد وداعة السناري ، فاشترى عزيز مصر ربعاً كان في مكان هذا الرواق وبناه ووقف عليه

ووقفت الاميرة زينب هانم كريمة العزيز محمد علي اوقافاً على الازهر كان ريعها عشرين ألف جنيه وهو الآن أعظم من ذلك

---

(١) قال العلامة على باشا مبارك : الشائع ان السبب في اجراء هذا الخير العظيم على يد الامير كتخدا هو الشيخ على العدوي شيخ رواق الصعيد بالازهر ، حتى ان الامير كتخدا — لحبه الصعايدة من اجل الشيخ العدوي — جعل مدفنه بجوار هذا الرواق . . وعلى قبره تركيبة من الرخام منقوش فيها اسماء العشرة المبشرين بالجنة هكذا :

أبو بكر الصديق ابن ابي قحافة — عمر بن الخطاب العدوي — عثمان بن عفان الاموي — على بن ابي طالب الهاشمي — طلحة بن عبيد الله التيمي

سعد بن ابي وقاص الزهري — سعيد بن زيد العدوي — عبدالرحمن بن عوف الزهري — ابو عبيدة بن الجراح الفهري — الزبير بن العوام الاسدي

وكان اكابر الازهر يتخذون هذا المدفن مجلسا يجتمعون فيه للمفاوضة والتشاور في المهمات

وكان موضع رواق الحنفية بيوتاً مملوكة لأربابها ، فاشتراها العزيز الحاج عباس الاول حين كان والي مصر وهدمها وأسسها ليبنيها رواقاً لأهل بلد الشيخ البيجوري شيخ الجامع الازهر في وقته ، فوافته المنية قبل اتمام هـذا العمل ، فمكث مهملاً زمناً طويلاً

وفي سنة ١٢٧٩ قام السيد أبو بكر راتب باشا رحمة الله عليه باكمال العمل الذي بدأ به عزيز مصر عباس باشا الاول ، فانشأ رواق الحنفية وأنفق عليه من ماله وبنى فوقه ١٣ غرفة للمتقدمين من المجاورين في ذلك الرواق ، وجعل له خزانة كتب ثمينة عليها قيّم . وأوقف السيد أبو بكر راتب باشا على هذا الرواق اوقافاً غنية دارّة وخصه بالحنفيّة من المجاورين المصريين وجعل النظر عليه لمفتي الحنفية بالديار المصرية ، فلما أفضت النظارة عليه للاستاذ الامام الشيخ محمد عبـده سنة ١٣١٧ زاد في مرتبات أهله وألف لجنة لامتحان من ينتقل من درجة لأخرى وأجرى الامتحان على العموم

وجدّد راتب باشا المساكن العلوية لرواق الحنابلة ، وأجرى على مجاوري هذا الرواق مرتبات وجراية

وُجدِّد سنة ١٢٩٠ في مدة عزيز مصر اسماعيـل باشا باب الصعايدة ، والمكتب الذي فوقه

وللأميرة جميلة كريمة العزيز اسماعيل باشا أوقاف عظيمة على الازهر

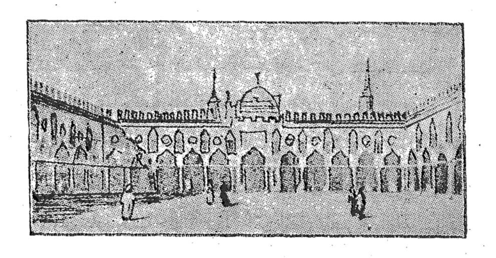
وأصلح سنة ١٩٢٦ زمن الخديو توفيق باشا نحو ثلث المقصورة القديمة مما يلي باب الشوام ، وأُصلحت قبيـل ذلك المدرسـة الاقبغاوية التي فيهـا دار الكتب الازهرية

وأوقف محمد باشا أبو سلطان كبير أعيان منية ابن خصيب مائة وخمسين فداناً من أجود أطيانه في المنية لينفق من ريعها على الجراية اليومية في الازهر .

وقد زاد سلطان باشا مرتب رواق الفشنية

ومنذ سنة ١٣١٠ شرع ديوان الاوقاف المصرية بتجديد في صحن الازهر وما بدائرتيه من البواكي ودربزينات المقصورة القديمة، وأصلح باب المزينين وطرقته، والمدرسة الطيبرسية والاقبغاوية، وفي سنة ١٣١٤ أنشئت في المدرستين المذكورتين دار الكتب الازهرية الكبرى، وفي ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ احتفل بافتتاح الباب العباسي والرواق العباسي أيام مشيخة الشيخ حسونة النواوي وهو من أعظم الاروقة وأجملها ويشتمل على ثلاثة أدوار وفيه دار المشيخة ومجلس ادارة الازهر وديوان الكتاب ثم استمر التجديد فشمل الاروقة المتصلة بالسور الجنوبي

﴿ صفة الازهر ﴾



الازهر مسجد إسلامي قديم، ومعهد علمي عظيم، مازال أعيانُ المسلمين وأمراؤهم ولا يزالون يتعهّدونه بالعناية والتوسيع والاصلاح ـ منذ نحو ألف سنة ـ على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم. وإن تحت سمائه وبين أسواره من ذكريات التاريخ ماألهم شاعر العرب الاكبر شوقي بك أن يقول:

قُمْ في فم الدنيا وحيِّ الازهرا | وانثرْ على سَمْع الزمان الجوهرا
واخشعْ ملياً ، واقضِ حقَّ أَئمةٍ | طلعوا به زُهراً ، وماجوا أبحرا
كانوا أَجلَّ من الملوك جلالةً ، | وأعزَّ سلطاناً ، وأفخم مظهرا
من كل بحر في الشريعة زاخر | ويُريكَهُ الخلُق العظيم غضنفرا
لاتحذُ حَذْوَ عصابة مفتونة | يجدون كل قديم شيء منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا | مَن مات من آبائهم أو عمَّرا
من كل ماضٍ في القديم وهدمه | وإذا تقدَّم للبناية قصَّرا

وهو في شكله الحاضر بناء واسع قائم على أرض مساحتها ٣٣٣ ٢٦ ذراعاً (١٢ الف متر مربع) ، يحيط به سور مربع فيه ثمانية أبواب : في الجانب الغربي الخارجِ الي ميدان الازهر بابُ المزينين والباب العباسي ، وفي الجانب الجنوبي بابُ المغاربة وباب الشوام وباب الصعايدة ، وفي الجانب الشرقي باب الحرمين وهو مقفل وباب الشُرْبة ، وفي الجانب الشمالى باب الجوهرية . وتسمو فوق هذه الاسوار والابواب خمس مآذن[1] ثلاث في داخل باب المزينين : احداها الاقبغاوية ، والثانية مئذنة قايتباي ، والثالثة مئذنة قانصوه الغوري . وواحدة بجانب باب الصعايدة ، وأخرى بباب الشُرْبة وكلتاهما من انشاء كتخدا . ولا يؤذّن على تلك المآذن غالباً الا العميان تفادياً من وقوع أنظار المؤذنين على المنازل ، وهي عادة حسنة جارية في أكثر المدن المصرية . والغالب أن أذان الازهر ينبنى عليه أذان أكثر منارات القاهرة .

وأروقة الازهر تسعة وعشرون رواقاً ، كل رواق لاهل قطر من الاقطار الاسلامية : كالشاميين ، والمغاربة ، وأهل الحرمين ، والهنود ، والترك وغيرهم . أما المصريون فلهم عدة أروقة موزعة على الطلبه من جهات القطر المصري ،

---

(١) كانت ست مئاذن فأزيلت المئذنة التي كانت خارج باب المزينين عند تجديد الرواق العباسي

وبعض الاروقة خاص بأهل المذاهب كالحنفية والحنابلة . ولكل رواق شيخ ينتخبه علماء الرواق. والاروقة عبارة عن مبانى انشئت في أوقات مختلفة متصلة بأسوار الازهر على طول هذه الاسوار ، وهي أرضية وعلوية . ففي السور الغربى الى الشمال باب المزينين وعلى يساره الاقبغاوية التى فيها دار الكتب الازهرية الكبرى وعلى يمينه الطيبرسية وفيها مخازن دار الكتب المذكورة . وبعد باب المزينين الى جهة الجنوب الباب العباسى وعلي يساره مجلس أدارة الازهر وعلى يمينه الرواق العباسي وهو ثلاث طبقات وفيه أروقة الاكراد ، والهنود ، والبغداديين ، واليمانيين ، ودكارنة صليح ، ورواق الطيبرسية ، ورواق الاقبغاوية * ويليه في السور الجنوبى رواق الجبرتية ، ثم رواق الترك . وبعده باب المغاربة وعن يساره رواق السنارية ، ورواق البرنية ، وعن يمينه رواق المغاربة . وبعده في السور الجنوبى أيضا باب الشوام وعن يساره رواق الجاويين وعن يمينه رواق السليمانية (الافغان) ورواق الشوام . ويليه في السور نفسه الى جهة الشرق باب الصعايدة وعلى يمينه رواق الصعايدة * وفي السور الشرقي الى جهة الجنوب باب الحرمين وهو مقفل وداخله رواق الحرمين . ويليه باب الشُرْبة وعن يساره رواق البرابرة * وفي السور الشمالى الى جهة الشرق باب الجوهرية في داخله رواق الجوهرية ، وعلى يمينه رواق أهل الشرقية * وفي خارج الجوهرية رواق زاوية العميان لايسكنه غيرهم * وبجواره رواق الحنابلة * وفي الجانب الغربى من السور الشمالى أروقة البحاروة ، والفشنية ، والفيوميين ، والشنوانية ، ورواق الحنفية ، ورواق ابن مُعَمّر

وفي الازهر ـ غير الاروقة ـ حارات . وهي أماكن ليست ذات غرف ، يضع فيها الطلبة خزائنهم ودواليب أمتعتهم . ولكل حارة شيخ من العلماء يرجع اليه طلبتها في أمورهم ، وعددها الآن اثنتا عشرة حارة : البشابشة ، والواطية في ظهر رواق المغاربة . والسليمانية على يمنة باب الشوام . والممشى ، والزهار بين بابي الجوهرية والشُرْبة . والنفراوية ، والبجيرمية ، والمناصرة قريبة من

رواق الشرقاوية . والعفيفي، والزرقانية ، والجيزاوية في صحن الازهر . والشنوانية في الجانب الشمالي وراء الصحن

وثمة غير الاروقة والحارات أقبية بين الصحن والسور الغربي ، وبين الصحن والمقصورة (الحرم) وفي أماكن أخرى

وأما الصحن فهو ساحة واسعة تحيط بها من الغرب الاقبية المسامتة لبابي المزينين والعباسي . ومن الشرق الاقبية المسامتة للمقصورة ، ومن الجنوب رواقا المغاربة والترك ، ومن الشمال رواقا البحاروة والفشنية

وأما المقصورة (الحرم) فهي بناء متسع واقع في شرق الصحن بعد الاقبية الفاصلة بينهما ، وكان فى زمن الفاطميين يمتد الى حد الاثر الذي لايزال باقياً للقبلة القديمة ، فوسعه الامير عبد الرحمن كتخدا حتى بلغ به الى القبلة الجديدة

وأنت ترى من صفة الأزهر التي أتينا عليها آنفاً أنه معهد أقيم للعبادة والتدريس في مقصورته وصحنه ، وليأوي المجاورون فيه من طلبة العلم الى الحجرات الخاصة بكل فريق منهم في الاروقة التي تقدم ذكرها . ولكن الاقبال على طلب العلوم الاسلامية في الازهر الشريف أعظم من أن يتسع له هذا البناء ، فالطلبة الملتحقون به رسمياً بلغ عددهم في آخر احصاء ٥٦١١ طالباً منهم ٥٠٥٦ مصرياً و٥٥٥ من غير المصريين . ويقوم على تثقيفهم ٢٨٦ استاذاً مدرساً ممن يتناولون الرواتب . وهذا العدد من الطلبة وأساتذتهم لايدخل فيه احصاء معاهد الاسكندرية وطنطا وأسيوط ودسوق ودمياط . وهذه المعاهد انشئت لتخفف عن الازهر شيئا من مهمته الكبرى . ولولا ذلك لكان في الازهر الآن أكثر من عشرة آلاف طالب عليهم نحو ٥٥٠ أستاذاً . ومع ذلك فان الجامع الازهر ضاق بنصيبه من هذا العدد فوزعت المشيخة جماعات كثيرة منهم على مساجد القاهرة الأخرى

﴿ دور الكتب الازهرية ﴾

كان مما توجهت اليه عناية أعيان المسلمين وملوكهم في العشرة القرون التي

مضت على الازهر أنهم كانوا يتبارون في تسهيل طلب العلوم الاسلامية ونشرها بما يقفونه عليها من خزائن الكتب ونوادر المصنفات في مختلف الفنون قبل اختراع الطباعة. فامتلأت خزائن أروقة الازهر بالاسفار النادرة رغم ما كان ينتابها في بعض العصور من النوائب بسبب الفتن والزلازل والحرائق والانقلابات

وفي سنة ١٣١٤ ﻫ رأى القائمون بأمر الازهر زمن مشيخة الشيخ حسونة النواوي أن يحصروا هذه الكتب ويحصوها ، فرأوا أن في كل من أروقة المغاربة والترك والشوام والصعايدة والحنفية مقادير من الكتب تستحق أن تتألف منها دار كتب لكل رواق ، وأما الاروقة الاخرى فليس في كل منها مايكفي لتكوين دار كتب مستقلة به ، فجمعت تلك الكميات القليلة المتفرقة وتألفت منها « دار الكتب الازهرية الكبرى [1] » واخذ أعيان المسلمين يمدون هذه الدار بنفائس الكتب : وفي مقدمتهم أحمد مختار باشا الغازي وأحمد باشا راشد وورثة سليمان باشا أباظه . وقبل أن ينتقل السيد حسن باشا جلال الحسيني — مستشار محكمة الاستئناف ـ الى رحمة ربه أوصى لدار الكتب الأزهرية بنحو سبعمائة مجلد من نفائس مكتبته الشهيرة ، فبلغ الآن عدد مافيها من الكتب تسعة وأربعين ألف مجلد ، والمخطوط منها نحو ١٥ ألفاً ، وفيه من أمهات الكتب ونوادرها ما ربما لايوجد في دار كتب أخرى . —

وأما مكتبة رواق المغاربة ففيها ٨١٥٧ مجلداً ، وفي مكتبة رواق الترك ٦٦٤٥ مجلداً ، وفي مكتبة رواق الشوام ٣٣٤٦ مجلداً ، وفي مكتبة رواق الصعايدة ١٨٨٠ مجلداً وفي مكتبة رواق الحنفية ١٣٠٦ مجلدات . وأمناء هذه المكاتب خاضعون لمراقبة دار الكتب الازهرية الكبرى

---

(١) تقدم أنها جعلت في المدرسة الاقبغاوية داخل باب المزينين الى جهة اليسار ، وضمت اليها المدرسة الطيبرسية الواقعة الى يمين الداخل من باب المزينين ، وقد جعلت مخزنا لدار الكتب . ثم ضاقتا الآن بالكتب التي كثرت فيهما . وعلمت أن الكتب التي أوصى حسن باشا جلال رحمه الله بإهدائها الى دار الكتب الازهرية لاتزال بلا ترتيب ، لعدم وجود خزائن لها ولضيق دار الكتب بأسفارها

الارض

أيها البرقُ إن بلغتَ الشآما حيِّ عني قصورَها والخياما
أنتَ نِعمَ الرسولُ يحمل شجوي حين لا يأمنُ الانامُ الأناما
نفختْ فيكَ آيةُ العلم روحاً علّمتكَ البيانَ والإلهاما
وأفاضت عليكَ سحراً حلالاً كان في الغابرين سحراً حراما
تركبُ السلكَ تارةً ، وأوانا تطأُ الريحَ وائباً والغماما
قلْ لمن يُوجِفُ الركابَ خِفافا ولمن ناء بالخطوبِ جساما :
ويحَ أمسي إن كنتُ أهبطُ رمسي نازحَ الدار ، موجَعاً ، مستهاما
يومَ يرمي القضاء بالنفس رميا مثلما الارضُ تجذبُ الاجساما

***

كرةٌ تنهبُ الفضاءَ وتطوي في مداهُ القرونَ والأعواما
تترامَى والشمسُ دون مُناها دورانا من حولها وهياما
كفراش يحوم حولَ لهيبٍ أجلٌ ساقَه اليه فحاما

***

ذاتُ وجهين يشهدان عليها كلَّ يوم : نهارَها والظلاما
فهي من جانب تكون ضياءً وهي من جانب تكون قتاما
كوجوه المنافقين وأشقى من جوار المنافقين مُقاما

***

نَسَجتْ من غلائل النبت بُرداً واستعارت من السحاب لثاما
وتراءت في ظاهرٍ مطمئنٍّ تحتَه النّار تستشيط ضِراما

كبنيها أو أنَّ حقدَ بنيها فوقَ ما أضمرت جوًى وانتقاما

***

تنفث الغيظَ مارجاً ودُخانا فتشقُّ الوهادَ والآكاما
وتبثُّ الذى انطوى من لظاها سُحبا ثرَّةً وسيلاً رُكاما
ضجَّ منها صعيدُها ، وقديما خدَّدتْه السيولُ عاما فعاما
كخدود الباكين سحَّ عليها مُهْرَقُ الدمع صَيِّبا وسِجاما

***

ولكم سدَّد القضاء اليها من خلال المذنَّباتِ سهاما
نذُرٌ كلَّ فترةٍ ، وعظاتٌ أذن اللهُ أن تمرَّ لماما

***

إيهِ يا أرضُ يومَ كنتِ خلاءً هل أحسَّ الحطام فيك الحطاما
فتململتِ وحشةً وانفرادا وتغلغلتِ في الوجود اقتحاما
فتمخَّضْتِ بالزواحف لهواً لكِ تنسابُ في العَراء سواما
طَلمةٌ غثَّةٌ ، وجسمٌ رَميمٌ يصف القبحَ هامةً وسناما
كخطوط الوليد أوّلَ عهدٍ عرَف الخطَّ فيه والاقلاما
ضحكةٌ منكِ مُثِّلتْ فتجلَّتْ حيَوانًا مشوَّها مُستضاما
نشأتْ ثم أعقبتْ ثم بادتْ وقطعتِ الصِلاتِ والارحاما
وولدتِ الانام بعد ليالٍ ثَقُلتْ وطأة وشطَّتْ مَراما
جئتِ بسقطًا بهم وطالَ عليهم أمدٌ ينشُدون فيه التَّماما
أقضاءً ولدتِهم واضطراراً بعد لأْى ، أم شهوةً ووِحاما

لست أدرى وليتنى كنت أدرى كيفَ ذقتِ المخاضَ والآلاما
وشهدتِ الحياةَ كيف استهلّتْ فيكِ واستقتلتْ عليك زحاما
كفروع الغضَى التقتْ ثمَّ شبَّتْ فغدا بعضُها لبعضٍ طعاما

* * *

فسل الحيَّ كيف يطمعُ منها بسلام ، وأين يبغى السلاما
راضَ هُوجَ الرياح حتى امتطاها ذُللاً أسلست اليه الزِماما
واستباحَ البحارَ فوقَ جوارٍ مُنشآت تُطاول الاعلاما
خضعَ العلمُ فى يديه ولكن مسخَ العلمَ فتنةً وأثاما

* * *

فانفري ما استطعت أيتها الار ضُ فهيهاتَ تُرغمين النظاما
فانقُصى منه ذرَّة أو فزيدى وانظري كيف ينسف الاجراما
ممسكٌ بالوجود عُلواً وسُفلا قدرة الله سخَّرته خِطاما
كنتِ بالامس شعلةً أوسديما فاحذري البدء أن يكون ختاما

فؤاد الخطيب

﴿ المنايا ﴾

قال أبو سلمة الباذغيسي قلت لابي العتاهية :
ـ في أى شعرك أنت أشعر ؟
قال قولي :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحنُ
مادون دائرة الورى حصن لمن يتحصن

أصل الفن الغربي الحديث من الشرق

كتب مسيو لوي رولان ـ مدرّس التاريخ والجغرافيا في مدرسة غلطة بالقسطنطينية ـ مقالة بهذا العنوان فى صحيفة تركية كبرى صدرت حديثا على ضفاف البوسفور اسمها « خلق غزته سى (١) » قال فيها:

من أهم المسائل التي تشغل مؤرخي الفن وناقديه فى هذه الأيام البحثُ عن مبلغ ما كان للشرق من التأثير في نشوء الفنّ الغربي : فهل كان الشرق مجموعة نماذج للالهام الطبيعي تركتْ فى نفوس بعض الفنّانين الغربيين أثرها الوقتي الزائل ، أم أنّ الفنّ الشرقى هو مصدر القواعد الاصلية للفن الغربي ؟

لقد لاحظ مؤرّخو الفنّ منذ زمن بعيد أن مصنوعات الشرق النفيسة ، ولا سيما المنسوجات المصنوعة بسنّ الفيل ، كان لها الاثر البليغ في تكوين الذوق عند قدماء المصوّرين الفرنسويين . يدلّ على ذلك ما نراه من سلطانٍ للفنّ البزنطي الذي ورث فنّ آسيا الداخلية كما ورث الفن اليوناني والفن الروماني

وأول من وضع هذه المسألة على بساط البحث من كل وجوهها العلاّمة (سترزيغوفسكي) فى كتابه المشهور المنتشر بعنوان « أهو الشرق أم روما ؟ » فان الناس كانوا قبل ذلك يذهبون مع مسيو (بارادوكسال) الى أن روما هي ينبوع الفن الغربى ، ويتلقّون هذه القضية بالقبول والتسليم ، فنقض سترزيغوفسكي ذلك الرأي ، ولقي كتابه من الناس معارضة كبرى ما لبثت أن ذهبت جُفاءً كالزبد ، فأذعن الناس لأحكام مؤلف كتاب « أهو الشرق أم روما ؟ » وأصبح من المسلم به والمتّفق عليه في زماننا أن المبانى الفرنسوية التي أنشئت بالاسلوب الروماني يجب البحث عن قواعدها الفنّية في أساليب البناء الفارسي والآتوري ، لا في أساليب البناء الروماني القديم

(١) في الجزء الصادر منها يوم الثلاثاء ٢١ جمادى الاولى ١٣٤٤

ان عرض هذه القضية على أهل الرأي لتمحيصها قد فتح في تاريخ الفن ميدانا جديداً افترق فيه مؤرخو الفن الى فرقتين متعارضتين : فرقة مع سترزيغوفسكي في أن الشرق مصدر الفن الغربي ، وفرقة ترى أن المصدر هو روما . وأستطيع التأكيد بأن نجم هذه الفرقة الثانية الى أفول ، بل ان أشهر مؤرخي الفن وناقديه فى فرنسا وألمانيا الآن أصبحوا من المعتقدين بالفكرة الشرقية. ويرى ميجون ، ومارسل ديولافوا ، وإميل برتو ، وڤاسلو، وماركه ، وإميل مال ، وأمثالهم من كبار المؤرخين أن تأثير اتصال الغرب بالشرق على الفنّ استمرّ بلا انقطاع في العصور الوسطى بطولها

قد يخيَّل الى الانسان في النظرة الاولى أن بين الشرق والغرب هوَّة ليس فى الامكان اقتحامها . ولكن الحقيقة المقرّرة هي أن فن البنيان المسيحي استمدَّ غذاءه من فن الشرق فى القرون الوسطى . ومن الخطأ الفاحش الذهاب الى أن الاقتباس الفنى انقطع بين البلادين بانحطاط امبراطوريه الروم الشرقية

إن ظفَر الاسلام وانتصاره لم يُضْعِف من قوَّة هذا التيَّار ، بل زاد فيها وأكسبها جِدَّة وغِنى . ولقد أبان العلامة إميل مال ـ بقلمه الذي امتاز بتحليل عناصر صُوَرِ القديسين ـ عن التأثير العظيم للعناصر الشرقية فى الهيا كل والصور الرومانية

وكان يستحيل على الغرب أن يستقلّ بايجاد ما نراه فى أبنيته القديمة من أبوابٍ نفيسة ، وما فى عَمَدها وجُدرانها من زخارفَ عجيبةٍ ، وزينةٍ فائقة ، ومخيّلتُه على ما نعهدها به من جمود وعُثور . وقد برهن الاستاذ إميل مال فى العام الماضي على أن إنشاء كاتدرائية بوي ـ وهي تمثال عجيب للفن فى القرون الوسطى ـ لم تقتصر فيه النصرانية على الاقتباس من الفن الاسلامي بل استعملت

فيه أساتذة المسلمين وصنّاعهم

ولم يبطئ مؤرّخو الفن الغربي ـ الذين يرجعون به الى أصوله الشرقية ـ في بسط سلطان نظريتهم على ايطاليا ، وقد تمكنوا ـ بكل سهولة ـ من إقامة البراهين على أن الفسيفساء وزخارف البناء وبدائعه في صقليّة إنما نقلت الى هناك من البلاد الاسلامية

وكل ما على الجدران المرمرية القديمة في كنائس آبوليا وتوسكانا من أشكال هندسية وصور أسماك وطيور وحيوانات دليلٌ حيٌّ على ما بذله الصنّاع المسلمون من جهد وعناية في انشاء شواهق البناء المسيحي بقواعد الفن الاسلامي

وكان العلماء معترفين الى وقت قريب بما كان للشرق من تأثير ونفوذ في الفن الغربي حتى أواخر القرون الوسطى ، ويرون ذلك قاصراً على فني البناء والتماثيل ، ولم يكن يخطر على بال أحد منهم أن التصوير أيضاً يجب البحث عن ينابيعه في الشرق ، لانهم كانوا يحكمون حكما تقليدياً متوارثاً بأن الفنّانين الفلورنسيين أنقذوا التصوير من هوّة الابتذال التي أوقعه فيها تقليد التصوير البزنطي ، وأنهم توصلوا الى ذلك بترويض أذواقهم على محاكاة الطبيعة ، وإطالتهم النظر والدرس في آثار الفن المتخلفة عن الادوار القديمة . ولكن ما لبث أن ظهر في هذا العام كتاب جديد في باريس قلب هذه النظرية رأساً على عقب [1] وقرّر أن المصوّرين الفلورنسيين إنما ألهموا الاسلوب الفلورنسي في التصوير من نماذج شرقية . وان كيرلودايو ، وبنوزّو غوتشولي ، وبنتوريكو، كانوا مشغوفين بالشرق وآثاره حبّاً الى درجة العبادة

(١) سها المسيو لوي رولان عن تسمية هذا الكتاب ومؤلفه ، في مقالة هذا الذي ترجمناه عنه ترجمة حرفية

وكانوا يحرصون في صورهم على محاكاة ما يرونه من امتزاج الالوان في الاقمشة الشامية والتركية ، واقتبسوا تصوير مشاهد الطبيعة والاشجار والحيوانات من الصور الهندية الايرانية ، والتركية الايرانية ، ولم يقتصر عملهم على التلذذ والابتهاج بالفن الشرقي بل كانوا يستمدّون منه الالهام أيضاً

إذن فالمسألة المطروحة أمام المؤرّخ الفني اليوم لا تقف عند تحليل نفوذ الشرق في الفن الغربي ، بل تتناول في الوقت نفسه البحثَ عن الاصول التي يرجع اليها الفن العصري

على ضريح خالد بن الوليد

في حمص

ياقبرَ خالدَ : حولَ خالدَ عُصبةٌ
عَرَبيّةٌ ، وفدَتْ تُحيّي القائدا
فامنُنْ على تلك الالوف بنظرةٍ ،
وارْدُدْ على العرَب التُراثَ التالِدا
لَبيّكَ سيفَ الله ! إنّكَ لم تزَلْ
في القبر مثلكَ غازيا ومُجاهدا
ولَئنْ طوتْكَ الارضُ جسماً هامداً
فلقد رَجعت اليومَ فِكراً خالدا

فؤاد الخطيب

تفسير بيت معقد في القرق

العِلاط Elatae ، القِرْق Circus

سمعتُ بقدوم الاب انستاس ماريَ الكرملي الى بغداد ، فذهبتُ لازوره ، ثم ألقيت عليه أسئلة ، كان في جملتها هذا البيت الوارد في لسان العرب في مادة فرق (١٢ : ١٨٠) وهو :

وأغلاظُ النجوم مُعَلَّقَات كحبل الفَرْقِ ليس له انتصابُ

فقال لي: قد اختلف في رواية هذا البيت ، فان صاحب اللسان نفسه يرويه في مادة علط على هذا الوجه :

وأعْلاطُ النجومِ مُعَلَّقاتٌ كحَبْلِ الفَرْقِ ليس له انتصابُ

وقال هناك : الفرق : الكَتَّان . قال الازهري ورأيت في نسخة : كحبل القَرْق . قال : [القَرْق] : الكتان . قال الأزهري : ولا أعرف القرق بمعنى الكتان . وقيل . أعلاط الكواكب هي النجوم المسماة المعروفة كأنها معلوطة بالسمات . وقيل: أعلاط الكواكب هي الدراريّ التي لا أسماء لها ، من قولهم : ناقة عُلط : لا سمة لها ولا خطام . ونوق أعْلاط . اه . فاتضح من هذا أن الرواية « واغلاظ النجوم » من أغْلاَطِ الطبع التي أُهمِل تصحيحُها والصواب : أعلاط النجوم بالمهملتين (أي باهمال نقطتي حرفي العين والطاء)

وأما الفَرْق ، فالظاهر أنها رواية قديمة غير صحيحة ، لان صاحب اللسان يقول في مادة ق ر ق (أي بالراء بين قافين) ما نصه : قال ابن أبي الصلت :

وأعْلاَقُ الكواكِبِ مُرْسَلاتٌ كحَبْلِ القِرْق غايتُها النصابُ

شبه النجوم بهذهِ الحُصَيَّات التي تُصَفّ وغايتها النِصاب أي المَغْرِب

الذي تغرب فيه . » وكان قد فسّر القرق بقوله : القِرْق : لعب السُدَّر . . .
وقيل القرق : لعبة للصبيان يخطون في الارض خطا ويأخذون حُصَيَّات
فيصفّونها . قال ابن أبي الصلت . . . (البيت)

وفى تاج العروس في مادة ع ل ط : قال الصاغاني : وصَحَّفَ الليث بيت
أمية السابق وغيره ، وتبعه الازهري ، وأنشده كحبل القرق . وقال : القَرْق :
الـكتان . وانما [الرواية الصحيحة هي] كخَيْلِ بالخاء المعجمة والياء التحتية .
والقِرْق لعبة يقال لها السُدَّر ، وخيلها : حجارتها . اه

وقال ابن سيده في مخصَّصِه (٩ : ٣٥) ما هذا حرفهُ : [قال] صاحب
العين ، (أي الليث) : أعلاط النجوم : معاليقها ، وأنشد :

وأعلاطُ النُجُومُ مُعَلَّقاتٌ ، كحَبْلِ الفَرْقِ ليس له انتصابُ

ولو تتبعنا جميع الكتب التي أوردت هـذا البيت فهي لا نخرج من أن
ترويه على ما رواه الليث وهي رواية مغلوطة ، أو كما رواهُ اللسان ، أو كما صحّحهُ
صاحب التاج ، وروايته من أصح الروايات

على أن هناك أمْرَين اختلف العلماء فيهما . الاول : معني أعلاط النجوم .
فالذي عندي أنها رومية (أي لا تينية) وفى هذه اللغة Elatae ومعناها النجوم.
والكواكب التي أمعنت في الارتفاع [حتى أنه لا يعرف من اسمائها شيء] .
والمعاني التى قدَّرها لها لغويونا مختلف فيها مما يدلُّ على أنها في هذا البيت غير
وافية بالمطلوب

والامر الثانى أن القِرْق هنا كلمة رومية أيضاً وهي من أصل يونانى .
وهي في اللاتينية Circus وعندهم us حرفا اعراب بمنزلة الرفع عندنا . فلا يبقى
من اللفظة إلا (قِرْق) بكسر فسكون . وهو المَيْدان الذي تُقام فيه الالعاب
العامة . وكان يبتدأ بهذه الالعاب بأن تُرْسلَ الخيل إكراماً للشمس ، ثم تتسابق

المركبات أو العجلات وتتلوها المسابقات على الخيل ويعقبها العَدْو سعيا على الارجل وتنتهي بمحاربة السيَّافين. فاذا كانت نوبة الخيل جرَت كأنها البرق الخاطف

فاذا عرفتَ هـذا، اتضح لك معنى البيت كل الوضوح، فيكون مؤداهُ: ان الدراريّ تجري في أفلاكها جريا سريعاً، مُتّجهـة الى المغـرب، جَرْيَ خيل المَيْدان بلوغا الى غايتها

فانت ترى أن القِرق، وان ورد بمعنى الأُعْبة المسماة بالسُدَّر وبالطُبْنَة، الا أنها لا تفيدنا شيئاً هنا لفهم معنى البيت. هذا فضلا عن أن القول بأن الخيل هنا هي الحصيات التى يلعب بها هو من التعسف على جانب عظيم

ثم أي مشابهة بين الدرارى وبين هذه الحُصَيَّات وماذا يُراد بهذا التشبيه؟ ولهذا أرى أن من الموافق أن نقول بان القِرق هو هذا المَيْدَان

وقد انتقل معنى القِرق اليوم الى معنى محلّ واسع تُجرَى فيهِ ألعاب على اختلاف أنواعها، وأهل سورية يسمونهُ اليوم باسمٍ افرنجي أي سِيرْك Cirque وأهل العراق يسمونه باسم انكليزي أي سِيرْكُس Circus ولو رجعنا الى مصطلح أجدادنا وقلنا «قِرْق» لفهمنا أقوال السلف وأشعارهم ولأغنينا لغتنا بكلمةٍ كانت معروفة في عهدهم، فلم يحفظ معناها من جاء بعدهم

بقي عليَّ أن اوضح لك معنى النصـاب الواردة فى البيت. فالنصـاب الشمس: مغربها. لكن النصاب تحتمل معنى آخر وهو أنها جمع نَصْب [1] بالفتح وهو العَلَم المنصوب الذي يُستَبَقُ اليهِ. ويدل على هذا الاحتمال الضمير

---

(١) لم يرد فى كتب اللغة جمع نصب على نصاب، لكن الشاعر اذا اضطر اتخذ القياس دليلا له فى كلامه. وجمع فعل المفتوح على فعال المكسور اشهر من ان يذكر مثل بحر وبحار، ثوب وثياب، ظبي وظباء الى غيرها. (قاله فهر نقلا عن الاب المذكور)

من غايتها .فقوله :

« كخيل القرْق غايتها النصاب »

مُحتمل أن ضمير « غايتها » يعود الى أعلاط الكواكب ، كما يحتمل أن يعود الى خَيْل القرْق ، ولا سيما لان الضمير يعود الى أقرب اسم يوافقه في التذكير والتأنيث

هذا ما بدا لى وعلمه فوق كل ذي علم

بغداد فهر الجابري

﴿ ذيبة المَهَل ـ جزائر مالديف Mal Dives ﴾

من البلاد الاسلامية التي يقلد المسلمون الافرنج حتى فى لفظ اسمها جزائر صغيرة كثيرة العدد واقعة أمام الساحل الغربى من بلاد الهند على مقربة من جزيرة سرنديب ويعرفها طلبة المدارس عندنا خطأ باسم (جزائر مالديف) واسمها الحقيقي في لغتنا (ذيبة المَهَل) فأخذ الافرنج هذا الاسم وعكسوه وجعلوا « المهل » بلفظ Mal و « ذيبة » بلفظ Dives

قال العالم الالباني الشهير شمس الدين سامى بك فى (قاموس الاعلام) ص ٤١٢٠ : وما برح تجار مسقط والسائحون من أهل بلاد العرب يأتون هذه الجزائر من أقدم الازمان بقصد التجارة وقد زارها ابن بطوطة . وكان الافرنج الى وقت قريب لا يعرفون عنها شيئا غير ما ينقلونه عن هذا السائح العربى . وقد دخل أهلها فى الاسلام من مئات السنين ، وأهلها من الجنس السنغالي ويكتبون بالحروف العربية

وقال ابن بطوطة (٤ : ١١٠ طبعة الجمعية الاسيوية فى باريس سنة ١٨٧٩) ـ وكان قد زار هذه الجزائر في القرن الثامن الهجري وسكنها وتزوج من نسائها

وتولى القضاء فيها ـ قال : « وعدتُ الى قالقوط وعزمت على السفر الى (ذيبة المَهل) وكنت أسمع بأخبارها فبعد عشرة أيام من ركوبنا البحر بقالقوط وصلنا جزائر ذيبة المهل ـ وذيبة على لفظ مؤنث الذيب ، والمهل بفتح الميم والهاء ـ وهذه الجزائر إحدى عجائب الدنيا ، وهي نحو الفي جزيرة ، ويكون منها مائة فما دونها مجتمعات مستديرة كالحلقة لها مدخل كالباب لاتدخل المراكب الا منه » الى أن قال « وهذه الجزائر أهلها كلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح ، وهي منقسمة الى أقاليم على كل اقليم والٍ يسمونه الكردوبى » وقال « وفي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة وأكثر عماراتهم بالخشب وهم أهل نظافة وتنزُّه عن الاقذار . وأكثرهم يغتسلون مرتين فى اليوم تنظفًا لشدَّة الحر بها وكثرة العرق»

وكان الحكم في هذه الجزائر زمن ابن بطوطة الى سلطانة من بيت الملك وهي السلطانة خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنجالي . وذكر ابن بطوطة أن هذه البلاد دخلت في الاسلام على يد الشيخ أبي البركات المغربى البربري المالكي زمن سلطانها السلطان أحمد شنورازه

وفى الترجمة الفرنسوية لرحلة ابن بطوطة بقلم المسيو دِفرِمري C. Defrémery والدكتور سا نغينتّي Dr. B.R.Sanguinetti فُسِّرت (ذيبة المهل) بكلمة les Maldives وقال المترجمان « إن ذيبة تعريب كلمة douipa باللغة السنسكريتية ومعناها الجزيرة » وجاء في دائرة المعارف الفرنسوية الكبرى ان معنى ما لديف : Millier d'iles أى اُلوف الجزائر

ونظن أنه لا يجوز بعد اليوم لمن يؤلف في الجغرافيا باللغة العربية أن يصرَّ على استعمال الاسم الافرنجي بعد أن تبين أن العرب عرفوا هذه الجزائر من مئات السنين وأن اسمها المعروف عندهم والمنقول عن السنسكريتية مباشرة هو (ذيبة المهل) وما الاسم الافرنجي الا محرفاً عنه

مهمة الاسلام

نشرنا في الجزء الماضي (ص ٢٢٠ - ٢٢٣) خطبة الكاتبة الفرنسوية مدام سنت بوانت في جمعية الرابطة الشرقية بعنوان « افلاس الحضارة الغربية » وقد أصدرت هذه الاديبة مجلة فرنسوية باسم Phénix (العنقاء) ومما نشرته فيها المقالة التالية :

ان أمم البشر الكبرى تنقسم الآن الى قسمين يُسمَّيان خطأ « الشرق والغرب » : الاول آسية العجيبة البعيدة الغور الى الهند والصين وأطواد التُّبَّت الشامخة ، والثاني يشمل أوروبا وتوابعها وأمريكا التي غدت مُضْطَرَباً واسعاً للحياة والعمل . والاسلام ماثل بين هذين القسمين من أمم البشر

لقد مضى تاريخ الجنس البشري في آسية منطويا على روح الدين ، والاعتقاد بما وراء الطبيعة ، واحترام القوى التي عاشت بها الانسانية ونَمَتْ ؛ فهي مهد الاساطير ، ثم هي وطن الانبياء ، ومنبت الاخلاقيّ ، والشاعر ، والمستسلم ، والسائح في المملكة الباطنية ناظراً الى الدنيا بانها دار ممرّ ، وان هذه الحياة حلقة في سلسلة الوجود

ومضت أوربا سالكة طريقا يخالف ذلك الطريق ، فامتلكت الارض ، واستخدمت قوى المادة ، لكن ثقافتها تركت الرجل - من جهة الاخلاق - حيث كان في الدور الحَجَرى . وهل المَصْرَفيّ (صاحب البنك) الا خليفة الامراء المستبدين في عهد الاقطاع : الذين كانوا يبتزّون أموال الناس ، ويجرّدونهم من ثوب النعمة ، ويخربون بيوتهم ، ويتلذذون بسفك دم الجار الضعيف ؟ وهل مجلس إدارة المصرف إلا كعصابة من قطاع الطرق اجتمعوا للمؤامرة على عمل سوء ينصبون أحبولته ؟

ان أمنية أوربا الوحيدة هي المال الذي يتوصل به أهلها الى المتعة واللذة ، وهي تعاني سكرات الموت الروحي لانها سُلبت نعمة الايمان

بينما الصحافة ، والهاتف (التلفون) اللاسلكي ، وسكك الحديد ، والبواخر والطيارات ـ تعمل لتقريب الابعاد ، وتأليف الافكار ، وجعل الامم متأثرة بتأثير واحد ، ومنفعلة بانفعال واحد ، وتوجيه أنظار الاجناس الى أمل واحد ؛ إذا بأوربا رازحة تحت متاعب حرب تبحث عبثا عن أسبابها ، وهي عاجزة عن الحكم على نتائجها ، ومترقبة لما تتوقعه من مخاوف وآلام

وبينما نرى الشرق يستيقظ على حركة الطرائق العلمية ، ويرمي ببصره الى مجالي الفكرة الاوربية ، تلوح لنا من الجهة الاخرى حقيقة مسلَّم بها وهي أن الغرب فى حاجة الى الشرق ليكوّن له ايماناً جديداً ، كما أن الشرق فى افتقار الى تأسيس ملكه على ما توصل اليه الغرب من أساليب التثمير ، ليستمتع بكنوز الارض ، ويتسنَّى لكل فرد أن يعيش برفاهة وسعادة

قد يبقى الشرق والغرب غير متفاهمين ، لما بينهما من تفاوت فى العقلية والتفكير ، ولكن واسطة التفاهم موجودة :

نحن نعلم أنه لا اتصال بين عالِم الكيمياء الغربى وبين الكاهن الهندي ، ولا بين المهندس الغربى والزاهد المتحنّث فى معابد جبال التُّبَّت ، ولا بين الاستاذ فى جامعات أوربا والفقيه الصيني ـ للتفاوت العظيم بين الفريقين في تقرير مدلول كلمات الثروة والعمل والارادة ، ولبُعد ما بين المجال الروحي لاولئك الاسيويين والمرامي العملية لهؤلاء الاوربيين

إذن فلا بد للشرق والغرب من حالة وسطى

لا ريب عندنا في أن هذه الحالة الوسطى المنشودة هي « **الاسلام** » الذي وَسَّد الدهرُ اليه هذه المهمة العظمى بين الشرق والغرب . فقد جمع المستنيرون من رجاله بين العلوم الكونية والفضائل الروحية ، لا سيا في مصر

وشمال إفريقية : مفرق طرق الامم ، ومحطة طريق البحر الابيض المتوسط

لم يقتصر العمل الذي قام به محمد (صلى الله عليه وسلم) على توحيد القبائل المختلفة والشعوب المتباينة بقانون واحد ، بل اقترنت به معجزةُ إقامة سور بين الشرق والغرب لا يمكن اقتحامه ، فأمِنَ به الشرقيون قروناً طويلة شرَّ غارات تزْجيها عليهم مطامع الاوربيين الذي اضطروا الى البقاء في أوربا ينظمون جماعاتهم ويشتغلون بعلومهم ، ولولا الاسلام لأغارت أوربا على آسيا ، أو لابتلعت آسيا أوربا .

ثم ان عمل محمد (صلى الله عليـه وسلم) قد جاء العالَم بنتيجة عظيمة من الوجهة الفكرية بما حمله الى تلك العصور التي يسميها الاوربيون بالقرون الوسطى

ان مهمة الوساطة بين الشرق والغرب قد ألقيت اليوم من جديد على عاتق (الاسلام) ، فعلى زعماء المسلمين وعظمائهم أن يفهموا المهمة السامية النبيلة التى يجب عليهم القيام بها ، ولا سيما في مصر التي جمعت بين فهم الحضارة الحديثة وبين إرث الحضارات السالفة

اليوم ينظر الشرق الى الغرب ، ويجنح الغرب الى الشرق

اليوم تستطيع الامم الاسلامية المتطورة أن تكفل روعة العصر المقبل اذا هي جمعت بين استماع صوت آسيا وبين الترجمة العملية لعلوم أسرار الكائنات ، ولن يقوموا بهذا العمل الا اذا أدركوا حالة العصر ، وعرف أولو الامر - ولا سيما من المصريين - كيف يساعدون هذه النهضة على اتمام عمل الغد

ان ضرورة توسيع دائرة العلاقات الانسانية ، وإنماء الجسم الاجتماعي ، ستحمل قارّات الأرض على أن تنظم نفسها ، وتدفعها الى أن تحل مسألة الشرق والغرب حلا أشرف مما حاوله أهل القرون الوسطى

واذا ألقينا نظرة على أوربا نراها تلوح لنا من وجهة تكوينها كأنها شبه جزيرة تابعة للقارة الاسيوية ، ثم ان تيارات الفكر المنبعثة من قلب آسيا

قد جالت من أوربا فيما مضى في مكان جولة الدم من الجسم حاملة الى أطرافه نعمة الحياة . وان هذا وذاك مما يبين لنا أن أوربا ما برحت ذات صلة فكرية بالسلف الانساني وما كانوا متحلين به من الفضائل ، وتمتاز أوربا بذلك على أمريكا الشيطانية التي أنجبتها عبقريتها وولدها جنونها . فما على أوربا الا أن تولي وجهها شطر آسيا لتخفف عن كواهل أبنائها عبودية المادة ، وتقيهم الهاوية التي تدفعهم اليها الانانية ، وتنقذهم من مصير اقتادهم اليه ذوق التعجل ولذة الانتاج من غير حد

ان أوربا في حاجة الى أن تقترب من الاجناس التي لا تزال لديها مئونة فكرية كافية ، وشاعرية لا تفوقها شاعرية . لانها وقد أسكرتها شهوة المطامع تنظر الى آسيا وهي تفكر . فهل يريد الاسلام أن يقول كلمته ؟ وهل يريد أن يشترك في الحديث مع الصوتين الخطيرين المرتفع أحدهما من فم العلم في الغرب ، والثاني من فم التقاليد في الشرق ؟

ان للشرق تقاليد هي أقدم تقاليد البشر ، وتتصل بحضارة الجنس الاحمر الاطلانتية ، وبحضارة قدماء المصريين الزاهرة . وان أسرار هذه الكنوز القديمة أتاحت للصين أن تنظم نفسها ، وللهند أن تزهو في ماضي عهدها . وللشرق كتبه المقدسة التي كشفت عن أسرار الطبيعة ، وأرشدت النفوس الى ما وراء المادة ، فهي خزائن الجلي والمكنون : أعني المادة والروح . واذا قيست اختراعاتنا الحديثة بسرائرها الأزلية كانت أعمال علمائنا اليوم كالاعيب الصبيان لما انطوت عليه تلك الاسفار القدسية من معنويات روحية ، وبيان معجز ، وحكمة بالغة ، ودلالة الى الحياة الانسانية الداخلية الطاهرة . وصفوة القول ان الكتب المقدسة لتهدي الى سبيل النظام الاجتماعي الصحيح القائم على أساس الاخاء الانساني ، ذلك السبيل الذي خفي عن عيون الفوضى الاوربية بعناية فائقة ، وما على الشرق إلا أن يأخذ أهبته لاعلان هذه الهداية متى حسنت نية أوربا .

ويومئذ تجد أوربا ـ في هذه الفكرة الشرقية السامية ـ التقاليدَ التي نسيتها منذ القرون الوسطى ، فيكون ذلك ذريعة لتنظيم عقيدة العصر المرتجى

محمد سالم الكبير

رثاء شيخ الغناء المصري

اليومَ يُحيي الموتُ ـ بين فخارِ وأسىً لرُزْئكَ ـ فضلَكَ المتواري
وتنوحُ عيدانٌ ضحكتَ لها وكمْ غنَّتْ وكم اشجتْ على الاوتارِ
ويُؤبّنُ الفنُّ اليتيمُ زعيمَه وأباهُ بعد مُخلَّدِ الأعمار
سنعيشُ رغمَ الجهلِ في شعبٍ غدا فيه النُّبوغُ كوصمةٍ أو عار
حكمُ الطبيعةِ : فالجهالةُ عِلّةٌ تشقي الجميلَ ولا تسوء العاري
عمَّرْتَ قرناً في الغناء وعمَّرتْ آثارُكَ الحسناء للأدهار
ووعيْتَ ألحاناً تنوء بحملها قيثارةُ المتفنّنِ الجبّار
أسْمعْتَ جبابِنَ الحياةَ شجيّةً سيانِ بين أصاغرٍ وكبار
النفسُ عندك سرُّها لك مُعلَنٌ فعرفتَ كيف تهيبُ بالاسرار
ووهبتَ للدَّهماء أُنسَ زمانهمْ مثل الملوكِ ، وكنتَ ايَّ منار
تتهافتُ الالبابُ حولَكَ نشوةً مثل الفراشِ على الضياء السّاري[1]
أو في النَّهار على ندى الأزهار لا تَعصي جواذبَ ضاحكِ الازهار
فتذوق بالألحانِ أيةَ مُتعةٍ وتفيء سَكْرَى الفنّ لا الخمّار
حقٌّ لمثلكَ أن يعيشَ مخلّدًا فاسمحْ لحقّ الدّمع من أشعاري[2]

أحمد زكي ابو شادي

---

(١) اشارة الى صوته القوي الدائم حيث كانت لياليه المشهورة جاذبة لمئات المستمعين ، منتشرة الصدى (٢) أي فاسمح بالقبول لحق الدمع من أشعاري في رثائك

الطرق الاربعة – الى معرفة الحق (*)

﴿ طريقة الحكماء المشائين * ورجالها * وكتبها ﴾

منهم يوحنا بن حيلان المتوفي بمدينة السلام في أيام المقتدر

وأبو بشر متى بن يونان من أهل دير قُنَّى ونزيل بغداد ، كان رئيس المنطقيين في عصره ، وعلى كتبه وشروحه اعتماد أهل هذا الشان ، وقد تلمذ الفارابى له وليوحنا بن حيلان . ونشأ أبو بشر هذا في أسكول مار ماري ، وقرأ على قُويرى وروفيل وبنيامين وعلى أبى أحمد بن كَرنيب وله تفسير من السريانى الى العربى . مات سنة ٣٢٨

ويحيي بن عدي نزيل بغداد ، وهو من تلامذة أبي بشر متى وأبى نصر الفارابى . كان أوحد دهره وانتهت اليه رياسة المنطق وكان جيد النقل نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية وصنف فى الحكمة شيئاً كثيراً ومن تصانيفه رسالة الاخلاق التي طبعتها المطبعة القبطية قديما (١) وكان مذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية مات سنة ٣٦٣ ودفن بكنيسة مار توما وهي كنيسة القطيعة ببغداد

والمختار بن عبدون النصراني البغدادي المعروف بابن بُطلان

وعيسى بن زرعة بن اسحق بن زرعة بن مرقس بن زرعة بن يوحنا النصرانى المنطقى أحد المتقدمين في علم المنطق والفلسفة واحد النقلة المجودين

ويوحنا بن البطريق وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب وقد تولى ترجمة كتب ارسطو خاصة

ويحيي بن التلميذ الحكيم معتمد الملك النصرانى طبيب الدولة العباسية

وأبو الخير بن سوار بن بابا بن بهنام المعروف بابن الخمار من تلامذة يحيى بن

(*) انظر الزهراء ٢ : ١٩٨ — ٢٠٥ (١) انظر الزهراء ١ : ١٢٠ و ٤٧٣

عدي كان نصرانياً فى نهاية الذكاء والفطنة ماهراً في العلوم الحكمية وله مصنفات جليلة في الطب وغيرها منها كتاب الهيولى ، وكان خبيراً بالنقل نقل كتبا كثيرة من السريانى الى العربى

وأبو سهل المسيحي المنطقي العالم بعلوم الاوائل ومن مشايخ ابن سينا على ما يقال ، ومصنفاته مشهورة نقل عنها الامام الرازي وغيره من أئمة المتكلمين . قال الامام قطب الدين ابراهيم بن علي السلمي ما معناه : والمسيحي أعلم بصناعة الطب من الشيخ أبي علي بن سينا فان مشايخنا كانوا يرجحونه على جمع عظيم ممن هم أفضل من أبي على بن سينا . وقال أيضاً : عبارة المسيحي أوضح وأبين مما قاله الشيخ ، وغرضه في كتبه تقييد العبارة من غير فائدة الخ

وهؤلاء الاثنى عشر من يوحنا بن ماسويه الى أبي سهل المسيحي هذا كلهم من فلاسفة النصارى وأكثرهم ممن خدم العباسيين أو أتباعهم

وثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا الحرانى الصابى كان الغالب عليه الفلسفة وله كتب كثيرة في فنون من العلم كالمنطق والحساب والتنجيم والهيئة وله مدخل الى كتاب أقليدس عجيب

وابراهيم بن سنان بن ثابت الحرانى الصابى وهذا مع الذي قبله من فلاسفة الصابئة الذين يدينون للكواكب

والشيخ الرئيس أبو على بن سينا صاحب الشفا والنجاة والاشارات. وهذه الكتب الثلاثة من الكتب التى يرجع اليها في الفلسفة. قال حاكيا عن نفسه كان أبي ممن أجاب داعى المصريين — يعني الفاطميين — ويعد من الاسماعيلية وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذى يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي وكانا ربما تذاكرا بينهما وأنا أسمع منهما وأدرك مايقولانه وابتدءا يدعوانني أيضا اليه ويجريان على لسانهما ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ثم جاء الى بخارى أبو

عبد الله الناتلى وكان يدعى الفلسفة وانزله أبي دارنا وجاء تعلمى منه . الى آخر ماقال . وذكر قبل قدومه انه كان يشتغل بالفقه والتردد فيه الى اسماعيل الزاهد ثم فارقه الناتلى متوجها الى كُركانج واشتغل هو بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح من الطبيعى والالهى ثم رغب فى علم الطب هذا . وقد توفر ابن سينا بعد بلوغه درجة عالية فى الفلسفة على درس كتب اللغة ثلاث سنين واستدعى بكتاب تهذيب اللغة من بلاد خراسان من تصنيف أبي منصور الازهرى فبلغ الشيخ طبقة قلما يتفق مثلها لاحد وصنف كتابا فى اللغة سماه لسان العرب عشرة مجلدات الا انه لم يبيض وصنف كتبا أخرى كثيرة بعضها باسم استاذه أبي سهل المسيحى

والاستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني نسبة الى بيرون مدينة فى السند كان مشتغلا بالعلوم الحكمية فاضلا فى علم الهيئة والنجوم وكان معاصرا للرئيس ابن سينا وبينهما مباحثات ومراسلات. وأقام بخوارزم وصنف كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية وكتاب القانون المسعودى الذى حذا فيه حذو بطلميوس وهما من أنفس ماصنف

وأبو الفرج علي بن الحسين بن هندو من الاكابر المتميزين في العلوم الحكمية والامور الطبية والفنون الادبية له الالفاظ الرائقة والاشعار الفائقة والتصانيف المشهورة والفضائل المذكورة وكان كاتبا مجيدا من أجلّ تلاميذ ابن سوار المعروف بابن الخمار وذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر فقال هو مع ضربه فى الآداب والعلوم بالسهام الفائزة وملكه رق البلاغة والبراعة فردُ الدهر فى الشعر واوحد أهل الفضل فى صيد المعاني الشوارد ولأبي الفرج من الكتب : المقالة المشوقة في المدخل الى علم الفلسفة ، كتاب الكلم الروحانية من الحكم اليونانية ، ديوان شعره

آخر بني سراج

رواية الفيكونت دوشاتوبريان الكاتب الفرنسي الشهير

كانوا مُلوكاً منارُ الشمسِ رايتُهمْ — حتى تدلَّوْا لسقْطِ اللّهْوِ غافينا
فضيّعوا دولةً كان الجلالُ لها — ديناً ، فلم يُنصِفوا مُلكاً ولا دينا
حضارةٌ قد نماها العلمُ مزدهراً — ولم يزلْ ضوءُها البسّامُ يَسْبِينا
ونَفْحَةٌ من جمالِ (العُرْبِ) خالصةٌ — أهدتْ الى المُلْكِ والدُّنيا رياحينا
وعمَّرتْ في قرونٍ عن ثمانيةٍ — ما لا يزالُ مديدَ العُمْرِ هادينا
ما بين عتْبٍ وتَحنانٍ يسائلنا — وبين وَجْدٍ وإشفاقٍ يُناجينا
لبّاهُ قَبلاً فتى منْ أهلِ عزّتِهِ — ممَّنْ جلَوْا عنه في الضرَّاءِ باكينا
وكان شَهْماً عظيمَ النفسِ من نَسَبٍ — (بنو سراج) الأُولى عاشوا ميامينا
فسارَ حجّاً الى آثارِ أمّتِهِ — وأكرمُ الحجِّ ما يوحي ويُشجينا
تهزُّهُ الذكرياتُ النائحاتُ وكمْ — ننوحُ للذكرِ من مفقودِ ماضينا
ولم يزلْ باحثاً والقلبُ يُرشدُهُ — والدمعُ يُسعِفُهُ شوقاً وتأبينا
حتى أتاهُ الهوى عفواً يُتيّمه — والحبُّ لا يرتضي عُذْراً ولا لينا
مِنْ شمسِ (غرناطة) الغرَّاء اذ طلعت — له ، فبادَلها عشقاً أفانينا
حتى تجلّى له ما أصلُ عنصرِها — مِنْ (آل بيفار) مَنْ أشقوْهُ قاسينا
وبدّدوا أهله في كلِّ ناحيةٍ — وذلّوا بالدمِ الجاري الاعزّينا
فلمْ يُطعْ قلبَه عرفانُ واجبِهِ — أو أن يُهينَ دَماً في الأسر ماهينا
وسارَ تذكارهُ الباقي لنا مثَلاً — يوحي لنا خيرَ ما يُحيي أغانينا
وما يَبثُّ المنى فينا ليومِ غدٍ — وما يحرِّكُ آياتِ العُلى فينا

احمد زكي أبو شادي

الشيخ أحمد بن الخوجة التونسي (*)

١٢٤٦ — ١٣١٠ هـ

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن حمودة بن محمد بن علي خوجة

وُلد سنة ١٢٤٦ ، ونشأ في حجر علم وفضل : فقرأ على والده شيخ الاسلام النحوَ والفقه والاصول وعلم الكلام . وروى عنه صحيح البخاري وجوّد عليه القرآن العظيم ، وأجازه اجازة عامة هذا نصها :

الحمد لله الذي وصل من انقطع الي جنابه ، ووقف ضارعا خاضعا ببابه . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ، صلاة وسلاما نرجو بهما النجاة يوم العرض على الله من مناقشة حسابه ، وأليم عقابه

وبعد فان ولدي الفاضل النجيب الزكي الذكي الاريب ، الحائز من العلوم أوفر نصيب ، الرامي في ميدانها بسهم مصيب ، الامجد الانجد أبا العباس أحمد ، زاده الله توفيقا ، وحشرني واياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، قد التمس مني أن اجيز له فيما تضمنه هذا الثبت وغيره مما أمليت أو كتبت ، وفي سائر ما هو لدي وصحت نسبته الي. فها أنا قد أجزت له اجازة تامة في ذلك كله ، علما مني بأنها من وضع الشيء في محله . وأجزت له أيضاً أن يجيز من اراد الكرع من حياضه ، والاقتطاف من أزهار رياضه . وأوصى ولدي بتقوى الله في سره وعلانيته ، فانه سبحانه وتعالى مطلع على فعله وعلى نيته . وان لا ينساني بصالح دعواته ، في خلواته وجلواته . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كتبه بيده الفانية الفقير الى ربه

في يوم الاثنين ١٩ صفر عام ١٢٧١ محمد بن الخوجه

وبلغ من عناية والده به أنه كان اذا خطرت في باله مسألة من مسائل العلم وهو في سريره ينبّه ابنه من النوم ويلقيها اليه ، لئلا يفوت صاحبَ الترجمة أخذها عنه

وأخذ عن عمه حسن بن الخوجة والشيخ حسين البارودي والشيخ محمد

(*) نقلا عن مذكرات العلامة السيد محمد الخضر التونسي مؤلف (نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم) و(حياة ابن خلدون) و (الخيال في الشعر العربي) و (حياة اللغة العربية) وغيرها . وهذه المذكرات غير مطبوعة

الستاري والشيخ ابراهيم الرياحي والشيخ ابن ملوكة والشيخ محمد بن عاشور والشيخ ابن سلامة والشيخ محمد النيفر والشيخ معاوية والشيخ الخضّار والشيخ الشاهد والشيخ محمد الشنقيطي

وأجاز له شيخ الاسلام الشيخ بيرم الرابع إجازة منظومة يقول فيها :

وبعد فان نيل العلم فخر لصاحبه يورّثه جلالا
ولاسيما الحديث واي شخص يزاوله ولم يحمد مآلا
وممن قاده التوفيق حتى تردى من مطارفه وجالا
واسهر جفنه فيه اكتسابا وبالغ في تطلبه فنالا
ابو العباس أحمد وهو من قد عجزت اذا طلبت له مثالا
وبابن الخوجة الاسمى ابيه محمد الهمام حوى احتفالا
ومن اضحى لذاك الليث شبلا فقد سبق الجهابذة الرجالا
وقد طمحت الى الاسناد نفس زكت منه وأحسنت الفعالا
فيمم ذا الفقير يروم منه اجازته وقد ظن الكمالا
وافنى في تردده زمانا وكرر في عنايته السؤالا
فاحجم عن اجابته حياء واوسعه لذا المنى المطالا
ولما لم يجد من ذاك بدا ولا اعفى الملح ولا اقالا
تجشمها وليس لها باهل مسامحة لراغبه وقالا
اجزت له رواية ما روي لي اساتذة وقد كانوا جبالا الخ ...

تولى صاحب الترجمة خطة التدريس بجامع الزيتونة فبهر العقول بتحقيقه ، وبراعة أسلوبه . وتولى الامامة بجامع محمد باي ، ومشيخة المدرسة الشماعية ، وخطب من انشائه الخطب البليغة ، وتولى خطة القضاء في ربيع الأول سنة ١٢٧٧ فقام باعبائها أحسن قيام . وتولى الافتاء في المحرم سنة ١٢٧٩ ورجع الى التدريس بجامع الزيتونة بعد أن انقطع عنه بولاية القضاء اذ يجوز في قانون جامع الزيتونة أن يجمع بين التدريس والفتوى ، ولا يصح الجمع بين القضاء والتدريس

ولما توفي الشيخ معاوية ولاه المشير محمد الصادق باي منصب شيخ الاسلام في صفر سنة ١٢٩٤ . وانتصب لدرس تفسير البيضاوي عام ولايته مشيخة الاسلام فأبدع في التقرير ، وكان درسه مورداً لأذكياء العلماء . وشرع في

الكتابة على حواشي عبد الحكيم على هذا التفسير ، ولكن عاقه عن الاستمرار على ذلك الدرس ما طرأ على سمعه من صمم

وكان رحمه الله لطيف المحاضرة ، حسن النظر في مذاهب السياسة الشرعية ، عالي الهمة ، حسن اللقاء

﴿ مؤلفاته ﴾ منها المرشد ، ورسالة في حكم الانتفاع بشواطيء البحار ومعظم الانهار ، والصبح المبين ، ونفثة المصدور . وتصدّى لتكميل حاشية والده على الدرر من أولها لان والده شيخ الاسلام ابتدأ تلك الحاشية من كتاب النكاح

وحرر من الفتاوي ما لا يسع القلم استيعابه ، وكان يصوغها على طريقة النظر المستقل فيطبق الاصول والقواعد على الوقائع مع رعاية المصالح ومقتضيات الاحوال ، ويجمع فى أكثرها بين المذهبين المالكي والحنفي

وما برحت مجالسه بأهل العلم والادب حافلة ، وبراعته على تحرير الفتاوي عاملة ، الى أن توفي سنة ١٣١٠ هـ تغمده الله برحمته

﴿ قصيدة عبد الكريم ﴾

وقع تصحيفٌ فى مطلع هذه القصيدة التاريخية المنشورة فى الجزء الماضي (ص ١٦٤) فوجب التنبيهُ الى صحته حتى لا يلتبسَ المعنى ، وصوابُهُ :

بنيتَ للذكرِ ما يخشاهُ سُلوانُ   والذّكرُ عقلٌ وإنشاءٌ وإحسانُ

وهذا أصدقُ ما يُنعَتُ بهِ جُهْدُ عبدِ الكريم العظيم ، فهيهات أن يتحدّى السلوانُ ما بناه هذا الزعيمُ الكبير من ذكر فخم جليل يستمدُّ منه العالم الاسلامي أشرفَ قوّةٍ معنويةٍ للسيادة القومية

الوطن العربي .

مصر والشام

***

ياسحاباً يُزجي إلينا رُكاماً فنرى الوَدْقَ فائضاً من خلاله
أيُّ بحرٍ سوّاك ، بل أي أفقٍ بعد حبسٍ أُطلقتَ من أغلاله؟
أنبيء الأرض هل حملتَ غديراً في انحدارٍ نهفو الى شلاّله ،
أم سيولاً تهيم في كل وادٍ ، أم رذاذاً يروق في أوشاله ؟
أين تغدو : أشاطىءَ البحر ترجو ، أم بواديه ، أم رءوسَ جباله ؟
ألِى مصر ، أم الى الشام تصبو ؟ والشقيقان واحدٌ في وصاله

***

بين مصرٍ والشام شاطىء بحرٍ ملءَ عين الأيام بعضُ نواله
وقفتْ بينه وبين الصحارى شامخاتُ الجبال أسرَى جماله
شيّدتْ صرحها عليه الليالى واستقرَّ التاريخُ في أطلاله
ربضت خلفه أسودُ البوادي شاهداتٍ عليه فى أعماله
كلما جاءها مخاضُ الليالى عزّزته بنخبةٍ من رجاله [1]

(١) اشارة الى مهاجرات الساميين من بوادي جزيرة العرب الى اقاليم البحر المتوسط التي عمروها منذ اقدم ازمنة التاريخ : في سوريا ، ومصر ، وبلاد المغرب . وقد ذهب المؤرخ المدقق (جمس هنرى بريستد) الاستاذ فى جامعة شيكاغو الى أن جماعات سامية عظيمة قد هاجرت قبل زمن التاريخ من البقعة الهلالية الشرقية فمشت غربا حتى هبطت مصر بطريق سينا والسويس فاقام بعضها في هذا القطر وعمره ، وهؤلاء هم اصل الشعب المصري القديم ومؤسسو الحضارة المصرية ، ثم مشى قسم آخر منهم الى الحبشة فاستوطنها وبقي قسم آخر يتنقل فى افريقية الشمالية قرونا عديدة حتى استقرت منه جماعات كثيرة فى بقاعها وصل بعضها حتى شواطيء بحر الظلمات (الاطلانطيك) . وليست حركة العرب عند ظهور الاسلام الا مظهراً آخر من مظاهر تلك المهاجرات أنتجت توحيد المواطن السامية وبعثها في وطن عربي جديد
(الناظم)

أدنَتِ المتنأي ، وكانت دليلاً لفتاها الجبّارِ في ايغاله
هجرةٌ إثرَ هجرة من صحارى كنّ أصلاً للبحر في أجياله
ملأت أفقَه بآمال مجدٍ فمشى البحر ناشطاً من عقاله

***

(وطنٌ واحدٌ) لأبناء (سامٍ) عربيٌّ في خطوه ومجاله
ما استقل (الآرىٌ) فيه وإن ظلَّ زماناً يعدو على استقلاله [1]
ليس (عمرو) و(خالد) غير قطبين أطلاّ منه على آماله
بعثاه بعثاً جديداً أرانا ضَوْء مجد مُخلَّدٍ في مثاله
(وطن العُرْب) خافهُ كلُّ عاتٍ أغرق الفاتحين بحرُ رماله
كفلته الصحراء شرقاً وغرباً حين فتّ الاعداء في أوصاله
وطن المرسلين بالحق نوراً ودهاةُ التشريع من عُمّاله
مصر والشام فرعه الوارف الظلّ وأهلُ القطرين من أشباله
خسيء العابث المغير وان ظلَّ مُجِدّاً في غيّه ومحاله
عشرات المليون للضاد ليسوا ليموتوا ، فليرتجع عن ضلاله !
كرَّ هذا الزمان كرّاً عنيفاً فاذا هم لم يبرحوا من نصاله
واذا هم من خالدي الفكر حتى في حضارات غربه وشماله [2]

---

(١) يرى مورخو الغرب وعلماء وصف الشعوب (الاثنوغرافيا) عند مقارنتهم بين الاحداث التاريخية والاوضاع الجغرافية ان في انتشار الشعوب الآرية على حوض الشواطيء الشمالية للبحر المتوسط وانتشار الشعوب السامية على حوض الشواطيء الجنوبية لهذا البحر مايشبه خطين متناظرين أو جبهتي حرب كانتا وما زالتا ميدانا للتنافس والتناحر بين الشرق والغرب منذ خمسة آلاف سنة حتى يومنا هذا . (الناظم)

(٢) اشارة الى الحضارتين الافرنسية والانكليزية

منذ (خُوفُو) ومنذ (قَدْمُوسَ) يزهو بحر فنّانهم بحسن لآله [1]
ان أدال الزمانُ منهم ملوكاً لم يُدِلْ من نبوغهم وجلاله

***

مصر والشام مشرقان لشمسٍ ضاء منها الزمانُ في إقباله
نسَجَتْ من شُعاعها بُرْدَ مجدٍ خلعته دهراً على أقياله
فاستفاض الشرقيُّ منها بثوبٍ ذهبي الشعاع عن أسماله

***

مصر والشام لن تموتا وان جا رَ علينا الدخيل يوم نزاله
لن تموتا والغرب غربٌ وهذا الشـ ـرق شرقٌ في روحه وإباله
لن تموتا والحق أثبتُ نوراً : خمد البغي، أو مضى في اشتعاله

***

مصر والشام مطلعان لفجرٍ عربيٍّ غطّى على آصاله
نهضا يبعثان عصراً قديماً في جديدٍ حاكا على منواله
نهضا ينشران في الناس أن النـ ـاس أسمى في العيش من أنواله
ويضيئان للحياة سبيلاً عجز الغربُ عن سلوك كماله

***

مصر والشام دوحتان لشعبٍ صانه الله، مَدّ في أظلاله

محمد الشريقى
نزيل عمان

(١) خوفو مصر وقدموس فينيقيا

فؤاد سليم

دمعة عليه ، ونبذة من تاريخ حياته

١٣١٠ — ١٣٤٤ هـ ١٨٩٣ — ١٩٢٥ م

فجعت القومية العربية في هـذا الشهر بفقد فتى من فتيانها ، وبطل من أبطالها : العالم الفاضل والشهم الشريف صديقنا الحبيب فؤاد بك سليم قائم المقام العسكري صاحب مقالتي « العرب وذهينة الغرب » في مجلد السنة الماضية من الزهراء ص ٥٢١ و ٥٦٥ . لشبت الثورة القومية في سوريا وهو بين ظهرانينا فحاول أن يلتحق بها ولكن حيل بينه وبين الاذن بالسفر فاجتاز الحدود المصرية على قدميه ثم على بعير ، وما زال يجتاز العوائق حتى صار في قلب الثورة ، وحتى صار حامل رايتها ، الى أن سقطت عليه قذيفة من طيارة آثمة بينما كان في مجدل شمس فانتقل الى دار الخلود . والى القراء هذه المقال المتمم في وصف البطل الراحل :

للثورات أبناء بررة يولدون معها ، ويتغذّون بموادّها المضطربة ، ويغذونها بكل ما أوتوا من مواهب النجابة ، وقلّما يَصِلون معها الى الغاية التي من أجلها اضطرمت : لأن الثورات ـ كالنيران ـ تأكل نفسها وما يُقدَّم اليها ، ولا يسلم من شُواظها دانٍ ولا قريب

ثورات تخلق رجالاً ، ولكنهم ليسوا كالرجال ، لان كل ما فيهم من عقل وقوة وعمل ، مظهر يكاد يكون شاذاً عن الطبيعي المألوف : وهذا ما يسمونه العبقرية

رجلٌ يرى ما لا تراه أنت ولا أنا ، ويدرك بثاقب بصره ما لا يسهل علينا إدراكه فهو « الرجل » الذي يلزمني ويلزمك النزول على قوله ، لان فيه من صفات الرجولية المتكاملة ما يضطرنا الى ذلك طوعا أو كرها

من ثورة عام ١٩٠٨ ، ثم من ثورة سورية الفكرية ، وُلد فؤاد سليم اللبناني المولد ، الدرزي النشأة ، وكان إذ ذاك تلميذاً في الكلية الامريكية في بيروت ،

فصار يتمشى مع الحوادث التى توالت على البلاد الشامية ، ويعمل فيها بكل ما أوتيه من قوة وعقل وعلم، الى أن أصبح علماً خفاقاً في معقل الفكر السورى الذى لا يطلب من الحياة إلا أطيبها . ومن مظاهر هذه الحياة الاستقلالُ الذى يعيد غابر المجد العربي الاموى ، والعقلُ الذى ينشد السبيل الى الوصول ، واليد العاملة على تمهيد الطريق المؤدى الى الغاية التى أصبحت على قاب قوسين من المنال . غير أن الثورة ـ التي نضجت في العقول ، وألهبت جميع أبناء سورية الذين اكتووا بآلام ذل الاستعمار ـ ما ابثت أن تحولت الى مادتي حديد ونار توسل بهما الاهلون الى دفع الاجنبي عنهم واخراجه من بلادهم ، وقد أبت ـ وفي الساعة الاخيرة ـ الا أن تأكل ابنها البار ، القائمقام فؤاد بك سليم ـ الذي أصابته شظية من قنبلة في رأسه فأردته شهيداً يروي الارض بدمائه الزكية المتدفقة ، مجدداً بها عهد الثورات الى الثوار ، في جميع الأقطار ، وهو عهد خمرته الدماء ، وثمرته الحياة الشريفة الحرة ، وخاتمته الخلود للبررة من أبناء الثورات . ففي سبيل الله يا فؤاد ، وفي سبيل الخلود من أجل ما قمت به من جلائل الاعمال ، وفى ذمة سورية المستقلة التي سوف تجعل من أعمالك الخالدة أنموذجاً للشرف الوطني ، والتضحية في سبيل القومية ، ولشخصك تمثالا يُظهر للابناء أعمال الآباء

نم يا فؤاد واسترح ، بعد أن القيت عبئك الثقيل ـ فى الساعة الحادية عشرة ـ على كواهل عشرة رجال يقومون بعمل كنت تقوم به وحدك . واعلم أن لك في قلب كل سورى جدثا ، وان لك على كل لسان ذكراً حسنا ، وفى كل صدر مكاناً أنت جدير به

***

ولد الفقيد عام ١٨٩٣م (١٣١٠ هـ) في قرية جباع بقضاء الشوف بلبنان ،

وتلقى علومه في الكلية الامريكانية في بيروت ، وجاز امتحانه بفوز باهر. ومما يؤثر عنه أنه كان يحفظ العشرين بيتاً اذا تلاها مرة واحدة . ونبغ في الآداب العربية والانكليزية والعلوم الرياضية التي تولى بعد ذلك تدريسها في الكلية العباسية لصاحبها المربي المشهور الاستاذ الشيخ أحمد عباس .

قام الملك حسين بن علي قومته عام ١٩١٦ فارتاحت لها نفوس أبناء العرب في سورية وتهللت أسارير عشاق تجديد المجد العربي ، ومنهم فقيدنا الذي ما كادت تلوح له الاماني فيما وراء الصحراء حتى ترك مدينة بيروت وأتى الى دمشق ومنها ذهب الى البادية ليلتحق برجال النهضة العربية

تاه فؤاد في بيداء الجزيرة وضلّ السبيل ، فبليت أسماله ، وتكدست الاقذار على جسمه ، وساءت حاله ، وتحمل مشاقّ مضنكة فصار يتبع القبائل في روحاتها وغدواتها دون أن يفضي بسره الى أحد حذر سوء المغبة ، فكان تارة يشرّق واخرى يغرّب حتى تطبّع بطبائع البدو وتعوّد عاداتهم واقتبس لهجاتهم وبدأ فيه الميل الى حب استطلاع القبائل وأنسابها ودرس فراسة وجوهها وتكوين سحنها وعقلياتها ونفسياتها وما هنالك من فروق بينها وبين سكان الحواضر، الى أن كاد يلهيه ميله هذا عن الغاية التي قصد اليها

دامت رحلته هذه متنقلا بين القبائل أكثر من ستة شهور حتى بلغ مقرّ الأمير فيصل في العقبة فالتحق برجاله وحمل البندقية كواحد من أفراد الجند

كانت تتجلى مواهب هذا الجندي في كل معركة يخوض غبابها ، وتترك لها في نفوس إخوانه الجند مأثرة من مآثر الفروسية التي كانوا يتسامرون بذكرها في ساعات راحتهم ، ولفتت أنظار رؤسائه اليه الى أن بلغت أخبار بطولته مسامع الامير فاستدعاه وهنأه على شجاعته وعينه عريفا (چاويشاً) على كتيبة صغيرة. وما زال عدد الكتائب التي يقودها الى الانتصار يتزايد الى أن ترأس معظم القوة الفيصلية التي دخلت ظافرة الى دمشق عاصمة بني امية . أما الكتيبة التي

كان يقودها والتي أذاعت شهرته العسكرية فكانت بين مدائن صالح وعمَّان

ان الثورة التي صيَّرت فؤاد سليم جنديًا باسلا لم ترضِ مطامحَ نفسه التوَّاقة الى المثَل الاعلى ، فانكبَّ على مطالعة الكتب العسكرية وتآليف النقاد الحربيين وخرائط البلدان وتواريخ الحروب والثورات حتى كوّن لنفسه رأيا في الفنون العسكرية فصار يقول بملء اليقين : هذه خططي ، وهذه آرائي

ولما مزّق الحلفاء وعودهم للعرب ، ودخلت فرنسا مدينة دمشق عام ١٩٢٠ بجيش جرّار على رأسه الجنرال غورو ، وأسقطت حكومة الاستقلال السورية حضر فؤاد الى حيفا آخذاً على نفسه عهداً لراية الاستقلال أن يلتقيا ثانية تحت جوّ صاف لا تأثير للأجنبي عليه

وكان مساء وكان صباح فصار لشرق الاردن حكومة عربية على رأسها أمير من آل عون يقول أنه جاء لينقذ استقلال سورية من مغتصبيه ، وردّ الملك الضائع الى أهله .فأحاطت بالامير فئة من نجباء أبناء سورية : من ساسة واداريين واقتصاديين وعسكريين ومنهم فقيدنا فؤاد الذي صار رئيس أركان حرب القوة السيَّارة في حكومة شرق الاردن وهو مكوّن هذه القوة ومسيّرها الى قمع ثورات اشتعلت لثلّ عرش الامير فاخمدها فؤاد بحكمة وعقل ووطد مقام الامير المتزعزع وأغضب أندية كانت تريد إضعاف نفوذ الامير لغايات مرسومة لا نتولى شرحها في هذا الموقف ، وانتهى الامر بنفي فؤاد مع فئة من فضلاء سورية الى مكة . . .

ثم جاء فؤاد الى مصر غاضباً ، وبقي فيها يترقب الفرص الى أن اضطرمت نار الثورة فى جبل الدروز فخف الى موالاتها بعد أن اجتاز صحراء سيناء على ظهر ذلول واخترق منطقة شرق الاردن المحظور عليه دخولها وأعمى عيون الرقباء عنه الى أن بلغ السويداء عاصمة جبل الدروز واشترك في الحملة التي أجلت الفرنسويين عن السويداء ثم كان من الثورة رأسها المفكر وقلبها النابض

لا أتولى سرد حوادث الثورة وامتدادها الى دمشق وحمص وحماه وما وراء ذلك شمالا والى وادي العجم ووادي التيم جنوبا ، بل أتجاوز ذلك وأترك ذكره للمؤرخين . ولكني لا أدع هذه الفرصة تمر دون أن أدفع تهمة حوادث كوكبة وحاصبيا ومرجعيون التي أراد أعداء الفقيد الصاقها به ، كما اتهموه قبل ذلك بحوادث عام ١٩١٩ ، فأعلن براءته منها وأستشهد على صحة دعواي بقول مراسل جريدة « المورنن پوست » الذي نشر باهرام ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥ :

« انه يوجد في سوريه لسوء الحظ عنصر يعمل كثيرا لعرقلة مصالح السلام وهم المسيحيون اللبنانيون الذين يبذلون كل ما في وسعهم لتغذية الاحقاد الدينية ، ويستخدمون نفوذهم لتشجيع حرب ترمي الى الابادة » اه

ما كان بودي خوض هذا البحث لو لا خوفي من أن تلصق تهمة اضطهاد المسيحيين برجل شريف الاصل رفيع الخلق واسع العقل رحب الصدر بعيد عن حزازات النفوس لا يدين ــ بعد دين الله ــ الا بالقومية العربية وأمجادها

في الميدان الجنوبي هذا ، وفي قرية مجدل شمس ، سقط فؤاد على تربة وطنه الذي أحبه ، فأرواه بدماء طاهرة عساها تغسل سخائم صدور بعض أبناء ذلك الوادي ، وتؤهلها للحياة الاستقلالية الشريفة التي ينشدها كل حر أبي الضيم

تكونت في مصر جامعة قوامها فقيدنا العزيز وصديقنا الفاضل خير الدين الزركلي حرسه الله والدكتور حسني أحمد وكاتب هذه السطور وطائفة من نجباء مصر ، تجتمع في المنازل مبتعدة عن المقاهي وعن الناس ، وغايتها التضامن والتعارف ، والمسامرة بحرية ، والبحث بروية . وإن أنس لا أنسى جملة قالها الاستاذ العلامة أحمد زكي باشا في احدى هذه الاجتماعات موجها قوله الى الفقيد :

« اخشى يا فؤاد أن تموت وتدفن في صدرك هذه المعلومات القيمة عن جزيرة العرب وأهلها ، فانه لا سبيل لاحد الى معرفتها ما لم يشق شقاءك فيها فبادر الى تدوينها في كتاب »

وكأني بالاستاذ الذكي كان يتنبأ بممات العزيز الذي فقدته الامة السورية

والعالم العلمي . ولا أنسى قط رنة ذلك الصوت الوقور ، وجمال تلك الطلعة البهية ولطافة الابتسامة التي تنم عن الاخلاص الجم والصدق الخالص ، ولا شمم ذلك الانف وانقاد تينك العينين بتأثير العبقرية والجرأة

نم في مثواك أيها الاخ الكريم واطمئن ، واعلم أن مصرعك أورث حتى السيانيين من أبناء سورية البغض والحقد لقاتليك ، وانك يا فؤاد لسليم في كل فؤادٍ ، وستمجدك الاحفاد من أبناء سورية الخالدة الى الابد . لا كجندي باسل فقط بل كعالم بحاث محقق

القاهرة حبيب الياس الزحلاوي

الشام واهلها

كفوا فما اللوم يجديكم ويلويني أما علمتم بأن الشوق يغريني ؟

أضواني الحبُّ حتى قد برى جسدي ونفحة من نسيم (الشام) تشفيني

سئمتُ عيشاً بدارٍ صفوها كدر والبغي فيها وخيم غير مأمون

في كل يوم ترى فيها مشاهدَ ما مرَّتْ بمصر على موسى وهارون

مشاهد ترمض الأحشاءَ رؤيتُها وهُمْ بها بينَ مسرور ومفتون

أما الفؤاد فلا شيء يسرّ به الا الأحبة في أكناف (جيرون)

من كل شهم أبيّ ذي محافظة كأنْ خلائقهُ أنفاس نسرين

هويتهم لخلالٍ فيهم غررٍ ولست أهوى سوى الاخلاق واللين

لله درهمُ من فتية نجب جلّوا عن المثل قولاً غير مطعون

بمثلهم وبهم ترقى البلاد عُلىً فلتسعدِ (الشام) بالغرّ الميامين

يا بلدةً طابَ لي فيها المقام وإنْ نزحت عمن لدى العزّاء يكفيني
لم أرض يوماً من الايام في عُمُري لله يوم من الايام يرضيني
حتى حللت حماك اليوم فابتسمت لي الحياة وكانت قبل تبكيني
تحققت فيك آمالي وما ضعفت فانت معقد آمال الميامين
فيك العروبة ، فيك المجد أجمعه و (يوم بلفور) أبدي كل مكنون
يوم به بان أن العرب كلَّهم لا يصبرون ـ وإنْ قلّوا ـ على الهون
ولا ينامون عن حق يضيع لهم حتى يُنالَ بماضي الحد مسنون
صلى الاله عليهم من غطارفة صِيدٍ كُماة مَطاعيم مَطاعين
قوم عدوُّهمُ من بأس شدتهم يطوى ولكن على مثل السكا كين
آراؤهم كالنجوم الشهب ثاقبة والشهب تحرق إخوان الشياطين
فهم اذا قصدوا نالوا مقاصدهم وهم اذا حكموا خير الموازين
خلائق ورثوها من جحاجحة صيد مرازبة زهر أبيّين

« * »

حيا الاله رجال الشام إنهمُ لأفقه الناس في دنيا وفي دين
يا منكراً لستُ بالمطريهم كذبا اني اعزّز قولي بالبراهين
هذى مواقفهم ، أما معارفهم فنشرها فاح طيباً في الدواوين
وليس (كالمجمع العلميّ) مأثرة كبرى ، ومفخرة تبقى الى حين
أناف باللغة الفصحى على يفَعَ من بعد ما هبطت في قعر سجين
وذي الحضارة قد أعلى معالمها على العروبة والاخلاق والدين
فمن يحاول أن يحصي اياديَهُ كمن يحاول يحصي رملَ (يبرين)

بغداد محمد بهجة الأثري

حركة النشر والتأليف

«كلمة في اللغة العربية ـ للاستاذ النشاشيبي»

إنّ للاصالة في القول العربيّ مثلَ المكانة التي لها عند أهل هذه اللغة : لا يزيدُها كرُّ الايام ومرُّ الليالي إلاّ حُرمةً وجلالةً واعتلاءً ، ما دام هذا القرءان متلوّاً في المحاريب تأخذ هدايتُه بيد الامم الى غايات السعادة ، وتتربّى الالسنة بأساليب إعجازه على النطق بالكلام السريّ والبيان البليغ . وأمّا ما لا يمُتُّ بسببٍ متينٍ الى صحيح نسب العربية من أساليب القول الركيك المقرف الذي يستسهل الاضعفون ركوبه فيسير بمعانيهم مفككا مخلّماً فانه يظلُّ شؤماً على المعاني التي تأوي اليه ، وسبباً للزهد بها واسراع الفناء اليها

ولما زار القاهرة في الصيف الماضي العالمُ الفحلُ المبين الاستاذ السيد إسعاف النشاشيبي ، دعته جمعية الرابطة الشرقية الى محاضرة ادباء القاهرة بثمرة تفكيره ، فصاح من منبر جمعية الرابطة صيحة كان لصداها دوي في الاندية رددته الصحف المصرية يومئذ فأنحى باللائمة على دعاة الهجنة ، وأنصار الرُكنة ، من أهل القول الدعيّ في لغة العرب ، العاملين على شقّ عصاها ، وتفريق كلمتها ، وتخذيل الناس عنها بما زعموه من صعوبات تعترض سبيلَ طالب القول السريّ والديباجة الانيقة ، فدحض الخطيب هذا القول دحضا ، وأجابهم بالبرهان المسكت والدليل المفحم متنقلا بين حدائق غنّاء من جوامع كلم رجال البيان العربي قديما وفحول أهل المعرفة من الافرنج حديثا

وكانت هذه الكلمة مؤلّفة من جزءين حافلين بالبدائع خطب الاستاذ بأوّلها في دار جمعية الرابطة في اليوم الأول من ذي القعدة عام ١٣٤٣ . فلما نشر « الكلمة » الآن في سِفر مستقلّ جمع بين الجزءين ، وقدّمهما هدية

« الى مصر : مصدر المدنيّة ، وموئل العربية »

وألبس هـذه الهدية ثوبا من نفيس الورق والطبع يضارع ثوب البيان الذي اختاره لما تضمنته الخطبة من أغراض ومعانى . وسنقتطف من هذا السفر في أجزاء الزهراء التالية ما يكون أدلّ عليه من هذه الكلمات

﴿ النُتَف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ٭ ١٣٠ ص بقطع الجاير : ثمنه ٥ قروش

ابن رشيق وابن شرف علَمان من أعلام الادب العربي ، وكانا ممن انتهت اليهما الرياسة فى القيروان زمن الامير ابن باديس (القرن الخامس الهجري) ولكلّ منهما شعر هو فى الطبقة العليا من شعر ذلك العصر ، أما ابن رشيق فروى خلّكان (في ترجمة ابن يعيش) أن له ديوانا كان موجودا في زمنه ، والظاهر أنه فُقد بعد ذلك ، فانّا لا نعلم له وجوداً فى دور الكتب المعروفة الآن . وقد عُني صديقنا العالم المحقّق الضليع الاستاذ أبو البركات عبد العزيز الميمنى الراجكوتي ـ أحد اساتذة مدرسة عليكرة الاسلامية في الهند ـ بجمع كل ما وقف عليه من شعر ابن رشيق في كتب الادب والتاريخ وغيرهما فبلغ ذلك ١٥٤ قطعة انطوت على خمسمائة بيت ، ونبّه فى حاشية كل قطعة الى المصادر التي نقلها منها . وفعل مثل ذلك بشعر محمد بن شرف القيرواني وابنه الشاعر الحكيم أبي الفضل جعفر فبلغ عدد ما عثر عليه من شعر الوالد ٥٦ قطعة اشتملت على ١٦٦ بيتا ومن شعر ابنه ١٦ قطعة فيها نحو مائتى بيت . وبذلك صار فى أيدى قراء العربية نسخ من دواوين شعر هؤلاء الأدباء الثلاثة بعد أن كانت مفقودة جزاه الله خيرا . وقد طبعنا هذه المجموعة بعنوان (النُتَف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف) طبعا جيداً على ورق نفيس . وفى آخرها فهرس مطوّل للقطع الشعرية مرتبا على القوافى

﴿ ابن رشيق ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٩٦ ص بقطع الجابر : ثمنه ٤ قروش

لم تقتصر عناية الاستاذ العلامة عبد العزيز الراجكوتي بابن رشيق على جمع ما تفرّق من شعره ونشرها في ديوان مستقل ، بل كتب في ترجمته فصولا ممتعة نشرناها في سنة الزهراء الاولى ، ثم أفردناها في هذا الكتاب . وقد ابتدأها بأخبار المعزّ بن باديس، وأتبعها بأخبار مدينة القيروان وأدبائها وذكر الكتب التي الفت في تاريخها . ثم أفاض البحث في ترجمة ابن رشيق وذكر شيوخه وتلاميذه ودرجة علمه وثَبَت مؤلفاته والاشارة الى بعض أوهامه . فجاءت هذه الترجمة جامعة لكل ما وصلت اليه يد الاستاذ المؤلف من أخبار هذا الأديب الناقد الكبير الذي لو لم يكن له من خدمة للادب العربي غير تأليفه كتاب (العمدة) لكفاه . ولما كان الاستاذ الراجكوتي قد الحق بديوان ابن رشيق ديوان زميله ابن شرف وابنه أبي الفضل جعفر فقد أتى في هذا الكتاب على ترجمة هذين الرجلين أيضا . وبذلك أضحى كتاب (ابن رشيق) وكتاب (النتَف) صِنْوين لا يستغني الأديب بأحدهما عن الآخر

﴿ كتاب التوحيد ﴾

دار الطباعة المنيرية ، مكتبة شرف الدين واولاده في بومباي * ٩٤ ص : ثمنه ٤ قروش

للامام المجدّد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب فضل عظيم على المسلمين بما سعى اليه من ارجاع الجمهور الى الفطرة الاسلامية الخالصة ، وتحذيرهم من البدع التي ليست من الدين في شيء . وكان (كتاب التوحيد) من تآليف هذا الامام قد طبع في الهند ونفدت نسخه ، فانتدب حضرة الشيخ شرف الدين الكتبي الهندي لاعادة طبعه في القاهرة علي ورق جيد بحروف جلية . ومما امتازت به هذه الطبعة ما احتوته من تعليقات الفاضل الشيخ محمد بن عبد القادر الهلالي

المحمدى التي اقتبس بعضها من شرح حسن بن عبد الرحمن فجاءت وافية بالمرام

﴿ التماس إعادة النظر ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها * نحو ٢٠٠ ص بقطع الزهراء : ثمنه ٤٠ قرشاً

الاستاذ ناشد حنا المحامى من أفاضل علماء القانون في مصر . وقد خدم هذا الفرع من العلم بتأليف كتاب نفيس في موضوع « الطعن في الاحكام المدنية والتجارية الانتهائية بطريق التماس اعادة النظر » ساداً بذلك نقصاً في المكتبة العربية لم يسبقه غيره الى سدّه لأن هذا الموضوع لم يفرده احد عندنا بالتأليف وانما تعرَّض له الاستاذ أبو هيف والاستاذ لوزينا في كتابيهما في المرافعات مع سائر مسائلها فجاء كلامهما عليه عاما ومقصوراً على المبادىء الاولية حتى جاء الاستاذ ناشد حنا فوفّى الموضوع حقه ، وتصدّى لتفصيل جميع مسائله فأبان أولا الفرق بينه وبين الاستئناف والمعارضة والنقض والابرام . ثم عقد باباً لاجراءات الطعن بطريق الالتماس وتحت هذا الباب تسعة فصول . وأتى بعده بباب ثان في أسباب الالتماس وفيه ثمانية فصول . وبعده باب ثالث في نتيجة الحكم في دعوى الالتماس وفيه فصلان . ثم باب رابع في طرق الطعن في حكم الالتماس وفيه أربعة فصول . ويتفرع كل فصل من هذه الفصول الى القواعد والمسائل التي تنطوي تحته . وقد أيد المؤلف كل مسألة منها بالأحكام المصرية أو الاجنبية مع بيان تاريخ الحكم وتعيين المراجع للنشور فيها

﴿ ماجدولين ـ رواية تمثيلية ﴾

مطابع قوزما في بيروت ودمشق ، مكتبة التوفيق في بيروت : ٦٧ ص بقطع الجابر

نالت رواية ما جدولين لالفونس كار حظوة في الادب العربي فنقلها نثراً الى لغة الضاد الكاتب المبين السيد مصطفى المنفلوطي ، ثم نظمها الشاعر العربى الكبير السيد خير الدين الزركلي ، وأفرغت الآن في قالب تمثيلي بقلم الاديب الياس أفندي أبى شبكة ، فجاءت رواية تمثيلية ذات خمسة فصول

﴿ شعر الوجدان ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ● ١١٩ ص بقطع الجاير : ثمنه ١٠ قروش

امتاز شعر الاستاذ المبدع الدكتور أحمد زكي أبي شادى بنزوعه الى احياء ذكرى المفاخر القومية كما يرى قراء قصائده فى الزهراء . وقد نشر له الاديب محمد افندي صبحي أخيراً مجموعة جديدة بعنوان (شعر الوجدان) تضمنت مختارات رائعة من شعر العواطف والمواقف ، وهي أبيات تخيَّرها الناشر من قصائد كثيرة للدكتور أبي شادى موزعة فى دواوين شعره . وامتازت هذه المجموعة ـ كسائر المجموعات الشعرية التى نشرت للناظم ـ بفصول فى الادب والنقد لطائفة من كبار ادبائنا كالاستاذ الشاعر الكبير أحمد محرم والكاتب الالمعي الجليل الاستاذ محمد صادق عنبر ، فضلا عن موجز سيرة الشاعر وأقوال الادباء عنه ومثال من خطه . فنشكر للناشر خدمته للادب

﴿ مفخرة رشيد ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ● ٦٦ ص بقطع الزهراء : ثمنها ٥ قروش

مفخرة رشيد معركةٌ مجيدة نشبت بين المصريين والانجليز يوم ٢١ المحرّم و ٩ صفر عام ١٢٢٢ في ثغر رشيد برهن فيها المصريون على حمية وبطولة . وكان جمهور القراء لا يعرف شيئاً عن هذه المفخرة القومية فاشاد بذكرها الاستاذ الدكتور أبو شادي بقصيدة بديعة تفنّن فيها بانواع الوصف التاريخي في قالب شعري وطني أشار فيه الى مواطن العبرة من هذا الحادث العظيم . وقد نشر هذه القصيدة الوطنية الشائقة الكاتب الفاضل الاستاذ حسن أفندي صالح الجدّاوي وزينها ـ كعادته ـ بالفصول الادبية الانيقة باقلام طائفة من كبار الافاضل فضلاً عن الشروح والتعليقات والنقد التحليلى مما زاد فى قيمة هذا الكتاب الادبي الوطني

﴿ خطب منبرية نافعة ﴾

حمل الينا بريد جزائر الغرب نسخة من خطب منبرية نفيسة أنشأها صديقنا الاستاذ الجليل الشيخ السعيد بن محمد الشريف الزواوى امام جامع سيدي رمضان بالجزائر . وقد وضع لها مقدمة مهمة أشار فيها الى أن الخطب المنبرية في الاسلام صارت الآن على غير ما وضعت له . ثم أتى على بيان معنى الخطبة لغة وما كانت عليه الخطب في الجاهلية وما صارت اليه من الكمال في الاسلام واستشهد على ذلك ببعض خطب النبي صلى الله عليه وسلم وتكلم على خطب الصحابة رضي الله عنهم وخطب التابعين وأهل القرون الوسطى وخطب المتأخرين . وانتقل الى تعريف الخطبة الشرعية للجمعة ، وأنحى على من يخطب من ورقة منقولة من مقول الغير . وذكر أنواع الخطب الشرعية وحالة الخطب اليوم في مصر والشام الى غير ذلك من الفصول المفيدة . ثم أورد الخطب التى من انشائه وهي خطب نافعة جداً تناول فيها الكلام على الموضوعات الشريفة التى شُرعت الخطب لتفهيمها للناس ، جزاه الله خير الجزاء

﴿ دروس التربية الوطنية ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٤٠ ص بقطع الزهراء : ثمنها ٥ قروش

ندبت وزارة المعارف العمومية حضرة صديقنا المفضال الاستاذ الشيخ محمد عبد الجواد المدرّس بالمدرسة السنية بالقاهرة لالقاء محاضرات اسبوعية في التربية الوطنية على معلمات مدارس العاصمة بدار روضة الاطفال . فألقى محاضرتين احداهما فى « الاسرة والامة والوطن والوطنية » والثانية فى « الدولة والحكومة وأنواعها ومهمتها » . وهاتان المحاضرتان من أنفس ما كتب فى بابهما جمعتا بين العلم الغربى والروح الشرقية الاسلامية ، لأن الاستاذ الشيخ محمد عبد الجواد ممن حاز الفضيلتين وجمع بين الحسنيين ، أكثر الله من أمثاله

﴿ الدروز والثورة السورية ﴾

مطبعة المقطم ، المكتبة السلفية * ١٢٧ ص بقطع الجاير : ثمنه ٥ قروش

الف حضرة الكاتب الفاضل كريم أفندي خليل ثابت ـ نجل الاستاذ خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم ـ كتابا بهذا العنوان فى ستة فصول تكلم فيها على جبل الدروز من الوجهة الجغرافية والعمرانية وتاريخ انتقال الدروز اليه وعلى الدروز وأصلهم العربي وبعض تقاليدهم ، وتعرض للكلام على مذهبهم مما كنا نود أن لا يتعرّض له لأن جلّ ما كتب الناس فى ذلك لم تتوافر فيه شروط التحقيق العلمي . وعقد فصلا لترجمة الزعيم الكريم سلطان باشا الاطرش وأسرته ، وفصلا عن الفرنسويين فى الجبل وثورة سلطان الاولى سنة ١٩٢٢ وفصلا عن كاربية وسراي ونشوب الثورة الأخيرة ، وآخر فصول الكتاب عن انفجار البركان وضرب دمشق ورحيل سراي الى بلاده . والكتاب مزين بخريطة اجمالية وبصور كثيرة . فنشكر لمؤلفه الفاضل عنايته بهذا الموضوع

﴿ رواية العالم الجديد ﴾

مطبعة يوسف كوى ، المكتبة السلفية * ٢٢٣ ص بقطع الزهراء : ثمنها ١٢ قرشا

انتهى الاستاذ نقولا أفندي حداد حامل لواء التأليف الروائي باللغة العربية من نشر رواية (العالم الجديد) فى كتاب مستقل . وقد الفها بعد أن قضى ثلاثة أعوام (١٩٠٧ ـ ١٩١٠) فى الولايات المتحدة طاف فيها القسم الشرقي من تلك البلاد العجيبة الاطوار التي تعد الآن فى قمة مدنية العالم ، فشعر أنه لا بد من تأليف رواية تمثل فيها الحياة الاجتماعية على اختلاف مظاهرها فى ذلك العالم الجديد فى كل شيء . لذلك الف هذه الرواية واصفاً فيها « جميع مظاهر الحياة الاجتماعية الامريكية : من أبهة الغنى العظيم ، ومجد المال اللامع ، وبحر السياسة الملتج وحرب الاحزاب السياسية الساحقة ، والصراع الهائل بين المال والعمال ، وفنون المكائد والدسائس بين ذوي النفوذ ، وعجائب الاختراعات ، وغرائب العوامل العرفانية » ويكفي ضمانة لما فى هذه القصة من لذة وفن أنها بقلم الاستاذ حداد.

أنباء اجتماعية

﴿ الحجاز ﴾

كانت مصلحة الامة العربية ووطنها العظيم قاضيةً فيما مضى بأن يكون بين ملوك العرب وأمرائهم نوع من الاتفاق على ماتشترك فيه مصالحهم، ولا سيما في غير الشئون الداخلية. ولكن الحسين ابن علي مؤسس الحكومة الهاشمية كان يسير على مايخالف هذه الخطة، لأنه يرى أن الوحدة إنما تكون بزوال الامراء المتعددين وصفاء الجو لواحد منهم أو اثنين بالاكثر. وقد تحققت نظريته فزالت من الوجود إمارة ابن الرشيد من نجد، ثم إمارة الادريسي من عسير، وها قد لحقت بهما الآن الحكومة الهاشمية فتقلص ظلها عن آخر بقعة في الحجاز. فأصبحت الكلمة في القسم الأعظم — وهو الشمالي — من جزيرة العرب للعصامي النابغة الامام عبدالعزيز ابن السعود، وفي اليمن — وهو الجنوبي من جزيرة العرب — للامام يحيى عظيم اليمن وزعيم مذهب الامام زيد بن الحسين رضي الله عنه. وبذلك أفضى أمر هذه الامة الى هذين الرجلين العظيمين وقد عرفا بسعة العقل وبعد النظر، وزمنهما زمن اقبال واتداع واستقلال والحمد لله. فعسى أن يوفقهما الله الى أن يجعلا من جزيرة العرب وسكانها قوةً تكون دريئة للعرب والاسلام، وأن يسيرا بهذه الامة في سبيل العز والسؤدد والصلاح، فتكون أهلا لسعادة الدنيا وسعادة الدين، وما ذلك على الله بعزيز

﴿ معجم جغرافي لمصر ﴾

عهدت الحكومة المصرية الى مصلحة التعداد بتأليف معجم جغرافي لبلدان مصر وقراها ومزارعها ومواقع هذه المزارع في كل منطقة بالنسبة الى مركز الشرطة (البوليس) في تلك المنطقة. وستباشر مصلحة التعداد هذا العمل النافع عقب انتهائها من عملية التعداد التي تشغلها الآن. وكانت الحكومة المصرية قد وضعت سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) مثل هذا المعجم لكنه أصبح الآن غير واف بالغرض الذي وضع له

﴿ تمثال لافيجري في تونس ﴾

قررت الحكومة الفرنسوية إقامة تمثال في مدينة تونس للكردينال لافيجري مؤسس لجان دعاية مسلمي المغرب الى الدخول في النصرانية ، وصاحب الخطبة الشهيرة التي يَصِم فيها دين الاسلام بما ليس فيه ، ويصبغ بصبغة الرذائل فضائل هذا الدين الحنيف في تحريض أهله على الرقيق ، حتى اضطر الاستاذ المفضال أحمد شفيق باشا في ذلك الحين الى دحض هذا الافتراء بكتاب ألفه الباشا باللغة الفرنسوية عنوانه (الرق في الاسلام) ونقله الى العربية الاستاذ العلامة أحمد زكي باشا .

والظاهر أن الله أراد في هذه السنين أن يسخّر الموظفين الفرنسويين في الشرق للاساءة الى بلادهم بما يرتكبونه كل يوم من إساءة الى المسلمين في عواطفهم ، فأسرعوا الى اقامة تمثال للكردينال لافيجري في تلك المدينة الاسلامية تذكيراً للمسلمين باساءته اليهم ووضعوا في يد التمثال صليباً زيادةً في تحريك العواطف النائمة. فكان هذا العمل دافعاً للتونسيين الى اقامة مظاهرة احتجاج كبرى بعد ظهر يوم السبت ٢٨ نوفمبر اشترك فيها ألوف المسلمين . وبعد أن كادت تنتهي مهمة المتظاهرين تعرّضت القوة الرسمية لتفريقهم فوقع من الفريقين بعض الجرحى . وأرادت الصحف الوطنية أن تعرب عن رأي الشعب في هذا الامر فصدر قرار بتعطيل جريدة (مرشد الامة) فازداد جمهور الناس حنقاً واستياء

﴿ التعليم في القسطنطينية ﴾

القسطنطينية أكثر البلاد التركية استفادة من تشكيلات المعارف ، ومع ذلك فان الصحف التركية تقول ان عدد المدارس الاولية الاميرية فيها وفي ضواحيها بلغت ١٩٥ مدرسة عدد تلاميذها ٣٢٤٥٠ وينفق عليها من الميزانية ٤٠٠ ألف ليرة تركية (نحو ٥٠ ألف جنيه مصري) . ومن هذه المدارس ١٦٧ تابعة للمعارف و ٢٧ تابعة للأوقاف . ويقدّرون عدد الاولاد الذين في سن التعليم الاولي في القسطنطينية وضواحيها بنحو ١١٠ آلاف وعلى ذلك فان المحرومين من التعليم يبلغ عددهم ٧٧٥٥٠

﴿ تركية ﴾

« وقانونها الالهي الاعظم »

زار مصطفى كمال باشا مدينة ازمير في رحلته الاخيرة ، وأقيمت له حفلة أمام المجلس البلدي خطب فيها عزيز بك رئيس بلدية ازمير خطبة طويلة أذاعتها الحكومة رسمياً بواسطة شركة برقيات الانضول ونشرتها جريدة (اقدام) في عددها رقم ١٠٢٤٤ وجريدة (وقت) في عددها رقم ٢٧٩٧ ، ومما قاله فيها مخاطبا مصطفى كمال :

« أنت الذي تجسمت لنا نبياً نورانياً يحارب كل خرافة ، ويقاوم كل اعتقاد باطل . وقلت لنا : ان وجود الامة المقدس هو قانوننا الالهي الاعظم ، فكل مايأمر به من تجديد فنحن لابد سنفعله . وان الضامن لذلك هو أمة الترك المتصفة بالمتانة والجرأة والتضحية »

فأجابه مصطفى كمال باشا شاكراً له ما جاء في خطابه وقال لاهل ازمير : اني أعتبر ما قاله رئيس بلديتكم مترجماً عن مشاعركم وعواطفكم واعتقادكم .

﴿ الاوزان الزجاجية ﴾

اشترت دار الآثار العربية نحو ألفي قطعة زجاجية مما كان يستعمل لتقدير الاوزان ، وبينها الدرهم ونصفه وما هو فوق ذلك من مختلف المقادير

﴿ الأعلام ﴾

عزم صديقنا الشاعر الكبير الاستاذ السيد خير الدين الزركلي على نشر معجم التراجم الذي ألفه بعنوان (الأعلام) مشتملا على سير أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر وقد اختار من هؤلاء المشاهير نحو اربعة آلاف رجل وامرأة استمد تراجمهم من كتب كثيرة جداً بين مخطوطة ومطبوعة . وقرر أن يطبع هذا المعجم على عمودين في صفحات بحجم صفحات الزهراء وبشكل المعاجم الافرنجية التي من هذا القبيل فيذكر الاسم الذي اشتهر به صاحب الترجمة والى جانبه تاريخ ولادته ووفاته بالسنتين الهجرية والميلادية ، ويذكر العمل الذي اشتهر بتجويده وأسماء مؤلفاته مع الاشارة الى ما كان منها مطبوعا أو مخطوطا ، متجنباً الاطالة بما سوى ذلك . وينتظر أن يكون هذا المعجم في نحو الف صفحة

تصريح عن ضرب دمشق

قال الكابتن بورجوا رئيس القسم السياسي فى دمشق لمندوب جريدة السياسة يوم ١٣ نوفمبر : « أكون غبياً اذا قلت لك إن الحالة مطمئنة ، وأكون أبله إذا أنا قلت لك انه كان هناك مبرر لا مفرَّ منه لضرب دمشق . لكن كل الفرنسيين هنا لا يفكرون مثلي ، ويظنون أنهم فى مستعمرة بدل أن يفهموا أننا فى بلد انتداب عريق فى مدنيته ينبغي أن تنحصر مهمتنا لديه فى تعويد أهله على أساليب الحكم الذى كانوا مبعدين عن مناصبه أيام الاتراك »

اوروبا ونصارى الشرق

قال مستر مكدونلد فى حديث له ورد فى برقية الى الاهرام : « قد تعمدنا زمن الحرب العظمى أن نضحي مصالح الاقليات المسيحية ، وقطعنا عهوداً ليس في طاقة البشر وفاؤها . وقد اتضح لنا أمر واحد أكثر من كل ما سواه وهو أن تدخلنا بدعوى الوصاية لم يحم المسيحيين بل أحرج مركزهم »

مسجد عمرو فى دمياط

توجهت عناية جلالة ملك مصر الى مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه الذى أنشأه هذا الصحابى الجليل في ثغر دمياط سنة ٤٠ للهجرة ويطلق على هذا المسجد الآن اسم (مسجد أبى المعاطي) وما برح السائحون يزورونه لقيمته التاريخية ولما كان فيه من آثار الصناعات الاثرية . ولما كان هذا المسجد محاطاً بالمقابر ويحتاج الى اصلاح فقد شرعت هندسة دمياط في السعي لازالة تلك القبور الحديثة ، ويتلو ذلك مباشرة الاصلاح اللازم لهذا المسجد الاسلامي القديم

مصر وبلاد العرب

أرسل عظمة السلطان عبد عبد العزيز آل السعود الى جلالة ملك مصر هدية ثمينة ، وهى سيفه الخاص الذي حارب به بنفسه منذ استعاد ملك أجداده زمن الفتوة الى وقتنا هذا . وهذا السيف مرصع ترصيعا جميلا ، وقد قدمه الى جلالة الملك حضرة الاستاذ المفضال الشيخ حافظ وهبه مندوب عظمة السلطان الى مصر



ج ٦ : م ٢ القاهرة جمادى الثانية ١٣٤٤

اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب

تلقت صحفنا اليومية من لندن خلاصات جاءتها على لسان البرق من مقالة للمستر توينبي Toynbee بجريدة منشستر غادريان يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٥ خبط فيها خبط عشواء فيما كتبه عن الاسلام بمناسبة استتباب الامر في الحجاز للامام عبد العزيز آل سعود . غير أنه أشار في هذه المقالة الى سر من أسرار تاريخ جزيرة العرب ، وهو اندفاع موجات من أهلها الى ما وراء حدودها في احقاب متوالية . وقد علل مستر توينبي هذه الهجرات بأنها نتيجة نضوب المياه في دورات الزمان تحدث عند تطور المناخ الجوي للعالم بين الحد الاقصى للرطوبة والحد الاقصى للجفاف . ومع ان هذا التعليل لا يتفق دائماً مع الاسباب التاريخية للهجرات العربية الكبرى فقد رأيت أن أعرض على أنظار القارىء صورة لاتجاه الموجات العربية التي وصل الينا علمها ، لان ذلك مما يساعد الشعوب الناطقة بالضاد على ادراك حقيقة رابطتها القومية بجزيرة العرب. واقتصرت في أخبار الهجرات على ما كان منها في آسيا ، لان الهجرات العربية الى مصر وسائر شمال افريقية يحتاج الى بحث آخر

قلت في مقال سابق [1] : « ان اللغات السامية — وهي اللغات التي كان يتكلم بها الكلديون والاثوريون في العراق ، والسريانيون والفينيقيون والعبرانيون في الشام ، والحبشة وراء الساحل الغربي من بحر القلزم — كنّ في العصور الاولى متشابهات ، بحيث يُعتبرنَ كلهنّ لهجاتٍ للغة واحدة . ولذلك استطاع سيدنا ابراهيم عليه السلام أن يتنقّل بين العراق والشام ومصر والحجاز،

(١) سلطان اللغة العربية (الزهراء ٢ : ١٤٨)

وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الاقطار ، إذ لم يكن بين لغاتها من فرق إلا كما يوجد الآن بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام وسائر هذه البلاد . ولا نستطيع القول بأن واحدة منهن هي الاصل والاخرى فروع لها ، بل الراجح أن اللغة الاصلية — التي ترجع اليها هذه اللغات — ذابت فيهن . غير أن الحالة التي كانت عليها اللغات السامية جميعاً قبل ظهور الاسلام تحملنا على القول بكل جزم وتأكيد ان العربية أرقاهن ، ومعنى هذا أنها أعرقهن في القِدَم ، فلا يبعد أن تكون هي البنت البِكْر لأمّها السامية الاولى »

ولكن أين كان وطن هذه اللغة السامية الاولى ، وأين كان وطن الساميين الذي انتشروا منه في هذه الاقطار الكثيرة التي يتكلم أهلها اليوم بالعربية ؟

اذا وجهنا هذا السؤال الى اليهود وأرادوا أن يجيبونا عليه رجعوا بذاكرتهم الى تاريخهم وتقاليدهم فرأوا أن جدّهم الأعلى ابراهيم عليه السلام عبر الى الشام من ضفاف الفرات ، وكان قبل ذلك في العراق ، فلا يترددون حينئذ في إرشادنا الى أن العراق هو مهد الساميين ، وأن اللغة السامية الاولى كانت هناك . أما إذا ألححنا عليهم بالسؤال عن الأمة التى منها سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وهل يضمنون لنا أنها أصيلة في العراق ولم ينتقل أسلافها الاولون الى تلك البقاع من جهة أخرى ، فأننا لانسمع منهم حينئذ جواباً مقنعاً

وسترى أيها القارىء من البيانات الآتية أن للامم السامية بحراً عظيماً كان ولا يزال يقذف بموجات منها الى مسافات بعيدة في مختلف العصور ، وهذا البحر هو جزيرة العرب ذات الأسرار العجيبة التي عرف الناس أقلها وخفي عنهم أكثرها . وأما ماعدا ذلك من الاقطار التي نزلها الساميون فليست بالنسبة الى هذا البحر الاعظم الا بمنزلة السواقي

ومَنْ وَرَدَ البحرَ استقلَّ السَّواقيا

والذي يمعن النظر ويفسح لنفسه مجال التفكير في الحوادث التاريخية ـ التي سنشير الى بعضها ـ تتكوّن عنده عقيدة علمية بأن الوطن العربي الحاضر هو ابن جزيرة العرب ، وأن له من صلته بها دعائمَ راسخةً من القومية الصحيحة شادتها يد الدهر منذ فجر التاريخ ، بل من قبل ذلك . وان ماتشيّده تلك اليد في الاحقاب الطويلة لاسبيل الى زواله مابقيت على الارض قوميات

﴿ الموجة الاولى — الى العراق ﴾

« سنة ٣٦٠٠ قبل الميلاد »

جاء في مجلّة المباحث (٢ : ٧٢٨) نقلاً عن المؤرّخ (باتون) الامريكي « أن أول مهاجرة سامية ذُكرت في التاريخ هي مجيء جماعة من الساميّين الى البقعة التي بين مصبَّي دِجْلة والفُرات » . ولم يذكر زمنَ هجرتهم هذه من أوطانهم الاولى الى العراق ، ولكنه أثبت لهم حضارة زاهرة في ذلك القطر في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد

وذهب العلاّمة (سايس) الانكليزي الى « أن قبيلة من الساميين يقال لها كلدة [1] كانت نازلة عند مَصبّ النهرين ، وأنها طليعة قبائل النبط والآراميين الذين نزحوا من شمال بلاد العرب ونزلوا القطر البابليَّ مخيّمين على ضفاف الفرات ، وأنهم كانوا يتكلمون اللغة الكلدية »

إذن فقوم سيدنا إبراهيم عليه السلام إنما هاجر أسلافهم الاوّلون الى العراق من بلاد أخرى ، وهي البلاد العربية على مايقول العلاّمة سايس ، وان هجرتهم

(١) قال الاب انستاس الكرملي (مجلة لغة العرب ٢ : ٥٧٨) : كلدة شيخ عربي هو مؤسس دولة الكلدان

طليعة هجرات أخرى حدثت بعدها من بلاد العرب أيضاً . وقد كانت تلك الهجرة الى العراق قديمة العهد جداً ويرى المؤرخ باتون أنها ترجع الى أكثر من ستة وثلاثين قرناً قبل الميلاد

من الأمثال المعروفة الآن في بادية العراق قولهم « نجدُ أمّ والعراق داية » يشيرون بذلك الى ماجرت به العادة في الاقطار العربية من تغذّي المدن بأبناء البادية . فالنواة العربية التي زرعت في العراق يوم نزله الشيخ كلدة مالبثت أن نبتت وتأصّلت ونمت ، فأزاحت السُّمَريين من طريق مجدها وأزالتهم عن مدينة (أريدو) قرب الخليج الفارسي حتى بلغت (بابل) على ضفاف الفرات ، واستأثرت بالعظمة والسلطان ، والحضارة والعمران ، في العراق الجنوبي . وكانت البادية لاتزال تؤدي وظيفتها للمدن — كما تفعل الى يوم الناس هذا — فتلد أبناءها وتقدمهم للحضارة تتغذّى بصفاء عقولهم وسلامة فطرتهم ومَضاء عزيمتهم وقد ثبت أن العرب كانوا يَفِدون على مملكة بابل بلا انقطاع طول مدّة الدول السبع الكلدية التي تعاقبت قبل مملكة أنور ، وكان هؤلاء العرب من عوامل تجديد الحياة الاخلاقية والسياسية فيما بين النهرين . وكانت هجرتهم بطيئة أحياناً وأحياناً تتدفّق كالسيل لحادث فجائي . فأما الهجرات البطيئة فانها مابرحت مستمرّة من أقدم الازمان حتى هذه الساعة ، وأما تدفّقها كالسيل في الحوادث الكبرى فقد حفظت لنا الآثار والتقاليد بعض أخباره وغاب عنا كثير منها

﴿ الموجة الثانية — الفينيقيون ﴾

« سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد »

قال باتون : « ثم ان بلاد العرب عادت فغصّت بأبنائها بعد ألف سنة ،

فكانت الهجرة الامورية الكنعانية (أي الفينيقية) حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد »

ويؤيد قولَ باتون — من أن أصل الفينيقيين من بلاد العرب — ماذكره الاب مرتين اليسوعي (في تاريخ لبنان ص ٢٤١) وهو أن (أرنو) وجد في الكتابات الحِمْيَرية اسم (عَشْتَروت) إلاهة الفينيقيين. ويزيد هذه الحقيقة تأييداً وتأكيداً ماروراه العالم الجغرافي سترابون Strabon الرحالة اليوناني الذي كان موجوداً زمن الميلاد المسيحي في الفصل السادس عشر من كتابه الشهير في الجغرافيا (رقم ٣ و ٤) حيث قال « اذا سرتَ في الخليج الفارسي رأيت جزيرتي صور وأرواد وفيها هياكلَ تشبه هياكل الفينيقيين »، ومعلوم أن (صور) مدينة الفينيقيين الكبرى فى الشام و (أرواد) جزيرة لهم هناك، فهذا الاتفاق فى أسماء المدن وهذا التشابه فى الهياكل الدينية بين بلادين متباعدتين لا ريب أنه يدل على شيء. بل مالنا نذهب في الاستشهاد بعيداً وهذا الخليج الفارسي لايزال فيه الى يومنا هذا ثغر اسمه (جبيل) على اسم الثغر الآرامي في الشام[1]

(١) من عادة أبناء الشام اذا هاجروا هجرات كبرى الى أقطار اخرى أن يتخذوا لهم في الوطن الجديد مدناً على اسم مدن وطنهم الاول، ولما ملأ الامويون بلاد الاندلس بجاليات العرب من أبناء الديار الشامية جعل هؤلاء يحيون ذكريات وطنهم القديم في الوطن الذي انتقلوا اليه: فسموا غرناطة (دمشق الغرب) وفيها يقول ابن جبير:

يادمشق الغرب هاتيـ ـك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجري وهي تنصب اليها

وسموا احدى نواحي سرقسطة باسم (جلق) احياء لذكري غوطة دمشق في الشام وسموا (المدينة الخضراء) تذكيراً بالخضراء دار الخلافة بدمشق. وهذه المدينة جليلة كثيرة البساتين بينها وبين (مليانة) بالاندلس يوم واحد.

وسموا اشبيلية باسم (حمص) وفيها يقول ابن عبدون:

هل تذكر العهد الذي لم أنسه ومودَّتي مخدومة بصفاء
ومبيتنا في أرض حمص والحجى قد حلّ عقد صباه بالصهباء
ودموع طل الليل يخلق أعينا ترنو الينا من عيون الماء

ان التشابه بين المياكل الدينيـة في فينيقيا وفي البلاد العربية على الخليج الفـارسي ، واشتراك البلادين في عبادة (عشتروت)، ووجود بلاد في كلّ من الجهتين تتفق في أسمائها ، ليس كله مما يجوز حمله على مجرّد الاتفاق الذي لامعنى له

وكون الفينيقيين عرباً جاءوا الى الشام من جنوب البلاد العربية حقيقةٌ معترف بها ، ومشهورة من قديم الزمان . وقد ذكر (يستين) مختصِر (تروغ بُمبى) ١٨ : ٣ « أن الفينيقيين لما آذتهم الزلازل في أوطانهم وأضرَّت بهم هجروها وأقاموا أولاً بالقرب من البحيرة الاشورية (الخليج الفارسي) ثم رحلوا من هناك ونزلوا عند البحر (أي الابيض) وفي ذلك المحل بنوا مدينة سموها (صيداء) لكثرة الاسماك في ساحلها »

ولدينا نصّان تاريخيان : أحدهما عن أهل جزيرة البحرين في الخليج الفارسي بأن أرواد وصور اللتين للفينيقيين في الشام هما من مهاجر عرب البحرين ومن مستعمراتهم . وهذا النص من قبل الميلاد المسيحي وقد نقـله لنا الرحالة الجغرافي اليوناني سترابون في كتابه في الجغرافيا ١٦ : ٣ و ٤

والنص الثاني عن الفينيقيين أنفسهم بأن أصلهم من بلاد العرب ، نقله لنا عنهم أبو التاريخ هيرودوتس الرحالة اليوناني الذي سمعه بأذنه من كهنتهم عند مازار فينيقيا عام ٤٥٠ قبل الميـلاد واجتمع بأهلها وتحدَّث اليهم عن ماضيهم وأوّليتهم . فقد رَوَى عن سَدَنَة هيكل (بعل ملك قرت) وكهنته وغيرهم من أهل العلم بالشئون الفينيقية (العدد ٨٩ من الـكتاب السابع) « أن الفينيقيين — كما يخبرون هم بأنفسهم — أقاموا أوّلاً عند البحر الاريثري [١] ولكنهم

واتخذوا لهم في الاندلس (رصافة) مثل (رصافة الشام)
وأنشأوا بلدة على مسافة ١٦ ميلا من قرطبة سموها (القصير) على اسم القصير المجاورة لحمص
(١) يرجح مفسرو نصوص هيرودوتس أن المقصود من البحر الاريثرى هنا هو الخليج الفارسى ، واليونانيون يسمون كل المياه المحيطة بجنوب جزيرة العرب من الجهات الثلاث (بحر اريثريا)

رحلوا من هناك وجاءوا فسكنوا سواحل بحر سوريا »[١] وذكر هيرودوتس أيضاً (في العدد الاول من الكتاب الاول) أن الفينيقيين كانوا في أقدم أزمانهم يقطنون ساحل بحر أريثريا (أحد سواحل بلاد العرب) قبل سكناهم ساحل بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) فقال عن سبب العداوة بين اليونان والفينيقيين « ان الفرس البارعين في معرفة تاريخ بلادهم ينسبون الى الفينيقيين المبادأة بالعدوان ، بدعوى أن هؤلاء لما تركوا ساحل بحر اريثريا جاءوا فاقاموا في نفس الناحية التي هم مقيمون بها اليوم وبادروا في الحال الى معاناة الاسفار الطويلة في البحر لينقلوا بضائع مصر وآثور الى جهات مختلفة[٢] »

قال العلاّمة (فرنسيس لنورمان F. Lenormand) : « ان تقليد الفينيقيين الذي جمعه في نفس مدينة صور المؤرخ هيرودوتس البارع في تحري منابع الاخبار ، وقبله تروغ بمبي المعروف بالرأي الصائب ، وتقليد سكان العربية الجنوبية الذى نقله سترابون ، ثم التقليد الذى كان جاريا ببابل في اوائل النصرانية أيام أنشىء الكتاب السرياني الكلداني في الفلاحة النبطية ؛ جميع هذه التقاليد الثلاثة متفق على ان الكنعانيين (الفينيقيين) سكنوا في بادىء الامر بالقرب من الكوشيين إخوتهم الاصليين عند أرياف البحر الاحمر أو خليج العجم ، أي في الجهة التي تسمّى اليوم في المصوّرات الحديثة (القطيف) . وان طريق القوافل

---

(١) أنظر الترجمة العربية لتاريخ هيرودوتس بقلم حبيب بسترس (ص ٤٦٧ طبع بيروت سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧)

(٢) قال المسيو لرشي (ناقل كتاب هيرودوتس الى الفرنسوية) تعليقا على هذه الجملة « كان من عادة هيرودوتس في الغالب أنه اذا اراد التكلم عن شعب يبدأ باستقصاء البحث عن حقيقة أصله . فمن ذلك انباؤه ايانا هنا ان الفينيقيين كانوا قاطنين شواطيء البحر الاحمر قبل رحيلهم الى بلاد فينيقيا المدعوة باسمهم . وفى الواقع انك ترى هناك بقرب هيبوس — وهي فرضة على خليج ايلة (العقبة) — مدينة كان اسمها فى القديم (فينيكوم) أو (بيدوم) أي مدينة « الفينيقيين » (أنظر الترجمة العربية ص ١٢)

ممتدة الآن من ناحية القطيف ومتصلة ببلاد الاحساء وكامل وادي عفطان الى حدّ جبل طويق . وفيما وراء ذلك بقليل تميل الى جهة الشمال الغربي في ناحية الوشم الى أن تتصل بمدينة (عنيزة) ، ومن هناك تأخذ نحو الغرب مارّة بجميع جهة (القصيم) لتتصل بطريق الحاج على مساواة (الحنيكية) . هـذه هي الطريق التى سلكها الفينيقيون عند هجرتهم من بلاد العرب الى الشام ، وذلك أمر لا يستطاع الارتياب فيه ، لانهم لو سافروا بطريق أخرى لما تمكنوا من قطع مسافة الصحراء الواسعة المساحة . ومن عادة أهل الشرق أن المتأخرين منهم يسلكون نفس الطريق التى اختطها أجدادهم . ويمكن التقدير أيضاً — بوجه الاحتمال الكلّي — أن الفينيقيين عند بلوغهم (الحنيكية) مشوا في الطريق التى يسلكها الحجاج كل سنة عند عودتهم من المدينة الى الشام . ولما وصل الكنعانيون الى (الحنيكية) تخلّفت منهم قبيلة ، وأتم الباقون مسيرهم نحو سواحل البحر الابيض المتوسط . وفي تقاليد العرب القديمة أن قبيلة ثمود أقامت بتلك الجهة ونحتت من الجبال بيوتاً لها . وهي عندهم قبيلة طاغية ، لأن الساميين الصريحين في ساميّتهم — سواء كانوا عرباً أو عبرانيين — ما كفّوا مطلقاً عن وصف الكنعانيين والكوشيين بهذه الصفة . فهذه اذن هي الطريق التي يمكن أن يقال عن القبائل الكنعانية (الفينيقية) انها اتبعتها عند هجرتها من بلادها »

وقال مسيو رُنِه دوسّو René Dussaud المؤرخ الفرنسوي (في كتابه العرب في سوريا قبل الاسلام ص١٨) اعمادا على تحقيق العلامة وينكلر Winckler ان المستعمرات والمصارف الفينيقية في شمال افريقية ليست نتيجة استعمار ، وإنما هي نتيجة حركة اكتساح عن طريق البر كتلك الحركة التى قام بها الفينيقيون يوم خروجهم من بلاد العرب وانتشارهم في سوريا . ويعتبر وينكلر أن بلاد العرب كانت الموطن الاصلي للساميين ، وأن البابليين (الكلدان) والكنعانيين

(الفينيقيين) والآراميين (السريان) خرجوا من بلاد العرب فوجاً بعد فوج كما خرج الغزاة المسلمون في القرن السابع »

﴿ الموجة الثالثة — قوم حمورابي ﴾

« سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد »

ومضت ألف سنة أخرى على الموجة الفينيقية ، وكانت البادية في خلال ذلك تواصل القيام بوظيفتها للمدن فتغذّيها بنشاط أبنائها وصفاء أذهانهم وسلامة أخلاقهم . فيندفع هذا العنصر النشيط متقدماً باستمرار من اليمن الى افريقية بطريق باب المندب ومن العريش الى مصر من جهة السويس ومن شمال جزيرة العرب الى الشام بطريق البادية ، كما أن الموجة الاولى التي تحولت الى الشعب الكلدي مابرحت تغذّي الشام بالعنصر الآرامي * ولما كاد ينقضي على هذه الحال ألف سنة كما تقدم قذفت جزيرة العرب المباركة بموجة ثالثة نحو العراق كان من نتائجها استيلاء العرب على زمام الحكم في مملكة كلدة كلها وتأسيسهم الدولة الكلدية الخامسة التي من ملوكها (حمورابي) المشهور

ان العراقيين ظلوا حافظين خبر هذه الهجرة زمناً طويلاً ويتناقلونه ولداً عن والد وأباً عن جد . وقد سجّل ذلك المؤرخ الآرامي القديم (باروز [1]) كاهن معبد (بعل) في بلاد أثور . فان هذا المؤرخ العراقي كان معاصراً للاسكندر المقدوني وتلقى علومه في مدارس الكلدان التي كانت لم تزل عامرة زاهرة تعلم قراءة الخطوط المسمارية وتفسيرها [2] وقد تعلم باروز اللغة اليونانية

(١) ان الذين ذكروا شيئاً عن هذا المؤرخ الكاهن من كتابنا المعاصرين وسموا اسمه بلفظ (بيروس) أو (بيروسوس) تبعاً للافرنج واليونان . ولكن المطران يوسف الدبس كان مصيباً في رسمه بلفظ (باروز) وفقاً للصيغة الآرامية

(٢) أنظر تاريخ سورية للدبس (١ : ١٣٥ عدد ٤٥)

أيضاً عقب مرور الاسكندر بالعراق في حروبه مع الفرس وبلاد المشرق ، وألف باليونانية كتاباً رفعه الى انطيوخوس ملك سورية . وقد اعتمد على هذا الكتاب جماعة من العلماء مثل (أبي دان) الكاهن المصري في هيكل أزوريس على عهد خلفاء الاسكندر ، و (اسكندر بوليستور) المتوفى في القرن الاول قبل الميلاد و (أبو لو وورس) المعاصر لسيدنا عيسى عليه السلام وقد نَقلَ عن الاخيرين (جورج سينسالوس) و (أوسابيوس) قولَ كاهن بعل في كتابه المذكور :

« إن العرب استولوا على كلديا ، وجلس منهم على أريكتها تسعة ملوك مدة ٢٤٥ سنة »

قال المطران يوسف الدبس (تاريخ سورية ١ : ١٣٥ عدد ٤٥) : « ان كل مابقي من فقر (باروز) وأمكن معارضته بالآثار المكتشفة حديثاً قاضٍ علينا أن نوقن أنه تلقاه عن آثار قديمة في وطنه ، وأنه كان على غاية من الدقة فيما ينقله » . وقالت مجلة المباحث (٢ : ٧٣١) : وقد اتصلت رواية (باروز الآرامي) بمحققي هذا العصر فأثبتوها وقالوا بها ، حتى ان المؤرخ (رولنسُنْ) الانكليزي المشهور اعتمدها ، وحَسَبَ أن المدة التي خلت فيها الاريكة الكلدية للاسرة العربية المالكة امتدّت من سنة ١٥٤٦ الى سنة ١٣٠١ قبل الميلاد

ويقول العلاّمة (سايس) : انه بسقوط الأسرة الثانية المالكة في (أور) نشأت في العراق أسرة ساميّة ، فاعتزّت وغزت ، ثم دالت . فاتصلت الاريكة بقوم أتوا الى العراق من جنوبي بلاد العرب ، وكان أسم زعيمهم (سوموَ أبي) — أي « سام أبي » يعني « ابن سام » — فناهضه الوطنيون فصبر . ولكن لم تستفحل دولته ولا اعتزّت لاستفحال بني عمه العيلاميين ، حتى اتصل الملك بالخلَف الخامس من أسرته وهو (حمورابي) فاستقلّ عن العيلاميين واستفحل ،

واتصلت الاريكة بأعقابه

وان ما قيل عن الكلديين يقال أيضاً عن العيلاميين ، بل ان هؤلاء أعرق في السامية وأدنى قرابة الى العرب ، بعد ثبوت ذلك من طريقي التوراة والاكتشافات الاثرية

وصفوة القول أن الحضارات السامية التي قامت في العراق منذ ستة آلاف سنة الى الآن إنما جاء أهلها الى العراق من جزيرة العرب ، وهو البحر الذى مابرح يتموّج فيدفع ببنيه الى مابين النهرين وضفافها ، ذلك هو تأويل المثل الذي سمعتُه في البصرة لما نزلتُها عام١٣٣٣ هـ وهو قولهم «نجدٌ أمّ والعراق داية»

﴿ الموجة الرابعة — الهجرات الاسماعيلية ﴾

« سنة ٦٠٠ قبل الميلاد »

كما أن لاسحاق من ابنه يعقوب عليهما السلام اثنى عشر سبطاً انتشروا في الارض وتناسلوا وكثروا ، كذلك لاسماعيل عليه السلام اثني عشر شبلاً نشأوا في مكة (أم القرى) وما لبثت هذه الامّ أن قذفت بهم الى قرى الشمال في ديار الشام بشكل موجة من موجات الجزيرة العربية فاتخذوا لهم في تلك الديار أوطاناً وأقاموا فيها دولاً . وهؤلاء الاسماعيليون الاثنا عشرهم : نابت، قَيْدار ، يَطُور، تيْما ، دُومة ، مِسمَع، قِدْمة ، أدَب ايل ، نَفِيس ، مِبْسام ، الهميسع ، حداد . وقد رُزق اسماعيل أشباله هؤلاء من ثلاث زوجات جُرْهميّات وهنّ : رَعْلَة بنت عمرو الجرهمي ، وسيّدة بنت مضاض الجرهمي ، والحنفاء بنت الحارث بن مضاض . فكان الدم الذي يجري في عروقهم عربياً محضاً من ناحية أمهاتهم من جُرْهم ، وعراقياً من ناحية جدّهم ابراهيم عليه السلام ، ومصرياً من ناحية جدّتهم هاجر . ونشأ هؤلاء في مكة وفيها العمالقة سكان مكة

الاولون ، وجُرْهُمُ الذين نزلوا مكة من أيام ابراهيم ، فكانت ولاية مكة بعد اسماعيل لابنه نابت ثم أفضت الى شيخ جرهم مضاض بن عمرو فدبّ دبيب الخلاف بين جرهم والعماليق تزاحماً على السلطة في مكة ، غير أن نجم العماليق كان الى أفول لأن الاسماعيليين وأخوالهم من بني جرهم كانوا أقوم أخلاقاً . ثم كان في مكة قحط شديد حوالي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد فلم تحتمل مكة جميع ساكنيها ، وكان الجلاء من نصيب الضعفاء وهم العمالقة ، فعادوا الى اليمن وطنهم القديم . وفي هذه النازلة نزح (بنو يطور) الاسماعيليون فولوا وجوههم نحو البلاد التي جاء منها جدهم ابراهيم ، أعني الديار الشامية . ووافق زمن وصولهم الى هناك قيام العبرانيين على الفينيقيين لاخراجهم من شمال فلسطين وجنوب سوريا ، فاشتبكوا مع بني اسرائيل في هذه الملاحم (أخبار الايام الاول ٥:١٩) وأسسوا في جنوب دمشق (مملكة يطور) ويطور مذكور في التوراة (سِفْر التكوين ٢٥ : ١٥ و ١٦ * وأخبار الايام الاول ١ : ٣١) وهي المقاطعة المعروفة الآن باسم (اقليم الجادور) جنوبي دمشق ، قال الاب مرتين اليسوعي (تاريخ لبنان ص ٣٥٨) : « وكانت حدود هذه المملكة الصغيرة ممتدة في الشمال الى تخوم مملكتي ايش طوب ودمشق ، ومن الغرب الى تخوم جشور ، ومن الجنوب الى باشان ، ومن الشرق الى أرجوب . فكانت مملكة يطور اذن مشتملة على اقليم الجادور الحالي مع قسم من حوران . غير أن بعض المؤلفين مدّوها الى ماوراء هذه الحدود في الجهات المجاورة لها » . ونقل الاب مرتين أيضاً (ج ٤ ص ٧٠) عن الرحالة اليوناني سترابون الذي كان موجوداً زمن المسيح قوله « ان الجبل كله من عند لاذقية لبنان مأهول بقوم من اليطوريين والعرب » بل روى مايظنه بعضهم من أن هؤلاء الجبارين وأمثالهم هم الذين بنوا أوجدّدوا مدينة بعلبك

ومن الاسماعيليين الذين دفعتهم تلك الموجة الى الشمال بنو قيدار وبنو

نابت فأنهم لما رحلوا عن مكة كانوا يتنقلون نحو يثرب ببطء حتى نزلوا حواليها، ثم انتقلوا منها الى مدائن صالح فتركوا فيها كتابات ونقوشاً الى يومنا هذا [١] ثم تقدموا الى الشمال اكثر حتى صاروا في خليج أيلة (العقبة) ثم في وادي موسى بعد ذلك

والمظنون أن (بني قيدار) كانوا في جملة العرب الذين ذكر (باروز الآرامي) أن بختنصر (نبوخذ نصر) الكلدي قد ظفر بهم واكتسح بعض بلادهم . وقد ورد ذكر (بنى قيدار) في سفر أرميا النبي (٢ : ٧) وسفرُ أرميا ومراثيه من أجلّ ما كتب عن كارثة بختنصر وسبيه بني اسرائيل خاصة واكتساحه البلاد السامية عامة . ومما يؤسف له أن هذه الحوادث لا تزال غامضة الى يومنا هذا ، لانه فضلا عن ضياع الاخبار العربية في هذا الباب فان بختنصر نفسه أقلُّ ملوك كلدة أخباراً منقوشة على الأحجار ومخلّفة في الآثار .

وأما بنو نابت ـ واسمه في التوراة (نبايوت) ـ فانهم لما بلغوا مع القيداريين والبطوريين خليج أيلة (العقبة) انخزعوا عن القوم ولبثوا فيها ، وكان يسكنها قوم من بني اسحاق تعرّبوا وهم الادوميون بنو عيسو بن اسحاق [٢] ، فما لبث أبناء نابت أن صاروا سادة تلك الديار، ووسعوا حدودها فكان حكمهم

(١) اذا صحت نسبة تلك الكتابة الى الاسماعيليين كان في ذلك تأييد للرواية العربية القائلة ان اسماعيل أول من كتب في الحجاز ، وان حروفه كانت متصلة كلهاحتى الالف والراء ـ بعكس الحميرية ـ الى أن فصلها ولداه (قيدار) و (الهميسع) . راجع المطالع النصرية للهوريني ص ١١ ، والمزهر للسيوطي في النوع ٤٢ ، والاوائل للسيوطي أيضاً

(٢) ان دخول الادوميين في غمار القومية العربية ناشيء عن ثلاثة اسباب : الاول تأثير البيئة ، والثاني وحدة الاصل، والثالث أن لغتهم لم تكن غريبة عن لغة العرب يومئذ وانما كانتا لهجتين متشابهتين فساعد ذلك على تعرّبهم . ولما خرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر اراد أن يمر ببلاد الادوميين فمنعوه فسلك ببني اسرائيل طريقاً آخر وكان ذلك سبب عداوة طويلة استمرت بين العبرانيين والادوميين الى زمن داود وسليمان عليهما السلام ثم الى زمن يهوشافاط واشعياء فلما نكب بختنصر العبرانيين أخذ الادوميون قسما من فلسطين

يمتدّ ــ في أدوار ازدهار دولتهم ــ من (وادي القرى) على حدود يثرب في الجنوب إلى (دمشق) في الشمال ، وجعلوا حصن (سلع) في وادى موسى أحد فروع العربة عاصمةً لهم [1] . وقد وُجدت لهم في مدائن صالح آثار تاريخية مهمة كما وُجدت لهم آثار منقوشة على الأحجار بين وادي موسى والسويس وبين العقبة والطور . وثبت من الكتابات التي وجدت لهم في معادن الفيروز والنحاس في وادي النصب ووادي المغارة انهم زاولوا صناعة التعدين ، لكنهم لم يشتغلوا بالزراعة لأن بلادهم صخرية ولا ماء فيها غير مايخزنونه من مياه الأمطار والسيول . وكانت لهم تجارة بين اليمن ومصر والشام ولم تكن تمر تجارة في تلك الجهات الا على أيديهم . وذكر ديودور الصقلي المؤرخ القديم أن لهم عشرة آلاف مقاتل من أشجع الرجال رصدوهم للدفاع عن حريتهم وحفظ استقلالهم ، وقد بطشوا بحملة أنتيغونس سنة٣١٢م بطشة أفنتها عن آخرها ومنعت انتيغونس من غزو مصر . والمعروف من ملوك بنى نابت الحارث الأول (سنة ١٦٩ ق . م) وزيد ايل (١٤٦ ق م) والحارث الثاني (١١٠ ــ ٩٦ ق م) وعبادة الاول (٩٠ ق م) ورئبال الاول (٨٧ ق م) والحارث الثالث (٨٧ ــ ٦٢ ق م) وعبادة الثاني (٦٢ ــ ٤٧ ق م) ومالك الأول (٤٧ ــ ٣٠ ق م) وعبادة الثالث (٣٠ ــ ٩ ق م) والحارث الرابع (٩ ق م ــ ٤٠ ب م) ومالك الثاني (٤٠ ــ ٧٥ م) ورئبال الثاني (٧٥ ــ ١٠١ م) ومالك الثالث (١٠١ ــ ١٠٦ م)

---

(١) السلع الشق . ومنه السلع بمعنى الشق فى القدم والشق فى الجبل . وسمت العرب كثيرا من جبالها باسم (سلع) . وممن ذكر سلعاً هذا الذي فى وادي موسى من علماء العرب ياقوت فى معجم البلدان والفيروز آبادي فى القاموس . وكما سمى العرب هذه البلدة باسم (سلع) سماها اليهود باسم (سالع) ومعناه فى لغتهم الصخر ، لذلك سماها اليونانيون والرومانيون باسم بترا بمعنى الصخر تبعاً لليهود ، مع أن المعنى العربى لكلمة سلع اكثر انطباقاً على حالة هذه البقعة لان مدخل بترا من الشرق فى مضيق يعرف بالسيق يرتفع عنده جانبا الوادي فلا يجتازه الركبان الا اثنين اثنين ، فهذا الشق في الجبل هو الذى يسميه العرب باسم (سلع)

وهو الذي انقرضت دولة بني نابت في زمنه على يد الامبراطور تراجان الروماني

ان الذين ترجموا بالعربية أخبار هؤلاء الاسماعيليين من بني نابت سموهم نبطاً وسموا مملكتهم مملكة النبط . وأنت ترى أن هذا الاسم جاءهم من اسم جدهم (نابت) . والمعروف عند العرب أن النبط جيل آخر ينزل بالبطائح بين العراقين كما نص على ذلك الجوهري في الصحاح وقال ابن ازهر في التهذيب انهم ينزلون السواد وهو سواد العراق كما في المحكم لابن سيده ويقال لهم الانباط أيضاً . وصلة العرب بهؤلاء آتية من جهة ابراهيم عليه السلام قال حبر الاسلام عبد الله بن العباس بن عبد المطلب « نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ربا » ، قيل ان ابراهيم ولد بها . وكان النبط سكانها ، سموا بذلك لاستنباطهم مايخرج من الارضين . أما هؤلاء الاسماعيليون الذين نزلوا وادي موسى كما تقدم فهم أحدث من نبط العراق ، وكان من حق المترجمين أن يرسموا اسمهم في العربية بلفظ (الأنبات) أو (النابتيين) اجتناباً للالتباس بنبط العراق واتباعاً لوجه الصواب في نسبة هذه الأمة الى جدها نابت بن اسماعيل

وقبل أن اختم هذا الفصل أشير باختصار الى أن هجرة الاسماعيليين هذه لم تكن مقصورة على بني نابت وبني قيدار وبني يطور ، بل هاجر معهم بنو تيماء أيضاً ولا يبعد أن تكون بلدة تيماء التي بين الشام ووادي القرى كانت من منازلهم

ورواة العرب يؤكدون أن (دومة الجندل) التي بين المدينة المنورة والشام سميت بدومة بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . ذكر ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان ونقل مثله عن الزجاجي . وروى في ذلك تفصيلاً عن العلامة ابن الكلبي قال : لما كثر ولد اسماعيل بتهامة خرج دوماء بن اسماعيل حتى نزل موضع دومة وبنى به حصناً فنسب اليه

وفي أخبار الايام الاول (١٩:٥) أن بني نفيس كانوا مع اليطوريين الشام

﴿ الموجات الاخيرة في التاريخ الماضي ﴾

« افتراق بني مَعَدّ — هجرة سيل العرم — ظهور الاسلام »

وحدثتْ حوالي زمن ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام حادثتان قذفتا بموجتين عربيتين الى بلاد الشمال :

أما الحادثة الاولى فهي — على ماجاء مفصَّلاً في مقدمة معجم ما استعجم البكري — أن أولاد مَعَدّ كانوا في منازلهم بمكة وتهامة كأنهم قبيلة واحدة ، حتى عشق حَزِيمةُ بن نهد القضاعي فاطمةَ بنت يذكر بن عنزة النزارية ، فنشبت الحرب بين قضاعة وبنى نزار. وكان مع قضاعة عَكّ والاشعريون ، ومع بني نزار كندةُ . فقُهرت قضاعة وأجلتهم نزار عن منازلهم : فسارت تيم اللات ابن أسد وبنو وفيدة بن ثور وبعض الاشعريين فنزلوا في مكان من أرض الجزيرة العراقية اسمه عَبْقَر ، وسارت سَليح القضاعية الى فلسطين ، وذهبت تنوخ (ويسميها اليونان Thanouit) الى الحِيرة ثم الى الحَضْر (واسمها اليوناني Atra) وهي قرب (تكريت) ، ولحق بعض قضاعة بالشام ، وسارت حوتكة بعد ذلك الى مصر

ثم اختلفت مضر وإياد — وكلاهما من بني نزار — فرحلت إياد الى سواد العراق ، ثم ضايقهم كسرى فتقدّموا الى أرض (الموصل) و (تكريت)

ثم نزحت عن الحجاز قبائل ربيعة ، فما زالت الحروب والوقائع تدفعهم من أرض الى أخرى حتى بلغوا (هيت) و (عانات) و (ديار بكر بن وائل) وهى الآن من بلاد الانضول ، وكانت تسمى قبل نزول العرب فيها (قهستان) ثم استقروا في سنجار ونصيبين والخابور فصارت هذه البقاع تسمى في التاريخ العربي باسم (ديار ربيعة)

***

وبينما قبائل مَعَدّ تتوغل في الشام والعراق الى الانضول عاملةً على توسيع الوطن العربي الأكبر كان سـدّ العرم في اليمن قد انهار ، فقذف بالموجة القحطانية الى الشمال : فنزلت خُزاعة في مكة ، والاوس والخزرج في يثرب ، ولَخم في العرق ، وغسّان في الشام. وكل ذلك مشهور فلا أطيل به

***

ثم كانت بعد ذلك «الموجة الأسلامية الـكبرى» في القرن السابع للميلاد ، وهي الموجة الاجتماعية التي اكتسحت في طريقها سخافات الوثنية ، ونزغات الجاهلية ، وعصبيات القبائل ، وأمراض التبلبل والتفرّق والانقسام ، فكانت معجزةَ المعجزات وأعجوبة الاعاجيب ، وما برح هدير هذه الموجة يوحي الى قلوب الاحفاد من حكمة الاجداد ماصاغه شاعر القومية المبين بقوله :

تلك الحياةُ التي كانتْ محجّبةً | في الغيب لاسأماً تخشى ولا سقما
سارت مع الدهر من بدوٍ الى حضَر | حتى استتبّت فكانت نهضةً عمَما
من ذلك البيت، من تلك البطاح، على | تلك الطريق مشت أجدادكم قدما
من كلّ أرْوَعَ وثّاب إذا انتسبتْ | بيضُ الصوّارم كان الصارمَ الخذِما
وانقضّ من عُدَواء الدار مُنصَلِتاً | وانغلّ في غمَرات الموت مقتحما
لستم بنيهم ولستم من سُلالتهم | إن لم يكنْ سعيُكم من سعيهم أمَمَا
إلى الشآم ، إلى أرض العراق ، إلى | أرض الجزيرة سيروا واحملوا العَلَما

وقد كان من أثر تلك النهضة العظمى أن وَضعتْ بين أيدي هذه الامة مبادئَ وقواعدَ حاطها الله بحفظه ، وصانها بعين عنايته ؛ فمهما صَرَفَنا عنها شيطانُ الخمول والجهل والهوى والنسيان والعقوق فهي باقيةٌ مع الدهر : لانكاد نذكرها لنهتديَ بها الى طريقنا حتى يلوح لنا مصباحُها مُتألقاً يبدّد بأشعّته غياهبَ الظلمات فنعود بها إلى ما كنا عليه من قوة وهيبة وصلاح ، بالسرعة التى نشرْنا

نها حضارتنا في العالمين. ومن دأب العرب أن يناموا ، ولكنهم لا يموتون إلا إذا باد البشر جميعا

﴿ نظريات العلماء في الوطن الاول للساميين ﴾

للعلماء ثلاثة آراء في الوطن الاوّل للساميين ولغاتهم :

الاول * رأى الذين تابعوا العبريين فى أن أصل الساميين من العراق . وهذا الرأي لا يتجدّد عام إلا ببرهان جديد على ضعفه ونقصان عدد القائلين به . ومع ذلك فان كبار العلماء في تفسير أسفار التوراة غير متفقين على أن العراق هي مهد الساميين ، ولا يرون حرَجاً فى الذهاب الى أن أصل الساميين بل وأصل البشر الاولين من وطن آخر غير العراق . وقد نقلنا فى السنة الماضية (ص ١٧) قول القديس هيرونيم ان (دمشق) سميت كذلك لوقوع حادثة قابيل وهابيل فيها . وليس قليلا عدد علمائهم الذين يذهبون الى أن (الشام) سميت باسم (سام) بن نوح عليه السلام . اذن فنصوص التوراة لا تحتّم على المتمسّكين بها أن يتعصبوا لهذا الرأي وقد تقدّم (ص ٣٢٢) أن اليهود إنما ذهبوا الى ذلك لانهم رأوا جدّهم الاعلى ابراهيم عليه السلام جاء الى الشام مما وراء الفرات ، وكذلك كان الآراميون يأتون الى الشام من العراق ؛ لكن ذلك لا يمنع أن أجداد ابراهيم عليه السلام وأسلاف الآراميين انما جاءوا العراقَ من بلاد العرب كما علمتَ

الرأي الثاني * رأيُ القائلين بأن أصل الساميين من بلاد الحبشة ، وأنهم جاءوا الى جنوب جزيرة العرب من طريق باب المندب قبل زمن التاريخ ، وأنهم صعدوا بعد ذلك من جنوب جزيرة العرب الى الاقطار الشمالية بمهاجرات تدريجية على ما ذكرناه فى الفصول السابقة . ومن القائلين بهذا الرأي الاستاذ (سالت) والعلامة (أرثر نولدكي)

الرأي الثالث * رأي القائلين بأن جزيرة العرب هي مهد الساميين ، ووطنهم الاول ، وأنهم انتشروا منها الى الشام والعراق وغيرهما شمالا والى الحبشة غرباً بطريق باب المندب بنفس المهاجرات التدريجية التي ذكرناها . ومن أصحاب هـذا الرأي (روبرتس سميث) و (صموئيل لاينج) و (سبرنجر) و (شريدر) و (باتون) و (وينكلر) وكثيرون غيرهم

قال الأب لامنس اليسوعي [1] :

« ان المذهب الشائع بين العلماء فى موطن بني سام الاصلي أنهم ظهروا فى شبه الجزيرة التي موقعها بين خليج العجم والبحر الهندي والبحر المتوسط ، أعني فى مربع عظيم تشغل سورية جهته الغربية . لانجهل أن غيرهم من المستشرقين يجعلون اصل الساميين فى افريقية ويزعمون أنهم تخطوا منها الى آسية . فرأيهم هذا يستدعي بحثا لا يسعنا الآن الخوض فى غمره . وما لاشبهة فيه أن مهد الساميين التاريخي حيث يظهرون فى نور التاريخ ، فنتبع أعمالهم وأخبارهم دون ريب ، ونميز خواصهم التي تفرزهم عن غيرهم من الامم فى القرون التالية ، وقد كان موقعه في المربع الكبير الذي ذكرناه آنفا . سواء كان هـذا المقام محلهم الاصلي أم لا ومنه انتشروا فى بقية أنحاء آسيا المتقدمة ثم الى كل أنحاء المعمور . ومن أراد أن يتجاوز هذه الحدود التاريخية سار فى مجاهل على غير هدى وتعرض للضلال ولعل تقدم العلوم يأتينا يوما بوسائل جديدة لتلطيف هذه الظلمات الكثيفة [1] »

وبعد فان هذا الرأي الثالث هو المعوّل عليه عند المتعمقين فى درس هـذا الموضوع . وجميع النصوص التاريخية تؤيده وتقوّيه . وفي الحقيقة ان هذه النظرية

(١) في كتاب « المذكرات الجغرافية فى الاقطار السورية » ص ٨ ـ ٩

(١) راجع في هـذا الموضوع : تاريخ الشعوب الشرقية ١ : ٥٥٠ Hist. anc. des peuples de l'Orient تأليف مسبرو Maspéro ومقالة شعوب آسية المتقدمة Die volker vorderasiens بقلم وينكلر H.Winckler بمجموعة Der alte Orient وكتاب « محمد » ص ٦ تأليف غريم Grimme

والنظرية التي قبلها ـ في أن الساميين كانوا فى الحبشة وانتقلوا منها الى جنوب جزيرة العرب ومن هذه انتشروا الى البقاع الاخرى ـ ان النظريتين تنتهيان الى نتيجة واحدة فى تعيين جنسية الامم التي تتكلم الآن باللغة العربية، وفي الحكم بانها كانت فى الاصل أمة واحدة كما عادت أخيرا أمة واحدة . لأنه سواء كان سكان جزيرة العرب يقطنون بلاد الحبشة قبل أن يكونوا فى بلاد العرب أو كان سكان بلاد الحبشة يقطنون جزيرة العرب قبل أن يكونوا فى أرض الحبشة فان النتيجة واحدة فى تعيين الاصل الذي يرجع اليه سكان لبنان وسورية وفلسطين والعراق في الوقت الحاضر ، وفي الحكم بأنهم انما جاءوا الى أوطانهم هذه من بلاد العرب لامن غيرها

﴿ الآثار الباقية لعرب الاندلس في إسپانيا ﴾

خطب الشاعر الاسپاني (فرنسيسكو فيجاسبانسا) خطبة بليغة في مسرح (سرڤنتي) بمدينة بونس أيرس من بلاد الجمهورية الفضية بأمريكا فذكر الروح العربي وما كان له من التأثير في حضارة أوربا الحاضرة . وأطرى بالمدح أخلاق الشعب العربي وسجاياه النبيلة وفصاحة ألسنة رجاله وسليقتهم الشعرية المفطورة فيهم وما تركت من أثر خالد في إسپانيا الى هذا اليوم ، حتى أن الروح العربية تكاد تكون ملموسة بنغماتها ومعانيها في شعر الشعب الذي تعرب به الامة الاسپانية عن مشاعرها الحقيقية . قال : وقد انتقلت الروح العربية من إسپانيا الى أمريكا اللاتينية مع هذا الشعر الشعبي الذي حمله اليها الاسپانيون ولا سيما مهاجرو مقاطعة الاندلس الذين كانوا في طليعة مستعمري أمريكا الجنوبية

ولهذا الشاعر الاسپاني قصائد عصماء في وصف الحمراء والزهراء واشبيلية وغرناطة وما كان للعرب في هذه المواطن من حضارة وسؤدد

الى جزيرة العرب...

لِمَنْ المَضاربُ في ظِلال الوادي رَيّانة الجَنَبات بالوُرّادِ
ألله أكبر! تلك أُمّةُ يَعربٍ نفرَتْ من الاغوار والانجاد
طوَتِ الراحلَ، والأَسنّةُ شُرّعٌ والبيضُ مُتْلَعَةٌ من الأغماد
ومَشَتْ على الاَسَلاتِ مِشْيةَ واثق بالله، والتاريخ، والأجداد

***

لبيكِ يا أرضَ الجزيرةِ، واسمعي ماشئتِ من شَجْوي ومن انشادي
لكِ في دمي حقُّ الوفاء، وإنه باقٍ على الحدَثان والآباد
فنهضتُ مُضطلعا بما جشّمتِني وحملتُ فيكِ سَخائمَ الاضدادِ
ووقفتُ بينَ يديكِ أُطرقُ خاشعا وكأنكِ المحرابُ للعبّاد
ورَميتُ دونَكِ بالدّليل مُسدّدا فسمعتِ صوت الحارث بن عُباد(١)

***

أنا لا أفرّقُ بين أهلكِ؛ انهم أهلي؛ وأنتِ بلادُهم وبلادي
ولقد برِئْتُ إليكِ من وطنية شلاّء تُؤْثرُ موطنَ الميلادِ
فلكل رَبع من ربوعكِ حُرمةٌ وهوى تَغَلْغَلَ في صميم فؤادي

***

كم ضجعةٍ بالقاع في غلَس الدُّجى فوق الرمال العفر وهي وسادي

(١) احد الرهط الذي اوفده النعمان بن المنذر للدفاع عن حوزة عرب العراق بين يدى كسرى. وقد شهد الوفد للحارث بن عباد ان أنساله انطق من لسانه

أدركتُ اذ أدركتُها معنى الكَرَى وسكينةَ الارواح في الاجساد
ولشدَّما انطوتِ العصورُ وما انطوت للعيش فيكِ بشاشةُ الاعياد
فسفَرْتِ بالفجر المبين لمُدْلِجٍ وتفجَّر العرفانُ منكِ لصاد
آمنتُ بالهمم التي أحييْتِها فمضت تزلزلُ شامخَ الاطواد
وتخطَّفت شُمَّ الحصون، وإنها كانت تُعَدُّ مرابضَ الآساد
ولقد شهدتِ بنيكِ يوم تشمَّروا متلبِّبين لغارةٍ وطِرادِ
فعلمتِ كيف يثور مَن طلبَ العُلى ورأيتِ كيف عزائمُ الامجاد
فجريحُهم وأسيرهم كقتيلهم: نهبٌ تُراوحه الردَى وتغادى
وهمُ الأُباة فما تلين قناتهم تحت السيوف ولا الحِمام العادى

***

شهداء مجدكِ في ثراكِ يضمُّهم ولهانُ ضمَّ حفيظةٍ ووداد
متدفِّقٌ من كل موقع طعنةٍ فيهم لسانُ دم بذكركِ شاد
سهرت عليكِ جراحُهم كعيونهم بالامسَ غير ملمَّةٍ برقاد
ولقد تطوَّع كهلُهم وغلامُهم للموت غيرَ مسخَّرٍ بقياد
وثبَت بهم في نقع كلِّ كريهةٍ همم الغزاة وعفةَ الزهاد
ومَن اشترى استقلالَه بدمائه لم يستنِمْ لاذىً ولا استعباد

***

الملكُ فيكِ وفي بنيك وإنه حقٌّ من الآباء للاحفادِ
وأمانةُ التاريخ في أعناقهم من عهد (بابل) يومَ نهضة (عادِ)

وذوي (حمى ربى)و(آل سميذع) وبني (تميم)و(حِميَرٍ)و (إياد)
ومن (الرعاة)ومن بنى قحطان او عدنان ، من متحضر أو باد
واغرّ ابلج من ذؤابة هاشم رفع اللواء ولمّ شعث الضادِ
فاذا انبروا للمجد فهو سبيلهم يمشون فيه على هدًى وسداد
تمس العداة فما يفرّق شملنا متفرّقُ الاسماء والآحاد
ظلموا وما علموا بأن وراءهم شعبا ، وأن الله بالمرصاد

فؤاد الخطيب

﴿ القانون والاخلاق ﴾

قال غوستاف لوبون في كتابه روح الاشتراكية ص ١٢ :

« تشتمل العوامل السياسية على القوانين والنظم ، ويعزو النظريون من جميع الأحزاب ـ ولا سيما الاشتراكيون ـ أهميةً كبيرة الى هذين العاملين ، لاعتقادهم أن سعادة الامة بأنظمتها ، وان مقاديرها تتغير بتغييرها . وهم بذلك على غير رأي بعض المفكرين الذين يعتقدون أن تأثير الأنظمة ضئيل جداً ، وأن مقادير الامم بأخلاقها ، أي بروح أفرادها »

﴿ مدفع فارسي قديم ﴾

لما دخل الانكليز بغداد يوم ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٥ (١١ مارس ١٩١٧) كان فيها مدفع فارسي قديم صنع سنة ٩٥٤هـ ، فارسله الجنرال مود الى لندن هدية للملك ، فامر ملك الانكليز أن ينصب في ميدان ثكنة الحرس الفرسان

وهذا المدفع مصنوع من النحاس ، ووزنه خمسة اطنان ، وقد كتب عليه بالفارسية ما ترجمته « نصر من الله وفتح قريب * لقد شاء الشاه الظافر أن يبيد آثار الترك فامر (جيف) بصنع هذا المدفع لتلتهم نازه من يعترضها خارجة من من فيه كما يقذف التنين بالشرر حتى تحترق بلاد الترك »

أما (جيف) فيقال انه احد الابطال في أساطير الفرس القدماء

كتاب السير

أو أصحاب المعاجم في التاريخ العربي

يعتمد المؤرخ في التاريخ العربي ـ حسب اعتقادنا ـ على مصادر ستة يستقي من مناهلها حقائقه ، ويستمد منها مادته :

فالمصدر الاول هو ما رُوي في القصص والاساطير التي تناقلتها الالسن في المجتمعات البدوية ، والاندية والاسواق الجاهلية قبيل الاسلام

والمصدر الثاني هو الايام الشهيرة التي وقعت بين العرب والمغازي التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم فى أوائل الاسلام

والمصدر الثالث هو الانساب لشدة اعتناء العرب بها ومحافظتهم عليها كي لا يطعن بها طاعن ، ولا ينقدها ناقد ، اذ هي من مقاييس الشرف وطيب العنصر عندهم

وأما المصدر الرابع فهو الشعر الذي سرى على ألسنة القوم وردّده الناس في الامكنة المختلفة والاطراف المتباينة . فدونك كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهاني والعقد الفريد لابن عبد ربه شاهداً عدلا على أهمية الشعر في تاريخنا

والمصدر الخامس هو الحديث ، لاتصال الاسناد في رواياته ، وتواترها وشهرتها ، وكثرة الذين نقلوه من أهل العلم المشهود لهم بالعفة فى القول والصدق في نقل الاخبار

أما المصدر السادس فهم كتّاب السير وأصحاب المعاجم في أعلام الرجال المشهورين وقد قسمهم العرب الى طبقات فيُقال طبقات الاطباء وطبقات العلماء وطبقات الفلاسفة وطبقات الادباء وطبقات الفقهاء وما شابه ذلك

فابن خلّكان صاحب كتاب (وفيات الاعيان) عمد الى جميع المشهورين

الذين تقدموه أو عاصروه أوسمع بهم ، فسعى في التقاط أخبارهم ، وتسقّط أحاديثهم ، وجَمْع ما روى عنهم من الحكم والاشعار والاخبار وما أصابهم من نعمة وبؤس أو خير أو شر في أيامهم . وقد يذكر تآليف الرجل إن كان من أهل الفضل وأرباب التصنيف. وتقع أهمية ابن خلكان في أمور ثلاثة : أولها رحلاته في البلاد حباً بتقييد حقيقة قد لا يعثر عليها وهي قابعٌ في عقر داره ، أو مشاهدة رجل محدّث أو أديب كامل أومؤرّخ بحاثة يسمع منه ويدرس عليه فترجمته لمن شاهدهم أو سمع من الثقاة عنهم هي تراثٌ خالدوأثر يذكر لابن خلكان . وثانيهما تدقيقه وتمحيصه وتثبته من المظانّ المعروفة والمصادر القيمة. وثالثها ولعه بموضوعه وشدّة هيامه بمعرفة كل شاردة وواردة عن العظماء المشهورين . وانّا لنورد هنا شيئاً من مقدمته لنفهم روح الرجل ومحتويات كتابه وأسلوبه الذى تمشى عليه واهتدى به . قال:

فهذا مختصر في التاريخ دعانى الى جمعه أنى كنت مولعاً بالاطلاع على الاخبار . . . فوقع الي منه شيء حملني على الاستزادة وكثرة التتبع . . . ولم ازل على ذلك حتى حصل عندي منه مسودات كثيرة فى سنين عديدة ، وعلق على خاطرى بعضه فصرت اذا احتجت الى معاودة شيء منه لا أصل اليه الا بعد التعب فى استخراجه لكونه غير مرتب ، فاضطررت الى ترتيبه ، فرأيته على حروف المعجم أيسر منه على السنين فعدلت اليه والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة أو ماهو أقرب اليها على غيره ، فقدمت ابراهيم على أحمد لان الباء أقرب الى الهمزة من الحاء وكذلك فعلت الى آخره ليكون أسهل للتناول ، وان كان هذا يفضى الى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر فى العصر ، وادخال من ليس من الجنس بين المتجانسين ، لكن هذه المصلحة أحوجت اليه. ولم اذكر فى هذا المختصر أحداً من الصحابة رضى الله عنهم ولا من التابعين الا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس الى معرفة احوالهم ، وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة فى هذا الباب ، لكن ذكرت جماعة من الافاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم أو كانوا فى زمنى ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدى . ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الامراء أو الوزراء أو الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ذكرته وأتيت من أحواله بما وقفت عليه مع الايجاز كيلا يطول الكتاب ، وأثبت وفاته ومولده ان قدرت عليه ورفعت نسبه على ماظفرت به ، وقيدت من الالفاظ مالا يؤمن تصحيفه ، وذكرت من محاسن

كل شخص ما يليق به من مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفكه به متأمله ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله . والدواعي انما تبعث لتصفح الكتاب اذا كان مفتناً به . وبعد أن صار كذلك لم يكن بد من استفتاحه بخطبة وجيزة للتبرك بها فنشأ من مجموع ذلك هذا الكتاب وجعلته تذكرة لنفسي وسميته كتاب (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان) ليستدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان. فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن ورأى فيه خللا فهو المثاب في اصلاحه بعد التثبت فيه ، فانني بذلت الجهد في التقاطه من مظان الصحة ولم أتساهل في نقله عمن لا يوثق به بل تحريت فيه حسبما وصلت القدرة اليه . وكان ترتيبي له في شهور سنة أربع وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة ، مع شواغل عائقة وأحوال عن مثل هذا متضايقة (١)

ولا يقلّ عن ابن خلكان في نظرنا ياقوت الرومي صاحب كتاب (إرشاد الاريب الى معرفة الاديب) المعروف بمعجم الادباء وطبقات الادباء ، فقد كان شابا مملوكا طموحاً يسعى الى اكتساب العلم حباً بالعلم ، والى اكتساب الادب حباً بالادب . لا لفائدة مادية يجنيها أو منصب يرتجيه . فتصدّى للكتابة عن النسّابين والادباء واللغويين والمؤرخين والاخباريين والقراء المشهورين ممن عاصرهم أو تقدموه . ويسهب اسهاباً كافياً في الاخبار عمن رآه أو عرفه ، ويذكر المصادر التي انتهل منها ورجع اليها في كتابه ، وقد يثبت الروايات سماعا أو اجازة . وهو سهل العبارة في أسلوبه فلا تشعر أنه يعتني باللفظ دون المعنى ، وتراه يروي خلال تراجمه بعض الاشعار والحكايات . واعتنى بطبع بعض أجزاء هذا الكتاب المستشرق د . س . مرجليوث الاستاذ بجامعة اكسفورد. واني لاذكر قدوم هذا الاستاذ الى جامعة بيروت الامريكية سنة ١٩٢٤ وشراءه من بيروت بعض اجزاء من كتاب (ارشاد الأريب) لم يتم طبعها . ورأيتها منسوخة على مخطوطة حديثة في حقيبة استاذنا الكامل الدكتور فيليب حتي وقد أخبرنا أستاذنا يومئذ — على ما أذكر — أنه اشتراها من جميل بك العظم أحد هواة الكتب القيمة في بيروت ، وعسى أن يتم

(١) وفيات الاعيان طبع باريس ص ٢

طبع هذه الاجزاء بحلة قشيبة كالتي سلفتها · ويذكر ياقوت كيفية تأليفه هذا الكتاب والنهج الذي نهجه وما ضمنه من التراجم . فلندعه يروي ذلك في مقدمته قال :

جمعت في هذا الكتاب ماوقع الي من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف في الأدب تصنيفاً أو جمع في فنه تأليفاً، مع ايثار الاختصار والاعجاز في نهاية الايجاز .ولم آل جهداً في اثبات الوفيات وتبيين المواليد والاوقات وذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم والاخبار بأنسابهم وشيء من أشعارهم . فأما من لقيته أو لقيت من لقيه فأورد لك من أخباره وحقائق أموره مالا أترك لك بعده تشوقاً الى شيء من خبره ، وأما من تقدم زمانه وبعد أوانه فأورد من خبره ما أدت الاستطاعة اليه ووقفني النقل عليه في ترداذي الى البلاد ومخالطتي للعباد . وحذفت الاسانيد الا ماقل رجاله وقرب مناله مع الاستطاعة لاثباتها سماعاً واجازة . الا انني قصدت صغر الحجم وكبر النفع ، وأثبت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب العلماء المعول في هذا الشأن عليهم والمرجوع في صحة النقل اليهم

وكنت قد شرعت – عند شروعي في هذا الكتاب أو قبله – في جمع كتاب في اخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ونسجتها على هذا المنوال وسبكتها على هذا المثقال في الترتيب والوضع والتبويب . فرأيت اكثر أهل العلم المتأدبين والكبراء المتصدرين لاتخلو قرائحهم من نظم شعر وسبك نثر فأودعت ذلك الكتاب كل من غلب عليه فدون ديوانه وشاع بذلك ذكره وشأنه ولم يشتهر برواية الكتب وتأليفها والآداب وتصنيفها

وأما من عرف بالتصنيف واشتهر بالتأليف وصحت روايته وشاعت درايته وقل شعره وكثر نثره فهذا الكتاب عشه ووكره وأجتزي به عن التكرار هناك الا النفر اليسير الذين دعت الضرورة اليهم ودلنا عنايتهم بالصناعتين عليهم.ففي هذين الكتابين اكثر اخبار الادباء من العلماء والشعراء . وقصدت بترك التكرار خفة محمله في الاسفار

وجعلت ترتيبه على حروف المعجم : أذكر اولا من اول اسمه الف ثم من أول اسمه باء ثم تاء الي آخر الحروف والتزم ذلك في أول حرف من الاسم وثانية وثالثه ورابعه فأبدأ بذكر من اسمه آدم ألا ترى أن أول اسمه همزة ثم ألف ثم من اسمه ابراهيم لان أول اسمه الف ، وبعد الالف باء ثم كذلك الى آخر الحروف . وألزم ذلك في الآباء ايضا فاعتبره فانك اذا أردت الاسم تجد له موضعاً واحداً لايتقدم عليه ولا يتأخر ، اللهم الا ان يتفق أسماء عدة رجال واسماء آبائهم فان ذلك مما لاحصر فيه الا بالوفاة فاني أقدم من تقدمت وفاته على من تأخرت . وأفردت في آخر كل حرف فصلا أذكر فيه من اشتهر بلقبه على ذلك الحرف من غير ان أورد شيئاً من أخباره فيه ، انما ادل على اسمه واسم أبيه لتطلبه في موضعه. ولم اقصد ادباء قطر ولا علماء عصر ولا اقليم معين ولا بلد مبين بل جمعت للبصريين

والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وتفاوت الازمان حسب ما اقتضاه الترتيب وحكم بوضعه التبويب لا على قدر اقدارهم في المقدمة والعلم. وابتدأته بفصل يتضمن اخبار قوم من متخلفي النحويين والمتقدمين المجهولين (١)

وأشهر كتاب السير بعد هذين ابن شاكر الكتبي صاحب (فوات الوَفيات). اطلع هذا على كتاب ابن خلكان فأعجبه واستحسنه فذيّل عليه الى أيامه. وقد اهتم بالخلفاء خصوصا وأصلح بعض ما أخل به ابن خلكان من التراجم، فروى لنا بهذا الشأن فى مقدمة كتابه ما يأتى :

فلما وقفت على كتاب وفيات الاعيان لقاضى القضاة ابن خلكان وجدته من أحسنها وضعاً لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء، ورأيته قد أخل بتراجم فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه. ولم أعلم أذلك ذهول منهم او لم يقع له ترجمة احد منهم. فأحببت ان اجمع كتابا يتضمن ذكر من لم من يذكره من الائمة الخلفاء والسادة الفضلاء. واذيل من وفاته الى الآن (حوالى سنة ٧٦٤ هـ) وسميته بفوات الوفيات (٢)

أما ابن حجر العسقلانى مؤلف (الاصابة في تمييز الصحابة) المولود سنة ٧٧٣ هـ والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ فَدَرَسَ كتاب (أُسْد الغابة) لابن الاثير ودقق فيه فميز بين الصحابيين وغير الصحابيين وروى أخبارهم وأشهر أقوالهم، وبين علاقتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وقد يتعرف المرء أحوال الصحابة من مطالعة هذين الكتابين لابن الاثير ولابن حجر العسقلاني. وهما في غاية الأهمية لدراسة عصر الرسول والصحابة والتابعين درساً وافياً. ويصف العسقلاني كتابه فيقول :

من اشرف العلوم الدينية علم الحديث النبوى، ومن اجلّ معارفه تمييز اصحاب رسول الله ممن خلف بعدهم . . . وقد جمع فى ذلك جمع من الحفاظ تصانيف بحسب ما وصل اليه اطلاع كل منهم . . . ولما كان اوائل القرن السابع جمع عز الدين بن الاثير كتابا حافلا سماه (أسد الغابة) جمع فيه كثيراً من التصانيف المتقدمة الا انه تبع من قبله فخلط من ليس صحابيا

(١) مقدمة ارشاد الاريب . مطبعة هندية بالقاهرة ص ٣ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ١٠

(٢) مقدمة فوات الوفيات ص ٢

بهم واغفل كثيرا من التنبيه على كثير من الاوهام الواقعة فى كتبهم . ثم جرد الاسماء التى فى كتابه مع زيادات عليها الحافظ ابو عبد الله الذهبي . . . وقد وقع لى بالتتبع كثير من الاسماء التى ليست فى كتابه ولا اصله على شرطهما ، فجمعت كتابا كبيرا فى ذلك ميزت فيه الصحابة من غيرهم (١)

وعُرِف الذهبي بمعجم أعلامه (تذكرة الحفاظ) وهو كتاب نفيس جامع، لأنّ مؤلفه جاب الاقطار الشرقية وحفظ الكثير من أقوال الحكماء ، وكان له المام بشخصية العلماء الاعلام ، وله كتاب (المشتبه) ويقول فيه مؤلفه « علقت فيه كلام الحافظ عبد الغنى بن سعيد الازدي وابن ما كولا وابن نقطة وابي العلاء الفرضي وغيرهم [٢] » وان حاجي خليفة يذكر انه كتاب « اعتمد فيه على ضبط القلم فكثر فيه الغلط والتحريف » . وللذهبي مصنف (تاريخ الاسلام) المخطوط ولم يطبع للآن حسبما نعرف

وقام بعض المتأخرين من كتاب السير يدونون تراجم الرجال الاّ انهم لم يبزّوا المتقدمين منهم في هذا المضمار ، فلم تكن مصادرهم وافية شافية لما تطلبه من المعلومات وانْ أسندت طائفة منهم الحقائق الى مظانها . فالمحبي مؤلف خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر كان يحرص على جمع أخبار الأئمة والعلماء والادباء والملوك والامراء والفضلاء والاعيان في القرن الحادي عشر للهجرة وقد ساعده على ذلك مجاورته للبيت الحرام مدة من الزمن تلقى خلالها الايضاحات الضافية سماعا عمن يهمه من المشهورين في الحجاز والبحرين واليمن. أما مواطنوه الشاميون فاسهب في ذكر من اتصل به منهم أو عرفه وجالسه . وذكر المحبي الاسلوب الذى اتبعه والمصادر التى اعتمد عليها فقال في مقدمته :

وكنت شديد الحرص على خبر اسمعه أو على شعر تفرق شمله فأجمعه ، خصوصاً لمتأخري اهل الزمن المالكين لازمة الفصاحة من كل ملك وامير وامام واديب حتى اذا اجتمع عندى

(١) مقدمة الاصابة فى تمييز الصحابة ص ٢ ـ ٣ مطبعة السعادة بالقاهرة
(٢) حاجى خليفة ج ٥ ص ٥٥٣ ـ ٥٥٤

ما طاب وراق وزين بمحاسن لطـائفة الأقلام اقتصرت منه على اخبار المائة التي انا فيها ووقع اختياري على اضـافة كل اثر الي ترجمة من اسند اليه حسبما يعول من له مسـاس في باب التاريخ عليه وقد وجد عندي من الآثار مما أحتاج اليه من المؤلفة كذيل النجم الغزي وطبقات الصـوفية للمناوى وتاريخ الحسن البوريني وذيله لوالدى المرحـوم وخبايا الزوايا والريحانة الخفاجي وذكرى حبيب للبديعي ومنتزه العيون والالباب لعبد البر الفيومي هذا ماعدا المجاميع والتلقيات من الافواه والمكاتبات . وكان بقي علي بعض اخبار اليمن والبحرين والحجاز فلما من الله علي بالمجاورة فى بيته المعظم تلقيت من الافواه تراجم لاناس يسـيرة كانت في التحصيل جلي عسيرة والتقطت من اهليه ثم وقفت في اثناء السنة على ذيل الجمالي محمد الشبلي المكي الذي ذيل به على النور السـافر في اخبار القرن العاشر للشيخ عبد القادر بن الشيخ العيدروس والمشرع الروي في اخبار آل باعلوي له ايضاً وعلى تراجم منقولة من تاريخ القاضي ابن ابى الرجال اليمنى في اهل اليمن وسلافة العصر في شعراء اهـل العصر للسيد على بن معصوم ذيل الريحانة وذيل الشقائق الذي الفه بالتركية ا ن نوعى ضمنه معظم اهل الدولة العثمانية وقطعة من تاريخ انشأه الشيخ مدين القوصونى المصري ذكر فيه تراجم كبراء العلماء من اهل القاهرة . . . واضفت الى تلك الاخبار المواليد والوفيات . وما اقدمني على هذا الشأن الا تخلف ابناء الزمان ، ولما فيه من بقاء ذكر اناس شنفت مآثرهم الاسماع وجمع اشتات فضائل حكم الدهر عليها بالضياع ، وليس غرضي الا اداء حقهم المفترض

واعلم ان مصطلحي فى هذا الكتاب اني رتبته على حروف المعجم لتسهل مطالعته ، واقدم أولا الاسم الذي اوله همزة ممدودة ثم ما كان اوله ألف ، واقدم من ذلك ماشاركه ابوه فى اسمه فاذا تعدد ذلك قدمت الاسبق وفاة . ثم ارجع فاذكر من بعد حرف الهمزة الحروف المعجمة من اولها الى آخرها واذكر فى كل حرف مافيه من الاسماء مقدما ما كان فيه ثاني الاسم من الحروف المقدمة وهكذا افعل في اسماء الآباء فاذ انتهى من وصلني اسم ابيه ذكرت من لم أعرف اسم أبيـه مراعياً سبق الوفاة أو اكتفى بذكر الكنية واللقب اذا اشتهر صاحب الترجمة باحدهما ولم يرو له اسم ، وأذكر ذلك في ضمن الاسماء وابتديء منها بالاسم ثم باللقب ان اتفق ثم بالكنية . وأذكر بعد ذلك النسبة الى البلد ثم الاصل ثم المذهب غالبا . ولا اورد من احوال الرجل الا ماتلقيته من هذه التواريخ أو سمعته من ثقة او ضبطته عن عيان ومشاهدة (١)

وصنف السـيد محمد خليل المرادى كتاب (سلك الدرر فى أعيان القرن الثاني عشر) فاخذ من الافواه وراسل أدباء عصره وأرباب الفضل واعتمد على الكتب القيمة والرحـلات والتراجم الجمة ، وامتاز بفحصه للحقائق وجرحها وتعديلها وانتقاء الثابت الصحيح منها . والظاهر أن المرادي كان مولعاً بجمع

(١) خلاصة الاثر ص ٣ ـ ٤ ـ ٥

آثار المشاهير يستحثه على ذلك أدبه ومحبته للتاريخ . وذكر الطريقة التي سلكها والينابيع التي انتهل منها مادته كالرحلات والكتب القيمة وما ذُيل عليها فقال في مقدمته :

لم أر من ترجم أهل القرن الثاني عشر ـ مم ماانطووا عليه من الفضائل ـ عن لى أن اكون في سبيل المؤرخين سالك ٠ فجمعت هذا التاريخ الكامل في التعريف بحال الشخص والتوصيف واجتمع عندي جملة من الرحلات والاثبات والتراجم مع كثرة التنقير والتفحص الكثير والاخذ عن الافواه شفاهاً وبالمكاتبات الى البلدان التي كنت لست أراها فكان عندي رحلة الوجيه عبد الرحمن بن محمد الذهبي ، ورحلة مؤرخ مكة الشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي، والنفحة للامين المحبي وذيلها للشمس محمد المحمودي ، وثبت العلامة الشمس محمد عبد الرحمن الغزي العامري المسمى (لطائف المنة) وتذكرته الادبية ورحلة الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الكبرى والصغرى الحجازية والقدسية وغير ذلك من المشيخات والمعاجم والاثبات مما يحتج به فلا يحتاج الى برهان وسميته (اخبار الاعصار في اخبار الامصار) ويليق ايضا ان يسمى (سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر) . (١)

وتوسع بعض أصحاب السير فخصوا أبحاثهم بشخص واحد كابن اسحق وابن هشام وغيرهما في سيرهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأسهبوا في ذكر طفولته وشبابه وكهولته وأحواله الاجتماعية وحروبه الخ ٠ ونجد ابن شدّاد في المتأخرين يرصد أبحاثه على صلاح الدين الايوبي في كتابه المسمى (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) فذكر مولده ومنشأه وخصائله وأوصافه ووقائعه وفتوحه . وقد رتب تاريخه حسب السنين . وهو يصف أسلوب كتابه ومحتوياته في مقدمته فيقول :

انى رأيت أيام مولانا السلطان أبي المظفر يوسف بن ايوب . . . أختصر ما أملاه على البيان من كرمه وشجاعته والخبر الذي يقارب مظنونه درجة الايقان . . . . جعلت كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) قسمين : احدهما في مولده ومنشأه وخصائصه وأوصافه وأخلاقه المرضية وشمائله الراجحة في نظر الشرع ٠ والقسم الثاني في تقلبات الاحوال به ووقائعه وفتوحه وتواريخ ذلك أيام حياته (٢)

(١) سلك الدرر ص ٤

(٢) النوادر السلطانية مطبعة التمدن بمصر سنة ١٩٠٣ ص ٢ ـ ٣

ورتبت طائفة من كتاب السير مصنفاتها على فئة من الناس كابن أبي أصيبعه في كتابه (عيون الانباء في طبقات الاطباء) فخص به الاطباء دون غيرهم وكان دائما يصحح مايقع فيه من الاخبار المغلوطة ، ويزيد عليه مايلتقطه. ويعتقد بعض المؤرخين ان « تلامذته أو نساخ كتابه زادوا على مسودته من بعد وفاته (٦٦٨ هـ) وغيروا فيها ولا يمكن في كل الاماكن تمييز زيادات المؤلف وتغييراته مما زاد وغير تلاميذه والنساخ» واعتنى بنشره الشيخ امرؤ القيس بن الطحان ويرى أن « المؤلف جمع فيه ماوجده في الكتب الطبية والتاريخية الموجودة ذاك الوقت المعدومة الآن حتى ان كتابه يغني عن غيره ، وكثيراً مايزيد عليه فوائد وتقييدات من عنده مما لايوجد في الكتب قبله [1] »

وممن حبس أبحاثه على طبقات الاطباء الوزير جمال الدين أبو الحسن علي ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة٦٤٦ هـ فذكر قدماء الاطباء ومعاصريه من الامم المختلفة وما روي من أقوالهم وحفظ عنهم وأتحفنا بذكر مؤلفاتهم . وهاك مايقول في مقدمة كتابه :

عزمت على ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيل وأمة قديمها وحديثها الى زماني وما حفظ عنه من قول انفرد به اوكتاب صنفه او حكمة علية ابتدعها ونسبت اليه فأني رأيت ذلك من الامور التي جهلت والتواريخ التي هجرت وفي مطالعة هذا اعتبار بمن مضى وذكر لما سلف (٢)

مدينة السلام : أنيس زكريا النصولي



(١) عيون الانباء ج ١ ص ١

(٢) اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١ طبعة ليبسيك سنة ١٣٢٠

سبب انحطاط الشرق

وكيف ينهض ؟

نصيحة الدكتور غوستاف لوبون لشبابنا

قرأتُ في مجلد السنة الثالثة من مجلة رعمسيس ص ٦١٩ رسالة بعث بها اليها الاديب المصري توفيق يزدي من باريس وقال فيها انه زار العلاّمة الحكيم غوستاف لوبون في منزله بشارع افينيون بباريس ، فدار بينهما حديث في أمور شتى ، ومما قاله هذا الحكيم الفرنسوي يومئذ :

« ان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين ، وتشبُّثه بالعقائد الباطلة . فان الدين قوة أدبية لا يُستهان بها ، ومن الواجب عليكم أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر ، وأن تحافظوا على تقاليدكم الحسنة ، وعاداتكم المرْضيّة »

ثم أردف قائلا :

« وعلى الطلاّب الشرقيين ـ الذين يأتون أوربا لاقتباس انوار المعارف ـ أن ينتخبوا من العلوم والفنون والافكار والعادات مايفيد وطنهم ويوافق أخلاقهم

وتكلم هذا العالم الكبير بعد ذلك عن الخطأ في تغيير العقائد والعادات بدون معرفة نتائجها الروحية

ولما ودّعه توفيق افندي يزدي كتب له العلاّمة غوستاف لوبون بخطه ما ترجمته :

« ان الشعب الذي يريد الرقيّ يجب عليه ان لا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه ، أي يجب أن يحترم تقاليده ويراعيها »

نَظْرُ الاسلام

نتقدم الى قرّاء الزهراء بهذه الآية من آيات البيان ، وقد سحَرَ بها شاعرُ العربية الاكبر أحمد شوقي بك مسامعَ الالوف من أدباء وادى النيل ، ليلةَ أُلقيتْ في الحفلة التي جعلتْها مصرُ عنوانَ عطفها على أختها الشام في موقفها الحاضر

ولما تهافتت الصحفُ على نشر هذه الخريدة العصماء ، اشترت جريدة السياسة بأربعين جنيها مصريا حقَّ السبق الى نشرها ، وجعلت هذا المال في صندوق إعانة منكوبي الثورة

سلامٌ مِن صَبا (بَرَدَى) أرَقُّ ... ودمعٌ لا يُكفكَفُ يادِمَشْقُ

ومعذِرةُ اليَراعة والقوافي ... جلالُ الرُّزْءِ عن وصفٍ يَدِقُّ

وذِكرَى عن خواطرها لقلبي ... اليكِ تلفُّتٌ أبداً وخفْقُ

وبي مما رمتكِ به الليالي ... جراحاتٌ لها فى القلب عمقُ

دخلتُك والاصيلُ له ائتلاقٌ ... ووجهُكِ ضاحكُ القسماتِ طَلقُ

وتحتَ جِنانكِ الانهارُ تجري ... ومِلْءَ رُباكِ أوراقٌ ووُرْقُ

وحَولي فِتيةٌ غُرٌّ صِباحٌ ... لهم في الفضل غاياتٌ وسَبقُ

على لهَواتهم شعراءُ لسنٌ ... وفي أعطافهم خُطباءُ شُدقُ

رواةُ قصائدي فاعجب لشعرٍ ... بكل محلّةٍ يرويه خَلقُ

غمزتُ إباءهم حتى تلظّتْ ... أنوفُ الاُسْدِ واضطرمَ المَدَقُّ

وضجَّ من الشكيمة كلُّ حرٍّ ... أبيٍّ من أُميّةَ فيه عِتقُ

***

لحَاها اللهُ أنباءٌ تَوالت على سمع الوليّ بما يَشُقّ
يفصّلها الى الدنيا بَريدٌ ويُجملها الى الآفاق بَرق
تكاد لرَوْعة الاحداث فيها تُخال من الخرافة وهي صِدق
وقيل معَالِم التاريخ دُكّتْ وقيل أصابها تلفٌ وحرق
ألستِ دِمَشقُ للإسلام ظِئراً ومُرضِعةُ الأُبوّة لا تُعَقُّ
صَلاحُ الدينِ تاجُك لم يُجمَّلْ ولم يوسَم بأَزينَ منه فَرق
وكلُّ حضارةٍ في الأرض طالتْ لها من سَرحِكِ العُلويّ عِرق
سماؤكِ من حُلَى الماضي كتابٌ وأرضُك من حُلَى التاريخ رَق
بَنيتِ الدولةَ الكبرى، ومُلكاً غُبارُ حَضارتيه لا يُشَق
له بالشام أعلامٌ وعُرسٌ بشائرُه بأَندَلسٍ تُدَق

***

رِباعُ الخلد ويحَكِ ما دهاها أحقٌّ أنها دَرَستْ، أحق؟
وهل غُرَفُ الجِنان مُنضَّداتٌ وهل لنعيمهنّ كأمس نَسق
وأين دُمَى المقاصِر من حِجالٍ مُهتّكةٍ وأستارٍ تُشق
بَرَزْنَ وفي نواحي الأيكِ نارٌ وخلفَ الأيك أفراخٌ تُزَقّ
إذا رُمنَ السلامةَ من طريق أتتْ من دونه للموت طُرْق
بليلٍ للقذائف والمنايا وراءَ سمائه خطفٌ وصَعق

اذا عَصفَ الحديدُ احمرّ أفقٌ — على جنَباته ، واسودّ أفقُ
سلي مَن راعَ غيدَكِ بعدَ وَهنٍ — أبينَ فؤاده والصخرِ فرَق
وللمستعمرينَ وإن ألانوا — قلوبٌ كالحجارة لا ترِق
رماكِ بطيشه ، ورمى فرنسا ، — أخو حربٍ به صَلَفٌ وحُمق
اذا ماجاءه طُلّابُ حق — يقول : عصابة خرجوا وشقّوا !
دمُ الثُّوّارِ تَعرِفُه فرنسا — وتَعلَمُ أنه نورٌ وحقُّ
جرَى في أرضها فيه حياةٌ — كمنهلّ السماء وفيه رزق
بلادٌ ماتَ فتيتُها لتَحيْا — وزالوا دونَ قومهم ليَبقَوا
وحُرّرَتِ الشعوبُ على قَناها — فكيفَ على قَناها تُستَرَقُّ

***

بني سوريةَ أطّرِحوا الاماني — وألقوا عنكمُ الاحلامَ ، ألقوا
فمن خِدَعِ السياسةِ أن تُغرّوا — بألقابِ الإمارةِ وهي رِقُّ
وكم صيَدٍ بدا لكَ من ذليلٍ — كما مالتْ من المصلوب عُنْقُ
فتُوقُ الملكِ تَحدُثُ ثمّ تمضي — ولا يَمضي لمُختَلِفينَ فَتقُ
نَصحتُ ونحن مُختَلِفونَ داراً — ولكن كلنا في الهمّ شَرْق
ويجمَعُنا ـ اذا اختلَفتْ بلادٌ ـ — بيانٌ غير مُختَلِفٍ ونُطق
وقَفتمْ بينَ مَوتٍ أو حياةٍ — فإنْ رُمتمْ نَعيمَ الدهر فاشقَوا
وللاوطانِ في دمِ كلّ حرٍّ — يَدٌ سلفتْ ، ودَينٌ مُستَحق

ومَنْ يَسقي ويَشرَبُ بالمنايا إذا الاحرارُ لم يُسقَوْا ويَسقوا ؟
ولا يَبْني الممالكَ كالضحايا ولا يُدْني الحقوقَ ولا يُحِقُ
ففي القتلى لاجيالٍ حياة وفي الأَسْرَى فِدًى لهمُ وعتقُ
وللحريةِ الحمراء بابٌ بكلّ يدٍ مضرَّجةٍ يُدَق
جزاكمْ ذو الجلالِ بني دمَشقٍ وعزُّ الشرقِ أوّلهُ دمشق
نَصَرتمْ يومَ مِحْنَتِهِ أخاكم وكلُّ أخٍ بنصرِ أخيهِ حق
وما كان الدروزُ قَبيلَ شَرٍّ وإنْ أُخِذوا بما لم يَستَحِقُّوا
ولكن ذادةٌ وقُراةُ ضيفٍ كينبوعِ الصفا خَشُنُوا ورَقُّوا
لهم جَبَلٌ أشمُّ له شِعافٌ مواردُ في السحابِ الجونِ بُلْق
لكلّ لَبوءةٍ ولكلّ شِبلٍ نِضالٌ دونَ غابتِه ورَشْق
كأَنَّ من السموألِ فيه شيئاً فكلّ جِهاتِه شَرَفٌ وخُلْقُ

شوقي

﴿ الوطنية ﴾

الوطنية ، هي اعتداد الأمة بنفسها ، ورغبتها في الوصول الى أرفع درجات المجد ، ومحاولتها النهوض والرقي ، لامن الناحية الاخلاقية والعقلية فحسبُ ، بل من الناحية المادية أيضاً . وذلك لتبسط نفوذها وسلطانها على أجزاء من الارض

من مقالة في جريدة الطان
يناير ١٩٢٦ فلاديمير دورميسون

البربطية ـ الاسطوخوسية

ـ من أغلاط طبع نهاية الأرب للنُّوَيري ـ

وقع بيدي الجزء الرابع من نهاية الارب المطبوع حديثا في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة وتصفحته تصفُّحاً عجِلاً ، فوقع نظري على هذه العبارة الواردة في الصفحة ٢٣٣ من الجزء المذكور وهي قوله :

« ثم رحل (أي سعيد بن مِسجَح) الى الشأم ، فأخذ ألحان الروم ، والبَرْبطيّة ، والاسطوخوسية ، وانقلب الى فارس ، فأخذ غناء كثيراً ... » الى آخر ما ورد هناك

وقد علَّقَ متولي طبعه الحاشية الآتية على كلمة الاسطوخوسية ، ولم يُفدنا شيئا عن البَرْبطيّة ، التي ضبطها هذا الضبط أي بفتح الباءين ؛ فقال عن الاسطوخوسية :

(كذا بالاغاني ج ٣ ص ٨٤ وفي الاصل « الاسطرخوسية » . وعبارة الاغاني هي الصحيحة . والاسطوخوسية معناها الاجرام السماوية (؟) وقد ورد في الفصل الثاني من كتاب « زين الالحان في علم التأليف والاوزان » لمؤلفه محمد بن عبد الحميد اللاذقي : « ان المتأخرين نسبوا المقامات الى البروج والآوازات الى الكواكب السيارة السبعة ، والشعب الى العناصر لمشاهداتهم بين طبائع المنسوب اليه والمنسوب مناسبات معنوية حال رياضتهم ، وان كانت غير معلومة لنا . وأما ثمرة الانتساب فمعلومة لنا في علم جرّ القلوب وتسخيرها » أفادهُ حضرة الاستاذ نور الدين بك مصطفى .) انتهى

فأخذت أتأمّل في شرح معنى الاسطوخوسية فلم أقتنع به . فذهبت الى الاب انستاس ماري الكرملي وسألته أن يفتح لي هذا المغلق . فقال :

شرحُ الاستاذ نور الدين بك لا يفي بالمرام ، فضلا عن أنهُ لم يذكر لنا في أى لغة هي الاسطوخوسية بمعنى الاجرام السماوية (؟) انما ورد الاسْطَقْسات جمع الاسطقس للعناصر الأربعة وللاجرام السماوية ، والكلمة يونانية من Stoikheion لكن الاسطوخوسية كلمة اخرى. ثم ان سياق الكلام يفيد أن الاسطوخوسية قوم لا اجرام سماوية ، كما أن البربطية (؟) قوم آخرون ليُعطَف هذان الحرفان على الروم وهم قوم معروفون

والذي عندي أن البربطية [1] غير صحيحة بل هي مصحفة من البُزَنْطيّة أي بضم الباء الموحدة وفتح الزاى يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشددة وفي الآخر هاء ، نسبةً الى بُزَنْطَية وبعضهم يقول بوزَنطيا والاولى أحسن ، وبالفرنسية Byzance وهي مدينة القسطنطينية قبل أن تبنى ويراد بالبزنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير الى سقوط القسطنطينية بيد الترك . وبُزَنْطة اسم مؤسس المدينة في سابق العهد فَنُسِبَتْ اليه فقيل بُزَنْطِيَة

وأما الاسْطُوخوسيَّة فيُراد بهم قوم آخَرُون من اسطوخوس أو اسطوخادس وهي جزيرة في جنوبي فرنسة كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والانس ، كما هم عليه الى هذا العهد ، وكان سكانها خليطا من الروم واليونانيين والقُلْطيّين وبقايا الفلسطينيين . ودونك وصفها :

﴿ جزر اسطوخودس ﴾

هي ثلاث جزائر كبيرة واثنتان صغيرتان واقعة كلها على ساحل عمل الفار من

(١) صحفها النساخ المساخ بهذه الصورة لانهم قد ألفوا سماع لفظة البربط . فظنوا ان البربطية قوم منسوبون الى تلك الآلة . اما البزنطية فمادة بزنط غير معروفة في اللسان الضادي ، فلهذا لم تخطر في بالهم . والعوام كثيرا ماتصحف الالفاظ الغريبة وتقربها من الكلم المألوفة على الاسماع

فرنسة وهي راجعة الى كورة هُوَارة واليك أسماءها : بُرْكِرُول Porquérolles ، وبوركْرو Port Cros ، وليـل دولڤان l'ile du Levant ؛ والصغيرتان المحصَّنتانِ هما : روبو Roubaud وباكو Bagaud

فالاولى من هذه الجزائر طولها ٨ كيلو مترات في عرض ٢ وسكانها ٣٠٠ وفيهـا غابات الصنوبر والسنديان وكروم كثيرة واسعـة المدى . وثمّ مُستشفىً ومنارة وحِصنان ، يشرف أحدهما على صخور الماذيَّين

وطول بوركرو كيلو متران في نصف كيلو متر ، وسكانها لا يتجاوزون الخمسين ، ولها ميناء حسن يدفع حِصنها العادية عنها

وليل دولڤان ـ أو ـ تيتان Titan تكاد تكون بسعة بُرْكِرول ، لكن البلوغ اليها صعب ، وفيها منارة وتكاد تكون خاليـة من الانس الا أنها غريبة بما فيها من مدهشات المعدنيات

وكان فرنسواء الاول جعل هذه الجزُر مركيسية في سنة ١٥٣١ وسماها جزر الذهب ، وهو الاسم الذى سماها به الرومان لكثرة مافيها من البرتقال الذى كان يغزر فيها . وكان صاحب هذه المركيسية آل أُرْنُسان d'Ornesan فدفعوا منها جانباً الى آل روكندوف de Roquendoff الا أن المحافظة على هـذه الخرُص أُهْمِلَتْ فضبطتها الدولة ووضعت فيها مَسْلَحةً . وفي سنة ١٧٩٥ دمرها الانكليز في حين محاصرة طولون

واسمها اليوم عند الفرنسيين Iles d'Hyères أو جزائر هُوَارة . وسماها اليونانيون اسطوخودس لانه كان ينبت فيها نوع من الخزامى يُعْرَفُ بهذا الاسم عند اليونانيين ويسميه العرب الضِرْم وهو غير الضرو . وقد تكلم ابن البيطار

عن الاسطوخودوس وسماه أيضا مُوقِفَ الارواح [1] وقال عنه انه « ينبت في الجزائر التي ببلاد غلاطيا (أي بلاد غالية أو فرنسة) والبلاد التي يقال لها مَصَّاليا (أي مرسيلية) واسم تلك الجزائر ستخادس (وفي النسخة المطبوعة في مصر « سنجادس » وهي طبعة من أشنع ماطبع على وجه الارض ، اذ غلطها أكثر من صحيحها وقد صحفت فيها الالفاظ تصحيفا مشوَّها لايمكن أن يهتدى الى صحاحها الا بعد العناء العظيم) سُمِّيَ هذا العَقّار باسم الواحدة من هذهِ الجزائر

وقد نقل هذا الكتاب أحد الاطباء الفرنسيين ، وهو الدكتور لكلير Leclere ، لكنهُ لم يهتدِ الى اسم هذه الجزائر . فسبحان الهادي الى الصواب

وفي ترجمة ابن البيطار لكلمة اسطوخودس وَهم آخر ، وهو قولهُ « موقف الارواح » فظنَّ أن الكلمة مشتقة من فعل Steinô والحال مشتقة أنها من فعل Steikhô ومعناها اصطفَّ . فيكون معنى اسم العُقّار اليوناني « المصطف الازهار» لان أزهاره متراكبة متراصَّة مصطفة

بهذا الشرح ينجلي قول صاحب كتاب نهاية الارب ، ولا يحتاج الى تعسف في التأويل ، وحمل النفس الحمل الثقيل اه كلام الاب

* * *

ولما كان هذا التأويل يفيد قراء الكتاب المذكور ، جئت به الى مجلة الزهراء لتكون أحسن رسول لاصلاح الخطأ

بغداد فهر الجابري

(١) صحف العراقيون المصريون كلة اسطوخودس تصحيف سماع : لانهم استغربوا كلة تلفظ في العربية ولاتعني شيئا ولهذا سموه « اسطا قدوس» كأنهم تصوروا ان مستنبته رجل كان اسمه « قدوس » ثم لقبوه بالاستاذ وهم يسمونه اسطا او اسطه او استا او استه وكلها مخففة عن الاستاذ . فصار الكل معروفا باسم « اسطا قدوس »

الشرق الناهض

— بمناسبة جهاد الامم الشرقية في آسية وافريقية —

« للشاعر الكبير السيد محمد رضا الشبيبي وزير المعارف العراقية السابق »

نفدَ الصبرُ ، فهبَّتْ فزَعا وأبى السيفُ لها أن تضرعا

بعث اللهُ لها راقدةً من عصور ما أقضَّ المضجعا

ودعا للذَّود عن أحسابها شرفُ العِرق ، فلبَّتْ إذ دعا

أمةٌ خرساءُ كم واشٍ وَشى بنواديها ، وكم ساعٍ سعى

أزمعتْ أن لا يراها جَمِلاً غاصبٌ صال عليها سَبُعا

واتَّقتْ حيناً ، فلما عقلتْ نبذتْ ذاك التقى والورعا

أشرعتْ عاملها ، فاتهموا حدَّه المأثورَ حتى قطعا

وادَّعاها ـ فنفتْ حجتَه ـ داحضُ الحجةِ سَمْجُ المدَّعى

جمحَ الشرقُ على رائضه بعد ما استنَّ ذلولا طيِّعا

في جهات الارض خرقٌ، كلما رفأَ الساسةُ منه اتَّسعا

جاذبتنا بردةَ الملكِ يدٌ ملأتْها من فساد رُقَعا

كلما قام إمام جائر قادنا الضعفُ اليه تبعا

شتَّتَ الشملَ جميعاً نفرٌ غبروا ، لا يشهدون الجُمَعا

لا يبالون اذا ما قُلِّدوا : ضرَّهم ما فعلوا أم نفعا

واذا ما بحثوا مشكلةً لم نجدهم شِيعةً بل شِيَعا

صلةَ الشرقيّ بالماضي اسلمي لا تعودي سَنَدًا مُنقطِعا

***

جاهدي يا أمَّ الشرق الأُلى قتلونا ، جاهديهم أجمعا
جدّدي عهدَ عليٍّ غازيا وأعيدي مالكا والنّخَعا
واذكري ما فعل الغرب بمن هذّبوه ، واصنعي ما صنعا
وثبَ الريفُ من الغرب بهم فأثار الشرقَ والغربَ معا
وتعالى في العراقين صدًى من بني الأطرش حتى أسمعا
جمع العلجُ لهم ، فانبعثت هجماتٌ فرّقتْ ما جمعا
أتنوخٌ هذه ؟ أم أنجبت مرةً أخرى تنوخٌ تُبَّعا
ذهبت أيامهم فاسترجعوا ما أضاعوا ، رُبَّ ماضٍ رَجعا
حضرٌ تفتخر المدنُ بنا او بداةٌ تتحرّى النُجَعا
نضّرَ اللهُ عهوداً بالحمى سالفاتٍ ، ورعاها ما رعى
وسَقَي مما يلي عاملةً ذلك المصطافَ والمُرْتَبعا
لا أغبَّ الغيثُ صيداءَ ولا أخلفَ النوءُ المرجّى جبَعا
بل حمصاً وتوخّى حلَبا ونحا بُصرَى وروّى أذرَعا
مدنٌ لو تُركت لاتصلت جزّأوها ـ ليسودوا ـ قطَعا
دفعوا الشامَ عن الحقّ الذي دمُها سال عليه دُفَعا
يا لها واقعةً في جِلّقٍ جلَّ في حسباننا أن تقعا

جَنّةُ الارض ، وما أوحشها جنة بالنار عادت بَلْقعا
منحَ اللذّاتِ منها بلدٌ عبقريٌّ وأفاد المُتَعا
ياله حيًّا لقاحاً لعبت فيه أيدى العابثينَ الخلعا

* * *

مالكم ان أحسن الشرقُ قِرًى أيها الضيفانُ زدتم جَشَعا
لا تقولوا طمع . داؤكُمُ جاوز الحدَّ فامسى طبعا
لا ربحتم من تجار عرضوا أنفس الاحرار منا سِلَعا

﴿ العدل في القوانين ﴾

ماذا يجدي أنَّ العدلَ في القوانين ، إذا لم يكن في القلوب ؛ واذا كانت القلوب مؤذية فهل يُجدي أنَّ العدل في القانون ؛ لا تقولوا : « نسنُّ شرائعَ عادلة ونعطي كلَّ واحد حقَّه » فلا رجل عادل . ولسنا نعلم ماينفع الناس : نحن نجهل على السواء ما هو حسن لهم وما هو سيّئ

لا تعطوا المسّاح الشرّير مقياساً وبركاراً ، لئلا يقسم بالمقاييس العادلة قِسَما غير عادلة ، ثم يقول : انظروا ، إني أحمل المقياسَ والقاعدةَ والبركار ، فأنا اذن مسّاح جيّد »

مادام البشر قُساةً بخلاء فهم يضعون القسوة والظلم في أرقى الشرائع وأعدلها ، وينهبون إخوانهم بألفاظ الحبّ والعطف . فعبثاً تكشفون لهم عن كلمة المحبة وشريعة الرفق

لا تعارضوا شريعة بشريعة ، ولا تنصبوا ألواح الرخام أو النحاس في وجه الانسان ، فان ما كتب على ألواح القانون مكتوب بأحرف من الدماء

أناتول فرانس

من كتاب آراء « أناتول فرانس »
للسيد عمر الفاخوري

مسيح آخر في الهند

شابٌّ تعلم في جامعة اكسفورد ، وتلقى دروساً من جامعة السوربون
يحبُّ مدينة باريس ومراقصها ، ولم يكن ينقطع عن مسارحها
يجيد لعب التنس ، ويميل الى سائر صنوف الألعاب الرياضية ، ويقلد وليّ
عهد ملك الانكليز في لبسه

ذلك هو الشابُّ الهنديّ (كرشنا مورتي) الذي ماكاد يعود منذ بضعة أشهر من باريس الى الهند حتى شرع أنصاره وحواريوه ـ وأكثرهم من الاوربيين ـ باعلان الدعوة له ، وتوسيط صحف العالم في تعريف العالم به . ولعلّ الوثنيين في (مدراس) كانوا يحسدون مواطنيهم مسلمي (قاديان) على سخافات ميرزا غلام أحمد التي كانت مما تفكه به الشرق والغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فأخرجوا لنا مسيحهم الجديد في هذا النصف الأول من القرن العشرين

ان الدين الذي تكونت أخيلته في دماغ (كرشنا مورتي) صادر من نفس الينبوع الذي يضيع البابيون والقاديانيون أوقاتهم في تصور أوهامه وتصويرها للناس ، لان ذلك كله يرجع الى صوفية الحلول والاتحاد ، واعتقاد أن الالوهية تحلّ في بعض الخلق أو جميعهم بمقادير متفاوتة ، وان النبوّة لم تنقطع بعد . ذلك هو العامل الذي دفع الباب والبهاء وغلام أحمد وكرشنامورتي الى أن يشغلوا هذا الشرق المسكين بخيالاتهم وأوهامهم ، كامين ما وراء هذه الخيالات والاوهام من أغراض سياسية ومقاصد شخصية ، وذلك مما لا يخفى على من عرف أطوار مذهب البابيين عند تأسسه في فارس ، والميل السياسي الذي يميل اليه القاديانيون منذ نشأتهم الى الآن ، وان في تشجيع الاوربيين لهذا

الشابّ الغرّ - كرشنا مورتي - على تمثيل مهزلته هـذه لدليلا على أن وراء بدعة المسيح الجديد دسيسة يستعين بها الغرب القوي على هذا الشرق المسكين

وفي مقدمة الدعاة الى المسيح الهنـدي امرأة فرنسوية وهي الدكتورة آنّي بزانت ، وأسقف أو متر الي اسمه تشارلس لدبيتر ، وكلاهما من حوارييه الاثنى عشر الذين اختار منهم حتى الآن سبعة سيكونون معه فى رحلة يقوم بهـا عما قريب لاعلان تصوراته التى سيتفكه بهـا الناس وتتغنّى الصحف الامريكية والاوربية فى تحريفها وزخرفتها

ويلوح لنا مما قرأناه عن (كرشنا مورتى) أن صلة حواريّيه به ليست صلة تابع بمتبوع من كل جهة ، بل قد تكون في بعض الاحيان صلة ارشاد وتدريب من الحواريين لنبيّهم ، حتى انهم ما برحوا يصرّون عليه بأن يترك الرقص لانهم لا يرونه لائقاً بصاحب الدعوة الجديدة الذى ذكروا من أطواره انه شديد الميل الى الدعابة والمزاح

وتقول آنّى بزانت في حفلة أقامها صوفيو هذا الزمان : ان السيد المسيح قد جاء في جسم هذا الشاب الهندى ليخاطب الناس ويفضي اليهم بارادته ، وسوف لايمضي زمن طويل حتى يبوح المخلّص المنتظر بكل مايريد أن يقوله بلسان كرشنا مورتى الذى اختاره المسيح للظهور في جسده واتّخاذه واسطة لنشر وحيه وموضحاً لسرّ هدايته . . .

ويرى أتباع هـذا الشاب الهندى من الاوربيين أن المسيح الجديد مثال (الروح الـكاملة) وقد حصل على ذلك بالرياضة البشرية بعد طول الاختبار والاختيار

ومع أنه سيبرىء المرضى فانذلك ليس هو المظهر الاعظم لإعجازه ، وانما

مظهرُ ذلك معالجته الاضطرابات الروحيــة ، أما معالجة آلام الناس المادية في أبدانهم فهي عنــده في الدرجة الثانية

ويزعمون أن كرشنا مورتي كان مُنتظراً ظهوره بعد بضع سنين أخرى ، ولــكن هذا المخلّص إنمــا عجّل أيام ظهوره ليحول دون نشوب حرب جديدة يتوقع نشوبها

وقد أنشأ أصحاب هذا الشاب معبداً لدينهم الجديد في مدينة مدراس من بلاد الهند سمّوه (هيكل الشمس) وعقدوا فيه الآن مؤتمراً عظيما اشتركت فيــه جماعات كثيرة من جميع امم اوربا وأمريكا ، ويقدّرون عدد الذين حضروا المؤتمر بعشرين ألفاً ، وفيهم أبناء الولايات المتحدة الامريكية وزيلندة الجديدة واوستراليا وانــكلترا وفرنسا وهولندا وغيرها واليابان ، بل ومن الحكومات البلقانية . ولله في خلقه شئون . . .

انتشار شعر المتنبي
في حياته

قال رئيس الشام كمال الدين بن العديم العقيلي في تذكرته الشهيرة :

قرأتُ بخط أبي الفتح عثمان بن جِنّي : حدّثني المتنبي قال حدّثني بمصر فلانٌ الهاشمِي من أهل حَرّان قال أحدثك بطريفة ، كتبتُ إلى امرأتي وهي بحرّان كتاباً تمثلت فيه ببيتك :

بِمَ التعللُ لا أهلٌ ولا وطنُ ... ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ

فأجابتني عن الكتاب فقالت : ما أنتَ واللهِ كما ذكرتَه في هذا البيت ، بل ما أنت إلا كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهرتُ بعد رحيلي وحشةً لــكم ... ثم استمرَّ مريري وارعوَى الوَسَنُ

احدى فضائل القاضي الفاضل

نقل كمال الدين ابن العديم العقيلي في تذكرته النفيسة رسالة كتبها القاضي الفاضل الى أخيه عبد الكريم يؤنبه فيها على ايذائه الامير علم الدين ابن النحاس ، وهذه صورتها وهي نموذج الانشاء البليغ والادب العالي :

« سبب إصدار هذه المكاتبة الى الأخ أصلحه الله ، إعلامه ماصحَّ عندي من الأحوال التي أخفاها والله مُبديها في حق الامير علم الدين ، وبالله أُقسمُ لئن لم تُداوِ ما جرحت ، وتستدركْ ما فعلت ، وتمحُ ما أثبتَّ ، وتستأنفْ ضدَّ القبيح الذي كتبتَ به وشافهت ، وتعتذرْ بالجميل فيما قاطعتَ اللهَ به وبارزت ؛ ليكوننَّ الحديثُ مني بغير الكتاب ، ولأُزيلنَّ السببَ الذي قدرتَ به على مضرَّة الأصحاب * وما أشدَّ معرفتي بأن الطباع لا تتغيَّر ، وبأنك ستُحوجني بعدَ هـذا الكتاب إلى مالا يتأخَّر * وبالجملة فاستدركْ بفعلك لا بأيْمانك لي وتنصلك إليَّ

فالدَّمُ في النَّصْلِ شاهدٌ عجَبُ

وويلٌ لمن كانت غنيمتَه من الأيام عَقدُ القلوب على البغضاء ، وإطلاق الالسنة بالمذامّ . ولو لا أنني شريكك في كل ما تستوجبه من الناس ، لألقيتُ حبلك على غاربك ، وتركتك وما اخترتَ لنفسك ، ولكن

كيف بمن يُرْمى وليس برام

ولكن سكوتَ الناس عن قبيحك مقابلةٌ لجميـل كثير مني ، فاذا أنت لا تنفق إلا من كيسي * فأشفق على نفسك ان كنتَ تنظر في غدٍ ، وعلى بيتك إن كنتَ تنظر في أمسٍ ، وعلى مكانكَ مني إن كنت لا تنظر إلا في اليوم . ولا تجاوبني الا بلسان الرجل شاكراً لك ، فانه وان كان ـ واللهِ ـ ماذمَّك فقد ذممتك به عنه ، وما أظنُّ أنك تذكر أنني كتبتُ إليك كتاباً ولا كنت أوثره ،

ولو لاحافزُ غيظٍ ما كتبته . ولولا علمي أنّ الكثير مما قيل عنك في أمر الرجل هو القليل مما فعلتَه لأضربتُ عن هـذا كما أضربتُ عن غيره * وستعرفك الأيام ما كنت تجهل ، والله يأخذ بناصيتك الى رضاه ، ويُغمد سيفَ حيلتك عن مقتلك . والسلام »

*
* *

والذي حمل رقعة القاضي الفاضل الى أخيه هو القاضي بهاء الدين محمد بن الحسن بن ابراهيم ابن سعيد بن الخشاب



اسعاف النشاشيبي

أبيات شكر وتقدير بعث بها الشاعر الى أديب فلسطين الكبير الاستاذ السيد اسعاف النشاشيبي لمناسبة اهدائه لسخة من كتابه (كلمة في اللغة العربية) الذي تضمن خطبته النفيسة في نادي (جمعية الرابطة الشرقية) في موضوع وحدة اللغة العربية وصيانتها ونهضتها

(إسعافُ)أهديتَ الجميل لعارف ... قدرَ الجمالِ ووحيَ كلِّ جميلِ

يختالُ في حلل التأنُّق مثلما ... يختالُ في حُلل من التدليلِ

أسعفتَ بالأدب السخيِّ مشاعراً ... تاقتْ لديكَ الى أحبِّ دليل

ورأتْ منارك كوكباً متلألئاً ... يدعو الى التوحيد غير ضئيل

ويلقّنُ الجيلَ المفرِّطَ حقَّه ... ليعيشَ في التاريخ أكرمَ جيل

ما كانتِ الابعادُ حجةَ عالمٍ ... فضلَ التضامنِ أو وفاءَ نبيل

إنّا بعصر لا مفرَّ لعيشنا ... من نبذِ أوهام وطرح خمولِ

وصيانة اللغة التي في تاجها ... عزٌّ لنهضتنا وقهرُ دخيل

ربطتْ شعوبا بالحياة وأشرقتْ ... للدين والدنيا بكلِّ جليل

أحمد زكي أبو شادي

عَلم العروبة

مجدُ العروبة أقفرت عرصاته والضيم حل به ، فأين أباته ؟
جرحٌ بسيف البغي ألّم وقعه كبدَ الحياة ، فأين عنه أساته
لهفى على العربي - كيف تغيّرت أخلاقه ، فعدت عليه عُداته!
واذا الهوان دهى الحياة فوت من أنف المقام على الهوان حياته
هل يبلغ الوطنُ المفدّى حقه والى بنيه من البنين شكاته
أيُشاد معهد عزه وزمامُه بيد العدو ، وهادموه بُناته ؟
لم يجن من زُهر الكواكب صارم لم تختضب بدم النفوس شباته
لا يستقل الشعب إلاّ ناهضاً تردى بهام الدارعين ظُباته

***

وفيالق حشد العدو خميسها في مأزق غصت به لهواته
طلعت عليه كتيبة عربية فجرت على أسيافها مهجاته
ضحك الحسام ولست أعذر جفنه أن لا يسيل ومن دم عبراته
لا تزدر الليث الحبيس فربما عادت - وقد شهد الوغى - وثباته
ومشى اليك ببأس قرم ثائر ونت الخطوب وما ونت عزماته
بيَدَيْ صلاح الدين جرد سيفه ورسا به تحت السيوف ثباته
ثغر الشآم وكيف يولج غابه ومن الوشيج السمهري نباته
إن تدنُ منه تجد هنالك مربضاً طُبعت على الباس الحديد كماته
ثغر تدين له الملوك وشدّما غصت بهام النا كثين لهاته
عَلَم العرَوبة لا تحلّ بنوده الأسد - أسد الغوطتين - حماتُه
علمٌ أظل من الفخار سنامه وعلى النّدى خفّاقة عذباته

***

أترى الشآمَ ـ كما عهدتُ نضيرة والمـاء فيها عذبة رشفاته
والربع مخضرُّ الجناب فكلما عبث النسيم به ذكت نفحاته
أ كما عهدتُكِ يا ديارَ أحبتي والروض فيك عليلةٌ نسماته
ليست ليعربَ فتيةٌ لم تحيه في موقف عجَّتْ به فتياته
برزت فغيرُ الدوح لم تر مفزعا تحنو على أطفالها أثلاته
أتبيت نهب العاديات خدورها ويضمها الوادي ومنعطفاته
لا أعذر الصخر الاصمَّ وقد وعى تنحابها أن لا تلينَ صَـفاته
يشقى النهار بها ويسعد بعده ليلٌ مُجِنٌّ وجوهَها ظـلماته
أحبب إليَّ بليلِـكنَّ فانه مسك وحبات القـلوب فتاته
حبَّبتَ يا ليلُ السواد لناظرى حتى كأنَّ البدر فيك قذاته

***

أأبيتُ ليلي والحمام مساجلي ! والدوح عا كفةٌ عليَّ بناته
اللحنُ لحنكَ ياحمام : فغنني لا لحنُ إسـحاقَ ، ولا نغماته
يبكي الحمام ، ولست أنكر دمعه ان المحبَّ سخيةٌ عبراته
أفأنت مثلي ياحمـام مشرده كثرت الى أوطانه نزَعاته
أَلِف النياح الى الصباح فكلَّما رقَّ النسيم تضاعفت حسراته

***

الشعر سرٌّ في الفؤاد فان طغى فيه الغرام تصاعدت زفراته
أخفيته ، وجنت عليه يد الهوى فطغى عليَّ ـ وهذه نفثاته
لا أقرض الشعر الركيك وانما ترفضُ دراً من فمي كلماته
قلَّدتُ جيد الافق من مكنونه عقداً تفوق الدرَّ منظوماته
عثر الصباح بسلكه فتهالكت فوق الرياض ندية شذراته

« سوري »

معاجم الاعلام

وقعت مقالة (حول المعجم العربي)التي نشرناها في صدر الجزء الثالث موضع الرضى من أهل الفضل ، وكاتبني بعضهم بشأن معجم الاعلام . فمن ذلك رسالة جاءتني من العلامة الراجكوتي الاستاذ بجامعة عليكرة يخبرني فيها بأن صديقه الشيخ محمود الحسن التونكي المقيم الآن بحيدر آباد عُني منذ صباه بجمع معجم للاعلام الاسلامية والعربية وقد شاخ وهرم وهو منكبٌ على هذا العمل فبلغ ما كتبه اثنى عشر مجلداً ، ورحل في سبيل ذلك الى المدينة المنورة وبيروت والقاهرة وكثير من مدائن الهند ، وهو يروم طبعه بمدينة بيروت ، وقد جمع هذه المادة وهو فذٌّ فقير ، واذا لم يستجمع عمله كلَّ الشروط التي أشارت اليها الزهراء فان له معاذير كثيرة ، جزاه الله خيراً

وقد علم القراء مما نشرناه في الجزء الماضي (ص ٣٢٩) ان الاستاذ الشاعر الكبير السيد خير الدين الزركلي باشر طبع كتابه (الاعلام) على ما وصفناه

وكتب لي الرصيف الفاضل الاستاذ رفائيل افندى بُطّي رئيس تحرير مجلة (الحرية) البغدادية ومؤلف كتاب الادب العصري في العراق المطبوع بمطبعتنا السلفية يقول : تلقيت بارتياح الزفرة التي زفر بها صدرك . . في مقالك . . « حول المعجم العربي » فشاركتك في الاسى على حالتنا المحزنة من فقر أمتنا الناهضة فيما لاغنى لامة عنه ، ورأيت أن أنبئك بعقدي العزيمة على افراغ الجهد بتأليف (معجم التراجم العربية) الذي أشتغل منذ حين بجمع مواده متبعاً خطة تجعله أوسع معجم في هذا الباب لتراجم الرجال والنساء من العرب في العلم والادب والفن والصناعة والسياسة والحرب وغيرها من يوم وجد العرب الى اليوم ، بحيث يحقق الامنية المنشودة حتى لايكاد يخلو منه ذكر رجل يرد

اسمه في كتبنا العربية ، مسنداً كل رواية الى راويها بنصها والاشارة الى اختلاف الروايات والتنبيه في آخر الترجمة الى الكتب التي توسعت في ذكر المترجم له في اللغات الشرقية والغربية

اذن فيمكننا ان نغتبط بنهضة مباركة تقوم في مختلف الاقطار لسدّ هذه الثلمة من جهة معاجم الاعلام . ونحن هنا في دار المطبعة السلفية ومكتبتها شرعنا منذ حين باستقصاء الاعلام في العرب والاسلام لهذا الغرض ، وما كتبتُ تلك الجملة الا وأنا متأثر بهذه الحاجة ومقدّر لاهميتها . والذي نشكوه في خلال عملنا هو أن ماطبع حتى الآن من كتب التراجم والطبقات وما اليها لايزال قليلا جداً والمخطوطات الموجودة في دور الكتب المصرية لانظنها تساعد على اخراج للمعجم المطلوب كاملا ، ولكن هذا العمل يحتاج الى وقت طويل ربما تصير القاهرة في خلاله أغنى مما هي الآن بهذه المادة من العلم ، وان تعدد المشتغلين بهذا الموضوع من وسائل تجويده

انتقاد المغنى (١)

أهدى اليّ الشاب الأديب الفاضل السيد حسام الدين القدسي كتاب (انتقاد المغنى) الذى اقتطفه من كتاب (التنكيت والافادة في تخريج أحاديث خاتمة سفر السعادة) للناقد البصير ابن همّات الدمشقى ، وغيره من كتب الحديث ، وانتقد به كتاب (المغنى عن الحفظ والكتاب فيما لم يصح فيه شيء من الأحاديث) الذى ألفه الحافظ المحدث أبو حفص عمر بن بدر الموصلي ، ونشرته جمعية نشر الكتب العربية مصححاً بقلم العلامة الجليل الاستاذ الشيخ محمد الخضر التونسي ، مزيناً بمقدمته الجليلة ، موشى بتعليقاته النفيسة

أن من يعرف الناشر الأديب يسر بها ونثق اليه ، ويرجو خيراً كثيراً

(١) انظر في الزهراء (٣ : ٦٩ - ٧٠) كلمتنا في هذا الكتاب

للدين والعلم على أيدي الناشئين من أمثاله ، فقد اقتطف هذه الرسالة النفيسة وهو طالب في معهد الحقوق ، دءوب على المطالعة في المكتبة الظاهرية العامة ومراجعة الشيوخ ، ممتاز على كثير من أترابه بتربيته الاسلامية ، وجمعه بين العلوم الدينية والعصرية ، وعنايته بكتب السنة الشريفة . ومن شواهد غيرته واخلاصه قوله في ختام الرسالة : « هذا ما وفقت لجمعه الآن استنهاضا لهمم العلماء من أهل الحديث ، فقد مضى العام والعامان على نشر (المغنى) ولم نر من تعقب أبوابه وبين ان لاغنية عن الحفظ والكتاب ، والله أسأل ان يجعل مايتلوه من آثار المحدّثين أغزر مادة وأكبر نفعاً »

ومن محاسن (انتقاد المغني) تعقبه لما أورده ابن بدر الموصلي (ص ٢١) فى (باب في التسمية بمحمد أو أحمد) قال ابن بدر : قال أبو حاتم الرازي قد ورد في هذا الباب أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيها مايصح . قال الناشر : ان كان عنوان الباب كذلك فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أنس ، وفيهما عن جابر « تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتي » الخ فهذا الحديث الذي ورد فى الصحيحين من عدة طرق حجة على ابن بدر

وأما قول استاذنا (الخضر) فيما كتبه فى تعليقه على هذا الباب : مما أيد به المحدّثون بطلان احاديث هذا الباب ، انها تناقض ماهو معلوم من الدين من أن النار لايجار منها بالاسماء والالقاب ، انما النجاة منها بالايمان والاعمال الصالحة اه . فهو مما لاشك فيه ولكنه غير وارد هنا لان الباب معقود في التسمية بمحمد أو أحمد فحسب ، وقد صح فيها ماذكر ، وليس فى الحديث تصريح بالنجاة من النار بمجرد التسمية بكذا ، فيبطله ماهو معلوم من الدين من أن النجاة منها بالايمان الصادق والعمل الصالح

أما مالاحظناه على أخينا السيد حسام فأمور : (منها) إسرافه في الحكم على

المغنى ، فان معظم ما أورده ابن بدر من الاحاديث ضعيف وموضوع كحديث « كل قرض جر منفعة فهو ربا » وهو مما وافقه المنتقد على وضعه

(ومنها) عدم تنويهه بل ولا اشارته لمقدمة استاذنا العلامة الخضر التونسي على (المغني) وتعليقاته النفيسة التى سبقه فيها الى انتقاد المغني وبيان ما كان أورده المؤلف من قبيل الموضوع ، وهو بحسب علم الدراية من نوع الصحيح أو الحسن أو الضعيف ، وهو ينافي قول الاديب حسام الدين في خاتمة كتابه « ولم نر من تعقب أبوابه » ،على انه قال (في ص ١١) وقد لخص المغنى الحافظ سراج الدين بن الملقن في جزء وتعقبه بابا بابا ، وأقره فى بعض الابواب. اه

(ومنها) الفاظ بدرت منه فى المقدمة بما لامحل له من القول ، وهو يعتذر بحماسة الشباب ، وشطط القلم ، وبغيرته على السنة ، وحداثته فى دور التأليف

(ومنها) تعقبه (للمغنى) عند قوله : باب النهي عن الصلاة على الجنازة فى المسجد ، لايصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء فى هذا الباب ، و نقله عن (التنكيت) ما أخرجه أبو داود وابن ماجه مرفوعا « من صلى على ميت فى المسجد فليس له شيء » واغفاله لما روى الامام مسلم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ـ لما توفي سعد بن أبي وقاص ـ : ادخلوا به المسجد حتى أصلي عليه. فأنكروا ذلك عليها ، فقالت : لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنى بيضاء في المسجد سهيل وأخيه اه . ومثل هذا الحديث يفسح المجال للصلاة على الجنائز في المساجد ، وقد اعتاد الناس ذلك وليس لهم مصلى خارج البلد يتيسر لهم الوصول اليه والصلاة فيه

ومسك الختام الدعاء للناشر بمزيد التوفيق والسداد

دمشق — محمد بهجة البيطار

حركة النشر والتأليف

﴿ شرح مفردات الامام احمد ـ ومختصر المقنع ﴾

المطبعة السلفية * نحو ٥٠٠ صفحة بقطع الزهراء

للشيخ محمد بن علي العمري المقدسي (٧٦٤ ـ ٨٢٠) ألفية سماها (النظم المفيد الاحمد ، في مفردات الامام أحمد) تضمنت الاقوال التى انفرد بها مذهب الامام أحمد بن حنبل عن سائر المذاهب ، وقد شرحها الشيخ منصور بن يونس البهوتي المصري (١٠٠٠ ـ ١٠٥١) بكتاب سماه (منح الشفاء الشافيات في شرح المفردات) وهو مرتب على أبواب الفقه ويقع في ٣٥٦ صفحة . طبعه في مطبعتنا السلفية المحسن الكريم الشيخ عبد الرحمن بن حسن القصيبي وجعله وقفاً لله تعالى . وضمّ اليه المختصر الذى عمله الشيخ شرف الدين أبو النجا الحجاوي (المتوفى سنة ٩٦٠) لكتاب المقنع فى فقه الامام أحمد تأليف شيخ الاسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسى (٥٤١ ـ ٦٢٠) وقد جاء هذا المختصر في ١٣٩ صفحة . جزى الله الواقف خيرا وأدام توفيقه الى نشر العلم

﴿ آراء أناتول فرانس ﴾

ادارة مجلة منيرفا ببيروت * ١٤٣ ص بقطع الجاير : ثمنها ٥ قروش

لأناتول فرانس ـ الأديب الفرنسوي الكبير ـ آراء في الحياة والمجتمع والنفس البشرية اعتاد أن يبثها فى سطور كتبه الكثيرة . وقد يذكرها على لسان بعض أشخاص رواياته . وفى هذه الآراء ما يعدُّ شاذًّا ، وقد يكون من نتائج الدعاية اليه تنغيصُ العيش على معتقديه ، ومنها ما يترقرق ماء الحكمة في خلال كلماته ويمثل الحقائق للناس بأسلوب من البلاغة بديع . وأمامنا الآن كتيب

جمع مختارا من آراء هذا الاديب الحكيم مترجماً بقلم الأستاذ السيد عمر فاخوري من أفاضل شباب بيروت توخى فيه الدقة في الترجمة ، وفي أوله مرثاة لأناتول فرانس بقلم المترجم وقبلها مقدمة بقلم الاستاذ السيد أمين الريحاني . وقد رأينا أن نعرّف قراءنا بهذا الكتاب فاخترنا للجزء الآتي بعض ما يوافق مشرب الزهراء من فرائده وحِكَمه

﴿روح الاشتراكية لغوستاف لوبون﴾

المطبعة المصرية ، المكتبة السلفية * ٣١٨ صفحة : ثمنه ٢٥ قرشا

غوستاف لوبون من أئمة العلماء في الابحاث الاجتماعية وله فيها آراء ناضجة منبثة في العشرات من مؤلفاته التي أقبل كتّابنا على ترجمتها ، والناشرون على طبعها ، والقرّاء على الاستفادة منها . وآخر ما انتشر له بلغتنا كتاب (روح الاشتراكية) مترجماً بقلم الاستاذ السيد محمد عادل زعيتر مترجم كتاب (الثورة الفرنسوية وروح الثورات) للمؤلف نفسه وقد وصفناه في المجلد الاول من الزهراء (ص ١٢٣) . والدكتور لوبون ينظر الى المذاهب الاشتراكية نظرات نقدية بعين العقل ، واضعا أمامه قاعدة أن لامساواة في المجتمع مادام التفاوت موجوداً بين الناس في المواهب والهمم والنشاط والمقدرة على نفع البشرية . أما أن يفيد بعض بني الانسان هذه الانسانية بقسط عظيم ويعجز البعض الآخر عن أن يفيد نفسه فضلاً عن غيره ثم نقول « اشتراكية » فهذا يسمّى سرقة واغتصابا . نعم ان نظام الغرب الحاضر يحتاج الى كثير من التعديل ، وفي الانسانية أمراض ومواطن ضعف يجب على القادة معالجتها بانصاف ، وأن يسعوا لتأهيل جميع أفراد البشر الى أن يكونوا أعضاء نافعين في هذا المجتمع لانفسهم وللمجموع ، وهذا الاصلاح مما يقول به المؤلف وكل عاقل رحيم

وفي الكتاب كلام على مبادئ الاشتراكية ووجوهها ومنشأها وأسباب

انتشارها ونظرياتها وانصارها والكلام عليها من حيث هي معتقد وتطورها بشكل ديني . ثم عن الاشترا كية بحسب الامم : في ألمانيا وانكلترا وأمريكا وعند الأمم اللاتينية. وبحث فيما بين مقتضيات الاقتصاد ورغائب الاشترا كيين من التباين ، وبحث فى التصادم بين سنن التطور . وبحث فى تطور النظام الاجتماعي . وآخر ابحاثه الكلام على مصير الاشتراكية

فنشكر للاستاذ المترجم ولحضرة الزميل الفاضل الياس أفندى أنطون الياس عنايتهما بوضع هذا الكتاب بين أيدي قراءنا

﴿ تاريخ الامم الاسلامية ـ للخضري ﴾

مطبعة مصطفى محمد ، المكتبة السلفية * ٨٦٠ ص : ثمنه ٢٠ قرشاً

محاضرات العلامة الاستاذ الشيخ محمد الخضري بك التي القاها على طلبة الجامعة المصرية في تاريخ الامم الاسلامية من الكتب التي نالت الحظوة في العالم العربي المتعطش الى كتب عصرية جيدة في تاريخ العرب والاسلام. وهي في قسمين : الاول ينتهي بانتهاء الدولة الاموية في الشام وكان مجلس ادارة الجامعة المصرية طبع هذا القسم في أربعة أجزاء . والقسم الثاني في الدولة العباسية وقد طبع مرتين . ولما رأى الاستاذ المؤلف ان الحاجة ماسة الى اعادة طبع القسم الاول بعد ان أصبح نادر الوجود أذن بنشره مرة ثانية فجاء في مجلدين يتضمن الاول منهما لمعة من أحوال العرب قبل الاسلام في ٨٦ صفحة ، ثم السيرة النبوية في ١٤٠ صفحة ، وخلافة الصديق رضي الله عنه في نحو ٦٠ صفحة . ويحتوي الجزء الثاني خلافة الفاروق قدس الله روحه فى ٧٦ صفحة ، وخلافة ذى النورين رضي الله عنه في ٤٠ صفحة ، وخلافة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في نحو ٥٠ صفحة . وبعد ان تكلم على أيام الحسن بن علي رضي الله عنه عقد فصولا لمدنية الاسلام في عهد الراشدين فتكلم على الخلافة والقضاء وقيادة

الجيوش والخراج وجبايته والعشور والنقود والحج والصلاة والعلم والتعليم . ثم انتقل الى الدولة الاموية فأشبع الكلام عليها بطريقته المدرسية في نحو مائتي صفحة وبذلك تم القسم الاول الذي طبع حديثاً

﴿ مجموعة آثار رفيق بك العظم ﴾

مطبعة المنار ، المكتبة السلفية * ٢٥٠ ص بقطع الزهراء : ثمنه ١٠ قروش

كان للفقيد الكبير رفيق بك العظم رحمه الله مقالات وابحاث ورسائل كثيرة العدد لم تجمع فى كتاب ، وهي مبعثرة فى الصحف والمجلات ، أو لا تزال في شكل مسودات منثورة بين أوراقه كما أن له رسائل طبعت ونفدت نسخها . وقد اهتم شقيقه السريّ الكريم عثمان بك العظم بجمع ماوصلت اليه اليد من ذلك فنشر بعناية العلامة الأستاذ السيد رشيد رضا مجموعة بهذا العنوان في أولها رسالته (السوانح الفكرية ، في المباحث العلمية) وهي مما ألفه الفقيد وهو فى مقتبل العمر ، ثم قطعة من (تاريخ السياسة الاسلامية) وكان بدأ بتأليفه ثم اكتفى عنه بكتاب أشهر مشاهير الاسلام ، ثم (الجامعة العثمانية والعصبية التركية) وكان كتبها قبيل الحرب العظمى في موضوع التأليف بين الترك والعرب . وكل هذا مما لم يسبق نشره

وفي المجموعة أيضا خطبة في موضوع (التدوين في الاسلام) ، وخطبة في (أسباب سقوط الدولة الاموية) ، وخطبة في (قضاء الفرد وقضاء الجماعة فى الاسلام) وهذه الخطب الثلاث مما نشر في المجلات . ومن نفائس ما كتبه المرحوم رفيق بك رسالته (الجامعة الاسلامية وأوروبا) التي جُعلت خاتمة هذه المجموعة وكانت نشرت على حدة ونفدت نسخها . وهي من أهم ما كتبه قادة الحركة الفكرية الاسلامية في معناها . فنشكر لعثمان بك عنايته بنشر هذه المجموعة ، ونتمنى لو أمكن جمع بقية مقالات الفقيد وابحاثه المشتتة في الصحف ومختارات من رسائله الى أصدقائه في الموضوعات العامة فتجعل مجموعة ثانية

انباء اجتماعية

ايران ومصر

اقترحت جريدة (محشر) الفارسية التي تصدر في (طهران) على وزارة المعارف الايرانية الاستعانة على اصلاح مدارسها بالاساتذة المصريين. وان ترسل عدداً من الطلبة كل عام لاتمام دروسهم في مصر، وقالت: ولا يخفى أن اللغة العربية سهلة علينا، ويهمنا درسها لاسباب كثيرة لاتخفى على أحد

اختراع مصري

اخترع المهندس محمود مجدي افندي مزيتة لتزييت عجل مركبات السكة الحديدية بنفسها أثناء سير القطارات

الوطنية السورية في مصر

قال الاستاذ نسيم صيبعة في الليلة الخيرية لأعانة منكوبي سورية « اذا كانت قلوبنا نحن السوريين المستظلين بسماء مصر لاتتسع للوطنية الصحيحة والرحمة الانسانية، واذا كنا لانعطف على منكوبي بلادنا، فخير لمصر ان تنبذنا، إذ أي خير يرتجى من رجل لوطنه الثاني اذا كان لايبر بوطنه الاول»

زي دار العلوم

تعتبر دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي فرعين للجامعة الازهرية، وزيّ هذه الجامعة بجميع فروعها هو الزي العربي ـ الجبة والقفطان والعمامة ـ ولا يقبل فيه الزى الافرنجي

وكانت الجامعة المصرية احتاجت الى طلبة لدرس اللغات السامّية فلم تجد أكفأ من طلبة دار العلوم، ولما عزمت على قبول بعضهم في الدروس المذكورة شنّت إحدى صحفنا الغارة عليهم وقالت ان هؤلاء يحملون جراثيم الارتجاع (!) فيجب أن لا يُقبلوا فى جامعة اعدّت لحمل لواء التجدّد (!). فأثرت هذه الكلمة في نفوس ضعاف النفوس من طلبة دار العلوم، وكانوا يتخيلون أن زيهم العربى مانع لهم من تسنم ذرى المناصب العليا في المستقبل، لان الوزارات وما يقرب منها دانية قطوفها لاهل الزى الافرنجى ومحرّمة على أهل الزيّ العربي، فسارت فيهم دعاية الى لبس الطربوش والبنطلون، ورأت الجامعة الازهرية التي

هم تبع لها أنه لا يجوز التخليط في الزيّ في هذه الجامعة فمنعتهم من هذا التغيير

اذن فالمسألة نظامية لا دخل لها بالدين . وفي الامة فئة تنظر الى هذه المسألة من وجهة لا تجد من صحفنا اليومية سعة صدر لعرضها على قرائها ، ووجهة نظر تلك الفئة أن إقبال الناس على ملابس الافرنج إنما هو مظهر من مظاهر الضعف والاستكانة ، وهو فضلا عن خنقه بقية الحياة في صناعة الأقمشة الوطنية التى تصنع منها القفاطين يخنق بقيـة العزة التى فى نفس الشرقي تجاه الغربي ويدفع هـذا الضعيف الى أن يذوب فى ذلك القوي من هذه الناحية كما ذاب فيه من سائر النواحي . وما قطُّ رأيت روح القوميـة متجلياً في فتى كما رأيته أمس متجلياً في صديق لي وهو يقول « انني أشعر بمثل وخز المدية في قلبي كلما رأيت كلمات (بنك) و(بوسطة) و (تياترو) و (بوزباشي) و (باشكاتب) و (ثلاثه جي أورطة) وأمثالها مندسةً كالسم فى الكلام العربي ، وان الكلمة من هذه الكلمات الأجنبية لتتمثل لي كأنها الجندي البريطاني حاملاً بندقيته على كتفه في شوارع القاهرة أو الضابط الفرنسوى مستقلا سيارته في شوارع دمشق . ولولا أننا فى غفلة سلبتنا الشعور القومي الصحيح لكنا نشعر بالذل منسكباً على أجسامنا من رءوسنا الى أقدامنا لأننا نلبس (الطربوش) و (الجوكتة) و (الياقة) و (البومباغ) و (البنطلون) وسائر هذه الرزايا التي ابتلينا بها فى لغتنا وأموالنا وقوميتنا وانسلاخ العزة عن أخلاقنا » فوقفت أمام هذا الفتى واجماً أنظر حولي لئلا يراني الناس وأنا لابس الطربوش والبومباغ والبنطلون . . .

﴿ شاعرة هندية ﴾

في الهند شاعرة مجيدة بلغة الانكليز اسمها (ساروجيني نايدو) ولدت عام ١٨٧٩ م في حيدر آباد وتفوقت في درس اللغة السنسكريتية ثم ذهبت الى انكلترا وتعلمت في أكبر جامعاتها . وانتشرت لها بالانكليزية مجموعتان شعريتان بعنوان (طائر الزمان) و (الاعتاب الذهبية) . ويتجلى في شعرها الذوق الشرقي والأوصاف الشرقيـة ، وهي تأسف على اصطباغ التربية والمثل الهندية بالصبغة الغربية

﴿ مصوّر مصري ﴾

عُرضت في معرض التصوير الدولي في باريز صورة « مغيب الشمس وانعكاس أشعتها من الافق » من صنع أحمد صادق افندي الموظف بوزارة الاوقاف بالقاهرة فكانت موضع الاعجاب

وقد سبق لهذا المصور المصري النجاح فيما عرضه في معارض اوروبا وأمريكا من صوره المختلفة ، ومنها مجموعة صور الآثار المصرية القديمة

ونشرت له مجلة Amateur Photograph اللندنية بعدد مايو ١٩٢٥ صورة « الشمس غبَّ المطر » فنال عليها الوسام البرنزي في مسابقة Oversesa

وله في كتاب العلامة المرحوم علي بك بهجت عن (خرائب الفسطاط) صورة تدل على مقدرته

﴿ السلاح في الافغان ﴾

ألغت الحكومة الافغانية الرسوم الجمركية المضروبة على البنادق والمسدسات والخرطوش ، فصار في استطاعة جميع السكان ان يجلبوا الاسلحة الى البلاد دون أن يدفعوا ضريبة عليها

﴿ الشاه الفهلوي ﴾

بعد ان أعلن الايرانيون انقراض اسرة آل قاجار التركمانية احتفلوا في أول هذا الشهر بتتويج رضا شاه الفهلوي ملكا عليهم ، وقد أقسم الشاه في مجلس النواب بمحضر من أهل الحل والعقد اليمين على حفظ استقلال ايران وحقوق الامة ودستورها وعلى الشعائر الاسلامية وأن يحترم المذهب الاثنى عشري

﴿ النقود المصرية ﴾

بلغت قيمة المتداول في أيدي الناس من أوراق البنك الاهلي المصري في أواخر سنة ١٩٢٥ مبلغ ٣٣ مليونا و ٥١٤ الف جنيه ومن أوراق الحكومة المصرية ٥٦ الف جنيه ومن النقود الفضية ٦ ملايين و١٨٧ الف جنيه ، ومن النقود النيكل ٧٢٦ الف جنيه ، ومن النقود البرونز ٢٥ الف جنيه

﴿ طيارة مصرية ﴾

اخترع توفيق العوَّام افندي الطالب في جامعات برلين طيارة بجناح واحد ، وطلب من وزارة المواصلات مساعدته في انشائها . فأخذت تبحث هذا المشروع وستبدي رأيها فيه

﴿ السلطان ابن سعود ﴾

قال مستر مسل روبرتس في جريدة وستمنستر غازيت : « لقد شاء القدر أن يملأ السلطان عبد العزيز بن سعود فراغاً كبيراً في التاريخ العربي ، فأضحى السيد المطلق فى بلاد العرب ، ومُلكه مبسوط على مساحة تربو على مساحات انكلترا وفرنسا وألمانيا مجتمعة ، ولكن سكان ذلك الملك لا يزيدون الآن على مليونين . ومما هو جدير بالذكر ان هذا السلطان العربي يبسط سلطانه على بلاد لاصلة بينها وبين نصرانى أو اوربي ، وهو سليل أسرة عريقة في الزعامة ، وقد استطاع أن يتغلب على جميع خصومه حتى أضحى وحده سيد بلاد العرب ، وحكومتنا تعترف له بالاستقلال التام ، وسياسته هي « بلاد العرب للعرب » ولا يسمح ليهودى أو يونانى أو هندى أو أرمنى أن يمسّ ماليته أو تجارته . وهـذا الاستقلال الحازم يسير الى جانب الصداقة مع بريطانيا العظمى ، ولولا ذلك لوُجدنا فى مأزق حرج فى العراق . ذلك لاننا كنا نشمل الملك حسيناً وأبناءه بحمايتنا ولقد كدنا نتورط بسقوطهم ، لو لم نستطع أن نعتمد على حنكة سلطان نجد الذي أبدى كثيراً من الدهاء والكياسة في مفاوضاته مع السر جلبرت كلايتن بصفته ممثلاً للعراق وشرق الاردن . وابن السعود مهيب الجانب في العالم الاسلامي ، فهو رجل تجب مراقبته . وقد غنم ملكاً باذخاً بسيفه ، ويلوح فوق ذلك أنه يستطيع أن يحميه بأساليب السياسة »

﴿ تاريخ الادب العربي ﴾
« بجامعة القسطنطينية »

استقال اسماعيل صائب أفندي من تدريس تاريخ الادب العربي فى جامعة القسطنطينية وحل محله الاستاذ ريشر وهو مستشرق ألماني يعرف اللغتين العربية والتركية .

﴿ سبب نزول الفرنك ﴾

السبب الحقيقي لنزول الفرنك هو أن الذهب المخزون في مصرف فرنسا ليكون ضمانا للاوراق المالية الرسمية أقل من خُمس قيمة هذه الاوراق ، ولذلك نزلت قيمة الفرنك في الاسواق الخارجية الى نسبة مقدار الذهب الذي يظن أنه مرصود لضمانة الورق

مؤتمر الآثار في سورية

يعقد في ثغر بيروت مؤتمر للآثار يوم ٨ أبريل ، وسيشترك فيه متحف القسطنطينية والمدرسة الاثرية الفرنسوية في فلسطين ووزارة المعارف الفرنسوية وجمعية النقوش والخطوط الجميلة في فرنسا ومجمع الفنون الجميلة في باريس والمعهد الفرنسوي والمدارس العليا الفرنسوية والمتحف الفرنسوي

تجار غير شرفاء

تآمرت عصابة من التجار الاجانب في جيبوتي ومصر على استلاب المال من مصلحة البريد المصري : فكانوا يرسلون من مصر الى جيبوتي طروداً في داخلها أشياء تافهة ويحوّلون عليها بكميات من الفرنكات ، فاذا تلقت مصلحة البريد المصري علماً من مصلحة البريد في جيبوتي بأن الطرود المرسلة اليهم تسلموها ودفعوا المبلغ المحول به عليها ، تبادر هي هنا الى صرف القيمة للمرسلين على حساب الفرنك ذهبا ، بينما المرسلة اليهم في جيبوتي يدفعون القيمة فرنكات ورقا. ولما أرادت مصلحة البريد المصري استيفاء الزائد لها عند مصلحة البريد في جيبوتي عند المحاسبة أبت هذه ان تدفع المطلوب الا فرنكات ورقا . ونشأ عن ذلك اختلاف بين مصر وفرنسا انتهى بتحكيم الفرنسويين مدير بريد سويسري وتحكيم المصريين مدير بريد سويدي فحكما برفض طلبات الحكومة المصرية لانها لم تتخذ الاحتياطات الضرورية وبذلك ضاع على مصر ٥٢ الف جنيه

سكان أنقرة

كان عدد سكان مدينة أنقرة قبل الحرب العظمى ٦٠ الفاً ثم نزل بعد الهدنة بسنتين الى ٣٥ ألفاً بسبب نزوح الارمن والروم عنها والتهام الحرائق بعض أحيائها ثم زاد قبل ثلاث سنوات الى ٩٠ ألفاً ويظن أن عددهم الآن ١٥٠ ألفاً ، وهي بحالتها الحاضرة أعظم مدينة في الانضول

الشاي في تركيا

قال أحمد جودت بك صاحب جريدة (اقدام) التركية : لم يكن في القسطنطينية قبل نحو خمسين سنة غير شخص واحد يتاجر بالشاي ، ولا يزيد ما يشتريه أهلها على صندوق واحد في السنة أما الآن فلا يكاد يوجد فيها منزل لا يستعمل أهله الشاي



ج ٧ : م ٢ القاهرة رجب ١٣٤٤

الكرات العربية

الارضيّة والفلكيّة(١)

﴿ كرة الصوفيّ ﴾

هي كرة فلكيّة من الفضة عملها أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦ لعضد الدولة البويهيّ ثمّ ساقتها المقادير الى مصر فكانت من الطُرَف التي زيّن بها الفاطميون خزانة كتبهم بالقاهرة ورآها بها ابن السنبديّ سنة ٤٣٥ وكان من العلماء البارعين في صناعة الاصطرلاب وعمل الآلات الحسنة الوضع الصحيحة التخطيط . قال القفطيّ في تاريخ الحكماء « قال ابن السنبديّ كان الوزير أبو القاسم عليّ بن أحمد الجرجرائيّ (٢) تقدّم في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة قبل وفاته باعتبار خزانة الكتب بالقاهرة وأن يعمل لها فهرست ويرمّ ما أخلق من جلودها ، وأنفذ القاضي أبا عبد الله القضاعيّ وابن خلف الورّاق ليتوليا ذلك ، وحضر القصر وحضرت لاشاهد ما يتعلق بصناعتي ،

(١) ذكرنا منها ما توصلنا الى معرفته فنرجو ممن عرف شيئا عن غيرها أن يتكرم بنشره في الزهراء الغراء (٢) في النسخة المطبوعة بليبسك سنة ١٣٢٠ من تاريخ الحكماء (الجرجاني) وهو تحريف

فرأيت من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصّة ستة آلاف وخمسمائة جزء وكرة نحاساً من عمل بطليموس وعليها مكتوب: حُملت هذه الكرة من [1] الامير خالد بن يزيد بن معاوية . وتأمّلنا ما مضى من زمانها فكان ألفاً ومائتين وخمسين سنة . وكرة أخرى من فضة من عمل أبي الحسين الصوفيّ للملك عضد الدولة وزنها ثلاثة آلاف درهم وقد اشتريت بثلاثة آلاف دينار »

﴿ كرة الادريسيّ ﴾

هي كرة أرضيّة من الفضة عملها الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد الادريسيّ سليل الادارسة ملوك المغرب لرجار ملك صقليّة [2] ويقول الافرنج إنه رسم عليها جميع أنحاء الارض المعروفة اذ ذاك رسماً غائراً وكتب أسماءها بالعربيّة وإنها فقدت من زمن

وقد ذكر الصفديّ هذه الكرة في ترجمة رجار المذكور من الوافي بالوفيات فقال عنه « كان فيه محبّة لاهل العلوم الفلسفية ، وهو الذي استقدم الشريف الادريسيّ صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق [3] من العدوة اليه ليضع له شيئاً في شكل صورة العالم فلمّا وصل اليه أكرم نُزله وبالغ في تعظيمه فطلب منه شيئاً من المعادن ليصنع منه ما يريد فحمل اليه من الفضة الحجَر وزن أربعمائة ألف درهم فصنع فيها دوائر كهيئة الافلاك وركّب بعضاً على بعض ثمّ شكّلها له على الوضع المخصوص فأعجب بها رجار ودخل في ذلك ثلث الفضة

(١) لعله « الى »

(٢) هو رجار الثاني المتوفى سنة ٥٤٩ كما في الكامل لابن الاثير وذكر ابن ميسر في أخبار مصر أنه كان يحب مديح الشعراء ويجيزهم فذهب اليه جماعة منهم ابن قلاقس ومدحوه . واسمه عند الافرنج روجر (Roger) واشتهر عند العرب برجار قال الصفدي في الوافي بالوفيات « ويقال فيه اجار بهمزة بدل الراء وجيم مشددة وبعد الألف راء »

(٣) لم يطبع منه الا مختصره برومة سنة ١٥٩٢ م وقطع خاصة ببعض البلدان منها جزء فيه وصف الاندلس والمغرب ومصر والسودان طبع بليدن سنة ١٨٦٣ م وفي خزانتنا نسخة شمسية كاملة من الكتاب بصوراته

وأرجح بقليل وفضل له ما يقارب الثلثين فتركه له اجازة وأضاف لذلك مائة ألف درهم ومركبا موسقا كان قد جاء اليه من برشلونة بأنواع الاجلاب الرومية التي تجلب للملوك » . ثمّ ذكر الصفدي أن رجار سأله المقام عنده فأجابه الى ذلك فرتّب له كفاية لا تكون إلا للملوك وبلغ من إكرامه له أنه كان يجيء اليه راكبا بغلة فاذا صار عنده تنحى رجار عن مجلسه له فيأبى فيجلسان معا

وأشار الادريسي في مقدّمة نزهة المشتاق الى كرته هذه فقال عن رجار «فأمر عند ذلك أن يفرغ له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الجرم ضخمة الجسم في وزن أربعمائة رطل بالرومي في كل رطل منها مائة درهم واثنا عشر درهما ، فلمّا كملت أمر الفعلة أن ينقشوا عليها صور الاقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وسيفها وريفها وخلجانها وبحارها ومجاري مياهها ومواقع أنهارها وعامرها وغامرها وما بين كل بلدين منها وبين غيرها من الطرقات المطروقة والاميال المحدودة والمسافات المشهودة والمراسي المعروفة على نص ما يخرج اليهم ممثلا في لوح الترسيم » الى أن قال « وكان ذلك في العشر الاولى من ينير الموافق لشهر شوال الكائن في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فامتثل فيه الامر وارتسم الرسم وأول ما أبتديء به الكلام على صورة الارض » الخ

﴿ كرتان أندلسيّتان ﴾

إحداهما أرضيّة والاخرى فلكيّة محفوظتان بخزانة نابولي ولم نعرف اسم واضعهما رآهما العلاّمة محمد بيرم الخامس التونسي وذكرهما في رحلته صفوة الاعتبار فقال في وصف الخزانة « ويوجد بهذه الخزنة الكتبيّة كورتان محيط دائرة كل منهما نحو ثلاثة ميترو احداهما صورة الفلك والاخرى صورة الارض مرسوم بهما خريطات متقنة مكتوب عليهما بالخطّ العربي الثلثي الجميل قيل إنهما من مصانع علماء الاندلس »

﴿ كرة علم الدين قيصر ﴾

هي كرة فلكيّة عملها علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغنى الاسفوني المعروف بتعاسيف المولود بأسفون من صعيد مصر سنة ٥٦٤ (١) والمتوفى بدمشق سنة ٦٤٩ وكان مهندسا فاضلا بارعا فى العلوم الرياضية والحيل . قال الادفوي في الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد: إنه دخل حماة وأقام بها وأقبل عليه ملكها وأحسن اليه وولاه تدريس النوريّة فعمل له كرة عظيمة صور فيها الكواكب المرصودة وعمل له طاحونا على العاصي وبنى له أبراجا وتحيّل فيها بحيل هندسية

وفي تاريخ أبي الفداء أن ذهاب علم الدين الى حماة كان فى مدة جده الملك المظفر سلطانها وكان محبًّا لاهل الفضائل والعلوم فاستقدمه واستخدمه فعمل له أبراجا بحماة وطاحونا على نهر العاصي .الى أن قال « وعمل له كرة من خشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة . قال القاضي جمال الدين بن واصل: وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها » . وكانت وفاة الملك المظفر المذكور سنة ٦٤٢

﴿ كرات رضوان الفلكي ﴾

هو العلامة رضوان الفلكي كان من أفاضل مصر في العلوم الفلكية وكانت وفاته يوم السبت ٢٣ جمادى الاولى سنة ١١٢٢ . ذكره الجبرتي وذكر من تآليفه الزيج الرضوانى (٢) الذي حرره على طريق الدر اليتيم لابن المجدي على

(١) كذا في الطالع السعيد والذى فى تاريخ ابى الفداء ان مولده سنة ٥٧٤

(٢) في خزانتنا نسخة نفيسة من الزيج الرضوانى المذكور وهى بخط المؤلف خلا المقدمة فانها بخط تلميذه عثمان واسم هذا الزيج على ماجاء بالنسخة (الدر النظيم في صناعة التقويم) ويسمى ايضاً (الدر النضيد بالرصد الجديد)

اصول الرصد الجديد للسمرقندي وذكر منها أسنى المواهب والنتيجة الكبرى والصغرى وطراز الدرر في رؤية الأهلة والعمل بالقمر وغير ذلك قال « وكان في أيامه حسن افندي الروزنامجي وله رغبة ومحبة في الفن فالتمس منه بعض آلات وكرات فأحضر الصناع وسبك عدة كرات من النحاس الأصفر ونقش عليها الكواكب المرصودة وصورها ودوائر العروض والميول وكتب عليها أسماءها بالعربي ثم طلاها بالذهب وصرف عليها أموالاً كثيرة وذلك في سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة ومائة ألف »

وأعاد الجبرتي ذكر هذه الكرات في ترجمة الامير حسن افندي الروزنامجي فقال بعد أن ذكر ميله للعلوم والمعارف ولا سيما الرياضيات والفلكيات « وقرأ على رضوان افندي صاحب الازياج والمعارف وكان كثير العناية برضوان افندي المذكور ، ورسم باسمه عدة آلات وكرات من نحاس مطلية بالذهب ، وأحضر المتقنين من أرباب الصنائع فصنعوا له ما أراد بمباشرة وارشاد رضوان افندي وصرف على ذلك أموالا عظيمة وباقي أثر ذلك الى اليوم بمصر وغيرها ونقش عليها اسمه واسم رضوان أفندي وذلك سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وقبل ذلك وبعدها »

﴿ كرة فلكية مصرية ﴾

أطلعني صديقي الجليل صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكري على كتاب باللغة اللاتينية وقع اليه حديثا في وصف كرة فلكية عملت للملك الكامل الايوبى سلطان المملكة المصرية وفي آخره مصورات لهذه الكرة نقش عليها اسم صانعها واسم الملك الكامل ، فأترك الكلام عليها لسماحته

أحمد تيمور

الليلة الرهيبة

صورة الحزن

يا ساهرَ الليل ، ما للبرق يأتلقُ والمزن ترعدُ والأنواء تصطفقُ
هل بالطبيعة ما بي أم ألمَّ بها ما بالديار فثارت ـ كلُّها حنقُ
مُربدَّةً لم يَهِمْ في جوِّها قمرٌ ولا تنفَّسَ في أطرافها فَلَق
قَدَّتْ من الليل سربالاً يُجللها وحفَّ الذيول فلم يُسفر لها أفق
مرأىً يمثل هولَ الحزن مختبطاً بين الجوانح سُدَّت دونه الطرق
أبصرتُ بالعين ما استشعرت من كمدٍ في النفس لجَّ به التبريح والأرق

مصارعة الهموم

ويحَ الهموم فكم أرخت أعنتها شُعثاً تدفَّقُ أرسالا وتستبق
هوجاء تسمع منها كلما اقتربت صوتَ السلاسل فوق الصخر تنزلق
تَهوي اليَّ وأهوي مطبقين معاً حتَّى نُصرَّع ملتفَّين نعتنق
هاجت وهجتُ فكانت ثَمَّ ملحمة دارت وسال دمي يجري به العرق

الحقد والقوم

أصبحتُ منفرداً عن كلِّ ذي ثقة حتى انطويت على ضغن فما أثق
والغيظ يسكتُ عني ثم يهجم بي على القنوط ، فحظِّي عاثرٌ قلق
أنحتْ عليَّ خطوبٌ قام شاهدها في الأسود الجون دبَّ الأبيض اليَقَق
وكم عركتُ بجنبي زَلةً بدَرَتْ من الصديق فلم يجمحْ بيَ النزق
والقوم صنفان : إما فاتك شرسٌ وعْر الطباع ، وإما ختال لَبِق
واللين كالسيف إن تخدعْكَ مَلمسه فاسأل به الحتفَ يشهد حده الذلق

مناجاة الربيع

يا ربع أين ليالٍ فيك ناضرةٌ مرَّت ، وأين نعيم فيك متَّسق

فالدار موحشة صاح الفناء بها ... والروض صوّح منه النبت والورق
لم يبق منه ومنها بعد زهوهما ... إلا الهشيم، والا دمنة خلق
شط الانيس، فهل أرضاك مرتحلا ... بالطيف يطرق إلماما وينطلق
وهل أمدّك في بلواك منه صدى ... باقٍ يئن حسيراً ثم يختنق
فالخير من جنبات الشر مرتقب ... كالفجر من خلل الظلماء ينبثق
تبكي الطلول وتستبكي الغمام لها ... مهلاً، فتلك شئوني ماؤها غدق
كادت ترقّه مافي الصدر من غلل ... لو ساغ مصطبح منها ومغتبق
ألقتك في لهوات الحتف غائلة ... من تحتها طبق، من فوقها طبق
لم ترفع الرأس إلا تحت كلكلها ... والنار مسعرة والسيف ممتشق
قد كان عن قدر ماقيل عن خطل ... وكم تحيّف صفو الوارد الرنق
تعزى العيوب الى المنكوب مقحمة ... وزر الضعيف بقدر الضعف يختلق
والعاثرون، وان لم يجن عاثرهم ... قيل الجناة، وقيل الجهل والحمق

الامل الخائب

ماأنضر الامل الموعود لو صدقت ... فيه الظنون، ولكن صدقها ملق
إن الاماني كالازهار من كثب ... تزهو، ويأرج منها نشرها العبق
لكن اذا اعتورتها كف ملتمس ... جفت وأودى الشذى والمنظر الانق

الخطوب الجسام

كيف العزاء ومالي بالعزاء يد ... فالرزء مجتمع حولي ومفترق
إني شممت من الانفاس مصعدة ... في الحي رائحة الاكباد تحترق
وقد فنيت عن الدنيا ولذتها ... فلست اشعر إلا أنني رمق

فؤاد الخطيب

يهود الحجاز في العصر النبوي

تمهيد :

تقع مدينة (يثرب) وسط سهل منبت غزير المياه كثير الاشجار تحيط به (حرّة يثرب) المؤلفة من صخور بركانية سوداء ، وهي احدى الحرار التي ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال انهـا ٢٨ حرة أولها في جبال حوران وهي (اللجاء) وآخرها قرب باب المندب وكلها براكين منطفئة . ومن هذه الحرار حرة خيبر ، وحرة أخرى في جبل أحـد

وسهل يثرب الذي تحيط به هذه الحرة ومن ورائها البادية لفت منذ فجر التاريخ أنظار القبائل بوفرة مائه وتنوع نباته وخصب تربته ، فاتاه الناس وسكنوه وأخذوا يستفيدون من خيراته ومواهبه الطبيعية . وقد أتى يثربَ فيمن أتاها قبائلُ من العبرانيين فغلبوا على سكانها العرب وأزاحوا قسماً منهم ثم حلوا محلهم ، ويقول اليعقوبي في الصفحة ٤٩ من المجلد الثاني من تاريخه ان قبيلتين من يهود يثرب ــ وهما بنو النضير وبنو قريظة ــ لم ينتسب ابناؤهما الى الجنس العبراني بل هم من العرب من قبيلة جذام التي كانت تقطن الحدود الفاصلة بين الجزيرة ونواحي فلسطين الجنوبية ؛ وقد اختلطوا باليهود واعتنقوا ديانتهم وتزاوجوا معهم ؛ فصاروا عبرانيين بمظهرهم أكثر منهم باصلهم وجرثومتهم

على أن هذا الادعاء لايمكن قبوله على علاته لانه يخالف جميع المنابع التي نستقي منهـا أخبار العرب القدماء . والذي عليه أكثر المؤرخين أن كثيرا من القبائل العبرانية كانت هجرت فلسطين على أثر تخريب القائد الروماني تيطس لمدينة القدس في عام ٧٠ ميلادي فتوجه قسم منهم الى جزيرة العرب واستوطن

مدينة يثرب ونشر هناك ديانته وتقاليده وحمل قبيلا من السكان الاصليين على الاندماج فيه . ولم ينحصر هذا الاستعمار الاسرائيلي في يثرب فقط بل تناول جهات خيبر ووادي القرى وتيماء وفَدَك ، وقد ظل هؤلاء القبائل وانسالهم في هذه الانحاء حتى العصر النبوي

لقد جاءت هـذه الهجرة على عكس ما نعرفه من تاريخ العرب القدماء في هجراتهم، اذ ان العرب كانوا يهجرون أرضهم الجدباء المرّة بعد الاخرى ويأتون فيستعمرون سهول الشام والعراق ويتمتعون بمواهب تلك الاصقاع المتنوعة . أما هجرة اليهود فقد كانت من فلسطين الى ديار الحجاز القاحلة ، الامر الذي يدل على انها حدثت بعوامل قهارة حملت تلك القبائل على ترك أرضهم المنبتة ذات المياه الغزيرة والجو المعتدل ، والفرار بحياتهم ودينهم الى تلك البلاد قليلة المـاء والنبـات

وليس في التاريخ ما يفسر هذا العامل القهار الا تشديد الرومان على الشعب الاسرائيـلي وعزمهم على استئصاله، تخلصا من غطرسته وعناده وفوضاه وروح المقاومة التي كانت ولا تزال تدب في عروقه

جاء العبرانيون مدينة يثرب فاستحوزوا على قسم كبير من أراضيها وحملوا السكان القدماء على الاخذ بشيء من أخلاقهم وعاداتهم ، فلم يمض طويل من الزمن حتى كادت البلدة تنقلب الى بلدة عبرانية

وظلت الحال على ذلك حتى هاجم يثرب أفخاذ من أزد اليمن وحلوا فيها مزاحمين القبائل اليهودية فتبدل الموقف وأخذ هؤلاء المستعمرون الجدد يستغلون الارض الخالية ويخلصون البلاد من صبغتها اليهودية ولم يكن الاوس والخزرج إلا أحفاد هؤلاء الازد القحطانيين

كان مناخ يثرب وقوة الانبات في تربتها وغزارة المياه كل ذلك مما ساعد

اليمانيين على ان يعيشوا عيشة هنيئة ، فاخذ عددهم يزداد بسرعة حتى فاقوا العبرانيين فتخوف هؤلاء منهم وحاولوا الدفاع عن مركزهم فلم يفلحوا وخسروا المعركة ، فاضطروا للخضوع الى المستعمرين الجدد الذين أصبحت لهم القوة والحكم. على ان اليهود ظلوا متمسكين بديانتهم وتقاليدهم أشد التمسك ، شأنهم في جميع المواقف والبلدان

عرب يثرب يحكمون اليهود :

على ان عرب المدينة اليمانيين لم يحافظوا على شرف الحكم مدة طويلة ، وقد أقعدهم عن ذلك تنافسهم وتحاسدهم وميل كل منهم الى تقلد الحكم ، وهذا الخلق يكاد يكون متأصلا في نفوس الكثيرين من أبناء العرب ، ولا بد لنا من الاشارة الى ان الامة التي يستفحل في ابنائها هذا الخلق ـ خلق السلطان الفردي ـ تسيطر فيها المنفعة الخاصة على الصالح العام. لذلك اشتعلت نيران الفساد بين الاوس والخزرج ، وسادت الفوضى في أعمالهم ، فلم يعد في امكان أحد منهم أن يقيم العدل بين اخوانه ويردع المعتدين الاقوياء عن التعدى على الضعفاء . وقد استفحلت حالة الفوضى هذه وانقلبت الى حروب دموية بين أبناء العشيرة الواحدة ، فصارت نفوسهم عرضة للهلاك وأموالهم للفناء وبلادهم للتقهقر السريع

ولم يقف اليهود متفرجين تجاه هذه المنافسة ، فقد كانوا يشتركون في معامعها ، وكانوا ينقسمون الى قسمين وينضوى كل قسم منهم تحت لواء مخالف ، فاذا ما انتهت المعركة كان منهم الغالب والمغلوب

لقد حالف الظفر قبيلة الخزرج مدة من الزمن فكان لها القوة والبأس ، ثم انعكس الامر فقويت الاوس عليهم ، وذلك بفضل القوة التي اكتسبتها بانضمام فريق من القبائل المجاورة للمدينة ، ومنهم بنو النضير وبنو قريظة الاسرائيليون ،

ففي حرب البُعاث التاريخية غُلبت الخزرج نهائيا وفقدت من رجالها خلقاً كثيراً فلم تعد تقوى على مهاجمة خصومها . فساد السكون في يثرب بسبب ضعف المتخاصمين ، ولم يكن هنالك صلح أو شبه صلح . لذلك كانت نيران الحرب تشتعل كلما حدث حادث ، وكنت ترى أهل يثرب فريقين متنازعين : يكيد كل منهما للآخر ، ويتمنى لو أتيحت له الفرصة حتى يقضي على خصمه . لذلك أصبحت البلدة محرومة من حاكم يحكم بالعدل ويحافظ على أموال الضعفاء فعمت الفوضى ، وساد الاعتداء بين الناس ، بعكس الحالة في مكة اذ كان أهلها ـ بفضل معبدهم المقدس ، وانصرافهم للتجارة ـ مستظلين بظل الامان والاطمئنان

حالة اليهود النفسية :

كان اليهود يختلفون بمعيشتهم وبديانتهم عن سائر القبائل المحيطة بهم ، وذلك رغم تكلمهم اللغة العربية وإهمالهم لغة اجدادهم ؛ فكانت لهم القلاع المنيعة ، وكانوا يشتغلون بحرث الارض ، والصياغة ، وصناعة السلاح على أنواعه ، وبالمراباه باموالهم . لذلك كانوا أغنياء بالنسبة الى العرب جيرانهم . وقد ساعدهم على ادّخار الثروة تقتيرهم على انفسهم وعيالهم ، واكتفاؤهم بالملابس الخلقة ، وبعدهم عن خلق الضيافة والكرم بعكس العرب . وعدا ذلك فاليهود كانوا يرون لأنفسهم حق التفوّق على سائر الناس بداعي أنهم أصحاب شريعة سماوية وكانوا شديدى التمسك بها . على أن ذلك لم يمنع الفوضى من أن تنتشر بينهم : فكانت حياتهم لا يسيطر عليها نظام ، وكانوا ولعين بالخرافات والسحر ، ومتصفين بالخوف لاقل حادث . ولا عجب فقد ظلت هذه الاوصاف فيهم على مر الاجيال . وهذه الاوصاف كلها كانت السبب في اقصائهم عن الحكم والزعامة رغم تفوقهم المادي الذي نوهنا به فيما تقدم ، وجعلتهم خاضعين لمن يسود في يثرب من عرب الخزرج أو الاوس فاكتفى اليهود بان ظلوا بعيدين عن العرب لا يختلطون بهم ،

وكانوا يرون أنفسهم ابناء شعب الله الخاص فينظرون الى العرب بنظر الاحتقار مما جعل هؤلاء يضمرون لهم الحقد ، ويعتبرونهم غرباء لا يرجى خيرهم ولا يطمأن اليهم . فلما انتشر الاسلام في ربوع الحجاز ظهرت حالتهم النفسية بجلاء ووضوح فجاهروا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام بالعداء ، وكادوا لهم ، وخانوا عهودهم ، فكانت هذه الخطة القبيحة من الأسباب التي قضت عليهم وعلى قراهم في الجزيرة العربية. والخلاصة ان عرب يثرب كانوا يكرهون اليهود لغلظتهم وغطارستهم وسلبهم الاموال بالمراباة ولو لم يكن عرب يثرب مختلفين لكانت هذه النفرة قاضية عليهم ولما استطاعوا أن يثبتوا أمام تيار العرب الجارف

اليهود بعد الهجرة :

كان يهود يثرب منقسمين الى قسمين كبيرين على ماجاء في سيرة ابن هشام : فالقسم الاول يتألف من بني قينقاع الذين كانوا متحالفين مع الخزرج ، والقسم الثانى بنو النضير وبنو قريظة وهم حلفاء الاوس. وكان حلف كل قسم قويم العرى ، فاذا وقعت حرب بين الاوس والخزرج انحاز كل فريق من اليهود الى جانب حلفائه من القبيلتين . وكان يعادي المسلمين في المدينة فئتان : اليهود والمنافقون . غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل من هؤلا ظواهرهم ، وعقد معهم عهداً على أن لايحاربهم ولا يؤذيهم بشرط ألا يعينوا عليه احداً ، وان دهمه بالمدينة عدو نصروه ، وأقرهم على دينهم

وقد جاء هذا العهد في الكتاب الذى انشيء بين النبي صلى الله عليه وسلم وسلم وبين أهل المدينة عقب الهجرة اليها وقد نصت عليه المواد الآتية [1] :

(١) سيرة ابن هشام المجلد الثاني ص ٩٦

المادة ٢٤ : ان اليهود يتفقون مع المؤمنين مادموا محاربين

المادة ٢٥ : ان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم وأثم فانه لايوتغ (أي لا يُهلك) الا نفسه وأهل بيته

المادة ٢٦ : ليهود بني النجار مثل ماليهود بني عوف

المادة ٢٧: « « حرث « « « «

المادة ٢٨: « « مساعدة « « « «

المادة ٢٩: « « جشم « « « «

المادة ٣٠ : « « الاوس « « « «

المادة ٣١ : « « ثعلبة « « « « الا من ظلم وأثم فانه يوتغ الا نفسه وأهل بيته

المادة ٣٧ : ان بطانة يهود كانفسهم وان لايخرج منهم أحد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه لاينحجز علي ثأر جرح وانه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته الا من ظلم

وقد تفهم من قراءة هذه المواد أنه صلى الله عليه وسلم وادع اليهود وأعطاهم الحرية في ديانتهم ومعاملاتهم وأموالهم ، واشترط عليهم ان لايتفقوا عليه مع عدو ويظن ان هذه الموادعة كانت بعد الهجرة بخمسة أشهر فقط

على ان اليهود لم يخلصوا للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بل أخذوا يكيدون لهم ، ولقد باشروا خطتهم هذه بانتقادهم الشديد للاسلام وبالقاء الاسئلة علي النبي صلى الله عليه وسلم ورغم دخول الحاخامين المعروفين ـ أمثال مخيريق وعبدالله بن سلام ـ في الاسلام فان اليهود اشتدوا في خصومتهم وكانوا يحضرون

مجالس المسلمين ويسمعون المواعظ النبوية ، فاذا انفض الجمع ورجع اليهود الى بيوتهم كانوا يستهزئون بما سمعوا ويعترضون عليه ، وقد نزلت فيهم مائة آية من سورة آل عمران

افسادات اليهود :

لقد فكر المؤمنون بادىء بدء في هداية اليهود فلم يروا منهم الا عتوا كبيرا وكان اليهود يجاهرون بالخروج على المسلمين رغم العهد بينهم فأرسلوا رجلا منهم يقول الشعر في مجالس حوى فريقا كبيرا من الاوس والخزرج لاثارة أحقادهم القديمة ، وذلك بمناسبة مرور عام آخر على حرب البُعاث . فقام الشاعر اليهودى وأخذ ينشد فيهم الشعر ويجدد في قلوبهم الحزازات والاحقاد ، حتى ظهرت علائم الفتنة ، واستل الفريقان السيوف وكادت تسيل الدماء ، لولا أن تدارك النبى صلى الله عليه وسلم الامر ودعا القوم الى السكون فكان له الفضل الاكبر في حقن الدماء التي أرادت هدرها طوائف اليهود [1]

غزوة قينقاع (١٥ ــ ٣٠ شوال السنة الثانية):

بعد ظفر بدر أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يفكر فى موقف اليهود ودسائسهم وقد حاول ان يهديهم الى الاسلام فلم ير منهم الا غلظة ونفرة . وزاد اليهود فى غيهم بأن أخذوا يتظاهرون بعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فدعا رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكث العهد ، فقالوا : يامحمد لايغرنك مالقيت من قومك فانهم لاعلم لهم بالحرب .

وكان المتكلمون من بنى قينقاع وهم أشجع اليهود . فأنزل الله تعالى في سورة آل عمران « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم » الآية

(١) سيرة ابن هشام ص ٣٨٥

واتفق في تلك الآونة الحرجة أن امرأة من البادية أتت المدينة وذهبت الى سوق الصاغة حيث يشتغل يهود قينقاع لشراء حاجة لها فاستهزأ بها شبان اليهود واخذوا يعبثون بالمنديل الذى يستر وجهها فدافعت المرأة عن نفسها . وفيما هي تشترى حاجتها من دكان يهودى أتوها من خلفها وتلاعبوا بثيابها فلما همت بالقيام ظلت الثياب عالقة فانكشفت عورتها وضحك اليهود عليها . وكان أحد المسلمين ماراً بذلك السوق فشاهد أعمال اليهود المخجلة مع المرأة المسكينة فاستفزته النخوة العربية والحمية الاسلامية وهجم على المعتدى فقتله ، فهاجمه اليهود وقتلوه ، ثم أعلنوا فسخ العهد بينهم وبين المسلمين وأخذوا يستعدون للقتال ولجأوا الى حصونهم فسار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فى نصف شوال من السنة الثانية للهجرة يحمل لواءه عمه حمزة رضي الله عنه وحاصرهم خمس عشرة ليلة

وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج ومرتبطين ارتباطاً محكما برئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ . فلما وقعت الحرب أعلن ابن الصامت قطع كل علاقة مع اليهود ، أما عبد الله فانه تشبث بالحلف وقال : انى رجل أخشى الدوائر . فانزل الله تعالى تعليما للمسلمين في سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا في أنفسهم نادمين »

ولما بدأ الحصار تخلى الخزرج عن بني قينقاع . أما ابن أبي فانه أرسل اليهم يشير عليهم بالمقاومة وأنه سينصرهم هو وجماعته . الا أنه لم يتمكن من الوفاء بوعده فظلوا محصورين . وكانوا بحالة غريبة فلم يرموا المسلمين بنبل واحد ، وربما كانوا ينتظرون المدد من السماء على زعمهم فحاصرهم المسلمون خمس عشرة ليلة . ولما

رأوا من أنفسهم العجز وأدركهم الرعب استسلموا . وكان عددهم سبعمائة رجل فأمسكهم المسلمون ثم سلموهم لمنذر بن قدامة فتدخل عبد الله بن أبي بالامر وأراد أن يؤثر على منذر ليترك حلفاءه اليهود فلم يفلح ، فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب اليه أن لاتمس اليهود بسوء ، فلم يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم لكلامه . فصاح ابن أبي قائلا : يامحمد لاتسيء الى حلفائي ! . . . وكان بنو قينقاع نصروه في حرب البعاث. ويقول ابن اسحق في سيرته : ان النبي صلى الله عليه وسلم أطلق سراح أسرى اليهود ارضاء لابن أبي ووضعت شروط التسليم على أن يخلى سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال

وقد أمهل بنو قينقاع ثلاث ليال ثم غادروا المدينة فذهبوا الى وادي القرى وكان الرجال يمشون على أقدامهم والنساء والذرية على الابل ، الى أن نزلوا ضيوفاً على يهود وادي القرى شهراً كاملا ثم أخذوا زاداً ورواحل وذهبوا الى (اذرعات) في حوران . ويقول ابن خلدون انهم انضموا الى يهود خيبر وقد يكون هذا هو الصحيح . ولم يكن بنو قينقاع من أصحاب الاملاك ، بل جل ثروتهم من صناعة الصياغة والاسلحة فوضع المسلمون يدهم على تلك الاموال وخمسها النبي صلى الله عليه وسلم فاعطى سهم ذوي القربى لبني هاشم وبني المطلب وقسم الاربعة الاخماس بين أصحابه [1]

القدس رفيق التميمي

﴿ التربية الرياضية ﴾

قال الغزالي : « ينبغي أن يؤذن للصبي – بعد الانصراف من المكتب – أن يلعب لعباً جميلا يستريح اليه ، بحيث لايتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه في التعلم دائما يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش حتى يطلب منه الخلاص رأساً »

(١) الواقدي ص ١٧٩ – ١٨١ ، الطبري المجلد الاول ، ابن خلدون المجلد الثاني

سبب تفوق العربية على شقائقها

— ملخصة من كلمة الاستاذ النشاشيبي في اللغة العربية —

... وإنما غادر اللغةَ العربية محلّقةً على هام العبرانية وشقائقها كافةً أن الكتابة لم تقيدها ولم تحبسها في مكان لاتتخطاه. فظلّت من بعد تلك اللغات المربوطة بالخط آلافاً من السنين مرسلة غير مقيدة. فأنشأ الدهر الذي أراد أن يُطرف الناس هذه الطرفة الكريمة المنقطعة القرين يقوّم منها كلّ مناَد ويجلو كلّ ذات رَين. وقد أقام في عمله هذا حُقُباً إلى أن جاء اليوم الذي أظهر فيه جوهرته الثمينة ولؤلؤته المكنونة، فغنى الزمان بلغة أبناء قحطان أتقنَ صوت استمعته الاناسيّ، وطلع علينا في تلك الآونة أشعر الشعراء الملك الضليل، والنابغة، وزهير، وطرَفة، ولَبيد، وعنترة، وابن حلّزة اليشكري، وابن كُلثوم، ونابغة بني جعدة، والاعشي، والاسود بن يَعفُر، وحسّان، والخنساء التي ساجلت الفحول من الشعراء، وساندت مقالة (هنريك إبسن) في النساء، وبينت أن الطبيعة عادلة لم تظلم أحدا، وانها قد كرّمت الفئتين وأحسنت إلى القبيلين: فما أونحت للمرأة العطاء لتجزل للمرء في الحباء، وأنها القائلة «ان النساء شقائقُ الاقوامِ»

فلعب هؤلاء المغرّدون بالشعر العُلويّ بالالباب، وأسكروا الناس من غير شراب

وجاء صاحب شريعتنا فجاء أبلغ عربي، وأفصح ناطق باللسان الضاديّ. وجاء القول المعجز الباهر، فخرست شقشقة كل هادر «وزخر البحر ـ كما قال محمود ـ فطمّ على الكواكب، وأشرقت الشمس فطمست نور الكواكب» وسمع الناس «كلاماً هو المسك ذكيا، والزهر جنيّا، والماء مرئيا، والعيش هنيا، والسحر بابليا»

سورية الشهيدة

لما خطب الاستاذ نسيم صيبعة في افتتاح الحفلة الكبرى التي اقامتها مصر لمساعدة منكوبي سورية قال منوهاً بشاعر دمشق وبهذه القصيدة من شعره الرائع البليغ « ... اما شاعرنا الاستاذ خير الدين الزركلي فسترون في جسمه النحيل صورة حية لسورية المعذبة ، وسترون في شعره الرقيق قلبها المتألم وصبرها العجيب ... » والحق ان السيد خير الدين مابرح عندليب (وادي النيربين) المترنم بآمال ساكنيه والشجي بآلامهم . قال :

الأهلُ أهلي ، والديارُ دياري ... وشِعار «وادي النَّيْرَبين» شعاري

ما كان من ألمٍ بجِلّقَ نازلٍ ... وادي الزناد ، فزَندُه بيَ واري

إن الدَم المهراقَ في جَنَباتها ... لَدَمي ، وإن شِفارَها لشفاري

دمعي لمــا مُنيتْ به جارٍ هنا ... ودمي هناك على ثَراها جاري

***

يا وامضَ البرق اطمئنَّ وناجني ... إن كنتَ مطّلعاً على الأسرار

ماذا هناك ؟ فان صوتا راعني ... والصوتُ فيه جَفوةُ الاذعار

النارُ محـدقةٌ بجلّقَ بعـد ما ... تركتْ «حماةَ» على شَفيرٍ هار

تنسابُ في الاحياء مسرعةَ الخُطى ... تأتي على الأطمار والاعمار

والقومُ منغمسون في حمأتها ... فتكاً بكل مُبرَّإٍ صبّار

الطفلُ في يدِ أمّه غرَضُ الاذى ... يُرمى ، وليس بخائض لغمار

والشيخ متكئاً على عكازه ... يُرمى ، وما للشيخ من أوزار

صبرتْ دمشقُ على النكال لياليا ... حَرُمَ الرُقادُ بها على الأشفار

لهفي على المتخلفين برحبها كيف القرارُ ولاتَ حينَ قرار
يترقَّبون الموتَ فى غدواتهم وإذا نجَوْا فالموتُ في الأسحار
لا يعلمون : أفي سواد دُجنَّةٍ هم سُهَّدٌ ، أم فى بياض نهار
الوابلُ المِدْرارُ من حُمَمِ اللظَى متواصلٌ ، كالوابل المدرار
والظُلْم منطلق اليدين محكَّمٌ ياليتَ كلَّ الخطب خَطْبُ النار

***

أمجالسَ السُمَّار ضاحكةً بهم ضحكَ الهوَى ما حلَّ بالسُمَّار ؟
أمعاهدَ الادب الطَريف ثكلتَه غضَّ الصِّبا كتفتح الازهار
أمَّ القصور نواعما رَبَّاتُها ما للقصور دَوارِسَ الآثار ؟
أمَّ الجنان الكاسيات رياضُها حُلَلَ السَّنا ، ما للرياض عوارى ؟
أمَّ الحياة ، وللحياة نعيمُها ، هل في ديارك بَعدُ من ديَّار
زهوُ الحضارة أنت مطلعُ شمسه أفتغتدين وأنت دارُ بَوار ؟
ويحَ الحضارةَ كيف يَمتهن اسمَها متكالبون على الضعاف ضَوارى
هم أوردوكِ وأصدروكِ على صدًى فشقيتِ فى الإيراد والإصدار
هم أحرجوكِ فأخرجوكِ مهيجةً فصرختِ فيهم صرخةَ الجبَّار
طالتْ لياليكِ الثلاثُ ، وإنما فى مثلهنَّ يلوحُ نهجُ السارى
واذا الظلام عتا تبلَّجَ فجرُه : ظُلَمُ الحوادث مطلعُ الأنوار
ما أنهارُ قصرٌ في حماكِ ممرَّدٌ إلا ليرفعَ فيكَ قصرَ فخار

ما دمَّروكِ هُمُ ، ولكن دمَّروا ... ما كان فيكِ لهم من « استعمار »
حملوا عليك مُواثبينَ وما لهم ... ثار ، وثرتِ وأنتِ ربةُ ثار
ما ينقمون عليكِ إلا أنهم ... شهدوكِ غير مَقودَةٍ لصغار
فاذا المنازلُ وهي شامخةُ الذرَى ... مُنهارُ أطلالٍ على مُنهار
واذا المدينة «تَدْمُرٌ» أو «نينوَى» ... أنقاضُ عُمرانٍ ورسمُ دَمار

***

قم سائل الاجيالَ يا ابنَ نسيجها ... واستوح غامضَ سِرِّها المتوارى
فلعلَّ عبرةَ مجتلي صفحاتها ... في ما محاهُ الدهرُ من أسطار
إن الشعوبَ لتستفيقُ إذا انتشتْ ... والصحوُ غايةُ نشوةِ الاسكار
أرأيتَ كيف طغى الفرنجُ وأوغروا ... صدرَ الاسنَّة أيما إيغار؟
ارأيت كيف استهتروا بمطامعٍ ... فيها المصارعُ ، أيما استهتار؟
الشرقُ بين قويِّهم وضعيفهم ... متداول الإنجاد والإغوار
وبنوه بين وَعيدهم ووُعودهم ... شتَّى المذاهب شُرَّدُ الافكار
لا تأمننَّ فأنتَ بين مُكافحٍ ... منهم ، وبين مُخادعٍ غرَّار
وانظرْ الى الآلاف من بُسلائهم ... يغزوهمُ مئةٌ من «الثوَّار»
من كل مِغوارٍ صَليبٍ عودُه ... يقتادُ كلَّ مدجَّجٍ مِغوار
الواثبين إذا يقال « تأهبوا ! » ... والقاحمين إذ يقال « بَدارِ ! »
إن أنصفت أيامُ ذى قارٍ لنا ... سلَفًا ، فنحن اليوم في « ذى قار »

طارتْ بألبابِ الفرنجةِ صيحةٌ في الشام فاندفعوا الى الاسوار
واستهدفوا الاطفالَ في حُجُراتها والطفلاتِ وهنَّ في الأخدار
عمُّوا بمضطَرِبِ القذائف كل ذي ضَعفٍ ، وخصّوا كل ذات إزار
ستروا بضرب الآمنين فرارَهم فاعجبْ لعارٍ ستَّروه بعار !

***

غضبتْ لسوريَةَ الشهيدة أمةٌ في مصرَ تُطفيءُ غُلّةَ الأمصار
ورعتْ لها ذِمَمَ الوفاء ، فلم يَضعْ عهدٌ تَسلسلَ في دم الاعصار
لله والتاريخ والدم واللُّهى حقٌ ، وللآمال والاوطار
تأبىُ الجماعةُ أن تهون لغاصب والفردُ موقوفٌ على الاقدار
واذا العُرى انفصمتْ تولَّى أهلَها ضيمُ المغير بخَطبه الكُبّار

***

ياابنَ الكنانةِ ما الجراحُ دواميا في الشام إلا في طُلي الاحرار
المشترين ديارَهم بدَمارهم وهمُ يرون به رَباح الشاري
أنِفوا حياةَ الشاء كلَّ عشية وضحيٍ تعيث به يدُ الجزّار
هلاَّ نظرتَ الى الشآم فانها ترنو اليك بشاخص الابصار
ناءتْ بحمل نكوبها فتقلقلتْ مَوجا باطفالٍ هناك صِغار
ليس الجِوار اذا عدلتَ بمقنع يأبى الشقيقُ عليك حقَّ الجار

خير الدين الزركلي

ابو اللطف وأبناؤه

من القرن التاسع الهجري الى القرن الثاني عشر

ان مادة التاريخ التى فى أيدينا على كثرتها غير كافية لتمثيل الحالة العامة التى كان فيها المجتمع الاسلامي عامة والعربى منه خاصة فى القرون الاخيرة بحيث يستطيع المؤرخ المصري أن يقتبس منها صورة صحيحة يعرضها على ناشئة هذا الزمن بما فيها من فضائل وعيوب . ولذلك رأينا الافاضل من المستشرقين والشرقيين يبتهجون بنشر ما يجدونه من المستندات التى تساعد المؤرخ المصري على تمثيل حقيقة الماضى القريب . وقد عثر الاستاذ المحقق السيد عبد الله مخلص على كناش خاص ببيت أبي اللطف ـ أحد بيوت العلم فى القدس منذ القرن التاسع الهجري ـ فأراد أن يشارك أهل الفضل فيما اطلع عليه فيه، وزاد على ذلك ايضاحات تاريخية اقتبسها من أوثق المصادر. والى القاريء الشطر الاول من مقال السيد عبد الله مخلص، وسننشر الشطر الاخير فى الجزء الآتي

شيخ الاسلام أبو اللطف عليّ بن منصور بن زين العرب الحصكفي الشافعي ، من علماء بيت المقدس الذين ذكرهم القاضي مجير الدين الحنبلي في تاريخه للقدس والخليل [1] ولكنه لم يفرد له ترجمة خاصة بل ذكرهُ في سياق ترجمة ابنهِ شيخ الاسلام شمس الدين محمد الآتي ذكره وقال عن أبى اللطف انه توفى سنة ٨٥٥ في بيت المقدس ودفن بباب الرحمة

وقد عثرنا على كناشٍ كتب باول صفحة منه بالحبر اللازورديّ :

تذكرة لحسن ما قد جمعت مذكره
قد انست الالى مضوا من قبل وهي تذكره

وتحت ذلك :

هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبونا
أوما من الخسران أني آخذ ذهباً واعطى لؤلؤاً مكنونا

والكناش كامثاله مملوء بما اختارهُ له صاحبه من الطرائف والظرائف بين منثور ومنظوم ، وفيه بعض تقييدات تدل على انه كان لمحمد بن محمد بن

(١) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل جزء ٢ صفحة ٥٢٥

شمس الدين محمد بن أبي اللطف، وانه انتقل منه الى أبنائه وأحفاده

وشمس الدين المذكور هو الذى ترجم له مجير الدين الحنبلي بقوله (١) :

« شيخ الاسلام شمس الدين أبو اللطف محمد بن علي الحصكفي الشافعي، الامام العلامة مولده بحصن كيفا (٢) سنة تسع عشرة وثمانمائة فتخرج هناك في فن الادب ثم قدم بيت المقدس فلزم الشيخ شهاب الدين بن أرسلان (٣) واشتغل عليه في الحاوي وجد وحصل وشارك في العلوم وتميز وصار من أعيان العلماء . وكان ذكيا حسن النظم والنثر يكتب الخط المليح وعنده تودد وحلاوة لسان . وهو دين خير له مؤلفات مفيدة في النحو والصرف وغير ذلك توفي في ليلة يسفر صباحها عن نهار الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وثمانمائة ودفن بباب الرحمة الى جانب والده . ووفاة والده في سنة خمس وخمسين وثمانمائة .

وترك الشيخ أبو اللطف ولدين :

أحدهما الشيخ العلامة علاء الدين أبو الفضل علي توفي والده وهو صغير فنشأ بعده واشتغل على علماء بيت المقدس منهم الشيخ أبو مساعد وغيره . ورحل الى الديار المصرية وأخذ عن علمائها وفضل وتميز وصار من الاعيان [ولما تولى شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف تدريس المدرسة الصلاحية] (٤) قرره من المعيدين بها ثم استوطن دمشق المحروسة وصار من أعيان الفقهاء بها وهو حي يرزق

والثاني الشيخ العلامة سيف الدين القرقشندي (٥) توفي والده وهو حمل فنشأ بعده واشتغل بالعلم الشريف على علماء بيت المقدس منهم شيخ الاسلام الكمالي ابن أبي شريف وغيره . ثم رحل الى الديار المصرية وأخذ عن علمائها منهم الشيخ شمس الدين الجوجري وغيره وسمع الحديث وقرأه وصار من أعيان العلماء الاخيار الموصوفين بالعلم والدين والتواضع وعنده تودد ولين جانب وسخاء نفس واكرام لمن يرد عليه لا يحب الفخر ولا الخيلاء والناس

---

(١) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل جزء ٢ صفحة ٥٢٥ —

(٢) « حصن كيفا ويقال كيبا وأظنها أرمنية وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر وهي كانت ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة لم أر في البلاد التي رأيتها أعظم منها . وهي طاق واحد يكتنفه طاقان صغيران وهي لصاحب آمد من ولد داود بن سقمان بن ارتق » معجم البلدان لياقوت طبع ليبسك ج ٢ ص ٢٧٧

(٣) شهاب الدين رسلان كان يسكن في مدرسة الختنية بصدر الاقصى توفي سنة ٨٤٣ هـ

(٤) في الاصل « ولما توفى شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف مدرس المدرسة الصلاحية » وهو غلط مطبعي ظاهر لان كمال الدين المذكور كان على قيد الحياة عندما أتم مجير الدين تاريخه سنة ٩٠١ هـ وقد ختمه بترجمة حاله ولذلك صححنا العبارة التي بين هلالين على مايوافق الواقع ويأتلف مع سياق الكلام

(٥) لا ندري علة وجود هذه النسبة هنا والراجح إنها زائدة

سالمون من يده ولسانه . وقد أذن له العلماء بالديار المصرية وغيرها بالافتاء والتدريس مدة طويلة والناس مجمون على محبته لعلمه ودينه وهو ممن أحبه الله . عامله الله بلطفه الخفي ونفعنا الله بعلومه . اه »

ويمتاز هذا الكناش باحتوائه على بعض مراسلات وفتاوي وإجازات وتقييدات من أقلام أصحابه وبعض أبيات من الشعر من نظم أجدادهم وآبائهم وأول مايقع النظر عليه دعاء يسمى (تضرع العبد الذليل بين يدي سيده الجليل عند عرضه عليه ووقوفه بين يديه) جاء في آخره « كتبه محمد في يوم حادي عشر رجب الحرام سنة تسع وخمسين وتسعمائة » ويقول في مقدمة هذا التضرع انه وصل الى أهل المشرق والمغرب ومصر والحجاز واشتهر بالشام . وفي كل يوم تكتبه عنه الحفظة الكرام . وهو بخط مشرق جميل كانه قد ورث فيما ورثه حسن الخط. وفي الكناش من أبيات الشعر تحت العنوانات الآتية :

لمولانا شيخ الاسلام أبي اللطف جد شيخ الاسلام :

يا أيها الركب المجد بسيره عرج فديتك نحو بيت المقدس
واقر السلام أحبة قد أوثقوا قلبي ودمعي بعدهم لم يحبس

لشيخ الاسلام أبي اللطف رحمه الله في معذّر :

اقول وخده التطري (١) يعزى بعيد بني النضير الى الحي
عهدتك قبل هذا من مراد فأنت اليوم عندي من قصي

وله رحمه الله على لسان مقامته « غريبة الاوطان في مفاخرة قبتي السلطان » :

ياناظراً لحكايتي خذ حكمتي ودع الخرافة واعتبر واسمع وعي
فأنا كما قد قيل في مثل النسا يا اخت قلت لك ويا بنتي اسمعي

وله :

لو يعلم الجهال عند كلامهم أن الجواب بمسكتات قاطعه
لم ينطقوا همجاً كفعل ذوي النهى والحزم بالحكم السداد الرائعه

ومما ذكر في الكناش :

ضابط لشيخ مشايخ الاسلام الشمس بن أبي اللطف رحمه الله تعالى :

واوية ذات ثلاث أحرف نحو دعا تكتبها بالالف
وان تكن يائية البناء مثل رمي ترسمها بالياء

(١) لعله يريد التترى

وان تكن ذات ارتقاء عنها تكتب باليا فى الجيم منها
لا ذات ياء فتحت قبل الف فرسمها بالف لا يختلف
مثالها دنيا وريا يحيي كراهة لرسم يا تلويا
لا ان يكن يحيي وريي معرفه للفرق بين ذين فعلا وصفه

وبما نقله أحدهم من شعر عم جد أبيه علاء الدين :

لمولانا شيخ الاسلام علاء الدين بن أبي اللطف :

بساحة منزل الراجين رحماً انخت مطامعي وعقلت ظني
فيامولاي لا تقطع رجائي ووفقني لما يرضيك عني

ومما نقله أحدهم من شعر عم أبيه سراج الدين عمر (١) :

لشيخ الاسلام سراج الدين عمر بن أبي اللطف عم والدي رحمهما الله تعالى :

كم من حمار له حبير وكم جواد بلا حلاو
وكم سويدا بالف برقع وألف بيضا بلا خمار

ومن الشعر مادون فيه تحت عنوان (لكاتبه) :

لعمرك ما غيرت خاطر نملة بعمري ولا غيرت خاطر انسان
وما كنت الا الصفو في كل حالة وذلك عندي مثل ملك سليمان

ومما دوّن فيه من الرسائل الكتاب الآتي :

صورة مكتوب كتبه الفقير لقاضي العسكر ابن بستان (٢) شفعة بلطفي جلبي في ١٦ ربيع الثاني :-
الى حضرة من جعل الله أبوابه العلية ملجأ العفاه ، وملثم الشفاه ، ومحل الكرم الذي لا يخيب من اقتفاه ، ومقصد الراجي الذي اذا عول عليه كفاه . اعني به سلطان العلماء العظام قاضي العساكر المنصورة بديار الاسلام . لا زالت أبوابه محروسة الرحاب ، هامية السحاب فسيحة الجناب لمن اناب . العبد الفقير ينهي غب دعاء اتخذه في مواطن الاجابة دابا ، وابتهال يرجو ان شاء الله أن يكون مستجابا . ان حامل رق الرق ، و ناقل صك الصدق . المتوج بتاج العبودية ، والمتوجه الى أبواب الحضرة العليـة . فخر أرباب الفضائل ، وذخر المدرسين الاماثل ، مولانا لطف الله جلبي ، قد توجه تلقاء مدين عطا كم ، لينال رشحة من

(١) لعله عمر الملقب سراج الدين بن شمس الدين محمد المترجم له في خلاصة الاثر ج ٣ ص ٢٢٠

(٢) ابن بستان هذا اما أن يكون محمد بن مصطفى المعروف أبوه بيستان الرومي مفتي الدولة العثمانية ورئيس علمائها وقد توفي سنة ١٠٠٦ على ما ذكره المحبي في خلاصة الاثر ج ٤ ص ٢٢٣ واما أن يكون مصطفى بن مصطفى ، وهو أخو محمد المتقدم وقد وصل الى منصب قضاء العسكر وتوفي سنة ١٠١٠ هـ كما في خلاصة الاثر ج ٤ ص ٣٩٣

زلال ندا كم . وكان بيده تدريس المدرسة التنكزية ، توجهت لشخص وهو سالبة كلية . والمرجو من بحر كرمكم الزاخر ، ومديد فضلكم الوافي الوافر . صرف ذرة من العناية اليه ، واسبال جلابيب النعم عليه . وتقليده بما يليق بشأنه من المناصب ، لكي يترقى في زمن دولتكم الي أعلى المراتب . فانه خليق بالاكرام ، جدير بالرعاية والاحترام.

وتحت ذلك : لكاتبه منذ جاء الى القدس محمد بك بن المفتي قاضي زاده(١) :

مليك له مجد اثيل وسؤدد	(بياض)
حوى من سجايا المجد كل فضيلة	وأصبح فرداً لا نظير لمثله
محب لاهل العلم اذ هو منهم	وقد تليت في الناس آية فضله
دعوت اله الحق يعلي جنابه	الى ذروة المجد الاثيل كاصله
وتاريخه منذ جاء للقدس زائراً	لقد قدس القدس الامير بمد

والغريب أن بيت التاريخ أو شطره الاخير لا يتألف منهما بحساب الجمل تاريخ صحيح يصح التعويل عليه في تعيين زمن نظم الابيات وان كانت من شعر الفقهاء ، ولم ننقلها الا لعلاقتها بتاريخ القدس العلمي.

ومن فتاوى محمد بن محمد بن شمس الدين محمد :

رفع الى سؤال منظوم في أواخر رجب سنة ٩٧٥ صورته :

ما قول مولانا فريد الوقت	العمدة البحر الامام المفتي
لا زال يرقى في العلا بسعده	ما ماس غصن في رياض قده
في العلماء هل يسن أنا	نبوس أيديهم وذاك سنا
أو بدعة فيها ثواب أو لا	تفضلوا وأوضحوا القولا

فأجبت بما صورته :

من بعد حمد الله مولى النعم	مؤيد الدين الحنيف القيم
قال الامام النووي يستحب	تقبيل أيدي العلماء ويحب
والصالحون مثلهم ويكره	تقبيل أيدي غيرهم حرره
الشافعي محمد بن الشمسي	ابن أبي اللطف النقيب القدسي

---

(١) في خلاصة الاثر ج ٣ ص ٤٩٥ ترجمة حافلة لمحمد بن عبد الرحيم بن محمد قاضي العسكر بن المفتي عبد الرحيم الرومي ، وفيها أنه قدم القدس برفقه والده لما عزل عن الفتوى أي المشيخة الاسلامية وأمر بالحج وأعطى قضاء القدس (وذلك سنة ١٠٥٩ كما ذكر ذلك في ترجمة والده ج ٢ ص ٤١١) وأخيراً ارتقى الى منصب قضاء العسكر في الروم ايلي وتوفي سنة ١٠٨٠ فلعل ممدوحه هو هذا !

حامدا الله مصلياً على رسوله مسلماً محسبلا

ورفع الي في التاريخ المذكور أعلاه سؤال آخر منظوم صورته :

ما قول مولانا فريد الدهر العمدة الرحلة مفتى العصر
لا زال راقياً على الدوام ما لاح نجم فى دجى الظلام
بعد الصلاة هل يقال انا تصافح القوم وهل هو سنا
أو بدعة يثاب من فعل لها أولا ومن أحدث بدءاً فعلها
تفضلوا، وأوضحوا الجوابا يجزيكم الله به الثوابا

فاجبت بما صورته :

من بعد حمد الله والصلاة على رسول الله ذي الصلات
عند التلاقي تندب المصافحه اذ الاحاديث بذاك طافحه
وهي من بعد الصلاة بدعه مباحة ليس لها في الشرعه
أصل أصيل والنواوي فصلا فقال ان قبل الصلاة حصلا
فبدعة أو لا فعلها يسن وبدء من أحدثها أهل اليمن
حرره محمد مفتى القدس ابن أبي اللطف بجده اشتهر
الشافعي حامداً محسبلا مصلياً مسلماً مسبحلا

ومن تقاييد الكناش مانصه :

« ورد نهار الجمعة ١٨ ربيع الآخر على الفقير مكتوب من شيخ الاسلام الاخ الشيخ محمد أن الاخ الشيخ حسن توفي ليلة الاربعاء وقت العشاء ١٥ الشهر سنة ٩٧٩ وان الاجل قطع عليه طريق الامل ، وأعاد حلية الزمان الى العطل . وأوهن عقد شبابه الطري وحله ، وثلم حد سيف مجده وفله . وما زال بين أترابه الى أن سكن عليه التراب وسكنه ، وطالب الثرى بحق خلقه منه فاسترهنه . وغارت عليه الارض بانطلاق سموه الى السماء فاعتقلته ، ووجدته فى أوج الفلك فى النيرات فنقلته . وما كان أذكاه وأزكاه ، وأصحه وأصفاه ، وأبهجه وأبهاه ، وألينه واهناه . ولقد فجعت به شقيقاً شفيقا، وصديقاً صدوقا. فلهفي عليه من ماجد توطن التراب ، وسهم اصيب بعد ما أصاب ، وجواد لم يخطر بالبال من رزئه حساب، ولكن لكل أجل كتاب » .

ومن التقاييد :

« صفة الشجرة التي بوادي طحوط من أعمال كرك الشوبك . وهي شجرة ارتفاعها من الارض ذراع وحملها كأنه الانجاص وزهرها كانه بنفسج فاذا قطعت من ورقها شيئا يسيل من ذلك لبن أحمر مثل الدم ، وهي تسمى اندارس والياس ويسمونها الا كليل ، والحكماء يسمونها صفصفا والعرب اندرباس . وذكروا أنها شجرة موسى بن عمران عليه السلام التى حمل عليها التوراة . »

حيفا عبد الله مخلص

آراء لاناتول فرانس (١)

أولى لك أن تكون المخدوع أحيانا ، فقد علَّمتنا الحياة أن المرء لا يكون سعيداً إلا بقليل من الجهل

سواء أعلم المرء أم لم يعلم فهو يتكلم . ليس يُعلم كل شيء ، ولكن كل شيء يقال

ليس فى هذه الحياة أجمل من الاهواء ، ولكنها خرقاء ، والحب أجملها وأبعدها عن الصواب

ليس فى الدنيا ما هو أكبر سلطانا من الجمال

إذا أسعدنا الحظ بأن نكون فقراء بالفعل فلا نجعل أنفسنا أغنياء بالفكر ، ومتعلقي القلوب بمتاع الدنيا ، مخافة أن نشقى أو نظلم الناس

يورث كل تبدّل بطراً ـ وان تمنيناه كثيراً ـ حزناً وغماً ، لأن ما نتركه جزء منَّا . ينبغي أن نموت في حياة لندخل حياة أخرى

بالعاطفة تبذر بذور الخير في الدنيا ، ولم يُؤتَ العقل هذه القدرة

من الحسَن أن يكون القلب ساذجاً والفهم غير ساذج

بأي حقّ تسأل المرءَ أن يضحي حياته إذا سلبته الامل فى حياة اخرى ؟

من الحمق العظيم أن تحتقر خطراً يهدّدك

في الهموم تسلية عظيمة

ينتج الخطأ عن ضعف في الخلق أكثر مما ينتج عن ضعف في الادراك

ليقلْ (لا فونتين) ما شاء ، فان الارنب يسبق السلحفاة دائما ، كما أن النبوغ يفوز على حسن الارادة

---

(١) مختارة من كتاب (آراء أناتول فرانس) بقلم السيد عمر فاخوري

الانسان في جوهره حيوان أحمق ، وليست ترقياته العقلية إلا جهود قلقه الباطلة

النساء والاطباء وحدهم يعلمون أن الكذب ضروري فيه منافع للناس

المصيبة هي أفضل معلم وخير صديق ، فهي التي تهدينا الى معنى الحياة

الحقيقة كالشمس ، لا يراها إلا من كانت له عين النسر

يحتاج أكثر الناس الى شيء من الزينة ليبدوا أنهم عظام

كل شيء عكر في النفوس العكرة

الحركات الجميلة موسيقى العيون

قد يحرم من تذوق اللذة مانحها

لا يجيد المرء الحديث عمن يحب الا متى فقده ، وما قوة الشاعر الا جمع الذكريات ومناداة الاخيلة

لكل صورة شعرية معان عدة ، فأي معنى وجدته كان عندك معناها الحقيقي

يثور المرء إذا غلب ، أما الغالبون فلا يكونون عصاة ثائرين

من طبع الحكماء الحقيقيين أن يغضبوا سائر الناس

ليس بجائز أن يكون العالم الحقيقي غير متواضع ، فهو كلما خطا خطوة رأى طول الطريق أمامه

العلم معصوم ، لكن العلماء يخطئون دائما

لا يزدري العلم الا من يزدري العقل ، ولا يزدري العقل الا من يزدري الانسان ، ومن يزدري الانسان أغضب الله

المدن كتب مزينة بالرسوم نرى فيها الاجداد

يزهد المرء فى الابانة عن عواطفه اذا كانت الالفاظ ستضعفها كثيراً

كان البشر فى الماضى كما نعرفهم اليوم : خياراً وسطا ، وشراراً وسطا

ما الوطن ؟ هو نهر يجري : شواطئه أبداً متبدلة ، ومياهه متجددة

كلما تقدّمتُ في السن ازداد يقيني بأنه لا يوجد مجرمون ، ولا يوجد الا بؤساء مساكين

نحن أطفال مقضيٌّ علينا أن نظلَّ أطفالا الى الابد ، لا نفتأ نعدو وراء ألاعيب جديدة

الفلسفة والادب هما (الف ليلة وليلة) الغرب

لا شيء فى الدنيا أجلُّ من الالم

... كل مصائبنا باطنة ونحن مسببّوها . نحسب ـ خطأً ـ أنها تأتينا من الخارج ولكننا نكوّنها فى باطننا ، من نفس مادّتنا

لا تضيّعْ شيئاً من الماضى ، فان من الماضى يُصنع المستقبل

كبار الشعراء هم لكلّ الناس ، أما صغارهم فأحقُّ بالغبطة أيضاً لان شعرهم لذّةٌ للمترفين الذين لا يقنعون بما يقنع به العامة

ما كان الجبنُ قطُّ دليلَ التعقل

كلمتا « الحقيقة » و « العدل » يكفي أن لا نحدّدهما لنفهم معناهما الصحيح . ان في هاتين الكلمتين بحد ذاتهما لجمالا يضيء ونوراً سماويا

قلما يُستمني الذين لايتكلفون بل يظهرون كما هم في حقيقتهم ، وقد يُسلونني المجد كالحسناء لايمنح نفسه إلا لخاطب

يلوح لي أن الانسان إنما يشقى لافراطه في إجلال نفسه ، وفي الثقة بالناس . فلو كان رأيه في الطبيعة البشرية أصحَّ وأقربَ للتواضع لأصبح في أحكامه على نفسه وعلى الناس أرقَّ وأحلم

سذاجة الفلاسفة لا يُسبر غورها

لم يأت زمن تبدّلت الآداب والافكار فيه طَفْرةً . فان أعظم التبدلات الطارئة على الحيـاة الاجتماعية تحصل دون أن يشعر بها أحد ، ولا تُرى إلا عن بُعد، لذلك لا يُعيرها الذين يجتازونها أقلّ التفات

ان المباديء الاجتماعية لأسرع تبـدلاً من آراء الفلاسفـة . لذلك هي لاتقوم على أساس مكين ، فلا يكاد الفكر يلامسها حتى ينقضّ بنيانها

لينظرْ جبابرة الارض إلى مواطئ أقدامهم ، لينظروا إلى الشعوب التي يقهرونها والمباديء التي يزدرونها ، فان من ثمة سوف تخرج القوّة التي تصرعهم

لايعرف المرء عدم التبصّر الا من قِبل أهوائه

ان الهوى الشديد لايدع لصاحبه برهة راحة ، وهذه هي حسنته وفضيلته .

ان كل شيء هو خير من أن ترى أنك تحيا

ماذا تكون بَوادي الحياة لولا سراب أفكارنا الساطع ؟

ان أفعالنا ليست منا تماماً ، بل هي للاقدار أكثر مما هي لنا . نحن نعطاها جائزة ولا نستحقها دائماً

الشعراء كالاطفال يعزّون أنفسهم بالصور

العمل يجعل الحياة سعيدة أحياناً ، ومحتملة دائماً

قبل أن تغضب ألا يسعك أن تحاول فهم مايقال ؟

لم يُعوزني قطُّ لأتمتع بالاشياء أن أكون مالكاً لها

يسأم المرء كل شيء إلا فهم كنه الاشياء

كنت في السادسة لما ابتليت بهذا التطلع العظيم الذى أصبح عذاب حياتي ونعيمها على السواء ، ووقفِ نفسي على نشدان ماليس لنفسي أن تدركه

جامعة عليكرة الاسلامية

والاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيسها

مدرسة عليكرة هي الجامعة العلمية الوحيدة للمسلمين في ديار الهند. وقد تم لها بتمام سنة ١٩٢٥ خمسون عاماً ، فأقام مسلمو الهند مهرجانا عظيماً في الاسبوع الاخير من العام الشمسي المنصرم احتفلوا فيه بهذه المدرسة العظيمة ، وصحت عزيمتهم في ذلك العيد الجليل على توسيع دائرة المعارف العملية في معهدهم الارشادي فتبرع كرامهم لهذا الغرض بخمسمائة ألف روبية (نحو ٣٣ ألف جنيه مصري) ولم يبرح ذاكرةَ قارئنا الكريم مانشرناه في العام الماضي (ص ٣٦٧ ــ ٣٦٩) من البيانات عن مدرسة عليكرة وأريحية أعيان مسلمي الهند ــ ولا سيما الامير الجليل المجاهد فى سبيل الاصلاح نظام حيدر أباد ــ ومساعيهم لرفع مستوى هذا المعهد العلمي الاسلامي وجَعْلِهِ فى المكان اللائق بأبناء الملة في ذلك القطر العظيم

ولقد أُلقيت في احتفالات عيد جامعة عليكرة المحاضرات الممتعة فى معانى الاصلاح ، وارتجل أهل الفصاحة خُطبا غراء بليغة في الحث على نشر العلم الصحيح الجامع بين معارف الغرب وفضائل الاسلام. وكان فيما أُلقي فى ذلك الحفل ــ الذى جمع نحو خمسة آلاف زائر فيهم زعماء الامة الاسلامية وشبانها ــ قصيدةٌ عربية شائقة من نظم العلامة الضليع الاستاذ عبد العزيز الراجكوتى الميمني من أساتذة الجامعة المحتفَل بها ، وهاهي :

سلامٌ على خير البقاع علي كَرٍ ... ومُصبَحِها فى ظل أمنٍ ومُمْساها
سلامٌ عليها ، إن طيبَ نسيمها ... يجدّدُ في قلبي على الدهر ذِكراها
ومالِيَ لا أصبو ؟ وطيبُ ترابها ... يُشهِّى الى قلبي هوًى رَحب مثْواها
ورحبتها الفيحاء يشرق جوُّها ... وروضتها الغناء يحظيك رَيّاها

على أنها بالهند أولُ معهدٍ لتأديب ناشيها قد أُسس تقواها[1]
وفتيان صدق لا يُمَل حديثهم تجرَّدَ في نشر المعارف مَسعاها
تراها بزيٍّ واحدٍ فتظنها ـ وان لم تكنْ ـ في الخَلق والخُلق أشباها
تخرَّجَ خِصِّيصون منهم بسبقهم فأجرَوا عيوناً للعلوم وأمواها
وصاروا هُداةً قادةً لبلادنا ، من السُبل سُبْل السالكين لأهداها
فقد سدَّدوا أو قاربوا الامر جهدها ولم يُقحِموا دَهماءها في ثناياها
فأعمارهم للجيل وقفٌ مسبَّلٌ ونهضتها فيها كذلك مأواها
وقلَّ لهم هـذا وذا ، فمأنها لرفع منار العلم فينا ومَحياها
ولم أغل في وصفي ، فهذا جليةٌ وعن باطن الاشياء يُنبيكَ سيماها

***

فيا أمَّتي ما ذا عَراكِ ؟ فانني أراكِ ولم تُسكركِ خمرُ حُميَّاها
فسيرى بنا البَرْدَين نحو علي كَرِ إلى بقعة أبغي من الله سقياها
الى حيث ماء المجد غيرُ محلَّلٍ ولا أرضها الفيحاء ضاقت بسكناها
فربيَ من ضنك البلاد أراحني[2] وأصبحتُ لا يبدو لعينيَّ مرآها
فقد قام سوق يهرع الناس نحوها وأسنى بهاء من عُكاظٍ لأدناها
وقد نَسلوا من كل أوبٍ ووجهة إليها رجاء أن ستكرِم مثواها
فأهلاً وسهلاً بالوفود ومرحباً ويُبدَل من لم يأتها أوهِ ! من واها !

***

(١) اول ما يرى الداخل في مسجدها الجميل هو هذه الآية الكريمة « لمسجد اسس على التقوى من أول يوم احق ان تقوم فيه »

(٢) اشارة الى مقام الشاعر بلاهور ذات الازقة الضيقة الوسخة ، وما أجدرها بقول بعضهم في بغداد :

بغداد دار لاهل المال واسعة وللمفاليس دار الضنك والضيق
أصبحت فيها مضاعا بين أظهرهم كانني مصحف في كف زنديق

ألا أيها الشبان ، لا تنسبوا العلى ... لمن قد تناهى في المعيشة أوتاها
فليس لنوع الانس ثمّ مزية ... على سائر الأنواع الا سجاياها
وما الزي الا للتجمل خادماً ... فلا تبتغوا منه عَلاءً ولا جاها
وما المجد تمراً أنتم تأكلونه (١) ... فلا تصبحوا ممن على رهطه باهى
وما هذه الألقاب الا تعلةً ... فلا درَّ در المرء إن كان يهواها
غذيتم لِبانَ العلم والدينِ فاربأوا ... بأنفسكم عن داركم ودناياها
وخُطوتكم مهما جَهدتم فلن تفي ... بأشواط أعداء ، فكيف تلافاها ؟
فلا تحسبوا أن قد قضيتم فروضكم ... فأُخرى مساعيكم الى المجد أُولاها
وما هذه الا مواعظ أُخلصت ... لكم من نصيح ربما بات يرعاها
فكونوا كبحر لا تكدّره الدِلا ... وقوموا برأي بائت وارقبوا اللهَ

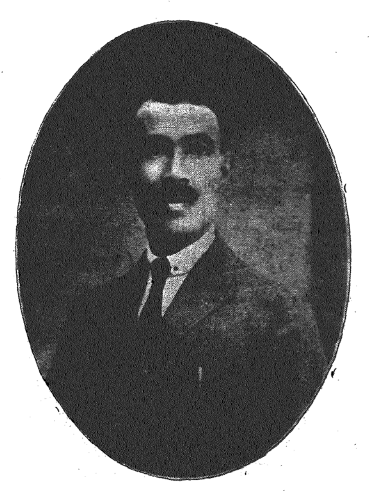
كيف صار روكفلر غنياً ؟

روكفلر أغنى أغنياء العالم اليوم على الاطلاق ، وقد سأله أحد أصدقائه :
— كيف توصلت الى اقتناء هذه الثروة الطائلة ؟
فأجاب : — توصلت الى ذلك بخلال أربع ، لاغنى عنها لمن يرغب في ادخار المال ، وهي :
١ — ان لايشتري الرجل من الاشياء الا ما كان ضروريا له
٢ — ان يدخر بعض مايربحه
٣ — ان يكون أمينا دقيقا في عمله
٤ — أن يقلع عن العادات السيئة

(١) اشارة الى قول الأول :
لاتحسب المجد تمرا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

الشهيد السعيد ـ صالح قنباز

١٣٠٣ ـ ١٣٤٤هـ



عرفتُه في شهر رجب سنة ١٣٢٠ (اكتوبر ١٩٠٢) وكان قد حضر من حماة الى مدرسة دمشق الثانوية الاميرية ليكمل فيها السنتين الاخيرتين . وكنتُ أحدثَ منه سناً ، وهو يتقدّمني سنة في المدرسة ، الا أننا كنا فيها داخليَّين : نأكل على مائدة واحدة ، ونُذاكر دروسَنا في السهرة على مقعد مشترك ، ونكون متصاحبَين حتماً في ساعات الفسحة وفي أيام العطلة ؛ فتعارفنا وتآلفنا ، ثم انقضت أربعة وعشرون عاماً فلم تكن تزيدني معرفته إلا يقيناً بأنه في الطبقة الاولى من رجال هذه الامة علماً وفضيلة واندفاعاً في سبيل الاصلاح . أقول

قولي هذا وأنا أكره الاسراف في كل شيء ولا سيما في الحكم بصفات الكمال على الرجال في مثل وطننا الضعيف

وتألفت في مدرسة دمشق في ذلك العام حلَقة صغيرة من الناشئة تعاهدوا على أن يبيعوا أنفسهم لله والوطن ، وأن يكونوا (وَقْفاً) على المصلحة العامة ، وكان من أركان هذه الحلقة شهيد اليوم الدكتور صالح قنباز الذي فقدناه برصاصة لعينة أطلقها عليه جندي فرنسوي في ثورة حماة الاخيرة ، وكان الدكتور يقوم ساعتئذ بواجب انساني على ما سأذكره لك بعدُ . ومن تلك الحلقة الصغيرة أيضاً شهيد الامس الامير عارف سعيد الشهابي الذي ما برحَ جندياً من جنود القومية العربية وأنصار الحضارة الاسلاميـة إلى أن أسلَمَ نفسَه الاخير على مشنقة جمال باشا (٤ رجب ١٣٣٤) . ومن الحلقة المذكورة أيضاً الاديب الفحل الدكتور صلاح الدين القاسمي الذي اختاره الله اليـه وهو في مقتبل الشباب فدُفن بمدينة الطائف (سنة ١٣٣٤ أيضاً) الى جانب حبر الاسلام عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ومحمد (بن الحنَفيّة) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . وكان المَثَل الاعلي لتلك الحلقة الصغيرة وهي في أيام الدراسة أن تعمل مع العاملين على انعاش روح العربية وعلى تحقيق فكرة الاصلاح الاسلامى [1] .

وكانت في دمشق يومئذ فضلا عن حلقة الناشئين والشباب حلقةٌ كبرى من رجال الاصلاح أشرتُ اليها في ترجمة المرحوم رفيق بك العظم (الزهراء ٢ : ٢٢٦ ـ ٢٢٧) فكانت الحلقةُ الكبرى قدوةً لحلقة الناشئة ، وكنتُ أنا على صلة بالحلقتين طول تلك المدة

---

(١) أي الحلقة الصغيرة التى كانت في مدرسة دمشق الثانوية عام ١٣٢٠ — ١٣٢١ ﻫ وذكرتُ هنا بعض اركانها هي جزء من جماعة كثيرة العدد من ناشئة دمشق كانت كلها متعاهدة على الوفاء للتاريخ الاسلامي ، والعمل للقومية العربية ، والاخذ بأسباب القوة والحياة بقدر الامكان . وانما اقتصرتُ على الثانوية بما كان في داخل المدرسة دون خارجها لأني في معرض ذكر ترجمة الدكتور صالح قنباز لا في صدد كتابة تاريخ النهضة

قضيتُ في حياة الدراسة ثلاثة عشر عاماً لقيتُ فيها ألوفاً من التلاميذ والطلبة ، واني لم أجد الى يومنا هذا من يفوق صالح قنباز في الحصول على أعظم نصيب من الذكاء والاجتهاد معاً . والمألوف في المدارس أن الطالب الذي له موهبة الذكاء كثيرا ما يعتمد عليها فيصبح قليل العناية بمذاكرة الدروس في أوقاتها ، والذين يكثرون من العناية بالدرس والمذاكرة يكونون في الغالب متوسطين في الذكاء . أما الدكتور صالح قنباز فكان في الطبقة العليا في ذلك كله وفي قوة الذاكرة والحفظ أيضاً وفي الاشتغال أثناء الدراسة بكل العلوم على السواء والتفوق فيها جميعاً ، مع أنه لو شاء الاعتماد على ذكائه وعلى إصغائه لاستاذه ساعة القاء الدرس لما احتاج الى أن يعاود المذاكرة بنفسه ولكان يضمن التفوق على الجميع . ويؤكدون أنه لم ينقطع يوماً واحداً عن المدرسة لافي زمن الدراسة الابتدائية ولا في زمن الدراستين الثانوية والعليا ، ولو شاء أن لا يحضر الدروس واعتمد على ما كان دائباً عليه من الاجتهاد والمذاكرة لضمن بذلك التفوق والاولية ، ولكنه جمع الى ذكائه اجتهاداً ودأباً لا نظير لهما فكان بذلك وباخلاقه وتقواه رجلا كلَّ الرجل . وكان يجد في المدرسة متسعاً من الوقت لأعمال اخرى ، وأذكر أنني شرعت معه ونحن في المدرسة الثانوية في ترجمة كتاب الحكيم الفرنسوي ديكارت في (العقل وأنه متساوٍ في الناس ولكنهم يتفاوتون في حسن استعماله) وفي هذا الكتاب أبحاث عويصة فيما وراء المادة ، ثم جاء وقت الامتحان السنوي فانقطعنا عن المضيّ في الترجمة

تلقى هذا الفقيد العزيز دروسه الاولية في مدرسة الأستاذ العلامة الجليل الشيخ سعيد النعسان مفتي مدينة حماة الآن ، وعنه أخذ مبادىء العلوم العربية والاسلامية ، وكان يومئذ موضع اعجاب أساتذته وجميع المختلفين الى تلك المدرسة من أهل الفضل . ولما أتمها سنة ١٣١٥ هـ بتفوّق عظيم انتقل الى مدرسة

حماة الاميرية وهى مؤلفة من خمسة صفوف : ثلاثة ابتدائية واثنان ثانويان ، فما ابثت منزلته أن ارتفعت في عيون اساتذته وصاروا يعدونه واحداً منهم ولا يعتبرونه تلميذاً . وقد صرَّح بذلك رفعت بك مديرُ تلك المدرسة فى خطبة ألقاها يوم الاحتفال باعطاء الفقيد شهادتها (ربيع الثاني ١٣٢٠هـ)

ولما جاءنا الى مدرسة دمشق الثانوية كانت الاولية فى الصف الذي التحق به الفقيد لفتيً من مسلمي جزيرة كريد ما برح محتفظاً بها منذ كان في الصفوف الابتدائية ولم يكن أحد من رفاقه يطمع بانتزاعها منه ، فما كاد صالح قنباز يلتحق بذلك الصف حتي بهر أساتذته بنبوغه ثم كانت الاوليـة له في آخر السنة بلا منازع . وكان استاذ الجبر والفلك في تلك المدرسة عوني بك مدير المعارف في ولاية سورية ومن كبار مؤلفي الترك في هذين العلمين ولم يكن ينال طالبٌ منه درجةً كاملة في الامتحان ، أما فقيدنا فكان موضع إعجابه واحترامه بما قام عنده من البراهين على نبوغه . وكان في أساتذة المدرسة من يستعين بصالح قنباز على حلِّ بعض ما يشكل من المسائل

أتمَّ الصديق الشهيد مدرسةَ دمشق ، وكان بقي عليَّ لاتمام الدراسة فيها سنة واحدة ، فدخل هو مدرسة الطب الدمشقية وانتقلتُ أنا الى بيروت فأتممت في مدرستها الاميرية السنة الاخيرة ، ثم ذهبتُ الى القسطنطينية فالتحقتُ بمدرسة الحقوق حتى اذا كنتُ في سنتها الثانية كتب الله لي الاجتماع بصديقي مرة أخرى فقد حضر الى العاصمة العثمانية [٢] ودخل في السنة الثالثة من مدرستها الطبية ، ووجدته عامئذ قد تقدّم في مواهبه ومعارفه ومقاصده العالية ، ومالبث أن بيَّض الله به وجوهنا هناك فكان حجّةً للعربي على ارتقاء المدارك بما ناله من التفوّق على الاقران ، ولكن ضيق ذات يده اضطره في العام القابل الى

(٢) حضر اليها يومئذ مع الشاب الفاضل المبرور فائز بك العظم رحمه الله

البقاء في مدرسة دمشق ومنها أخذ اجازته الطبية عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م)

ولما انتقل الفقيد من مدرسة العلم الى مدرسة العمل شرع بتنفيذ ما كان عاهد عليه اخوانه من استثمار مواهبه للمصلحة العامة ، وأن يعيش لقومه لا لنفسه ، فكان جندياً مقداماً ثم قائداً حكيما طول تلك المدة . ولا يعرف الحمويون مشروعاً نافعاً تمّ في وطنهم ولا حركة مباركة قاموا بها منذ كان طبيباً الى أن صار شهيداً الا كان هو على رأسها أو التيارَ الـكهربائي في أسلاكها

كان الدكتور صالح قنباز فقيهاً في الشرع الاسلامي وله في علم الفرائض كتاب لم يطبع بعد لعله أجود ما صنّف في هذا العلم . وكان عالماً في التاريخ ، ومعرفته بتاريخ أمته وتواريخ الامم الاخرى هي مما حبّب اليه قوميته وجعله وفياً لماضيه . وكان من أعلم أبناء وطننا في العلوم الرياضية والطبيعية ومراقباً باهتمام لما يحدث في العلوم الـكونية والطبية من آراء ونظريات . وكان مع كل ذلك ذا عقيدة راسخة كالجبال في سياستنا القومية ، ووجوب أن يكون كل رجل وكل امرأة جنوداً في جيش العمل للاستقلال الحقيقي في الاقتصاد والعلم والحُكم . وكما أنه لم ينقطع يوماً عن جميع المدارس التى تعلّم فيها فكذلك لم ينقطع عن أداء الصلوات الخمس بأوقاتها وصوم رمضان منذ بلغ الحـلم الى نال شرف الشهادة

ومن أعماله الظاهرة بعد إتمامه مدرسة الطب أنه تولّى تدريس العـلوم الطبيعية في مدرسة حماة الثانوية الى أول الحرب . وهو الركن الركين في تأسيس مدرسة (دار العلم والتربية) بحماة وتأليف الـكتب المدرسية لها [1] . وكنتُ أشرتُ في الزهراء (٩ : ٤٨٠) الى تأسيسه مع أفاضل حماة نادياً أدبياً فيها . والمزية الحقيقية لهذا الفقيد هي أنه كان يعمل ويريد أن لا يعرف أحد شيئاً من

(١) مما ألفه من كتب التدريس : ألف ـ باء ، علم الاشياء للصفوف الابتدائية ، كتب في العلوم الطبيعية للصفوف الثانوية ، كتاب الاقتصاد . وكان ينظم أناشيد مدرسية ووطنية للناشئة ، وكلها ذات مغزى نبيل . وله ديوان شعر غير مطبوع

عمله ، وعقيدته في ذلك أن نفسه وقفٌ على المصلحة العامة فهو لا يملكها حتى يتصرّف فيها ويرضى بالاعلان عنها، وكم له من عمل جليل بذاته ويراه هو تافها في جانب البرنامج الواسع الذي كان يتحين الفرص لا كماله . لذلك عاش غير معروف الا من المتصلين به المعجبين بمواهبه واخلاصه

وفي ربيع الثاني ١٣٤٢ (نوفمبر ١٩٢٣) ذهب الدكتور صالح قنباز الى فرنسا ليقف على ما جدَّ من التقدّم في الطب الباطني الذي تخصَّص به ، وليختبر بنفسه حالة أوربا ، وليفهم ممن يجتمع بهم من علمائها وساستها ما ينوونه لهذه الامة العربية وأوطانها . وقام بهذه الرحلة على أثر وفاة والده وشقيقتيه رحمهم الله وكان قضى في معالجة أمراضهم العضالة المؤلمة ثلاث سنين ، فلبث في فرنسا ثمانية أشهر لم يُضِع فيها ساعة واحدة الا بفائدة تتفق مع ما عاهد عليه اخوانه أيام الدراسة . وعاد من أوربا في ذي القعدة ١٣٤٢ فجاء الى القاهرة ونزل عندي مدة وجوده في هذه العاصمة الى أن حلَّ موسم الحجّ فقصد الى بيت الله الحرام مؤديا الفريضة ثم حضر الى حماة . وعلى أثر وصوله شرع في ترجمة كتاب المستشرق المجري (غولد صهر) في «الاسلام وشرعته» وقد ذكرتُ ذلك في الزهراء (١ : ٤٧٤) . وكتب لي مرةً أنه يودّ أن يبحث بحثاً دقيقاً مفصلا في تاريخ الطب العربي الاسلامي وسألني أن أوافيه بأسماء ما في القاهرة من المخطوطات التي تعينه على ذلك . ثم عوّل على مراسلة الزهراء بمقالاته ، فنشرتُ له واحدة منها (٨ : ٦٢٠) ، ونشبت الثورة في سورية بعد ذلك فشُغل بما هو أهم يومئذ

ولد الفقيد في حماة عام ١٣٠٣ هـ في أسرة غنية بالتقوى دون المال ، وقضى حياة قصيرة كلها فضيلة وحكمة وجهاد . وعند غروب شمس الاثنين ١٧ ربيع الأول ١٣٤٤ (٥ اكتوبر ١٩٢٥) ـ وكانت الثورة ناشبة في حماة والقوّات الفرنسوية تطلق جميع صنوف النيران على طلاب الحياة الشريفة من

أهل تلك المدينة ـ أطل الدكتور من منزله فرأى في الطريق وطنياً من ذوي قرباه مصاباً برصاصة فهرع لمعالجته ، وما كاد يمدّ الى ذلك المصاب يد الانسانية محاولاً تطهير جرحه وتضميده حتى أطلق عليه الجنود الفرنسويون رصاصهم مع أنهم رأوه يقوم بواجب الاسعاف وهو أعزل . ولم يجرؤ أحد على رفع جثة هذا العالم الكريم من الأرض فبقيت مطروحة الى أن خفّت وطأة النار فجاءت النساء وحملنه مبكيًا على الفضيلة التي كان تمثالها . وتعذّر دفنه في المقبرة العامة فدفن في أحد المساجد القريبة موقتاً ، ثم نقل بعد ثلاثة أيام الى مرقده المبارك

لقد عاش صالح قنباز مجاهداً ، ومات شهيداً ، قبل أن يكمل المهمّة التي انتدبَ لها . فعلى المعجبين به من النشء الجديد أن يقتدوا بسيرته ، ويبعثوا الطمأنينة الى روحه الطاهرة باكمال مهمّته

﴿ فكرة السنة القمرية في امريكا ﴾

انتهت لجنة اصلاح التقويم في جامعة الامم بامريكا من درس فكرة العمل بالسنة القمرية بدلا من السنة الشمسية ، وهي الآن على وشك أن تقدم تقريرها الى مجلس الجامعة . ومن رأي هـذه اللجنة أن تكون السنة ثلاثة عشر شهرا وأن يكون الشهر هلالياً ومدته أربعة أسابيع (٢٨ يومًا) . ومن مزايا هـذا النظام أن يبتديء كل شهر بنفس اليوم الذي يبتدىء به سائر الاشهر بمعنى أنه اذا وافق أول الشهر الاثنين ـ مثلا ـ يستمرّ ذلك في كل شهر ، فاذا قيل ان الحادثة الفلانيـة حدثت في اليوم الخامس من الشهر يفهم السامع في الحال أنها حدثت في يوم الجمعة . وجعلوا السنة ثلاثة عشر شهرا لتدور مع فصول السنة الشمسية بالضبط . غير أن السنة القمرية ستزيد يوما واحدا غير داخل في الاشهر الثلاثة عشر ، ومن رأي لجنة اصلاح التقويم أن تصطلح أمم الأرض جميعاً على اتخاذ ذلك اليوم عيداً وان تسميه « عيد الانسانية »

زفرة شيخ عربيّ جليل

- من قصيدة لشاعر العرب الكبير الشيخ عبد المحسن الكاظمي -

تولّى القلبَ شاغلُه جوًى عناه داخلُه
وما عنًى كمثل جوًى عديمٌ ما يماثله
إذا عاينتُه رجعتْ إلى قلبي قَواتله
وإن راجعتُه طلعت بآفاقي أوافله
وإن جانبته عملت بأرجائي عوامله
لقد بانت خصائصه لدُنْ بانت دخائله
فما تنجو فريسته إذا اشتبكت حبائله

***

بناني من دمى خُضبت وفي فَوْدَيَّ ناصله
ودمعي مثل ماء المُزْ نِ ريّ الهيم هاطله
أُحب الطيرَ تَلْتامُ على مثلي حواصِله
وأهوى البحرَ لا يدنو لغير البدر ساحله
وذي شرهٍ يخاتل بي حَمِيّاً لا يخاتله
له قصد يحاوله ولي قصدٌ أحاوله
كلانا مائل طرباً إذا ما مال مائله

***

إلى مَ يحزّ بي زمن طَريرُ الحدّ قاصله
ألا زمن يواتيني أرجيه وآمله
لوعدٍ ليس يخلفه ودَينٍ لا يماطله

يعاونني على حملي متى أعيت محامله
ويهديني الى عمل عظيم ضلّ عامله
بأعلى (الكرْخ) لي وطن وفي (مصرٍ) مُعادِله
وفي بغدادَ ينزِل بي هوىً في مصرَ نازله

***

جنى الانسانُ يوم جنى على الانسان عاقله
سواء في هوى الغايا ت عالمه وجاهله
ألا قوتلتَ يا إنسا نُ ، من هذا تقاتله ؟
أليس أخاك مَن تُرْدي وأختَكَ من تنازله ؟
ألا عطف تناشده ألا عدل تُسائله !
علي مَ انقضَّ منتدب كما انقضّتْ أجادِله ؟
وفي مَ الانتداب إذا غلا بالفتك غائله ؟
يموت الطفل من جوع ويحيا فيه قاتله
إذا النجحُ الذي جاءت تبشّرنا مخائله
إذا الفضل الذي نطقت بكلّ فم رسائله
كما البحر الذي انتشرت علي الدنيا سواحله
لقد صديت عواطشه كما صديت نواهله
طريق النجح قد وضحت علي الساري دلائله
ونهج الحق قد بعدت علي الباغي مراحله
فلا سارأي سار به ولا جوفنيل واصله
فلا كان الذي يسطو على ذي الحقّ باطله
وجيش الظلم لاصهلتْ بكلّ حمىً صواهله

يشيد الصَّرحَ واهيةً بلا أُسس معاقله
ويبني من قصور الوهـــم ما تبني قساطله
وروضٌ في الشآم نَدٍ وريفُ الظل شامله
ينمّق بُرْدَه الفضفا ضَ يرفل فيه رافله
نصيخ الى بلابله فتشجينا بلابله
كمثل الأيم تنساب إلى الوادي جداوله
تروّى أمسِ عاطشه ويظما اليومَ ناهله
فوالهفي على وطنٍ ولهفى لا يزايله
مفرّقة أكارمه مشرّدة أفاضله
مسهّدة حرائره مروّعة عقائله
يتيم لا وليٌّ له وطفل غاب عائله
وكلٌّ بين أضلعـه خَفوق القلب ذاهله
وهل يشجى سوى وطن مصائبـه تداوله
كأنَّ الدهر كاد لنا لدنْ غالت غوائله
فأدنانا تحملنـا وأقصاه تحامله

***

متى يَغدو لنا وطن كما الأوطان ماثله ؟
تطول بنـا حكومته إذا ما طال طائله
تحامى أن يَسودَ به مَسود الرأى فائله
ويأنفُ أن يطاوله طَموع لا نطاوله
ولا يأبى سيادتنا سديد الرأى فاضله
ومن كثرت مآربه فقد كثرت شواغله
ومن وسعت مطامعه فقد ضاقت منازله

الى المرأة

(مترجمة)

كوني فديتُك مثلَ الشمس مانحةً رُوحَ الحياة لهذا العالَم الفانى
ولا تكوني شبيهَ الشمس في كَلَفٍ يُزري بنور محيًّا منكِ فتّان

***

كوني لنا مثلَ هذا البدر مزدهراً بعهده [1] يصحب الدنيا الى الابدِ
ولا تكونيه يوماً في تقلبه يبدو على الدهر جمَّ الأوْجُهِ الجُدُدِ

***

كوني بجدك كالمُنطاد مرتفعاً إلى الأعالي يداني النجم في صعد
ولا تحاكيه في مسراه مُعتسِفاً يجري بغير عنانٍ غيرَ مُتئِدِ

***

كوني الزجاجَ صفاءً راق منظره وشفّ عما توارى فيه واحتجبا
وحاذري أن تكوني مثله خُلقاً أنّى هوي من يدٍ ألفيتِه انشعبا

***

كوني بصدقك كالمرآة صافيةً حسناء تصدُقنا الأوصافَ بالنظرِ
ولا تميطي لِثامَ الحقّ دائبةً إن الحقيقة قد تحتاج للستر

***

كوني كرملٍ دقيقٍ في نعومته ولطفه بين منثورٍ ومنتظم
ولا تكونيه إن البيتَ إن رُفعت منه القواعدُ فوق الرمل ينهدمِ

دمشق أحمد عبيد

---

(١) الازدهار بالشيء : الاحتفاظ به .

عارف حكمة بك

١٢٠٠ — ١٢٧٥ هـ

دقات قلب المرء قائلة له : ان الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للانسان عمر ثاني
« أحمد شوقي »

أصحاب الثروة والجاه في كل عصر ومصر كثيرون لايكاد يحصى عددهم ؛ وتطوي الارض كل يوم منهم اناساً لايكاد يذكرهم ذاكر ، أو يشكرهم شاكر ، حتى كأنْ لم يكونوا بالأمس وقليل من هؤلاء مَن يترك وراءه أثراً نافعاً يذكر به

ومن هذا القليل الموسرُ الغنيّ صاحب الجاه العليّ السيد عارف حكمة « شيخ الاسلام زمن السلطان عبد المجيد خان » فقد كان ممن وفقوا الى عمل البر وايلاء الجميل مدفوعاً الى ذلك بدافع الدين والانسانية وحب الذكر بعد الممات . ولم ير خدمة ينال بها الزلفى من ربه أجلّ من خدمة العلم وتسهيلِ أسبابه على منتجعيه وروّاده ، فأنشأ في المدينة المنورة - حيث ينسل اليها الناس من كل حدب وتقصد من كل فجّ - خزانة كتب تعد اليوم من أغنى خزائن الشرق وأحفلها بنوادر الآثار : ترنم بذكرها عشاق الأدب ، وعجزت عن وصفها الاقلام ومانسقت ، ضواقت بها الطروس وما وسقت ، حيث اشتملت قماطرها على كنوز لايعلم حقيقة قدرها إلا من عرف منشئها العظيم ومكانته من العلم والدين (١)

وقد اجتمع شيخ مشايخنا الامام أبو الثناء محمود شهاب الدين الألوسي المفسر بهذا الرجل الكبير في القسطنطينية ، ودارت بينهما مباحث علمية ومناقشات أدبية ، دلت على اضطلاعه ، وسعة اطلاعه ، وتفوّقه على علماء عصره

---

(١) سننشر فصلا عن (مكتبة عارف حكمة بك) بالمدينة بقلم الاستاذ صاحب هذا المقال

في معرفة الدين والفلسفة والعلوم العربية ـ فحمله اعجابه به على وضع كتاب [1] فيه ، ضمنه ترجمته وطرفاً مما قيل في مدحه ، والمباحث التي جرت سواقيها في في رياض المحاورة بينهما. بَيْدَ أنه بالغ في إطرائه والثناء عليه وعلى شيوخه ، ووصفه بما لا أراه يصدق على أحد من العالمين حتى ضاع القصد وتبعثرت الترجمة بين اظلال تلك العبارات الضخمة ، والسجعات الفخمة ، والمترادفات المترادفة والاوصاف المتساوقة ... وهي على حسنها وروعة ديباجتها قد ينفر منها قراء هذا العصر الذين اعتادوا على الكتابة المرسلة والاساليب السهلة التي لا تكلفهم في تفهم المعنى وتفسير الالفاظ اللغوية عناء . فعنّ لي أن الخص الكتاب وأقتطف منه أزهاراً أطرف بها التاريخ الحديث وفاء بذمة العلم والأدب واحياء لذكر هذا المحسن الكبير ، وذلك بعد أن رجعت الى كثير من المظانّ التي قد لا تضن علينا بما نسد به الفراغ الذي تركه أبو الثناء في كتابه ، مثل « قاموس الاعلام » و « غرائب الاغتراب » و « الرحلة الحجازية » و « ديوان العمري » وأحد أجزاء « تاريخ آداب اللغة العربية » وبعض أعداد « مجلة المقتبس » وغيرها ، فجاءت بعد البحث والتنقيب ـ كما ترى ـ بين التطويل الممل ، والايجاز المخل ، واليك هي : ـ

﴿ نسبه ونشأته ﴾ : هو السيد أحمد عارف حكمة بن ابراهيم بن عصمة بن رائف اسماعيل باشا من صدور السلطان سليم بن ابراهيم باشا ـ وينتهي نسبه الى بيت النبوة ومعدن الحكمة ومهبط الوحي الآلهي

وُضع في مهد الوجود بعيد الساعة السادسة من ليلة الاحد السابعة عشر من المحرم مفتتح شهور السنة الاولى من القرن الثالث عشر ، فلقبه والده

(١) أسماه (شهي النغم ، في ترجمة عارف الحكم) وهو يقع في ١٧٠ صفحة بقطع الربع

بـ (عارف)، وأشار هو بعدُ الى ذلك ببيتين شطّرهما وخمسهما أكثر ادباء العراق حتى بلغت في بغداد نحو خمسين ؛ وهما :

ألم تدلم بأن سماء فكري تلوح بافقها شمس المعارف
تفرس والدي فيّ المزايا فيوم ولدت لقبني بعارف

وأول ماتعاطاه حين ميز اليمين من الشمال أن تتبع الآثار فى تحصيل متعارف العلوم ، ونصب شبكة الفكر لاصطياد عنقاء غرائب الفنون ، وظل مجداً فى طريقه مواظباً على مانشأ عليه حتى عدَّ فى جملة فضلاء عصره وأعيان دهره . ومحاوراته العلمية والأدبية مع شيخ مشايخنا الامام أبي الثناء الألوسي أكبر دليل وأوضح برهان على اضطلاعه وغزارة مادته . ومن أراد أن يطلع على تلكم المحاورات الجليلة فليرجع الى « شهي النغم » و « غرائب الاغتراب » وكلاهما للامام الالوسي الكبير . وقد طبع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ فى مطبعة الشابندر ببغداد

(مشايخه) : ومشايخه الذين أخذ عنهم العلم فى صغره وكبره وحضره وسفره واستجازهم بأصناف العلوم على العادة الجارية بين رجال الدين ينيفون على مائة نخص منهم بالذكر العلامة الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار ، والشيخ حسن القويسني ، والشيخ حسن بن محمد العطار ، والشيخ محمد أمين الزيللي ، والشيخ علي الصيرفي ، والشيخ مصطفى البناني ، والشيخ علي السادانى ، والشيخ أحمد السردي ، والشيخ محمد بن محمد صالح الشعاب . والشيخ محمد ابن سليمان السكندرى ، والشيخ محمد عابد ، والشيخ اسماعيل الحامدى الحنفى ، والشيخ محمد الشهير بالامير ، والشيخ نصر الكافي والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج . والشيخ أحمد الطحطاوى الحنفى صاحب حاشية الدر المختار ، وقاضي العراق هبة الدين الشامى ، والشيخ السجاد زين العابدين جمل الليل ،

والعالم اللغوى الشهير الشيخ أحمد المالكى المغربى الشنقيطي صاحب منظومة عمود النسب التي شرحها في ثلاثة مجلدات استاذنا عالم العراق على الإطلاق السيد محمود شكرى الالوسى ، وعالم القرن الثالث عشر الامام المفسر الجليل والكاتب المبدع شهاب الدين محمود الالوسي صاحب تفسير روح المعانى . الى غيرهم من العلماء الاعلام . وكل من هؤلاء الاجلة أجازه مشافهة وتحريرا ، وفي كتاب شهي النغم طرف من ذلك * وأما من ثنى ركبتيه بين أيديهم ولازم دروسهم فهما اثنان : أحدهما الحاج عمر الاقشهرلي وثانيهما الاستاذ المعروف بدلي أمين

وكما كثر أساتذته ومجيزوه كثر من جعل من العلماء عنوان تأليفه اسمه ثم قدمه اليه لينال بنظره فيه رتبة سنية . . .

﴿ أسفاره وتقلبه في المناصب ﴾: لما بلغ من العمر ثماني وعشرين حجة خرج من بيت أبيه متجرداً عما يشغل قلبه ، وسعى على نجائب الشوق للطواف ببيت الله الحرام ، فعجّ وثجّ ، وطاف وحجّ ، وغمر فقراء البيت بعطفه وبرّه وانفق عليهم من حلال ماله مبلغاً جسيما . ثم كرّ راجعاً الى وطنه . وفي السنة الحادية والثلاثين من عمره قلّد قضاء القدس ، واتفق في تلك السنة قحط وغلاء أوقعا الناس في الشدة واللأواء ، فجلب من أقاصي البلاد بُراً كثيرا وقسمه على الخبازين فأعلن الناس بالسرور وأمر أن يباع الخبز بثمن زهيد فأمن الناس من الباس ونزعوا لباس الجوع ، ولم يزل يفعل ذلك حتى عمّ الخصب وصاروا في عيشة راضية . وبعد انقضاء السنة ، وصل بصلة العود وطنه . وفي السنة الرابعة والثلاثين جدّد العهد بالبيت العتيق فغمر الطائفين والعاكفين والركع السجود بجوده وإحسانه وانتفع به الناس كما انتفع به أهل المسجد الأقصي

وفي السنة السادسة والثلاثين عين على مصر القاهرة قاضياً فثافن فيها فضلاءها وأخذ عن شيوخها . ثم عاد على حسب العادة الى وطنه

وفي السنة الثامنة والثلاثين عين قاضياً على المدينة المنورة . ثم عاد كرهاً الى دار السلطنة ، وكان يحب الاقامة بأهله وعياله في دار مظهر الرحمة ، فأبدى له بعض مخلصيه محاذير تعنيه فيما يعنيه منها انتفاخ أوداج سوء الظن من السلطان وانفتاح أفواه الاعداء بأنواع الهذر والهذيان . الا أن الفتنة المصرية قد علا ضرامها وكاد يصل الى الاكليل هامها . فبقي ثاوياً على جمر الغضى ، ناوياً الرحيل اذا انقضى المحذور .

وفي السنة السادسة والاربعين من عمره أحب السلطان عبد المجيد أن يطلع على كمية نفوس رعاياه فعينه ناظر التحرير في ايالة (فلبه) من قطعة (روم ايلي)

وفي السنة السابعة والاربعين عين نقيباً على بني عمه الاشراف حيث إنه ذو نسب فخم ، وشرف ضخم . يستوفي شرف الارومة ، وكرم الأبوة والامومة . وبقي في نصب هذا المنصب ثلاث سنين . ثم جدَّ في الاستعفاء عنه وظل معتزلاً المناصب الى السنة السادسة والخمسين (1) فولي فيها الافتاء في مجلس الاحكام العدلية وعهد اليه بمهمة التفتيش في (روم ايلي) . وفي السنة المتممة للستين عين مفتياً في مجلس الشورى العسكرية . وبقي في هذا المنصب حتى انحلَّ عصام الحياة من جسد شيخ الاسلام مصطفى عاصم ، فأجلس على منصة المشيخة الاسلامية في غرة ذي الحجة من شهور السنة الثانية والستين من عمره فهنأه شعراء العراق والروم وغيرهما بقصائد وموشحات ذكر بعضها في (شهي النغم) ولم يزل يدير الفتيا بعدل وانصاف مدة سبعة أعوام ونصف حتى اقيل منها سنة ١٢٧٠ ﻫ فنصب مكانه (عارف بك) فقال فيهما شيخ شعراء العراق عبد الباقي العمري :

---

(١) زعم صاحب قاموس الاعلام : أنه ظل معتزلاً المناصب الى السنة الرابعة والخمسين فوجهت اليه رتبة (روم ايلي) وعين عضواً في مجلس الاحكام العدلية الخ

عزل ونصب صدرا دفعة من دارة الملك عن القدوتين
و (عارف) أعقبه (عارف) فلا خلا الشرع من العارفين

وقال يسليه :

أقول لمن في العزل من منصب يرى لمرتقم خفضاً وعنه احتفى الرمز
ألم تدر نصف المنصب المن عنـد من له عفة . والعزل أكثره العز ؟

﴿ وفاته ﴾ : وانكب بعد العزل على العبادة والمطالعة في داره حتى انشبت فيه المنية أظفارها سنة ١٢٧٥ هـ ، ودفن في المكان المسمى : (نوح قويسي) في القسطنطينية رحمه الله

﴿ أدبه وشعره ﴾ : له في اللغات الثلاث ـ العربية والفارسية والتركية ـ نظم لا أراه نفيساً جداً « يلهو به النديم عن تعاطي كئوس الخندريس » كما قالوا في نعته . ونحن نورد من شعره العربي هنا عيون ما أورده العلامة الآلوسي في (شهي النغم) نقلا عن مجموع المترجم الذي سماه مؤرخا لجمعه (الإشعار بأجلة الاشعار) ونترك الحكم الى العارفين بأساليب الشعر وأفانين كلام العرب . واليك :

مدى ليل الشباب رقدت لهوا وعيس الدهر بالاعمار تخدي
فأيقظني صباح الشيب لكن على ما فات حزني ليس يجدي

قبيص دجا شبابي شق دهري وكنت به اداري كل ضير
فمن كل الجوانب لاح شيبي فأرجو أن يكون صباح خير

ويوم من مواهبه أديرت علينا للسرور كؤوس خمر
رشفنا صرفها بأكف أنس ألذ من الوصال عقيب هجر

ولما تثنى قده وهو مفرد وللحلي رناث تهيج أشواقي
تذكرت غصناً حركته يد الصبا وقد هتفت من فوقه ذات أطواق

أبرقم منظر المرآة عنه مخافة أن تثنيه لعبق
أقاسي ما اقاسي وهو فذ فكيف اذا تجلى فرقدين (١)

ولما بكت قرية في أراكة بمقد اللوى بين الطلول الدوارس

(١) قال الامام الالوسي : رأيت بالفارسية ما يرشح عليه شيء من هـذا المعنى وهو :
احول خواهم دوجشم وحدب بيرزا تا انكه بيك نظر دو بارت بينم

تذكرت حياً طاب عيشي بانسهم وصاروا بقلب الدهر مثل الهواجس
فأطلقت من قيد الجفون مدامعي وكان بكف الفجر طوق الحنادس

اذا ما جن ليل الهم يوما وضاجعك العناء ولا براح
ترقب تجتلي فرحا قريباً فهل ليل وليس له صباح ؟

ولو كانت الاقدار تسعف بالمنى وساعدني دهري وحاولني الهنا
فلا وبقاء الدهر لا أستلذها اذا كان غايات الجميع الى فنا

اذا ما دهتني طارقات شدائد وطال على الليل والصبح نازح
وضاجعني كرب وسامرني العنا وزند الاسى بين الجوانح قادح
لجأت الى باب الكريم وكم له لمثلي من كشف الكروب موانح

في حي ليلى ليلات لنا سلفت نرعى النجوم وطرف الدهر نعسان
منها لاوقات عمري منظر حسن كأنهن بوجه الدهر خيلان

ان الأئمة كالمناهل في الهدى والناس مثل الوارد الظمآن
والنفس ان رويت بأول منهل غنيت بلا كره لشرب الثاني

زارني والثغر تجلي بلماه كأس راح
وجنح الليل مسك فوق كافور الصباح
ورياض الانس من خديه تزهو بأقاح
ولدر الطل عقد فوق أجياد الاقاحي
والصبا جر ذيولا فوق آكام البطاح
وتثني مزهرات الـ غصن في أعلى الوشاح
ولنشر الروض سر شاع في طي الرياح
وعيون الروض قد أيقظ ورق بصياح
رشأ يرمق بالبيض ويمشي برماح
يقتل الصب ولو هو أسد شاكي السلاح
يبدو البدر بجنح الـ شعر منه باتضاح
ثمل الطرف ومنه صاح قلبي ليس صاحي؟
قلت أهلا بأعز من صباح وصباح
ليت يانشوة كأسي من لماك اصطباحي
ليت نشري عمر صب مستهام بالكفاح
مهجتي القرحى جزيح الـ حب من غير سلاح
مرهم الكافور هل جيدك يعطي لجراحي

فطوى كشح دلال بين جد ومزاح
ودنا والغيظ من لحـ ظيه يسطو بصفاح
قلت تاعذرني ولولا الذنب يأخذن السماح
هل على المجنون أفتو نا لديكم من جناح ؟
هل نسيت العهد أم ذا أبدا دأب الملاح ؟
بينما نحن على ذا ك التقاضي والتلاحي
فتنبهت على الصبح وقد لاح فلاحي

***

وبعد فلنجتزيء بهذا المقدار من نظمه . . . وقد قال العلامة الالوسي « وقد أخبرني (يعني المترجم) أن له من الآثار الادبية نثراً ونظما ، مالو أفرد بالجمع لكان جلدا ضخماً ، وله أرجوزة طويلة جداً أتى فيها بالعجب العجاب ، وفيها من وصف قضاة هذا الزمان ما هو عليهم لو يعقلون أمر من مر القضاء على الانسان الخ » .

بغداد محمد بهجة الأثري

﴿ ثراء مصر ومعارفها ﴾

قال جلالة ملك مصر لمراسل جريدة الديبا الفرنسوية : « ان بلداً كمصر ينتج سبعة ملايين و ٨٠٠ الف قنطار من القطن لاغرو اذا رغب في الاستفادة من حسنات الثقافة والتعليم ، ولا عجب إذا عُني مليكه بأن يُكسبه قيمة أدبية وعقلية تضارع ثروته المادية والاقتصادية وليستفيد عملياً في تحسين وسائل المعيشة وفي ترقية الزراعة نفسها »

وقد أنشأ أحمد جودت بك صاحب جريدة اقدام التركية مقالة افتتاحية في عدد ١٠٣٤٩ من جريدته بناها على هذه الكلمة التي صرح بها جلالة ملك مصر واستدل بها على أن ارتقاء المعارف لا يكون الا نتيجة للتقدم العمراني وإحكام النظام الاقتصادي والمالي .

حركة النشر والتأليف

﴿ نابوليون بونابرت ﴾

مطبعة مصر * المكتبة السلفية : ٤٥٠ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ٤٠ قرشاً

الاستاذ أحمد حافظ بك عوض من شيوخ الصحافة في المملكة المصرية ، دخلها مجهزاً لها بوسائل التفوق ، وقطع معها مراحل الدعوة الى العزة والصلاح ولم يشأ أن يجعل بره لقوميته مقصوراً على عمله اليومي فى الصحف الكبرى التي تولى تحريرها ، فكان كلما اختلس من وقته زمن فراغ شغله بعمل نافع . وبينما الناس لا يزالون يذكرون له بالخير كتابه « من والد الى ولده » إذا به قد طلع عليهم بكتابه الجديد عن حقبة من تاريخ مصر هي طليعة التاريخ العصرى ، أعني زمن احتلال الفرنسويين مصر ، وما كان لهم فيها من خير أو شر. فجاء كتاباً ممتعاً مدعماً بالوثائق والمستندات وبين يدي الكتاب مدخل في وصف حالة مصر قبل الحملة الفرنسوية ، أتى فيه الاستاذ حافظ بك على ذكر المماليك ونشأتهم وطبقاتهم وثروتهم ، وعلى الفتح العثماني ، والحالة الادارية والاقتصادية لمصر قبل الحملة ، وما كان من استعمار الانكليز في الهند وتأثيره على مصر ، الى غير ذلك مما ينوّر أمام القارىء سبيله الى فهم الزمن الذي جاء فيه الفرنسويون مصر واحتلوها . ثم ذكر تاريخ فكرة الحملة الفرنسية ونشأة نابليون ، وانتقل الى بيان تاريخ الحملة منذ نزلت الاسكندرية الى أن جاءت القاهرة وما نزل بسكان العاصمة المصرية من بلاء فى ذلك اليوم (٧صفر ١٢١٣ـ ٢١ يوليو ١٧٩٨) . وقد تجنب حافظ بك تفصيل الوقائع العسكرية بقدر الامكان لانه أراد أن يكون كتابه موضع تمحيص الحقائق التاريخية اكثر مما هو مجموعة وقائع وقصص . ويجد القارىء في هذا الكتاب بعد ذلك نظام بونابرت لحكومة مصر ، والادوار الثلاثة التى مرت

عليه في وادي النيل : الاول ينتهي بمعركة أبي قير ، والثاني ينتهي بثورة القاهرة (٢١ جمادى الاولى سنة ١٢١٣) ، والثالث بسفره الى غزو الشام . وقد وصف المؤلف حالة مصر أثناء غياب بونابرت في حرب الشام ، وفي أيام نابليون الأخيرة في مصر بعد عودته اليها .

ان حافظ بك قد وفى هذه الحلقة من تاريخ مصر حقها من العناية . ولم يفرّط في شيء من المصادر العربية والافرنجية التي يصح الاعتماد عليها . لذلك كان لكتابه المكانة التي هو جدير بها عند العلماء والقراء

﴿ النقد والبيان في دفع أوهام خزيران ﴾

مطبعة الترقي بدمشق ✽ ١٣٩ ص بقطع الزهراء

هو عنوان كتاب ألفه الاستاذ العالم الجليل الشيخ محمد كامل القصّاب من رجال دمشق الذين تفتخر بهم والاستاذ الفاضل السيد محمد عز الدين القسّام ، وقد جمعا فيه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال علماء المذاهب الاسلامية على أن الصياح في التهليل والتكبير وغيرها أمام الجنائز مكروه تحريماً وبدعة قبيحة يجب على علماء المسلمين انكارها وعلى كل قادر ازالتها . وفي آخر الكتاب شهادات طائفة عظيمة من علماء المسلمين مؤيدة لذلك

والذي أنا أفهمه من معاني ذكر الله تعالى وحكمته الدينية أن الواجب على المسلم أن يذكر الله تعالى في كل حال من أحواله فاذا كان الرجل بائع لحم وأراد أن يبيع شيئاً من سلعته يجب عليه أن يذكر الله تعالى ويتفكر في أوامره ونواهيه فلا يبخس المشتري بالوزن ولا يغش ما يبيعه له . واذا كان بائع بز يجب عليه أن يذكر الله تعالى فلا ينقص الكيل . واذا كان يحدّث أحداً فيجب عليه أن يذكر الله ويخشاه فلا يكذب في حديثه . أما الذكر الذي تتشنج به حلوق الشحاذين أمام الجنائز وفي مثل هذه المواقف فمن العار على أهل البيت أن

يسيئوا به الى الميت ، ومن العار على علماء المسلمين أن يسيروا في جنازة يكون فيها هذا الخزي ، لأن هذا ليس من الدعاء ، والدعاء المشروع في الاسلام هو الذي أمرنا به الله تعالى بقوله « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما أن أبا موسى الأشعري قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم : انكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ، انكم تدعون سميعاً بصيراً » الخ . وما أجمل قول شوقي :

أرى زُمَراً مشيّعةً وأسمع أيّما صوتِ
ولو عقلوا لَمَا فعلوا جلالُ الموت في الموتِ

﴿ حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾

للمطبعة السلفية ومكتبتها * ٤٥٧ ص بقطع الزهراء : ثمنه ١٥ قرشاً

الأستاذ العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية السابق من كبار علماء المسلمين في هذا العصر ، وركن من أركان هيئة كبار العلماء التي أصدرت حكمها في كتاب الاسلام وأصول الحكم (انظر الزهراء ١ : ٦٥٧ و٢ : ٢٣٨) . وقد رأى فضيلته أن يشبع الكلام على ذلك الكتاب وأن يعرض أبحاثه على مصادر الشرع الاسلامي ليعلم القارىء مبلغ تآلفهما أو تخالفهما فصنف كتابه (حقيقة الاسلام وأصول الحكم) في مجلد كبير أثناء اشتغاله بتأليف حاشيته على منهاج الاصول للبيضاوى التي تطبع في مطبعتنا وباعمال علمية أخرى ومنها دروسه المتعددة . وقد جاء كتابه هذا حافلاً بالابحاث الكثيرة التي تعرض لها مؤلف كتاب الاسلام وأصول الحكم . والتزم تقسيم الرد وتبويبه بحسب تقسيم الكتاب المردود عليه فسار معه باباً باباً وقضية قضية

ولما بلغ الاستاذ المؤلف الى نقض الكتاب الثاني من كتاب الشيخ علي عبد الرازق ورآه يذكر أن نظام الحكم في عهد النبوة كان مبهماً لينفي ان النبي

صلى الله عليه وسلم شرع لامته حكومة ذات أنظمة هي قدوة للخلفاء من بعده ، فأورد الاستاذ المؤلف لنقض هذه الدعوى خلاصة الابواب والفصول التي جاءت في كتاب تخريج الدلالات السمعية وفي كتاب نهاية الايجاز لرفاعة بك متضمنة ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من نظام حكومي وعمالات ووظائف مالية وادارية بحسب الحاجة في تلك البيئة . والكتاب مطبوع في مطبعتنا السلفية ويطلب من مكتبتها

﴿ هدى الرسول ﴾

المطبعة العربية ، المكتبة السلفية * ٢٢٨ ص : ثمنه ١٠ قروش

ليست سيرة سيد الدعاة وعلم الهداية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم تاريخ وقائع فقط ، وانما هي ينبوع اصلاح ونور هدى . لذلك يجب على من يحاول كتابتها فى كل عصر أن لا يقتصر على استمدادها من كتب التاريخ بل يجب أن يطيل النظر فى كتب الحديث الصحيحة ، وأن يتأمل فى كنه هذه الهداية التي كانت اصلاحاً عملياً لأمراض البشر الاجتماعية فأقبلوا عليها بسرعة عجيبة لم يسبق لها مثيل فى غيرها . وانك لا تكاد تجد هداية دينية كالهداية المحمدية يمكن أن تسير الى جانب الاصلاح فى كل عصر فتكون عوناً له وحاضة عليه . وقد نظر علامة المسلمين ابن القيم الى السيرة المحمدية من هذه الوجهه عند ما الف كتابه (زاد المعاد في هدى خير العباد) غير أنه توسع في بعض مباحثه فجاء فى مجلدين كبيرين ، فأراد العالم السلفى الفاضل الشيخ محمد أبو زيد أن يسهل على الجمهور الاستفادة من جواهر هذا الكتاب فاختصره في جزء لطيف الحجم جميل الطبع . وكان قد طبعه منذ بضع سنين فأقبل الناس عليه ونفذت نسخه . وبين أيدينا الآن نسخة من طبعته الثانية أجمل من الاولى وهي جديرة بأن تزدان بها مكتبة كل مسلم

أنباء اجتماعية

الخمرة في الافغانستان

لا يسمح في بلاد الافغان بدخول الخمرة من جماركها الا للاجانب من غير المسلمين بكميات تحددها وزارة الخارجية الافغانية، مقابل رسوم جمركية قدرها ١٠ في المائة، واذا حاول التجار أو غيرهم تهريب الخمرة بلا علم من الحكومة تتلف البضاعة المهربة ويسجن المهرب ٣ أعوام ويغرم نصف قيمة الخمور المهربة

حفلة عربية في برلين

أقامت الجمعية العربية في برلين حفلة تكريم للأمير شكيب يوم ٣١ يناير (١٦ رجب) اشترك فيها أساتذة الجامعة وعلية القوم. وقد خطب الامير يومئذ فقال ان وطننا أقدم بلاد الارض حضارة وفيه نشأ أعظم الانبياء، وهو أهل التمتع بحريته واستقلاله * ومن خطب يومئذ الاستاذ (كاميف ماير) صديق العرب والاسلام، فتكلم عن النهضة العربية وأطراها كثيراً * وخطب أحد أعضاء الراشستاغ خطبة تضمنت كريم العواطف نحو العرب وجدارتهم بالحياة السعيدة

مسجد ابن طولون

ستنشيء مصلحة التنظيم ميداناً كبيراً حول مسجد أحمد بن طولون وتقيم في وسطه متنزهاً صغيراً وتوسع شارع الوطاويط المؤدي اليه بحيث يصبح عرضه عشرين متراً، وهذا التخطيط يشابه من وجوه كثيرة التخطيط الذي رسم لميدان الازهر والطريق المؤدي اليه

تضامن أوربا التجاري

قال مستر بلدوين في خطبة استعرض فيها حوادث سنة ١٩٢٥ مبتهجاً بتوازن الحالة المالية في ألمانيا «لقد أدركنا الآن أننا لا حاجة لنا بالجيران الفقراء، بل نريد جيراناً أغنياء، لتتقدم بهم التجارة الاوربية وتحيا»

مستشفيات جرجا

احتفلت مديرية جرجا يوم ٩ يناير (٢٤ جمادى الثانية) بوضع الحجر الاساسي لمستشفى الامير فاروق بمدينة إخميم، وقد اشترك الاعيان في نفقاته. وتبرع الاعيان أيضاً لمستشفى في طهطا ومستشفيات أخرى في سائر مراكز جرجا

القرآن في مدارس التعليم الالزامي

افتخضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر نظر وزارة المعارف العمومية الى اهمال تعليم القرآن الحكيم في مدارس التعليم الالزامي التي انشئت حديثا . فأجابته الوزارة بأن الذي تأسس من هذه المدارس هو الفرقة الاولى فقط وتلاميذها يجهلون القراءة والكتابة ، فبدىء بتعليمهم التهجي أولا الى أن يعرفوا القراءة والكتابة وعندئذ يشتغلون بحفظ القرآن الكريم . وقد ألفت الوزارة لجنة للبحث عن وسائل نشر القرآن وحفظه وستعرض ابحاثها على الوزارة عما قريب

حفظ القرآن

منح مجلس مديرية المنيا مكافأة قدرها ثلاثمائة جنيه مصري للتلاميذ الذين أحسنوا حفظ القرآن الحكيم في تلك المديرية

المحمل الشامي

يستأنف سفر المحمل الشامي الى الحرمين الشريفين بعد أن انقطع عن ذلك من سنوات الحرب العظمى

مؤتمر الخلافة

قرر المجلس الاداري المؤتمر الاسلامي العام للخلافة — برئاسة فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر — تعيين يوم الخميس غرة ذي القعدة سنة ١٣٤٤ للافتتاح مؤتمر الخلافة ، وناط بلجنة من أعضائه وضع صيغة الدعوة التي وجهت الى الامم الاسلامية وبيان شروط المندوبين وكيفية تمثيل الامم الاسلامية في المؤتمر

خزان مكوار

احتفل يوم ٧ رجب (٢٠ يناير) بافتتاح خزان مكوار في السودان ، وهو خزان على النيل يبلغ طوله ميلين وأقصى ارتفاع له ١٢٨ قدماً وزنه من مواد البناء مليون طن ، وسيكون الخزان الذي فوق السد كبحيرة طولها ثلاثون ميلا ، ويبلغ مجموع طول القناة الاساسية سبعين ميلا وطول الترع (الجداول) المتفرعة منها ٥٥٨ ميلا واشتغل في هذا السد عشرون الف عامل . وفوق السد طريق وسكة حديدية ستصل الى كسلا . وقد اشترك البريطانيون بأحد عشر مليون جنيه وربع مليون جنيه في اقامة هذا السد

مصر في المؤتمرات

* ندب حسن شاكر افلاطون بك — مدير قسم الأبحاث الزراعية — لتمثيل مصر في (مؤتمر الجراد) بدمشق

* يقوم أحد القناصل المصريين في ايطاليا بتمثيل مصر في (مؤتمر الطرق) الذي يعقد في مدينة ميلانو منذ أول أبريل .

* ستعين مصر مندوبيها الى (مؤتمر اللاسلكي) الذي يعقد في واشنطن هذه السنة

* طلب المندوب المصري في (معهد الزراعة الدولي) بمدينة رومية بيانات من الحكومة المصرية عن أبحاث وزارة الزراعة — ولاسيما ما يتعلق منها بآفات القطن — ليعرضها في اجتماع أول أبريل

* اقترحت الجمعية الدولية الدائمة لمؤتمرات الملاحة ببروكسل على الحكومة المصرية تعيين مندوب يمثلها في اللجنة المشار اليها

* يقوم الدكتور حسن افندي كمال — الطبيب بمستشفى الحميات بالعباسية — بتمثيل الحكومة المصرية في المؤتمر الطبي بتونس من ٣ أبريل الى ١٢ منه

لبنان والوحدة السورية

اقتطع الفرنسيون عام ١٩٢٠ بلاداً من سوريا وأعطوها هي وبعض السواحل لحكومة لبنان الصغير ، وجعلوه بذلك لبناناً كبيراً ، فصار نصف سكان لبنان الكبير من المسلمين بعد أن كانت أكثرية لبنان الصغير من النصارى . وكان لبنان الصغير معفى من أكثر الضرائب فبقيت له هذه المزية بينما الضرائب الكثيرة يدفعها سكان البلاد الملحقة به وأكثرهم من المسلمين ، فتقوم نفقات الحكومة على عواتقهم ويتمتع سكان لبنان الصغير بالسيطرة والكلمة النافذة . وكان سكان البلاد الملحقة بلبنان ما برحوا يحتجون على الحاقهم به بلا مشورة منهم ثم نشطوا الآن في الاحتجاج بأصوات عالية . فكتبت جريدة (الاوريان) اللبنانية مقالة اقترحت بها على السلطة الفرنسوية أن تُعدم بالرصاص هؤلاء المحتجين ، وكتبت مقالة أخرى قالت فيها لمسلمي لبنان اذا لم يعجبكم النظام الحاضر فاذهبوا الى سوريا الداخلية وارحلوا عن بلاد لا نرى لكم رأياً في تعيين مصيرها . وكتبت جريدة الاحوال مقالة تنفث فيها سموم

الشقاق بين حلب وامها سوريا ، وكذلك بين حوران وعقيدة الوحدة . وهم يجهدون أنفسهم في مواصلة هذا النعيب مع أنهم يعلمون انهم انما يضربون في فولاذ بارد ...

دليل لمصر

عقدت لجنة الدليل والمطبوعات لمؤتمر الملاحة الدولي الرابع عشر بالقاهرة جلسة برئاسة اسماعيل سرى باشا قررت فيها تأليف (دليل) يستعين به أعضاء مؤتمر الملاحة الدولي على تكوين رأي لهم عن حالة مصر الحاضرة من الوجهات الجغرافية والتاريخية والاثرية والاقتصادية وأن يوزع انشاؤه على طائفة من الاخصائيين ليكون ذا موضوعات تصور شئون الحياة في مصر بمختلف أشكالها وضروبها ، وأن تتولى لجنة الدليل مهمة توحيد أعمال هؤلاء الاخصائيين * وهذا المؤتمر سينعقد في أول ديسمبر سنة ١٩٢٦

اسطول تجاري هندي

أعلن نائب الملك في الهند انشاء اسطول تجاري هندي يرفع العلم الابيض ويستخدم الهنود فيه ضباطاً

في المعارف

* تقرر ارسال ١٠٠ طالب من طلبة مدرسة المعلمين العليا الى الاقصر وأسوان لزيارتهما والتدرب على أعمال البعثات العلمية ليتمكنوا من القيام بهذه المهمة اذا تولوا صناعة التدريس

* تهتم المدارس الانكليزية برحلة تخترق فيها القارة الافريقية من الكاب الى القاهرة بالسيارات . وقد أخذت تدخل في دروس الجغرافيا الطريق الذي سلكته السيارات في قلب افريقية

* اشتركت مدارس كثيرة في عرض مصنوعاتها في المعرض الصناعي الزراعي العام وسنصفه وصفاً وافياً في الجزء الآتي

* اقترحت النقابة الزراعية العامة على الحكومة المصرية انشاء مدرستين لتعليم أساليب التعاون : واحدة في الوجه البحري ، والاخرى في الوجه القبلي ، لتخريج عمال كفاة للاشتغال في شركات التعاون عند ما يكثر عددها في البلاد ، أو تدريس موادّ التعاون في المدارس التجارية والزراعية وفي المدارس الليلية

* أبدى مسيو السندريني — من كبار المهندسين الذين عملوا في خزان

مكوارث عجيبة لمندوب الصحافة المصرية من أن طلبة مدرسة الهندسة لم يحضروا حفلة افتتاح هذا الخزان ، ومن أنهم لا يمكنون في أمثال هذه الفرصة من زيارة المشروعات الهندسية الكبرى

* قام طلبة الفرقة النهائية في مدرسة التجارة العليا برحلة علمية الى الاسكندرية يوم ١٠ رجب تفقدوا فيها الأعمال التجارية والمالية وزاروا الجمرك ، والميناء والفنارات ، وفرع بنك مصر ، وبورصة الأوراق والعقود ، ومصنع الورق بالمحمودية ، وبورصة ميناء البصل ، وشركة مكابس القطن ، ومعامل الزيت والصابون بالمكس وأحواض شركة البواخر الخديوية وشركة النسيج . وعادوا يوم ١٥ رجب

* تفكر وزارة المعارف المصرية في اصلاح صندوق التوفير بالمدارس الاميرية ليكون وسيلة لتربية ملكة الاقتصاد في نفوس الطلبة الذين يتناولون من أهلهم مصروفا يمكنهم من توفير جزء منه

* تقدر ميزانية المعارف المصرية للسنة الجديدة بمبلغ ١٩٦٤٥٥ جنيها مصريا ولا يدخل فيها ما ينفق على بعثات وزارة الحربية

رئيس الاشبال

أعلن حضرة محمد بك خالد حسنين — في الحفلة الباهرة التي أقامتها المدرسة الثانوية الملكية بالقاهرة يوم ٤ رجب لعرض فرقة الكشافة ومصنوعاتها — أن جلالة الملك قبل أن يكون سمو ولي العهد الامير فاروق (رئيساً للاشبال) أي صغار الكشافة

مصر في الشام

زار الاستاذ صبري بك — مستشار قنصل مصر العام في بيروت — مدينة دمشق فأقام له الطلبة المصريون في مدرسة دمشق الطبية حفلة اشترك فيها وزير المعارف السورية وكبار رجال العلم من عرب وفرنسويين . وقد خطب الدكتور عسل فقال « ان المصريين بدمشق لا يعدون أنفسهم غرباء ، بل هم يرون أنفسهم في وطنهم » . وتكلم المحتفل به فقال « ان روابط سوريا ومصر مابرحت متصلة العرى منذ سبعة آلاف سنة ، وان التهذيب السوري ظاهر في النهضة المصرية » وتمنى أن تظل الامتان متحدتين لخير الشرق وسعادته

﴿ مدرسة بحرية مصرية ﴾

عهدت وزارة المواصلات الى الكابتن ماير الضابط البحري في البارجة التي يتعلم فيها أحد أفراد البعثة المصرية الفنون البحرية ببلاد الانكليز أن يضع لها تقريراً فيما يراه لتأسيس مدرسة بحرية مصرية ، فأرسل اليها تقريراً يقرر فيه فكرة انشاء مدرسة بحرية في مصر ويقدر المال الذي يستلزمه اعداد باخرة تتخذ مدرسة بحرية بمبلغ ٣٥٠٠٠ جنيه مصري ، ويلزم لقائدها الاول راتب سنوي بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ جنيه ولقائدها الثاني راتب بين ٤٠٠ و ٦٠٠ جنيه وللثالث راتب بين ٦٥٠ و ٩٠٠ جنيه ويعاونهم ضابطان مصريان وثلاثة مساعدين وطبيب بحري

﴿ اسطول تجاري لمصر ﴾

قررت الحكومة المصرية انشاء اسطول تجاري مؤلف من عشر بواخر يبتدأ الآن بشراء باخرتين منها لتكونا نواة لهذا الاسطول ، ويقدرون ثمن الباخرتين بمائتين وسبعين ألف جنيه ، وستقومان بنقل البضائع في البحار بين مصر وأوربا . قالت اللجنة المالية التي درست هذا الموضوع : وكان ينبغي للحكومة أن تترك مثل هذا العمل التجاري للشركات والأفراد ، ولكن عدم بلوغ التعليم المستوى الذي يُخرج من أبناء البلاد من يتولى مثل هذا العمل واضطرار الحكومة لتدبير أعمال لجيش كبير من خريجي المدارس لا عمل لهم مطلقاً دعاها الى أن تتقدم الشركات والأفراد بهذا العمل ريثما يوجد في البلاد من يحل محلها فيه

﴿ الكتاب الاخضر المصري ﴾

أصدرت وزارة الخارجية المصرية (كتاباً أخضر) مشتملا على الوثائق الخاصة بالاتفاق الايطالي المصري المؤرخ في ٦ ديسمبر ١٩٢٥ (١٩ جمادى الاولى ١٣٤٤) بشأن جغبوب . وهو يشتمل على سبع وثائق : نص الاتفاق ، والخريطة الملحقة به ، ومحضر التوقيع ، وكتابين متبادلين بين وزير الخارجية المصرية ورئيس الوفد الايطالي ، وكتاب من وزير مصر المفوض في القسطنطينية وله ملحقان ، والخريطة الملحقة بالمرسوم العثماني الصادر بتولية ساكن الجنان محمد علي باشا ، وخريطة المضاهاة بين حدودها في ذلك المرسوم وحدودها الحالية

نادٍ للعمال بالقاهرة

نالت نقابة عمال السكك الحديدية ومصالح الحكومة هبة ملكية قدرها ثلاثة آلاف جنيه ، فقررت النقابة أن تشتري بها عقاراً تقيم في جزء منه ندوةً عامة للعمال – وهي الاولى من نوعها في القطر المصري – وقررت النقابة أيضاً ابدال اسم (نقابة عمال السكك الحديدية ومصالح الحكومة) باسم (نقابة عمال القطر المصري) كي ينفسح المجال لمن يريد الانضمام اليها من باقي الهيئات والطوائف التي ليست تابعة للحكومة

شمال العراق وجنوبه

تسكن العراقَ أمة عربيــة تخالطها أقلية صغيرة من الكرد في البلاد الشمالية، والى جانبها أوزاع من النصارى العراقيين لا يزيد عددهم على خمســة آلاف نسمة صار الانكليز يسمونهم بعد الحرب العظمى باسم (أشوزيين !) . وقد بدت الآن فكرة أقلقت بال العراقيين وهو ايجـاد وطن كردي وآخر آشـوري في القسم الشمالي من العراق مع أن الدستور العراقي لم يميز بين عنصر وعنصر من سكان العراق. واذا تحقق شيء من هذه الفكرة ولا سيما الشطر الاشوري منها فسيكون مهزلة مضحكة زيادة على مهزلة تلك الدول التي تقطعت بها أوصال البلاد الشامية . وليست مصيبة العراقيين مقصورة على ما يتهددهم من هــذا القبيل في الجانب الشمالي من وطنهم بل ان جانبه الجنوبي وهو منطقة البصرة مابرح بيد الانكليز فعلاً بالرغم من مسحة الحكم الوطني الذي يبدو فيها

جراية الحجاز

ترسل الحكومة المصرية الى الحجاز في هذا العام ٢٠٢٣٥ أردباً من القمح الجديد لتتولى حكومة الحجاز توزيعها على مستحقيها حسب المعتاد

المطارات في الشرق

* اقترح مستشار الطيران بوزارة المواصـلات المصرية انشـاء مطار للطيارات البحرية في مرفأ الإسكندرية الذي تفكر الحكومة في تحسينه وتوسيعه

* كتب الى جريدة (حضرموت) من عــدن ان حكومتها أرسلت بعض موظفيها الى ناحيــة قبائل يافع في اليمن ليضعوا لهـا تقريراً عن الجهات الملائمة لانشاء مطار هناك



ج٨ : م٢ القاهرة شعبان ١٣٤٤

الكرات العربية السماوية

قرأت في العدد الماضي من مجلة (الزهراء) مقالا ممتعاً للعلامة الكبير سعادة أحمد تيمور باشا تكلم فيه عن « الكرات العربية الارضية والفلكية »

ولقد تلقف صديقي الجليل هذه الكرات كرة كرة فأحاط بوصف كل منها وذكر فيما ذكر من الطرق العلمية كل ما يتعلق بصانعيها والزمن الذي صنعت فيه والمهداة اليهم من الملوك والامراء . ثم أشار في خاتمة مقاله النفيس الى كرة فلكية مصرية صنعها قيصر بن أبي القاسم للملك الكامل ملك مصر جاء وصفها في كتاب وقع لي حديثاً وختم مقاله متفضلا بترك الكلام لي عن هذه الكرة

قرأت هذا البحث وتتبعت فصوله بما هي جديرة به من الاعجاب حتى بلغت الفصل الذي ذكر فيه « كرة علم الدين قيصر » فأذكرني هذا اسم صانع « الكرة الفلكية المصرية » التي أشار اليها فبادرت الى مراجعة اسمه وتاريخ عمل الكرة فوجدت انه يتفق معه في الاسم والزمن ويختلف عنه في اللقب وبعض الجدود . ثم ذكرت ان علم الدين قيصر ولد بمصر وتوفى بدمشق وأقام في حماه شطراً من عمره وذكرت كذلك ان قيصر بن أبي القاسم ولد أيضاً بمصر ونشأ

وتعلم بها وصنع فيها كرته الفلكية التي أهداها الى ملكها . ذكرت كل ذلك فوقفت متردداً متسائلا : هل هذا غير ذاك ، أم الشخصان واحد ؟

ساورني هذا الشك فرجعت الى ترجمة علم الدين قيصر في مظانها وتعقبت فيها كل ما تعلق بحياته فتجلت لي الحقيقة بيضاء ناصعة وسأذكر ذلك في موضعه من هذا البحث عقب الكلام على « الكرة الفلكية المصرية »

أريد الآن أن أكون عند اشارة صديقي الجليل في حاشية مقاله حيث طلب من قراء (الزهراء) أن يذكروا ما يعرفونه عن الكرات الارضية والفلكية استكمالا لهذا البحث . فأذكر عملا بهذه الدعوة كرتين سماويتين : احداهما طواها التاريخ في صفحاته ، والاخرى أراد القدر أن تحفظ الى الآن

﴿ كرة علي بن عيسى الحراني ﴾

هذه الكرة ذكرها أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي في مقدمة كتابه (الصور السمائية) ووصفها بأنها « كرة عظيمة الشأن » ونسب عملها الى علي بن عيسى الحراني

حاولت استقصاء البحث عن هذه الكرة فلم أظفر بأكثر مما ذكرها به الصوفي . أما صانعها فهو كما ذكر الصوفي عليّ بن عيسى الحراني وهو على ما أرجح الذي يعرف بغلام المروروذي [1] وهو من حران البلد اشتهر وعرف بصنع الآلات الفلكية في عصر الدولة العباسية . وعليّ هذا هو أحد مهرة صناع العدد الفلكية في زمن المأمون . وأكبر ظني استناداً على ما تقدم ان هذه الكرة صنعت للمأمون واذا لم تكن كذلك فهي ولا ريب عملت في عهده فهي أقدم كرة صنعها العرب الى الآن

---

(١) المرووذي أو المروذي وهو الاصح نسبة الى مرو الروذ احدى مدن خراسان . والمرو الروذى هو أحد فلكيي العرب في زمن المأمون وهو استاذ عليّ بن عيسى

﴿ كرة محمد بن مؤيد الدين العُرْضي ﴾

كان بالمراغة في القرن السادس للهجرة أحد مراصد الفلك الكبرى فى العالم وكان يهيمن عليه ويشرف على شؤونه امام عصره في الرياضيات العلامة نصير الدين الطوسي .وكان من بين علماء الفلك ممن تولى الارصاد في المرصد المذكور العلامة مؤيد الدين العرضي (1) وهو والد محمد صانع هذه الكرة .

ذ كر الاستاذ ڤانديك ان حروف هذه الكرة كوفية وانها لا تزال محفوظة الى الآن في متحف درسدن عاصمة سكسونيا بالمـانيا . أما تاريخ صنعها ففي النصف الاول من القرن السادس للهجرة

﴿ الـكرة ألفلـكية المصرية ﴾

ابتعتُ حديثاً من أحد الوراقين كتاباً زعم انه « أصول الفلك للفرغانى » الـكتاب موضوع باللغة اللاتينية وفيه مقتطفات بالعربية مترجمة الى اللاتينية كذلك ، وهي فى ابحاث فلـكية متنوعة . ولقد تصفحت الـكتاب فوجدت موضوعه وصف كرة سماوية كوفية عربية بمتحف بورجيا في فيلتري بايطاليا . وهذا عنوانه :

Globus Caelestis Cufico - Arabico Velitrini Nusei Borgiano

وهو يقع في ٢٠٠ وبضعة عشر صفحة من القطع الـكبير، ومؤلفه : سيموني اسمانو، وطبع في رومـه سنة ١٧٩٠ م

وفي آخر الـكتاب ثلاث خرائط : الاولى فيها صورة كرة سماوية مصغرة بين دائرتين كبـيرتين احداهما دائرة الافق والاخرى دائرة المعدل . وفي

(١) العرضي نسبة الى العرض . قال ياقوت : عُرضُ بليد في برية الشام يدخل في أعمال حلب الآن وهو بين تدمر والرصافة الهشامية . أما ما ذكره الاستاذ ڤانديك من انه يدعى الارضي فخطأ صوابه العرضى كما تقدم

الخريطة الثانية صورة الصور السمائية الشمالية . وفي الأخيرة صورة الصور السمائية الجنوبية وقد رسم في كل صورة مايدل عليها اسمها ويتخلل كل صورة كواكبها وقد كتبت أسماء الصور والنجوم بحروف كوفية. وفي الزاوية اليمنى تحت الخريطة الاخيرة صورة كتابة منقوشة على الكرة الاصلية وهي مكتوبة بحروف كوفية بقلم عادى وحروفها غير معجمة وهذا نصها :

« برسم خزانة مولانا السلطان الملك الكامل العالم العادل »

« ناصر الدين والدنيا محمد بن أبي بكر عز نصره * »

« رسم قيصر بن أبى القاسم بن مسافر الابرقي الحنفي »

« سنة ٦٢٢ هجرية بزيادة لر درجة مو دقيقة على ما »

« في المجسطى »

هذا ما ورد في ذلك الكتاب في وصف تلك الكرة اجمالا عدا مافيه من التفاصيل التي لا يتسع لها مثل هذا البحث الوجيز

ولقد ذكر هذه الكرة الاستاذ ڤانديك في كتابه « محاسن القبة الزرقاء » فقال : انها كرة مصنوعة من المعدن . وان قطرها ثمانية قراريط . وانها من عمل قيصر بن أبى القاسم بن مسافر « الابركي [1] » الحنفي في عصر الملك الكامل وهو السادس من الدولة الايوبية أي نحو سنة ٦٢٢ هـ — ١٢٢٥ م . وحروفها كوفية . وانها معروفة بالكرة « البرجيانية » نسبة الى الكردينال برجيا من فلترى . وهنا لا يسعنا أن نغضي على مؤاخذة الاستاذ ڤانديك فى مجاراة غيره فانه يعلم يقيناً أن صانع الكرة شرقي وموادها المصنوعة منها شرقية وهي فى وضعها العلمي انما قامت على نتيجة ابحاث وارصاد علماء شرقيين، كل هذه الاعتبارات كانت جديرة أن تجعل الاستاذ ڤانديك ـ وهو المستشرق الكبير الذي عرف حقيقة

(١) وصوابه الابرقي بالقاف المثناة

الشرق وأثره الكبير في تمدين العالم ـ أقول كانت هذه الاعتبارات كلها أو بعضها جديرة أن تجعل ڤانديك اكثر انصافاً للحقيقة واحتراماً للتاريخ . من أجل هذا كان حقاً علينا أن ندعو هذه الكرة « الكرة الكاملية المصرية » وهو اسمها الذي نعرفها به من الآن

أما وقد وقفنا على معرفة الكرة فيجمل بنا أن نعرف صانعها

وعدنا فيما تقدم أن نذكر خلاصة بحثنا عن صانع هذه الكرة فنقول :

هل قيصر بن أبى القاسم بن مسافر صانع كرة الملك الـكامل بمصر هو علم الدين قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغني صانع كرة الملك المظفر بحماه ؟

اذا قابلنا بين تاريخ عمل كرة الملك الكامل وبين مولد ووفاة علم الدين قيصر يتبين لنا ان قيصر بن أبى القاسم كان معاصراً لعلم الدين قيصر على فرض ان هذا غير ذاك . فاذا ثبت لنا ان كلاهما على ما فرضنا كان معاصراً للآخر فعلينا أن نبحث الآن في حياتهما لنستخرج من علاقتهما بالحوادث والاشخاص في عصرهما كل ما يمكن أن يساعد على التحقق من شخصيتهما لنعرف هل هما شخصان مختلفان أو كلاهما واحد

قال الادفوي[1] : « قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغني بن مسافر بن حسان ابن عبد الرحمن الاسفونى ينعت بالعَلَم كنيته أبو المعانى ويعرف بتعاسيف . كان عارفاً بالقرآن فقيهاً حنفي المذهب عالماً بالرياضيات اشتغل بالديار المصرية والشامية » وقال في موضع آخر : « ولما وردت أسـئلة الانبرور صاحب صقلية في أنواع الحـكمة والرياضيات على الملك الكامل كان هو المعين للاجوبة عنها فانه كان المشار اليـه في ذلك وتولى نظر الدواوين بالقاهرة » . ثم قال في موضع آخر : « ثم انه أقام بحماه وأقبل عليه ملكها وأحسن اليه وولاه تدريس النورية . . . . الخ »

(١) في كتاب الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد

ثم ذكر تاريخ مولده ووفاته فقال « مولده بأسفون سنة أربع وستين وخمسمائة وتوفي بدمشق يوم الاحد ثالث عشر رجب سنة تسع وأربعين وستمائة »

وقال أبو الفدا [1] في حوادث سنة ٦٤٩هـ : « وفيها توفى علم الدين قيصر ابن أبي القاسم بن عبد الغنى بن مسافر الفقيه الحنفي المقري المعروف بتعاسيف. وكان اماماً فى العلوم الرياضية واشتغل بالديار المصرية والشام ...... وتوفي بدمشق في شهر رجب من السنة المذكورة . ومولده سنة أربع وسبعين وخمسمائة بأصفون من شرقي صعيد مصر »

لنا الآن بعد أن استعرضنا حياة قيصر بن أبي القاسم أو علم الدين قيصر أن نستخلص منها الامور الآتية :

أولا : ان قيصر بن أبي القاسم كان موجوداً سنة ٦٢٢ هـ بمصر أي في الزمن الواقع بين مولد ووفاة علم الدين قيصر

ثانياً : ان علم الدين قيصر بن أبي القاسم ولد ونشأ وتعلم بمصر وكان فيها الى مابعد سنة ٦٢٢هـ ثم رحل الى الموصل والى حماه ثم توفي بدمشق سنة ٦٤٩هـ أي بعد ان فارق مصر بسبعة وعشرين عاماً

ثالثاً : ان كلاهما كان مشتغلا بالرياضيات بل كان فيها اماماً . هـذا عدا ما نبغا فيه من العلوم والفنون الاخرى

رابعاً : ان قيصر بن أبي القاسم كان حائزاً لرضا الملك الكامل وموضع ثقته حتى انه ولاه نظارة الدواوين بالقاهرة . ولما وردت على الكامل أسئلة « انبرور » صقلية في الرياضيات والحكمة وكل اليه الاجوبة عنها

خامساً : ان منزلة علم الدين قيصر لدى ملك حماه بعـد ان فارق مصر لم

---

(١) في كتاب المختصر في أخبار البشر

تكن بأقل من مكانة قيصر بن أبي القاسم لدى الكامل بمصر بدليل انه ما لبث ان أقام بحماه حتى ولاه التدريس في النورية

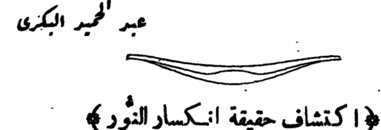
سادساً : ان صالح العرف وجميل العادة يقضيان حتما بشكر المنعم ، فما كان لقيصر بن أبي القاسم ـ أوعلم الدين قيصر ـ وهو ربيب نعمة الـكامل بمصر وصنيعة المظفر بحماه مندوحة من الاعتراف بالجميل . وهل يطلب ممن كان في مثل حاله أن يقدم عنواناً على شكر الملكين العظيمين شيئاً الا مما يحسن لا مما يملك على حد قول حكيم الشعراء أبي الطيب :

لا خيل عندكَ تهديها ولا مالُ فليسعد النطق ان لم تسعد الحالُ

ليس لي بعد هذه الدلالات الوثيقة الا أن أختم هـذا البحث بتقرير الحقيقة الآتية : —

ان قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر هو نفس علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الذي كنيته أبو المعاني والمعروف بتعاسيف المولود بمصر سنة ٥٦٤ ه والمتوفى بدمشق سنة ٦٤٩ ه وهو الذي صنع الكرتين السماويتين : عمل احداهما برسم خزانة الملك الـكامل بمصر ، والثانية برسم خزانة الملك المظفر بحماه . وفوق كل ذي علم عليم

الجزيرة في ٢٤ شعبان سنة ١٣٤٤



﴿ اكتشاف حقيقة انـكسار النّور ﴾

أول من اكتشف حقيقة انكسار أشعة الضوء الحـكيم العربي ابن الهيثم في القرن السادس الهجري (الثاني عشر للميلاد)

نُقلة الزهراء

انتقلت « الزهراء » الى دارها الجديدة بشارع الاستئناف بالقاهرة ، وهذه الدار - كما يعلم جمهور الادباء - تاريخية في نشأتها الادبية حيث كانت مقراً لصحف ومجلات شتى تعهدها بالرعاية الأدبية والمادية أو أنشأها فقيد الصحافة العربية والمحاماة والوطنية المغفور له الاستاذ محمد ابو شادي بك ، وكانت منتدى لصفوة اهل البيان في ذلك الوقت . فدفعت هذه الذكريات الشاعر الى نظم هذه الابيات الوجدانية ، وبعث بها الى صديقه محرر « الزهراء »

جدَّدتَ (للزهراء) فجرَ شبابي ... وأعدْتَ لي صُوَراً من الأحبابِ

قسماً (لمحب الدين) مثلُكَ أُنسُهُ ... يُنسي عديمَ الحظِّ كلَّ طِلابِ

بالأمسِ كنتَ مذكِّري بطفولتي ... في مَجْمَعِ العرفانِ والآدابِ

واليومَ تنشرُها حياةً غضةً ... في معهدٍ جدرانُهُ أولى بي!

لي فيهِ أعوامُ البيانِ حفيلةً ... بمُنىً وأحلامٍ صَدَقْنَ عِذابِ

ومآثرُ للكاتبين عرفتُهُمْ ... كلٌّ بقدرتِهِ العزيزُ الآبي

قد كان مدرسةَ الصحافةِ وقتَهُ ... وأبَ البيانِ الباذخَ الأحسابِ

وحظيرةَ الأدباءِ تجمع شملَهم ... ومباءةَ الأعلامِ من كُتَّابِ (1)

عنهم عرفتُ الفنَّ يُعشَقُ فاتناً ... وعرفتُ كيف تساندُ الاصحابِ

ولو استطعتُ اليومَ نقشَ فخارِهِمْ ... ما كان يكفيني فخارُ كتابي!

لم يُسعفوا الأدبَ المهيضَ فحسْبُ بل ... رفعوا (لمصر) منارةَ الطُّلَّابِ

ومضَوْا ضحايا لم ينلْهُمْ مغنَمٌ ... الاَّ حياةُ الذِّكرِ في الأحقابِ

(1) حظيرة الادباء : ملجأهم المثيب . يقال : حظيرة القدس اي الجنة . والمباءة : المنزل .

والآن أنت على غرار(١) نبوغهم تأتى فتفتح مُغْلقَ الأبواب
خُلُقُ الكريم المستعزِّ بفضلهِ وبنهضةِ الأخلاق والألباب
جيلٌ مضى بأبي ونخبةِ عصرهِ وتعودُ أنتَ أخاً يزين شبابي

احمد زكى أبو شادى

صناعات أبناء الملوك

روى أبو عمر بن عبد البر في (بهجة المجالس) أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لبنيه:

— يابني لو عدا كم ما أنتم فيه ما كنتم تعملون عليه؟

قال الوليد: أما أنا ففارس حرب

وقال سليمان: وأما أنا فكاتب سلطان

فقال ليزيد: فأنت؟

فقال: والله ياأمير المؤمنين ماتركا حظاً لمختار.

فقال عبد الملك: فأين أنتم يابني من التجارة التى هي أصلكم ونسبكم(٢)؟

قالوا: تلك صناعة لايفارقها ذل الرغبة والرهبة، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية

فقال: عليكم اذن بطلب الأدب، فان كنتم ملوكا سدتم، وإن كنتم وسطاً رأستم، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم

(١) غرار: مثال. يقال هم على غرار واحد اي متماثلون

(٢) لأنها صناعة قريش في الجاهلية، ومصدر كسبها. وكانت قريش ترحل بتجارتها الى اليمن فى الشتاء والى الشام فى الصيف، وقد قال الله تعالى في ذلك «لإيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف»

عبد الحق شرفيس

هو مستشرق فرنسوى ، هداهُ الى الاسلام البحثُ في كتب التصوف وإطالةُ النظر في الشعر المثنوي الذي نظمه بالفارسية مولانا جلال الدين الرومي (١). وقد انتقل الى رحمة ربه فجأةً في هذا الشهر وهو في منزله رقم ٤١ بشارع كَلْبِرْ بباريس عن نيف وستين عاما قضاها بالدرس والبحث والتأليف.

كان هذا الفاضل يسمَّى قبل دخوله في الاسلام (كْرِيسْتْيان شرفيس). فلما عوَّل على اعتناق الهداية التي أدَّاه بحثه اليها اختار لنفسه اسم (عبد الحق)

وقد كتب عنه صديقه خليل خالد بك ـ الاستاذ في جامعة كمبريج سابقا ـ فصلا في جريدة (وقت) التركية (٢) قال فيه :

« كان أول ما عرفت هذا الرجل من كتاب له عنوانه (نابليون والاسلام). وبعد الحرب العظمى زرتُ باريس وتعرفتُ فيها بهذا المسلم الفرنسوي بواسطة صديق من مواطنيَّ

« وفي صيف سنة ١٩٢٠ تلقيتُ دعوة من مواطني رشيد صفوت بك ومن المسيو شرفيس الى منتدى في (كارتيه لا تين) . وكان معنا في هذا الاجتماع المسيو

(١) مؤسس الطريقة المولوية : ولد في مدينة (بلخ) عام ٦٠٤ هـ وينتهي نسبه الى الصديق الاكبر أبي بكر رضي الله عنه . رحل وهو صغير مع أبيه مولانا بهاء الدين قاصدين الحج ثم أقاما في دمشق زمنا وانتقلا منها الى ارزنجان ثم الى قونية بدعوة من السلطان علاء الدين السلجوقي . فلما توفى والده عام ٦٣١ حل محله في التدريس والافادة الى أن اتصل بالشيخ شمس الدين التبريزي فحوّله من علوم الظاهر الى طريقة الزهد والتصوف . ورحل جلال الدين مع شيخه الجديد هائما في الصحارى حتى بلغا تبريز . ثم عاد جلال الدين الى قونية فدعا الى طريقته المولوية . ونظم المثنوى في أكثر من سبعة أربعين ألف بيت . وتوفى عام ٦٧٢ عن ٦٩ عاما . وما برح احفاده وخلفاؤه يتولون تقليد سلاطين آل عثمان سيف السلطنة اذا تولوا الملك ، حتى جاء العهد الاخير فقضى على سلطنة آل عثمان وتقاليدها

(٢) رقم ٢٩٧٧ المنشرة يوم ١٨ شعبان ١٣٤٤ (٣ مارس ١٩٢٦)

(دينه) وهو شيخ فرنسوي مسنّ اعتنق الاسلام أيضا كالمسيو شرفيس واختار الاقامة في الجزائر وله يد في التصوير والتأليف ومن آثاره كتاب عنوانه (محمد) .
ولما استقر بنا المقام اقترح المسيو شرفيس أن نؤلف جمعية خيرية اسلامية بعيدة عن الاغراض السياسية فألفناها وأطلقنا عليها اسم « جمعية الاخاء الاسلامى Association la Fraternité Musulmane » واقترحوا علي أن أرأسها لأنى قمت برحلات كثيرة في الممالك الاسلامية وكتبت عنها أبحاثا فيأوربا ، وانتخبوا المسيو شرفيس نائب رئيس والتحق بها اعضاء كثيرون من بلاد اسلامية . وقد بلغ هذا الفقيد من النشاط في العمل للتعاون الاسلامي مدة السنتين اللتين اشتغلنا فيهما معاً مالم أبلغه أنا ولا الاعضاء الحديثو السن في الجمعية من ترك ومصريين ومغاربة وهنود.

« كان المسيو شرفيس يستقبل الزائرين المسلمين في القاعة الكبرى من دار جمعية المهندسين في شارع (بلانش) أيام العيدين وذكرى المولد النبوى وغير ذلك من المواسم الاسلامية فيرون منه رجلا طَلْقَ المحيّا رقيقا كريما . واذا بلغه أن طالباً مسلما فى حالة المرض بادر الى عيادته باسم الجمعية مواسياً ومساعداً بقدر الامكان . ويقوم من الشبان المسلمين الذين يأتون الى فرنسا مقام آبائهم في الارشاد والنصح

ولكن فريقا من المسلمين الشرقيين المقيمين فى باريس كان يسيئهم من المسيو شرفيس في بعض الاحيان ازورواره عنا اذا أردنا أن نلقي محاضرات عامة عن الشرق تحت ستار المؤازرة للجمعية الاسلامية . وقد يكون بيننا نفرمن شباب المغاربة المتحمسين الذين يخيل اليهم أن في الامكان ترويع فرنسا بالكلام المجرّد وإخراجها بهمن وطنهم ، ومثل هؤلاء الشبان بلغ بهم سوء الظن بالمسيو شرفيس الى درجة الاعتقاد بأنه أداة للحكومة الفرنسوية . مع أن الرجل كان طيّب

القلب ، وكان حريصاً على اظهار هؤلاء الشبان التابعين للحكومة الفرنسوية بمظهر حسن عند موظفي باريس الذين يكون لاولئك الشبان مصالح عندهم . وانما كان مسيو شرفيس يجتنب أن تكون محاضرات الجمعية الاسلامية ذات صبغة سياسية ، ويسوءه أن تظهر الجمعية بمظهر الدعاية للدين الاسلامي لئلا يكون ذلك حاملا لرجال الكنيسة الكاثوليكية ذات النفوذ العظيم على أن يقفوا للجمعية في موقف المعارضة

« ومما يستحق الذكر من محاضرات الجمعية أن احدى هذه المحاضرات ألقاها الكاتب الفرنسوي مسيو جرڤه كوڤرتلمون وكان موضوعها « الفنون الاسلامية ». ووجهُ الغرابة فيها أن المحاضر بينما كان يلقي محاضرته ويزيدها بياناً بما يقدّمه للسامعين من الصور الملوّنة للآثار الاسلامية القديمة مالبث أن أعلن للجمهور الذي غصّت به قاعة المحاضرة انه قد اعتنق الدين الاسلامي منذ زمن طويل . وأن الميل الى الاسلام قد حدث عنده منذ ذهب مندوباً من جانب احدى الصحف الفرنسوية لحضور حفلة افتتاح السكة الحديدية الحجازية وأنه قد اختار لنفسه اسم (عبد الله)

« ومما يدل على غيرة اسلامية في نفس عبد الحق شرفيس حادثتان : الاولى سعيه ـ باسم جمعيتنا ـ لدى رجال الحكومة الفرنسوية لازالة الصلبان عن قبور الجنود المسلمين من المغاربة الذين تُوُفُّوا في فرنسا أثناء الحرب العظمى. والحادثة الثانية عمله لادخال فتيان صغار السن من الافغانيين في مدرسة الاليانس اليهودية بباريس بصفة ضيوف . وكان مسيو شرفيس ممن سعى لانشاء المسجد الاسلامي في باريس

« وكنا تذاكرنا معه في اصلاح وتوسيع المقبرة الاسلامية الواقعة في جهة من جهات مقبرة (الاب لاشيز) الباريسية . وكانت الدولة العثمانية زمن

السلطان عبد الحميد قد ارسلت مبلغاً من المال لهذا الغرض فلم يصرف فيما أرسل لاجله وضاعت تلك النقود في جيوب بعض اللصوص ، حتى لقد ذُكر يومئذ بمعرض الانتقاد اسم رجل فرنسوي حائز لقب كونت . ففكّرنا في استنداء أكف أغنياء الهند ومصر والمغرب لاصلاح هذه المقبرة الاسلامية وجعلها لائقة بموتى طائفة متمدّنة . ثم رجعتُ في خلال ذلك الى القسطنطينية ولا أعلم ماذا فعل مسيو شرفيس وأعضاء الجمعية في هذا الامر

« وصفوة القول ان عبد الحق شرفيس رجل اهتدى بنفسه الى الاسلام وهو في صميم العالم المسيحي . رحمة الله عليه » انتهى

آثار العرب الخالدة:

قصر الحمراء

قف على (الحمراء) واندب ... مُضَرَ الحمراءَ فيهِ
واسأَلِ البنيان ينبئْ ... كَ بانباء ذويه
ويحدّثكَ حديث المج ... د والعيش الرفيه
بكلام محزنِ اللهج ... ة يُبكي من يعيه
فيقول القلبُ « آهاً » ... وتقول الاذن « إيه »
صاح لو كان لذا الدهر ... حياء يقتنيه
ما رمى العُرْبَ اباةَ الضيم ... بالخطب الكريه
لا ولا جرَّ بغرناطة ... أذيال سفيه
حيث هذا القطر أمسي ... خالياً من مبتنيه
فازدرِ الدهرَ وسفّهْ ... كلَّ من لا يزدريه
واذا كنتَ حليما ... فابكِ من دهر سفيه

معروف الرصافي

التاريخ

لا يكون بالافتراض ولا بالتحكم

كان الغرب يغزو الشرق فيما مضى بأسلحته الخاصة به فى الحرب والسياسة والدعاية الدينية، فصار له اليوم جنود منا يعملون على تشويه فضائلنا وتسوىء تاريخنا وقطع صلتنا بآبائنا وفتح قلوب أبنائنا لنوع آخر من أنواع الاحتلال الاجنبي قد يكون شراً من احتلال البلاد والقضاء على استقلالها . وكنا نظن أن هؤلاء سيكونون عدة الشرق فى تجهيزه بقوة الغرب المادية لينتشلوه من كبوته فرأيناهم منصرفين عن ذلك وجادّين في هدم بقايا قوة الشرق المعنوية.
وهذا مقال نفيس لأديب العرب الأكبر العلامة المجاهد الامير شكيب ارسلان نشره فى (كوكب الشرق) الاغر ردا لبعض التهم التى وجهها أناس منا الى تاريخ هذه الملة . قال حفظه الله :

لا أريد أن اناقش أحداً ، ولا أن أسمى أشخاصاً ، ولا أن أحمل على باحث أديب بتجهيل . وانما ألمح من خلال الكتابات التي يجود بها بعض أدباء الوقت منزعا ، ان كان فى حد ذاته محموداً فقد ينقلب فى إساءة استعماله مذموماً ويصير ضلالا

ولع بعض الادباء باتهام التاريخ الاسلامى الذى لدينا ، وسلوك طريقةٍ فى التعليل لم يسلكها الاولون ، ارتياداً لوجوه جديدة ، وأسبابٍ للحوادث لم تكن معروفة ، بحيث يقال: انهم كشفوا حقائق تاريخية لم يعرفها غيرهم ، أو عرفوا أسراراً أعماها التاريخ الدينى أو عمستها السياسة وأهواؤها عن الجمهور، ويسمون ذلك تمحيصاً وتحقيقاً ، ويظنون أن التمحيص والتحقيق هما بمجرد المخالفة والخروج عما عليه الرأى العام. والحقيقة انه ان كان مقصدهم مجرد المخالفة وتغيير الاسلوب لعدم الصبر على طعام واحد فقد أصابوا الغرض . ولكن ان كانوا يزعمون أن هذه التعليلات الغريبة هى الاصل فى تلك الوقائع فليسمحوا لنا أن نستعفيهم

من التصديق . لأننا نعرف التاريخ بالأدلة العقلية والنقلية وملاحظة ما سبق وما لحق واستنباط النتائج من المقدمات ، ولا نعرفه تخرُّصاتٍ وافتراضاتٍ وأبنيةً على غير أساس . فان كان هذا هو التمحيص التاريخي الذى يتوخى بعض المصريين أن يقلّد به الافرنج فلا كان هذا التمحيص الذي هو عبارة عن قلب الحقائق لاجل الاتيان ببدع ، ويجلُّ علماء الافرنج عن أن يكون تمحيصهم من هذا النمط . وقد خلط منهم من خاط فى معرض التمحيص ، ولكن نبه المدققون منهم على كونهم خلطوا

فعند ما يقوم واحد فيذهب الى أن تاريخ حرب اليمامة محاط بالغموض ، وان مقاتلة أبى بكر لأهل الردّة لم تكن من أجل إقامة الدين بل من أجل تأسيس الملك ، وما أشبه ذلك من التوجيهات التي لم يقم عليها أدنى دليل ، نعلم أنه حاول أن ينهج مناهج المحصّين فظن التمحيص بمجرد الخروج عن الاجماع ولو كان الاجماع صحيحاً ، فلم يصب المرمى

وعند ما يقوم آخر فيدّعى أن السلف فى صدر الاسلام وضعوا «سانسوراً» على الشعر الجاهلى المُشْرَبِ مبادىء الوثنية أو النصرانية أو اليهودية نعلم أن هذه الدعوى مبنية على الافتراض والتخيل ، وأنها لا تستند على دليل ، بل الواقع يناقضها من كل الجهات

أعجبتني جداً عبارة الذى ردّ على هذه الفئة فقال لهم « مَنْ مِنْ ملوك المسلمين وحكامهم أمر بوأد الشعر الوثنى واليهودى والنصرانى ومحوه ؟ ومَن مِن أعوان هؤلاء الحكام الذى تولى ذلك ؟ وكيف كانت طريقة المحو ؟ وهل كتب لها النجاح فى كل بلاد الاسلام ؟ الخ »

والحقيقه أنه ليس لهم من جواب على هذا السؤال ، ولا حيلة لهم فى التخلص منه ، الا بايراد أدلة واهية لا تدفع شيئاً من حقيقة حرية الرواية فى ذلك العصر

ومن كون بابها بقي مفتوحاً على مصراعيه . ولا تنفي أن عصر الصحابة لم يعرف « السانسور » ، ولا مراقبة الرواية ، ولا كمّ الافواه ، ولا شيئاً من أوضاع « ديوان التفتيش »

واذا تأملت فى كلام هذه الفرقة رأيتهم يشيرون من طرف خفي الى نزول درجة الحضارة التي كان عليها الصحابة ، وان شرائعهم وقوانينهم انما كانت شرائع قوم فى طفولية المدنية ، وانها « لا تمس الحياة » الا قليلا ، وما أشبه ذلك . ثم ينسون أن مراقبة الكتابات والروايات إن هى الا من أوضاع الهيئات الاجتماعية المتمدينة التي استبحر فيها العمران وتأثّل الملك ، وان (السانسور) لا يتأتى مع بداوة المجتمع ، ولا يعقل وجوده في أيام السذاجة كالتى عاش فيها النبى (صلى الله عليه وسلم) والصحابة

فمراقبة الكتب والخطب كانت تقع فى رومية والقسطنطينية لعهد عظمة القياصرة ، وفى أيام سلطة الباباوات ، وفى عهد ملوك فامحين كاويس الرابع عشر وقد بالغ فيها نابليون الاول ثم نابليون الثالث . وقد وقعت من أيام العرب فى عهد العباسيين وغيرهم من ملوك الاعاجم ، أو الملوك العرب الذين اتخذوا أطوار الاعاجم . فأما القول بانها كانت فى عهد الخلفاء الراشدين وفى أيام الصحابة فمحض تحكم ومكابرة

نعم كان هؤلاء الناس شديدي التحمس بالدين الجديد الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم ولكن حماستهم هذه لم تقلع ما في قلوبهم من حب الحرية التى نشأوا عليها في الجاهلية والتى لا يوجد في الشرق ولا في الغرب أمة بلغت شأو العرب فيها . ومن قال « ان العرب أعرق الامم في الحرية » فغير مبالغ . لهذا تجدهم رووا بألسنتهم وكتبوا بأقلامهم جميع مطاعن المشركين في النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحبه ولم يخفوا منها قليلا ولا كثيراً ، ونقلوا الشبه والاعتراضات

التي كانت تقع على الرسول ورهطه ، وذكروا كثيراً مما كان يَسْفَه به بعض العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف أن اثنين تخاصما اليه فحكم لاحدهما فقال المحكوم عليه : هذا حكم لم يرد به وجه الله . فقال عليه الصلاة والسلام : « أوذي موسى من قبلي بأ كثر من هذا » . وغير ذلك مما هو مستفيض في كتب السيرة النبوية وأخبار صدر الاسلام ومما رواه الرواة المسلمون وحرره الكتبة المسلمون وأقرأه العلماء المسلمون ، ولم يكن عندهم حرج في نقل تلك الاحاديث وإيرادها كما جاءت ، لانهم كانوا على بينة من دينهم الذي دانوا به ، وكانت قلوبهم مطمئنة بالايمان ، وكانت سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) معلومة عندهم بدقائقها فلم يكونوا يحتاجون فيها الى « السانسور » دَرْءاً للشبهات عنها وخوفا من أن يفضي تداول هذه الروايات الى زعزعة عقيدة الاسلام التي لم تكن منذ جاء بها صاحبها (صلى الله عليه وسلم) الى اليوم على شفا جرف هار . بل الاسلام مولودٌ رُزق الصحة ووثاقة التركيب منذ ولادته

نعم ، في هاتيك الايام وما يليها كانوا يروون أهاجي بعض الشعراء للصحابة والانصار و« لبني النجار » ، وفي تلك الايام كان يعاتب الرسول ويقال له :

ما كان ضرَّك لو عفوتَ ، فربما مَنَّ الفتى وهو المغيظُ المحنقُ

في أيام السلف كان ينادي الاخطل :

ولستُ بصائم رمضانَ عمري ولست بآكل لحم الاضاحي

ولستُ بقائل ماعشت يوماً قُبيل الصبح « حيَّ على الفلاح »

كان يقول هذا ويدخل على الخلفاء ويجيزونه الجوائز السنية ، وكان هو وغيره من النصارى واليهود يفتخرون بدينهم ويعلنونه في أشعارهم التي كان يرويها المسلمون ويقيدونها في دفاترهم . ولما جاء الملكَ النعمانَ بن المنذر رجلٌ نصراني في اليوم الذي كان عنده يوم بؤس وأمر النعمان بقتله استماحه النصراني

مهلة أن يذهب ويودّع أهله فأذن له على أن يقدم كفيلا يحلّ محله فى القتل.
اذا هو لم يرجع فرجع وتعجب النعمان من وفائه فسأله : ماحملك على هذا الوفاء ؟
فاجابه النصراني: حملني ديني . فقال له النعمان : وما دينك ؟ قال له: النصرانية.
وتنصر النعمان بعد هذه . فكانت هذه الرواية مما حرره المسلمون ، ولم يغمطوا
النصرانية حقها ، ولا غمطوا اليهودية أيضا حقها . وأجمع العرب المسلمون على نقل
مآثر السموأل وكان السموأل يهوديا وما زال السموأل مضربا للامثال في علو
النفس وكرم السجية الى يومنا هذا حتى قال شوقي — شاعر العصر — منذ
أيام قلائل :

كأنَّ من السموأل فيه شيئًا فكل جهاته كرَمٌ وخُلْقُ

فكيف يكون المسلمون الاوائل حاولوا خنق كل صوت غير صوتهم ومحوَ
آثار النصرانية واليهودية والوثنية من شعر العرب ؟

ثم إن شعر شعراء النصرانية من الجاهلية يملأ الدواوين ، وما منهم الا من
حرص علماء الاسلام على التنبيه أنه كان نصرانيا . وقد نقلوا خطب قس بن
ساعدة الذي كان مطرانا ، ونقلوا ثناء النبي (صلى الله عليه وسلم) عليه .

وأما كون ديوان شعراء النصرانية المطبوع في بيروت موضوعا وأن
الشعراء المروية أشعارهم فيه لم يكونوا نصارى بل جعلهم صاحب الديوان نصارى.
وهم جاهليون لاغير فمن يقول هذا ؟ ومن يصل به المراء الى انكار أن أكثر
أولئك الشعراء كانوا نصارى؟ غاية مايقال ان بعض أولئك الشعراء لم تثبت
نصرانيتهم . وهذا لاينفي ان شعراء كثيرين مثل العبادي والاخطل والقطامي
كانوا نصارى مجمعاً على نصرانيتهم ، وأن المسلمين نقلوا أشعارهم كما هي ولم يحذفوا
منها شيئا . وكان شعراء المسلمين يناقشونهم ويداعبونهم ، وكان جرير يقول :

قال الاخيطل اذ رأى راياتهم يامار سرجس لانريد قتالا

فالقول بان النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه لم يبقوا على أي نزعة تخالف دينَ الاسلام وأنهم طووا شعر النصارى واليهود والمشركين محضُ تحكم لم يقم عليه أدنى دليل بل قام الدليلُ على حرية الاسلام وتساهله في الدين

ونقلَ رُواة المسلمين ليس شعر النصارى واليهود والمشركين فقط بل أهاجي كثيرة قالها هؤلاء في النبي وأصحابه وأنصاره.

يا اخواننا انه في صدر الاسلام كانوا يتناقلون مثل قوله :

لعبت هاشم بالدين وما نبأ جاء ولا وحي نزل
ليت أشياخي ببدر علموا قلق الخزرج من وقع الاسل

روى هذا المسلمون وما زالوا يروونه . وفي زمان بني أمية كان العهد بسذاجة الجاهلية قريبا فكانت الحرية في القول تامة والالسنة منطلقة . ومما عزى الى يزيد يوم جيء برأس الحسين رضى الله عنه :

لما أقبلت تلك الرءوس وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرون
صاح الغراب فقلت صح أو لا تصح اني قضيت من النبي ديوني

ثم عُزي [1] الى الوليد انه قال وقد سكر ومزق القرآن :

اذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب مزقني الوليد

نعم رويت هذه الاشعار وأمثالها مع لعن قائليها ، ولكنها رويت وقيدت في التواريخ ، ولم تمنع روايتها ، ولا كان هناك قلم مراقبة ولا ديوان تفتيش ، ولا كتب جائزة ، ولا كتب ممنوعة

وأما عدم حرمة النبي والصحابة للشعر وقولهم ان روايته ضلال فهذا زعم

---

(١) عبر الامير في نقل مثل هذه الاشعار بقوله « عزي » ليشير بذلك الى انها لم تتحقق نسبتها الى من نسبت اليهم ، وقد نبه الى ذلك العلامة الشيخ شبلي النعماني رحمه الله في انتقاده كتب زيدان . وهذا ابلغ في بيان سماحة المسلمين وحريتهم اذ أبقوا على مثل هذه الاقوال مع ضعف اسنادها « الزهراء »

باطل مخالف للاجماع ، فقد روى النبي صلى الله عليه وسلم الشعر واستحسنه وقال « ان من الشعر لحكمة » . ورواه عمر وعلي وسائر الصحابة وتناشدوه وطربوا له وكان فكاهة مجالسهم . وقصة كعب بن زهير مع رسول الله وانشاده اياه « بانت سعاد » واهتزاز النبي لهذه القصيدة وإنعامه على كعب ببردته الشريفة كل ذلك لايحتاج الى بيان . ولكن الشعر كسائر الاشياء اذا أسيء استعماله انقلب الى الضرر . واذا كان وقع من عمر رضي الله عنه — وهو من أبصر الناس بنقد الشعر وأشدهم اهتزازاً لجيده — تضييق على الشعراء فيكون في المواطن التي أسيء فيها إستعمال الشعر وصار بابا للمشاحنات والفتن ، وكما أن للخليفة طبيعة ينفش بها الى الادب ويعجب بسحر البيان فان عليه واجبا هو حماية الاعراض وحفظ السلام

وأما ازراء الشعر بالعلماء وما قاله بعض هؤلاء في الاعراض عنه والتعوذ منه فهو من باب التورّع عند بعض الفقهاء ، وذلك لانهم كانوا يرون فيه مبالغة وغلواً وعبثاً، فاشفقوا من أن يؤثر الاعتماد عليه في أخلاق الناشئة ويصرفهم عن العبادة . ولكن هذا الزهد في الشعر لم يحملهم ولا حدا الخلفاء والسلاطين على منع قرض الشعر وروايته والتأدب به . وذلك كما أن نصرانية الاخطل والقطامي وأمثالهما لم تمنع متأدبي الاسلام من رواية أشعارهم وحفظها والتأدب بها . وان وثنية أكثر شعراء الجاهلية لم تحل دون انطباع طلاب الفصاحة من المسلمين باساليبهم ونسجهم على منوالهم . ومَنْ مِنَ العلماء والمؤرخين المحققين يقدر أن يقول ان أدباء العرب بعد الاسلام رغبوا عن شعر الجاهلية وأهملوا روايته من أجل أن قائليه كانوا مشركين ؟ أو ان المسلمين طووا كلام قس بن ساعدة لانه كان نصرانياً؟ أو لم يعجبوا بقصيدة « اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه » لان صاحبها كان يهودياً؟ من يارب يقول هذا الا الذين يبنون التاريخ على الاهواء والخيالات ؟

وقع التشدد فى مثل هذه الامور في أيام الدولة العباسية ، لبعد العهد بسذاجة الدور الاول ، وميل هـذه الدولة الى مناحى الاعاجم ، ونشو الفلسفة اليونانية والفارسية والهندية في دار السلام، مما أخاف الخلفاء ووزرآءهم على العقيدة الدينية وحفزهم على الاحتياط لعدم انحلالها . وهـذا أشبه بما كان في اوربة في القرون الوسطى ، لا بل في القرون الاخيرة ، لا بل بما لا تزال بقاياه الى هذه الآونة.

وبرغم ما كان من هـذا الاحتياط في أيام العباسيين ومن في أعصرهم من ملوك الاسلام نقد كان الناس يروون أهاجيهم ومثالبهم ، ويتناشدون المطاعن الفاحشة في أعراضهم حتى فى مجالس أقرب النـاس اليهم . وقد قال المأمون للقاضي يحيى ابن اكثم : من ذا الذي يقول :

قاضٍ يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس ؟

يشير الى أن هذا البيت قيل فيه . فاجابه : هو الذي يا أمير المؤمنين يقول:

لا أرى الجور ينقضي وعلى الامة والٍ من آل عباس

وقد شاعت أقاويل التعطيل والالحاد في هاتيك الايام برغم الضغط والمراقبة: ودونت أقوال الملحدين والدهريين

ورويت أشعار المعري ومن فى سبيله حتى فيما يخالف الدين الاسلامي مثل قوله :

وقوم أتوا من أقاصي البلاد لرمي الجمار ولثم الحجَر

وكثير غير هذا من أقواله . ورسالة الغفران وصلت الينا ولولا انها تُدوولت بالنسخ من قراب الف سنة ما وصلت الينا . ولو كان هناك « سانسور » ما ابقى على رسالة الغفران

وتجادل نصراني فى الدين مع أحد بنى العباس ونال النصرانيُّ من العقيدة الاسلامية . وبلغ المأمونَ ذلك فقال ما معناه : ما كان أغنى ابن عمنا عن تعريض دينه للطعن

والكتاب الذي كتبه أبو بكر الخوارزمي لشيعة نيسابور أشهر من « قفانبك » وليس بكتاب خاص أو رسالة مكتومة بل هو خطاب لأهل بلدة كانت من اشهر البلاد . وفيه من السب لمعاوية مافيه ومن النعوت لخلفاء بني أميــة وبنى العباس والخوض فى أعراضهم مالا يرد فى أقذع الجرائد . وهو الذي يقول عن الرشيد « هرون بن الخيزران » ، وعن المتوكل « المتوكل على الشيطان لا على الرحمن » وهلم جرّا . وكان ابو بكر الخوارزمي فى زمن بنى العباس ، وكان اذا قال أثر الناس قوله وتدارسوه

ولا أنفي ــ مع ذلك ــ ان الدول الاسلاميــة فى القرون التالية كانت تحجر أحيانا على الفلسفة التي يراد منها التعطيل أو الالحاد ، ويسمون ذلك الزندقــة ، فأما ازالة شعر النصارى أو اليهود أو المشركين ومنع روايته فشيء لم يقع لا فى زمن الصحابة ولا فى أيام بنى أميــة ولا أيام بني العباس . وقد الف النصارى فى تعظيم دينهم فى زمان بني العباس كتبا كثيرة وتواريخ أيدوا بها مذهبهم وما اعترضهم أحد ولا منعت الدولة كتبهم

وان كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بأن لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان ، وأجلى عمر النصارى واليهود عنها ، فلم يكن ذلك لينقص شيئا من حرية النصارى واليهود فى دينهم فى سائر بلاد الاسلام ، بل من حرية الصابئة والمجوس . وما قال مؤرخ غربى ولا شرقي ان الاسلام أكره أحداً في الدين ، أو منع كتب الملل الاخرى

فيا اخواننا ان التاريخ لا يكون بالظن ، ان الظن لا يغنى من الحق شيئا . وهذا نتف من كثير ، ووشل من بحر ، ولو كانت بيدنا الآن كتب لاحلناكم على شواهد لا تنتهي . فان كنتم مع هذا تصرون على المخالفة لاجل المخالفة فليس هذا مما يزيد الثقة بعلمكم بل هو مما ينقصها ، وبدلا من أن يضع العلم على قواعد اليقين يضعه على قواعد أوهى من بيت العنكبوت . . .

رومة فى ٨ مارس

شكيب أرسلان

﴿ تعصب الافرنج العلمي ﴾

أنشأ المقتطف (١٤ : ٢٨٩) مقالة سنة ١٨٩٠ (١٣٠٧ هـ) عنوانها « حب الوطن » قال فيها ان حب الوطن لايقتصر على حب الخير له ، « بل كثيراً مايعوّج الاحكام ويُبعد عن جادة الحق ، حتى في الأمور العلمية التي لاتراعي وطناً دون آخر. مثال ذلك أن ورتز الكيماوى الفرنسوي الشهير من أعرف الناس بفن الكيمياء وفضل الكيماويين الانكليز والالمان ، ولكنه يقول في مقدمة كتابه المعروف بتاريخ الآراء الكيماوية « ان الكيمياء علم فرنسوى » نافياً كل فضل فيها عن كل أحد غير الفرنسويين . وما من أحد من أهالى أوربا ينكر أن شكسبير الشاعر الانكليزى من أشعر شعراء الارض إن لم يكن أشعرهم ، ولكن أحد المصورين الفرنسويين صوّر الشعراء كلهم يتوّجون هوميروس الشاعر اليوناني وفي مقدمتهم كل الشعراء الفرنسويين ، وصور جزءاً من شكسبير في زاوية الصورة . والذي كتب أسماء العلماء والعظماء على جدران قصر الصناعة بباريس ذكر كثيرين من العلماء الفرنسويين الذين قلّما يُعرف أسمهم ، وأغفل اسم نيوتن وهو من أشهر علماء الارض . والذي يقرأ وصف فكتور هوغو لفرنسا يحسب أنها وحدها مصدر كل تمدن ومعرفة ، وأنها هي التي أنقذت بني البشر من الخراب والهلاك . وقد بلغت محبة الوطن من الفرنسويين مبلغا جعلهم يحتقرون كل من سواهم . والالمان ليسوا أقل أثرة وحبا لوطنهم من الفرنسويين ، فلا تسمع في بلادهم غير اسم العلم الجرماني والفلسفة الجرمانية والامبراطورية الجرمانية . وعندهم أن الفرنسويين ليسوا شيئا يذكر ، بل ان الايطاليين أرقى من الفرنسويين لانهم يدرسون الفلسفة الجرمانية »

البحر

مالَهُ في عِظَم الشأن قرينْ كلُّ جبَّارٍ يدانيه مَهينْ
سعةٌ ليس لها من غايةٍ حسرتْ عنها عيون الناظرين
أنا ان أوجستُ منه خيفةً خافه قبلي أمير المؤمنين (١)
يملأ العين فتنغضي فرَقاً ويهول النفس حتى تستكين
ليست الارض له كفؤاً وهل تستوى يوماً شمال ويمين ؟
جوفه مضطَّرَب الاحياء اذ جوفها مقبرةٌ للعالمين
ليس في قيعانها غير لظىً وبقاعِ البحر كم كنز ثمين...
السما منه استمدَّتْ غيثها فهو أن يفخرَ بالجود قمين
كلَّ يوم تسجد الشمس له فكأنَّ الشمس بالبحر تدين
ترتمي في حضنه محمرَّةً خجلاً كالورد في حضن خدين

***

كم تراءت صورٌ خلاَّبةٌ ومعانٍ فوقهُ لايقتضين .
مرَحُ الشُبَّان في شرخ الصبا وجلالُ الشيب مع برد اليقين
وفسيحاتُ المنى مخضرَّةً وشديد البأس والعزم المتين
زَبَدُ الموج على زرقته . أنجمٌ في حالكات اللون جون
مع مافي صدره من سعةٍ شرسُ الخلق أخو حمقٍ حرون
هل عراه طائفٌ من جنةٍ ليت شعرى أم به مسٌّ جنون ؟
بينما التيَّار يعلو جبلاً اذ به وادٍ يهول المبصرين
أترى أمواجه أنفاسه رُدِّدتْ بين شهيق وأنين ؟

---

(١) عمر بن الخطاب

لم تكن الا كشعب ثائرٍ شنّها حرباً على المستعمرينْ
جحفلٌ يركب منها جحفلا يتعادى كجنودٍ زاحفين

* * *

نفختْ في وجهه ريحُ الصبا فبدا فيه كتغضين الجبين
وتراءى الموجُ فيه عُكَناً دغدغتها غمزات العابثين
ليِّنٌ ما فدحته قسوةٌ رب قاس كان أجدى منه لين
قلِقٌ الاحشاء كالعاشق ان ثار في احشائه وجدٌ دفين

***

قمتُ في عدوته والفجر ما زال في جوف الدجى بعدُ جنين
وطيور البحر في أسرابها تتهاوى كشراعات السفين
قلتُ للسرب وقد أقبل من افق ٍ قلبي به عانٍ رهين :
أيها القاطع عرض البحر هل لك عهدٌ بروابي قاسيون (١)
ثَم مهوى القلب ، دارات الهوى ، منزل الاهل ، حمى المستضعفين
جيرةٌ جار عليها دهرها ما على الجور لها قط مُعين
هل درتْ أنَّ على النأي فتى ؟ كاد يرديه الى الشام الحنين
ولقد ودَّ بجدع الانف لو شام أفق الشام أو قطع الوتين
كمهيض ٍ جنحهُ ود لو أن طار للوكر ولكن لات حين
والذي ينجو مهيضاً جنحهُ بعد طول السجن مازال سجين
بأبي الشام وأمي انها كعبة الآمال والحصن الحصين
وأمد الله قوماً بذلوا دونها الأرواح بالروح الامين

الاسكندرية خليل مردم بك

(١) جبل دمشق

مكتبة عارف حكمة بك – بالمدينة

أُولع شيخ الاسلام عارف حكمة بك رحمه الله – منذ درج بلوحه الى الكتَّاب – بمطالعة الكتب وجمع ما تفرق من نوادرها ، فتمكن من جمع مقدار كبير من نفائس الآثار وبدائع المخطوطات القيمة التي « تود الحور والولدان لو تمذرت بسطورها ، وتتمنى الافهام والاذهان لو ارتضعت دَرَّ شطورها . وتشتاق العقول المجردة لو اكتست منها بالجلود ، وتشتهى النفوس المفارقة لو تعلقت بظروفها الظريفة فى يوم الخلود . فهي من بين سائر الكتب واسطة قلادتها ، وتورد وجنتها . وتجعد طررها ، وتوقد أنوار غررها . وحَوَر عيونها ، وذبول جفونها . وهيف قوامها ، ورخامة كلامها . فلا تكاد نفس تسمح باخراجها من يدها ، أو تنشب المنية أظفارها بجسدها ، ولا تصبر ولو عمر ساعة على فراقها أو تصير رهنا في الارض تحت طباقها [1] » ، فوقفها رجاء المنفعة بها وحباً بالذكر الجميل فخرج عن عشرة آلاف كتاب والمجلدات تزيد على هذا المقدار اذ من الكتب ما هو عشرة أسفار أو أقل أو أكثر . وفيها سوى هذه نحو سبعمائة ديوان من الشعر الجاهليّ والاسلامي ، وأنشأ لها فى المدينة المنورة قرب باب جبريل خزانة عامرة وذلك سنة ١٢٦٠ هـ كما هو مؤرخ فى سقف قاعتها وهي السنة التى عهد اليه فيها بافتاء مجلس العسكرية لا السنة التى أقيل فيها من المشيخة كما وهم الفاضل السيد عبد الله مخلص فى مقالته المنشورة فى ص ٥٩ م ٨ من مجلة المقتبس ، وأرسل منها مع شيخ الحرم نحواً من ستة آلاف كتاب « وكان ينوي ابلاغ كتب الخزانة الى عشرة آلاف كتاب كانت تحت يده الا أنه لم يتمكن من تحقيق أمنيته لانه حين عزم على الحضور الى المدينة المنورة يستصحب بقية

(١) هذا وصف شاهد عيان الا وهو مؤلف (شهى النغم)

كتبه عاجلته المنية فى دار الملك فبيعت كتبه فيها مع تركته بأبخس الاثمان ومنها كتاب الاغانى قد بيع بخمسة عشر جنيهاً ثم باعه من اشتراه بستين . وطبع بعد ذلك عن تلك النسخة وانتشر بين القراء [1] »

وقد زار هـذه الخزانة الجليلة كثير من كبار العلماء والادباء كعالم الشام المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمى ، واستاذينا الكبيرين : الامام السيد محمود شكري الالوسي ، والسيد علي عـلاء الدين الآلوسى ، والعالم العامل السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العـلمي العربي بدمشق ، ونابغة الأدب الأمير شكيب أرسلان ، وغيرهم .... وذكروا عنها ما يدعو الباحث الى شد الرحال اليها وان بعدت الشقة وطال السفر . قال الاستاذ محمد كرد علي فى المقتبس (ص٧٦٣ م٧) :

« وأحسن خزائن كتب المدينة المنورة وربما كانت خير مكتبة فى البلاد العثمانية كلها بنظامها وانتقاء امهاتها هي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة أفندى ففيها نحو عشرة آلاف مجلد كتبت بخطوط المشهورين من الخطاطين كأنْ تجد الـكتاب ذا العشرين جلدا مكتوبا بخط مشرق بديع فى مجلد أو مجلدين الخ »

هذا ولا تنس ما تقدم قريباً من الوصف الغريب لـكتبها . ولعمر الحق ان كتباً يقول فيها أبو الثناء الآلوسي حينما شاهد بعضها فيالقسطنطينية « غيبنى عن شعوري العجب العجاب » ويقول « ان نصيب كل منها من الحسن قد جاوز النصاب فلو يباع بوزنه ذهباً لـكان البائع في نظرى مغبوناً ، بل لا يظن عاقل أنه يقدم على بيعه الا من كان مجنوناً » ليكاد يكون غالبها ان لم نقل كلها نوادر وغرائب يقضى المتأمل فيها العجب ويطرب لها أى طرب . وها نحن نذكر لك بعض ما وصل الينا مما كتبه الـكاتبون وذكره الواصفون :

ذكر الامير شكيب فى مقالة نشرت فى (البرهان) الطرابلسية أنه شاهد فيها

(١) من مقالة للاستاذ السيد عبد الله مخلص بتصرف قليل

نسخة من المصحف مكتوبة على رق نعام بخط أندلسي مذهبة فى آخرها وقد جاء فيها أنها كتبت فى المرية بالاندلس بقلم عبد الرحمن بن على بن محمد بن مرزوق بن أحمد بن مكانس البطليوسي سنة ٤٨٨ ﻫ فهى من التحف المخطوطة النادرة . وانه شاهد نسخة غير تامة من تفسير القرآن لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما على رق غزال كتبت سنة ٣١٠ . وكتاب محاضرات ومحاورات لجلال الدين السيوطي من رجالات القرن التاسع بخط يده . وأفعال ابن القوطية كتبت بالاسكندرية سنة ٤٧٩ ﻫ . وكتاب التشبيهات لابى اسحاق بن أبي عون البغدادي مكتوبة بخط مشرقي سنة ٤٦٦ ﻫ

وذكر صاحب الرحلة الحجازية أنه شاهد فيها ديوان شعر فارسى لملاّ شاهي مكتوب بخط أبيض جميل . قال : وبينما نحن نعجب من جودة الخط واتقان الصناعة ونظافتها وحسن تنسيق حروفها على صغرها ودقتها لفت نظرنا مدير « الكتبخانة » الى أن حروف الكتاب انما هى ملصقة على الورق فتأملناها فوجدنا شيئاً يبهت الطرف لرؤيته ، ويعجز اللسان عن نعته ، خصوصاً عندما أخبر أنهم كانوا يكتبون هذه الكتابة ثم يفصلونها عن ورقتها بظفرهم ثم يلصقونها على ورقة اخرى !

وذكر السيد عبد الله مخلص أن مدير الخزانة أطلعه على تفسير الكشاف للزمخشري وبهامشه الكشف على الكشاف وقد كتب التفسير أولا بمجلد واحد بخط مشرقي جميل وجداول مذهبة ثم اضيف اليه الهامش بالصاقه على جوانب المتن الثلاثة الصاقا يكاد لا يظهر الا للناقد البصير ، قال وقد قيل ان هذا التفسير وحده كاف صاحب المكتبة ثلاثمائة جنيه

وذكر لي استاذنا الامام الالوسى أنه رأى فيها شرح موطأ الامام مالك لابن عبدالبر . وكتاب الخيل لأبي عبيدة . وقد وفق أخيراً الى استنساخ الثاني

وقال الاستاذ محمد كرد علي فى المقتبس (ص ٧٧٤ م ٧) ان فيها كتاب الزبد والضرب في تاريخ حلب لرضى الدين محمد بن ابراهيم الحنبلى الحلبي فى المجموع رقم (٥٩) وهو المجموع الثالث وقع فى (١٤) ورقة . وطبقات القراء لمحمد بن سلاّم الجمحي تحت رقم (٦٦٨) وكتاب التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة لجمال الدين أبي عبد الله بن أحمد المطري : فيه فضل المدينة وما جاء في فضل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والروضة ووصف الجامع وأبوابه ومساجد المدينة والآبار التى تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم وأودية المدينة ووادى العقيق وحدود الحرم . وكتاب الجواهر الثمينة للسيد محمد كبريت المدنى كتب عام ١٢٧٠ ، وكتاب تقويم الابدان في تدبير الانسان للعلامة أبى الحسن علي بن يحيي بن عيسى بن جزلة المطبب البغدادى . وكتاب نصر من الله وفتح قريب للسيد محمد كبريت المدني فيه تراجم فضلاء المدينة المنورة . وكتاب غربال الزمان المفتتح بسيد ولد عدنان اختصار يحيى بن أبى بكر العامرى من تاريخ الامام أسعد اليافعي وهو مرتب علي السنين فيه الوقائع وتراجم المشاهير الى سنة ٧٥٠هـ وكتاب البرق المتألق في محاسن جلق للراعي الشهير بابن خداوبردى المتوفى سنة ١١٩٥ ومنه نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة . والنجوم الزواهر في معرفة الاواخر للتبردى الدمشقي من أهل القرن التاسع ذكر فيه الاواخر كما ذكر السيوطي الاوائل أى آخر من صنع كذا وآخر من كان كذا . وكتاب مخدرات القصور في تاريخ أهل العصور لابن قطرى البحيرى المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٨٩٨ وهو مختصر في التاريخ . وكتاب أيمان العرب لابى اسحق النجيرمي الكاتب في المجموع رقم (٥٤) وهو في خمس ورقات بالخط الدقيق فيها ما كان يقسم به العرب. وبه يستدل علي أديانهم ومعتقداتهم قبل الاسلام [1] اهـ

(١) نشرته مجلة الزهراء (١ : ١٠٤ و ٢٣٥) ثم طبعته المطبعة السلفيه على حدة

والنوادر التي في هـذه الخزانة اكثر من أن تحصى . وانما ذكرنا منها ماذكرنا لندلّ على مبلغ تأنق صاحبها رحمه الله في انتقائها . ويا حبذا لو يطبع لها فهرس مفصل وينشر بين الناس ليقف رجالات العلم على مانفتقر اليه في نهضتنا الحاضرة فيحيوا بالطبع منها مالا بد من احيائه

***

نظام الخزانة * الخزانة واقعة قرب باب جبريل في بناء جميل ، مرتبة ترتيباً حسناً . أرضها مفروشة بالسجاد الثمين في فِنائها بركة من الرخام يتدفق منها الماء . وهي عبارة عن بضع عشرة خزانة مشرعة الابواب للمطالعين والنساخ . وفيها من التسهيل عليهم والعناية براحتهم مالا تكاد تجد مثله في سائر خزائن الكتب في الشرق لهذا العهد . وقد ذكر لي من حدثني عنها من الفضلاء أن الزائر اذا ابتغى به الجلوس أتى اليه المحافظ بفهارس الخزانة الخطية وأرشده الى ما فيها من الكتب القيمة والنوادر الثمينة ثم طلب اليه معرفة اسمه ولقبه وبلده فسجل ذلك في سجل وذكر آراءه وتاريخ الزيارة وما طالع من الكتب . وهذه عادة حسنة تليق بديار تحفظ فيها كنوز الآثار وبدائع النوادر

عمال الخزانة وأوقاف صاحبها في المدينة * في الخزانة عمال كثيرون يقومون بلوازمها احسن قيام . وهم مدير ومحافظ اول كان راتب كل منهما ٧٠٠ قرش ومحافظ ثان براتب ٦٠٠ وثالث براتب ٥٥٠ ومحافظ رابع ومجلد وبواب وسقاء وكناس راتب كل منهم ٥٠٠ قرش

قال السيد عبد الله مخاص بعد أن ذكر ما قدمنا : وللمرحوم أوقاف أخرى في المدينة تأتي من عاصمة السلطان مع مرتبات المكتبة بواسطة الخزانه النبوية . منها مرتبات لاثنين يقرءان في الحرم النبوى كتاب الشفاء وآخرين يقرآن فيه دلائل الخيرات ومرتب لامرأة الواقف المقيمة في المدينة المنورة وكانت يوم

زار السيد عبد الله الخزانة حية ترزق ومقيمة في الطابق العلوي من الخزانة موقتة ريثما تترمم دارها وهي من فضليات النساء

***

وبعد فهذا آخر ما وصل الينا من ترجمة هذا المحسن الكبير فان كان ثمة نقص أو شطط فنرجو الباحثين أن يطرفونا بما عندهم ، ويرشدونا ـ أرشدهم الله ـ الى الخطأ، وبحمد الله وشكره تتم الصالحات م؟

بغداد محمد بهجة الاثري

حرمة الماضي وحق العلم

الى عمدة المحققين

سعادة الاستاذ الجليل احمد زكي باشا

إنْ يهزأ (الغرْبُ) الغيورُ بما بَقِي فلقد رددتَ بمُشْرِقٍ عن (مَشرقِ)
في كلّ آونةٍ لفضلكَ آيةٌ سطعتْ بجهدِ محقّقٍ ومدقّقِ
لا غروَ إنْ بالغتَ في تنميقها مثلَ الجواهر مِن غرام منمّقِ
إني المقدّرُ للحضارةِ قدرَها وعظائمَ (الغرب) السعيد بها الشقي
وكذا أقدّرُ للجدودِ ما ترا يَبْلى الزّمانُ وذكرُها لم يَخلَقِ
الحقُّ ليس يلجُّ في إنكارهِ الا الضعيفُ المرتمي لا المرتقي
من لم يُعظّم للجدودِ جهودَهم فهو المحقّر نفسَه في المنطقِ
وهو الملقّنُ للبنين بجهلهِ درسَ التقاصُر لا دروسَ تشوّقِ
الصبرُ أنتَ مثالهُ في مبحثٍ والحقُّ أنتَ منارُهُ في مَرْمقِ
تَجري يراعتُكَ (الزّكيةُ) عذبةً بالفضل جريَ الجدوَل المترقرقِ

ومناهلُ الأدبِ الجميل تخصها بنوافحِ الماضي الذى لم يُسبَق
وأراكَ في عُمْرِ الاصيل وانما عمرٌ يطولُ ببهجةٍ وبرونق
مثل الصباح سخاؤهُ وجمالهُ ولهُ على الاصباح عطفُ مُشوِّق
انظرْ اليه[1] كما تشاء وكنْ لنا مرآتَه توحي بأروع منطق !
من كان وضّاءً بعقلِكَ لم يكنْ يعيا بارشادِ المحبِّ المشفق
كلاَّ ولا يخشاهُ طالبُ حجةٍ أبداً ، ويسترضيه قلبُ المتقي
وكذا العليمُ مقامهُ فى أمةٍ عرفتْه يستعلي بحظ موفّق
وعلى الأديبِ فُروض مفتونٍ به فأقبلْ تحيةَ عاشق لم يلتق
إنْ أرخصَ الشعراء تاجَ مديحهمْ فأنا الضنينُ بهِ لغير مُحلّق
واخصُّ بالمدح العليمَ مُزكياً سيانِ في (مصرٍ) ودولةٍ (جلّق)
فالعلمُ قُدْسِيٌّ الحياةِ ، وأهلُهُ مثلُ النجوم ـ وإنْ نأوْا ـ لتألُّق
هيهاتَ يجحَدُها البصيرُ ضياءَها مهما تحيَّرَ فى الظلام المحدِق !

احمد زكي ابو شادي

﴿ حدائق الحيوانات ـ في الحضارة العربية ﴾

أول من استحدث حدائق الحيوانات العرب ، وكانوا يسمونها (حير الوحش) ، فقد أنشأ أمير المؤمنين المأمون واحدة من هذا النوع لزوجته بوران ، وجعل ذلك متصلا بالميدان وقصر الثريا الذي بناه المعتضد على نهر عيسى ببغداد. ثم جاء الخليفة المقتدر بالله فزاد في ذلك (انظر مقالة السيد فهر الجابري في هذا الجزء من الزهراء بعنوان : أغلاط في طبع نهاية الارب)

(١) يعني الى الصباح او عهد النهضة الاولى

صيام رمضان

فرض الصيام لحكمتين : أدبية وصحية

فالأدبية هي أنه يبثُّ في الانسان فضيلة الصبر والشجاعة والامانة ، لأنه لا مراقب على الصائم الا ذمتـه وضميره ، وأن يشعر بقوة الله وعظمته ، فهو يخشاه ويعلم أنه يراه في كل وقت ، وكل مكان . فالصيام يهذب النفس بابعادها عن الشهوات وترك الملاذ ، والصائم بعيد عن الأذى بنظره ولسانه ويده ، وهو يمثل حقيقة التقوى الصحيحة . وألم الجوع والظمأ يعلمـان الصائم العطف على الضعفاء ، والاحسان الى الفقراء .

ونظام غذاء الصائم في أوقات معينة من أهمّ الامور الصحية لتقوية المعدة والأمعاء . وان في البعـد عن التدخين راحة لأعضاء التنفس ، فهو في الحقيقة علاج لأصحاب النزلة الشعابية والتهاب اللوزتين وسرعة احتراق الغذاء بطول اليوم ، ويمنع تخزين حمض البوليك والأملاح

وسرور الصائم بغروب الشمس ، وانشراحه للفطور ، وأنسه بزيارة أصدقائه في العشاء ، من أكبر الوسائل لتنبيه الجهاز العصبي ، وهو المديرُ لـكل الاعضاء والعضلات .

الدكتور
بسيوني بسيوني

﴿ الدكتور صالح قنباز أيضاً ﴾

لما اطّلع القانونى الشهير الاستاذ سعيد بك حيدر ـ زميلي أيام الدراسة الثانوية ـ على ترجمة الشهيد الدكتور صالح قنباز أرسل يذكّرنى بحادثة تدلّ على نبوغ هذا الفقيد ، وهى أن كتاب حساب المثلثات المستوية الذي كان يستعمل في مدرستنا كان ناقصا ثلاثة أسطر ، فاستطاع صالح قنباز أن يكمّـل الأسطر الناقصة بمجرد امعانه النظر في الشكل الهندسي ، فكان ذلك مما أدهش أساتذته

مشيخة الازهر (١)

مشيخة الازهر أعظم مقام ديني اسلامي في المملكة المصرية ، ويُنعت من يوسَّد اليه هذا المنصب بشيخ الاسلام . وقد بلغ من احترام ملوك مصر وامرائها لمشيخة الازهر أنْ كان عزيز مصر عباس باشا الاول يحضر درس الشيخ ابراهيم البيجوري في الازهر فلا يقوم له (٢) بل يُحضَر له كرسي من جريد يجلس عليه خارج الدرس . وبلغ من سمو مكانة هذا المقام في الوقت الحاضر أن شيخ الازهر عضو في مجلس البلاط الملكي ، وعضو في المجلس العالي للاوقاف ، ورئيس للمجلس العالي للازهر ، ورئيس لمجلس ادارة الازهر ، ومدير لادارة أوقاف الازهر ، ورئيس لقسم الوعظ والارشاد ، ورئيس لمجلس ادارة مدرسة القضاء الشرعي الى غير ذلك من الوظائف الاخرى . ولا نعلم موظفاً على وجه الارض اختصته بلاده برواتب ومخصصات تضارع رواتب مقام شيخ الازهر ومخصصاته

وليس لدينا معلومات كاملة عن تاريخ مشيخة الازهر في كل أدواره وأطواره لأن أول من اهتم بتدوين تاريخ مشايخ الأزهر من المؤرخين الذين وصلت الينا كتبهم هو الجبرتي الذي حفظ لنا أسماء هؤلاء المشايخ منذ أواخر القرن الحادي عشر ، وكان يتولاها في ذلك الحين علماء المالكية . وأول من علمناه منهم الامام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي ، كان على جانب عظيم من العلم والصلاح والتواضع ، له شرحان على مختصر خليل ، وكتاب في البسملة . وانتهت اليه الرياسة حتى لم يبق في مصر أحد من أقرانه وكل العلماء من تلاميذه .

(١) هذا المقال متمم لما كتبناه في صدر الجزء الخامس في تاريخ الازهر

(٢) ذكر ذلك العلامة علي باشا مبارك في كتاب الخطط (٤ : ٤٠) ولا تزال هذه العادة جارية في دروس العلم في تونس ، فاذا حضرها الباي ـ أمير البلاد ـ جلس في مكان خاص به ولا يأتي المدرس بحركة ما لئلا يمس حرمة مجلس العلم .

توفي في ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٠١

وجاء بعده كبير علماء الشافعية فى زمنه الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى الشافعي المتوفى سنة ١١٠٦ (١)

وتولى المشيخة بعده مدة ١٤ سنة شيخ الاسلام الشيخ محمد النَّشَرْتى المالكى ـ من قرية نَشَرْت بمديرية الغربية ـ وتوفى سنة ١١٢٠ . واستمرت المشيخة بعده فى المالكية الى الشيخ الشبراوي

وتولاها بعده الشيخ عبد الباقي القلّينى ، ولم أقف على ترجمته

ثم الشيخ أحمد شَنَن وكان أعظم المصريين ثروة (١) ، توفي عام ١١٣٣

ثم الشيخ ابراهيم بن موسى الفيومي شارح العزية في الفقه (ولد عام ١٠٦٢ ـ وتوفي عام ١١٣٧)

وبعد الشيخ الفيومى انتقلت المشيخة الى الشافعية . وأول من تولاها منهم :

شيخ الاسلام الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي (ولد سنة ١٠٩٢ ـ وتوفي عام ١١٧١) وكان من بيت علم وجلالة ، وصار للعلماء فى زمانه رفعة ومهابة

ثم القطب الكبير الشيخ محمد بن سالم الحفنى المولود على رأس المائة الحادية عشرة . تولى مشيخة الازهر سنة ١١٧١ الى أن توفي سنة ١١٨١ وله مؤلفات فى الحديث والعقائد والفرائض والجبر

ثم الامام الفقيه الشيخ عبد الرءوف السجيني . تولى المشيخة سنة ١١٨١ وتوفي سنة ١١٨٢

---

(١) كان الكاتبون في تاريخ الازهر يذكرون بعد الشيخ الخرشي الشيخ النشرتي ؛ فنبه الاستاذ العلامة المحقق أحمد تيمور باشا الى مشيخة الشيخ البرماوي في هامش ما كتبه على المذهب الشافعي من رسالته في تاريخ انتشار المذاهب الأربعة (الزهراء ٢ : ١٧٠)

(١) ترك لولده أربعين الف جنيه من الذهب البندقي ـ ما عدا الجنزرلي والطرملى وأنواع الفضة ـ وترك غير ذلك مماليك وأملاكا وضياعا ووظائف وجامكي ورزقا وأطيانا . فبدد ابنه كل هذه الثروة ومات مديناً

ثم العلامة الشيخ احمد بن عبد المنعم الدمنهوري المذاهبي المولود سنة ١١٠١ تولى المشيخة من سنة ١١٨٢ الى أن توفي سنة ١١٩٠[1]

وقام نزاع بعده مدة سبعة أشهر في توجيه هذا المنصب على الشيخ عبد الرحمن العريشي أو الشيخ احمد العروسى . ثم انتهى الامر بتولية الشيخ العروسى المولود سنة ١١٣٢ وبقى فى المشيخة الى أن توفي سنة ١٢٠٨

وانتقلت بعده الى الشيخ عبد الله بن حجازى الشرقاوى المولود فى حدود سنة ١١٥٠ والمتوفى سنة ١٢٢٧

وتولاها بعده الشيخ محمد الشنوانى حتى توفى سنة ١٢٣٣ ثم قام بأعبائها الشيخ محمد العروسي الى وفاته سنة ١٢٤٥ ثم الشيخ احمد بن علي الدمهوجي لكنه توفي سنة ١٢٤٦ ثم الشيخ حسن بن محمد العطار الى سنة ١٢٥٠ وكان من كبار العلماء فى العلوم الرياضية فضلا عن العلوم الشرعية والعربية ، ورحل قبل مشيخته الى دمشق وحمد المقام فيها

وخلفه الشيخ حسن القويسني الى أن توفي سنة ١٢٥٤ وكان كفيف البصر شريف النفس ذا هيبة عند الامراء والعظماء

وجاء بعده الشيخ أحمد بن عبد الجواد الصائم السفطي الى وفاته سنة ١٢٦٣

ثم الشيخ ابراهيم البيجوري الشهير المولود سنة ١١٩٨ وفى اواخر مدته أقعده الكبر فقام بمهمة المشيخة أربعة وكلاء انتخبهم علماء الازهر — وهم الشيخ احمد كبوه العدوى المالكي والشيخ اسماعيل الحلبى الحنفى ، والشيخ خليفه الفشني الشافعي ، والشيخ مصطفى الصاوى الشافعي — الى ان توفى الشيخ البيجورى سنة ١٢٧٧ وبقى الازهر بعده بلا شيخ مدة اربع سنوات فاستمر الوكلاء فى ولاية المشيخة وتسمى هذه المدة « فاصلة الوكلاء »

---

(١) كذا في خطط على باشا مبارك (٤ : ٣٢) وفى تاريخ الازهر للشيخ سليمان رصد أن وفاته سنة ١١٩٢

وفي سنة ١٢٨١ تولاها الشيخ مصطفى العروسي المولود سنة ١٢١٣ وعزل عنها سنة ١٢٨٧ فتولاها الشيخ محمد المهدي العباسي مضافة الى الافتاء وعزل عنها فى المحرم سنة ١٢٩٩ بطلب من العرابيين فتولاها الشيخ محمد الانبابي. وبعد انقضاء الثورة العرابية أعيد الشيخ المهدي بأمر صدر فى ١٨ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ ثم استقال من الازهر والافتاء سنة ١٣٠٤ واعيد الانبابي [1] حتى استقال في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣١٢

وتولاها الشيخ حسونة بن عبد الله النواوى في المحرم سنة ١٣١٣ وفصل في المحرم سنة ١٣١٧

ثم الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى سنة ١٣١٧ وتوفي فجأة بعد شهر واحد

وخلفه الشيخ سليم البشري الى ان استقال في ذي الحجة سنة ١٣٢٠

ثم السيد علي بن محمد الببلاوي واستقال فى المحرم سنة ١٣٢٣ (وتوفى فى ذي القعدة من تلك السنة)

ثم الشيخ عبد الرحمن الشربيني الى ان استقال في ذي الحجة سنة ١٣٢٤ (ثم توفي سنة ١٣٢٦)

ثم الشيخ حسونة للمرة الثانية واستقال سنة ١٣٢٧ (ووفاته في ٢٤ شوال سنة ١٣٤٣)

ثم الشيخ سليم البشري المرة الثانية الى ان توفي ظهر يوم الجمعة ٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٥

وشيخ الاسلام في الديار المصرية اليوم هو شيخ الازهر الشيخ محمد ابو الفضل الجيزاوى الورّاقي تولى بعد وفاة الشيخ البشري وصدر أمر السلطان حسين كامل بذلك في ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ ثم أضيفت اليه شياخة المالكية بأمر صدر في ٢٠ صفر سنة ١٣٣٦ أمتع الله المسلمين بحياته

(١) ثم أعيد المهدي الى الافتاء فقط وبقى الى ان توفي ليلة الاربعاء ١٣ رجب سنة ١٣١٥

الذكريات (١)

لاتبكِ أوطاناً ولا سكنا ياخيرُ وانشُد غيرها وطنا
فبذا جرى حكم القضاء بنا انت الغريب معذباً وأنا
ناوٍ على الفيحاء ذو حرق متأرق أتصيَّدُ الوسنا
لولا يد للسقم جائرة قد أوسعتنى شقوةً وضنى
لقرعت صدر البيد تحملني وخادة أرخي لها الشطنا
ولأرقلت بي، غير مكترث، همم توقد في الضلوع سنا
لاعيش للعربيّ في وطن رب السيادة فيه من رطنا

***

اذكرتني والذكر من شيمي زمن النعيم وعهد إلفتنا
اذكرتني «قلمون» ناضرة جناته توحي لنا اللسنا
ايام ننحو الروض نهصر في ذوب اللجين من المنى فننا
فأثرتَ مني، غير متئد، شجواً أناء بثقله البدنا
ودمشق لولا معشر غُبُرٌ لرثيتها وبكيتُ من قطنا
وندبتها وبثثت من شجني لو كان يجدي بثيَ الشجنا
وهجرتها هجران محتسب وجعلت مهبط رحليَ اليمنا
أنحو بها صنعاء تكلأني أرباضها، متجنباً عدَنا

***

والقوم ـ الا عصبة صُبُرٌ لزموا الحفاظ فجنبوا الغبنا ـ
رقدت عزائمهم وغيّرهمْ حبُّ النعيم فغيروا السننا
دب التباغض بينهم فمشوا نحو الردى وتبادلوا الاحنا

(١) أنظر قصيدتي السيد خير الدين الزركلي والامير عادل أرسلان (الزهراء ١ : ٥٦١) وقصيدة الدكتور أبي شادي (الزهراء ١ : ٦١٨)

ومشى الصغار الى نفوسهم فثوى بها فغدت له عطنا
ألفوا الهوان ضراعة فغدت أذواقهم لا تنكرُ الأسنا
فاذا ذممنا الدهر هب لنا حمرٌ بطان تحمد الزمنا
ولقد لحنتُ ، وأنت ذو فطن وأخو الفطانة يدرك اللحنا

***

وطن كلفت به ، فغادرني بيد الأسى والضيم مرتهنا
ليت الألى أغروا عداه به غيرَ المذلة احرزوا ثمنا
تركوه أعزل وانتضوا وعدوا بيض الظبا وتنكبوا الجننا
فتنوا به فجرت بهم خبباً جردٌ سوابق واعتلوا سفنا
فجماله جلب العداة إلى أرباعه فتفيأوا القننا
قد يجلب الشرَّ الجمال على رب الجمال ويبعث المحنا
فاستُوبلت جنانه وذوت أزهاره وغديره أجنا
والغوطة الغناء قاتمة والنور في أجوائها دكنا
ذهبت بشاشتها فبهجتها ظلم وأنكر طيرها الغصنا

***

لا ساكن الكوخ الحقير بها راض ولا من يسكن الفدنا
انّى التفتّ رأيت مبتئساً يخفي الأسى ويساور الحزنا
أو نابها كرمت أرومته قعدت به الاقدار فامتهنا
الا زعانف نالها شبع من بعد جوع مضرع وونى
من كل غمر لحظه خزر ان يلق حراً ناهضاً شفنا
غر تنكبه الاباء فلا تلقاه الا مدمناً ددنا
أعلاج سوء كلهم أبثٌ يتلمسون مع الدجى اُتنا

دمشق : محمد البزم

اغلاط في طبع نهاية الارب

كثيراً ما أطالع فى كتاب نهاية الارب وارى فيه جملا وكلماً لا اهتدى الى معناها ، فأذهب واسأل الاب انستاس مارى الكرملىّ عنها لاستجلى معناها ، فاعود حافل الفكر بما اسمع وأعي

« البَسْط ـ الآواز »

وقد سألته فى هذه الايام عما ورد فى ص ٢٠٤ من الجزء الرابع اذ يقول المؤلف : «فكتبت اليه الشعر وايقاعه وبسيطهُ ومجراهُ واصبعهُ وتجزئتهُ واقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره واوزانه فغناه ثم لقيني فغنانيه » ، فذكرت له ان فى هذه الجملة كلاما غير واضح فهل من الممكن ان يشير اليّ بما فيه من الوهن

قال الاب : قوله « وبسيطه » لا معنى له ، وان ورد فى الاغانى بهذه الصورة كما لا معنى لما ورد فى الاصول : « وبساطه » . والصواب : « وبسطه » . من بسط الشيء أى نشره . وذلك لانه كتب اليه كيف يمكنه ان يحقق اظهار ذلك الشعر ، فبسطه له اخراجاً له الى حيز الوجود . وهذا هو المراد هنا

وكذلك لا معنى لقوله « ومقادير أدواره » ، أو اذا كان هناك معنى فهو لا يوافق كل الموافقة سياق معنى العبارة ، وانما هو : « ومقادير آوازه » ، والآواز من اصطلاح علماء الاغانى . والكلمة فارسية أى وللآواز مقادير ، وهذا هو المطلوب هنا * فاطمأن فكرى بهذا الشرح

« حَيْر الوحش : حديقة الحيوانات »

ثم قلت له : وقد جاء فى الصفحة التالية أى فى ص ٢٠٥ ، قوله : « فضينه

فسألنا عن خبره فأُعلمنا انه مشرف على حاشر الوحش، وهو مخمور . » فما المراد بحاشر الوحش؟

قال الاب : لا معنى له ولا لحير الوحش كما في الاغاني، انما هو « حَير الوحش » ومعنى الحير أو الحائر — والاول هو المستعمل اذا أضيف الى الوحش — بستانٌ واسع فيه انواع الوحوش ، على حد ما يسميه الفرنسيون Jardin Zoologique والعرب سبقوا جميع الامم المتمدنة الى اتخاذ تلك الحظائر لحبس الوحوش فيها ودرس اخلاقها وعاداتها . مع « التفرج » على ما هناك من عجيب المخلوق

واول من استحدث « حير الوحش أو حير الوحوش » المأمون . وذلك قبل زواجه ترويحاً لنفس زوجه القادمة ، وكان الحير متصلا بالميدان وقصر الثريا . جاء في مقدمة تاريخ بغداد لابي بكر احمد بن ثابت الخطيب البغدادي (ص ٤٨ من طبعة باريس) : « ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشاه واستحدثه وكان الميدان والثريا وحير الوحوش متصلا بالدار » . انتهى

والذي بنى الثريا المعتضد وذلك على نهر موسى

﴿ القَصّاب : المزامير ﴾

وسألت الاب عن معنى هذا البيت الوارد في الصفحة ٢٠٥ المذكورة :

وشاهدُنا الورد والياسمين والمسْمِعاتُ بقُصّابها

قال : المعنى قلق لان الواقف على طبع الكتاب ضبط بقصابها بضم القاف وقال في الحاشية « القصّاب : الاوتار التي سويت من الامعاء . وقيل: جمع قاصب وهو الزامر » . وكل هذا غير صحيح . والصواب ضبط القاف من قصابها بالفتح أي بقَصّابها والقصاب جمع قصابة وهي المزمار . والمسمعات : المغنيات . فيكون المعنى : وشاهدنا الورد والياسمين مع المغنيات بمزاميرهن وبهذه الصورة يتسق المعنى ويزول كل تكلف وتعسف

﴿ خَرْبازان ﴾

قلت للاب : ان كان يمكنك ان تحتمل الحافي عليك قل لي بحياتك مامعنى خزبادان الواردة في حاشية ص٢٠١ اذ يقول الناشر : «وفي الطبري : شكلة أم ابراهيم بن المهدي وهي بنت خزناسان قهرمان المصمغان. وكتب مصححه : خزبادان ؛ انظر الجزء الاول من القسم الثالث ص ١٤٠ طبع اوروبا . » اه نص الحاشية

قال الكرملي : والصواب خربازان، وهو علم عدة رجال من الفرس أطلق عليهم لاتقانهم اللعبة المعروفة عندهم بخربازان ويسميها العرب التدبيح و التدميح والتدبيخ والدُبّاخ والدماخ. وكيفية اللعب هي : اثنان من اللاعبين يقابل الواحد رأس الآخر وجها بوجه ، ويجعلان أيديهما على ركبهما ، ثم يقبض آخر على رأس حبل ويمسك رابع طرفه فيطوف الاول حول الآخر ويمنع برفسه الذين يريدون ان يركبوا ظهري المنحنيين أو المدبّحين ويصدهم عن تحقيق أمنيتهم . واذا وثب أحدهم وركبه وتمكن منه يكون له الفوز . وماسك ذاك الحبل يسمى حمّارا (وبالفارسية خَرْبَنْده) . راجع البرهان القاطع مادة خربازان

﴿ اعتقاب فَعَلَ وَأَفْعَلَ ﴾

قلت للاب : واذا كان صدرك لم يضق ، أطلب اليك ان تفيدني عن شيء وهو : هل ورد أقصّ بمعنى قصّ في اللغة أو في كلام الفصحاء ، فان مؤلف نهاية الارب يقول في الجزء الرابع في ص٢٦٤ ماهذا نصه « فلما دخلتُ سلمتُ فردّتْ علي وسألتني عن الخبر فاقصصته عليها » اه . وقد ذكر الواقف على طبعه في الحاشية ما هذا حرفه : « كذا بالاصول والاغاني . ولم نجد في القاموس واللسان

أقص بمعنى قص ، ولعلهـا محرفة عن فاقتصصته » أم كلام الشارح . فهل هذا صحيح ؟

قال الأب : انك لاتجد معجما من معاجم اللغة يحوي بين دفتيه مفردات اللغة العربية كلها لانها بحر لا ينتضنض ، بل ومحال ان تجدها مدونة فيها ، الا ان استعمال الفصحاء للفظة يتخذ بمنزلة حجة بل بمنزلة شاهد لما يراد اثباته . والحال ان كثيرين من الفصحاء قد ذكروا أقص المزيد بمعنى قص المجرد . من أولئك الطبري فى تاريخه (٢ : ١٨٤٠ من طبعة الافرنج) : وذكر يوسف وجوْرَهُ ، وقامت الخطباء فشتَّموا من الوليد ويوسف فاتيتـه ، فاقصصت قصتهم فجعلت لا اذكر رجلا ممن ذكره بسوء الا قال : لله عليَّ ان أضربه مائة سوط . . . »

وأنت تعلم منزلة الطبري من الفصاحة والسلاسة فهو أبرع مؤرخ فى الاسلام وأحسن من كتب فى الاخبار والاحداث ، اذ كل من جاء بعده سرق عبارته وادعاها لنفسـه . فاستعماله أقص المزيد بمعنى قص المجرد مما يحتفظ به ، والهمزة هنا لاتفيد فائدة جديدة ، انما هي لتحسين وقع الـكلمة في أذن السامع لاغير .

فقد قال فى المزهر (٢ : ٢٠٦ من طبعـة بولاق الاولى) : كان الـكسائي يقول : قلما سمعت فى شيء « فعلت » الا وقد سمعت فيه « أفعلت » . وقال أيضاً (فى ٢ : ١٦٧) قال فى الجمهرة (لابن دريد) فى باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة ، وكان الاصمعي يشدد فيه ولا يجيز أكثره مما تـكلمت به العرب من « فعلت » و« أفعلت » . وطعن فى الابيات التي قالتها العرب . واستشهد على ذلك . فمن ذلك : بان لي الامر وأبان ، ونار لى الامر وأنار ، الى ان قال : وسرى وأسرى . ولم يتـكلم فيـه الاصمعي لانه فى القرآن ، وقد قرىء « فأسر بأهلك ، واسر بأهلك » قال : وكذلك لم يتـكلم فى عصفت وأعصفت لان فى القرآن : ريح عاصف . . . (الى صفحة ١٦٨)

وقال في لسان العرب في مادة ك س ى « كساه اياه كسوا : البسه قال ابن جني أما كَسِيَ زيد ثوبا ، وكسوته ثوبه ، فانه وان لم ينقل بالهمزة فانه نقل بالمثال ألا تراه نقل من فُعل الى فَعل وانما جاز نقله بفَعَل لما كان فعل وافعل كثيرا مايعتقبان على المعنى الواحد نحو : جدَّ في الامر واجدَّ ، وصددته عن كذا وأصددته ، وقصر عن الشيء وأقصر ، وسَحَقه الله وأسحقه ، ونحو ذلك قال : فلما كان فعل وأفعل على ماذكرنا من الاعتقاب والتعاوض ، ونقل بافعل ، نقل أيضا فَعِل بِفَعَل نحو كَسِيَ وكسوتُه ، وشترت عينه وشترتها ، وعارت وعرتها »

فأنت ترى من كلام هؤلاء الائمة الاكابر ان فعل وافعل كثيراً مايعتقبان ، وكثيراً ما يخلو ذكر افعل المزيد من الكتب العربية لهذه العلة . ولذلك اذا رأيت مثله في كتاب أحد الفصحاء فعليك بالاحتفاظ بكلامه ، لانه سمع من شيوخه ماذكر ولم يخترع من فكره شيئاً .

قلت للكرملي : لقد اثقلت عليك في هذا اليوم فاشكرك على ماأفدتني به وموعدي في يوم آخر

فهر الجابري

الزهراء – وكوكب الشرق

طوَّق « كوكب الشرق » الاغر جيدَ (الزهراء) منَّةً بما صاغه يوم ٢٣ شعبان من آيات التشجيع لها والعطف عليها — في مقال نفيس ضافي الذيول بعنوان (الزهراء) — منوِّها بالغرض الذي أنشئت له ، والمطمح الذى وقفت صفحاتها للدعوة اليه . وأن الشرق كان في حاجة الى مجلة تعالج أبحاث الزهراء . فجاءت الزهراء مالئة هذا الفراغ بأقلام الطبقة العليا من أعلام القديم وأنصار الجديد .

فنشكر للاستاذ الجليل حافظ عوض بك هذا العطف والتشجيع ، ونعتبر كلمته النفيسة اقراراً للزهراء على المضيّ في طريق الدعوة الى الاحتفاظ بكياننا ، وتأييده بوسائل القوة العصرية

كعب بن الاشرف

هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان أهلها قسمين: فمنهم من كان مدنياً وهم بين مسلم ومشرك، وكان الدين يفرّق بين الاب والابن منهم. ومنهم من كان حليفاً إما للاوس أو للخزرج، ويدخل اليهود في عدادهم. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في تأسيس السلم والوئام بين الاهلين، ولكن المشركين ولا سيما اليهود وقفوا في وجهه عاملين على احباط مساعيه السلمية والانسانية. وانك تفهم هذا الموقف الدقيق من قراءة الآية ١٨٣ في سورة المائدة والآية ١٠٣ في سورة آل عمران.

وكان الشاعر اليهودي كعب بن الاشرف يفوق ابناء جنسه في خصومته وبغضه للنبي صلى الله عليه وسلم. وهو ينتسب الى بني نبهان وهم بطن من طيّء أما أمه فمن يهود بني النضير. وكعب هذا كان أول من جاهر بتألمه من ظفر المسلمين بواقعة بدر، وهو الذي ذهب حاقداً الى مكة حيث نزل ضيفاً على المطلب بن أبي وداعة السهمي زوج عاتكه بنت أبي العيص بن أمية فأكرم اكراماً زائدا وأنشأ هناك قصيدة حض فيها القرشيين على اخذ الثار ورثى الذين ماتوا منهم في بدر وهجا النبي صلى الله عليه وسلم هجوا شديدا تراه مفصلا في المجلد الاول من تاريخ الطبري وفي المجلد الثاني من تاريخ ابن الاثير وفي المجلد الثاني من تاريخ ابن خلدون. اما ابن هشام فلم يذكر من تلك القصيدة في سيرته الا بعض الابيات[1]

ولم يكد كعب ينتهي من قصيدته حتى تناقلتها الافواه في مكة فاثرت في

(١) سيرة ابن هشام ص ٥٤٨

النفوس تأثيراً بيناً ونسى القرشيون ما كانوا قرروه فيما بينهم من اخفاء الألم فعم البكاء والعويل جميع البيوت ، واقيمت المناحات في الاماكن العمومية ، واقيمت مراسم العزاء شهراً، وأتت الاخبار المدينة فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أمرُ القصيدة فاشار الى الشاعر حسان بن ثابت بأن يقابل المشركين بالمثل ويهجوهم ، فصدع حسان بالامر النبوي وأنشأ الاشعار وعدد فيها مصائب القوم فكان لشعره تأثير كبير حتى ان المشركين قاطعوا الشاعر كعب بن الاشرف خوفا من لسان حسان . فلما صار كعب وحيدا في مكة لم ير بداً من الرجوع الى بلده المدينة ، على أنه بعد رجوعه لم يرجع عن خطة العداء للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخذ يذكر نساء المسلمين في أشعاره ويحرضهن على مقاطعة أزواجهن فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال يوما لاصحابه :

ــ من منكم لكعب بن الاشرف ؟ .

فقام من بينهم محمد بن مسلمة وتعهد في أن يقوم بهذه المهمة . واتفق مع أربعة من الصحابة وهم سلكان بن سلامة (وكان هذا أخا لكعب بالرضاعة) وعباد بن بشر وحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر

ولما تم الاتفاق بين هؤلاء الخمسة قرروا ان يذهب سلكان أولا فيتودد لكعب لقرابته منه . فذهب سلكان لقضاء مهمته . وكان كعب تخوف منه فى بادىء الامر لولا تظاهره بعدم محبته للمسلمين وبرغبته فى التجرد من ربقتهم بداعي أن العرب لحقهم أضرار جسيمة من أعمال هذه الشيعة الجديدة . فاطمأن كعب لسلكان . فأخذ هذا يساومه على شراء قسم من بلحه ، واتفق معه على أن يقدم له أسلحته رهنا على الثمن. وبعد أن أتم كل ذلك جاء لرفاقه وأخبرهم بنجاح مهمته فأتى الخمسة الى بيت كعب في ليلة مقمرة وتقدم سلكان الى باب

الدار فاستدعى كعباً وكان هذا نائما فاستيقظ ونزل لحادثة سلكان وتمشى معه حتى مضيق (شرج العجوز) وهنا هاجمه المتآمرون بالسيوف فذبحوه ثم تواروا سالكين طريق بني أمية بن زيد وبني قريظة، الى أن وصلوا سهل الحرة فاستراحوا قليلا ثم دخلوا حي المسلمين وكانوا يحملون رأس شاعر اليهود كعب ابن الاشرف [1]

ولقد كان لقتل كعب دهشة وخشية في قلوب اليهود فتأكدوا أن المسلمين أضحوا من القوة بحيث يتهددونهم في بيوتهم ومراكز قوتهم ويغتالون السفهاء منهم. وفي اليوم التالي جاء وفد منهم واحتج الى النبي صلى الله عليه وسلم على حادثة القتل، فأجيبوا بأن كل من يتعرض للمسلمين أو يشتمهم سيكون نصيبه ما أصاب ابن الاشرف. فكان لهذا الجواب وقع كبير في نفوسهم وكان من فزعهم أنهم تعهدوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن لا يعود أحد منهم الى مثل اعمال كعب السفيهة. وكان من السياسة الرشيدة ان يفهم هؤلاء السفهاء ان التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالباطل لابد أن يعقبه عقاب شديد

القدس رفيق التميمي

« المتنبي وابن جني »

قال ابن العديم في تذكرته :

قرأت بخط جني : قال لي المتنبي يوما :

« أتظن ان هذا الشعر إنما أعمله لهؤلاء الممدوحين ، هؤلاء يكفيهم منه اليسير ، وانما أعمله لك لتستحسنه »

---

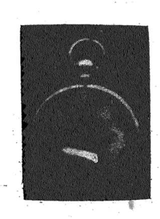
(١) السيرة الحلبية ص ٣٢٧ - ٣٢٩ ، الاغانى المجلد التاسع عشر ص ١٠٦ ، تاريخ الخميس المجلد الاول ، البخاري المجلد الثالث .

نبوغ خطاط عربي

— بدائع الشيخ نسيب مكارم —

كان الناس يزورون في هذا الشهر القسم الخاص بسوريا ولبنان من المعرض الزراعي الصناعي العام بالقاهرة ليطلعوا على بعض بدائع النابغة العربي في دقة الخط الشيخ نسيب مكارم . والى القراء وصف ماعرفناه منها ، وفي كل بديعة من هذه البدائع برهان على نبوغ صاحبها

يرى القراء في هذا المقال صحيفة من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي بك بعنوان نشيد وطني . في تلك الصحيفة مائة وستون كلمة استطاع الشيخ نسيب مكارم أن ينقشها على قطعة صغيرة من الحجر أكبر قليلا من حجم حبة الرز وهذه صورتها :



واذا كان من المستغرب أن ينقش هذا النابغة على مثل هذا الحجم الصغير ١٦٠ كلمة فأغرب من ذلك أنه نقش على حبة أخرى مثلها موشحاً للشاعر البيروتي السيد عبد الرحيم قليلات بعنوان (مصر وبنوها) فيه ٢٨٧ كلمة

ورأينا في اصبع الشيخ نسيب مكارم خاتما حجم موضع الفص منه لا يزيد على ٥ ملليمترات مربعة نقشت عليه سورة الفاتحة كاملة . وقد قرأناها بالمكبرة فرأينا الخط جليا وتجويفات الواو والفاء والقاف والجيم والصاد كلها بيضاء غير مطموسة

وقبل نحو خمس سنين قدم هذا النابغة الى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر خاتماً نقش عليه ستة أبيات في مدح جلالته . ولعل القارىء يستغرب اذا أخبرناه بأن هذه الابيات الستة تتضمن مائتين وستة وسبعين تاريخا لجلوس

نشيد وطني

بني مصر مكانكم تهيا ... فهيا مهدوا للملك هيا
خذوا شمس النهار له حليا ... ألم تك تاج أولكم مليا

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا ... فليس وراءها للعز ركن
أليس لكم بوادي النيل عدن ... وكوثرها الذي يجري شهيا

لنا وطن بأنفسنا نقيه ... وبالدنيا العريضة نفتديه
إذا ما سيلت الأرواح فيه ... بذلناها كأن لم نعط شيا

لنا الهرم الذي صحب الزمانا ... ومن حدثانه أخذ الأمانا
ونحن بنو السنا العالي نمانا ... أوائل علموا الأمم الرقيا

تطاول عهدهم عزا وفخرا ... فلما آل للتاريخ ذخرا
نشأنا نشأة في المجد أخرى ... جعلنا الحق مظهرها العليا

جعلنا مصر ملة ذي الجلال ... وألفنا الصليب على الهلال
وأقبلنا كصف من عوال ... يشد السمهري السمهريا

نروم لمصر عزا لا يرام ... يرف على جوانبه السلام
وينعم فيه جيران كرام ... فلن تجد النزيل به شقيا

نقوم على البناية محسنينا ... ونعهد بالتمام إلى بنينا
نموت إليك مصر كما حيينا ... ويبقى وجهك المفدي حيا

الراقم : نسيب مكارم ... أحمد شوقي

وكان الفراغ من صنع هذا الأثر في ١٠ - ٢ - ٢٦ الموافق ٢٧ - ٧ - ٤٤

جلالته على عرش وادى النيل . وبيان ذلك أن معجم أي شطر من أى بيت اذا ضم اليه مهمل أي شطر من أي بيت آخر يأتي منهما تاريخ ، وهذه العملية يأتى منها ١٣٢ تاريخاً ، لأنها تتكرر أحد عشر مرة في اثنى عشر مرة . ثم اذا أخذ مهمل الشطر الذي اخذ من قبل معجمه وضم اليه معجم كل شطر آخر يأتي من ذلك تاريخ ، ومن تنويع هذه العملية يأتي ١٣٢ تاريخا آخر غـير التواريخ السابقة . ولو أخذ معجم صدر كل بيت وضم اليه مهمل عجزه ، ثم اذا أخذ مهمل الصدر وضم اليه معجم العجز يأتي من مجموع ذلك ١٢ تاريخا ، فالجميع ٢٧٦ تاريخـا . وقدم لجلالته أيضا دبوساً حفر على رأسه خمسة أبيات فى ذكرى ميلاد سمو ولي العهد بالتاريخين الهجري والميلادى

وكان الشيخ نسيب قد عمل في سنة اعلان استقلال سوريا (جمادى الثانية ١٣٣٨ — مارس ١٩٢٠) خاتما قدمه الملك فيصل نقش على مكان فصه ثلاثة أبيات تتضمن ٦٧ تاريخاً للاستقلال السوري ومع الابيات نسب الملك الى الحضرة النبوية

ونقش أيضـاً على فص خاتم مساحته ٦٥ ملليمترا جملا وطنية لسعد باشا بلغ عدد كلماتها ٨٦ كلمة

وفي متحف دمشق حبة قمح نقش عليها الشيخ نسيب قصيـدة عنوانها « آية الفتح في حبة قمح » تذكارا لدخول الجيش العربى دمشق وعدد كلمات القصيدة ١١٣ كلمة

وأهدى حبة قمح أخرى الى رئيس جمعية الصليب الاحمر الامريكى في واشنطون نقش عليها كتاب شكر بالانكليزية باسم السوريين على مابذلته هذه الجمعية من الخير لسوريا أثناء الحرب العظمى

ونقش في الشهر الماضى على حبة أرز مقاطيع من الشعر الانكليزى للشاعرين

الشهيرين شكسبير وطمسن عدد كلماتها ٦٩ .

وكان نقش على حبة أخرى قصيدة لفكتور هوغو

وأخرى عليها قطعتان من النشيد الفرنسوي (المرسلياز)

وبيضة الدستور التي صنعها الشيخ نسيب مكارم مشهورة ، وبها كان ابتداء شهرته ، فانه عند اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ نقش على قطعة رخام بشكل البيضة القانون الاساسي العثماني بنصه التركي ومعه ترجمته العربية كاملة ، وخريطة المملكة العثمانية والطغراء السلطانية ، وقصيدتان لامين بك ناصر الدين في الدستور والجيش ابياتهما ٥٩ ، وتاريخ اعلان الدستور العثماني الاول زمن مدحت باشا والدستور الثاني زمن الاتحاديين . ومجموع ما على بيضة الدستور من الكلمات عشرة آلاف كلمة

هذا وقد عرفت الحكومات والشعوب قدر هذا النابغة فامتلأ صدره بالاوسمة الكثيرة وانتخب عضوا في المجمع العلمي الدولي والاكاديمية اللاتينية وأكاديمية فكتور هوغو وغيرها

فنهنئه بهذا النجاح الذي نال به اعجاب الاجانب فضلا عن بني قومه

شكل الكتب عند الرومانيين

كان الرومانيون يكتبون مصنفاتهم على ورق طويل ألصقت صفحاته بعضها ببعض وينتهي باسطوانة يلف الورق الطويل عليها ويسمى هذا الشكل بالعربية « المدرج » وباللاتينية Volver . ومن هذه اللفظة اللاتينية اشتق الافرنج كلمة Volume بمعنى الجزء من أجزاء الكتاب

اعتذار

كنا نودُّ أن يكون صدور هذا الجزء من الزهراء غير متأخر فحالت دون ذلك العوائق الناشئة عن الانتقال الى المكان الجديد بشارع الاستئناف . وقد ضاق هذا الجزء عن مقالات كثيرة فنرجو من أصحابها المعذرة وستنشر فيما بعد

طريقة الحكماء المشائين

ورجالها وكتبها (١)

من رجال هذه الطريقة ابو علي مسكويه الخازن صاحب (تجارب الامم) في التاريخ فاضل في العلوم الحكمية متميز فيها مع مشاركة في العلوم الادبية . له كتاب (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) وهو كتاب لا نظير له في كتب الاخلاق اثنى عليه النصير الطوسي بما لا مزيد عليه وهو اصل ومرجع لكل من صنف في الاخلاق

واحمد بن حكم بن حفصون الاندلسي كان عالما جيد القريحة حسن الفطنة دقيق النظر بصيرا بالمنطق مشرفا على كثير من علوم الفلسفة . خدم الحكم المستنصر بالله الذي كان بقرطبة بالطب

وعمر بن احمد بن خلدون الاندلسي الاشبيلي كان متصرفا في علوم الفلسفة مشهورا بالهندسة والطب والنجوم مات سنة ٤٤٩

وسليمن بن حسان الطبيب الاندلسي المعروف بابن جلجل ذكي له تفرد بصناعة الطب وله ذكر في عصره ومصره وله تطلع على علوم الاوائل واخبارهم وصنف كتابا صغيرا في تاريخ الحكماء لم يشف فيه غليلا

وأمية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الحكيم الاندلسي واحد عصره وفريد دهره والمتفرد بفرايد نظمه وشعره كان ذا يد قوية في علوم الاوائل تأدب ببلاده وتفلسف وسار في الآفاق وطوف ودخل مصر في ايام افضلها . ومن مصنفاته كتاب تقويم منطق الذهن وكتاب في الهندسة

وابو بكر بن الصايغ المعروف بابن باجة الاندلسي العالم بعلوم الاوائل

---

(١) انظر الزهراء ٢ : ١٩٨ و ٢٩٣

وهو مع هذا في الادب فاضل استوزره ابو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وصنف في الرياضيات والمنطق والهندسة تصانيف اربى فيها على المتقدمين ويشبه انه لم يكن بعد ابي نصر الفارابي مثله في الفنون الذي تكلم عليها . ومن جملة تلاميذه القاضي ابو الوليد بن رشد الشهير. صنف شرحا على كتاب السماع الطبيعي لارسطو وكتاب النفس ورسالة الوداع واتصال الانسان بالعقل الفعال وكتباً أخرى كثيرة . مات بفاس ودفن قريبا من ابي بكر بن العربي

ومالك بن وهب الاشبيلي من اقران ابن باجة غير انه لم يقيد عنه الا نزر قليل

وابو الحكم الاندلسى الحكيم المرسي نزيل دمشق عبد الله بن المظفر بن عبد الله المرسي تاج الحكماء قرأ علوم الاوائل فاجاد وتبحر فى الآداب فاحسن وزاد ، وطاف البلاد شرقا وغربا وعراقا وعمّر بالآداب ربوعا ونفّق اسواقا . ونظمه سلس وللقلوب مختلس

وعمر الخيّام كان عديم القرين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الانواع وله شعر طاير تظهر خفياته على خوافيه

واصحاب الرسائل المعروفة باخوان الصفا وخلان الوفا وهى جماعة تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على النصيحة والطهارة ووضعوا بينهم مذهبا زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله وصنعوا في كل فن من فنون الحكمة والفلسفة رسالة بالغوا في تحريرها وتهذيبها وسموا جميعها رسائل اخوان الصفا وهي احدى وخمسون رسالة في اربع مجلدات عليها العمدة في فنون الفلسفة. ومن أشهر رجال هذه الجماعة الحاوية لاصناف العلم وانواع الصناعة ابو سليمان محمد بن معشر المعروف بالمقدسي وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفى . وقد اعجبني من هذه الرسائل ما كتبوه فى الاخلاق والسياسة .

والسموءل بن يهوذا المغربي الحكيم كان من يهود الاندلس. قرأ فنون الحكمة وقام بالعلوم الرياضية واحكم اصولها وفوائدها ونوادرها وله مصنفات في الطب والرياضيات ارتحل الى اذربيجان واقام بمدينة المراغة وخدم بيت البهلوان وأمراء دولتهم واسلم فحسن اسلامه وصنف كتابا في اظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم في التوراة ومواضع الدليل على تبديلها

وابو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي اليهودي الاندلسي من ساكني مدينة سرقسطة ومن بيت شرف اليهود. عني بالعلوم على مراتبها وتناول المعارف من طرقها فاحكم علم لسان العرب ونال حظا جزيلا من صناعة الشعر والبلاغة. وبرع في علم العدد والهندسة وعلم النجوم واتقن علم المنطق وتمرن بطرق البحث والجدل واشتغل بالعلم الطبيعي وقد ذكره ابن خاقان في قلايد العقيان مع وزراء الاندلس واثنى على بلاغته بما لا مزيد عليه فقال : الوزير الكاتب ابو الفضل حسداي سابق فبرز واحرز من البلاغة ما احرز. وجرى في ميدانها الى أبعد امد وبنى اغراضها بالصفاح والعمد. فغبر وجوه سوابقها وظهر امام وجيهها ولاحقها. اذا كتب انتسب اليه السحر اصح انتساب ونسق المعجزات نسق حساب. واري البدايع بيض الوجوه كريمة الاحساب. ثم اشار بان يهوديته كانت تقعده عن مراتب اكفائه وتقعده في ذلك الحضيض حتى تطهر من تلك السمة واستظهر بعقيدته التي قيدت في ديوان الحق مرتسمة

وابو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني الاندلسي كان بصيرا بالطب متقدما فيه ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة. وكان دقيق الذهن ذكي الخاطر جيد الفهم حسن التوحيد اخذ عن مسلمة بن احمد المجريطي واحمد بن حفصون الفيلسوف وابي الحارث الاسقف

القدس — خليل الخالدي

العمامة ـ الطربوش ـ البرنيطة

كلمات ذات بال

من ﴿ لجنة الطلبة التنفيذية ﴾ الى الطلبة :

اليوم ابتدأت يد الدس تلعب في صفوفكم المتراصة ، بغية التخاذل ، وغرض التفرق . انها فتنة فاتقوها ، وبدعة فقاوموها بالرفض والاباء . ولا تقولوا ان الترك سبقونا الى ذلك ، فلهم شأنهم ولنا شأن

نحن امة مستقلة لاشأن لنا بالترك . ويكفينا أن سعداً ـ الذي مات اخوانكم أثناء الهتاف باسمه الغالى وهم قريرو العين ـ يرتدي الطربوش ، فلا تبدلوا الخبيث بالطيب « واتقوا فتنة لاتصيبين الذين ظلموا منكم خاصة »

حسن يس

من ﴿ لجنة الشبيبة السعدية ﴾ الى الطلبة :

يرغب رجال الدس ، خالو الحس ، أن ينشروا بينكم مذهب المستعمرين « فرق تسد » فزينوا لكم لبس القبعات رداء الفرنجة وترك ردائنا القومي . لاتركنوا اليهم فهم شياطين ، والشياطين أعداء الناس جميعاً

من ﴿ الامير عمر طوسون ﴾ الى حسن افندى يس :

أتشرف بأن أبلغكم أن حضرة صاحب السمو الامير قد ارتاح الى ما كتبتموه من النصح الغالى في بدعة القبعة التى أخذ بعض صغار الاحلام فيها أخذ الكماليين ولبسها فعلا فكان سخرية بين قومه ، وكتب آخرون يفضلونها على الطربوش وهو لباسنا القومي وشعارنا الذى عرفنا به بين الامم . واننا لنحمد لبعض هؤلاء أنهم لم يجرؤا على الظهور باسمائهم لأن في ذلك بقية من الحياء يجب أن تحمد . وسمو الامير يعتقد في هذه الامة العاقلة الرزينة أنها لاتلقي بالا لهذه

السفاسف ، ولا تمع في هذه السخرية . ولكن ذلك لايجعلنا ندع هؤلاء المازلين يغررون بفتياننا وفتياتنا دون أن نأخذ الطريق عليهم ، ونبين لهم سوء ماتجره فعلتهم على الامة والبلاد

رئيس معاوني دائرة سمو الامير

محمد جلبي

رأي ﴿ سعد زغلول باشا ﴾ :

ان دولته يعتبر الشعائر والعادات — التي عمت بين قوم ورسخت فيهم وتلقاها الابناء عن الآباء — من مقومات القومية ومشخصاتها ومنابع نمائها ... ومن أجل هذا يجب أن يحافظ عليها كل المحافظة وأن لايبدل شيء بآخر الا اذا كان مضرا ضرراً عاماً أثبته الاختبار ، لان العمل على تبديله حين لاضرر فيه — تقليداً للقوي أو رغبة في كسب احترام مزيف — هو اسلامٌ للقومية ، أو تفريط في تنفيذ الوصية التي كتبها الآباء علينا ، وهروب من الدفاع عن الوطنية الصحيحة ، وسقوط في الهمم . وما مثل الذين يبدلون شعارهم بشعار غيرهم إلا كمثل الذين يتبرأون من أنسابهم وينتسبون الى غيرهم ، واهمين أنهم يكسبون شرفاً بهذا الانتساب ، ولكنهم لايكسبون الا غضب الآباء ، والا أن ينزلوا في غيرهم منزلة الادعياء

السكرتير الخاص لدولة سعد باشا

ابراهيم الجزيري

﴿ المقتطف ﴾ م٦٥ : ص ٣٤٢ (أغسطس ١٩٢٤) :

أذا نظرنا الى الطربوش والبرنيطة من الجهة الاقتصادية والصحية فالمرجح عندنا أن الطربوش يفضل البرنيطة

﴿ المقتطف ﴾ م ٤٦ : ص١٣٦ (فبراير ١٩١٥) :

ولعل العمامة أصلح منها ومنه . ولكن فات زمانها ، والرجوع اليها ليس بالأمر السهل بعد أن استقل بها العلماء وخدمة الدين

﴿ كلمة الشيخ ناصيف اليازجي ﴾

لاحظ الشيخ ناصيف اليازجي ان صديقه الياس افندي فواز ـ وكلاهما من أعيان المسيحيين اللبنانيين ـ يتدرج في تصغير عمامته ، فانتقد ذلك وقال له « علم الله أني لو لم أجد في الاسواق عمامة لتعممت بالبساط ، لأني أكره أن أرى الرجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، وأرى رأسه صغيراً بلا عمامة »

﴿ أجدادنا ونابليون بناپرت ﴾

قال الجبرتي في حوادث يوم ٢٠ ربيع الاول سنة ١٢١٣من تاريخه « وفيه طلب صارى عسكر بونابرته المشايخ ، فلما استقروا عنده نهض بونابرته من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان : كل طيلسان ثلاثة عروض ، أبيض وأحمر وكحلي . فوضع منها واحداً على كتف الشيخ الشرقاوي ، فرمى به الى الارض واستعفى ، وتغير مزاجه ، وامتقع لونه ، واحتدّ طبعه . فقال الترجمان : يامشايخ أنتم صرتم أحباباً لصاري عسكر ، وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته ، فان تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس ، وصار لكم منزلة فى قلوبهم . فقالوا له : لكنّ قدرنا يضيع عند الله وعند اخواننا من المسلمين »

﴿ الغرض من البرنيطة التشبه بالافرنج فقط ﴾

كتب الاستاذ محمد توفيق دياب « لمحة » فى العدد الثانى من (السياسة الاسبوعية) قال فيها ما خلاصته : ان رغبة بعض الطلبة الشيوخ في ان يكونوا أفندية مطربشين ، ورغبة بعض الطلبة الافندية في ان يكونوا خواجات مبرنطين ، واحتجاج الفريقين بذكر مزايا مايرغبان فيه ، إن هو الا ظاهر سطحي من المعاذير . قال : وعندنا ان الدوافع أبعد غوراً من هذا ، وأشد

اتصالاً بمشاعر النفوس منها بمشاعر الابدان . فالطالب الشيخ يرغب في زي الافندية لان فيه نوعاً من الصلة ـ الظاهرة على الاقل ـ برجال الغرب ، والطلاب الافندية حين يريدون ان يستبدلوا القبعة بالطربوش ليس الحر ولا البرد لعمرك ، كلا ولا أية وجهة بدنية أخرى هي التي تزهد الفتيان من أبناء مصر في الطربوش ، حقاً انهم رأوا أن تقليد الصفات المعنوية التي امتاز به الغرب يحتاج الى زمان طويل فتعجيلا بالسهل حتى يتيسر الصعب يريدون ان يظهروا في مظهر الغربيين من قمة الرأس الى أخمص القدم ...

﴿ في تيار الغفلة . . . ﴾

أما بعد فاني أعتب عتب الموعظة على الداعين الى لبس القبعة من اخواننا المسلمين خاصة ، وأقول لهم : ماعلمنا الا اليوم ان أسلافنا كانوا من أحكم الناس إذ رأوا اطالة بناء المآذن ورفعها ذاهبة في السماء ، فلا ريب أنهم مافعلوا ذلك الا إلهاماً من الله ، ليمكن يوماً أن تراها أعين أمثال هؤلاء الشبان ...

مصطفى صادق الرافعي

﴿ يتوارون وراء القبعة خجلا من جنسهم ﴾

لاغضاضة في الزينة المقبولة ، ولا لوم على من يطلب المظهر الجميل . ولكن اللوم عليه أن ينسى ـ في طلب المظهر ـ كرامةَ الرجل وجمالَ المروءة . فان هذا الجمال أجدر من الرجل الكريم بالمحافظة عليه من جمال الزي والشارة وكل جمال تراه العيون . فمن سقوط الهمة ان يتوارى الانسان وراء القبعة خجلا من جنسه ، أو تهافتا على لذة عارضة . ومن الجبن ـ لا من الجرأة على الجمود ـ أن يختلس مظهرَ قوم لا يحسبونه كأحدهم ، ولا ينزلونه بينهم منزلتهم ، وانْ لبس ما يلبسون ، وتكلم بما يتكلمون

عباس محمود العقاد

﴿ استهزاء جريدة اوربية بالمتفرنجين الشرقيين ﴾

قالت جريدة (منشستر غارديان) في افتتاحيه يوم الخميس ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦ :

« اذا كان هذا الجنون ـ الذى سلب ألباب الناس في الشرق الادنى ، ودفعهم الى تقليد الملابس الافرنجية ـ يدوم طويلا ، فاننا سنشهد شر أنواع التقارب بين الامم ، وسيزول بذلك مظهر من مظاهر الجمال ، ويدبُّ اليأس في نفوسنا من عالَم ذهب منه حبُّ التنوُّع

« ان القوالب التى يضع فيها الغربيون الآن أيديهم وسوقهم لم يقض بها حبُّ الجمال ، ولا حب الراحة والرفاه . وما من ضرورة تقضى الآن على التركي أو العربي أن يهجرا الأزياء التي أوجدها لهما الاختبار مدة قرون عديدة ، وجاءت ملائمة كل الملاءمة لحاجاتهما وعاداتهما

« وفضلا عن ذلك فانه بينما العرب والترك يستعبدون للازياء الغربية بأبشع أشكالها ، وأبعدها عن جمال الخيال والتصور ، يتحول الغربيون الى التنويع والتزويق . وقد يصدر خير حكم على القوانين التي سنها مصطفى كمال في شأن الملابس عند ما يأتي يوم نرى فيه مشايخ المسلمين سائرين ببرانيطهم والامراء بقلانسهم ، في حين أن أوربا تعود الى ازيائها القديمة تاركة برانيطها وبنطلوناتها ، أو تختار ازياء اجمل منها تستخرجها من سجلات الماضي ، فتأتي أزياء يظهر فيها جمال التصور والابتكار » انتهى

﴿ المظلة اليمنية ﴾

زعم بعضهم أن اليمانيين يلبسون القبعة ، فكتب الشيخ محمد باجنيد يكذب هذه الفرية ويقول انها مظلة من خوص النخل عرضها نحو ذراع لها رأس مستدير مع استطالة ودقة شديدة يستعملها الفعلة والرعاة لتقيهم وهج الشمس في الظهر وتسمى بالمظلة وهي ليست من جنس اللباس في شيء وليس لها اسم من أسمائه

حركة النشر و التأليف

﴿ أحكام الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية ﴾

للاستاذ العلامة الكبير الشيخ أحمد ابراهيم [١] كتابٌ عظيم القدر جليل النفع عنوانه (الشريعة الاسلامية) تناول فيه جميع أحكامها غير منقوصة ، ونوّه بحكمة تلك الاحكام ، وأشار الى أسرارها ؛ مع استيعابٍ للمذاهب المختلفة ، وبسط للأدلة ، ومناقشتها ، وبيان أرجح المذاهب أيًا كان قائله من الائمة الاعلام . وهو في ثمانية أقسام كبرى نتمنى لو يُتاح لمؤلفها الاستاذ الجليل أن ينشرها كلها بالطبع سداً لثلمة من المحزن أن تبقى مفتوحة

وأمامنا الآن جزء مطبوع فى أكثر من ٤٠٠ صفحة بقطع الزهراء عنوانه « أحكام الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية » استخرجه الاستاذ من كتابه المذكور آنفًا . وهذا الجزء هو الاول من قسم الاحوال الشخصية [٢] وفيه أربعة كتب : كتاب النكاح ، كتاب مايجب لكل من الزوجين على صاحبه ، كتاب فُرَق النكاح ، كتاب الاولاد

ويمتاز هذا الجزء بحسن تبويبه ، ودقة تقسيمه ، وبراءته من الحشو ، واجتناب مؤلفه الاستطرادات المخلة . وقد جعل أمهات مسائله وأصول قواعده بحروف كبيرة والبيانات الملحقة بها بحروف أصغر ، وزينه بالعناوين الكثيرة التى تسهل على القارىء سبل الاستفادة . وصاغ مواد الكتاب بعبارة سهلة جلية متينة ، وقسمها الى جمل وفقرات ذات أرقام متسلسلة

ان كثيرين من الناشئة ينشدون كتابا في الفقه الاسلامي يسهل عليهم الاستفادة منه ، فأنصح لهم بمطالعة هذا الكتاب

---

(١) استاذ الشريعة الاسلامية في كلية الحقوق بالجامعة المصرية ، ومدرس الفقه والاصول وغيرهما في مدرسة القضاء الشرعى (٢) المتعلقة بالزواج وماتنحل به عقدته وما يتصل بذلك من نفقة وعدة وثبوت نسب ورضاع وحضانة وولاية على نفس ومال وحجر وهبة ووصية وميراث

﴿ الدولة الاموية في قرطبة ﴾

المطبعة العصرية ببغداد * الجزء الاول ص ١٦٠ بقطع الزهراء

قامت حضارة الغرب الحاضرة على الاخصاء ، ولا سبيل الى استعادة الامة العربية مكانتها بين الامم الا بانصراف شبانها المتعلمين الى اختصاص كل فرد منهم بفرع من فروع المعارف يجدّ لتجويده . والاستاذ السيد أنيس زكريا النصولي ـ مدرس التاريخ في دار المعلمين ببغداد ـ قد انصرف الى التاريخ العربي والاسلامي منذ تخرج في الجامعة الاميريكية ببيروت ، وكانت باكورة عمله كتاب (معاوية بن أبي سفيان) . وأمامنا الآن كتابه الثاني وهو الجزء الاول من (الدولة الاموية في قرطبة) وفيه نحو اربعين صفحة عن فتح الاندلس ، ونحو ٢٠ صفحة عن عبد الرحمن الداخل ، و ٤٠ صفحة عن خلفائه الى زمن عبد الرحمن الثالث ، و ٣٠ صفحة عن الدولة الاموية الاندلسية في أوج علاها (زمن الناصر وابنه المستنصر) ، و ٢٠ صفحة عن زمن الحاجب منصور

لقد حاول الاستاذ النصولي أن يجعل بحثه علمياً لا مجال للتعصب والعاطفة فيه ، واستمد مادته من الكتب الانكليزية والافرنسية ثم من العربية . ونعترف أن المواد العربية ولا سيما في بغداد لا تكفي لتجويد الكتابة في هذا الموضوع ، ونخشى أن تكون قلتها قد أوقعت المؤلف النزيه في تعصب بعض مؤرخي الافرنج الذين استمد من كتبهم ، رغم يقظته ونزاهته التي من ادلتها الحاقه بالكتاب فصلين انتقاديين احدهما للاستاذ حسين لبيب في نفي تهمة التعصب عن المسلمين في الاندلس ، والفصل الثاني للاستاذ زكي النقاش في ان العرب كانوا عازمين على فتح الاندلس منذ جهزوا حملة طارق

للاستاذ النصولي نشاط يحمد عليه ، وهذا يبشرنا بأن كتابيه (الدولة الاموية في قرطبة) و (معاوية بن ابي سفيان) بداية سلسلة في تاريخنا ستكون كثيرة الحلقات

أنباء اجتماعية

﴿مباني الجامعة المصرية وحي الطلبة﴾

قرر مجلس الجامعة المصرية بناء كلية للحقوق وأخرى للآداب ومكتبة عامة في حديقة دار الجامعة . وقد ساعد وزير المعارف في نجاح هذا المسعى ، وأقرته وزارة المالية . ورأت ادارة المباني التى تقوم الآن بتحضير التصميمات لهذه المباني — ومنها قاعة كبري للمحاضرات تسع ألفين وخمسمائة مستمع — أن أكلاف هذه المبانى تربو على المائة والستين ألفاً من الجنيهات ، منها تسعون الف جنيه تقدمها الجامعة من احتياطيها ، وسبعون ألف جنيه طلب بها وزير المعارف اعتماداً خاصاً . وينتظر أن تتم هذه الابنية للسنة الدراسية المقبلة

ومتى بدىء العمل فى هذه المباني تفكر الجامعة في اقامة (حي الطلبة) . وقد حصلت الجامعة بمساعي وزير المعارف على اذن من وزارة المالية بأخذ سبعة عشر فداناً من أملاك الحكومة في جنوب دار الجامعة والثكنة التي كانت مدرسة حربية فيما مضى . ومتى تم ذلك يتخذ هذا المكان حياً للطلبة

﴿ فى الحجاز ﴾

* تأسست في الحجاز شركة مساهمة لتسيير سيارات كهربائية بين جدة ومكة وبين مكة والتنعيم . والتنعيم أدنى الحل من الحرم يخرج اليه الناس من مكة ليحرموا منه ثم يدخلون مكة للاعتمار

* جاءنا بريد مكة الاخير وعليه طوابع جديدة جميلة الوضع والخط كتب في أعلاها « بريد الحجاز ونجد » وفي أدناها قيمتها بالقروش . وليس عليها حروف افرنجية قط

* ستسك حكومة الحجاز نقوداً عربية من الفضة والنيكل ، وستوصي بسكها فى الخارج . وقد عولت على أن تجعل قيمتها الرسمية قريبة من قيمتها المعدنيه لئلا يفكر المزيفون في تقليدها

* تفكر الحكومة الحجازية فى تقريب

مسافات المخابرة بين أجزاء السلطنة السعودية والمملكة الحجازية بواسطة اللاسلكي . وبما أنه يوجد محطات لاسلكية عربية في جدة وينبع والمدينة فستنشأ محطات أخرى في أبها والقنفذة من بلاد عسير، وفي رابغ من ثغور الحجاز . واذا تمكنت من انشاء محطتين أخريين واحدة في نجد وأخرى في الازرق أو غيره من بلاد السلطنة السعودية في الشام يتمكن الملك حينئذ من أن يكون دائما على علم بجميع مايجري في سلطنته

(مصر وايران)

مما قاله وزير مصر المفوض في ايران عند تقديمه أوراق اعتماده للشاه يوم السبت ٦ فبراير (٢٢ رجب) «أشعر بفخر حقيقي بالثقة التي اولانى أياها جلالة الملك بتعييني ممثلا لمصر في ايران، في فجر عهد يريد أن يجمع بين تقاليد الاسلام الباهر وأشرف ذرائع الرقي الحديث»

فأجابه الشاه على هذه النقطة :

« ..وتأثرنا أشد تأثر بشعوركم برغبتنا في الجمع بين تقاليد الاسلام المقدسة وأنفع ذرائع الرقي الحديث ويهمنا أن أن نقول لكم : اننا مسرورون جدا بأن نرى لدى بلاطنا ممثلا لبلاد اسلامية صديقة وشريكة لنا في الدين، وبينها وبين ايران روابط ادبية أقوى وأمتن من الروابط المادية »

(الحروف اللاتينية في تركيا)

قررت وزارة المعارف التركية كتابة الرموز في كتب الطبيعة والرياضة بالحروف اللاتينية في جميع المدارس الثانوية والعليا وكتبت وزارة عصمت باشا بالحروف اللاتينية كلمات تركية على طوابع البريد الجديدة وعلى الاوراق المالية (بنكنوت) التى بدأت بتجديد طبعها . وكل ذلك مقدمات لابطال كتابة اللغة التركية بالحروف العربية وكتابتها بالحروف الافرنجيه

(نفقات الانكليز في العراق)

قال وزير الطيران البريطاني في مجلس النواب يوم ٢٥ فبراير (١٢ شعبان) ان مجموع ماأنفقته الحكومة البريطانية

في العراق منذ آخر سنة ١٩١٨ بسبب احتلال ذلك القطر يبلغ ٧٧ مليوناً و٥٠١٨٠٤ جنيهات

(الحكم على ما جري في سوريا)

قال المسيو لامزيير مراسل الكوتديان في احاديث له مع بعض السوريين في القاهرة : ان الوطني الفرنسوي الصادق الوطنية أقصى ما يمكنه أن يفعله بعد أن يعلم حقيقة الحال في سوريا هو السكوت ، لانه اذا تكلم يكون بين أن لا يقول الحق أو ان يقول ما لا يوافق مصلحة بلاده

﴿ ذكرى استقلال سوريا ﴾

احتفل السوريون في القاهرة في مساء الاثنين ٨ مارس باحياء ذكرى ذلك اليوم من سنة ١٩٢٠ الذي اعلنت فيه سوريا استقلالها بلسان المؤتمر السوري بدمشق المنتخبة اعضاؤه من جميع انحاء الديار الشامية • وبعد أن القيت خطب متنوعة قرر المجتمعون ارسال برقية بذلك الى جمعية الامم محتجين على ما يجري في الوطن خلافاً لارادة الامة ومصالحها .

﴿ ارهاق الشعب التركى ﴾

يتذمر الشعب التركي من القوانين التى تسنها حكومة أنقرة في هذه الايام بفرض ضرائب جديدة واحتكار المواد التى يحتاج اليها الناس في معاشهم اليومى كالسكر وغاز البترول والبنزين الخ . حتي صار الانسان حيثما سار في تركيا يسمع مر الشكوى . وكثر عدد الصحف التي تردد ذلك فى القسطنطينية . ومما زاد استياء الجمهور ان الحكومة أخذت بقانون افرنجى يبدل الاحكام الاسلامية فيما يتعلق بالميراث والزواج وغير ذلك

ومما يدل على عقيدة شعب الانضول بحكومته الحاضرة ، والصورة المرسومة لها في ذهنه ، ما قرأناه في صحف القسطنطنية من ان اشاعة انتشرت في أنحاء الانضول عن عزم حكومة انقرة علي جمع البنات اللاتي لم يزلن أبكاراً ونفيهن الى خارج الحدود التركية. فكان من نتيجة ذلك أن آباء البنات الابكار ارتكبوا « فواجع اجتماعية كبيرة » فى بناتهم اللاتى دون العاشرة .



ج ٩ م ٢ — القاهرة — رمضان ١٣٤٤

احتضار فن من فنوننا الجميلة

معرض الخطاطين – في القسطنطينية

كان للخط العربي في القسطنطينية حتى الزمن الاخير دولة زاهرة ، نبغ فيها من رجال هذا الفن البديع نابغون لايكاد يُشق لهم غبار : في سلامة الذوق ، ودقة الصناعة ، والتفنن في أنواعها ، والبراعة فيما يعد من لوازمها ومتمماتها ، ولا سيما الرسم والتذهيب والتلوين . وكانت مدينة فروق [1] مثابة الخطاطين يؤمونها من بلاد الفرس والعواصم العربية ، فيظهر فيها فضلهم ، وترتفع عند سراتها أقدارهم

وكان من أحدث مظاهر العناية بالخط العربي في عاصمة آل عثمان وجود مدرسة فيها لتعليمه وتكثير سواد النابغين فيه اسمها (مدرسة الخطاطين).

---

(١) فروق لقب القسطنطينية . وقد أطلق عليها لان مضيق البوسفور والخليج الذى يدعى (القرن الذهبي) فرّقا بين اجزائها ، فانقسمت الى ثلاثة أقسام تتألف المدينة من مجموعها . وكان العرب يطلقون لقب (فروق) على عاصمة البزنطيين منذ دهر طويل . قال أبو تمام حبيب بن أوس يذكر واقعة حربية لابى سعيد محمد بن يوسف الثغري على أسوار القسطنطينية :

رُميتْ من أبي سعيد صفاة الر — وم جمعا بالصيلم الخنفقيق

وقعة زعزعت مدينة قسطنـ — ـطين حتى ارتجت بسور (فروق)

والصيلم الداهية . والخنفقيق السريعة

وقد جرت عادة أساتذتها — وغيرهم ممن لهم مثل براعتهم — أن يقيموا في شهر رمضان من كل عام معرضاً يظهرون فيه نفائس ماصنعوه في أيام السنة ، فيزورهم في معرضهم هذا كبار الوزراء وأصحاب الثروة من عرفي قدر هذا الفن الجيل ، فيمضي الواحد منهم بين تلك المعروضات ساعة أو بعض الساعة من بعد صلاة العصر الى قبيل وقت الافطار ، ويبتاعون مايُباهون بتزيين خزائنهم وجدران منازلهم به من تلك النفائس

ويقول الذين زاروا معرض الخطاطين في رمضاننا هذا : ان أساتذة هذه الصناعة كانوا في حزن وأسى على ما ألمَّ بفنهم الجيل من ذل ، وما نزل به من ضعف ، لزهد القوم به ، وإعراضهم عن آثاره وبدائعه . حتى صار الى حالة الاحتضار المنذرة بالاضمحلال النهائي . ولقد كانت تمضي الايام الكثيرة على هذا المعرض مدة افتتاحه دون أن تطأ أرضه قدم رجل ذي مكانة ، ودون أن يزوره فاضل من أهل الثروة والوجاهة

والواقع الذي لافائدة في انكاره هو أن الترك حولوا وجوههم عن هذا الشرق الاسلامي ، وعن فنونه وصناعاته ، وتوجهوا بأموالهم وأنفسهم الى الغرب الذي أغار على أوطاننا بفضائله ورذائله معاً : فباشر استعمار الارض في بعض الاقطار ، واكتفى في البعض الآخر باحتلال الرءوس والنفوس . وقد كان من نتائج هذا النوع الثاني من الاحتلال أن الغرب استهوى بعض رجالنا الى مافي حضارته من العرَض دون الجوهر ، وأسكرهم بخمرة الضعف فاستعبدهم لتمثال القوة

دع الخطاطين — في معرض القسطنطينية — مستغرقين في الحزن والاسى ، فسيستيقظون من ذلك عما قريب على صوت المنادي بانقراض صناعتهم وانقضاء دولتها . لأن الذين كانوا يرجون منهم تشجيع نفائس الخطوط العربية قد زهدوا

بالحروف العربية نفسها ، وعولوا على منع المؤلفين والصحفيين من كتابة أفكارهم بها ، وتدوين أبحاثهم ومعارفهم بما يتركب منها . ولقد افتتح معرض الخطاطين في رمضان هذا العام والصحف التركية تهتم بمسألة العدول عن الحروف العربية الى الحروف الافرنجية أكثر من اهتمامها بمسألة الموصل ، وأكثر من اهتمامها بعجز الميزانية الذي حمل حكومة الكماليين على ضرب ضرائب لاقبل للشعب باحتمالها . وربما كانت هذه الازمة المالية هي المانع الحقيقي الذي يحول بين رجال حكومة أنقرة وبين التعجيل في بلوغ أمنيتهم من استعمال حروف الافرنج وحدها في كتابة اللغة التركية . لأنهم يعلمون أن صدور الامر الرسمي باستعمال الحروف اللاتينية لايكون له معنى اذا لم يبادروا في الحال الى العمل به في المدارس وفي دواوين الحكومة على الاقل ، وكيف يمكن العمل به فيهما الا باعادة طبع جميع كتب الدراسة في الكتاتيب والمدارس الاولية والابتدائية والثانوية والعليا ، والا باعادة طبع جميع القوانين والانظمة . وهذا مماتنوء بنفقته الدول الغنية فكيف بحكومة تشكو عجز ميزانيتها . زد على ذلك أن المطابع التركية ليس في مقدورها أن تساعد رجال الحكومة على الاسراع في تحقيق هذه الشهوة ، واذا تيسر تحويل الحروف العربية التي في المطابع الى حروف افرنجية لايتيسر تحويل جميع العمال من منضدي حروف عربية الى منضدي حروف افرنجية

ولكننا ونحن نذكر تلك الموانع لانحب أن نغش أنفسنا ، فالقوم سائرون على الدرب وسيصلون . ونظن أن معرض الخطوط العربية الذي افتتح هذا العام بانكسار وتواضع — في بناء أشبه بالخرابة يجاوره بعض القبور على مقربة من الباب العالي — لايبعد أن يكون آخر المعارض التي من نوعه . ومتى حال عليه الحول الجديد وجاء رمضان السنة الآتية (١٣٤٥) تكون حروف الافرنج قد احتلت معارف الترك واستولت على مصنفاتهم وصحفهم ، حتى اذا نشأ أطفال

اليوم على ذلك وكانوا رجال الغد يمرون حينئذ ببرانيطهم أمام خزائن الكتب الموسومة بالحروف العربية كما يمر أمامها الاجانب من اليونان والبلغار

اذا كان هذا هو المستقبل القريب للحروف العربية في تركيا فليس من المستغرب أن تتجلى روح الحزن والكآبة على معرض الخطاطين الذي افتتح في هذا الشهر فأقبل بعض السياح الامريكيين على زيارته وكانوا أكثر تقديرا لآثاره الفنية من الوطنيين الذين كانوا يشيعونها الى القبر !

وقد اعرب الامريكيون الذين زاروا هذا المعرض عن ابتهاجهم بما شعروا به هناك من روح شرقية مؤنسة لطيفة كانت مستكنة فى ظلال مافيه من القطع التى تمثل آيات الفن الشرقي فى صناعة التذهيب والتلوين ، ورقائق النقوش على الورق والخشب والصدف . وقد بلغ عدد مافيه من القطع الفنية مائتي قطعة ، وعدد الخطاطين الذين اشتركوا في عرض آثارهم تسعة رجال فقط هم أساتذة مدرسة الخطاطين ، ولم يشترك معهم أحد من الخارج ليأس أرباب هذه الصناعة من اقبال الناس على عملهم

وكان من بدائع المعروضات قطعة كتبت عليها آية النور من القرآن الكريم بالخط الثلث بقلم الاستاذ الحاج كامل أفندي ، وتولى تذهيبها وتلوينها اسماعيل حقي بك ، وكلاهما من اساتذة المدرسة. وهنالك قطعة كتب فيها بخط التعليق كلمة « يامالك الملك » بقلم الاستاذ خلوصي أفندي

وعرضت صورة أطباق رسمت على الخشب على الطريقة الايرانية بريشة الاستاذ حسين بك . وعرضت بدائع التجليد الشرقي المزخرف وهى من عمل الاستاذ بهاء الدين أفندي . وصورة فنار رسمت على البلور بريشة الاستاذ كمال الدين أفندي ، وهي من النفائس التى تحير العقول بدقة صنعها

وكان من المألوف فى السنوات الماضية أن تظهر في مثل هذا المعرض شخصيات جديدة لم تكن معروفة من قبل ، فيرى الزائر على قطع من مآثر

الفن البديع توقيعات لاعهد له برؤيتها وأسماء لم يسمع بها ولا عرف أصحابها ، أما في هذا العام فان المعرض لم يعرّف زائريه بخطاط جديد ، لان هذه الصناعة نضبت فيها موارد الرزق في تركيا فزهد بها من كان راغباً فيها .

وبعد فان من بعض نتائج تلك المقدمات أن تلاميذ مدرسة الخطاطين أنفسهم صاروا ينظرون شزراً الى أقلام البوص (القصب) ويرون أنها انهزمت أمام هجمات أقلام أوربا الحديدية ، لان الايدي الهاجمة عليها بالاقلام الاوربية هي أيدي أبناء الوطن · وقد شمل الخذلان صناعة الحبر الشرقي الاسود فانهزمت من بين صناعاتنا بما امتلأت به جمارکنا وأسواقنا من قوارير الحبر الافرنجي . فرجعت البواخر من بلادنا حاملة معها من جيوبنا ثمن تلك القوارير لتقوى به علينا الامم الاوربية الواقفة لنا بالمرصاد . . .

ترى متى يوجد فينا العاملون على نقل (صناعات) أوربا الى الشرق فيقوى بها ، ويحل هؤلاء العاملون الصالحون محل الدعاة الى نشر (مصنوعات) أوربا في الشرق فكانوا سبب ضعفه واستعباده . . .

نريد الجوهر لا العرض ،

نريد اللباب لا القشور ،

نريد الصناعات لا المصنوعات . . .

﴿ استدراك ﴾

نرجو القارىء الكريم ان يصحح الكلمات التالية في مقال « الكرات العربية السماوية » من الجزء الماضي :

ص ٤٤٩ س ٥ / « الظرق » صوابه « الطرف »
» ٤٥٢ » ٩ « لر » » « يو »
» ٤٥٣ » ١٨ « الافيرور » » « الانبرور »
» ٤٥٣ » ٢١ « النورية » » « النوريه »
» ٤٥٥ » ٢ » » »

ما الشموس الغداة؟ ...

الرؤيا الحلوة

قطفنا ثمارَ المنى يانعهْ وحزنا مِلاك العـلا أجمعهْ
أليس لنا عَلَمٌ أخضرٌ؟ من الخزّ أطرافه الأربعه
تشير بأعلى سفاراتنا الى مصر ذات الغنى والسَّعه
وان بهـا اليوم حريةً رأى الظلمُ من سيفها مصرعه
وها هي ـ في كل أحوالها ـ بدستورها الحر منستمتعه
وفي العـدل آياتها بيّنا تٌ وحكامها حجة مقنعه
نتاج مصانعها البـاذخا ت عزيز على الغير أن يصنعه
تحلق في جوّها الطائرا تُ بشكلٍ يروقك ما أبدعه
وتسبح في بحرها الجاريا تُ تروح وترجع مستبضعه
ودور التطبب ميسورة لطلابها جمة المنفعه
وتلك القرى ساد فيها النظا مُ ، وسكانها ألفوا مِبضعه
كنوز البـلاد وخيراتهـا لمن جاءها لم تعد مزرعه
وقد خلعت الامتياز الله ين وجرّعه الحتفَ من جرعه
وصرنا أُلىً ، بعد الخضو ع ـ لكل دخيل ـ وبعد الضعه
غدا النيـل يجري وأيُّ الأرا ضي سوى أرض مصر به مُترعه؟
وللشعب في خُلقهِ ميزةٌ على عمل الخير ما أطبعه
وللدين منزلة في النفو س تضيء بأسراره المودَعه
سلامٌ على فئـة الاغنيا ء وآثارها الفخْمة الممتعه
ملاجئُ مبثوثةٌ في البـلا د ، ترفٌ على ساكنيها الدَّعه

وفضلُ الزكاة أصاب الفقير　　فداوى به حاله المدقعه

***

الحقيقة المحزنة

لعل الشبيبة لمـا رأت　　تقدُّمَنا ! ورأتْ موقعه !
وأنّا بلغنا ــ بتلك الصفا　　ت ــ من الغرض المبتغَى أرفعه !
أرادتْ تُماثل زِيَّ الفِر　　نج فغرَّت تقلدهم مسرعه !
وإلا فمـا لشموس الغد　　اة بما يقتضي ذمَّها مولعه ؟
تورِّثهـا المجدَ (قوميةٌ)　　وتغدو على قتلها مُزمِعه ..
فما منع المجدَ (طربوشُها)　　ولا أكسبته لهـا (القبعه)
وليس اللباسُ طريقَ الرُّ　　قِيّ ، فما القصد من هذه المَمْعه ؟
أتشغلنا عن أداء الفرو　　ضِ نوافلُ للشرّ مستجمعه ؟
سفاسفُ تُهوي بنا للحضيـ　　ضِ ، وتجعلنا في الورَى مَضيعه
فنصبح لا الغربُ يُعنَى بنا ،　　ولا الشرقُ يَحسب أنّا معه

***

حنانَيكمُ ! مصرُ في أزْمةٍ　　ــ تكاد تغصُّ بهـا ــ مفجعه
أعقُّ بنيهـا ، وأقساهمُ　　عليها فؤاداً ، جفا مَضجعه
يفكّر في خطر داهمٍ　　يواجه أسيافَه المشرعه
فلا تنكأوا الجرحَ ، بل ضمِّدو　　هُ ، وسدُّوا بحكمتكم مَنبعه
فليس التقدمُ زِيَّ الرءو　　س ــ جمالُ التقدم ما أوسعه !

محمد صادق عرنوس



شعر الاعشى

وعناية الاستاذ رودُلف جاير Prof. Rudolf Geyer

ابو بصير ميمون بن قيس بن جندل ، شاعر فحل من شعراء الجاهلية ، واحد اعلام الأدب العربي قبل الإسلام . نسبه الى قيس وقيل انه ينتهي الى بكر بن وائل . وكان من أهل اليمامة ، والاعشى لقب غلب عليه وبه عرف وان لم يكن الفذ الذى اصيب بتلك الآفة البصرية في جزيرة العرب ، ولعله كان أوفرهم قسطا وأنبههم شأنا وأعلامهم ذكرا وأجودهم شعرا ، حتى قالوا انه الرابع لثلاثة فحول : امرىء القيس والنابغة وزهير . وكذلكم كانت منزلته عند العرب وعند أدباء اللغة العربية

رُوي للاعشى بن قيس كثير من الطوال الجياد ، وامتاز بغزارة الشعر ، واغرق في وصف الخمر ، وعرف بصناجة العرب واشتهر شعره بالتأثير الشديد في القبائل وفي نفوس أهل البادية لجلالة مايقول وشدة وقعه في نفوسهم

واستشهدوا بحكاية المحاق وكان مملقا وأبا ثماني بنات عوانس . فلما استضافه وأكرم ضيافته قال فيه قصيدته القافية ومنها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في اليفاع تحرّقُ

تُشبُّ لمقرورَين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

فأقبل الناس على بناته وتزوجن في عام واحد

وقالوا ان أبا بصير ميمونا هذا كان أول من استجدى بشعره ، ولم يكن ذلك معروفا قبله ، فسن لمن جاء بعده سنة جديدة وهي السؤال عن طريق النظم . ورغب الاعشى في عطايا الناس والامراء والملوك فأخذ يجوب الامصار ، ويشد الرجال للاسفار ، وقصد ملوك نجران واساقفتها ، وانتاب ملوك الحيرة . وطمع في جوائز كسرى فسار اليه وكان لتلك الاسفار من الاثر في

نظمه أن أدخل ضمن أبياته ألفاظا فارسية ومن لغات ولهجات أخرى ، ولعله أول من فعل ذلك

وعمي الاعشى وعمر حتى سمع بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فأعد له قصيدة يمدحه بها وسار اليه يقصده . فخاف كفار قريش أثر ذلك فى نفوس الناس فصدوه عن وجهه وأعطوه نوقا حمراء . وبينا هو راجع الى منفوحة ـ بلده باليمامة ـ سقط عن ناقته ودقت عنقه فمات

ومطلع قصيدته التى أعدها للانشاد بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم :

ألم تغتمض عيناكَ ليلة أرمدا ... وبتَّ كما باتَ السليمُ مسهدا

وقال فيها يشير الى ناقته ويتخلص الى المديح على عادة شعراء العرب :

فآليت لاأرثي لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تلاقى محمدا

نبيٌّ يرى مالا يرون ، وذكره ... أغار لعمرى في البلاد وانجدا

له صدقات ماتغبُّ ونائل ... وليس عطاء اليوم بمنعه غدا

متى ماتناخي عند باب ابن هاشم ... تراحي وتلقى من فواضله ندى

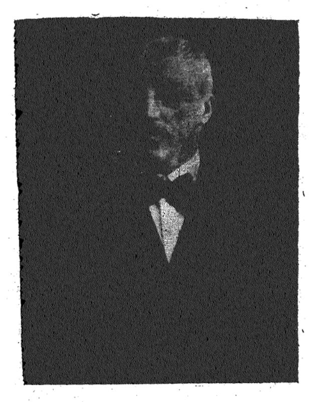
***

لقد قيض الله لهذا الشاعر العربي الشهير عالم مستشرق كبير ولع بآثاره منذ الشباب حتى اليوم فعمد الى الكتب والمؤلفات يجمع آثار ذلكم الاعشى ، بل وكل من سمى أعشى ، وهم عديدون كما ترى من أسماء القبائل والبطون التى انتسب العُشيُ اليها وهي : أسد . باهلة . بُجرة . رُبَيْبَة . تمام . تغلب . ثعلبة . جرم . جلان . ربيعة . سليم . طرود . عجلة . عُكل . عوف . مازن . مغوب . نبوان . نعامة . نهشل . هزان . همْدان . ميمون . المسيب

ورغم مافى هذ العمل من مشقة ـ كما يظهر لك ـ فان الاستاذ ذلل كل تلك الصعاب بهمة ألمانية حتى فاز ببغيته أخيرا . وقد بدأ ذلك منذ كان يدرس في

الجامعة أيام الشباب ، وأتمه في شيخوخة جليلة .

ولما كناقد رسمنا لك صورة ضئيلة من الاعشى في أول المقال فانا نرى أن تعلم شيئاً عمن عنى بأمره بعد بضعة عشر قرناً ، مع بعد الشقة ، والتباين في كل شيء . ولم يكن الدافع لاستاذنا الكبير الى هذا العمل - الذي نرحب بظهوره - الا ولعه بآداب لغتنا العربية وباحيائها ، وهو شيء له منا عليه أجزل الشكر



ولد الاستاذ رودلف جاير Professor Rudolf Geyer بمدينة ڤينا يوم ٢٨ يونية سنة ١٨٦١ حيث تلقى دروسه وأتمها بجامعتها . ثم عين مديراً للقسم الشرقي بدار الكتب القيصرية الملكية هناك منذ عام ١٨٨٤ حتى ١٩٠٧ (وتسمى الآن دار الكتب الاهلية) . ثم عين أستاذا معيدا للغات السامية بجامعة ڤينا عام ١٩٠٧ ، ثم اسند اليه منصب استاذ لتلك اللغات ولايزال فيه حتى الآن . وهو عضو فى مجمعي العلوم البروسي والڤيني (نسبة الى ڤينا)

وأستاذنا يجيد اللغات الانجليزية والفرنسية والايطالية واللاطينية والاغريقية واللغات السامية - لاسيما لغتنا العربية - فضلا عن لغته الالمانية وقد نشر مؤلفات عديدة قيمة ورسائل ومقالات . وله تعليقات وشروح عديدة فمن ذلك : —

١ . — كتاب الوحوش للاصمعي عام ١٨٨٨

٢ . — قصيدة ومقطعات لاوس بن حَجَر عام ١٨٩٢

٣ . — قصيدتان للاعشى عام ١٩٠٥ - ١٩٢٣

٤ . — تعليقات وشروح على ديوان رؤبة عام ١٩١٠

٥ . — تعليقات واشارات لمعرفة شعراء العرب القدماء (نشرت في المجلدات ١ - ٣ من المجلة الڤينية لاخبار الشرق)

٦ . — تشابه أواخر آي القرآن (ونعني بذلك التشابه مايسمى بالسجع في غير القرآن الكريم) نشر ذلك في المجلة السابقة عام ١٩٠٨

٧ . — نساء العرب في القتال (قدمه لجماعة علم الانسان بڤينا عام ١٩٠٩)

٨ . — اسجاع الخطب والمواعظ السامية القديمة لممنون عام ١٩٠٩

٩ . — ثبتٌ بأسماء الشعراء في حماسة البحتري طبعة ليدن سنة ١٩٠٩

١٠ . — السموأل بن عاديا . نشرت في مجلة Z.A. عام ١٩١١

١١ . — الخلافة التركية (لعلها نشرت فى المجلة النمسوية عام ١٩١٢)

١٢ . — الجامعة الاسلامية (نشرت فى ڤينا بالمجلة الجامعة الاجتماعية الالمانية عام ١٩١٣)

١٣ . الحركة العربية (في المجلة النمسوية للافادة عن الشرق عام ١٩١٤)

١٤ — قصيدة امرىء القيس المنسرحة (نشرت في المجلة الشهيرة التي تصدر بليبزيك واسمها « مجلة الجماعة الالمانية الشرقية » عام ١٩١٤)

١٥ . ــ سلامة بن جندل ١٩١٥

١٦ . ــ مسألة مستقبل الاسلام في مجلة B.F.P.O. عام ١٩١٦

١٧ . ــ مختارة الطيالسى ١٩٢٥

١٨ . ــ مشارف الاقاويز في أراجيز العجاج ورؤبة وذي الرمة وجرير وغيرهم طبع في ليبسيك عام ١٩٠٨ .

ذلك عدا عدة محاضرات تقرب من السبعين وأحاديث وافادات صغيرة في مجلات عدة . ولقد أتيح لنا أن نعرف هذا العلامة الكبير معرفة التلميذ للاستاذ فقد حضرنا محاضراته بجامعة ڤينا على الآداب العربية مدة ليست بالقصيرة كنا نلاحظ أنها تلم بأفكار عديدة تكون بمثابة دليل لابحاث يجب على الطالب استقصاؤها من مواردها ومن مراجع كثيرة ، فاذا مافعل ذلك ومرن على المطالعة والبحث كان مثالا طيبا ورجلا منقبا . وفي اعتقادي أن هذه طريقة مثلى من طرق المحاضرات بالجامعات والا فقل لى بالله عليك : هل يمكن للاستاذ أن يقول كل شيء عن مادة كبيرة في ساعات قليلة : إنا لو تطلبنا ذلك من انسان فكأنما نطلب المستحيل أو شبهه ، ونغرر بأنفسنا لأمر في غير مقدور البشر

وقد أتيح لنا أن نحضر على الاستاذ محاضراته في منزله الخاوي اللطيف في حي جميل بڤينا يشبه جزيرة مصر وبيوتها وكنا أثناء ترددنا عليه بالزيارة نلاحظ أن الرجل قد وفق الى جمع مكتبة قيمة أهم مافيها على الآداب العربية واللغات السامية ، وان صدق أحد محدثينا ذات مرة فان هذه المكتبة تحوي مجموعة كبيرة من نفيس الكتب التى قلما تجدها في دار كتب أخرى عامة كانت أو خاصة

ولما جاء دور الاعشى في محاضراته اسمعنا زبدة ابحاثه وقد خصص زمناً

طويلا ليقوم الطلبة أمامه بترجمة أشعاره تحت اشرافه

ولما أتم الطلبة ترجمة لامية الاعشى « ماوقوف الكبير بالاطلال » أسمعهم هو ترجمتها بالالمانية بمثل القافية والوزن العربي ترجمة دلت على معرفته باسرار اللغة العربية وفهمه لآدابها فهما جيدا

وقد علمنا أن كتاب الاعشى أو ديوانه سيكون في مجلدين أولهما خاص بما عثر عليه من شعر الاعشى ميمون ومن سمى بالاعشى غيره مع الاشارة الى ذلك . ذكر فيه المراجع العديدة في كتب الادب عن الابيات مع شيء من النقد . واذا لم تخني الذاكرة فان مجموع الابيات التي يحويها هذا الجزء تزيد على سبعة آلاف على ما سمعته من بعض زملائي اذ ذاك . والجزء الثاني خاص بترجمة هذه الاشعار الى اللغة الالمانية وفيه فهرس للكلمات مع بحث واف مستفيض في الاعشى وحياته وشعره وترجمته وما أشبه

ويسرنا أن نزف هذه البشرى الى الادباء ومتكلمي اللغة العربية والمهتمين بشأنها ، فقد قارب الجزء الاول الظهور في الشهور المقبلة . وأمثال هاته الابحاث القيمة التي يعنى بنشرها كبار العلماء تحتاج الى بحث وعناية وعناء كبير لاسيما اذا علمت أن الاستاذ أخذ على عاتقه أن تقل فيه الغلطات المطبعية بحيث لاتزيد عن عدد أصابع اليد في المجلدين. والملزمة الواحدة قد تحتاج الى أسابيع لتصحيحها بمعرفته وبمعرفة بعض عشاق اللغة العربية في اقطار أخرى . وهذا الديوان يطبع باحدى مطابع فينا التى يمكنها أن تنشر كتبا شرقية . ونحن أكثر الناس شوقا لمطالعة هذا السفر الكبير ونرجو ظهوره العاجل كما انا نرجو مواطنينا واخواننا الشرقيين أن يعنوا به بعد تمامه وأن يحرصوا على هذا الذخر الثمين في آداب اللغة العربية المحبوبة

علي مظهر



خطبة الاستاذ النشاشيبي

على اللغة العربية

قرأت هـذه الخطبة أولا في الجرائد وفتِنت بها وأُعجبت بمـا حوته من جزالة لفظ وبلاغة معنى وسداد حجة . ثم أُهديتْ اليَّ في كتاب نفيس الطبع اسيل الورق بهيج المنظر لم أرَ اليق منه قالباً لتلك الروح العالية ولا أبدع صدَفة لهاتيك الدرة الغالية . وقد طرزت تلك الخطبة من دقائق لغة العرب باحسن من وشي العجم . واني وإن كنت سـأبدي واعيد مع أخي الاستاذ في بعض المواضيع التى تضمنًها كتابهُ متى انتدح عندي الوقت ، فمذ الآن أقول انه كتاب مع وجازته قد زخر عبابه ، ومع قلة قراطيسه قد قرطس نَشَّابه . . . ولتهنأ العربية بهذا النصير قليل النظير ، والعاشق الساهر الليالي فى رعى نجوم التحقيق والتنقير . ومع اني هجرت الشعر فلم أملك نفسي ان قلت :

قد قالت اللغة الفصحى بغربتها قد أحسن الله إسعافي بإسعافي
هو المجيب لمن قد بات ينشده انصر أخاك لدى ظلم وإسْعافي

لوزان : ٢١ مارس شكيب أرسلان

الامير بدر الدين بلسر الظاهري

وُفق صديقنا العالم الفاضل الاستاذ السيد عبد الله مخلص الى اكتشاف اثري مهم وهو العثور على قبر الامير بدر الدين بلسر الظاهري ـ اخي الامير بكتمر ـ وكان قتل على مدينة صفدسنة ٦٦٤ يوم افتتحها الملك الظاهر بيبرس، فدرس قبره وظل لوح تاريخه طامسا تعلوه طبقةمن الطين فى احدى زوايا (صفد) من بلاد فلسطين حتى استخرجه الاستاذ السيد عبد الله مخلص . وهويرجو من المشتغلين بأخبار الحروب الصليبية ان يرشدونا الى المظانّ التي ورد فيها ذكرٌ لخبر الامير بدر الدين بلسر ولهم الشكر

حسب المعز ونسبه [1]

المالُ والسيفُ العزيزُ كلاهما ... حكما على الدنيا طِوال قرونِ
ويظلُّ حكمُهما المبجَّلَ دائماً ... حتى يفيءَ الناسُ بعد جنونِ!
هي دورة الدهرِ أحسبُ عمرَها ... أنأى وأبعد من منالِ ظنونِ
ولعلَّ أحكمَ مرشدٍ في عصرنا ... عرفانُ هذا الواقعِ المغبونِ
ماخابَ مَنْ ذاقَ الحقيقة مرَّةً ... وسعى لخير علاجِها المأمونِ
ولنا بتاريخ (المعزِّ) وجِدِّهِ ... درسٌ لِلُبِّ الغافلِ المفتونِ
سألوه برهاناً على شرفٍ له ... نسباً يردُّ به مثارَ طعونِ
فدنا وجرَّدَ باليمين حسامَهُ ... ورمى النضارَ باختها لِعيونِ
وأهابَ فيهم : «ذلكمْ حسبي وذا ... نسبي» ! . . فأبدل صخبَهُم بسكونِ !

***

وكذا تجاريبُ الحياةِ بعصرِنا ... تقضي برفعِ معاقلٍ وحصونِ
فاستجمعوا المالَ الغنيَّ لنهضةٍ ... خُطَّتْ بحدِّ الصارمِ المسنونِ
لولاهما ماقامَ عِلمٌ أو حجىً ... أبداً ، ولا فتحٌ مقامَ مَنونِ
ومن العجائبِ أن يؤمَّلَ منهما ... إنعاشُ أرواحٍ وخلقُ فنونِ !

أبو شادي

---

(١) ـ (المعز) هو الخليفة الفاطمي المشهور الذي فتح قائده (جوهر) مصر بعد وفاة (كافور) فاسس القاهرة وبنى الجامع الازهر . وهو صاحب القول المأثور ـ حينما سأله العلماء والاعيان بمصر عن انتسابه لبيت الرسول ـ : « هذا حسبي ، وهذا نسبي » ، ملوحاً لهم بالسيف وناثراً الدنانير . فاخرسوا !



ديوان مهيار الديلمي – الجزء الاول

أخرجت لنا دار الكتب المصرية الجزء الاول من ديوان مهيار الديلمي، وهو من أحسن الدواوين الشعرية . وقد جاء هذا الكتاب يرفل في حلة من الوشي ، مما يزرى بأبدع ما نسج على منواله . وقد ضبطت غوامض الفاظه بالشكل الكامل ليزيل اللبس في بعض تلك المواطن ، فجاء هذا السفر من الطرف بل من الغرر

إلا أنى أطلب الى الطائفة التى تتولى طبع تلك المصنفات ، أن تضاهي في عملها العلماء الغربيين الذين يعنون باخراج مثل تلك الكنوز من دفائنها ، على وجه لا يدع للمنتقد رأياً ، فيذكرون :

١ — معارضتها بالنسخ الموجودة في خزائن الكتب المشهورة

٢ — الاشارة الى ما طبع منها ، اذا كان قد طبع

٣ — ذكر مختلف الروايات من مطبوعة أو مخطوطة

وقد رأينا فى هذه الطبعة الجليلة في بدائعها البارزة ما يشينها . من ذلك أن هذا الكتاب طبع منه الجزء الاول في بيروت والواقف على هذه الطبعة الجديدة يقول « انها « مشحونة بالاخطاء حتى صرنا لا نعوّل عليها عند المراجعة » (ص « ح » من المقدمة) . على أنه لو كان ذكرها لتبين للقاريء سقم تلك النسخة وعلو مقام هذه ، ولعرف كيف يمسخ الطبّاعون أو الناشرون أو النساخ بعض تلك الالفاظ أو الابيات ، ولتحقق القوم أن الوقوف على الرواية الصحيحة لمن الامور الصعبة

ثم ان الناشر يجهل ان الديوان طبع جزءه الاول فى مطبعة الشابندر فى بغداد فى سنة ١٣٣٢ وقد ابرزه للملاء وشرحه السيد عبد المطلب الشاعر الحلي

الكبير وطبع على نفقة السيد محمد رحمة الله وشركائه . وهذه النسخة أتقن من نسخة بيروت وان كانت لا تخلو من اغلاط طبع واغلاط تفسير وشرح ، اذ الكمال لله وحده

وقد ترجم « ابنُ الاعرابي » صاحبَ الديوان وذكره بعبارة وجيزة أطلعتنا على مهيار أكثر مما أطلعنا عليه أحمد نسيم افندي ، فلو سأل العارفين عن النسخ المطبوعة من هذا الديوان لدلوه على هذه الطبعة . وقد نشر فيها الى الراء في ٣١٣ صفحة دقيقه الحرف

ومما يؤسف له أن الناشر للنسخة المطبوعة في مصر لم يدقق النظر في مسودات الطبع ، فسمح بطبع اغلاط كنا نودُّ أن لا تقع في نسخته ، أو لا أقل من أن يشير اليها في خاتمتها

من ذلك مثلا ما جاء في صفحة (و) من المقدمة ، اذ جاء « قد تعبت حتى خبأْته فلماذا نبشتيه ؟ » والصواب : نبشتِه

وفيها : وتوفّى في جمادى الآخرة . والصواب توُفي لأن الله هو المتوفِي والانسان متوفًّى

واما اختلاف الروايات بين النسخة المصرية المطبوعة وبين النسخة البغدادية فنذكر منها شيئاً ليطلع القراء على مابينهما من الفرق . قال في ص١٦ :

بعيداً عن الافكار ما كنَّ حطةً . . .

والذي في طبعة بغداد : . . . ما كنَّ حظّه . . .

وفيها :

اذا لم تجد ما يُعظمونك رغبةً وأردتَ النَّصْف منهم فأرْهبِ

وفي البغدادية :

اذا لم تجد مايطمعونك رغبةِ ورمتهم أن ينصفوك فرهّبِ

وفي المصرية :

أأنبت على هجر الشآم مبتغي ؟ نعم أنا تم ، فارض عنى أو اغضب

وفي البغدادية : . . . . . نعم فارضَ عني ذاك أو اغضب

وجاء في المصرية (ص ١٧) : فما سرني (كذا) في الحق أني مع العدا

والبغدادية تقول : فما ضرني . . . .

وذكرت طبعة القاهرة : . . . ولـكن بقلبي ما بها من تلهب

وفي البغدادية : . . . . ما لها . . . .

وقالت طبعة دار الـكتب المصرية :

سلكتُ فادَّاني بقلبٍ ملفَّح عظامَ ماالقي ، وجسم مجرَّب (كذا)

وأصح منها بيت النسخة البغدادية وهو :

سلكتُ فادَّاني بقلب ملفح . . . . وجسم مرجَّب

وفي الحاشية يذكر للمرجَّب معنى المذبوح

وترى في نسخة القاهرة قول مهيار :

بخيلٌ ، لو أنَّ البحرَ بين بنانه وفرَّقها عن قطرهِ لم تَسرَّبِ

ونسخة بغداد أقوى معنى اذ ورد في موضع « قطرهِ » قَطْرَةٍ

وبالعكس ترى هذا البيت :

ومنتسبٌ يوم التفاخر مُسفرٌ اذا أُنتسب « الضبيُّ » قيلَ تَنَقَّبِ

ابلغ في الطبعة المصرية منه في الطبعة البغدادية ، اذ هـذه تروى البيت بهذا النص : . . . . اذا انتسب الضبيُّ قَبْلَ التنقُّب

وهو دون الاول معني ومبنى

وفي طبعة مصر (ص ١٨) هذا البيت :

هجرتُ لك الاقوامَ حبًّا فوفِّني يَبِنْ بي الى جدْوى يديك تجزُّبي

هو دون ما في الرواية البغدادية : . . بجودٍ الى جدوى يديك تجرُّني

وفي مثل هذه المقابلة يظهر الفرق بين النسخ وحسن الواحدة دون الاخرى أو تفوّق الواحدة على الاخرى . وهكذا يتبيَّن فضلٌ دون فضل ، على حد ما يفعلهُ علماء الغرب في طبع كتبنا

ومما نأخذه على الطبعة المصرية أنها لا تشبع شرح بعض الالفاظ أو لا تتبس ببنْتِ شفة عند الحاجة اليه ، أو تتعرض لشرح شيء مشهور وتهمل شرحا يتطلع اليه القارىء

فمن الاول مثلا : شرح كلمة هميان في ص (و) من المقدمة ، اذ قالت الهميان : الكيس . وليس الامر كذلك . انما الهميان : مايجعل فيه الدراهم ويُشد على الحَقْو ، وهو أغلب ما يكون كالمنطقة المزدوجة أو كالكيس الطويل ، ولا يقال له هميان الا اذا شُدَّ على الحَقْو . وهذه الكلمة بهذا المعنى معروفة في العراق الى عهدنا هذا

وفي تلك الصفحة فاته شيء وهو أنه روى هذه الحكاية وهي : « قال له (أبو القاسم بن برهان) : يا مهيار ، انتقلتَ باسلامك في النار من زاوية الى زاوية ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لانك كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسبُّ الصحابة » انتهى الى هنا . والقارىء يرى أن العبارة مقضوبة ، فكان على الناقل أن ينقل بامانة كلام أبي القاسم وجواب مهيار عليه ، فلربما كان جواب الثاني أمنع حجةً من اعتراض الاول . على أن طبعة بغداد لم تذكر الجواب أيضاً ، لان الديوان نشر في عهد حكم الاتراك والاتراك كانوا يشدّدون الخناق على الجعفريين ، وأما المصريون فانهم أبعد من أن يصوبوا سهامهم الى أحدٍ ، الا أن النسخة تقول فأجابه (مهيار) جوابا مسكتاً لا نذكره . انتهى

أما نحن فلا نرى هذا من الانصاف ، فكان يجب على ناشري النسختين

المصرية والبغدادية أن يذكروا جواب مهيار لا أن يطووا الكشح عنه ، لانهُ ان لم تكن الامانة في مثل هذا الخطب اليسير فما قولك فى نقل القصائد ، فقد يكون الخطب أمرّ وأدهى . ولو كان الافرنج نشروا هذا الديوان لما أهملوا مثل هذهِ الحقيقة التاريخية التى لا يضر ذكرها ولا ينفع

ومن ملاحظتنا الثانية جاء مثلا ذكر قذاء القلب في الصفحة الاولى من الديوان في هذا البيت :

وقذاء قلبي، أن يحنَّ لناظرٍ — يوم الرحيل — تفرقَ الخلطاء

وكان المنتظر أن يشرح لنا معني قذاء القلب ، بقولهِ مثلا : القذاء هنا القذَى . ومُدَّ لضرورة الشعر . وقذى القلب مثل قذى العين وهو ما يقع فيهِ فيقلقهُ ويزعجه على حد ما يجري في قذى العين . دع عنكَ رواية البيت على غير الوجه المذكور في النسخة البغدادية . فقد رُوي هكذا :

وقذاء قلبي ، أن يحنَّ لغادرٍ ، — يوم . . . . .

ونظن أن رواية النسخة المصرية أوثق وأصدق . هذا فضلا عن أننا لم نجد في الكتب التي بأيدينا للغادر معني الناظر على ما شرحه ناشر النسخة البغدادية

ومن ملاحظتنا الثالثة قولهُ في ص ٢ : الخصام الجدل . فهذا أشهر من أن يذكر ، والصغار يعرفون هذا المعني ، فما كان أغناهُ عن ذكرها

ثم اننا نرى في البيت تصحيفاً ظاهراً وهو هذا بحرفه :

عَجَزَتْ قرائحُهم ، وأغدَرُ غادرٍ ، — يوم الخصام — الفاء بالفافاء

فاننا لا نجد الفاء بالفافاء من باب الغدر ، بل نُلْفيه من قبيل العذر ، وهو أمر بيّن لا يحتاج الى تأويل . ولهذا فالرواية البغدادية أصدق وهي هذه :

عجزتْ قرائحهم واعذر عاذرٍ — يوم الخصام — الفاء بالفافاء

ونحن لم نذكر من كل ملاحظة الا شاهداً واحداً ، والا فامثالها كثيرة لا تخلو

قصيدة منها

وهناك أمر آخر كان يجب أن ينبّه عليه وهو : ان أبيات القصيدة الواحدة لا تنسق على وجهٍ واحدٍ . ففيها تقديم وتأخير . وكذلك القول في القصائد فانها لم تنظم على تسلسل متشابه . فان النسختين ، بل النسخ الثلاث (أي النسخة البيروتية أيضاً) لا تأتلف بينها . فكان يجب الاشارة الى ذلك من باب التدقيق في التحقيق

بقي علينا الجواب على كلام ناشر النسخة المصرية اذ يقول في صفحة (ز) « وقد عانينا كثيراً من المشاقّ في قراءة هذه النسخة واستجلاء غامضها واستكناه عويصها ، حتى اضطررنا الى تصحيف كثير من الالفاظ التى ذهب اعجامُها أو وضع خطأً (كذا) في غير محلهِ . وبعض هذه الالفاظ قد يحتمل تصحيفاً آخر ولكننا راعينا فيما رجّحناه موقع الكلمة من انسجامها مع اخواتهـا حتى يأخذ بعضها برقاب بعض ، كقوله :

وأنعمٌ « تاتيه » مع الربيع جُدُدُ

المقصود من هذا البيت كلمة « تاتيه » وهي فضلاً عن بعدها عما يقتضيه السياق وعن عدم اتزان البيت بها ، فانها توجب أن تكون القافيـة منصوبة . فصحفناها الى « نابتة » والى « نابتـة » ورجحنا الاولى لالتئامها مع قوله « الربيع » وقوله « جُدُد » وهي لا تخفى على أهـل الذوق ، ومن الواضح أن الشعر ذو وجوهٍ ومناحٍ وكثيراً ما يختلف على البيت الواحد، وكل اختلاف له وجهٌ من الظن وناحية من الرأي . والواقع انه لو اطلق لنا العنان لنجزي وراء الاهواء سامعين لـكل مدلٍ برأيهِ فيما صحفناهُ أو صوّرناهُ أو رجحناهُ لوقفنا في وسط المضمار ولاعيانا الشوط وضاقت صحف هذا الجزء عن استيعاب الالفاظ التى توافق كل هوى . » اه

أما نحن وان كنا نصوّب كلام الناشر فيما ذهب اليه من الرأي ، الا أننا لا نوافقه في ابدال « تائية » بـ « نابتة » والذي نراه أن « تائبة » هي المطلوبة هنا . لأن الانعم حين ذهبت ترعى لم يكن معها أولاد ، فلما عادت كان معها أطفالها ، ولهذا نرى أن النسخة البغدادية أحسنت في وضع كلمة « تائبة » بمعنى « عائدة » في هذا البيت

ذكرنا كل ذلك من باب اتقان الامور ودخول البيوت من أبوابها . ولسنا ممن لا يرى الا رأيه ، بل ممن يلقى دلوه بين الادلاء ، ليس الا

بغداد قهر الجابوي

صحف الطبيعة

انظر الى صحف الطبيعة انها لغة البيان ووحي كل أديب !
كم جامع كتباً وقاريء جمعها لم تغنه عن نظرة التهذيب !
ومحدث أصغى الرجال لنقله في جهله المرئي غير مجيب
خير لأبي أن تضيع دفاتري ويظل لي بصري ووحي حبيب
لا أرى الوجود بنظرة القاري له وأخط من غرز القريض نسيبي
لا تحسب الشعر الأصيل رواية أو أنه المكسوب بالتدريب
الشعر فطرة صادح بنشيده في كل إشراق وكل مغيب
يرنو فيستوحي الطبيعة ربه فتجيب ملهمة جواب أريب
لا تذكر الكتب التى احتفلت به ونوادر التصديق والتكذيب
واذكر لنا صور الوجود فانها الأصل في الانشاد والتعريب !
لو أنصف الادباء وحي عيونهم وعقولهم لأتوا بكل عجيب !

أبو شادي

بين أعجمي وعربية

نشرت زميلتنا مجلة الهلال ـ لملء الفراغ ـ الأبيات الثلاثة التالية تحت العنوان السابق ، ولم تذكر ناظمها ولا شيئاً عنها . وهي :

فدعي الفخر يا أمام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
وسلي ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الاحقاب
إذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاها بناتكم في التراب

يشير الى حوادث تعد على الاصابع وأد فيها العرب بضع فتيات من بناتهم أيام جاهليتهم لأسباب معروفة في التاريخ

وهذه الأبيات لعدو قوميتنا الالدود اسماعيل بن يسار الشعوبي، المعروف بأبي فائد . وقد أنشدها مرة في مجلس فيه (أشعب) فقال له أشعب :

— صدقت يا أبا فائد ، أراد العرب بناتهم لغير ما أردتم بناتكم . . .

فقال له هذا الشاعر الشعوبي : وما ذاك ؟

فقال أشعب : دفن بعض العرب بناتهم خوفاً من العار عليهن ، وربيتم أنتم بناتكم لتنكحوهن !

يشير الى أن مجوس الفرس كانوا ينكحون بناتهم واخواتهم . فضحك الحاضرون وخجل اسماعيل بن يسار حتى لو قدر أن يسيخ في الارض لفعل. وهذا الشاعر هو الذي دخل على الخليفة هشام بن عبد الملك وهو في قصر الرصافة جالس على بركة له . فاستنشده ـ وهو يرى أن ينشده مديحاً له فيه ـ فبلغت به القحة أن أنشد قصيدته الميمية التي يفخر فيها بالعجم على العرب: فغضب هشام وقال له :

— أعلي تفخر ، وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ؟ غطوه في الماء !

فغط في البركة حتى كادت نفسه تخرج . ثم أمر به فنفي الى الحجاز

١ – الكتابة الصغرى جداً
٢ – القص واللصق في تقليد الخط الفائق

— ١ —

نسيب مكارم — حسن عبد الجواد عوضه — السابقان لهما

لا زالت القاهرة سوقاً تنفق فيها بدائع الصنائع، وتجلب لها روائع البدائع، مما تستحدثه الايدي أو تستنبطه القرائح

ولقد بقيت – بحمد الله – قلبَ العربيـة النابض، ولسانها الناطق، وترجمانها الصادق، ولواءها الخافق. وجاء المعرض الزراعي الصناعي (القائم بها الآن) مصداقاً لاحتفاظها بهذا الامتياز

وأنا أريد أن اقصر كلمتي هـذه علي أصغر أمر وأدق عمل ظهر في هذا المعرض، وهو ما حير الناظرين من آثار تلك الكتابات التي لا تكاد تخطر على الوهم. وأذكر بمناسبتها ما وعته الذاكرة من براعات أجدادنا بمصر في القرنين الثامن والتاسع للهجرة

***

وأبدأ الـكلام على فتي لبنان، الشيخ نسيب مكارم

لقد تحدث الناس منذ عشرين سنة فأكثر، وتجدد حديثهم في هذه الايام بما أتى به هذا الخطاط من معجزات، أقام عليها الدلائل بما قدمه لنا من آيات الصبر الذي ليس بعده صبر، وبرهانات الاتقان الذي لا مطمع وراءه، وأشراط التناهي فى تصغير الكتابة الي ما يفوت حدود الأمل

وكنت أحسبه مبتكراً، فاذا به مقلد ومجدد

ولكنه له الفضل الأوفى لاحيائه هذا الأثر الدارس من مفاخر الفن الاسلامى ، بعد أن جر عليه الزمان ذيل العفاء والنسيان ، فأدخله في خبر كان

ولكنه له الفضل أيضاً ، فقد أصبح في هذا الطراز اماماً ، يقتدى به طلاب المجد من أهل الجد . فظهر له مضارع أرجو أن يكون له نظائر .

فقد كان نجاح نسيب مدعاة للتقليد . فرأينا اليوم شاباً من القاهرة يناغى شيخ لبنان . وأنا على يقين تام بأن كثيراً من الفتيان ـ في مصر وفيما وراء النيل ـ سيكون لهم شأن في هذا المضمار . وان غداً لناظره قريب

تكفلت « الزهراء » الزاهرة [1] فعطرت الارجاء بشيء من أعاجيب الشيخ نسيب الذي طالما كان يوافينا بآثار من براعة يراعته ، وما ثر من دقته في صناعته

* * *

ولذلك أردت أن اضيف الى هذه الزهرة الجبلية اللبنانية ، نظيرتها التي سقاها النيل بمائه العذب النمير ـ الى أن تظهر لنا غيرهما من أزاهير الامصار العربية الاخرى فنضمها الى الاختين السابقتين ، ونجعل من الكل باقة غضة جميلة البهاء والرواء تستشفى باريجها قلوبنا فتجدد عزيمتنا على استعادة ما كان لنا من مجد صميم وفخار قريب العهد ليس ببعيد

أما هذا الشاب المصري ، فهو من طلاب الحقوق ، وقد ترسم طريق نسيب مكارم ، كما تتبع نسيبٌ هذا طرائقَ السابقين له من المتفننين المصريين أو المتمصرين

هذا الشاب هو الذي حدثنا عن نفسه ، بكلمة سطرها بيراعه فى صحيفة « الأهرام » ولذلك أحببت تخليدها فى « الزهراء » . قال :

---

(١) الظرج ٨ م ٢ : شعبان سنة ١٣٤٤ (ص ٤٩٦)

دقة الخط والخط الرقيق

٣١ سورة على بيضة

بعد التحية . أحمد الله أن وفقني لتفريغ هاتين البيضتين بطريقة علمية ، وأن أكتب على احداهما احدى وثلاثين سورة من المصحف الشريف مبتدئا من أول سورة بالمصحف . وبقي فراغ رسمت عليه خريطة لمصر والسودان وأواسط افريقية وجزء من شبه جزيرة العرب . وكتبت عليها دعاء لمصر ولصاحب الجلالة وولي عهده . ثم في نهايتها كتبت اسمي وتاريخ كتابتها . ثم كتبت على الاخرى العدد المذكور من السور وينقص سورتين ثم رسمت خريطة لنهر النيل عليها أيضا

هذا وكانت الكتابة بريشة افرنكية عادية وبالعين المجردة . وأطلب من الله أن يوفقني للعثور على ريشة دقيقة جداً ، وبذلك يسهل علي أن أدون الشيء الكثير على البيضة

هـذا وما كتب على البيضة الاولى يقع في صفحات يمكن أن يشغلها دستورنا المصري بسهولة . وإني أتمنى أن أجد الوقت الكافي لان اهدي لعزتكم بيضة وكتب عليها دستورنا مع الدستور العثماني وذلك في القريب ، وأتمنى أن يكون في عطلتنا المدرسية المقبلة بعد أن يروق بالنا باداء الامتحان

حسن عبد الجواد عوض

طالب بمدرسة الحقوق بمصر

***

والآن ، بقي علينا أن نذكر ما وصل الى علمنا عن شيوخ هـذا النوع من خرق الكتابة ، حتى تتجه اليهم أنظار الباحثين ، فيتحفون « الزهراء » بما فيه تكميل أو زيادة بيان . ولا أعلم من هـذا القبيل سوى مثلين اثنين : أحدهما جاء القاهرة وأصله من مدينة « حماه » ، التي أحبها من كل جوانحي والتي أحنو عليها وعلى أهلها بكل عواطفي ، لاسيا وقد رأيتها زاهيـة زاهرة في الصيف الماضي كعروس تتجلى في أبدع ثوب نسجته العناية الربانية ، ثم انقض عليها همج الفرنسيس فدمروها وشوهوا محاسنها . عاملهم المسيح بما يستحقون

وأما المثال الثاني ، فقد كان أصله من أرض المغرب الواقعـة اليوم تحت براثن ذلك الاستعمار الفرنسي الهمجي . وقد تدير صاحبه الفسطاط

١ — أما الاول فهو « شهاب الدين أحمـد الحموي النقاش » المولود في

سنة ٦٩٩ هـ. جاء القاهرة فى سنة ٧٣٢ هـ (سنة ١٣٣٢ م) وفيها كتب الختمة الشريفة من أولها الى آخرها على خوصة ، مفصلة الاجزاء والسور . وقدمها للسلطان الملك الناصر : وقد ثبت ذلك لدى الصلاح الصفدى بشهادة الثقات والعدول من أهل القصر

روى ذلك المؤرخ الشهير صلاح الدين الصفدي في الجزء الثالث والعشرين من « تذكرته » . ونقله عنه صاحب كتاب ذيل ثمرات الاوراق ، وهو مطبوع على هامش محاضرات الادباء ـ انظر الجزء الثانى ، صفحة ٩٠ [1]

٢ — أما الثانى فهو (عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله الجمال المغربى السوسي ثم المصري) . كان أعجوبة الدهر فى صناعة الاشياء الدقيقة . حتى كان يصنع بيده ورقا [2] يكتب فيه بخطه الدقيق (١) سورة الاخلاص (٢) وآية الكرسي (٣) وقصيدة مديح من نظمه. ثم يستحضر حبة من حب الكزبرة اليابسة ، فيفلقها فلقتين ، ويضع في تجويف احداها تلك الورقة الرقيقة بما حوته من تلك الكتابات الكثيرة الدقيقة ، ثم يغطيها بالفلقة الاخرى فتعود حبة الكزبرة الى شكلها الاصلي وهيأتها الطبيعية. فلا يتخيل الناظر اليها أنها مغلوقة ولا أنها تضم بين جنبيها كل تلك الكتابات

وقد مات هذا النابغة في الفسطاط سنة ٩٠٣

---

(١) غلط فى الطبع فسماه « الصالح » وهو تحريف بلا شك لأن عنوان « السلطان الملك » لا يطلق الا على صاحب عرش مصر ولم يكن فى هذه السنة (سنة ٧٣٢) ملك على مصر أو غيرها عنوانه الصالح . فوجب التصحيح

(٢) هذا النوع من الورق له قيمة عالية يعرفها أهل الفن ويسميه الفرنساويون والافرنج Cartamanis (أي ورق اليد) ـ يعنون بذلك الورق الذى تصنعه اليد وهو عبارة عن عجين المعينة باليد ثم بشرها ونشرها وجعلها طبقات رقيقة جداً ثم تتناولها اليد وتضم الطبقة فوق الاخرى الى أن يحصل السمك المطلوب . ولا تزال آثاره باقية فى كثير من المخطوطات تبشرها اليد اذا تناولتها بشيء من الشدة

ذكره المقريزى فى عقوده ،

وابن حجر فى الدرر الكامنة ،

والسخاوى في الضوء اللامع .

والكتابان الاخيران مخطوطان بخزانتى الزكية . وهما مرتبان على حروف الهجاء

— ٢ —

﴿ التفنن في استخدام المقص واللصق لتقليد الخط الفائق ﴾

قرأتُ أيضاً فى نفس هذا الجزء الزاهر من « الزهراء [١] » كلمة قيمة وبحثاً مفيداً عن خزانة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة . فرأيت زهرة أخرى قد استنبتها يراع البحاثة « الاثرى » السيد محمد بهجة الاثرى . فاردت أن أفيه بعض حقه عندى . فقد تكرم وتفضل فأتحفنى منذ سنتين أو ثلاث بنسخة جليلة من كتاب الخيل لابى عبيدة . كتبها بخطه الجميل [٢] ، فجاءت آية فى الصحة والاتقان وما زلت مديناً له بالشكر ، فانا اصوغه اليوم له على لسان « الزهراء » وهو كريم يقبل الاعتذار ، لا سيما واننى سأدفع له الفائدة التى حلل الله ، للتكفير عما حدث من تأخير وتقصير

ذكر لنا الاستاذ الأثرى ما رواه الراوون عن الحروف الملصقة لصقاً على ديوان الشعر الفارسي لملاّ شاهي ، وعلى هامش الكشاف لجار الله الزمخشرى

(١) ج ٨ م ٢ : شعبان سنة ١٣٤٤ (ص ٤٧٤)

(٢) جاء فى السطر الاخير من ص ٤٧٦ من المجلد المذكور من الزهراء : « وكتاب الخيل لابي عبيدة • وقد وفق اخيراً الى استنساخ الثاني » . وأظن أن هناك غلطة مطبعية جعلت الكلام لا يستقيم عند أي قاريء سوى السيد بهجة وسوى كاتب هذه السطور . والصواب هو بلا شك : « وقد وفقت أخيراً الى استنساخ الثاني » أنا أعلم ذلك لانه تكرم واهداني نسخة من استنساخه . فالفعل لا يمكن أن يكون فى صيغة المبنى للمجهول . بل هو المتكلم يتحدث عن نفسه . حياه الله وأحياه

وأنا أعرف في التاريخ شيئاً من هذا القبيل أريد أن أقدمه الى السيد بهجة الاثري ، والى القراء على يد « الزهراء » ، عسى ان يكون فيهم من قد وقف على شيء من هذا القبيل فيتكرم بإتحافنا به استكمالا للسلسلة

واعتمادي هو على ما أورده ابن فضل الله العمري (رحمة الله عليه) في الجزء الحادي عشر من « مسالك الابصار » (ص ٤٠ من النسخة التى أحضرها كاتب هذه السطور من خزائن القسطنطينية ، وهي الآن بدار الكتب المصرية ، الخديوية ، ثم السلطانية سابقا)

وذلك أن رجلا اشتهر في عصر ابن فضل الله بصناعة القسى ، وهو « جوبان القواس » وكان اسمه رمضان ولقبه أمين الدين . كان يتظاهر بالامية ، ومع ذلك ينظم الشعر الجيد الفائق . وكان يدعي الامية ، ومع ذلك يكتب الخط المنسوب الفائق . كان يقعد لمعاطاة صناعته الكتابيـة ، وفى أثناء ذلك ينظم الشعر ، على ما رآه ورواه الثقة والشاهد العدل . من ذلك قوله :

وعهدي بوجه الارض مبتسما فَلِمْ   يُغَرْغَرُ منه الدمع في مُقَل الغُدْر
اذا زحف الماء النسيمُ لوقتـه   كساه شعاع الشمس درعا من التبر

وقوله :

نصون الحميـا بالقنانى وإنما   نصون القناني بالحميا ولا ندري
ولما حكى الراووقَ فى العين شكله   وقد عُلّق العنقود في سالف الدهر
تذكر عهـداً بالكروم فكله   عيون على ايام عصر الصبا تجري
يناولنيها مُخْطَف الخصر أغيَدٌ   فلله ذاك الاغيد المخطف الخصر
يقول وفرط السكر يَثْنِي لسانه   الى غير ما يرضى التقى وهو لا يدرى
ومن كان لا يحوي ذراعاه مئزري   فدون الذي تحوى انامله خصري

وهذا ليس محل الشاهد بل نحن نسوقه تمهيداً لايراد الشاهد على ما كان

بتعاطاه من الكتابة الغريبة فى بابها، والتى لم يضارعه غيره فى بابتها

فقد ثبت أنه كان يأخذ الخطوط المنسوبة الفائقة، من آثار ابن البواب البغدادي وولي الدين التبريزي وأمثالهما. ثم يضع هذه الخطوط أمامه بحيث يراها. ثم يتناول ورق الشجر المعروف باسم التوز (الحور الابيض)، فيقص من هذا الورق على مثال «المشق» الموضوع أمامه. ثم يلصق المقصوص على الدروج سطراً فسطراً. فيجيء صنيعه بالمقص شبيها بالاثر الذى أخذ فى تقليده بحيث لا يتأتى التمييز بين ما عمله هو وبين ما كتبه أولئك الخطاطون بالقلم»

***

وتحيتي الى «الزهراء» التى استنشقتُ عبيرها في كل مكان زرته فى البيت المقدس، فقد انتشر عطرها عند جماعة أهل الفضل وهم هنا كثيرون. زاد الله في عددهم ومد في أعمارهم

عن القدس الشريف فى ٢١ رمضان سنة ١٣٤٤
(٣ ابريل سنة ١٩٢٦)

احمد زكى باشا



المرأة العراقية

الا خلّياني في الكلام من السَّجْعِ ... ولا تجريا في القول الا على الطبعِ
وإن أنا أرسلتُ الحديثَ فأصغيا ... والا فما يُجدي لسمعِكُما قَرعي
فاني ما أطلعتُ شمسَ حقيقة ... لمستمعٍ الا لتغربَ في السَّمعِ
ولستُ أبالي بعد افهام سامعي ... أكان بخفضٍ لفظُ ماقلتُ أم رفع
واني إذا قبَّلتُ رأساً ولم أجد ... به فضلَ عقلٍ كان أجدرَ بالصفعِ

إذا كان علمُ الأصل عندِيَ حاصلا ... ففيم اهتمامي بعد ذلك بالفرع
فان بانَ لي سيرُ الكواكب لم أُبَل ... أكان بجذبٍ ذلك السيرُ أم دفع
شكوتُ الى ربِّ السماوات أرضَه ... وما الأرضُ الا من سماواته السبع
فقد جارَ في الأرض البسيطة خلقُه ... على خلقه جوراً الى الحزن يستدعي

***

وإني لأشكو عادةً في بلادنا ... رمى الدهرُ منها هَضْبَةَ المجد بالصَّدْع
وذلك أنّا لا تزالُ نساؤنا ... تعيشُ بجهل وانفصالٍ عن الجمع
وأكبرُ ما أشكو من القوم أنهم ... يعدّون تشديد الحجاب من الشرع(١)
أفي الشرع اعدام الحمامة ريشها ... واسكاتها فوق الغصون عن السجع
وقد أطلقَ الخلاّقُ منها جناحَها ... وعلمها كيف الوقوع على الزرع
فتلك التي ما زلتُ أبكي لأجلها ... بُكاءً اذا ما اشتدَّ أدّى الى الضَّرع
بكيتُ بلا دمع ، ومن كان حزنه ... شديداً بكى من غير صوت ولا دَمع
فيارَبّةَ الخِدْر أسمعي ما أقوله ... لعلّ مقالي فيه شيءٌ من النفع
يقولون لي إن النساء نواقص ... ويُدْلونَ فيما هم يقولون بالسمع
فانكرتُ ما قالوه والعقلُ شاهدي ... وما أنا في إنكار ذلك بالبِدْع
إذا النخلةُ العَيطاءُ أصبح طَلعُها ... ضعيفاً فليس اللومُ عندي على الطَّلع
ولكن على الجِذْع الذي هو نابت ... بمنبت سوء ، فالنقيصةُ في الجِذع
ووالله ما إن ضِقتُ ذَرعاً بقولهم ... ولكنما قد ضاق من فعلهم ذَرْعي

بغداد ... معروف الرصافي

(١) من مصائب الشعوب الاسلامية أنها واقعة من هذا الامر على طرفي الافراط والتفريط، فهم بين تشديد أعجمي في الحجاب لم يكن يعرفه الاسلام حتى حالوا بين نصف الامة وبين نسيم الحياة ونور التهذيب ، وبين افراط في التبرج وقلة الحشمة والاخذ من المدنية بقشورها ورذائلها . ولا ندري متى نعتدل فنكون مسلمين حقاً ! (الزهراء)

أبو اللطف وأبناؤه

من القرن التاسع الهجري الى القرن الثاني عشر

— ٢ —

أكثر التقاييد التي في كناش آل أبي اللطف منقول من تذكرة نجم الدين ابن قاضي عجلون (١) فمن ذلك : ورأيت بخط العلامة نجم الدين المذكور ظاهره ما صورته قال : رأيت بخط الزركشي (٢) في الجزء الثامن من التذكرة الفقهية :

رأيت بني الدنيا كوفدين كلما ترحل وفد حط في اثره وفد
وكل يحث السير عنها ونحوها فيمضي بذا نبش ويأتي بذا مهد

قال وفي حفظ كاتبه في هذا المعنى قريبا منه :

أرى الدنيا كخان في سبيل يمر عليه أبناء السبيل
فركب نازل فيه مقيم وركب قد تهيأ للرحيل

ومن ذلك : «ورأيت بخط العلامة النجمي ابن قاضي عجلون ما صورته : رأيت بخط الشيخ برهان الدين البقاعي (٣) بالقاهرة ما صورته : كان شخص في زماننا يتكيس ويتنفش ويترأس ويظن أن ذلك يكون بالمناصب ، فيخانق عليها ويضارب . وكان ذا ذقن ودلق ، وذهب وورق . وهيئة وشارة ، وبغلة وحمارة . فكان يزاحم على التداريس ، فيعجز عنها مستحقيها المفاليس . وكلما أخذ تدريسا تعاظم في نفسه ، وغاب عنه حلول رمسه . حتى كان يقول لبعض منفلي أصحابه : يافلان صاحبك قد حاز عظما من حقه وأراك لا توصله حقه . وما زال كذلك حتى حضر بعض مجالس الكبار ، فاجلس فوقه شخص هو عنده من الجهلة والصغار . وأهل المجلس ظنوا أنه أعظم منه وأعلى ، وأحق بالمجلس وأولى . فحمل على نفسه فمرض فمات ، وخاب أمله وفات الذي فات . فقلت :

يامن ترأس بالعلوم بجهلا ظنا بان علاه في اسم دروس
أقبل على حلق الدروس مذللا كيلا ترى يوما قتيل جلوس

ومن ذلك : « من خط العلامة النجمي ابن قاضي عجلون ما صورته : بعد الحمدلة حكى لي جمال الدين بن أيوب بالقاهرة أنه سمع من البدر الدماميني (٤) ان الشعر الذي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، وحين سمعه قال «ان من الشعر لحكمة» هو قول الشاعر :

(١) لم نعثر على ترجمة له ولكنا اطلعنا في المكتبة الخالدية بالقدس على كتاب ضخم كتب عليه (فتاوي ابن قاضي عجلون) وفيه عبارة تقول انه ورد عليه فتوى من حلب سنة ١٠٢٧

(٢) لعله بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ (٣) توفي سنة ٨٨٥هـ

(٤) بدر الدين الدماميني محمد توفي سنة ٨٢٧ هـ

وحي ذوي الاضغان تسبي عقولهم … تحيتك المثلى فقـد يرقع النقل
وان جنحوا للسلم فاجنح تكرما … وان كتموا عنك الحديث فلا تسل
فان الذى يؤذيك منـه استماعه … وان الذى قد قيل خلفك لم يقل

قال وسمعت من جمال الدين المذكور بيتين آخرين لطيفين في معناها وهما :

وأجبت من يلحى على تركي القضا : … تلف العدو على العدو رخيص
قد قيل لى قاض وأي مزية … لاسم هو المستثقل المنقوص

ومن خط المشار اليـه قال : سمعت من المقر المحبي بيتين نسبهما للملك الصالح ابن الملك الناصر(١) وهما :

أمد كفى الى البيضاء أقلعهـا … من لحيتي فتقديهـا بسوداء
هذي يدي وهي مني لا تطاوعني … على مرادي فما ظني باعدائى

ومن ذلك : رأيت بخط العـلامة نجم الدين بن قاضى عجلون ان هذين البيتين ذكرها جعفر بن ثعلب وجعفر بن علي الادفوى في تاريخ له سماه البدر السـافر في أنس المسافر (٢) في ترجمة علي بن أحمد صاحب شرح المقامات ونسبهما له وهما :

لما تقوس مني الظهر من كبر … وابيض ماكان مسوداً من الشعر
جعلت أمشي كأني نصف دائرة … تمشي على الارض أوقوس بلاوتر

قال ومن هذا أخذ بعضهم قوله :

تقوس بعد طول العمر ظهرى … وداستني الليالى أى دوس
فأمشي والعصا تمشى أمامى … كأن قوامها وتر لقوسى

قال وممن ذكرهم ابن ثعلب علي بن جابر بن علي أبو الحسن الدباج النحوي المغربى قرأ النحو على ابن خروف ومن شعره :

رضيت كفافي رتبة ومعيشة … فلست أسامي موسرا ووجيها
ومن جر أثواب الزمان طويلة … فلا بد يوما أن سيعثر فيها

ومن التقاييد : أجاب العلامة برهان الدين الانصاري الخليلي على بيتي ابن الوردي وهما قوله :

عندي سؤال حسن مستظرف … فرع على أصلين قد تفرعا
متلف شيء برضـا مالـكه … ويضمن القيمة والمثل معـا

فقال :

خذ الجواب نظم در مبدعا … بالحسن هذا محسن تبرعا
أعار صيدا من حلال ثم اذ … أحرم ذا أتلفه فاجتمعا

(١) هو الملك الصالح اسماعيل ابن الملك ناصر الدين محمد بن قلاوون المتوفى سنة ٧٤٦ هـ
(٢) توفى جعفر المذكور سنة ٧٤٨ هـ وكتابه (البدر السافر) في تراجم مشاهير القرن السابع ، منه نسخة في مكتبة فينا

ومن التقاييد : قداح الميسر التي كانوا يقتسمون بها في الجاهلية واحدها قدح بكسر القاف وسكون الدال . وقد نظمها التاج بن السمك اليمني فقال :

فذ وتوأم والرقيب وحلسه ... مع نافس ويلى كذاك مسبل
وكذا المنيح والسفيح منيحه (١) ... وغد . وهذا التحفظ يجمل

العلامة قاضي القضاة فخر الدين التركماني الحنفي :

أيا قدس آمالي وأقصى ما أربي ... ويا حطتي في حال سري واعلاني
فؤادك صخر ما به باب رحمة ... كما أن قلبي ما به عين سلوان

وفي آخر ورقة من هذا الكناش :

وبلغ على بعد المزار تحيتي ... لسكانها لازلت تلقى تأنسا
وقل في دمشق الشام خلى فؤاده ... مقيم لديكم في الصباح وفي المسا
فدم يا كمال الدين يا ابن محمد ... رئيسا كما تختار بل دمت أرأسا
مدى الدهر ماغنى الحمام مفردا ... وأدلج نشر الروض صبحا وغلسا

قال ذلك مرتجلا ورقه خجلا أفقر الخلق الى رحمة الحق الغني الحسن بن محمد البوريني الشافعي نزيل دمشق المحروسة دامت ربوعها المأنوسة . وكتبتها كما نظمتها في لحظة واحدة من ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة خمس بعد الالف . والحمد لله وحده »(٢)

ولمحمد بن محمد بن الشمس محمد أربع اجازات أجاز بها بعض طلبة العلم سنة ٩٦٤هـ اجتزأنا منها مطالعها . قال في الاولى :

صورة اجازة كتبتها لصاحبنا الفقيه الشيخ جابر بن الفقيه الصالح الشهابي وهي أول اجازة :

الحمد لله على مامنحا ... من حسن تسهيل مرام من نحا
نحو اللباب من أولي الالباب ... حتى أصاب صيب الصواب الخ

صورة اجازة كتبتها للولد محمد بن مصطفى الشهير بابن خضر وهي ثاني اجازة كتبتها

أحمد ربي رافع السماء ... ناصب متن الأرض فوق الماء
خافض قدر المبطلين والعدى ... مظهر شمس الدين في أفق الهدى الخ

صورة اجازة كتبتها للولد يوسف بن أحمد الشهير بالمسابحي سبط صاحبنا الشيخ محمد الخليلي وهي ثالث اجازة كتبتها ومطلعها :

الحمد لله العلي الشان ... مميز الانسان بالبيان

---

(١) في الاصل « متيحه » والتصحيح من كتاب (الميسر والقداح لابن قتيبة) ص ٥٦ .

(٢) يظهر ان هذه الابيات تتمة قصيدة للبوريني وبخطه لانه يختلف عن الخطوط الاخرى والبوريني هذا قد توفي سنة ١٠٢٤ هـ في دمشق وترجم له المحبي في خلاصة الاثر ترجمة حافلة ج ٢ ص ٥١ — ٦٢

وارفع قدر من لخفض المبطل قد نصب النفس بحكم البدل الخ .

صورة اجازه كتبتها لولد شمس الدين بن القباقبي ومطلعها :

الحمد لله الذي من أمله فاز بتحقيق مراد أمله
وحاز اذ جاز طريق المعرفه حسن بيان حال تمييز الصفه

والملحوظ ان كلمة ولد التي أطلقها المجيز هي على طالب العلم الذي أتم بعض دروسه وأجيز عليها

ويظهر ان محمد بن محمد بن شمس الدين محمد المذكور كان حنفي المذهب على العكس من أجداده وهم شافعية ، فقد كتب مايلي :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله . حيث لم تشهد البينة الشرعية بما ادعاه المدعى فلا ضمان والحالة هذه . والله سبحانه وتعالى أعلم

كتبه أحقر الورى محمد بن محمد بن أبي اللطف الحنفي لطف الله به

ولعل ذلك كان بسبب تقلده منصب الافتاء في بيت المقدس لان القضاة والمفتين في الدولة العثمانية كانوا يقلدون الامام الاعظم أبا حنيفة . وقد تقلد هذا المنصب أكثر أفراد هذه الاسرة

﴿ أصل هذه الارومة ﴾

لم يذكر مجير الدين الحنبلي اسم والد علي أبي اللطف في ترجمته ، وكذلك المحبي والمرادي في تراجم أبنائه . ولكنا وجدناه في خلال الاجازات التي كتبها حفيده محمد بن محمد بن الشمس محمد وهو (منصور بن زين العرب) فذكرناه في فاتحة الكلام

ولا يزال من هذه الاسرة طائفة مذكورة في بيت المقدس ولكنها معروفة باسرة (جار الله) والظاهر ان هذا الاسم الاخير تغلب عليها من أيام أحد أجدادهم المسمى بهذا الاسم ولعله جار الله بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن محمد ابن علي ، وقد كان من أفذاذهم كما ذكره المحبي في ترجمته . وأنبهُ أسرة جار الله اليوم هو الاستاذ الشيخ علي جار الله القاضي بمحكمة الاستئناف وأخوه الشيخ

حسام الدين جار الله مفتش المحاكم الشرعية ، وهما من رجالات العلم بفلسطين

وهذه أسماء النابهين من أبناء أبي اللطف ، وسني وفاتهم ، ومراجع تراجمهم :

سنة الوفاة	الاسم	المراجع
٨٥٥	أبو اللطف على بن منصور بن زين العرب	الانس الجليل ج ٢ ص ٥٢٥
٨٥٩	شمس الدين محمد بن أبي اللطف	» » ٢ » ٥٢٥
بعد التسعمائة	علاء الدين أبو الفضل » »	» » ٢ » ٥٢٥
» »	سيف الدين » »	» » ٢ » ٥٢٥
» »	محمد بن شمس الدين محمد »	الكناش الذي ذكرناه
٩٧٩	الشيخ حسن	» » »
بعد ٩٧٩	محمد بن محمد بن شمس الدين محمد	» » »
١٠٠٣	سراج الدين عمر بن شمس الدين محمد بن أبي اللطف	خلاصة الاثر ٣ : ٢٢٠
١٠٢٨	جار الله بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن على	» ١ ٤٨١
١٠٢٨	محمد بن يوسف بن أبي اللطف الملقب رضى الدين المقدسي	» ٤ ٢٧٢
١٠٣٣	محمد بن عبد الحق بن أبي اللطف الملقب كمال الدين المقدسي الحنفي	» ٣ ٤٨٢
١٠٧٠	على بن جار الله بن أبي بكر بن محمد	» ٣ ١٠١
١٠٧١	أبو اللطف اسحاق بن محمد بن أبي اللطف الحصكفي	» ١ ١٤٥
١٠٧٤	يوسف الرضى القدسي الحنفي الخطيب بالاقصى	» ٤ ٥١١
بياض بالاصل	اسحق بن عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن على بن أبي اللطف	» ١ ٣٩٤
١١٠٤	عبد الرحيم بن أبي اللطف بن اسحق بن محمد بن أبي اللطف	سلك الدرر ٣ : ٢
١١٤٤	جار الله بن محمد بن أبي اللطف الحنفي القدسي	» ٢ ٦
١١٤٤	على بن حبيب الله بن محمد بن نور الله بن أبي اللطف الشافعي	» ٣ ٢٠٩
بعد ١١٤٤	حسن بن على بن حبيب الله	» ٣ ٢٠٩
» »	محمد جار الله »	» ٣ ٢٠٩
مجهول بالاصل	محمد بن عبد الرحيم بن أبي اللطف	» ٤ : ٥٢ و ٥٨

وقد ذكر الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته القدسية المسماة بالحضرة الانسية أنه اجتمع بعبد الرحيم بن اسحق بن عمر بن أبي اللطف وولده محمد المذكورين في القدس ووصفهما كما يلي [1] :

(١) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية مخطوط وقد طبع في مصر مختصر هذه الرحلة بل ممسوخها ، وليس فيه اشارة الى اسماء الرجال الذين اجتمع بهم النابلسي ، ولا وصف للاماكن التي زارها على النمط الذي ارتآه ودونه

وكان ممن حضر عندنا بالمدرسة السلطانية شيخ الاسلام صاحب النسب الطاهر المتصل بسيد الانام العالم العلامة عبد الرحيم أفندى المفتي بالقدس الشريف والمحفل المنيف ابن أبي اللطف اسحق بن الشيخ عمر وعمه والده مفخر الافاضل وزبدة الصالحين ارباب الفضائل السيد محمد سلمه الله تعالى . وجد السيد عبد الرحيم أفندي المذكور الذي هو السيد عمر كان بينه وبين الشيخ الامام درويش أفندي الطالوي محبة وصداقة ومراسلة كما ذكر درويش أفندي في سانحاته (١) حيث قال : ومما كتب به صدر مكاتبة من غزة هاشم ، سقتها غر الغمائم ، العالم الرباني ، والقطب الصمداني ، سراج الملة والدين علامة الديار القدسية زين الدين عمر بن ابي اللطف لازال مشربه من العلوم صافيا ولباس العوارف له ضافيا ، وقد تشرفت به مدة قامتي عام ثمانية وتسعين وتسعمائة

سقى معهداً من ايلياء هتون ... فلي بين هاتيك الربوع شجون
ولا زال خفاق النسيم بربعه ... لطيفا فان القلب فيه رهين
منازل أحباب اذا عن ذكرهم ... ستتهم على بعد الديار شؤون
أقاموا وسرنا والفؤاد لديهم ... مقيم وهل يرعى الوداد حزين
أيا ساكن البيت المقدس هل ترى ... يجود بكم دهر علي ضنين
سقى الله هاتيك الديار وأهلها ... سحاب دنو العهد وهو هتون
وخص جنابا فيه ركن هداية ... له الفضل خدن والوفاء قرين
سراج المعاني عمدة القوم والذي ... لديه جميع المشكلات تهون
عليكم سلام الله ماحن عاشق ... تضاعف منه أنة وحنين
فوالله ما فارقتكم قاليا لكم ... ولكن مايقضى فسوف يكون

وذكر شمس الدين سامي بك الالباني في مادة (ابن أبي اللطف) من كتابه قاموس الاعلام (١ : ٥٩٨) أحمد بن عبد الله واسحق بن عمر وجار الله بن أبي بكر وعلى بن جار الله وعمر بن محمد ومحمد بن يوسف ، وأحال القارىء على المواد المختصة بأسمائهم ، في حين أنه لم يفرد لهم تراجم مخصوصة بل اقتصر على المادة المذكورة . وقد مرت بك تلك الاسماء خلا أحمد ابن عبد الله الذي لم نظفر له بترجمة ولم نطلع له على خبر

ولا بد أن يكون السخاوي في كتابه (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) وهو من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ، وابن تغري بردي في كتابه

(١) درويش الطالوي توفي سنة ١٠١٤ واسم سانحاته (سانحات دمى القصر) على ما ذكره المحبي في خلاصة الاثر ج ٢ ص ١٤٩

(المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي) وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية والخزانة التيمورية لصاحبها صديقنا العلامة الجليل أحمد تيمور باشا فى القاهرة ، والنجم الغزّي فى كتابه (الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة) وهو من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق والمتحف البريطاني فى لندن وذيله المسمى (لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر) وهو من مخطوطات المكتبة الظاهرية وابن طولون الصالحي فى كتابه (التمتع بالاقران بين تراجم الشيوخ والاقران) ومختصره من مخطوطات مكتبة برلين فى المانية وكتابه (ذخائر القصر فى تراجم نبلاء العصر) وهو من مخطوطات مكتبة غوطا فى المانية والخزانة التيمورية فى القاهرة ، وحسن البوريني فى كتابه (تراجم الاعيان من ابناء الزمان) وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية ومكتبتي برلين وفينا فى النمسة والمكتبة الظاهرية ، وعبد الحي بن العماد في كتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) وهو من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية[1] ، والشيخ عبد الرزاق البيطار في كتابه (حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر) وهو من مخطوطات مكتبة حفيده الشيخ بهجة البيطار بدمشق — لابد ان يكون كل هؤلاء أو بعضهم قد أتوا على شيء من تراجم أفراد تلك الاسرة الكريمة التى نرجو أن يبقى أفرادها على اتصال بالعلوم الاسلامية في بيت المقدس الذي قل فيه العلماء ولم يبقَ فيه من يشار اليهم بالبنان سوى نفر قليل يعدون على الاصابع ، أمثال العلامة الاستاذ الشيخ خليل الخالدي الديري[2] رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في فلسطين

(١) وقد قررت (جمعية نشر الكتب العربية) بالقاهرة نشره . وسيطبع عما قريب في المطبعة السلفية . وهو مرتب على السنين وفيه تراجم مشاهير الملة الاسلامية من صدر الاسلام الى سنة ألف بعد الهجرة (الزهراء)

(٢) الديري لقب قديم للاسرة الخالدية الكريمة التى نبغ منها علماء أعلام أمثال شمس الدين الديري قاضى القضاة وابنه سعد الدين قاضى القضاة . ثم غلب عليها اسم الخالدية أخيراً

والاساتذة الشيخ حسام الدين جار الله مفتش المحاكم الشرعية والشيخ سعود العوري قاضي القدس الشريف سابقا والمدرس في المسجد الاقصى اليوم والشيخ أمين العوري عضو محكمة الاستئناف الشرعية والشيخ موسى البديري قاضي القدس الشريف ، وبعد ان كان المسجد الاقصى وحده يضم تحت سقفه وبين جدرانه المئات من العلماء الاعلام . فسبحان محول الاحوال

حيفا عبد الله مخلص

﴿ الكرات العربية ﴾

في الزهراء (ص ٣٨٥ ـ ٣٨٩ م ٢) باب لهذه الكرات : الأرضية والفلكية وقد اطلعت على واحدة منها في مادة (درسده) من قاموس الاعلام لشمس الدين سامي بك قال فيها ما ترجمته (ج ٣ ص ٢١٣١) :

وفي متحف العلوم الرياضية بمدينة درسده كرة مجسمة من صناعة محمد بن مجد الدمشقي من مشاهير علماء الفلك الاسلاميين في أوائل القرن السابع الهجري

وقد رجعت الى حرف الميم من قاموس الاعلام لأرى من هو محمد بن مجد الدمشقي فلم أجده . فأرجو من صاحب الزهراء أن يتحفنا بشيء مفصل عن هذا العالم الرياضي ويكتب ما شاء عن تلك الكرة وله مزيد الشكر

فلسطين جرجس

﴿ الزهراء ﴾ ـ المرجح عندنا أنه محمد بن مؤيد الدين العرضي الذي ورد الكلام عليه وعلى كرته في مقال سماحة السيد البكري (الزهراء ٢ : ٤٥١) وكان أبوه مؤيد الدين العرضي دمشقياً كما في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٢ : ٢٧٣) ولا يبعد أن يكون شمس الدين سامي بك قرأ اسمه بحروف افرنجية فالتبس عليه رسم (مؤيد) برسم (مجد)

رواة المغازي والأخبار والأنساب

محمد بن أسحاق ـ هشام بن الكلبي ـ عبد الملك بن هشام ـ الواقدي ـ ابن سعد
الزبير بن بكار ـ المدائني ـ البلاذري ـ عبيد بن شرية ـ وآخرون

المغازي والايام والأخبار في التاريخ العربي مصادر لا يستهان بها لمعرفة أحوال العرب قبل الاسلام ، وفي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة . وقد رويت شفاهاً ، ثم دوّنت وتناقلها الأخباريون في الأصقاع المختلفة

﴿ محمد بن إسحاق ﴾

وأشهر من عرف بروايتها ﴿ محمد بن اسحاق ﴾ صاحب السيرة وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول . جاء في الفهرست :

« انه كان يُعمل له الاشعار ويؤتى بها ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل . فضمن كتابه من الاشعار ماصار به فضيحة (١) »

أما أصحاب الحديث فيضعفونه ويتهمونه . والمهم أن ابن اسحق حفظ لنا في بعض مانقله وجهة النظر المسيحية في أخبار العرب وأيامهم ومغازيهم وأنسابهم . وهي وجهة قد تعين المحقق وتنير سبيله في تفهم الوجهة الاسلامية وما تقلب عليها وأثر فيها من الطوارىء السياسية والمذهبية . وله من المصنفات : (كتاب الخلفاء) و (كتاب السيرة) ومعظمه متضمن في سيرة ابن هشام و (كتاب المبتدأ والمغازي) . وكان محمد شاباً جميلا اشتهر بمغازلة الحسان حتى انه نهي عن الجلوس في مؤخرة المسجد في المدينة . وتوفي ـ حسبما هو معروف ـ حوالي سنة ١٥٠ ـ ١٥١ هـ .

قلنا ان أصحاب الحديث يضعفون رواية ابن اسحق لكن الذهبي أورد ما شهد به مشاهير العلماء وبينهم الأئمة . وكل ذلك يلخص في أنه يرجع اليه الا فيما

(١) الفهرست لابن النديم ص ٩٢

يختص بالحلال والحرام . ولعل هذا لسوء سيرته وتمتعه بملاذ الحياة الدنيا. وهاك ما يرويه الذهبي :

« . . . وكان أحد اوعية العلم ، حبرا في معرفة المغازى والسير. وليس بذاك المتقن ، فانحط حديثه عن رتبة الصحة

قال يحيى بن معين فيه « هو ثقة وليس بحجة »

وقال أحمد بن حنبل « حسن الحديث »

وقال علي بن المديني « حديثه عندى صحيح »

وقال النسائي « ليس بالقوى »

وقال الدار قطني « لايحتج به »

وقال شعبة « هو أمير المؤمنين في الحديث »

وقال يزيد بن هارون « لو كان لى سلطان لأمرت ابن اسحق على المحدثين »

وقال ابن عيينة « مارأيت احدا يتهم ابن اسحق »

والذي تقرر عليه العمل أن ابن اسحق اليه يرجع في المغازى والايام النبوية ، مع انه يشذ بأشياء . وانه ليس بحجة في الحلال والحرام ، نعم ولا بالواهي بل يستشهد به . . . » (١)

﴿ هشام بن محمد الكلبي ﴾

وعرف ﴿ هشام بن محمد الكلبي ﴾ بحفظه انساب العرب وأخبارها وأيامها ومثالبها ووقائعها . وليس لدينا شيء من تأليفه مستقلا (٢) ، سوى ما رواه الطبري في تاريخه عن عاد وثمود وسبأ وحمير وغيرها . وقد روى عن الحفظة خصوصاً فيما يتعلق بأديان العرب وحكامها وأسواقها وأصنامها وأمثالها ولغات القرآن . وله (كتاب البلدان الكبير) و(كتاب البلدان الصغير) و (كتاب الحيرة) وغيرها مما نجده مفصلا في الفهرست لابن النديم (٣) . ويقول الذهبي في تذكرة الحفاظ :

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٥٥

(٢) ماخلا (كتاب الاصنام) الذى نشرته دار الكتب المصرية بتحقيق الاستاذ أحمد زكى باشا وطبع بالقاهرة سنة ١٣٣٢ (الزهراء)

(٣) الفهرست ص ٩٥ ـ ٩٦

« انه أحد المتروكين وليس بثقة . . . وكان أخبارياً علامة ، توفي سنة ٢٠٦ ه (١)»
ولعل هذه الشهادة المتناقضة للذهبي في هشام بن محمد الكلبي لترفضي الاخير

﴿ عبد الملك بن هشام ﴾

ويعتمد على ﴿ ابى محمد عبد الملك بن هشام ﴾ في الانساب والمغازى والسير واشعار العرب وملوكها وتاريخها عموما. وكان عارفاً باللغة : غريبها ودخيلها (٢) وجمع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من روايات ابن اسحاق ، وهي معروفة يتداولها الناس(٣) وابن هشام شابٌ أصله من البصرة ، ونزل مصر فطأبت له الاقامة فيها وتوفي بها بين سنة ٢١٣ وسنة ٢١٨ ه . وقد رأينا شرح السيرة النبوية التى رواها ابن هشام للشيخ ابي ذر بن محمد بن مسعود الخُشَني قال في مقدمتها ... « وبعد فهذا املاء أمليته من حفظي بلفظي على كتاب سيرة رسول الله صلي عليه وسلم التي تقدم محمد بن اسحاق الى جمعها وتلخيصها أوان سُمع هذا الكتاب مني وقيدت رواياته بطرقها عنى . قصدت فيه شرح ما استبهم من غريبه ومعانيه ، وأيضاح ماالتبس تقييده على حامله وراويه - مع اختصار لا يخل ، وايجاز يتم به البيان ويستقلّ » (٤)

﴿ محمد بن عمر الواقدي ﴾

اما ﴿ ابوعبيد الله محمد بن عمر الواقدي ﴾ فكان يتشيع ويلزم التقيه . اشتهر فضله في معرفة فتوح الشام وفتوح العراق وحروب الأوس والخزرج ومعركة

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣١٤
(٢) راجع ابن خلكان في ترجمة حياته ، والفهرست ص ٩٥ - ٩٦
(٣)ولابن هشام هذا كتاب (التيجان في انساب ملوك حمير) وهو موجود في حيدر آباد . انظر الزهراء (١ : ٤٧٤)
(٤) مقدمة شرح السيرة النبوية لابي ذر . طبع بمطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ ه عني بنشره الاستاذ بولس برونله الالماني Dr. Paul Bronnle

صفين واخبار البلدان خصوصاً مكة ، ومراتب العرب ودواوينها وأنسابها وتصنيف قبائلها وقطائعها ومغازيها ، وله في ذلك التآليف العديدة وهي مذكورة أيضاً في الفهرست لابن النديم [1] . وترى الطبري والبلاذرى يرويان عنه الروايات الجمة . أما الكتاب المعروف بفتوح الشام والمنسوب اليه والمطبوع في مصر فليس من تأليفه بل من تأليف غيره ، لانك حينما تقابله بما روي عن الواقدى في كتب الطبري والبلاذرى وغيرها تجد البون شاسعاً والفروق ظاهرة في انشاء الروايات وأسلوبها وان ما عرف به الواقدي من رجاحة العقل وتحقيق الاخبار تكاد لاتجد له اثراً في هذا الكتاب الذي ينتحل اسمه وينسب اليه

ولد الواقدي سنة ١٣٠ هـ في المدينة وتوفي سنة ٢٠٧ في بغداد وقد ولي القضاء في العاصمة العباسية على عهد المأمون واشتهر بالتصنيف حتى يقال انه استأجر مملوكين يكتبان له الليل والنهار . ويقول الذهبي « انه كان من أوعية العلم ، لكنه لا يتقن الحديث ، وهو رأس في المغازي والسير ... وكان له رياسة وجلالة وصورة عظيمة » [2]

﴿ ابن سعد ﴾

وكان ﴿ ابن سعد ﴾ صاحب (كتاب الطبقات الكبير) كاتباً للواقدى وتلميذاً له . ويشتمل كتابه هذا على السيرة النبوية بفروعها ويذكر الصحابة والتابعين نسبة لقربهم من الرسول . وكتابة الطبقات فرع من التفكير يمتاز به العرب المسلمون . وقد عني بتصحيحه وطبعه ادوارد سخو ناظر مدرسة اللغات الشرقية بمدينة برلين عاصمة البلاد الالمانية . وعهد به اليه من الجمعية العلمية الكبرى

(١) الفهرست ص ٩٨ - ٩٩

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٩

(أكادمي) الملوكانية البروسيانية بتلك المدينة ، مع مساعدة عدد من افاضل العلماء المستشرقين . طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٣٢٢

﴿ الزبير بن بكّار ﴾

ومن الذين اشتهروا بمعرفة الاخبار والانساب والصدق في الرواية ﴿ الزبير ابن بكار ﴾ فصنف التصانيف في ايام العرب وأنساب قريش والموفقيات في الاخبار . ويشهد ابن النديم أنه « كان نبيل القدر ولي القضاء في مكة ، ودخل بغداد عدة دفعات » [١]

﴿ ابو الحسن المدائني ﴾

وسكن ﴿المدائني﴾ في المدائن وبغداد بعد أن نشأ في البصرة وتهذب بها . وكان ثقة في اخبار قريش وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والفتوح واحوال الخلفاء والشعراء ، خصوصاً اذا حدث عن الثقات. وله في ذلك التصانيف والرسائل [٢] واتصل باسحاق بن ابراهيم الموصلي فكانت أواصر الصداقة متينة بينهما حتى انه توفي في بيته سنة ٢٢٥ هـ والمتداول انه ولد سنة ١٣٥. وقد استشهد به الطبرى والبلاذرى كثيراً في الفتوح

﴿ أحمد بن يحيى البلاذُري ﴾

أما ﴿ البلاذري ﴾ البغدادي فكان شاعراً كثير الهجو أديباً نسابة له معرفة بالفتوح والبلدان والاخبار ، نقل عن الفارسية الى العربية كتاب (عهد أردشير) واشتهر بمؤلفاته الجياد [٣] منها (فتوح البلدان) الذي نقله الى الانكليزية الدكتور فيليب حتي أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الامريكية فنال به

(١) الفهرست ص ١١٠ وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٠٩
(٢) ارشاد الاريب لياقوت ج ٥ ص ٣٠٩ - ٣١١ والفهرست ص ١٠٠
(٣) الفهرست ص ١١٣ وارشاد الاريب ج ٢ ص ١٢٧ وكشف الظنون (اوربا) ج ٥ ص ٥٩

شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا في ولاية نيويورك ، وقدعلق عليه الحواشي والتفاسير المفيدة لكثير من اسماء الرجال والمواقع الجغرافية . وتردد البلاذري على المتوكل والمستعين لمنادمتهما وعينه المعتز بعدئذ مدرساً لابنه إلا أنه وُسوس فى آخر أيامه فشد بالبيمارستان . واعتنى الأستاذ دي خويه بطبع كتاب فتوح البلدان بالعربية طبعاً متقناً . وتقم أهمية هذا الكتاب فى أن مؤلفه جمع ما وصلت اليه يده من الاخبار شفاهاً وكتابة عن الفتوح ، وأرجعها إلى أصولها ومصادرها بعد أن أعمل الفكرة فيها وانتقد بعضها . فحفظ لنا بذلك هذه الروايات قبل أن تلعب بها الغايات والاغراض . وكان البلاذري حريصاً لايبالغ ولا يطنب بل جعل همه معرفة صحيح الاخبار من مزيفها

﴿ عبيد بن شَرِيَّة الجرهمي ﴾

ومن العلماء فى معرفة الاخبار والأنساب وملوك العرب والعجم ﴿ عبيد بن شَرِيَّة ﴾ فاستحضره معاوية بن أبي سفيان من صنعاء اليمن ليسمع منه ، ثم أمره بتدوين ماألقاه عليه من المحاضرات ، إذا جاز لنا استعمال مثل هذا الاصطلاح[١]

﴿ آخرون ﴾

كذلك الهيثم بن عدي ، وجناد ، وعوانه ، وصحار العبدي فقد كانوا من العارفين بأخبار العرب ومثالبها ومناقبها ومآثرها وأشعارها [٢] ولعوانة البيت المشهور :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

واذا أردت معرفة مارووه فعليك بمطالعة الاغاني والعقد الفريد ففيهما تجد ضالتك وتروي غليلك

مدينة السلام : انيفنى زكريا النصولى

(١) وفى حيدر آباد الآن كتاب (أخبار عبيد بن شرية) انظر الزهراء (١ : ٤٧٤)
(٢) راجع عن هؤلاء فى الفهرست ص ٩٠ ٩١ - ٩٢ .

المعارف فى المانيا

فى المانيا اليوم ٦٣ مليونا من السكان . وكان عدد القارئين والكاتبين منهم فى أواخر سنة ١٩٢٥ بالغا ٩٨ ونصفا في المائة . أي ان في كل الف شخص ـ نساء ورجالا ـ يتفق وجود خمسة عشر شخصاً فقط حرموا نعمة القراءة والكتابة

اذا بلغ الطفل الالمانى السادسة من عمره جيء به الى المدرسة الاولية . فاذا كان أهله من ذوي اليسار الموطنين النفس على ادخاله المدارس العليا فيما بعد فانه يلبث فى المدرسة الاولية أربع سنوات ثم يحصل منها على شهادة تخوله الدخول في المدرسة الثانوية . أما اذا كان أهله عازمين على الاكتفاء بتعليمه التعليم الابتدائى فانه يستمر في المدرسة الاولى ثمانى سنوات ثم يخرج منها منتهياً من الدراسة الابتدائية وهو في الرابعة عشرة من عمره . وله أن يدخل بعد ذلك احدى مدارس Beruf أو مدارس Vortbildung فيلبث فيها أربع سنوات ثم يخرج منها وهو في الثامنة عشرة من عمره فيدخل موظفاً في أحد المصارف المالية ، أو كاتباً في أحد المتاجر ، أو يتولى عملا مستقلا على قدر حاله

وفي احصاء سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ أن في المانيا من المدارس الاميرية الاولية ٥٢ الفاً و ٧٧٩ مدرسة يتولى التعليم فيها ١٤٧ الفا و ٥٢ مدرّساً و ٤٩ الف مدرّسة وفيها ٨ ملايين و ٨٩٨ الفا و ٣٢٠ تلميذاً وتلميذة

وهناك ٢٨٠ مدرسة عملية للمعلمين و ٨٦٠ مدرسة اولية غير أميرية ، فيها ٨٥ الفاً و ٨٠٠ تلميذ وتلميذة . ونوع آخر من أنواع المدارس الاولية للعميان والصم والبكم يبلغ عددها ١٧٩ مدرسة فيها ١٤ الفاً و ٥٠٠ تلميذ وتلميذة

وعندهم ثلاثة أنواع من المدارس الثانوية : يسمون النوع الاول (ريئال

جيمناز) والثاني (جيمناز) والثالث(أوبرريئال شوله) وهذه المدارس تختلف باختلاف المدارس العليا التى يرغب الطالب الدخول فيها فيما بعد . فاذا كان يريد الدخول في مدرسة الهندسة فانه عند انتهائه من المدرسة الاولية يختار الدخول فى مدرسة اوبر ريئال شوله لان هذا النوع من المدارس الثانوية يعتنى فيه بالعلوم الرياضية والطبيعية أكثر من غيرها ، ويتعلم فيها الطالب اللغتين الانكليزية والفرنسوية ، أما اللاتينية فلا محل لها هناك . واذا أراد الطالب أن يكون فيما بعد من المشتغلين بالعلوم الادبية والعقلية والالهيات فانه يختار عند اتمام الدراسة الاولية الدخول في مدرسة جيمناز التى لا تعنى كثيراً بالعلوم الرياضية والطبيعية ، وتكتفي من اللغات الاجنبية باللغة الفرنسوية ، وتهتم بنوع خاص باللاتينية واليونانية القديمة . ومدة التعليم في المدارس الثانوية تسع سنوات

ويدل الاحصاء على أن في المانيا ٥١٥ مدرسة جيمناز يتولى التدريس فيها عشرة آلاف وستمائة مدرس وفيها ١٥٢ ألفا و ١٣٧ طالباً وطالبة . وفي المانيا ٣٢١ مدرسة ريئال جيمناز يدرس فيها سبعة آلاف و ١٧ مدرس . وعدد طلبتها ١٤ الفاً و ٩٤٩ طالبا وطالبة . وعدد مدارس أوبر ريئال شوله ٥٠٧ مدارس فيها ٩ آلاف و٨٣٢ مدرساً و ١٨٤ الفا و ٨٢٧ طالباً وطالبة

ولا يزال نظام المدارس الاولية والثانوية ثابتاً في المانيا من سنة ١٩١٧ لم يؤثر عليه انقلاب نظام الحكم من امبراطوري الى جمهوري

ونحن نقتبس هذه المعلومات من فصل كتبه كال بك مفتش المعارف سابقا في ولاية أدرنة والاستاذ الآن في مدرسة المعلمين العليا في تركيا . فقد زار المانيا في الشهر الماضى مندوبا لدرس حالة المعارف هناك ، واجتمع بالاستاذ (جون ذوقي) من رجال المعارف الالمانية فقال له هذا المربي فى معرض

النصيحة لتركيا : « ان الالمان إذا أرادوا أن يحدثوا في أنظمتهم أي تغيير مهما كان صغيراً يفكرون كثيراً جداً فيما عزموا عليه ولا يحدثون في نظام معارفهم حدثًا الا بعد التروى والدرس الطويل »

والغاية التى يرمون اليها من التدريس الثانوى هي هذه : « تنشئة جيل طيب الاخلاق ، ذي دراية مدنية وشخصية وفنية ، وله نشاط ، ومحبٌ لقوميته مع التحلي بروح المسالمة للامم الاخرى » وهذا القيد الاخير – أي التحلي بروح المسالمة للامم الاخرى – مما استحدث أخيراً في العهد الجمهوري

والتعليم الديني اجباري في مدارس المانيا الا اذا لم يوافق عليه ولي أمر الطالب

ومسألة طاعة الطلبة للنظام العام – فى جميع المدارس الالمانية ماخلا العليا منها – يتولى تعيينها مجلس مؤلف من عمدة المدرسة وأساتذتها ومن ينوب عن ولاة أمور الطلبة . وما يقرره هذا المجلس تقوم المدرسة بتنفيذه

وقد أبطل نظام الامتحانات في المدارس الاولية والثانوية ولم يبق الا في المدارس العليا. وا كتفوا في ماعدا المدارس العليا بالمذكرات التى يدونها الاساتذة في أثناء الدراسة ، وبنتائج التفتيش التحريري الذي يعمل مرة في كل اسبوعين. فاذا كان آخر السنة يؤخذ معدل تلك النتائج ويبنى عليه ترتيب الطلبة فى صفوفهم

وفى ألمانيا الآن ٢٣ مدرسة جامعة عدد أساتذتها ٤٥٦٤ استاذاً وفيها ٨٥ ألفاً و٧٨٧ طالبا و ٨ آلاف و١٤٤ طالبة . وهنالك غير هؤلاء مقدار ١٣ ألفاً ١٥٦ طالبا و ٣ آلاف ٣٨٠ طالبة من المستمعين لمحاضرات المدارس الجامعة

وفضلا عن ذلك ففى ألمانيا ٦ مدارس للتجارة و ١١ مدرسة للصناعة و ١١ مدرسة للموسيقى و ٩٦ مدرسة للفنون الجميلة و ٤ مدارس زراعية و ٣ مدارس للغابات و ٣ للمعادن

محراب أثري في بغداد

كُتب من بغداد الى المستشرق الاستاذ (هرزفلد) أن المحراب الأثري العربي الذي يرجع عهده الى تاريخ تأسيس مدينة المنصور ـ عاصمة العباسيين ـ فُقد من موضعه. فاهتم المستشرقون لذلك ، وكتب أحدهم الى صديقه علاّمتنا الأمير شكيب أرسلان يلفت نظره الى هـذه الـكارثة . وما كاد الأمير يرفع صوته متسائلاً عن ذلك في افتتاحيـة نشرتها رصيفتنا (الشورى) الغراء حتى اهتم العراقيون للأمر . ومن مظاهر اهتمامهم ماقرأناه في جريدة (العالم العربي) البغدادية من أن صاحبها الفاضل زار معالي وزير الأوقاف العراقية وسأله عن حقيقة ماقيل عن المحراب فعلم منه أن جامع الخاصكي تداعى للسقوط واحتاج الامر الى بنائه من جديد ، فجيءَ بهذا المحراب الذي كان فيه الى بناية وزارة الأوقاف محفوظاً في صندوق كبير ، وفي النية نقله الى البناية الجديدة التي يُعدّونها الآن للمتحف العراقي .

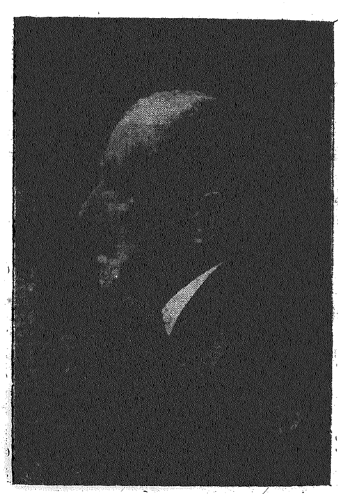
وهذا المحراب ـ كما قال الامير في مقاله عنه ـ قطعة عظيمة من الرخام يبلغ طولها متراً وستين سنتيمتراً وعرضها أكثر من متر . وهو أثر من أبدع آثار الفن الاسلامي وأقدمها وأعظمها قيمة ، ويغلب على الظن أنه كان محراب الجامع الكبير الذي بناه الخليفة المنصور . وقد جاء وصفه في مؤلفات علميـة عديدة منها المذكرة التي قدمها كثيرون من العلماء الى اكاديمية الفنون ، ودوّنها الاستاذ (فيولة) في الباب الحادي عشر من كتابه المطبوع في مارس سنة ١٩٠٩ ومنها ما كتبه الاستاذ هرزفلد في جريدة « الاسلام » الالمانية سنة ١٩١٠ وما ذكره في كتابه عن « آثار الفرات »

تحليل شاعرية شوقي

ملخصة من مقال للدكتور محمد حسين هيكل
في مقدمة الطبعة الجديدة من الشوقيات

« بيئة شوقي »

ولد أحمد شوقي بك « بباب اسماعيل » وشب في جواره ونشأ في حماه . فكان طبيعياً أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية ، وأن تكون أكثر تأثراً بها لقربها من المسرح الذي تشتبك فيه أصول هذه العوامل وأسبابها ، وتضطرب فيه اضطرابا يخفيه ماتقضي به حياة القصور ، ثم تصدر الى الحياة بعد أن تكون قد نظمت وهذبت . وشوقي ولد شاعراً ، والشاعر يتأثر اضعاف مايتأثر سائر الناس . لذلك كان لكل هذه العوامل أثر بادٍ في شعره وفي حياته



الازدواج في شعره

ومع أن شوقي درس في مصر ثم أتمَّ دراسته في أوربا، وتأثر بالوسط الاوربي وبالحياة الاوربية وبالشعر الاوربي تأثراً كبيراً، فقد ظلَّ تأثره بالبيئة التي وصفناها ظاهراً في حياته وفي شعره، كما ظل تأثره بالبيئة الاوربية ظاهراً فيهما كذلك. وانك لتكاد تشعر حين مراجعتك اجزاء ديوانه كأنك أمام رجلين مختلفين جد الاختلاف لاصلة بين أحدهما والآخر، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر الى عليا سماواته، وان كليهما مصريٌّ يبلغ حبَّه مصر حدَّ التقديس والعبادة. أما فيما سوى هذا فاحد الرجلين غير الرجل الآخر: أحدهما مؤمن عامر النفس بالايمان، مسلم يقدس أخوَّة المسلمين ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيض عليه شئونُه وحوادثه وحيَ الشعر وإلهامه. حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها. محافظ في اللغة: يرى العربية تتسع لكل صورة، ولكل معنى، ولكل فكرة، ولكل خيال * والآخر رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها. متسامح تسعُ نفسه الانسانية وتسع معها الوجودَ كله. ساخر من الناس وأمانيهم. مجدِّد في اللغة لفظاً ومعنى * وهذا الازدواج ظاهر في شعر شوقي من أول شبابه الى هذا الوقت الحاضر. وان كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم، وكانت آثار الرجل الآخر لاتظهر اليوم في شعر شوقي إلا قليلا

ولا تقل إن الازدواجَ النفسي شأنُ الشعراء، وان أبا نُواس الذي يقول:

دع عنكَ لومي فان اللوم اغراءُ   وداوني بالتي كانت هي الداءُ

هو أبو نواس الذي كان يقول:

اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفتْ   له عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

فليس هذا من أبي نواس ازدواجاً في الروح. وما الحكمة الزاهدة عنده الا

فتور نفس أجهدتها اللذة فأضعفتها فأخافها الضعف فألجأها الى حمى الحكمة والزهد والى استغفار الله والتوبة إليه . لذلك لاتلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود الى نعيم الترف والاباحة . وذلك هو السرّ في أنك لاترى الزهد في شعر أبى نواس إلا عرضاً واستثناء . وذلك شأن الشعراء جميعا الا قليلا منهم . وشوقي من هذا القليل . ففي شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مستقلة كأنما صاحبها غير الآخر . فأنت تقرأ :

حَفَّ كأسَها الحَبَبُ   فهى فضةٌ ذهبُ

أو تقرأ :

رمضانُ ولَّى هاتها ياساقي   مشتاقة تسعى إلى مشتاقِ

فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها . شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب (نهج البردة) التي مطلعها :

ريمٌ على القاع بين البان والعَلَمِ   أحلَّ سفكَ دمي في الاشهُرِ الحرمِ

وصاحب (الهمزية النبوية) الذي يقول :

وُلِدَ الهُدَى ، فالكائناتُ ضياء   وفمُ الزمان تَبسُّمٌ وثناء

وهذان الروحان ، أو هاتان الصورتان من صور الحياة ، تتجاوران في نفس شوقي وتصدران عنها وهي في كل قوتها وسلطانها . وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الاوليين تمتلىء اعجابا بالحياة ومتاعها ولذتها ، وحين تقرأ الثانيتين تكون أشد اعجاباً بكلمة الايمان وروح الحقّ ورسالته . وأنت لاتشعر ــ في أي الحالين ــ بضعف نفساني عند الشاعر رفع به الى لبوس روح غير روحه . بل أنت فيهما جميعاً يبهرك شوقي بقوّة شاعريته الممتلئة حياة وخيالا ، والتي تفيض بمتاع العيش فيضها بنور الايمان

كيف كان هذا الازدواج ؟

كيف جمع شوقي ــ في نفسه ــ بين هذين الشاعرين : شاعر الحياة الغربية بحضارتها الاسلامية ، وبما فيها من قِدَم وإيمان ، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العلم وما يكشف عنه كلّ يوم من جديد ؟

مسألة تبدو للنظرة الاولى دقيقة معقدة . فقد تزدوج في نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج ، فيكون الرجل الواحد فيلسوفاً وشاعراً كما كان المعري أو كما كان ڤولتير . فأما أن يكون الرجل شاعراً وحدة حياته الشعر ، ثم تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقي ، فذلك عجبٌ في شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من المنبع ، وكما ينهمل المطر من الغمام

على أن لهذ الازدواج سبباً لم يكن مفر من أن يؤدّي اليه . ذلك أن شوقي كان في طبع شبابه رسول الحياة ، كان شاعر :

حفت كأسها الحببُ فهي فضةٌ ذهبُ

لكن هذا الشاب لم يكن في ملك نفسه ، فقد بعث به المغفور له الخديو توفيق باشا ليتمّ علومه في أوربا ، وكان من قبل ذلك شاعراً متفوقاً ، وكان في تفوقه ككل شاعر شاب يرسل القول كما تلهمه اياه نفسه . فلما عاد الى مصر اتصل بالامير الشاب عباس حلمي باشا وصار كلمته . ورأى يومئذ صنواً له على العرش جعلته روحه الشابة مقداماً لا يهاب . ومع ما فوجيء به أوّل ولايته في حادث عرض الجيش في السودان ــ مما اضطره للاعتذار ــ قد بقي شبابه يدفعه الى ما كان يندفع اليه جدُّه إسماعيل من مغامرة . لكن قيام الاحتلال الانكليزي في مصر جعل الخصومة بينه وبينهم ، وليست بينه وبين الاتراك . بل لقد كان منظوراً اليه أكثر الأحيان بشيء غير قليل من العطف في بلاط آل عثمان . لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا ــ بعد انتصار

الاتراك [1] - يرون في الخليفة المؤمل الاخير لأمم الاسلام جميعاً

اتصل الشاعر الشاب بالامير الشاب فحتم عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينة في نفوس المسلمين جميعاً لافي نفوس المصريين وحدهم . و بذلك اجتمع في نفسه من أول حياته ميله للحياة وحبه إياها وحرصه على المتاع بها ، مع إيمان المسلمين جميعاً وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم بازاء الامم الغربية التى كانت تنظر اليهم بعين صليبية بحتة . وكانت هذه الناحية التى تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به اكثر استيحاء لشعره من الناحية الاولى التى هي من طبيعة نفسه ، فكان بذلك كالرجل القوي الذي يرى وطنه في خطر : يصبح جندياً ، وجندياً باسلا ، ويتفوّق في كل مواقف الحرب ، ويصبح القائد الاعظم . ولو أن وطنه لم يكن في خطر لرأيته صديق النعمة السعيد بها غاية السعادة

شوقي بين القوميتين : العربية والتركية

الى جانب مقام العاطفة الوطنية قويةً متسلطةً على نفس شوقي تقوم عاطفةٌ أخرى لاتقلّ عنها قوة ، وربما كانت أشدَّ أخذاً بهذه النفس وإثارة لشاعريتها : تلك هي العاطفة الاسلامية . فشوقى شاعر الاسلام والمسلمين كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق . وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الاخيرة الى جهتين ، ثم الى قومين : فهي تتجه صوبَ مكة مسقط رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومقام إبراهيم كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم ، ومكة في بلاد العرب ، والنبي عربي ، والقرآن عربي . وهي تتجه - أو كانت تتجه - صوب الاستانة ، مقر الخلافة الاسلامية ومقام الخليفة من آل عثمان ، والإستانة عاصمة الترك ، وخليفةُ المسلمين كان تركيًا ، فكل مسلم تعنيه وحدةُ المسلمين كان يتجه ببصره - إلى حين ألغيت

(١) أي في الحرب اليونانية أيام عبد الحميد الثاني ، وهو الانتصار الذي وصفه شوقي بقصيدة (صدى الحرب)

الخلافة - نحو مكة ونحو الاستانة : يستمدُّ من الاولى المدد الروحي ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع

الى جانب مايرجوه المسلم - من أهل بلاد الشرق العربي - في مكة من مدد روحي تحرك نفسه الى هذه الانحاء عاطفة أخرى هي العاطفة العربية ، هي عاطفة هذه اللغة التي تربط اليوم أكثر من سبعين مليونا ا كثرهم مسلمون ، وكلهم خاضع لما يخضع له غيرهم من بطش القوة وسلطان التحكم . واللغة في حياة الامم ليس شأنها هيناً . فأمة لا لغة لها لاحياة لها . ورقيّ اللغة في أمة آية صادقة من آيات رقيها . وما دام العرب مصدر اللغة ، وعلى رجل منهم هبط الوحي ، وبينهم قام صاحب الشريعة ، فلهم عند المسلمين كافة - وعند الذين يتكلمون العربية خاصة - حرمةٌ تدفعهم الى التغني بآثارهم ، والاشادة بقديم مجدهم ، وتمنى خير الاماني لهم

لذلك كان العرب ، ومكة ، والوحي ، والقرآن ، والاسلام ، والرسول ، كلها معانٍ لها من الاثر في نفس شوقي ماليس لسواها من آثار الماضي . ولذلك لم يكن شوقي يشيد بذكر المسلمين وبخلافتهم لغاية سياسية صرفة ، بل انه ليؤمن بهذه المعاني إيمانا يتجلّى في الكثير من قصائده على صورة تتركنا في حيرة كيف يبلغ الايمان من نفس هذا المحبّ للحياة كلَّ هذا المبلغ ، فلا نجد لحيرتنا جلاء الا من الحديث « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

وبحسبك أن تقرأ (الهمزية النبوية) و (نهج البردة) و (وذكرى المولد) التي مطلعها :

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعلَّ على الجمال له عتابا

لترى في غير ابهام أنه إنما أملت هذه القصائد قوة غلبت طبع الشاعر ، هى

قوة الايمان. لكنك قد يدهشك ـ مع تجلي الايمان في هذه القصائد وغيرها ـ أن يكون شوقى أكثر تحدثاً عن الترك وعن الخليفة منه عن العرب وعن الرسول . فهذا الجزء الاول من ديوانه يشتمل ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة ، ويشتمل ثماني عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك . وأنت تلمس في هذه القصائد الثمانى عشرة جميعاً حساً أرق من العاطفة ، وفيضاً أغزر من الشعر ، وقوة تكاد تعتقد معها أن شوقي ـ اذ يتحدث عن الترك ـ إنما يملي ما يكنه فؤاده ، وإنما يندفع بقوة كمينة ، هى قوة دم الجنس . أو أن اتصاله بالبيت المالك في مصر كان قوي الاثر في نفسه الى حد جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد علي . وليس عليك إلا أن تقرأ أياً من قصائده التركية لتقتنع بما تقول . ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت في الاتراك عوامل كثيرة كان لشوقى اتصال بها ، فكان لذلك تهزه اكثر مما تهز سواه

شوقى شاعر الحكمة العامة ، وشاعر اللغة العربية السليمة

على أن شوقي ـ وان كان شاعر مصر وشاعر العرب وشاعر المسلمين وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والايمان ونعيمه ـ له ذاتيته التى لاتخفى . فهو شاعر الحكمة العامة ، وهو شاعر اللغة العربية السليمة . وانك لتعجب أكثر الاحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لاتجد فى القصيدة غير أبيات معدودة تدخل فى موضوع العنوان بينا سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ماشاء لشوقى هواه . وما احسب شاعراً بالغ في ذلك ما بالغ شوقى ، فشيطان شوقي أشد حرصاً على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص. أما القصائد التى يملك موضوعها أبياتها جميعاً فهى القصائد التى ملك موضوعها شوقي فأنساه نفسه بما كان له في هذا الموضوع من لذة ومتاع وما أفاض على شاعريته من وحي وإلهام.

وحكمة شوقى وما يصدر عنه من وصف وغزل ، وما يميز شعره جميعاً ، يبدو

كأنه شرقي عربي لا يتأثر بالحياة الغربية الا بمقدار . وهذا طبيعي ما دام شوقي شاعر العرب والمسلمين ، وما دام يجد في الحضارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدنية الغربية الا بالمقدار الذي تحتاج اليه أمم الشرق في حياتها الحاضرة لسيرها في سبيل المنافسة العامة . ولقد ترى شوقي يغلو في شرقيته وعربيته أحيانا ، ولقد تراه يتعمد ذلك في لفظه ومعناه . وسبب ذلك هو مايراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة بنفوس كثيرة تصبو الى نسيان ما خلف السلف من تراث ، والاخذ بكل ما يلمع به الحاضر من وراء الغرب

وقد يكون غلو شوقي أكثر وضوحا في جانب اللغة منه في جانب المعاني : فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما في الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية ، أما لغته فتعتمد الى بعث القديم من الالفاظ التي نسيها الناس وصاروا لايحبونها ، لانهم لايعرفونها . ولعل سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد ، بل اقد يكون البعث آكد وسائل التجديد نتيجة اذا وجد من أرباب اللغة من يفيضون على الالفاظ القديمة روحاً تكفل حياتها . والبعث له الى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دارسة ومدنية وليدة يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه

ومن ذا نرى من أرباب اللغة قديراً قدرة شوقي على ان يبعث في الالفاظ القديمة روحا تكفل حياتها في الحاضر وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما لم تكن تتسع له من قبل من المعاني والاخيلة والصور . ان اليونانية ماتزال موضع دراسة العلماء واللغويين لان هومير كتب بها الياذته . واللاتينية ماتزال حياتها كمينة وان تدثرت بحجب الماضي أن كتب بها فرجيل شعره . واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليونا من أهل هذا الشرق العربي ، وهي حية ، وستبقى أبداً حية . لكن كمال حياتها يحتاج الى أن يبعث الله لها أمثال شوقي ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالا

حركة النشر والتأليف

«أناتول فرانس في مباذله»

المطبعة المصرية ، المكتبة السلفية * ٣١٣ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ٢٠ قرشاً

أناتول فرانس هو – كما قال عنه أديب العرب الاكبر الامير شكيب أرسلان [1] – «صدر كتّاب الفرنسيس الذي انعقد على تفضيله الاجماع ، وعلت رآسته عن النزاع . لاسيما في الاسلوب السهل الممتنع الذي جمع فيه نقاء اللغة وتعديل الاقسام وطلاوة النسج وتوزيع القسط بين المعاني والمباني . وكان أشدّ المحافظين على الاسلوب الاصولي التدريسي ، حتى أقرّ له الفرنسيس بأنه الذي حفظ اللغة الفرنسية ، وحرس بستانها . وأنه لولاه لتنكرت معالمها وتكدّرت مناهلها . ومع شدة محافظته على القديم من جهة اللغة كان مفرطاً في مخالفة القديم من جهة الفكر . وكان رجلاً متشككاً في أمر الكائنات معذّباً بما يخالج ضميره من حسّ الخلاء وما يهفو به من قلة الايمان بالغيب ، وانه أميل الى مذهب الابيقوريين الذين لايرون الا اللذة سواء البدنية أو العقلية . وكان سيء الرأي في المدنية الاوربية الحاضرة ، عظيم السخط على غشم الاستعمار واستثمار القوي للضعيف وابتلاع الكبير للصغير وتكالب أوروبة على المال دون غيره ، وما أشبه ذلك مما كان الباعث الاهم له على دخوله في الاشتراكية ومسايرته للشيوعية . وكان مولعاً بالمناقضة ، نزّاعاً الى القول بما لايقول به الجمهور ولو لم يكن في نفسه جازماً بما يدافع عنه . وانه كسائر الادباء تغلب عليه النكتة وتستهويه النادرة فكثير من كلماته هو من هذه الطائفة»

---

(١) في ص ٨٧ من هذا الكتاب النفيس الذي سنأتي على وصفه

ولاناتول فرانس كاتب سر اسمه (جان جاك بروسون) كان يلزم مجالسه ويلتقط من استاذه أحاديث وكلمات « كان يرميها على عواهنها لا لتنشر وتؤثر بل ليسرّي بها عن نفسه » . وروى (بروسون) في شبه مقدمة وضعها لهذه الملتقطات التي سماها « أناتول فرانس في مباذله » أن استاذه انتبه مرة الى مايهتم به من جمع هـذه الكلمات فقال له « أي لذة تجدها في التقاط أحاديث ملقاة على رُسَيلاتها ، سائلة على طول لحيتي البيضاء ؟ ولا جرم ان هنالك زيفاً كثيراً . على أنه ان كان هذا يلذّك .. ! ثم من يقدر أن يمنعك ؟ وغاية ما أتقدم به اليك يا ولدي هو أن لا تنشر شيئا من كل هذا مادمت أنا حياً . لا سيا أنه ليس عليك أن تنتظر طويلا . فانك ان فعلت أوقعتها بيني وبين كثير من الناس . فمتى صرتُ مضطجعا تحت البلاطة فاجعلني أقول كل ما تشاء »

وما كاد اناتول فرانس يغمض عينيه حتى دفع بروسون هـذا الكتاب للنشر « فكشف به عورات استاذه ، وأطلع الخلق على عُجَره وبجره »

وقد نقل هذا الكتاب الى العربية سيد كتابها في هـذا العصر الامير شكيب ارسلان ، وضم اليـه كتـاب نيقولا سيغور في وصف اناتول فرانس وما عرفـه من حقيقـة أمره وما سمعـه من آرائـه في الحياة والخلق والعلم والسعادة والشقاء . وسماه « محادثات مع أناتول فرانس » أو « هواجس العقل inquiétudes de l'intelligence »

وقد طوى الامير ـ أحسن الله اليه ـ فصولا من كتاب بروسـون على الخصوص وكذلك من كتاب سيغور لان بعضها لغويّ لاحاجة للقارىء العربى به ، وبعضها مما لم يجد فيه طائلا ، وبعضها لما فيه من عبارات تأباها الفضيلة والعفة أو قصص لاتروى ولا بالمعاريض وقد يعجز التلميح والتلويح عن ستر مافيها من هجنة . وقدم الامير بين يدي الكتابين زبدة ما كتبه الـكاتبون

وخطب به الخطباء عن أناتول فرانس يوم وفاته . وصدّر ذلك كله بمقدمة جليلة عن علاقة الشرقيين بالغربيين وخلطة الغربيين بالشرقيين ، وعن مكانة الادب الفرنسوي في الغرب والشرق ، واستطرد الى عقوق طائفة من ناشئة المصريين والسوريين لادب لغتهم ، مذكرا بما يجب عليهم لها ولكرامتهم بها . وفيه كلام نفيس سننقله في جزء آخر من الزهراء.

وقد ذكر الامير (المقاصد) التي توخاها من نشر هذا المجموع فقال :

« الاول » لما كان قد استفاض البحث في القديم والجديد ، ورأينا أعناق بعض المحدَثين - عمداً أو غفلةً - تشرئب الى إحداث بِدَع سيئة في اللغة العربية ، وتطمع أن تعمل بها عملاً يأتي عليها من القواعد ، وذلك بحجة وجوب التغيير والتبديل ، وبأن الارتقاء يقتضي التجدّد وبأن التجدّد لا يجب أن ينحصر فى الافكار بل يجب أن يتعدَّى الى القوالب ، وكان مذهبنا أخذُ الاحسن من كل شيء وأن مَثل الفصاحة الاعلى لهذه اللغة هو دور السلف من الجاهلية الى صدر الاسلام الى الدولة الاموية الى أوائل الدولة العباسية، ولم يكن أحد ليطمع في طرز أبدع من طرز القوم في هذه الادوار ولا فى لغة أنقى من لغتهم ولا فى ديباجة أنفس من ديباجتهم ، وكان ما بعد ذلك كله تدنّياً، وكان العدول عن الفصيح الى الركيك وعن الاصيل الى الدخيل - لمجرّد حب التجديد - هبوطاً وتردّياً ، وجب ان ننسج في بياننا على منوال السلف كما نسج اناتول فرانس - وهو عصري الافكار - على منوال الاعصر السالفة وعدّ له الفرنسيس ذلك اعظم فضيلة

« الثاني » انه يتحتم على الناشئة العربية السير مع العصر الحالي في كل ما يتمحص من الحقائق الكونية وتتقرر فائدته من المناحي الاجتماعية ، على شريطة أن لا يخلّ ذلك بوحدة اللغة وصفائها ونصابها الذي حفظه لها القرآن

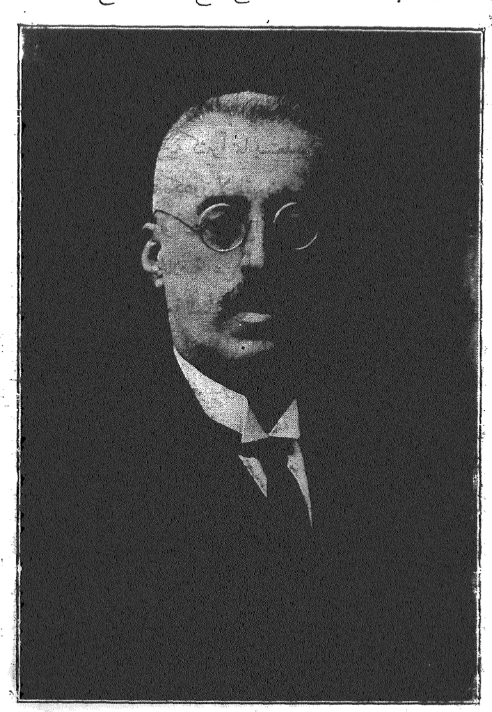
الكريم وأن لا يمس ذلك روح العروبة ، التي ينبغي ان تكون هي الغاية القصوى ويكون ابتداع الطريف خادماً لها لا عابثاً بها . وقد رأينا أن أناتول فرانس وغيره قد عرفوا أن يجمعوا الطريف الى الشريف ، ويودعوا الحديث في القديم

« الثالث ، رأينا الذين لهم في الشرق نصيب من الادب الاوربي هم الذين يحسنون اللغات الاوربية - ولا سيما الفرنسية - ويطالعون مؤلفاتها القديمة والحديثة وينقلون الى العربية كثيراً مما يستعذبونه منها ، مع أن الذين لم يساعدهم الوقت على درس هذه اللغة يكادون لا يفقهون منها حديثاً ولا يذوقون شيئاً مما ينقله لهم أولئك المترجمون ، لخلو أذهانهم من المعارف الضرورية لفهم تلك النكات . فقصدت بنشر هذه الخلاصة عن أكبر أديب افرنسي أو أوربي في هذا العصر أن أقوم ببعض الخدمة للمتأدبين الشرقيين الذين لم يحسنوا اللغة الفرنسية أو لم يتضلعوا في آدابها مع اختلاطها بالآداب الشرقية وكثرة العلاقات العلمية والاجتماعية بين الشرقيين والغربيين »

ومن أفضل ما زينت به هذه المجموعة الانيقة حواشيها التى استغنى بها الكتاب عن غيره من كتب التاريخ والأدب والفلسفة ، وأكثرها تراجم لأعيان الادب الفرنسوي والتاريخ الأوربي الذين ورد ذكرهم في متن الكتاب فأتى الامير - حفظه الله - على تراجمهم ، وعني ناشر الكتاب وصيفنا الغيور على هذه الصناعة الاستاذ الياس افندي أنطون الياس بنشر صورهم أيضاً الى جانب تراجمهم بحجم يناسب تلك الحواشي . وحبذا لو كان أفرد لهذه التراجم فهرساً هجائياً في آخر الكتاب لانها تعدل كتاباً قيما من حقه أن يكون له فهرس

هذا وليس بين قراء العربية من لا ينظر بعين الاجلال للعلامة المجاهد الامير شكيب أرسلان ، مع أن العالمين منهم بمجموع حسناته نفر قليل . ولا

غرو فحسنات الامير أوسع نطاقاً من أن يلمّ الجمهور بأكثرها فضلا عن مجموعها. ولست أعرف فيمن عرفتهم من رجال العمل وأعلام الاصلاح من يدانيه في علوّ الهمة وخصب المدارك وكثرة الانتاج ، مع التجويد البالغ غاية الغايات ◆



الكاتب الاكبر الامير شكيب أرسلان

وأظن أن رسائله ذات الخط الأنيق التي يكتب بها الى أصدقائه في المشرقين والمغربين تكفي للدلالة على نشاط الرجل العامل ، فما بالك بهذه المؤلفات الممتعة ، وهذه الفصول التي سارت بها الصحف والمجلات حافلة بالعلم والتحقيق وحسن الاحتجاج للتاريخ الاسلامي والبيان العربي ولحق هذا الشرق في الحياة . فضلا عن التقارير والمذكرات والاحاديث والمفاوضات التي يقوم بها في أوربا دفاعاً عن البيضة وذباً عن الحقيقة . الى غير ذلك من صنوف الجهاد والتي نرجو الله أن يكافىء الامير عليها بتحقيق نتائجها وامتاعه بها في الدنيا واثابته عليها يوم الدين

﴿ القول الفصل فيما لبني هاشم وقريش والعرب من الفضل ﴾

السيد علوي بن طاهر الحداد * الجزء الثاني : ٥٠٧ ص * طبع في جاوه

نوّهنا بصدور الجزء الاول من هذا الكتاب في الزهراء (١ : ٥٣٩) . وقد صدر منه الآن الجزء الثاني . وعنوان الكتاب يدل على موضوعه الاجمالي المنتزع من أحاديث الاصطفاء ، ومؤدّاها ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من بني هاشم ، فهو المختار من خيرة الخلق . واحاديث الاصطفاء صحيحة يعرفها عامة المسلمين من جميع الفرق فضلا عن خاصتهم . غير أن نصوص الشريعة تقيدها بالتقوى والتزام هداية الشرع ، فاذا انحرف الرجل من آل البيت النبوي الكريم عن هداية أفضل الخلق صلى الله عليه وآله وسلم كانت الحجة ألزم له ، وأما اذا اجتمعت الحُسنَيان في الرجل فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

وكتاب (القول الفصل) قد أفاض فيه مؤلفه القول على موضوع الاصطفاء ، وناقش المخالفين له بحماسة ، داحضاً أقوالهم في التسوية . وإن دعوى التسوية

هذه من محدثات بعض الاعاجم في التاريخ الاسلامي ، كما أن الافراط في القول المناقض لها بلا قيد ولا شرط هو من محدثات بعض آخر من الاعاجم أيضاً ، فكان منهم الدعاة الى الطرفين المتناقضين . والحق ان مؤلف (القول الفصل) عُني بكتابه عناية فائقة فجاء حافلا بالفوائد الجليلة .وكنا نودُّ لو تنزَّه عن بعض أمور وقعت فيه كقول المؤلف (٢ : ١١٦) ان امثال ابن حزم « لا يشنعون على غالية اليزيدية الذين يعتقدون أن يزيد بن معاوية كان نبيا » مع أن من يعتقد بنبوّة أحد بعد محمد صلى الله عليه وسلم كافرٌ عند ابن حزم ومن هو أقلّ من ابن حزم علماً من عامة أهل القبلة على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، والذي لايرى كفرَ القائلين بنبوّة يزيد أو غير يزيد ممن هو أكبر منه أو أصغر منه لاحقٌ بهم مهما كان مقامه. وحبذا الاعتدال والتماس أسباب التقارب فيما بين أهل المذاهب الاسلامية ، ولا سيما في هذا الزمان الذي هبَّ عليهم فيه تيّار ان لم يوجّهوا اليه جميع قواهم متماسكين متعاضدين جرفهم جميعاً وجعل لهم من أبنائهم أعداء للاصول المقررة عندهم فضلاً عن الفروع

وبعد فان الاستاذ العلامة مؤلف هذا الكتاب كان يظنُّ أنه يكون في جزئين ثم تبين له عند تبييض هذا الجزء الثاني الذي صدر الآن أن البحث لا يمكن استيفاؤه الا بجزء ثالث . فعسى ان يوفقه الله الى نشره اتماما لفوائده الجمة

﴿ الاحلام ﴾

مطبعة أنجليل في بيروت * ص ٤٩ بقطع الزهراء ، ثمنه ١٠ قروش

عنوان لمجموعة شعر خيالي من نظم شفيق افندى معلوف ، نحا فى معانيه نحو الذوق الافرنجي ، وأخذ في لغته بأسلوب ادبائنا المهاجرين الى أمريكا . وسمى مجموعته « الاحلام » لأنها مؤلفة من أقسام ثلاثة : عنوان أولها « الحلم الاول ــ على أقدام الزنجية » ونظنه عنى بها التعلق بالاماني المحجوبة

بظلام الغيب . وعنوان القسم المتوسط « الحلم الثاني ـ قبر الشاعر » وصف فيه كيف تصير الاماني الى الاضمحلال . وعنوان القسم الأخير « الحلم الثالث ـ الظل الهادىء » وهو يتضمن وصف إشراق شمس الحقيقة في هذه الحياة ، وتضاؤل ظل الاماني من خلفها ، الى أن تتجرد من ثوبها الخيالي الاول الذي كان يملأ سعة الليل

اذن فالخيال الذي أراد شفيق افندى معلوف أن يصوغه بمنظومات « الاحلام » خيال جميل ، وكان يزداد جمالا لو صيغ بذوق الامة التي كتب لها وأفرغ فى أساليب بيانها ، وحبذا لو تجرد من تلك الصور التي جاءت فيه ونراها بعيدة عن جمال الفن كبعدها عن جلال الحشمة

﴿ جامع العلوم والحكم ـ لابن رجب ﴾

مطبعة النهضة * الرسالتان الثالثة والرابعة : ١٠٨ ص بقطع الجاير ، ثمنهما ٤ قروش ونصف

تقدم لنا (في م ٢ ص ١٣٦) التنويه بانتشار الرسالتين الاولين من كتاب جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الذى شرح فيه خمسين حديثا من جوامع الحكم النبوية . وقد صدرت بعدهما الرسالتان الثالثة والرابعة ، وفي الرسائل الاربع شرح ثمانية أحاديث ببسط وحسن بيان يغنى المطالع عن الرجوع الى الكتب المطولة ، كدأب الحافظ ابن رجب اذا توسع فى الكلام على متون السنة

وقد تولى نشر هذا الكتاب وتحقيقه والتعليق عليه صديقنا العالم المحقق صاحب الفضيلة الشيخ أحمد شاكر من قضاة المحاكم الشرعية ، فنقح هذه الطبعة من غلطات كانت في الطبعة الهندية ، فضلا عن جمال الطبع وجودة الورق وحسن الوضع . فنشكر له هذه العناية ونرجو أن ينشر على يده كثير من الكتب المفيدة

﴿ نيل الاوطار ، شرح منتقى الاخبار . للشوكانى ﴾

ادارة الطباعة المنيرية * ١٠ أجزاء فى ٤٠٠٠ ص * قيمة الاشتراك فيه ١٢٠ قرشا

كتاب (منتقى الاخبار من أحاديث سيد الاخيار) من مصنفات العلامة المجتهد شيخ الحنابلة أبي البركات مجد الدين عبدالسلام بن تيمية (٥٩٠ـ ٦٥٢هـ) ـ جد شيخ الاسلام أحمد بن تيمية المصلح الشهير ـ قال في مقدمته «انه يشتمل على جملة من الاحاديث النبوية التى ترجع أصول الاحكام اليها ، ويعتمد علماء أهل الاسلام عليها . انتقيتها من صحيحي البخاري ومسلم ومسند الامام أحمد بن حنبل وجامع أبي عيسى الترمذي وكتاب السنن لابي عبد الرحمن النسائي وكتاب السنن لابى داود السجستاني وكتاب السنن لابن ماجه القزوينى»

وكان الشيخ سراج الدين عمر بن على الملقن الشافعى (المتوفى سنة ٨٠٤) قد بدأ بشرح هذا الكتاب ، لكنه لم يكمله بل كتب قطعة منه . فتولى كتابة الشرح عليه مجتهد اليمن محمد بن على الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٥) وقام بذلك أيام شبابه فوفى هذا الكتاب حقه من الخدمة وسمى شرحه عليه (نيل الاوطار) وهو في نحو أربعة آلاف صفحة من قطع مجلة الزهراء . وكان قد طبع مرة فيما مضى ، وأقبل عليه فحول العلماء في جميع أنحاء العالم الاسلامي يقتطفون من ثمراته ويستفيدون من مباحثه وتحقيقاته ؛ حتى نفدت نسخه وعز على طالبيه . وفيما كان الناس يائسين من اعادة طبعه انتدب لذلك جماعة من السلفيين في مقدمتهم حضرة الاستاذ الهمام الفاضل الشيخ محمد منير الدمشقي . فتعاونوا على طبعه للمرة الثانية . وأمامنا الآن منها الجزء الاول في ٤٥٥ صفحة الى باب قضاء الفوائت ؛ والثانى في ٤٠٩ صفحات الى أبواب السترة أمام المصلى وحكم المرور دونها . وعلمنا أن الجزء الثالث أيضا تم طبعه وابتديء بالرابع وسنذكر الاجزاء الاخرى عند صدورها

﴿ الحكر وتقديره ﴾

مطبعة مصر – المكتبة السلفية : ٤٧ ص بقطع الزهراء : ثمنه ٦ قروش

التحكير أن يؤجر القائم بأمر الوقف لمدة غير محدودة أرضاً موقوفة تعذر عليه استغلالها أو إيجارها لمدة محدودة أو مزارعتها أو استبدالها بعين أخرى أكثر غلةً . وأجرة التحكير تخوّل المحتكر اقامة البناء على الارض ، وان يبقي فيها ما دام يدفع عنها أجرة احتكار أرض تماثل ما كانت هذه عليه زمن الاحتكار، مهما أصاب الارض المحتكرة من التحسين بفعل المحتكر

وقد جرى النـاس في مصر وأكثر البلاد الاسلاميـة على التعامل بهذا الضرب من الاجارة . وقد يقوم بعد أمد طويل خلاف بين المستحكر وأصحاب الحق في الارض على تقدير الحكر، فاذا لجأوا الى المحاكم حارت في تعيين القاعدة التي تتبع في التقدير. وما برحت المحاكم المصرية تعتمد على الخبراء في بيان نصيبه الارض والتحسينات الطارئة عليها من ريع مجموعهما . والذي يراقب تقارير هؤلاء الخبراء وأحكام المحاكم المبنية عليها تبدو له من ذلك عجائب وغرائب

ولما كان العالم المحقق صاحب المعالى محمد شفيق باشا [1] قد قضى ست سنوات في ممارسة هذه المشكلة عند ما كان وكيلا لوزارة الاوقاف التي تتولى أمر نحو أحد عشر ألف حكر في المملكة المصرية ، وهي مع ذلك ومع طول عهد وجودها لم تصل لوضع قاعدة علميـة لتقدير الحكر ، فقد دعاه ذلك لدراسة هذا الموضوع من جديد دراسة علميـة وعملية ، وكانت نتيجة بحثه اصداره هذه الرسالة القيمة الممتعة جامعة لصفوة ما يتوقف عليه الحكم الصحيح في مسألة الحكر وتقديره

(١) عضو مجلس الشيوخ الآن ووزير الزراعة والاشغال العمومية سابقا

ومن رأى المؤلف أن أقل ما يمكن تقديره للحكر هو عُشر أجرة الارض غير محتكرة ، وأقصى ما يمكن تقديره ½ ٢٢ في المائة

والذى أداه الى التقدير الادنى أنه فرض أن الاصلاح الذي أُحدثه المحتكر في الارض يساوي ضعف قيمتها فصار المحتكر مستحقا ثلثي دخلها بسبب اصلاحها ويبقى الثلث للارض . وبعد اصلاح الارض اذا دفعت للاستغلال بالمزارعة ـ مثلا ـ فان المزارع يستحق ثلثي الريع الناتج عن عمله وعن الارض وما حدث فيها من اصلاح وللارض بما حدث عليها من اصلاح ثلث الريع ، فلاصحاب الحق في الارض اذن ثلث الثلث ولمصلحها ثلثا الثلث وللمزارع ثلثا الجميع ولبيت المال العشر . أي ان للارض عشراً ولاصلاحها عشرين فهذه ثلاثة وللمزارع ستة فهذه تسعة ولبيت المال العشر العاشر

واذا كان مصلح الارض هو مزارعها أو مستغلها فتجتمع له الحصتان أي ٨ أعشار وللارض العشر التاسع ولبيت للمال العشر العاشر

وفي التقدير الاقصى افترض المؤلف أن الاصلاح يساوي مثل ثمن الارض المحتكرة فيكون للارض نصف دخلها بعد الاصلاح وللاصلاح النصف. واذا دفعت لمزارع أو مستغل فلهذا ثلثا الريع الناتج عن عمله وعن الارض وما حدث فيهامن اصلاح وللارض السدس بعد اخراج عشر المال . وعلى ذلك فلبيت المال ١٠ في المائة والحكر ½ ٢٢ وللاصلاح ½ ٢٢ وللمستغل ٤٥ في المائة. واذا كان المستغل هو المصلح كان لهذا ½ ٦٧ في المائة وللارض ½ ٢٢ ولبيت المال ١٠

واذا زادت اجرة الارض بفعل الزمان والمكان ـ لا باصلاح المحكر ـ ازداد الحكر على نسبة تلك الزيادة

وبعدُ فكما أن في الاموال زكاة يجب على الغني أن يصرفها على وجوهها العامة في المجتمع فان في العلم ـ كذلك ـ زكاة يجب على العالم أن يصرفها في

أنفع وجوهها ولو أن رجال هذا البلد ممن دعتهم مراكزهم الرسمية الى تمحيص مثل هذه الحقائق العلمية ينشرونها لامتهم بهذه العناية لكانت خطواتنا في سبيل التقدم أسرع ، ومقامنا في عالم الحضارة أسمى وأكرم . وحبذا لو أفاد صاحب المعالي مؤلف هذه الرسالة أمته بكتاب أو رسائل عن الكدك والمرصد والاجارتين وشد المسكة وحق الجدار والتيمار والالتزام والخلو والكردار ، فانه يسد بذلك نقصا في مكتبتنا

﴿ شرح النيل ـ للشيخ محمد بن يوسف اطفيش ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها * الاجزاء ٨ و ٩ و ١٠ في ١٦٠٠ ص * ثمنها ١٥٠ قرشا

للشيخ الامام ضياء الدين عبد العزيز بن ابراهيم الثميني الحفصي (١١٣٠ ـ ١٢٢٣ هـ) كتاب في فقه الاباضية جمع فيه بأخصر العبارات وأقل الألفاظ جميع ما اطلع عليه من الاقوال الفقهية المتفرقة في الخزائن والمؤلفات الواسعة وسماه (النيل) دلالة على اتساعه . وكان طبع في القاهرة طبعة حجرية في جزءين . وللامام العلامة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ـ مؤلف كتاب الذهب الخالص الذي ذكرناه في الزهراء ١ : ٢٨١ ـ شرحٌ على كتاب النيل في عشرة أجزاء كبيرة ، كان طبع في القاهرة منذ زمن بعيد السبعة الاجزاء الاولى منها ، ثم عني الآن باتمام طبع الاجزاء الثلاثة الاخيرة الفاضلان الجليلان الاستاذ الشيخ ابراهيم اطفيش الجزائري ابن أخي الشارح والشيخ سالم بن محمد الرواحي من أعيان زنجبار . وتولى أولهما تصحيحه والوقوف على طبعه والتعليق على بعض المواضع منه

ومن مزايا (شرح النيل) أن الشارح جرى فيه على عادته في مؤلفاته من عدم الاقتصار فيه على أقوال المذهب ، بل أورد فيه أقوال جميع المذاهب الاسلامية التي اطلع عليها . والكتاب غير مقصور على مباحث الفقه بل يتناول

مباحث العقائد والاخلاق والآداب أيضاً . وقد أحسن الناشران الفاضلان بإكمال طبع هذا الكتاب الحافل بعد أن ظل ناقصاً سنين كثيرة ·واختارا له ورقاً جيداً وعنيا بتحسينه بقدر الاستطاعة

التكميل ـ لبعض ما أخل به كتاب النيل

مطبعة العرب بتونس * ٢٦٤ ص بقطع الزهراء

هذا الكتاب لصاحب كتاب النيل المذكور آنفا ، وهو العلامة الشيخ عبد العزيز الثميني ، اختصره من كتاب أصول الاراضين لابي العباس أحمد بن محمد بن بكر (المتوفي سنة ٥٠٤) وجعله تتمة لكتاب النيل [1] . وهذا التكميل مقسم الى ثمانية كتب في أحكام الشركة والقسمة ، والطرق ، وانشاء المنازل والقصور ، وفي العران بماء المطر ، وفي الحرث ، وثبوت المضرة ونزعها ، والحريم والغرس ، والمشاع

وقد عنى بتصحيح الكتاب ونشره حضرة الفاضل الغيور الشيخ محمد ابن صالح الثميني حفيد المؤلف فجاء حسن الطبع بادية عليه آثار العناية. وفي أوله ترجمة مؤلف التكميل ومؤلف أصله .ووعد في مقدمته بمواصلة نشر الكتب المفيدة جزاه الله خيراً

كتابا التحفة والتوأم في الفرائض

مطبعة العرب بتونس ، المكتبة السلفية بالقاهرة * ١٨٠ ص بقطع الزهراء ثمنهما ١٥ قرشا

للعلامة الشهير الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ـ شارح كتاب النيل ـ مؤلفات تعد بالعشرات ذكرها ابن أخيه صديقنا الاستاذ المفضال الشيخ ابراهيم اطفيش في ترجمته التى ألحقها بكتاب (الذهب الخالص) . ومن مؤلفاته هذان الكتابان في علم الفرائض وتقسيم المواريث احدهما اسمه (التحفة) وهو في ٦٦

(١) وللمؤلف تتمة أخرى لكتاب النيل اسمها (الورد البسام في رياض الاحكام) عزم حفيد المؤلف على طبعها

صفحة . ثم الف بعده الكتاب الثاني وسماه (التوأم) فذكر فيه من احكام هذا العلم مالم يذكره في كتاب التحفة إلا مالا غنى عن اعادته . والشيخ المؤلف يعد خاتمة المجتهدين في المذهب الاباضي ، وكتبه هي المرجع اليوم في تعرف الاحكام ، وكان رحمه الله من المتفردين أيضا في العلوم الحسابية على الطريقة القديمة وله في ذلك المؤلفات الممتعة ، وذلك مما يزيد قيمة كتابيه في الفرائض

وقد نشر هذين الكتابين الحاج أيوب بن حمو وصححهما وعلق عليهما حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بن بكير بن بابه تلميذ المؤلف جزاهما الله خيراً

﴿ فلسفة التربية ـ للدكتور هرمان هارل هورن ﴾

مطبعة الفرات ببغداد * ٨٠ ص بقطع الزهراء

أصبحت العراق ـ بنهضة المعارف الحديثة فيها ـ عضواً حياً في جسم هذا الشرق العربي ، فهي تعمل بجهد محمود لتقوم بقسطها من العمل العلمى للمكتبة العربية . وقد سبق لنا التنويه في باب حركة النشر والتأليف بكتب عديدة هي من ثمرة نهضة المعارف الحاضرة في العراق ، وأمامنا الآن فصول مختارة من كتاب (فلسفة التربية) للدكتور هرمان هارل هورن استاذ التربية والفلسفة في كلية دار تموث مترجمة بقلم الاستاذ السيد عبد الله مشنوق مدرس التربية وعلم النفس بدار المعلمين ببغداد ، وهو يتناول الكلام على التربية من وجهات علم الحياة (البيولوجيا) وعلم وظائف الاعضاء (الفسيولوجيا) ومن الوجهات الاجتماعية والنفسيه والفلسفية . ولعل الكلام على الوجهتين الاجتماعية والفلسفية هو أهم مافي هذه الفصول. ففي الوجهة الاجتماعية بيان لمحيط الطالب الروحي من الناحية الذهنية المتصلة بالعلوم الادبية والعقلية ، ومن ناحية الشعور المتصلة بالفنون الجميلة والتربية الدينية ، ومن ناحية الارادة العملية المتصلة بالتاريخ والقوانين .

وأما في الوجهة النفسية فانه تكلم على بعض الغرائز المؤثرة في طريقة النشوء العقلي، وهى التقليد والرغبة والاجهاد . ثم دخل في بحث النمو العقلي فذكر الاطوار التى يتقلب بها زمن الطفولة والفتوة والرجولة . وبسط القول على الذكاء والمواهب ، ثم على ما يجب أن يكون للتربية من أثر في عقل الطالب

وكنا نتمنى لو أن المترجم الفاضل تمكن من اخراج كتاب الدكتور هرمان هارل هورن كاملا ، إذن لكانت فائدته أتم

﴿ مفتاح الخطابة والوعظ ﴾

مطبعة المنار * المكتبة السلفية : ٢١٢ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٠ قروش

أمراض الاخلاق أشد فتكا بالمجتمع ، وأسوأ تأثيراً في قوة الامة وتكوينها من أمراض الابدان . لان مرض الاخلاق يفشو بالعدوى في الاسرة والقرية والمدينة، وبعض أمراض الابدان يبقى ضرره محصوراً في صاحبه فلا يتعداه . وما كان العالم الاسلامي في حاجة الى مكافحة أمراضه الاخلاقية كحاجته الى ذلك في زماننا ، لكن الذين يعالجون مهمة الارشاد ـ على المنابر وفي حلقات الوعظ أو تحبير المقالات وتدوين الكتب ـ طالما وجدوا صعوبات في استحضار الآيات والاحاديث الصحيحة في الموضوعات الكثيرة التي يحتاجها الواعظ ليبني وعظه عليها ويدخل بها الى قلوب سامعيه فيستل منها الرذيلة ويحل الفضيلة في محلها

ولما كان الاستاذ العالم السلفي صاحب الفضيلة الشيخ محمد أحمد العدوي ـ المدرس بالقسم العالي فى الازهر ـ ممن عالج مهمة الوعظ والخطابة فيما يصلح أمور الناس ، فقد قسم موضوعات الوعظ الى مائة وثلاثين موضوعاً تدخل في أبواب العقائد والاخلاق والعبادات والمعاملات والاقضية والمنكرات الظاهرة، واستقصى لهذه المعاني كل مايحضره من الآيات والاحاديث ، مع بيان الراوي

الاخير ودرجة الحديث ومن خرّجه من المحدثين ، ووضع في ذيل كل صفحة شرحاً موجزاً يبين غريبه ويشرح مجمله ويفتح للقارىء باباً لتفهم الشريعة وأسباب التكليف

قال « ولم أرد أن يكون كتابي هذا ديواناً من دواوين الخطباء مكتوباً بقلمي ، وأسد على الخطيب باب الترقي ، وألزمه الوقوف عند الفاظ الكتاب . بل اقتصرت فيه على آي القرآن والاحاديث وتركت للمطلع الخيار في أن يسلك بالناس ماشاء من الطرق ، وأن يؤثر عليهم بما يستطيع من الاساليب ، مدمجاً من الآيات والاحاديث ما يرى »

وقد عرض المؤلف كتابه على وزارة الاوقاف فندبت لفحصه لجنة من كبار علماء الازهر وقررت « أن هذا الكتاب صالح لأن يكون مادة يستعين بها الوعاظ والمدرسون في القاء مواعظهم ودروسهم » . وهو حسن الطبع جيد الورق ، لا يستغني عنه آمر بمعروف ولا ناه عن منكر

﴿ الشيخ سيد العبيط ـ وأقاصيص اخرى ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٢١٦ ص بقطع الجاير : ثمنها ٥ قروش

خطا الاستاذ محمود بك تيمور خطوة اخرى في تأليف الاقاصيص المصرية بمجموعته الثالثة التي صدرت من مطبعتنا في الشهر الماضي بعنوان « الشيخ سيد العبيط ـ وأقاصيص اخرى » فكشف لقرائه الستار عن بيئات مصرية اخرى في العاصمة والريف لم يسبق لغيره معالجة وصفها . ففي اقصوصة الشيخ سيد العبيط وصف لنا سلامة قلوب العامة في الريف وحسن ظنهم بالمجاذيب وحَمْلَ ما قد يتفق وقوعه على يدهم من خير على محمل الكرامة ، ثم كيف يغرق الناس في الانتقال الى ضدّ هذه العقيدة في المجاذيب اذا صدرت منهم شرور عن غير اختيار فيسيئون اليهم من حيث يستحقون الرحمة . وكان من حقهم في الحالتين

أن يحجر عليهم في معهد خيري أو طبي يكفون فيه مئونة العيش

ولعل أجود ما في هـذه المجموعة اقصوصة « صديقي تلميذاً وموظفاً » واقصوصة « خالة سلاّم باشا » فقد أحسن المؤلف فيهما كل الاحسان تصوير رذيلة حب الظهور في موظف من عامة الموظفين وفي وجيه حصل على وجاهته من طرق الغش والرياء والخداع

وتمتاز هذه المجموعة عن المجموعتين السابقتين بمقدّمة مطوّلة ملأت ٤٨ صفحة بالحرف الدقيق عن نشوء الاقصوصة والقصص ، وعن الشعر القصصي ، والقصص في البلاغة العربية ومن أشهرها كليلة ودمنة ، والصادح والباغم ، والانسان والحيوان ، وفاكهة الخلفاء ، ومجنون ليلى وما أشبهها ، وألف ليلة وليلة ، والمقامات ، ورسالة الغفران ، وسيرة عنترة ، وبني هلال ، وسيف بن ذي يزن ، والظاهر بيبرس . وختم المقدمة بالكلام على النهضة القصصية الحالية

اظهار الحقيقة وعلاج الخليقة

مطبعة النهضة بتونس * ٥٠ ص بقطع الجاير : ثمنها فرنكان

إنما بلغ المسلمون ماهم فيه اليوم من ضعف وذل بخروجهم عن فطرة الاسلام التي كان عليها الصدر الاول ، وجمودهم على حالات أخرى ألصقت ظلماً بالاسلام وهي ليست منه في شيء . والاسلام اليوم تحت ضغط كابوسين : احدهما هذا الافراط في الجمود على خرافات وأوهام تخالف روح الشرع ، والثاني تفريط المتعلمين على أيدي الافرنج من ناشئتنا في كل شيء اسلامي وشرقي جهلاً منهم بفضائل دينهم ومزايا قوميتهم ، ومَن جهل شيئاً عاداه . فالفريقان عدوان لانفسهما ولملتهما من حيث لا يشعران

ورسالة (اظهار الحقيقة وعلاج الخليقة) بقلم الفاضل الغيور على ملته أبي عبد الله المكي الناصري من رجال النهضة الاسلامية في المغرب الاقصى تكلم

فيها على اقسام المحدثات وما يتعلق بها ، وذكر شيئاً مما فشا في الاسلام من البدع ، وعقد فصلا للطريق وأقوال الصوفية فيها ووجوب التزام اهلها جادة السنة واجتناب ماخالفها. وختم الرسالة بذكرعلاج الامة الناجع وهو رجوعها الى قواعد دينها أيام فطرته الاولى والاغتراف من ينابيعه الصافية . احسن الله اليه

﴿ ديوان ابن سهل الاندلسى ﴾

مطبعة الترقي ، المكتبة السلفية *١٢٤ ص بقطع الجاير : ثمنه ٣ قروش

أعاد حضرة الاستاذ الشيخ أحمد حسنين القرني طبع ديوان ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاندلسي (٦٠٩ ـ ٦٤٩هـ) على ورق جيد بحروف جميلة ، وصدره بترجمة هذا الشاعر الغزلي الرقيق . وأضاف الى الديوان المطبوع من قبل ماوجده متفرقاً في كتب الادب من شعر هذا الشاعر ، ورتب قوافيه على ترتيب حروف المعجم ، وجعل لكل قطعة شعرية عنواناً اقتبسه من معناها وموضوعها . فجاء الديوان حسن الوضع والطبع

﴿ أنباء عن الكتب ﴾

* ألف العلامة الشيخ عبد العزيز الراجكوتي كتابا سماه (أبوالعلاء وما اليه) محّص فيه جميع ما وصلت اليه يده من أخبار أبي العلاء المعرّي وأحواله

* وللاستاذ الراجكوتى رسالة (فائت شعر أبي العلاء) مما لا يوجد في كتبه المعروفة . وقد عنى هذا الاستاذ بتصحيح (رسالة الملائكة) لابي العلاء وشرحها

* ومما خدم به الادب العربى تأليفه رسالة (زيادات ديوان شعر المتنبي) وهي نيف وأربعون قطعة أو قصيدة للمتنبي ليست في ديوانه عثر عليها في ثلاث نسخ خطية وطبعتين قديمتين من الديوان وفي كثير من الدواوين الادبية والمجاميع

* وعني بتصحيح وشرح ونشر رسالة « كلا » لابن فارس ، ورسالة « ماتلحن فيه العوام » للكسائي ، ورسالة ابن عربى الى الفخر الرازي

وجميع هذه الكتب تحت الطبع في مطبعتنا السلفية

أنباء اجتماعية

مدرسة الآثار الاسلامية

قررت وزارة المعارف المصرية تأسيس مدرسة للآثار الاسلامية تفتتح في السنة الدراسية الآتية وتلحق في أول الأمر بمدرسة المعلمين العليا الى أن تستكمل نظامها فتلحق بكلية الآداب في الجامعة المصرية . ومدة الدراسة في مدرسة الآثار الاسلامية ثلاث سنوات يتلقى الطلاب فيها آداب اللغة العربية بالتفصيل ، وتاريخ الممالك الاسلامية ، وجغرافيتها ، وعلم الآثار الاسلامية من عمارة وفنون ، وتاريخ التمدن اليوناني واللاتيني . ومن اللغات : الفارسية والتركية ، ولغتين من اللغات الألمانية والانكليزية والفرنسوية

مكتبة التلميذ في دار الكتب

من مآثر الاستاذ عبد الحميد بك أبي هيف مدير دار الكتب المصرية السابق رحمه الله تأسيسه (مكتبة التلميذ) في دار الكتب لتكون وسيلة لتعويد الطلبة منذ حداثتهم على حب المطالعة والاستئناس بالكتب . وقد جعلت هذه المكتبة حافلة بكل ما ينفع الطلبة ويناسب عقولهم من الكتب والصور والمصوّرات (الخرائط) . وفي العشر الأول من رمضان افتتحت هذه المكتبة ، وصار التلاميذ يختلفون اليها وبين أيديهم دليل للمكتبة يتضمن نظامها ومحتوياتها ووصايا نافعة لهم

عيد المقتطف الخمسيني

يصدر هذا الجزء من الزهراء أثناء الاستعداد لاقامة حفلة كبيرة في دار الاوبرا المصرية لبلوغ المقتطف – شيخ المجلات العربية – خمسين سنة من حياته العلمية الحافلة بالسعي لنشر المعارف الحديثة ، سائراً معها جنباً الى جنب منذ سنته الاولى حتى بلغت القمة التي صارت اليها اليوم . والحق أن المقتطف أرقى وأثبت عمل قام في صحافتنا العلمية منذ أخذ الشرق في تلقي علوم الغرب وثقافته

المبيت في الجبَّانات

منعت الحكومة المصرية المبيت في الجبَّانات والمكث فيها بعد الغروب

حج هذا العام

ثبت أن بلاد الحجاز لم يستتب فيها الأمن منذ عصور كثيرة كاستتبابه في هذه الايام ، بحيث يستطيع الرجل بمفرده أن يسافر من جدة الى مكة ومنها الى المدينة وأن يعود وهو آمن. وسهلت أسباب الحج الآن بما لم يسبق له نظير من سير السيارات الكهربائية الى الحرمين الشريفين وفي ذلك الراحة والاقتصاد في الوقت لحجاج بيت الله الحرام

فلسطين وسورية

زار مسيو دي جوفنيل فلسطين في هذا الشهر (رمضان) فوجد البلاد مضربة اضراباً عاماً والاسواق مقفلة ، احتجاجاً على السياسة التي أتبعتها فرنسا في سوريا . وقد تلقى من أهل الحل والعقد في البلاد برقيات أعربوا له فيها عن رأيهم في حالة الديار الشامية . أما المفاوضات التي جرت بينه وبين ادارة الانتداب البريطاني في فلسطين فدائرة حول التعاون بين الانتدابين ، واتخاذ الوسائل لتسوية المسائل الادارية المشتركة ، التي يمكن وقوعها بين حكومتي سورية وفلسطين

فلسطين ومصر

« تكريم رئيس المجلس الاسلامي الأعلى »

قديماً قالوا « جزى الله المصائب كل خير » فان هذا الشرق العربي الذي أوقعه تخاذله وتقاطعه في هذه المصائب ، ما لبثت المصائب أن عملت هي أيضاً عملها في إيقاظه ودفعه في طريق التعارف والتعاون والتضامن . فاذا ضيمت الشام حنت اليها العراق من شرقها ومصر من غربها وكانت الجزيرة ردءاً لها تتألم لألمها. وكذلك الحال في جميع البلاد الناطقة بالضاد ، حتى صار أهل الرأي وحملة الأقلام من المصريين يكثرون من التردد على الديار الشامية الشمالية والجنوبية ، وصار لهم فيها روابط وصداقات ومعاهد وذكريات . ويرون باعينهم ما لنيلهم السعيد وشعبه المجيد من مكانة في القلوب وحب بين حنايا الضلوع

وفي هذين اليومين زار سماحة رئيس المجلس الاسلامي الأعلى في القدس مدينة القاهرة ، فكانت لفلسطين في شخصه مظاهرة تكريم من أعيان المصريين قيلت فيها أقوال تدل على تطور عظيم في أحوال هذا الشرق

العربي وتقارب لم يعهد له مثيل نحو الغاية التي يجب أن يرمي اليها الناطقون بالضاد ليكونوا موضع حرمة عند الامم

ان الشرق العربي سائر في طريق إحكام هـذه الرابطة القومية فيما بين أقطاره تحت تأثير المصائب ، ونتمنى أن تكون خطواته الآتية في هذا السبيل بنت الرغبة لا بنت الرهبة ، أما اذا كنا لا نخطو خطوة الا بدافع من مصيبة فأخشى أن تسبقنا حوادث الدهر فلا يفيدنا حينئذ شيء مما نحن صانعون

﴿ بعثة طبية أوربية ﴾

تألفت بعثة من ثلاثمائة طبيب أوربي لزيارة بلاد الشرق الادنى ، ولا سيما مصر وفلسطين والجهات البعيدة عن مناطق الثورة في سوريا . ويصحبهم المستشرق لاروش ليكون دليلهم في بيان أحوال الشرق ونظمه وتاريخه وجغرافيته

﴿ مدرسة سوهاج الثانوية ﴾

قررت الحكومة انشاء مدرسة ثانوية في سوهاج ، فاكتتب لها أعيان مديرية جرجا بستة آلاف جنيه واقترحوا تسميتها باسم سمو الامير فاروق ولي العهد

﴿ البرنيطة وفلسطين ﴾

راع أنصارَ القومية الصادقة في مصر ما نشره بعض صحفها عن وصول نزعة الاستعمار الافرنجي بالازياء الى القطر الفلسطيني أيضاً وأن أهلها عوّلوا على أن يتواروا تحت البرنيطة خجلا من جنسهم ، كما قال الاستاذ عباس محمود العقاد في مقالة له بجريدة البلاغ . ولكن الخبيرين بشئون فلسطين يؤكدون أن صوت الدعوة الى البرنيطة هناك صوت مخنوق تولى مهمة النداء به بولس افندي شحادة صاحب (مرآة الشرق) وصهره تيودور افندي صروف ، وماتت الدعوة الى ذلك قبل أن تولد . والمظنون أن فلسطين اذا أرادت أن تترك الطربوش فانها تلبس العقال الذي كان شعار الاستقلال السوري بعد الحرب العظمى وأما شعار الاستعمار فانها أعزّ نفساً من أن تضعه على رأسها

﴿ اوربا في المغرب ﴾

اشتركت البوارج البريطانية مع البوارج الفرنسية والاسبانية في مراقبة مياه منطقة طنجة الدولية لمنع توريد الاسلحة والذخيرة في تلك الجهات

محراب حلب

لما قرأ العلامة الاستاذ أحمد زكي باشا مقالة الامير شكيب عن محراب بغداد (على ماذكرناه في ص ٥٦١ من هذا الجزء) كتب في الشورى مقالة عن محراب المسجد الأثري البديع الذى شيده في حلب نور الدين الشهيد في سنة ٥٦٣هـ ثم أتمه وأكمله ابنه أبو الفتح اسماعيل عام ٥٧٥ فقد رأى الباشا ان محراب المسجد منتزع من مكانه وتحقق انه كان موجوداً في سنة ١٩٢٢ وقد صور بالتصوير الشمسي في تلك السنة وتدل صورته على أنه من الخشب النفيس وأن النقوش التى عليه انتهت عندها براعة المتفنن العربي فوصل في صناعته الى حد الاعجاز وكانت سرقة هذا المحراب الاسلامي من قلعة حلب فى أيام الانتداب الفرنسوى

قال الاستاذ زكي باشا: اني رأيت كثيراً من المحاريب فى بلاد مختلفة فلم أر مثل هذا المحراب الخشبي المفقود فى حلب سوى محراب خشبي آخر فى نفس حلب وهو محراب المدرسة الحلاوية

ثم قال: وأجمل محراب على وجه الأرض هو الباقي فى اطلال مسجد قرطبة، بارض الفردوس الاسلامي المفقود. وهو من الفسيفساء وقد وصفته في «السفر الى المؤتمر». وبعده محراب المسجد الاقصى، وهو من الرخام البديع الصناعة. وبعدها محراب الحلاوية بحلب وهو من الخشب

اصلاح الآثار

* باشرت وزارة الاوقاف المصرية اصلاح (مسجد الملكة صفية) الأثري

* تهتم اللجنة الأثرية في القاهرة بأعادة بناء قبة (جامع الفتح)

* اهتمت اللجنة الأثرية باصلاح (قصر الجوهرة والعدل) في القلعة، واعيدت فيه النقوش القديمة الى حالتها السابقة

حماية الفتيات

للأجانب المقيمين في مصر جمعية اسمها (جمعية صديقات الفتيات) وقد احتفلت في هذا الشهر بافتتاح الدار التي أنشأتها للفتيات الاجنبيات من مختلف الأجناس والمذاهب. وهذه الجمعية أعانت نحو ٣٠٠ فتاة لامعين لهن فربتهن وعلمتهن صناعة وكفلت لهن الحياة الصالحة

مصر في المؤتمرات

* تشترك مصر في مؤتمر المعهد الملكى الصحي الذي يعقد في بريستول من ١٧ مايو الى ١٩ منه ، وقد نيطت نيابة رآسة هذا المؤتمر بمندوب مصر سعادة الدكتور محمد شاهين باشا

* ندب حامد خلوصي بك سكرتير المفوضية المصرية في روما لتمثيل مصر في الجمعية العمومية الثامنة للمعهد الزراعي الدولى بروما في هذا الشهر

* عين الدكتور محمد عبد السلام الجندي بك سكرتير المفوضية المصرية في بلجيكا مندوباً مصرياً فى اللجنة الدولية الدائمة لمؤتمرات الملاحة ومكتبها الدائم فى بروكسل

* تشترك مصر فى مؤتمر الطرق الدولى الذى يعقد فى باريس فى هذا الشهر

رحلة علمية

قام ١١٣ من المدرّسين المصريين برحلة الى فلسطين زاروا فيها بيت المقدس وتل عمرين وحيفا والبحر الميت ووادي الأردن وعين هارون ووادي عزريل وشاهدوا بعض ما هنالك من المعاهد العلمية والأماكن الأثرية . وتقول صحف فلسطين ان الوطنيين كانوا يتمنون أن يتصلوا بالمدرسين المصريين ويقوموا بواجب الضيافة والدلالة لهم مدة وجودهم في بلادهم ، ولكن حال دون ذلك ارتباط هذه الرحلة العلمية بسيطرة الصهيونيين عليها .

فيضان مياه العراق

زادت مياه دجلة وغيرها من أنهر العراق زيادة عظيمة في هذا الشهر ، فاقتحمت بعض السدود ، وفاضت على الأراضي والقرى ، وغمرت قصور ملك العراق ومساكن ألوف من السكان ، وألحقت بالتجار وغيرهم خسائر عظيمة رغم كفاح الحكومة والشعب وجهاد ألوف العمال في الليل والنهار لسد الثغرات التي اقتحمها الماء . وقد علا منسوب الفيضان ١٥ قدماً عن بغداد وكانت نتيجة ذلك الغرق الكامل لولا السدود والحواجز التي اقيمت من أكياس الرمل لوقايتها . ويقدرون خسارة بغداد بمليونين من الجنيهات



ج ١٠ م ٢ القاهرة شوال ١٣٤٤

الاصلاح الاسلامي
واعداد علمائنا له

مَثلُ الشرق الاسلاميّ اليوم ـ في يقظته والتماسه أسباب الترقي ـ كمثل رجل طال عليه الرُّقاد، ومُنيَ من رُقاده الطويل بضعف ظاهر على أسارير وجهه وأطراف جسمه. فهب من نوم مخيف الى ضعف مخيف باضطراب مخيف، ولولا أن هذا الضعف عارضٌ طرأ على بُنيةٍ قوية العضلات متينة الاعضاء لكان المستقبل أيضاً مخيفاً ...

ليس هنا موضع درس مسئولية هذه الحال المحزنة وتعيين من تُوَجَّه اليه، ولكن يكفينا أن نعلم أن الشرق المعاصر فعل كل ما تستطيعه الامة المذعورة اذا فاجأها الخطر وهي على غير استعداد له: فقد قيل لها « ينقصك التضحية » فاندفع بعض أخطارها في طريق التضحية مستقتلا. وقيل لها « تنقصكِ معارف أوربا » فألقت الالوفَ من أبنائها في مدارس أوربا وهي مغمضه. بل قيل لها « إن الدين سبب هذا الضعف » فصدّق من لا يعرف حقيقة الدين، ولا يميز بين جوهره وما طرأ عليه من صدأ، وان لنا اليوم من هؤلاء طائفة تشبه الخراف الشاذّة عن القطيع: يطمع أعداؤها في أن يُلحقوها بجماعة الذئب

الاغبر الحاكمين في أنقرة ، ونرجو نحن أن يعودوا إلى الحظيرة إن شاء الله متى تمكن عقلاء الملة من جمع الشمل ، وتنظيم حركة الاصلاح ، والسير في طريق القوة الحقيقية

أجل ، ان المسئولية لا تتوجه الى من ذكرنا . واذا كان لابد من معرفة مَن توجه اليهم فاني أراهم فريقين : أولهما صار في ذمة التاريخ فيحسن أن يشار اليه لأجل العبرة والذكرى ، وأعنى به الحكومات الاسلامية التي كانت تلي أمر أجدادنا منذ ثلاثمائة سنة ، لانها شهدت بدايةَ انتقال أوربا من حال الى حال : بأنظمتها الادارية ، وصناعاتها الحربيــة والمعاشية ، وعلومها الكونية ؛ ثم رأت ماترتب على هذا التطور من نتائج سياسية وعمرانية ، فمرت بذلك كله كما يمر به من لا يَعنيه أمره . وكان من حق تلك المَشاهد أن تلهمها ضرورة مجاراة القوم فيما يأخذون به من وسائل القوة والنهضة ، لا سيما وهم لم يزالوا يومئذ في بداية الشوط وأول المضمار . فاهملت حكومات أجدادنا هذا الامر وكان إهمالها تقصيراً فيما هو واجب عليها نحو بلاد تلي أمورها ، ونحو شعب أسلمها قياده ، بل نحونا نحن الذين جئنا بعد ثلاثمائة سنة لنحمل عبء الذل ، ونعاني مراوة الضعف ؛ فكان ما كان من افتراق كلمتنا في تعيين الطريق للخروج من هذا الحال ، ولكل مناوجهة في ترجيح مذهبه والاحتجاج له : يصوّب نحوها بصره فلا يحوّله عنها الى الوجهات الاخرى

لقد كانت مسئولية التقصير موجهة الى حكومات ذلك الزمان لان ذلك الزمان كان قياده بيد الحكومات ، ولم يكن لجمهور الامة هذا الاهتمام بالشئون العامة ، وهو الاهتمام الذي أدّى الى اعتراف الحضارة العصرية للشعوب بانها صاحبة السلطة وأن الحكومات تستمد قوتها من سلطة شعوبها : اذن فالمسئول الثاني عن ضعف الشرق هو عقلاء الامة الآن وقادة الرأي فيها : فاذا مروا

بوقفنا المخيف غير مبالين ـ كما فعلت حكومات أجدادنا ـ باءوا بسُخط الاحفاد وسُبة الابد . وأما اذا تجردوا من المؤثرات الوقتية الزائلة وكانوا بعيدي النظر نافذي البصيرة فان في امكانهم أن يمسحوا اللوح ويبدأوا للشرق عصراً جديداً يتخذون فيه من أمجاد الماضي وفضائله وثروته المعنوية أساسا متيناً يقيمون عليه عهدهم الجديد مدعوماً بمثل ما عند الاقوياء من وسائل القوة الحقيقية بشرط الابتعاد عن السفاسف والقشور الغريبة التي قد تكون سبباً لتنفير الشرق حتى من النافع

للمشتغلين بسياسة الامم نظرات بعيدة يرون بها مصير هذه الامم قبل أن تراه هي بنفسها . ومن هذا القبيل ما نقلناه عن اللورد كرومر في مجلد السنة الاولى من الزهراء (ص ٤٠١) من عبارات النصح لقادة الامة الاسلامية في مصر بترك الجمود والاخذ بأسباب الاصلاح ـ على القاعدة التي ندعو اليها من التمسك بفضائل القديم والاستفادة من حسنات الجديد ـ وقد أنذرهم اللورد كرومر يومئذ بأنهم إن لم يتولوا بأنفسهم قيادة الاصلاح على هذه القاعدة فسيرون أمامهم جيلا جديداً من أبنائهم قد تحدثه نفسه بأن يمد الى الاركان القديمة يداً لا تعرف حرمة القديم فيكون شراً على قوميته من أعدائها .

قال اللورد كرومر كلمته هذه منذ نحو ربع قرن ، أي عند ما كان المسلمون في غفلة يزيدهم فيها ارتكاسا اعتمادُهم على أن للاسلام دولة كفتهم مئونة التفكير في المستقبل ، أعني بها الدولة العثمانية التي كان السوس قد نخر عظامها ، ولم تكن تعمل بجد للاخذ بالفضائل الاسلامية ولا للاغتراف من ينابيع القوة العصرية

أتى على المسلمين حين من الدهر كانت الدنيا كلها أعداء لهم ، فهوجمت حضارتهم وعمرانهم ومعاهد عرفانهم بسيلين مخيفين : أحدهما السيل التتري من الشرق ، والآخر السيل الصليبي من الغرب ، ولكن الله كتب السلامة لهذه الملة يومئذ لأن العدو كان يهاجمها من الخارج . أما اليوم فان عدوها الخارجي

يستعين عليها ببعض أبنائها محاولاً دخول الحصن المنيع من طريق قلوبهم بعد أن افتتحها واحتلها . وكنا نحسب أن هؤلاء الابناء سيكونون عدتنا في اقتباس وسائل القوة المادية التي عند الافرنج مؤملين أن نضارعهم فيها أو في بعضها يوماً ما ، فاذا بذلك البعض من ناشئتنا لم يعبأ بذلك وكان عدة للافرنج في محاولة هدم ما في نفسية الامة من بقايا القوة المعنوية

اذن فقد كان اللورد كرومر صادقا يوم أنذرنا بجيل من أبنائنا سيمد الى الاركان القديمة يداً لا تعرف حرمة القديم ، وإذن فان الذين تأخروا في الشروع بالاصلاح الاسلامي — وكانوا حريصين على طرائق الجمود — ان لم يكونوا السبب الوحيد لظهور هذا الجيل الهادم فانهم لاريب كانوا من أسبابه

ألا انه قد مضى مامضى ، وليس الوقت متسعاً للعذل لان التيار شديد ، على أنه — مع ذلك — أحقر من أن يُلحق بقوميتنا ومليتنا مايريده العدو لنا من أذى لو تدارك العقلاء الامر منذ اليوم وكوّنوا من القوى المتفرّقة قوةً منظمةً توجّه خطى الامة نحو الطريق ، وتتذرع لايجاد طبقة جديدة من علماء الاسلام تُحسِن مخاطبة أهل هذا الزمان باللسان الذي يفهمونه

وما أحسبُ الامر صعبا ، فان الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه فتح لنا الطريق أمامنا ، وهذه كتاباته بين أيدينا حجة على أن العالِم المسلم بل الشيخ الازهري اذا فهم روح الاسـلام وعرف كيف يخاطب أبناء العصر بلهجتهم يستطيع أن يجعل قرّاءه ومريديه جنوداً لهذا الغرض المنشود ، وأبطالاً لايرجعون من المعركة حتى تكون قلعة المستقبل في أيديهم

ولكن هذا يوجب على علمائنا أن يعدلوا عن أساليبهم الحاضرة في كل شيء ، ولا يكون ذلك الا بأمرين : يتجلّى في أحدهما جمال الجديد ، وفي الآخر جلال القديم . فأما الامر الاول فهو أن تؤلف للدراسـة في المعاهد الدينية الاسلامية

كتب جديدة خالية من الحشو ، بريئة من التردّد ، سهلة المأخذ ، حسنة التأليف والتبويب والتقسيم ، توصل الطالب الى فهم القواعد بأقصر وقت ، وتضمن تثبيت القواعد في ذهنه بالامثلة الواضحة . واذا توقف فهم القواعد على استطراد شيء من فن آخر أشير اليه في الهامش بحروف صغيرة ، حتى يكون متن الكتاب المدرسي خالياً من كل مايشوّش ذهن الطالب ، وموصوفاً بحسن التناسب بحيث لايضاف اليه مبحث ثانوي كان يليق أن يكون في كتاب أوسع منه

وكما كان علماؤنا الاقدمون يلاحظون في كتب العقائد مقاومة الشبهات التى كانت شائعة في زمانهم يجب على علماء هذا العصر أن يجرّدوا كتب الدراسة من ذكر النِحَل التى لاوجود لها اليوم وأن يجعلوا كتب العقائد مدعومة بسنن الكائنات المسلَّم بها الآن فى العلوم العصرية . وبهذه الطريقة يجب أن يفسر كتاب الله في الآيات المتعلقة بنظام الكون وفي سائر ماله صلة بقواعد العمران وسنن الطبيعة

ومن أهم ماتستنير به عقول الطلاب تواريخ العلوم ، فمن الواجب أن يدخل فى برنامج دراسة المعاهد الاسلامية مع علم الفقه تاريخ الفقه الاسلامي ، ومع علم العقائد تاريخ الفرق الاسلامية والاساليب التى كان بقايا المجوس وغيرهم يتبعونها ابتغاء الكيد للاسلام باحداث نحل جديدة فيه . ومما يجب على علمائنا معرفة حقيقة مذاهب أهل القبلة فى الوقت الحاضر وما يجتمعون به مع أهل السنة وما يفترقون به عنهم . وهكذا سائر العلوم يجب أن يتعلم الطلبة معها تاريخها بالقدر الذى يجعل الطالب عارفاً بما طرأ على ذلك العلم من الاطوار من زمن وضعه الى هذا الوقت

ومما علمتُه وحزنتُ له كثيراً أن ميزانية الازهر والمعاهد الدينية الاسلامية

كان فيها منذ أيام الشيخ محمد عبده الى ماقبل سنتين فقط اعتماد بخمسمائة جنيه داخلة في فصل المصروفات المتنوّعة خصصت لتكون مكافآت لمؤلفي الكتب التي يتأكد مجلس الازهر من نفعها في التدريس ، وهذا المبلغ الذي لا يستهان به ، والذي كان يمكن أن يستعان به على ايجاد نهضة عظيمة في تأليف الكتب الاسلامية، ظل يدرج في كل سنة في ميزانية الازهر الى أن تبين للحكومة عدم استعماله فأسقطته من ميزانية سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ ثم لم يدخل في الميزانية بعد ذلك . مع أن قانون الازهر رقم ١٠ لسنة ١٩١١ قد نصّ عليه في الفصل الثاني من بابه الثامن ، وفي المواد ١٢١ و١٢٢ و١٢٣ و ١٢٤ و١٢٥ إرشاد الى كيفية التصرُّف في هذا المبلغ لاصلاح برنامج الدراسة . ولعل مولانا شيخ الجامع الأزهر ـ وهو الامام الاكبر لجميع رجال الدين والرئيس العام للتعليم فيه ـ يسعى لاعادة هذا المبلغ الى ميزانية الازهر عملا بنصوص القانون ليضمن بذلك للازهر والمعاهد الدينية نشر مؤلفات اصلاحية جليلة يشمل نفعها جميع أهل القبلة

أما الامر الثاني وهو الذي يتجلى فيه جلال الماضي فهو تعويد الطلبة مراجعة كتب الصدر الاول في جميع العلوم الاسلامية والآداب العربية ، لان فيها ينبوع الاسلام الصافي وأدبَ العرب الجزل وثمراتِ عقول السلف أيام النضوج . وما أسفّ المسلمون في علومهم وآدابهم وفي نبل أخلاقهم إلا منذ زهدوا بكتب الأئمة

أليس من العجيب أن لا يوجد في الازهر من يدرس كتاب سيبويه في النحو أو كتاب الخصائص لابن جني في أسرار العربية ؟ ثم أليس أعجب من ذلك أن لا توجد في بلد اسلامي نسخة كاملة من كتاب الأم للامام محمد بن ادريس الشافعي قبل أن يطبع حتى اضطُروا عند طبعها الى التماس أجزائها في بلاد مختلفة ؟ وهكذا قل عن مثل تفسير ابن جرير الطبري وسائر آثار السلف التي صار

الافرنج أحرص منا على نشرها وأشدّ تنقيباً عنها وتغالياً في بذل المال لحفظها وصيانتها .

لاريب أن تركة سلفنا قد وُضعتْ على مائدة التمحيص والاقتباس في أكثر بلاد الشرق والغرب ، وتناولتها أيدي الاخصائيين ـ من ذوي المقاصد المختلفة ـ بالبحث والفحص ، فأخذ منها كلُّ فريق لوناً من الالوان ليصبغ به الصورة التي اراد إظهار ماضينا بها لقرّائه الأجانب عنّا ، وربما كانت الصوَر التي يصوّر بها هؤلاء المؤلفون ماضي الامة الاسلامية أكثر تأثيراً في أذهان بعض ناشئتنا من جميع كتبنا القديمة ، بل ومن جميع الكتب التي نؤلفها نحن الآن غيرَ مُراعَى فيها ذوقُ العصر ومثله واساوبه

وما دمنا واقفين نتفرّج على هذه الحركة الفكرية كأنما لا شأن لنا بنتائجها ، وما دمنا لا نستعدّ للخطر الا عند وقوعه ولا ننهض لمعالجة آثاره إلا بالمسكّنات الوقتية ، اذن فسيخرج اولئك من المعركة فائزين . وسيكون أبناؤنا حينئذ قادة جيش الضلال ، ومعاول الهدم في الحال أو الاستقبال

أما المخرج الوحيد من ذلك فهو بأن نكون أبرَّ بحقنا من المبطلين بباطلهم ولا سبيل الى ذلك الاّ باعداد جيل متخلّق بخلق الوفاء لحقّ التاريخ ، متسلح بمعارف هذا العصر ، يحسن مخاطبة أبناء العصر باللحن الذى يفهمونه ، ويكون ـ مع ذلك ـ مجهّزاً بالمعدّات اللازمة لتكوين الامة تكويناً جديداً تتحلّى فيه بجميع المحامد القومية والفضائل الاسلامية وتتقلّد أحدث الأسلحة العلمية والعقلية ، بحيث يستطيع هذا الجيل أن يقود الامة الى الترقي في كل ضرب من ضروب المعرفة ، ويكون فيه من يسدّ حاجتها في الطب والصحافة والتأليف والتدريس

والتثقيف ونشر الدعوة . وهل نبلغ ذلك الا بتغيير البرنامج الحاضر ، وبأن يكون تغييره بأيدي عقلاء أوفياء خبيرين ، مليئة قلوبهم بالايمان والأمل والحزم ؟

أجل ، ان تغيير البرنامج ممكن ولو بالتدريج ، وعندنا الرجال الصالحون للقيام بهذه المهمة وانْ قلَّ عددهم ، ولكن الذي ينقصنا هو أن نريد . . .

لذة الصعاب

كم لذَّةٍ في صعابٍ ذُقتُها ثِقةً ... بالنفْسِ والجهد والتفكير في الآتي

مثلُ الطبيبِ عَياه الداءُ يُفرحُهُ ... في موقفِ العالِم الفنيِّ لا العاتي !

لا تجزعنَّ لأهوالٍ حُفِفتَ بها ... كلُّ المخاطر في الدُّنيا لميقات

وادأب بجرأةِ ذي عقل وتجربةٍ ... يمشي مع الفِكْرِ لا يجري وعادات

الوهمُ سُلطَ في الدُّنيا فسخَّرها ... والراضخون له في حُكمِ أموات

مُمَلَّكٌ فاتحٌ والجهلُ عسكرُهُ ... والجبنُ عَونٌ له عند الملمَّات

له عُروشٌ على الدُّنيا بأجمعها ... وقوَّةٌ فوقَ أقيالٍ ودُولات

وهو الضعيفُ الذَّليلُ المرتمي جزَعا ... شطْرَ النُّهى والعُقولِ المستحثات

يهوي صريعاً أمام العلمِ مختبطاً ... في حمأةِ الذَّنْبِ مقتولا بآفات

فان يكنْ شأنهُ هذا ورتبتهُ ... فكيف ننصرُهُ في طول أوقات ؟!

وكيف نرضى إساراً من تحكُّمِهِ ؟! ... وكيف ننشدُ منه وَهْمَ لذَّات ؟!

* * *

لو حاربَ الناسُ داءَ الوهمِ ما جزعوا ... عند الخطوب ولا خوفَ الصعوبات

أبو شادي

أحد بيوت العلم في الاسلام :

قاضي عجلون وأبناؤه

اطلعت في الجزء الماضي من مجلتكم الزهراء (التاسع من المجلد الثاني) على مقال تحت عنوان (أبو اللطف وأبناؤه) جاء فيه ذكرُ نجم الدين بن قاضي عجلون صاحب التذكرة المنقول منها أكثر التقاييد التي في كناش آل أبي اللطف وأنه قال حكى لي جمال الدين بن أيوب بالقاهرة أنه سمع من البدر الدماميني الخ وكتب صاحب المقال في ذيل الصفحة حاشية هذا نصها :

« لم نعثر على ترجمة له ولكنا اطلعنا في المكتبة الخالدية بالقدس على كتاب ضخم كتب عليه (فتاوي ابن قاضي عجلون) وفيه عبارة تقول انه ورد عليه فتوى من حلب سنة ١٠٢٧ »

يريد بذلك أنه قد يكون النجم بن قاضي عجلون صاحب تلك التذكرة هو صاحب الفتاوي المذكورة . وذكر بعد ذلك أنّ البدر الدماميني توفي سنة ٨٢٧

وقد رأيتني ذكرت في كتابي الذي جعلته ذيلا لثَبتي المسمى (المسمى الحميد الى بيان وتحرير الأسانيد) بياناً موجزاً لقاضي عجلون وأبنائه فبعثت به الى حضرتكم لعلكم تجدون فيه فائدة . وهو :

﴿ قاضي عجلون ﴾ هو شرف الدين محمد بن محمد بن شرف بن منصور بن محمود بن توفيق بن محمد بن عبد الله الزرعي العجلوني ثم الدمشقي. توفي بدمشق في شهر ربيع الأول من سنة ٧٧٩ . وقد مكث قاضياً بعجلون مدّة نائباً عن شيخه تاج الدين السبكيّ

(والمعروف بابن قاضي عجلون) ابنه زين الدين عبد الرحمن بن قاضي

عجلون العجلوني ثم الدمشقي الشافعيّ . ولد بعجلون في شعبان من سنة ٧٥٩ وتوفي بدمشق في صفر من سنة ٨٣٧

(وأولاده الثلاثة) وهم القاضي ولي الدين أبو محمد عبـد الله بن الزين عبد الرحمن بن قاضي عجلون العجلوني ثم الدمشقي الشافعي . ولد بعجلون في شهر رمضان من سنة ٨٠٥ وتوفي بدمشق في شعبان من سنة ٨٦٥

(والقاضي برهان الدين) أبو اسحاق ابراهيم بن الزين عبد الرحمن بن قاضي عجلون . ولد في سنة ٧٩١ وتوفي بدمشق في المحرم من سنة ٨٧٢ . وهو من مشايخ الجلال السيوطيّ

(وشهاب الدين) احمد بن الزين عبد الرحمن بن قاضي عجلون . توفي في ذي الحجة من سنة ٨٦١

(وأولاد هؤلاء الثلاثة وأولادهم) الذين منهم القاضي نجم الدين محمد بن ولي الدين عبد الله بن الزين عبد الرحمن بن قاضي عجلون الدمشقي . ولد بدمشق في شهر ربيع الأول من سنة ٨٣١ وتوفي بالقاهرة في شوال من سنة ٨٧٦

(وزين الدين) عبد الرحمن بن ولي الدين عبد الله بن الزين عبد الرحمن ابن قاضي عجلون الدمشقي . توفي في شهر ربيع الثاني من سنة ٨٧٨

(وتقي الدين) أبو بكر بن ولي الدين عبد الله بن الزين عبد الرحمن بن قاضي عجلون الدمشقي . ولد بدمشق في شعبان من سنة ٨٤١ وتوفي بها في شهر رمضان من سنة ٩٢٨ . وهؤلاء الثلاثة أخوال العالم المحدث كمال الدين محمد بن حمزة الحسيني الدمشقي

(والقاضي محب الدين) أبو الفضل محمد بن القاضي برهان الدين ابراهيم ابن الزين عبد الرحمن بن قاضي عجلون الدمشقي خطيب الجامع الأموي بها .

ولد سنة ٨٢٦ وتوفى فى شهر ربيع الاول من سنة ٨٩١

(وقاضى الحنفية بدمشق) علاء الدين علي بن الشهاب احمد بن الزين عبد الرحمن بن قاضى عجلون الدمشقي الحنفى . توفى فى أوائل شعبان من سنة ٨٨٢

(والقاضى نجم الدين) محمد بن تقى الدين أبى بكر بن ولي الدين عبد الله ابن الزين عبد الرحمن بن قاضى عجلون الدمشقى . ولد بدمشق فى شوال من سنة ٨٧٤ وتوفى بها فى شهر ربيع الثانى من سنة ٩٣٥

(والقاضى الخطيب) أبو اليمن محمد ابن القاضى محب الدين محمد ابن القاضى برهان الدين ابراهيم بن الزين عبد الرحمن بن قاضى عجلون الدمشقى . توفى فى جمادى الآخرة من سنة ٩٥٥

***

هذا ملخص ما ذكرته فى كتابي المذكور . ومنه يستفاد أن النجم بن قاضي عجلون صاحب التذكرة المنقول منهـا فى كناش آل أبي اللطف هو اما نجم الدين محمد بن ولي الدين عبـد الله (المتوفى بالقاهرة فى سنة ٨٧٦) وهذا هو الأقرب أو ابن أخيه نجم الدين محمد بن تقى الدين أبي بكر بن ولي الدين عبد الله (المتوفى بدمشق فى سنة ٩٣٥) وكل منهما يمكن أن يلاقي من سمع من البدر الدماميني (المتوفى سنة ٨٢٧) وان صاحب الفتاوي التى فى بالمكتبة الخالدية بالقدس (الذي كان حيا في سنة ١٠٢٧) ليس صاحب تلك التذكرة والله سبحانه وتعالى أعلم ؟

القاهرة — احمد رافع الطهطاوى

يوم الميدان

البرقُ هيّج منكِ الذكرَ فاهتاجي ... وناشدي جِلّقاً ما شئتِ أو ناجي

مِن الوفا أن تُريقي الدمع منسجماً ... وان تذودي الكرى عن طرفك الساجي

لمعُ الأسنّةِ هذا البرقُ مؤتلقاً ، ... وومضُهُ ومضُ وَقْدٍ ثَمَّ وهّاج

مرابعُ الشامِ اطلالٌ معطّلة ... وأرسمٌ موحشات بعد ابهاج

والغوطتان ، مثارُ النقع ، روضُهما ... ذاوٍ ، وقد كانتا الفردوس للاّجي

الباغماتُ عَراها الذعر واجمةٌ ... والصادحات نواعٍ بعد اهزاج

ذوت محاسن أرض الشام وانطمست ... أنوارُها بعد إشراق وإبلاج

مَن المعيدُ لأرض الشام بهجتها ... ومُنقذُ الشام من رقٍّ وإحراج

مهوَى العروبة ماذا حلَّ ساحتها ... وأيُّ خطب تعانيه وإزعاج

في ذمّة العُرْبِ والتاريخ ما لقيت ... وما تُصابرُ من عُجْمٍ وأعلاج

تلك العقائلُ مَنْ أدمى أناملَها ... مَن راعَ آمنَها في الحِندس الداجي

مَنْ فكَّ دُملجَها مَنْ حزَّ مِعصمها ... مَن بزَّها الثوبَ من وشي وديباج

مَن فضَّ برقعَها مَن حلَّ مئزَرها ... من ساقها حاسراتٍ بين أفواج

منقّفاتٍ ضلوعٍ خافقاتٍ حشاً ... مهشّماتٍ أنوفٍ بعد أثباج

مِن مُرملٍ تذرع البيدا وثاكلةٍ ... قد جُشمت نهسَ أقتاب وأحداج

دعِ الأيامى ترقرقْ من مَدامعها ... فمن لها بعد أبناء وأزواج

هذي المنازلُ انقاض مدمَّرة ، ... وكنَّ في منعة أمثالَ أبراج

تحت الخرائب أشلاءٌ ممزَّقة ... وفوقها قَبَسات ذاتُ تأجاج

وفي السجون غدت شيبٌ وأغلمة ... قد غلّلوها فلم تطمعْ بافراج

***

مضت دمشقُ ولم تجزعْ لنازلة ولم تقفْ موقفَ المستضعَف الراجي
وهيَّجت من بنيها للوغى أسداً من كل أروعَ ماضي العزم مهتاج
قساورٌ إن دُعوا للحرب مُسْعَرَةً مَشَوا لها بين أفراد وأزواج
هبَّت تُناضل طوراً في مهندها، وتارةً بلسان غيرِ لجلاج
واستبسلت في دفاعٍ عن حقائقها بكل ذي لِبدة للهول فرّاج
لا تنكروا في اللقا يوماً فروستها فإنها نِضو إلجام وإسراج
والحقُّ يؤخذ من حدّ السنان ولا يُعطى كاعطاء بعض السؤل والحاج
سلوا الاولى أمس جاءوها لنصرتها في أي شر رموها ثمَّ أجاج
قد أبهظوا الشعب حتى ناء كلكله وأحوجوه ولكن أيَّ احواج
لم ينجُ من شرّهم طفل ولا يَفعٌ ولا أخو هرم من شرهم ناجي
يُخال «عنترةً» فينا جبانهم ويحسب السمحُ منهم الف «حجّاج»
عدوا على الشام فاجتاحوا مآثرها وفجّعوها بعزّ الملك والتاج
الشعب دامية منه أظافرهم وعندهم أيُّ دمٍ منه ثجّاج

* * *

دمشقُ سيري الى العلياء خافقةً منك البنودُ، بتأويب وإدلاج
فقبلُ راياتك الخفّاقة افترعت هامَ الربى بين وادي السند والتاج[1]
ورفرفت فوق «سد الصين» وانبعثت الى «المحيط» فماجت فوق أمواج
لاغرو إما اصطليتِ الحربَ مكرهةً هم أخرجوك عليهم شرَّ إخراج
نشدْتِ في دمِك استقلالَ سوريةٍ وكلّ أفوهَ ثَبْتِ القول محجاج
ومَن سقى بالدم استقلالَه ينعت ثمارُه منتجات خيرَ إنتاج
رماك قادحهم بالسوء مفتريا الترب في فم ذاك القادح الهاجي

(١) وادي السند في الهند ووادي التاج في اسبانية

جريةُ الشرق بابٌ أنت مفتحهُ والقوم قد أرتجوه أيّ إرتاج

الشرق والعالَم الغربي مرتقب أن تنهجي للمعالي خيرَ منهاج

يا من غدوا ولهم في دارهم صخبٌ أضعتم الوقتَ في شغب وإضجاج

ما ضرَّكم جمع شمل في هوى وطن لجمع شمل بنيه جدّ محتاج

لا تنثنوا بعداء في مواطنكم قد قرَّبت بينكم أنسابُ أمشاج

النطقُ والعرقُ والاوطان واحدة ورحمكم من معدٍّ ذاتُ أوشاج

* * *

يا أرض جلّق حيَّاك الحيا وسقى لديك ملتفَّ غابات وأحراج

الحزنُ برَّحَ من بعد الفراق بنا وانضج القلبَ منا أيَّ انضاج

يا حبذا منكِ ريّا نسمةٍ أرجت ونفحةٍ من نسيم الواد مِئراج

وحبذا بردىٰ والماء مصطفق يجرى به بين ولاَّج وخرَّاج

البحر إزباده أفصحن عن شجنى والموج عبَّر عن شجوى وانشاجي

ما الشعر هـذا الذى ترويه قافيتى لـكنه قطع من دمٍ أوداجي

أديب التقي

شعر الاشراف

قال معاوية بن أبي سفيان لعبد الرحمن بن الحكم:

انك قد لهجتَ بالشعر. فإياك والتشبيبَ بالنساء فتعرَّ شريفة ، والهجاء فتهجن كريماً أو تثير لئيماً ، وإياك والمدح فهو كسبُ الانذال . ولكن افخر بمآثر قومك ، وقل من الأمثال ماتزين به نفسكَ وتؤدّب به غيركِ . وان لم تجد من المدح بدّاً فكن كالملك المراديّ حين مدح فجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال:

أحللتُ رحلي في بني ثُعَل إن الكريم للكريم محل

الاغاني

لا ريب أنَّ كتابي الأغاني والعقد الفريد [١] من التآليف التي لا يمكن لشاب أدركته صنعة الادب وفهم حقيقته الا أنْ يتذوق ما فيهما من نفيس الشعر الصادر عن القلب والحياة ، تلك الحياة التي نعيش في وسطها ونلهو بلهوها ونكابد آلامها وأحزانها وأثقالها وننوء تحت كابوس عاداتها وتقاليدها واجتماعها

أما الأغاني فكتابٌ جمعه أبو الفرج الاصفهاني في مدةٍ لا تقل عن نصف قرن . وهو يمثل لنا أحوال العرب قبل الاسلام وفي الاسلام تمثيلاً لا ترتيب ولا تنسيق فيه انما يستنتج دارسو التاريخ من مطالعته كثيراً من أحوال الاجتماع العربي ، الذي أهمل ذكره معظم مؤرخي العرب لاعتقادهم أن التاريخ عبارةٌ عن وقائع حربية ودماء مسفوكة ومقبرة تحوي جثث الملوك والأمراء والقواد . وغرب عن بالهم أن التاريخ لا بدّ له من البحث عن الاجتماع والفن والاقتصاد والادب والدين فلا يقتصر على السياسة والمعارك والايام والرجال . فحرم العرب لسبب ذلك المصنفات المنطقية في التاريخ الاقتصادي والادبي والاجتماعي والفني، الا ما نعرفه عفواً أو أتانا بصورة مجانية

واني ناقلٌ لك بعض ما يصف به أبو الفرج كتابه الاغاني لتتعرف على محتوياته قال « جمعَ فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الاغاني العربية قديمها وحديثها ونسبَ كل ماذكره منها الى قائل شعره وصانع لحنه . . . . واعتمد في هذا على ما وَجَدَ لشاعره أو مغنيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صُنع اللحن

(١) بعث الينا حضرة الاستاذ الكاتب بهذا المقال عن كتاب (الاغاني) وبمقال آخر عن (العقد الفريد لابن عبد ربه) وسننشر المقال الثاني في جزء تال من الزهراء

خبرا يُستفاد . . . . وآتي في كل فصل بنُتفٍ تشاكله ولمع تليق به وفقرَ اذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدةٍ الى مثلها ومتصرفاً بها بين جدٍ وهزل وآثار وأخبار وسِيَر وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام تجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الاحداث الى دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها . اذ كانت منتحلة من غُرر الاخبار ، ومنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانها ومنقولةً عن أهل الخبرة بها [١] » وقد تصدى للكتابة عن القبائل وأنسابها وعرف أخبار القيان والاماء والشواعر والخمارين والغلمان المغنين والخصيان وجمع الكثير من النوادر عن الشخصيات المتباينة في الاعصر المختلفة ، واعتني بجمع دواوين فئة من الشعراء الافذاذ كأبي تمام وأبي نواس والبحتري . وحفظ بعض الاحاديث المسندة وشيئاً من اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي والطب والبيطرة والنجوم . فترى أن الاصفهاني قد جمع لنا مادةً يقل نظيرها لو أن مؤلفاته باقية نتمتع بدرسها . واذا فاتنا قراءة تآليفه فيمكننا أن نقول ان أباالفرج لم يرو حادثة في الاغاني الا وذكر لك أسانيدها ومختلف رواياتها وهنا مجال واسع لنحكم عقولنا في المتناقضات والمبالغات وما شابهها من الاحاديث والروايات الباطلة . وامتاز الاغاني بانشائه البليغ فهو خال من التعقيد والحشو والتكلف . هذا سوى أنه تراث خالد لبيان العربية ودليل على غناها في التعبير عن خوالج النفوس وتصورات الخيال الواسع الخصب . وقال أبو محمد المهلبي في وصف الاغاني « . . فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة ، وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل زحلة وشجاعة ، وللمضطرب رياضة وصناعة ، وللملك طيبة ولذاذة » [١]

(١) راجع مقدمة الاغاني

وُلد أبو الفرج الاصفهاني حوالي سنة ٢٨٤ هـ (في خلافة المتضد بالله العباسي) باصفهان لكنه نشأ وتأدب وتثقف في بغداد مدينة السلام فاستوطنها وعُرف فيها بتصانيفه وأدبه. وهو ينتسب الى بني امية الا أنه كان يتشيع ولعل هذا ناتج عن تأثير البيئة العراقية عليه لقربها من فارس ولكثرة من يفد من الاعاجم المتشيعة على بغداد. وقد وصل سيف الدولة الحمداني أبا الفرج بالجوائز. وكذلك فعل الامويون في الاندلس فان هباتهم كانت تصله سراً جزاء تصانيفه الجياد التي كان يرسلها اليهم آناً بعد آن

اشتهر الاصفهاني بهجائه فاتقى الناس شره وحذروا لسانه المرير، ويروي ياقوت أنه «كان وسخاً في نفسه ثم في ثوبه وفعله، حتى أنه لم يكن ينزع دراعة يقطعها الا بعد ابلائها وتقطيعها، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلا ولا يطلب منه في مدة بقائه عوضاً[1]» فلما تولى أبو عبد الله البريدي الوزارة هجاه بقصيدة مطلعها:

يا سماء اسقطي ويا أرض ميدي ... قد تولى الوزارة ابن البريدي[2]
يالقومي لحر صدري وعَوْلي ... وغليلي وقلبي المعمود
حين سار الخميسُ يومَ خميس ... بالبريدي في ثياب سود
قد حباه بها الامام اصطفاء ... واعتماداً منه لغير عميد
خِلَعٌ تخلَعُ العُلى ولواءٌ ... عَقْدُهُ حلَّ عقدة المعقود

وله في الغزل شعر رقيق منه:

مرت بنا في الدير خمصانهْ ... ساحرة الناظر فتانهْ
أبرزها الذكران من خدرها ... تعظم الدير ورُهْبانه

(١) ارشاد الأريب الى معرفة الأديب ج ٥ ص ١٥٢ - ١٥٣

(٢) طالع شعره في ارشاد الاريب ج ٥ ص ١٥٢-١٥٣ والفخري في الآداب السلطانية ص ٣٨٧ - ٣٨٨

مرت بنا تخطر في مشيها كأنما قامتها بانه
هبت لنا ريح فمالت بها كما تثنى غصن ريحانه
فيتمت قلبي وهاجت له أحزانه قدماً وأشجانه

وله في المديح يصف كرم صديقه الوزير المهلبي :

ولما انتجعنا لائذين بظله أعانَ وما عنَّى ومنَّ وما منَّا
وردنا عليه مقترين فراشنا وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وهنأه بمولود فقال :

اسعد بمولود أتاك مباركاً كالبدر أشرق جنح ليل مقمر
سعداً لوقت سعادة جاءت به أمٌ حصانٌ من بنات الأصفر
متبجح في ذروتي شرف الورى بين المهلب منتماه وقيصر
شمس الضحى قرنت الى بدر الدجى حتى اذا اجتمعا أتت بالمشتري

أما تآليفه فهي كما يأتي حسبما طالعنا في الفهرست وياقوت وحاجي خليفة[1] :

٠١ كتاب الأغاني الكبير
٠٢ كتاب مجرد الأغاني
٠٣ التعديل والانتصاف في اخبار القبائل وانسابها
٠٤ مقاتل الطالبيين
٠٥ الاماء والشواعر
٠٦ الديارات
٠٧ دعوة التجار
٠٨ اخبار القيان
٠٩ المماليك الشعراء
١٠ ادباء الغرباء
١١ أخبار جحظة البرمكي
١٢ كتاب اخبار الطفيليين
١٣ كتاب مناجيب الخصيان
١٤ الأخبار والنوادر
١٥ كتاب الخمارين والخمارات
١٦ كتاب في النغم
١٧ اعيان الفرس
١٨ الفرق والمعيار في الأوغاد و الأحرار
وهي رسالة عملها في هارون بن المنجم
١٩ كتاب الديانات
٢٠ تحف الوسائد في اخبار الولائد
٢١ جمهرة النسب
٢٢ نسب المهالبة
٢٣ نسب بني شيبان
٢٤ نسب بني عبد شمس
٢٥ نسب بني تغلب
٢٦ تفضيل ذي الحجة

(١) طالع اسماء الكتب في حاجي خليفة وتتبعها ثم الفهرست ص ١١٥ وارشاد الأريب ج ٥ ص ١٥١ - ١٥٢

طبع الاغانى للمرة الاولى بمطبعة بولاق فى القاهرة عام ١٢٨٥ فى عشرين جزءاً وأكمل المستشرق رودلف برنو طبعه بنشر الجزء الحادى والعشرين فى مدينة ليدن سنة ١٣٠٦ هـ وعمل له الاستاذ غويدى الايطالي – بمساعدة بعض المستشرقين – فهارس هجائية وافية باللغة الفرنسوية طبعت فى ليدن أيضا سنة ١٣١٨ هـ. ولما أعاد طبعه الحاج محمد الساسي بالقاهرة ألحق بطبعته الجزء الحادي والعشرين ونقل له الاستاذ المفضال محمد بك مسعود هذه الفهارس الى العربية مع تحويلها الى صفحات الطبعة المصرية سنة ١٣٣٢ وهي أربعة فهارس : الاول لاسماء الشعراء ، والثاني للقوافى ، والثالث لاسماء الرجال والنساء والقبائل ، والرابع للامكنة والجبال والمياه وغيرها

ونشر اليسوعيون من كتاب الاغانى جزءين لطيفين اختارهما منه الاب أنطون صالحانى باسم (رنات المثالث والمثانى) وفيه قطع نفيسة من خير مايقرأه الطلاب وقد طبع في بيروت للمرة الثانية سنة ١٩١٨

وشرع أخيراً الاستاذ الشيخ محمد الخضرى بك المفتش بوزارة المعارف المصرية بنشر تهذيبه للاغانى مجرّداً من المكرر ومما لا يحسن وضعه بين ايدى الطلاب ومرتباً ترتيباً آخر وردت فيه تراجم الشعراء بحسب قبائلهم وقد أوشك أن ينتهي من نشره (١)

مدينة السلام — أنيس زكريا النصولى

(١) (الزهراء) – وباشرت دار الكتب المصرية طبع كتاب الاغانى طبعة معتنى بها جداً ، وقد تبرع لنفقات هذه الطبعة بألفى جنيه مصري حضرة المحسن الكريم السيد على بك راتب

وبدىء بطبع مختصر الاغاني لابن منظور صاحب لسان العرب فى مطبعتنا السلفية بنفقة السيد محمد عمر الخشاب الكتبي وهو مجرد من الروايات المكررة ومن الاسانيد ومن الاصطلاحات الموسيقية وقد رتبت فيه تراجم الشعراء على حروف المعجم

فكاهات

طه حسين في ميزان التشكيك

تحقيق شخصيته ، بطريقته

كنت جالساً ذات يوم مع صديقي الاستاذ العقاد فتذاكرنا « حديث الاربعاء » وصاحبه واستطردنا الى طريقته في البحث و « التحقيق العلمي ! » ثم الى سيرة مجنون ليلى . فقال الاستاذ العقاد :

عن أي شيء يسفر البحث ياترى لو نسجنا على منوال الدكتور فيما كتبه عن المجنون ؟ انه لا يبقي منه شيء كما لم يُبق هو شيئاً من المجنون

والحقّ أقول أن مقترح العقاد راقني ، وان نفسي ظلت تنازعني بعد ذلك أن اتولى إمضاء هذه الفكرة . فلبثت أتردد حتى لم أعد أستطيع المقاومة . وقد أقنعت نفسي بقولي لها : ان العقاد لايضيره أن أسطو على فكرة أوأفكار له ، فانه الغني من ذلك وأنا أفقر من ادعها له وان كنت أردّها بهذا الاعلان اليه

وبعد هذا البيان الذي لابد منه أقول : لنفرض أن مؤرخاً في القرن الثالث والعشرين مثلا تناول حياة الدكتور بمثل « تمحيصه وتحقيقه العلمي » فهل تكون النتيجة الا كما يأتي : —

« يزعمون أن رجلا اسمه الدكتور طه حسين عاش بمصر في أوليات القرن العشرين وانه صاحب هذه الكتب المختلفة التي نسبوها اليه ونحلوه إياها . ولكن كل ما اطلعت عليه مما يعزى له يحملني على التردد بين رأيين : أحدهما أن يكون هناك اناس كثيرون يتسمون « طه حسين » وثانيهما أن يكون هذا اسما استعاره فرد أو عدة أفراد لما كتبوه ونشروه . ذلك انه — على ما روي — أزهري النشأة والأزهر هذا جامعة اسلامية كبرى يلبس طلابها الجبة والقفطان والعمامة أو

ما يماثل ذلك من ثياب العامة في ذلك الوقت مما نجد نماذج منه في المتاحف ، فهو على هذا « شيخ » . ويقولون انه كان في صدر أيامه هذه يكتب في صحيفة يومية اسمها (الجريدة) ولكني راجعت مجموعة هذه (الجريدة) في دار الكتب فالفيت أحد أدباء ذلك العصر واسمه « عبد الرحمن شكري » يسميه « طه افندي حسين » في مقال له . وهو مالا سبيل الى حمله على أنه خطأ أو زلة قلم لان الفرق بين الافندي والشيخ كان من الوضوح والاختلاف في التعلم والنشأة والوسط والزي هو من الشدة بحيث لا يعقل أن يقع الخلط بينهما . فهل طه افندي حسين هو عين الشيخ طه حسين ؟ ولا شك أن شكرى كان يعرف المعنىّ (بطه افندى حسين) فقد كانت بينهما ملاحاة يدل على ذلك قصيدة نشرتها الجريدة بامضاء « طه حسين » مطلعها :

قل لشكرى فقد غلا وتمادى   بعض ما أنت فيه يشفي الفؤادا

وأحر بمتهاجيين أن يعرف كل منهما صاحبه وأن لا يجعله (افندياً) وهو شيخ . ومما هو خليق أن يضاعف الشك في انهما شخص واحد أن الشعر لم يكن من أدوات الشيخ طه حسين وان ناشرى كتبه ومترجمي حياته لم ينسبوا اليه بيتاً واحداً

ويعزي الى طه حسين ولا أدرى أيهما ؟ مقال بل عدة مقالات في الجريدة يدعو فيها الى تغيير الهجاء ورسم الكلمات . فهل كان الداعي الى هذا والملحّ فيه الشيخ طه أو طه افندي ؟ أما الشيخ طه فكان على ما يقولون مكفوف البصر وكان فى ذلك الوقت لايزال طالباً بالأزهر . ومن المعلوم أن طلبة الازهر كانوا من (المحافظين) ومن أشد طبقات المتعلمين استنكاراً للبدع ونفوراً من أصحابها

زد على ذلك أنه ضرير . وما اهتمام الضرير برسم الكلمات ؟ ! ! ماله ولهذا وهو لايعانيه ولا يكابد صعوباته ؟ ! ! ان الاهتمام لذلك والتحمس له أحق

بان يكونا من رجل يكابد الكتابة بنفسه لا من كفيف ما عليه الا أن يملي . وهو على كل حال خاطر أولى به أن يجري ببال مبصر لا ضرير ، فالارجح في الاحتمال والاقرب الى المعقول أن هناك شخصين اسم كل منهما « طه حسين » واحدهما افندي مبصر يقول الشعر ويدعو الى تغيير الهجاء والثاني شيخ ضرير يكتب في الأدب

والآن من هو الدكتور طه حسين صاحب « حديث الأربعاء » ؟ أهو الشيخ أم الافندى ، أم هو لا هذا ولا ذاك بل شخص ثالث ؟ ؟ اما انه أحدهما فاني أقطع بنفيه . وحسبك الفرق بين اسلوب هذين واسلوب ثالثهما . وسننقل لك فقرات تريك من التباين ما لا يدع مجازاً للشك في أن الكتّاب عديدون :

قال الشيخ طه حسين في كتابه ذكرى أبي العلاء « كان أبو العلاء يحرص أشد الحرص على أن يخفي نفسه على القارىء في بعض رسائله ولكن شخصه كان يابى الا الظهور . وكان يلقي بينه وبين القارىء استاراً صفيقة من غريب اللفظ ، وحجباً كثيفة من ثقيل السجع ، ويقيم حوله أسواراً منيعة من المباحث اللغوية والصور الدينية ، ولكن عواطفه الحادّة تأبى الا أن تخترق هذه الموانع كافة لتصل الى قلب القارىء فتترك فيه ندوباً لدغات الجمر أخف منها وقعاً وأهون منها احتمالا »

وهو أسلوب لا شذوذ فيه كما ترى . ولكن اقرأ الآن الفقرة الآتية من كلام (الدكتور) طه حسين في نفس الموضوع والمعنى قال « ذلك أن أبا العلاء كان – كما تعلم – من أشد الناس ايثاراً للغريب وتهالكا عليه . ثم كان أبو العلاء الى هذا – فيما أعتقد أنا – يتكلف الغريب ويتعمده ليصد عامة الناس وجهالهم – سواء في ذلك العلماء وغير العلماء – عن قراءته والظهور على ما فيه . وكأن أبا العلاء كان لا يكتب لعصره ، وكأنه كان يحس أن عصره خليق ألا يكتب

له ، وكأنه كان يكتب لهذا العصر الحديث الذي نحن فيه وللعصور التي ستليه ، وكانه كان يخشى على آثاره الادبية أن يفهمها أهل زمانه فيفسدوها ويشوهوها ويحولوا بيننا وبين فهمها ، وكانه انما أقام من الغريب وقواعد النحو والصرف والعروض والقافية طلاسم وارصاداً شغل بها أهل عصره عن هذا الكنز حتى لا يصلوا اليه وحتى تسلم لنا نحن خلاصته ، فنترك للقدماء نحوهم وصرفهم وغريبهم وعروضهم وقوافيهم ، ونفرغ لخلاصة هذا الكنز من فلسفة في الخلق والجماعة والدين »

ثم اقرأ للشيخ طه حسين قوله من ذكرى أبي العلاء أيضا « من قرأ رسالة الغفران وأراد أن يفقه معناها حق الفقة احتاج الى دقة ملاحظة ، وحذق فطنة ، وبعد نظر ، ونور بصيرة ، والى أن يدرس روح الكاتب فيحسن درسه ويعرف أغراضه فاذا لم يوفق الى ذلك مرت به رسالة الغفران وهو يظنها من أقوم كتب الدين »

وقس هذا الى ما كتبه (الدكتور) :

« أراد أبو العلاء أن يتفكه وأراد أبو العلاء أن ينقد وأراد أن يكفر وأراد أن يؤمن ولست أحتاط في لفظ ولا أتحرج من معني وانما اريد أن أكون حراً فيما أفهم وفيما أقول فالحرية وحدها هي السبيل الى فهم أبي العلاء .وقد أراد أبو العلاء هذا كله ، أرادأن يتفكه فتفكه الى غير حد ، وأراد أن يكفر فكفر بغير حساب ، وأراد أن يؤمن فآمن في غير شك . أراد هذا كله ووفق الى هذا كله أحسن توفيق الخ »

وانما أكثرت من المقتطفات ليتيقن القارئ أن الكاتبين شخصان مختلفان ولا عجب أن يكونا كذلك فان الاسلوب صورة من النفس . وهكذا صار عندنا من المشتركين في حمل هـذا الاسم ثلاثة أشخاص متباينين : شيخ ،

وافندي ، ودكتور

ويظهر أن هناك أكثر من دكتور طه حسين واحد . ففي بعض المقالات المعزوّة الى المتسمى « الدكتور طـه حسين » تنويه بأن كاتبها كفيف ، وفي البعض الآخر ما يفيد أنه مبصر : فهو يقول « قرأت ، ورأيت ، وشهدت » وما الى ذلك من الالفاظ الدالة على الرؤية ، ويصف لك بعض المشاهد لا تخيلا بل كما هي كائنة . مثال ذلك بعض رسـائل بعث بها من فرنسا وفيها يصف مناظر البلدان ، ومقالات عن روايات شهد تمثيلها ولم يقتصر في كلامه عنها على تناول القصة بل جاوز هذا الى التمثيل والاداء . ومما يؤكد هذا التعدد أيضاً أن لاحد هؤلاء الدكاترة ـ فانهم على ما يبدو لي كثير ـ أبناء يسميهم أسماء أفرنجية [١] . وان الصحف المحفوظة في دار الكتب مختلفة فبعضها يقول الشيخ طه حسين والبعض يذكر الدكتور طه وواحدة تزعمه استاذاً في الجامعة واخرى صحفياً . ومعروف أن قوانين ذلك العصر لا تجيز أن يكون المرء موظفاً في جامعة أميرية وصحفياً في الوقت عينه . وأحد هؤلاء الدكاترة كان مولعاً باللاتينية واليونانية ، وكان يلح على وزارة المعارف أن تدرسهما في المدارس الثانوية ولا يكاد يتفق ذلك مع الصبغة الازهرية الاولى . أضف الى ذلك أن (الشيخ طه حسين) كان ذا لحية وان دكتور الجامعة أو الصحفي كان أفنديا حليقا . فالامر كما ترى لا يعدو إحدى اثنتين : أن يكون هناك أشخاص عديدون بهذا الاسم وهو غير محتمل ، أو أن يكون هذا الاسم مستعاراً وهو الارجح . »

* * *

وبعد فكيف يرى القراء هذا المنطق ؟ أليس مهلهلا واهن الاركان متداعي

(١) للدكتور طه حسين ولدان ، أحدهما أنثى سماها (مرغريت) والآخر غلام سماه بأحد أسماء الافرنج أيضا

البنيان ؟ نعم هو كذلك بلا نزاع ! ولكنه ليس أوهى من منطق الدكتور ....
ولقد أردنا أن نثبت بهذا التطبيق أنه ما هكذا يكتب التاريخ ، ولا من هذا النحو يكون « التعمق فى البحث والالحاح فى التحقيق العلمي » . وانه اذا كان مجرد التضارب فى الروايات والعجز عن التوفيق بينها يكفي لمحو رجل من الوجود [1] فقد صار ذلك سبيلا لانكار كل شيء

ولقد تعمدنا فيما أوردنا أن نسوق أشياء من هنا وهنا ، وأن نهمل الصلات الكائنه بينها . لان كثيرا من حلقات السلسلة يسقط مع الزمن ، ولان هذا على الارجح هو كل ما يبقى معروفاً عن المترجم له بعد قرن أو قرون . وهل فى تراجم العرب مثلا أكثر من هذا ؟ هل يعرف أحدنا عن شاعر أموي أو جاهلى ما هو أوفى أو أشد اتساقا مما أوردنا من حياة الدكتور ؟ كلا ! فاذا كان الدكتور طه يبيح لنفسه أن ينكر وجود المجنون اعتماداً على التضارب فى الروايات ونقصها وتشويهها فقد أضاع الدكتور نفسه والله ! وشبيه بهذا أن يختلف شهود حادثة فننكر وقوعها

الميزان ابراهيم عبدالقادر المازنى

﴿ التقليد فى الزندقة ﴾

روى أبو عثمان الجاحظ في رسالة (أخلاق الكتّاب) قال :

« وقد قال أهل الفطن : ان محض العمى التقليد في الزندقة ، لانها اذا رسخت في قلب امرىء تقليداً أطالت جرأته ، واستغلق على أهل الجدل إفهامه »

(١) يشير الى انكار طه حسين وجود مجنون ليلى

نكبة دمشق

دمشقُ أصاب أهلكِ أي كرب عظيم تقشعرُّ له الجلود
عليك جنى التمدنُ أى ذنبٍ جنيت فقاسيون له عميد
أبحتِ وقيل ان حماك أرضٌ على حال تذلُّ به الاسود (١)
رمى المستعمرون حماك حتى ذوى الخضرُ واحترق الحصيد

* * *

ديارَ بنى أمية أين تاجٌ وأنّى منهمُ عرش وطيد ؟
وغرٌّ من أمية واضحات وجوههم ، تحف بهم جنود
ملوك للعروبة فى حماهم إذا حكموا الورى كرمٌ وجود
خلائف من ذؤابة عبد شمس رعى تاريخهم صيتٌ بعيد
لهم في الدهر أيام عظام بهنّ حوادث التاريخ صيد

* * *

ديار بني أمية مَن هشام ؟ ومن عمر بها ومن الوليد ؟
بها تاجٌ أناف علي قريش علىً فلذكرها شرفٌ مجيد
مضيءٌ من جوانبه محاط بتيجان على الدنيا تسود
بحيث الملك يحرس جانبيه بنو حربٍ فتهجم أو تذود
أعاريب تمتُ الى نزارٍ بنسبتها وتخلصها الجدود
لهم قدم الفخار وليس ينسى طريف فى المكارم أو تليد

---

(١) يشير بذلك الى قول بعضهم :

عرِّج ركابك عن دمشق فانها بلد تذل له الاسود وتخضع
ما بين جابيها وبين بريضها قمر يغيب والف شمس تطلع

فهم فتحوا البلاد ومهدوها على عدل ، فحكمهم الحميدُ
أضعنا من ورائهم تراثا بناه أبو يزيد أو يزيد

* * *

دمشق ألمت النكبات فيها فكل فتى حريبٌ أو طريد
أيامى ينتحبن الى يتامى فما للدمع في عين جمود
جنان من دمشق غدت جحيما سحائبها من البارود سود
لمن تصفو الحياة وفي دمشق وغوطتها ملمّات تؤود
صلا المستعمرون بها ضراماً له جثثٌ وهاماتٌ وقود
وسوف يسجّل التاريخ يوماً لهم ببلائه عارٌ جديدُ
سطا جيش الزنوج على عتاق قد ابيضّت لهم كرماً جلود
كأن دمشق لم يدفق نميراً بها بردى ولم يخضرَّ عود

* * *

تمدُّ اليكم يدها دمشق فلا يزعجكم عنها صدود
وتسألكم إغاثتها وحتم على الكرماء حتم أن يجودوا
وإنَّ بها لابطالا أباة متى يروا المنون فلن يحيدوا
تجافوا عن مضاجعهم وقالوا ألا لاحبّذا العيش الرغيدُ
بقيةُ أمة ، والبيض تبقى برونقها ولو تبلى الغمود
وتجمع بيننا لغةٌ ودينٌ وأجداد كرام العرق صيد
ومن حق الجوار بأن توقّى محارمُه وتحتفظ العقود
أمدّوهم بأرواح ومال وزيدوا فى اعانتكم وزيدوا
نضمّد جرح أفئدة أصيبت بآلام تشقّ لها الكبود
حقوق بيننا وجبت ومن ذا يروغ عن الحقوق به الجحود

أإن طلبوا من الافرنج حقاً ... تراهم في السجون وهم عديد

أإن طلبوا من الافرنج حقا ... ترى أكات رقابهم القيود

على الحرية اقتتلوا وماتوا ... وكلٌّ عند غايتها شهيدُ

سلام يادمشق عليك منا ... اذا هجمت بساحتك الجنود

سلام كلما نشبت حروبٌ ... كأن صدى مدافعها رعود

سلام يذهب الشكوى ويشفي ... فؤادك منه نافحة برود

بغداد :- محمد الهاشمي

قصر الحمراء

قال أمير البيان الامير شكيب أرسلان في كتاب (أناتول فرانس في مباذله) ص ٤٩ :

قصر الحمراء – الذي هو من مفاخر الحضارة العربية الباهرة الآثار ، بل من مفاخر الدنيا – لا تزال السياح من أطراف العالم تقصده الى اليوم

وهو في الحقيقة عدة قصور يكاد يكون بجملته مدينة

ومركز الحمراء على رأس ربوة مشرفة على غرناطة ، ووراءها (جنة العريف) التي يقول لها الافرنج برطانتهم (جنراليف). وهو قصر تحفُّ به حدائق وجنان فيحاء

وفي الحمراء عدة قاعات تأخذ بالابصار ، أشهرها قاعة الاسود التي فيها اثنا عشر اسداً ، وقاعة بني سراج

وأوّل من بني الحمراء محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر سلطان غرناطة .وسميت بالحمراء نسبةً الى هذ البيت المنسوب الى الخزرج من الانصار .

ويقال ان بناءه انتهى في سنة ١٣٣٨ م (٧٣٩ هـ)

حمة جدر

اقتنيت أمس الجزء الاول من كتاب مسالك الابصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري الذي أخرجه للناس العلامة أحمد زكي باشا بطريق دار الكتب المصرية فأخذت اقلب فهرسه ولم أكد أصل الى ذكر نهر الاردن حتى وقفت وقفة المرتاب عند حمة جدن وظننت أن ذلك من سهو الطابعين فرجعت الى أصل الكتاب « صفحة ٨٢ » فاذا هي جدن أيضاً فاعتقدت أن هناك تصحيفاً لم ينتبه اليه صديقنا العلاّمة المحقق المعروف ببعد غوره وزخارة بحره . أما الحمّة التي ذكرها المؤلف فهي حمّة جدَرْ لا جدن ونظنّ أن الراء لمّا وضعت عليها علامة السكون قُرئت نوناً لوجود الشبه بينهما

انّ جغرافيّي العرب لما ذكروا هذه الحمّة لم ينسبوها الى جدر فالمقدسي [1] قال : وفي هذه الكورة ماء مسخّن يسمّى الحمة حارّ من اغتسل فيه ثلاثة أيام ثم اغتسل في ماء آخر بارد . . الى آخر العبارة . وقال ياقوت [2] : وأما التي من عجائب الدنيا فهو موضع في أعمال طبرية شرقي قرية يقال لها الحسينية في واد وهي عمارة قديمة يقال انها من عمارة سليمان بن داود وهو هيكل يخرج الماء من صدره وقد كان يخرج من اثنى عشر عينا كل عين مخصوصة بمرض الخ

لذلك نجد بعض العذر لصديقنا الباشا في عدم المامه بخطأ النسخ الذي تسرّب الى ناسخ الكتاب بين الراء والنون

ونحن لولا أنّنا أنعمنا النظر في أمر هذه الحمّة التي غشيناها غير مرة للاستشفاء ونقّبنا عنها في بطون الدفاتر والاوراق لما كنا اهتدينا الى اسمها ولعلنا ننشر ما عرفناه عنها في الزهراء متى سنحت لنا فرصة اخرى

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم صفحة ١٨٥

(٢) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٣ ص ٥٠٩ طبع مصر ج ٦ ص ٢٣

أما جدر أو وادي جدر فقد وردت في أشعار العرب مقرونة بالخمرة ، قال أبو ذؤيب :

فما ان رحيق سبتها التجا ر من اذرعات فوادى جَدَرْ

وقال الاخطل :

كأنني شاربٌ يوم استبدَّ بهم من قرقفٍ ضمنتها حمص أوجَدَرُ

والعجزمن هذا البيت قد ورد في كتاب مسالك الابصار على الوجه الآتي : «عتقتها حمص أو جذر » بالذال المعجمة . وذلك في ج ١ ص ٣٢٨ وفي ديوان الأخطل بالدال المهملة كما في معجم ياقوت

وكانت قاعدة جدر احدى كور الاردن الثلاث عشرة [١] في القرن الرابع الهجري ثم أصبحت بلدة من بلاد الشام في القرن السادس [٢] ثم أضحت قرية خاملة الذكر ذكرها ياقوت الحموي [٣] بقوله « وقيل جدر قرية بالاردن » وأمست اليوم وهي أحقر شأنا وأقل سكانا من كل زمن وتعرف بام قيس أو ام كيس وفيها البنايات الرومانية القديمة بينها ملعب متقن الصنع حسن الوضع

أما الذي هدانا الى أن هذه الحمة تدعى بحمة جدر فهو ماذكره عنها بطريق العرض شيخ الربوة اذ يقول [٤] : « ويخرج من حمامات طبرية مياه سخنة مالحة من العجائب في سخونتها ثم في نهر يصبّ في بحيرة لوط ويخرج من الحمة التى بقرية يقال لها جدر وفي هذه العين منافع كثيرة لأمراض كثيرة في الناس ، يخرج من الحمة نهر كبير يلتقي هو والخارج من بحيرة طبرية الى مكان يقال له

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٧٨ (٢) الجبال والامكنة والمياه للزمخشري ص ٣٧ (٣) معجم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٤٠ . طبع مصرج ٣ ص ٦٦ (٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ١٠٨

المجامع [1] في الغور ويصيران نهراً واحداً » .

وفي مكانين متقاربين من المجامع جسران مبنيان بالحجر البركاني الأسود. فالذي الى يسار الخط الحديدي يتألف من قنطرة كبرى وثلاثة منافذ في الطابق الاول الذي يغمره الماء وستة منافذ في الطابق الثاني الذي يصل الماء اليه عند اشتداد الامطار وطغيان المياه في أيام الشتاء وفي سطحه انحدار من الجانبين والذي الى يمين الخط يتألف من ثمانية منافذ تختلف في الكبر والصغر وهو مستقيم السطح وذو طابق واحد

هذه هي حمة جدر الواقعة في سفح وادي اليرموك وبجوار قرية « جدارو » المعروفة منذ أيام اليونان

حيفا عبد الله مخلص

ما أتخوفه على الكاتبات

قال الاستاذ جبر ضومط (في مجلة منيرفا ٤ : ٣٤) :

أخوف ما أتخوّفه على الكاتبات أن يكثر عددهن كثرة تخرج بهن عن طور الامهات وربات البيوت ومربيات المجتمع الى عاملات فيه . وأقلّ ما أخافه أن يصلن الى ما وصل اليه أهل الكتابة والادب في أيام خلت ، وينشدهن لسان الحال ـ أو لسان المقال ـ ما أنشده عن نفسه الاديب الاول حيث قال :

فلو خبرتمْ حَسَبي ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب
لما اعتراكم شبهة في أن دائي أدبيَ
فليت أني لم أكن أُرضعت ثدي الادب
فقد دهاني شؤمه وعقني فيه أبي

(١) هذا المكان يسمى اليوم بجسر المجامع وعليه محطة سكة الحديد بين حيفا وأذرعات (درعا) والمحطة واقعة في الكيلو متر ٧٦ من حيفا وتعلو سطح البحر ٢٣٨ متراً

الشرق والغرب

قال الكاتب الاكبر الامير شكيب ارسلان في مقدمة كتاب (أناتول فرانس في مباذله) :

لم يعهد التاريخ دوراً من الادوار خلص من علاقة الشرقيين بالغربيين، وخلطة الغربيين بالشرقيين، ونسْخ كل فريق عن الآخر ، واقتباس هذا من ذاك : أخذاً ورداً ، وجزراً ومداً ؛ حتى في أعرق الادوار في القدم وأوغل الاطوار في الظلَم

وقد عم هذا التحاكُّ جميع أحوال الحياة ، وأركان العمران : من التجارة ، الى السياسة ، الى الصناعة ، الى الثقافة . فكما تناقلوا فيما بينهم البضائع والمتاجر ، فقد تناقلوا الحِكم والخواطر . وكما حمل بعضهم الى بعض المهن والصناعات ، فقد حملوا الاختراعات والبراعات . وكما تسلط منهم الاشجع على الاجبن ، والاشكُّ على الاعزل [1] ؛ فقد تسلط الالحن على الالكن [2] والاعلم على الاجهل

واذاً الأخذ والعطاء بين الشرق والغرب قديمان منذ طلعت الشمس وولي اليوم الامس ، لم ينحصرا في الامور المادية والحوالات المالية والآثار اليدوية ، بل شملا الامور المعنوية والمسائل العقلية والشئون الاجتماعيـة . وما ترقت في سلَّم الاجتماع أمة في شرق ولا غرب الا كان الآخر عيالا عليها ، جاداً محاكاتها ومتحسراً على مناغاتها . فقد أخذت يونان عن مصر ، وأخذت بغداد عن يونان، وأخذت أوربة عن الاندلس، ثم أخذ الشرق في جدته الاخيرة عن أوربة . إلا أنه لم يعرف التاريخ فيما مضى ـ أى قبـل ظهور الآلات البخارية والكهربائيـة ـ دوراً أثت [3] فيه العلائق بين الشرق والغرب، وارتفعت

(١) الاشك : لابس السلاح التام . والاعزل : من لاسلاح معه
(٢) الالحن : الافطن والافصح . والالكن عكسه (٣) كثرت والتفت

فيه الحواجز على البعد والقرب ، وتشارك فيه الناس في تناول كل مادي ومعنوي ، كما في هذه الايام الاخيرة التي ألقى فيها الغرب بجرانه السيامي على الشرق ، ورأى الشرق أن لا قبل له بمناهضة الغرب على وجه كافل لنجاحه إلا بان يقاتله بسلاحه . فاضطر الشرق اذاً في أن يأخذ عن الغرب طوعاً أو كرهاً — والضعيف مولع بتقليد القوي — كلَّ مايتسنى له أخذه من أسباب المدنية ، كأداة الحرب والمتاع والماعون والعلم والحكمة والقانون ، مجتهداً في أكثر الاحيان أن يضمّن هذه العلوم ألسنته الذليقة ، ويطبع بهـا مدنيته العريقة ، ويلقي على غرابتها ديباجته الشرقية ، احتفاظا بقوميته واعتصاما بأنانيته . لان كل أمة نسيت أصلها ، ونبذت قديمها ، وفرحت بجديدها ، وأنكرت رميمها ، فاحر بها أن تكون أمة ساقطة عن امم ، وأن تعد خلطاً لاتعرف من بين الامم

﴿ الافراط ﴾

لا تظلم الشيء اطراء وتنويهـا ... لحاجة أنت في التنويه تنويها

فالعدل ان راح للاشياء يذكرها ... فليس يذكرها الا بمـا فيها

وإن ذممت من الانسان مكسبة ... فاقصدْ لعلك بعد اليوم تطريها

وأكثر الناس يغلو في مقالته ... — إن راح ينعت — تنقيصا وتنزيها

فرب مادح شيء لا يزال به ... حتى يؤلهه في النـاس تأليها

وعائب رجلا ما انفك يظلمه ... حتى يشوهه بالعيب تشويها

كيف السبيل التي نيل الحقائق والا ... إفراطُ في الذم والاطراء يخفيها

لا أحسب الناس تهديهم عقولهم ... الى الحقيقة والاهواء تعميها

هل كان في الناس ذو عقل بصيرته ... لم يغشها غرض الدنيا فيعميها ؟

أم في التواريخ تاريخ بلا غرض ... يجلو الحقيقة في أجلى مجاليها

يالهف نفسي متى ترى الحقائق لا ... تُكسى من الناس تلبيسا وتمويها ؟

الجزائر ... محمد السعيد الزاهري

الكتابة الدقيقة
وغرائب اخرى في الكتابة

ـ استدراك على مقالة الصديق الجليل العلاّمة زكي باشا [1] ـ

أمّا الكتابة الدقيقة فقد وقفت على خبر أربعة آخرين من أقطابها البالغين فيها الغاية القصوى من الاتقان . ولو لا غيبة بالريف استغرقت أيام الشهر وعجلة حملت عليها الرغبة في نشر هذا الاستدراك بهذا الجزء من الزهراء الغراء لضممت اليهم اثنين ذهب عن الذاكرة موضع ذكرهما ولم يتسع الوقت للبحث عنهما ، فأرجأت خبرهما الى الجزء التالي مجتزئاً الآن بما تيسّر عمّا تعذّر :

(الأول) من الاربعة جواد بن سليمان بن غالب اللخميّ الملقّب بعز الدين ابن أمير العرب المتوفى سنة ٧٥٦ والمنتهي نسبه الى النعمان بن المنذر . كان من البارعين في فنون كثيرة منها الخطّ المنسوب وكتابة المصاحف والهيا كل المدوّرة والخياطة والتطريز والحدادة والنجارة الدقيقة والتطعيم ونقش الفولاذ وغيرها كما كان بارعاً في اللعب بالرمح ورمي النّشاب . وأمّا عمل الخواتيم ونقشها واجراء الميناء عليها فكان لا يلحق فيه . قال الصفدي « لم ير من أتقن الكتابة المنسوبة في السبعة الاقلام ولا من أتقن الصنائع التي يعملها بيده مثله لانه غاية فى التحرير والاتقان »

ومن بدائعه في الكتابة الدقيقة كتابته مصحفاً مضبوطاً بالشكل يقرأ فى الليل ، وزنه أوقية بالمصريّ جلده من ذلك خمسة دراهم

ومنها كتابته آية الكرسيّ على حبة أرز

(١) انظر الزهراء ج ٢ ص ٥٣٦ .

وعمل زرّ قُبْع [١] لابن الامير تنكز انتق عشرة قطعة وزنه ثلاثة دراهم يفكّ ويركّب بغير مفتاح وكتب عليه ـ حفراً مجري بسواد ـ سورة الاخلاص والمعوّذتين والفاتحة وآية الكرسيّ وغيرها يقرأ عليه ذلك وهو مركب . ومن داخله أسماء الله الحسنى لا يبين منها حرف واحد الى حين يفكّ . وجعل لمن يفكه ويركبه مائة درهم فضةً فلم يجد من يستطيع ذلك . انتهى ملخّصاً من الدرر الكامنة والمنهل الصافي

(والثاني) اسماعيل الناسخ المعروف بالزُمُكْحُل بضم الزّاي والميم وسكون الكاف وضمّ المهملة ثمّ لام . قال عنه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة « انتهت اليه رئاسة الكتابة بقلم الحاشية وقلم الغبار حتى كانت كتابته الخط الدقيق الى الغاية لا يطمس واواً ولا ميا فلم يدانه أحد في ذلك حتى كان يكتب سورة الاخلاص على ارزة وكتب من المصاحف اللطاف شيئاً كثيراً وخطه في غاية الحسن مرغوب فيه مات سنة ٧٨٨ » .

(والثالث) أحمد بن مسعود بن خليفة المكي وكان قدم القاهرة وأقام بها ثم عاد الى مكة فتوفي بها سنة ٨٦٥ . ترجمه السخاويّ في الضوء اللامع فقال فيه : نعم الرجل عقلاً وفضلاً وسكوناً . وقال عن براعته في الكتابة الدقيقة « وبرع في التذهيب والكتابة وفاق في تدقيقها ، بحيث كتب الاخلاص على ارزة ، مع مشاركة في العربية وغيرها من الفضائل » .

(والرابع) كاتب اسمه محمد ذكر الاسحاقي خبر ارزة كتب عليها سورة العصر والكوثر والاخلاص مع البسملة في أوّل كل سورة وشاهدها هو بنفسه

(١) القبع يطلقه مولدو ذلك العصر على غطاء خفيف للرأس يشبه (الطاقية) والمعروف في اللغة القبعة بالضم وتشديد البـاء المفتوحة . ويريدون بالزر الهنة الناتئة في وسطه من أعلاه وقد تجوز المصريون فسموا ذؤابة (الطربوش) زراً لانها منوطة بتلك الهنة التي في أعلاه . والمفهوم من العبارة أن بعض الاقباع كانت تتخذ أزرارها من المعادن تركب فيها لتكون كالحلية لها .

فقال عنها في تاريخه « وقد شاهدت في سنة ٩٩٦ أعجوبة لا بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهو أن شخصاً يدعى الامير سليمان بن أحمد بن ازدمر المشهور بالأخرس الجركسيّ الأصل وهو من أعيان عسكر مصر حضر الى محكمة منف وأبرز من يده حبة ارز مكتوب عليها ما قرأته وهو « بسم الله الرحمن الرحيم والعصر انّ الانسان لفي خسر الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوا بالحقّ وتواصَوا بالصبر . بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر انّ شانئك هو الابتر . بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . كتبه محمد سنة ٩٩٤ » [1] وشاهد ذلك قضاة المحكمة المذكورة وشهودها وما من شخص منهم الا وقرأ ذلك مرّة أو مرتين وأما مؤلف هذا التاريخ فانه قرأ ما على الارزة أكثر من ثلاث مرّات وتأمل حروفها تأملاً شافياً وشاهد جرّة كل بسملة والكافات المبسوطة واسم الكاتب والتاريخ المكتوب بالأحمر وكتب فى خصوص ذلك محضر ورقم به شهادة من شاهد ذلك ورآه . فرحم الله كاتبها وعفا عنه بمنّه وكرمه . فانظر يا أخي كيف يلمّ التراب مثل هذه الانامل فانّ من سمع ولم يشاهد فربما يداخله الشكّ ويجول فكره ويقول كيف يتصوّر ذلك »

﴿ الكتابة بالقصّ ﴾

وأمّا الكتابة بقصّ الورق فكان من البارعين فيها جواد بن سليمان اللخميّ المتقدّم ذكره . قال ابن تغري بردي فى المنهل الصافي نقلاً عن الصفديّ إنه كتب مرّة لاميّة العجم قصّاً في غاية الحسن

وأنشد المقّري فى نفح الطيب لابي محمّد عبد الله بن الحسن الانصاريّ

(١) كذا بالنسخة المطبوعة من تاريخ الاسحاقي المسمى بلطائف أخبار الاول . والذي في نسخة مخطوطة منه تقديم سورة الكوثر على العصر .

القرطبي فيمن يكتب في الورق بالمقص قال وهو غريب :

وكاتبٍ وشيُ طرسه حِبَرٌ (١) لم يَشنها حِبره ولا قلمه
لكن بمقراضه ينمنمها نمنمة الروض جاده رِهَمه (٢)
يوجِد بالقطع أحرفاً عدمت فاعجب لشيء وجوده عدمه

وقد أورد المحبي في كتاب ما يعول عليه هذه الابيات في كلامه على (نمنمة الروض) وأعقبها بقوله « قلت والمشهور في القص المذكور فخري الرومي وبه يتمثل في دقائق هذا الفن ويذكر في أعاجيب أرباب الفنون » والذي يفهم من الابيات أن هذا النوع من الكتابة لم يكن بالقص والالصاق بل كان من قبيل صناعة (التخريم) أي بعكس الذي ذكره الاستاذ زكي باشا . وقد احتال به كبير الاسماعيلية على اظهار حروف من نور تظهر ليلا كأنها قائمة في الهواء روى ذلك شيخ الربوة في نخبة الدهر ولكنه لم يذكر اسم هذا الكبير ولا الحامل له على هذا الاحتيال ولعله كان التغرير بالسذج من شيعته باظهار الخوارق ففي آخر العبارة ما هو كالتلميح لذلك ونصها : « ومن حيله أيضاً أنه كان يصنع صندوقاً مربعاً مستطيلاً من الكاغد ملصوقة صفحاته بالورق بعض على بعض بحيث يكون سمكه يحجب الهواء ويستر من النور في الليل فاذا طبقه من جهاته الست فتح فيه من سائرها صورة كتابة بمقص يقرضها قرضاً بحيث يبقى فرد طاق من الورق لم يقرض ثم يدهن الذي لم يقرض بشيرج حتى يغطي النور ثم يجعل في الصندوق سراجاً فتظهر الكتابة أحرفا نورانية يقرؤها الناظر عن بعد في الهواء بعد تعليقه الصندوق على رأس رمح أو على مكان عالٍ ولا يعلقه الا بالليل فيخيل لمن يراه على بعد أنه كتابة نورانية ويطبقه بالنهار ويخبئه »

---

(١) الحبر بكسر ففتح جمع حبرة لضرب من برود اليمن موشى

(٢) الرهم بكسر ففتح جمع رهمة بكسر فسكون وهي المطر الضعيف الدائم الصغير القطر

﴿ غرائب أخرى ﴾

ذكر ابن طولون في (ذخائر القصر) من غرائب السرعة في الكتابة انّ زين الدين منصور بن أحمد الدمشقيّ الشافعيّ كان يكتب سبعين سطراً في مشقة واحدة[1] وكان يفخر بذلك . وانّ الشيخ شرف الدين القنائيّ كان سريع الكتابة وثبت عند قاضي قنا أنه كتب في مَدّة[2] واحدة مائة سطر ونقل عن الادفويّ أنّه قال عنه في الطالع السعيد بلغني أنه كتب بمدّة واحدة ثلاثمائة سطر انتهى . قلت ويكاد العقل لا يصدّق بذلك . وشرف الدين المذكور هو القاضي محمد بن أحمد بن ابراهيم الشافعيّ المتوفى سنة ٦٩٢[3] وعبارة الطالع السعيد عنه « وكان سريع الكتابة ثبت عند قاضي قنا أنه كتب بمدّة واحدة مائة وعشرين سطرا في البيت الاوّل من قصيدة الحصريّ :

يا ليل الصبّ متى غده أقيام الساعة موعده

وبلغني من جماعة أنه انتهى في الكتابة بمدّة واحدة الى ثلثمائة سطر أو ما يقرب منها »

ومن غريب ما رأيته مسطوراً عن الكتابة ما ذكره ابن طولون أيضاً في ذخائر القصر قال « قدمت امرأة القاهرة في سنة ستّ وسبعين وخمسمائة عديمة اليدين وكانت تكتب برجليها كتابة حسنة فحصل لها مال جزيل من الملوك والخوندات فقال العماد الكاتب في ذلك وقد أنستْ ذكره :

أُخملتُ في مصر ومن يلتمس غناه في غربته يخمل

(١) المشق في اللغة سرعة الكتابة ، وفي شفاء الغليل خط فيه خفة . ولكن الظاهر أن المراد بالمشقة هنا امرار القلم بمدة واحدة من الدواة

(٢) المدة هنا بفتح الاول للمرة والاسم المدة بالضم وهي ما استمددت به من المداد على القلم أي ما تسميه العامة الآن (الملة)

(٣) كذا في نسخة صحيحة من الطالع السعيد وفي بعض النسخ ٦٦٢ وفي أخرى ٦٦٣

كتابتي قد كسدت سوقها　　وحيلتي بارت ولم أعطل
كيف يبين الفضل في بلدة　　نساؤها تكتب بالأرجل

انتهى . وذكر الاسحاقيّ في تاريخه في الكلام على الملك الكامل بن العادل الايوبيّ سلطان مصر ما نصه « وفي زمنه في شهر شوّال سنة أربع وعشرين وستمائة أحضرت من الاسكندرية امرأة خلقت من غير يدين وفي موضع ثدييها مثل الحلمتين فجيء بها بين يدي الوزير رضوان فعرّفته أنها تعمل برجليها ما تعمله النساء بأيديهنّ من خطّ ورقم وغير ذلك . فأحضر لها دواة فتناولت برجلها اليسرى قلماً فلم ترض شيئاً من الاقلام المبريّة التي أحضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلماً وشقّته وقطّته وأخذت ورقة فأمسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ما يكتبه الكتّاب بيمينهم وناولت الرقعة للوزير فاذا فيها السؤال بالزيادة في راتبها فزادها وأعادها الى بلدها . وقد أخبرني شخص أن لها قبراً مشهوراً بالاسكندرية يزار وهو موجود الآن بباب رشيد على يمين الداخل ويعرف بمقام بنت خدا وردي ولها أوقاف وأطيان ويصرف لها من ديوان الاسكندرية في كل سنة ثلاثة آلاف نصف فضة » انتهى . قلت ولعلها التي تقدّم ذكرها في عبارة ابن طولون فتكون عمّرت وقدمت القاهرة بعد ٤٨ سنة من مقدمها الأول وهو غير مستبعد .

أحمد تيمور



الاسراف في التعليل

قال الامير شكيب أرسلان : (هامش أناتول فرانس في مباذله ص ٥٢)

علماء أوربا مولعون بالتعليل مهما كان ، وقد ينتهي الامر بمن يكثرون التعليل الى أن لا يعللوا شيئاً

صلاة الشاعر

هبَّ للذكر وصفَّ القدما ثم ولَّى وجهه شطر السما
بات في حيرته مستسلما وله دمعٌ على النحر يفيضْ
لا يغيضْ

طالما قلَّبَ وجها في السماء وسوادُ الليـل منشور اللواء
وأجال الطرف في ذاك الفضاء حائرَ الخطو شمالاً ويمينْ
ذا أنينْ

كلما الليـل تمطَّى واعتكرْ أدركَ الاسرار سراً بعد سرْ
ليس بدعاً انمـا نور البصرْ في سوادٍ ، وكذا نور الفؤادِ
في سوادِ

إيهِ ما أبلغ هدآت الظلامِ ربما ناب سكوتٌ عن كلامِ
ولكم أفصحَ صمتٌ عن مرامِ فاستمع لليل يدعو بالسكوتِ
للقنوتِ

أيها النائم عن ليليَ قمْ ترَ أنَّ الليل كالبحر الخضمّ
وسواري السحب موجٌ يلتطم قم وشاهد مظهراً من ذي الجلالِ
في الليالي

فسقوط الليل سر الجبروتِ واضطراب النجم سر الرهبوتِ
فاستجر بالله رب الملكوتِ وتدبَّرْ آية الليـل الرهيبْ
اذ يهيبْ

قرعة الناقوس مع صوت الاذانِ أين من شجوهما صوت المثاني
فلقد واللهِ وهناً أبكياني غمغم الاول والثاني جهر
الله أكبرْ

طأطأ الصفصافُ رأس الخاضع رفعَ الكَرْمُ أكفَّ الضارع
أغمض النرجسُ عين الخاشع اذ تلا القمريُّ وِردَ السحَرِ
في الشجرِ

وفراخٍ غرزمتْ اذ سجما كتفاتٍ أمنتْ بعد الدعا
فاكشف اللهم عنها الفزعا وقها يارب شر الحابلِ
والنابلِ

ربِّ بابُ القول دوني مرتجُ أيَّ نهجٍ في صلاتي أنهجُ
فتقبلْ نفَساً يختلجُ بأنينٍ بين صدري ولهاتي
في صلاتي

من ظلام الريب ريب الملحدين قد تنوَّرْتُ سنا الحق المبين
من لظى الشك الى برد اليقين رحلةٌ نلتُ بها حلو المنى
بعد العنا

هبْ ليَ اللهمَّ في كل أُموري ثقةً بالنفس من غير غرور
وتكفَّلْ صدق حدسي وشعوري واجعل اللهمَّ للحق جَناني
ولساني

أشعر اللهم نفسي أن تعفْ وفؤادي لهيامي أن يرفْ
واذا ما ناءَ يوماً فوقفْ فلتكن نفسي وايماني وحبي
عند ربي

رحمة الرحمن للمستضعَفِ فهو للأرزاء مثل الهدفِ
سامهُ الأقوى ولما يعطفِ غارةَ الليثِ وغدر الأطلسِ
في الغلسِ

أدمعُ العطف ولمفاتُ الحنانِ ودواعي الرفقِ في كل جنانِ
نعمٌ أكبر من شكر اللسانِ رب أوزعنيَ أن أشكر لكْ
نعمكْ

كل شيء في السماوات العُلى وعلى الأرض وما بينهما
جلّ أو دقّ ـ وما تحت الثرى شاهدٌ لله باللطف الجلي
والخفي

كل مافي الكون من حسن الاثر هو من قوة خلاّق البشرْ
قدرة الله لخيرٍ لا لشرْ واذا ما قدر المرء ظلمْ
واحتكمْ

هزّه الشوق وهاج الشجنا مثلما هزّت رياحٌ فننا
فدعا من بعد سرٍّ علنا ثم ناجى ربّه عزّ وجلْ
وابتهلْ

قال ربّ أرني أنظر اليكْ حنّت النفس الى الزلفى لديكْ
وهواها لم يزل وقفاً عليكْ مذ تجلّيْتَ عليها من علٍ
في الأزلِ

فعلا من حضرة القدس النداءْ في سكون الليل أنْ حان الوفاءْ
حينما لاح له نور اللقاءْ خشع الناظر والجلد اقشعرْ
ثم خرْ

خرّ مغشياً عليه للجبينْ مثل شلو الطير أصماه السكينْ
صارد الجسم سوى دمعٍ سخين هادئاً الا فؤاداً يضطربْ
ويشبْ

الاسكندرية
٢٠ ذي القعده سنة ١٣٤٤

خليل مردم بك

كتاب سعد السعود

لعلي بن موسى بن محمد الطاووس

كتب الاستاذ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني ـ من كبار علماء ايران ـ الى حضرة صاحب السعادة العلامة الجليل أحمد تيمور باشا رسالة يقول فيها :

« عثرت على كتاب (سعد السعود) لعلي بن موسى بن محمد الطاووس من مشاهير علماء الامامية ، الفه سنة ٦٥١ هـ ، وموضوعه هو أن المؤلف وقف عدة كتب مقدسة في سبيل الله تعالى ، كالقرآن والتوراة والانجيل وصحف ادريس ، وعدة كتب جليلة من تفاسير القدماء ـ التي لم يبق بين أيدينا الا القليل منها والباقي هو اسماؤها التي ذكرها ابن النديم في الفهرست ـ ثم نقل عن كل واحد من عدة مصاحف ومن التوراة والانجيل وسائر كتب التفاسير الموقوفة فوائد جليلة

وأهم ما يستفاد من هذا الاثر أنه نقل آيات عن انجيل مذكور في أوله ماهذا لفظه « من شرح مارلما مطران ... شرحه لأمير المؤمنين المأمون في سنة ظهرت النسطورية على اليعاقبة ، وأعانه الخليفة على ذلك . نقل من اللفظ السرياني الى اللفظ العربي بمحضر من العلماء باللغتين ، ونقل ذلك من نسخة الأصل ، ونقلت هذه النسخة منها » وفي نصوص بعض آيات هذا الانجيل فرق عن آيات الانجيل الموجود الآن . ونقل عن كتاب منفرد نحو أربع كراريس وجدها المؤلف في وقف المشهد المسمى بالطاهر بالكوفة ، مكتوب عليه « سنن ادريس » وفيه « وهو بخط عيسى محرر ، نقله من السرياني الى العربي عن ابراهيم بن هلال ابن ابراهيم بن هرون الصابي الكاتب » ولعل (هرون) محرفة عن (زهرون) فيكون الصابي هذا هو المترجم والكاتب المعروف .

وبالجملة فان هذا الاثر يحتوي على فوائد علمية وأدبية وتاريخية . ولعلي أكتب مقالة واسعة في هذا الموضوع » . انتهى

مكتبة عارف حكمة

كنت وصفت مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنوّرة فى مجلة المقتبس (مجلد ٨ صفحة ٥٧) وذكرت فيه أن المكتبة أُنشئت سنة ١٢٧٠ كما نقش ذلك في سقف قاعتها وقفّيت على ذلك بقولي : وهى السنة التي اقيل فيها من المشيخة ولعلّ لاقالته علاقة بانشاء المكتبة . الا أن مجلة المقتبس نقلت التاريخ ١٢٦٠ بسبب غلطٍ مطبعيٍ لم أنتبه اليه الا بعد أن رأيت جرجي بك زيدان ينقل هذا الغلط الى تاريخ آداب اللغة العربية « جزء ٤ صفحة ٩٣ » وقد سرى هذا الغلط الى الاستاذ السيد بهجة الاثري فنقله فى مقالته الممتعة التى نشرها فى مجلتكم الزاهرة « م ٢ ص ٤٧٤ » وتوهّم أنى واهم في الجمع بين سنة انشاء المكتبة واقالة صاحبها والحقيقة أن الامرين كلاهما قد تمّا فى سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) والتاريخ المنقوش فى سقف القاعة يشهد بذلك الى اليوم وبعده

وعلى ذكر هذه المكتبة أستدرك خطأً كنت وقعت فيه في تعيين تاريخ نسخ كتاب تقويم الابدان لابن جزلة البغدادي فقد قلت أنه كُتب سنة ٢٩٧هـ ٩٠٩م بيد أنى لم انفرد فى هذا الظن بل ان صديقي الاستاذ العلاّمة السيد محمد كرد على قد وقع فيما وقعت فيه قبلى ونقل ذلك التاريخ فى غضون كلامه على كتب المكتبة القديمة فى مجلته المقتبس « م ٧ ص ٧٧٥ » الا أنه كان أكثر انتباهاً منى بوضعه علامة استفهام الى جانب ذلك التاريخ . وقد تراءى لي أخيراً أن تاريخ نسخ الكتاب هو سنة ٤٩٧ هـ ١١٠٣ م أي بعد وفاة المؤلف باربع وعشرين سنة [1] وان الارضة قد أكلت أو أزالت رأس الاربعة التى

(١) المؤلف هو أبو الحسن على بن يحيي بن عيسى بن جزلة المطبب البغدادى على ما ذكر فى غلاف الكتاب وفى طبقات الاطباء لابن أبى اصيبعة (ج ٢ ص ٢٥٥) ذكره

كانت تكتب على شكل (ع) وهي لا تزال تستعمل فى بلاد المغرب والهند وفى المطبوعات العربية التى تطبع فى مطابع المستشرقين فبقي شكلها (م) ونقلناه كما هو ثم نقله عنا زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية . فأنا أنفي عنى الوهم في الاولى واعترف من عند نفسى بانني توهمت في الثانية

ومادام أننا نبحث عن عارف حكمة ومكتبته فاننا نشير الى وهم آخر سال علي قلم جرجي بك زيدان فقد ذكر في تاريخ الآداب العربية (ج ٤ ص ٩٣) البيتين المنسوبين الى عارف حكمة واللذين نشرهما الاستاذ الاثرى في الزهراء وهما:

ألم تعلم بأنّ سماء فكري تلوح بأفقها شمس المعارف
تفرّس والدي فيّ المزايا فيوم ولدت لقّبني بعارف

انهما من نظم محمد عارف باشا أحد أعضاء مجلس الأحكام الذي أسس جمعية المعارف سنة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م في مصر مع أنّ ناظمهما عارف حكمة قد توفى سنة ١٢٧٥ هـ ١٨٥٨ م وقد رأيناهما مكتوبين فى لوحة يحيط بها اطار جميل معلقة في احدى غرف المكتبة بالمدينة

ومما يجدر بالذكر أن من كتاب العلامة الآلوسى الذي ترجم فيه لعارف حكمة ونقل عنه الاستاذ الاثرى نسخةً فى المكتبة اسمها « الصادح الصادع باطيب النغم في ترجمة عارف الحكم » فى حين أن الاستاذ الاثري يقول عنه « شهي النغم في ترجمة عارف الحكم » فالظاهر أن العلامة الآلوسى قد استبدل الاسم ويلوح لنا أن اسم النسخة التى فى المكتبة هو الذى استبدل بالاسم الاخير

واننا نختم كلامنا بثلاث أبيات لصاحب المكتبة تدلّ على أنه كان من

باسم يحيي بن عيسى بن على بن جزلة ونسب كتاب تقويم الابدان اليه ولم يذكر تاريخ وفاته وفى كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٣٦٦ من طبعة ليبسك كذلك ذكره باسم يحيي وقال أنه توفى سنة ٤٧٣ هـ ١٠٨٠ م فلعل النسخة كانت لابنه علي بن يحيي

غواة الكتب . وهي :

أروح وأغدو في التهاب وغلةٍ لفرط اشتياقي في مطالعة الكتبِ
اذا ما خلت نفسي وصرت جليسها أراني كظمآنٍ على المنهل العذب
أهمّ ولو كانت بحوراً بشربها ولكنه لا يرتوى أبداً قلبي

حيفا عبد الله مخلص

عيد العمال

أول مايو

اخترتمُ عيدَ (الربيعِ) العيدا ولبستمُ زهرَ الفخار نضيدا
وهزأتمُ « بالأمسِ » وهو مسخّرٌ لجهودكمْ ومقيَّدٌ تقييدا
اليومَ قدْرُ الناس قدرُ كفايةٍ واليومَ لن يطأَ الزمانُ عبيدا
أنتم بنو الشَرَفِ العظيمِ بنفعكمْ للناس تبنون الوجودَ جديدا
لا تعرفون لغيرِ علمٍ سيّدٍ ولغيرِ أحكام النظامِ عهودا
التربُ أنتم مَنْ بعثتمْ تبرَهُ يختالُ ما بين الورى معبودا !
والأرضُ أنتم مَنْ تشرتم فحمَها فأنار بل أحيا البلادَ السُّودا [1]
والحقلُ أنتم مَنْ بعثتم نَبْتَهُ فأغاثَ محروماً وردَّ شهيدا
والبحرُ أنتم من قهرتمْ بأسه ولكم تمرَّدَ عاتياً وعنيدا
والجوُّ أنتم مَنْ فتحتم مُلْكَهُ فغدا مجالاً للحياة مديدا !
دُوَلُ الصناعة والزراعة والحجا عرفتْ بكم للمعجزات شهودا !
كنتم مؤخّرَها فكنتم عونَها عند المطار وفي الثَّبات عمودا !
ميزانُ عِزّتها تجاهَ عواصفٍ وقوامُها المُبْقي الجلالَ مشيدا

(١) البلاد السود : يشير الناظم ـ هذا المعنى الشعري المفهوم ـ الى بلاد الفحم ، وتسمى في انجلترا بالبلاد السود .

إنْ تحفلوا بجلالكمْ بتواضعٍ فالمجدُ يُعلنُ فخركم تعييدا !
أنتم لديهِ الناصروهُ بدأبكمْ والمانحوهُ من الوفاءِ جُنودا
والتآخذون من الاخاءِ شعاركمْ ومن الامانةِ والنَّشاطِ عقُودا
كم تسبقون (الشمس) في اسمادكم[1] للنَّاسِ سعياً مُجدياً وجُهودا
ومن العجائبِ أن تمضَّ أجوركم مَنْ تبدعون له البدائعَ جودا
كلُّ المآثرِ حقُّها في عيدكم حقٌّ يزيد على المدى توكيدا
لا بدْعَ انْ رقصَ الجمالُ مغرّداً واختار مِنْ نغمِ الحياةِ نشيدا !
في حفلةِ التّعييدِ أبهجُ أُنسها أن يكسرَ الشّهْمُ الفقيرُ قيودا
ويذوقَ مِنْ راوي الهناءِ مُحرَّراً نُخباً، ويلتمسَ الاخاءَ سُعودا !

أبو شادي

صناعة القص واللصق

ـ كتاب في خزانة أيا صوفيا ـ

اطلعت على ما كتبه العلامة أحمد زكي باشا في مجلة الزهراء جزء رمضان عن صناعة قص الحروف ولصقها، فأحببت أن أذكر ما اطلعت عليه من ذلك وهو مجموعة منتخبات موجودة في مكتبة جامع أيا صوفيا في فروق أصغر من قطع مجلة الزهراء قليلا أحسبها تبلغ مائة صفحة بالخط الفارسي الجميل ملصقة حروفها إلصاقاً فوق الورق الحريري، ويقال ان هذه المجموعة مهداة من قبل أحد ملوك العجم الى احد الملوك العثمانيين، فان صح هذا كان مما يؤيد عظم شأن هذه الصنعة؛ واني كلما فكرت في دقة هـذا العمل وما يقتضيه من وقت وصبر أكبر أن لايكون هناك طريقة تسهل القص واللصق. فاني جربت كتابة سطر وقصه فاستغرق نحو ثلاث ساعات، لما في الخط الفارسي من دقة في بعض المواقع من

(١) اشارة الى تبكيرهم للعمل

الحروف والكلمات تبلغ أن تكون كرؤس ابر الخياطة ، ومع ذلك لم يخرج تام الدقة والصنعة كالذي فى المجموعة المحدث عنها

دمشق ٢٩ شوال سنة ١٣٤٤ مسعود الكواكبي

(باعث) عوض (سائق)

في لسان العرب (مادة ـ ب ع ث) وتأويل البعث ازالة ما كان يحبسه عن التصرف والانبعاث . وانبعث فى السير أي أسرع . وفيه أيضاً : والبعث إثارة بارك أو قاعد ، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار . انتهى

وقال حاتم الطائى (من شعراء الحماسة) :

وما أنا بالطاوي بفضل زمامها لأ بعثها خفاً واترك صاحبي

قال التبريزي « يقول : اذا ما كان لي رفيق في السفر وسقت جنابى له ولاأتركه يمشي وقد خففت حقيبة رحل ناقتى طلباً للابقاء عليها ولكني اردفه وأركبه . والحقيبة ما يشد خلف الرحل » . انتهى كلام التبريزى

قلت : وبما أن كلمة (باعث) تطلق على مثير الدابة مطلقا سواء كان ممتطيا لها أو غير ممتط لها . قال أبو تمام :

انا بعثنا الشعر نحوك مفردا فاذا أذنت لنا بعثنا العيسا

يريد امتطاء العيس والسير بها نحو الممدوح ، فاننا نرى جديراً بالكتاب أن يستعملوا كلمة (باعث) لمسيّر الاتوموبيل والعربة والباخرة وغيرها من الوسائط النقلية . وذلك لما في كلمة الانبعاث من الدلالة على تحريك تلك الدبابات بعد سكونها . وبهذا يتبين لنا أن كلمة (باعث) أمكنُ في تأدية المراد من كلمة (سائق) التي لم تطلق في كلام العرب الا على من حثّ الدابة على السير ماشياً خلفها

تونس محمد المكي بن الحسين

طريقة الحكماء المشائين

ورجالها وكتبها (١)

ومن رجالها اسحاق بن قسطار كان يهودياً وخدم الموفق مجاهداً العامري صاحب دانية وابنه عليا. وكان اسحق بصيراً باصول الطب مشاركا في علم المنطق مشرفاً على آراء الفلاسفة له تقدم في اللغة العبرانية.

وأبو جعفر بن هارون الترجالي نسبة لترجاله من ثغور الاندلس كان محققاً للعلوم الحكمية متقناً لها معتنياً بكتب ارسطو وغيره من الحكماء المتقدمين وكان من طلبة الامام المجتهد والحافظ الكبير أبي بكر ابن العربي لازمه مدة واشتغل عليه بعلم الحديث وكان يروى الحديث وهو شيخ أبي الوليد ابن رشد في التعاليم والطب وأخذ عنه كثيراً من العلوم الحكمية.

والشيخ الامام العالم الفيلسوف نجم الدين أبو الفتوح أحمد بن محمد بن السري المعروف بابن الصلاح فاضل في العلوم الحكمية جيد المعرفة بها مطلع على دقايقها وأسرارها قوي العبارة فصيح اللسان مليح التصنيف متميز في علم صناعة الطب قطن ببغداد وتوفي بدمشق ودفن بمقابر الصوفية سنة نيف وأربعين وخمسمائة له مقالة في الشكل الرابع من أشكال القياس الحملي المنسوب لجالينوس وكتاب الفوز الاصغر في الحكمة.

ومحمد بن عبد السلام المقدسي الماردي من شيوخ الشهاب السهروردي.

والشيخ الامام موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي يعرف بابن اللباد كان مشهوراً بالعلم متحلياً بالفضائل مليح العبارة كثير التصنيف متميزاً في النحو واللغة العربية عارفاً بعلم الكلام والطب له من الكتب كتاب

(١) أنظر الزهراء ٢ : ١٩٨ و ٣٩٣ و ٥٠٠

الحكمة العلائية حواش على كتاب البرهان للفارابي ، كتاب المراقي الى الغاية الانسانية ، كتاب العمدة في أصول السياسة، الفصول الاربعة المنطقية ، مقالة في النهاية واللانهاية ، كتاب تأريث الفطن في المنطق والطبيعي والالهي ، مقالة في اجزاء المنطق التسعة مجلد كبير ، كتاب في القياس خمسون كراساً ثم اضيف اليه المدخل والمقولات والعبارة والبرهان فجاء مقداره أربع مجلدات ، الطبيعيات من السماع الى آخر كتاب الحس والمحسوس ثلاث مجلدات ، كتاب السماع الطبيعي مجلدان ، الكتاب العجيب حواش على الكتب الثمانية المنطقية للفارابي ، مقالة في اللغات وكيفية تولدها ، الكتاب الجامع الكبير في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الالهي وهو زهاء عشر مجلدات . وله غير ذلك من الكتب الكثيرة في علوم وفنون شتى ..

ونصر بن محمود المشتهر بلمظفر بن معروف كان ذكياً فطناً كثير الاجتهاد والعناية والحرص في العلوم الحكمية وكان قد ملك الوفاً كثيرة من الكتب في كل فن ومع ذلك فجميع كتبه لا يوجد شيء منها الا وقد كتب على ظهره ملحا ونوادر تتعلق بالعلم الذي صنف فيه ذلك الكتاب

ويوسف بن يحيى بن اسحق السبتي المعروف بابن سمعون بسين مهملة

وموسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي كان ممن يظهر الاسلام ويكتم نحلته ثم أتى مصر فاظهر اليهودية فيها فعارضه بعض من كان بمصر من فقهاء الاندلس ممن كان يعرفه هناك وأخبر القاضي الفاضل الذي كان في عهد السلطان صلاح الدين في شأنه فاجابه بان اسلام مثل هذا غير صحيح فلذلك لا يلزم معارضته اذا أظهر يهوديته . ومات ابن ميمون هذا بمصر وأوصى بأن يحمل اذا مات وانقطعت رائحته الى بحيرة طبريا ويدفنوه هناك طلبا لما فيها من قبور بني اسرائيل . وله شرح على التلمود وغلب عليه النحلة الفلسفية فصنف رسالة في ابطال المعاد

شرعي

وابن كمونة اليهودي شارح اشارات ابن سينا وقد رأيت شرحه هذا ببعض خزاين القسطنطينية

ويعقوب بن اسحق المصرى المحلي . كان يهوديا متميزاً في الفضائل وله اشتغال بالحكمة واطلاع على دقائقها . وكان من المشهورين في صناعة الطب

ويحيى بن سعيد بن مارى المسيحي صاحب المقامات الستين التى أحسن فيها وأجاد وكان عالما بعلم الاوائل وعلم العربية والشعر. وروى عنه العماد الكاتب الاصفهاني وكاتب السلطان صلاح الدين وصاحب الفيح القسي في الفتح القدسي

وصاعد بن هبة الله بن المؤمل النصراني الحظيري أصله من الحظيرة ونزل بغداد كانت له معرفة تامة بالمنطق والفلسفة وأنواع الحكمة وله حرمة وافرة خدم بالدار العزيزة الناصرية ومات سنة ٥٩١

وأبو نصر اسعد بن الياس بن جرجس بن المطران . كان مقدم الحكماء وأوحد العلماء وافر الآلاء امين أهل زمانه فى علم صناعة الطب عارفا بالعلوم الحكمية متفنناً في الفنون الأدبية قرأ النحو واللغة والادب على التاج الكندى أحد أقران أبي القاسم الشاطبى وكان حاد الذهن فصيح اللسان منشؤه بدمشق وحظي عند السلطان صلاح الدين فكان رفيع المنزلة عنده عظيم الجاه يحترمه ويبجله لما قد تحققه من علمه وأسلم في آخر أمره فحسن اسلامه وكانت كتبه كثيرة تناهز عشرة آلاف من المجلدات لا يفتر عن المطالعة في أكثر أوقاته وأكثر كتبه قد صححها وأتقن تحريرها وعليها خطه

ويعقوب بن صقلاب النصراني. كان أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس ومعرفتها ودرايتها وتحقيق معانيها مستحضرة له في خاطره بحيث يورد نص جالينوس بعينه اذا تكلم في شيء منها . متقناً للسان الرومي خبيراً به وينقل معناه الى العربى وكانت بعض كتب جالينوس بالرومية عنده وأصله من النصارى

المشرقيين وهم نصارى البلقاء وعمّان . ولد بالقدس وأقام بها سنين كثيرة زمن الصليبيين ولازم بها تلك المدة رجلا فاضلا يعرف بالفيلسوف الانطاكي أقرأ العلوم بها الى سنة خمسمائة وثمانين وكان هذا الفيلسوف الانطاكي خبيراً بالعلم الطبيعي متقناً للهندسة وعلم الحساب قوياً فى علم أحكام النجوم وقد خدم ابنُ صقلاب هذا الملكَ المعظم من بني أيوب وصار معه فى الصحبة فكان يعتمد عليه

والامام الأجل رفيع الدين أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل ابن عبد الهادي الجيلي من أهل فيلمان شهر من الجيلان كان من الاكابر المتميزين في العلوم الحكمية وأصول الدين والفقه والعلم الطبيعى والطب فصيح اللسان قوي الذكاء كثير الاشتغال والمطالعة له شرح الاشارات والتنبيهات ألفه للملك المظفر تقي الدين عمر بن أيوب أحد اخوة السلطان صلاح الدين واختصار الكليات من كتاب القانون لابن سينا

والحكيم الامام العالم الكبير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبدان بن عبد الواحد اللبودي علامة وقته وأفضل أهل زمانه فى العلوم الحكمية وفى علم الطب كان له همة عالية وفطرة سليمة وذكاء مفرط وحرص بالغ فتميز في العلوم وأتقن الحكمة وصناعة الطب وصار قويا في المناظرة جيداً في الجدل يعد من الأئمة الذين يقتدى بهم والمشايخ الذين يرجع اليهم . أقام بحلب عند الملك الظاهر بن صلاح الدين ومات بدمشق سنة ٦٢١ ، ألف كتاب الرأي المعتبر فى معرفة القضاء والقدر وشرح كتاب الملخص لابن الخطيب وهو الفخر الرازي وشرح أيضاً كتاب المسائل لحنين بن اسحاق

وولده الحكيم العالم الصاحب أبو زكريا يحيي بن محمد اللبودي قدوة فى العلوم الحكمية مفرط الذكاء فصيح اللفظ متفنن فى الآداب تميز فى الحكمة على الأوائل وفى البلاغة على سحبان وائل . وله من الكتب مختصر الاشارات

والتنبيهات لابن سينا ومختصر كتاب عيون الحكمة لابن سينا ومختصر كتاب ملخص آراء الحكماء والمتكلمين للامام الرازي ومختصر كتاب اقليدس وكتاب اللمعات في الحكمة وكتاب آفاق الاشراق فى الحكمة وكتاب المناهج القدسية فى العلوم الحكمية ونزهة الناظر فى المثل السائر

والامام قطب الدين ابراهيم بن على بن محمد السلمي المصري أحد تلامذة الفخر الرازي ومن أميزهم ، صنف كتباً كثيرة في الطب والحكمة وشرح الكليات بأسرها من كتاب القانون لابن سينا وذكر فى شرحه هذا ما نصه : والمسيحي أعلم بصناعة الطب من الشيخ أبي على فان مشايخنا كانوا يرجحونه على جمع عظيم ممن هم أفضل من أبي علي فى هذا الفن وقال أيضاً وعبارة المسيحي أوضح وأبين مما قاله الشيخ وغرضه فى كتبه تقييد العبارة من غير فائدة . قتل القطب المصرى بنيسابور عند ما استولى عليها التتار

ونجم الدين أبو العباس أحمد بن اسعد بن حلوان بن المنفاخ ويعرف بابن العالمة لان أمه كانت عالمة بدمشق. كان حاد الذهن مفرط الذكاء فصيح اللسان لايجاريه أحد فى البحث والجدل متميزاً فى العلوم الحكمية قويا فى علم المنطق مليح التصنيف جيد التأليف فاضلا فى العلوم الادبية يترسل ويشعر. صنف كتاب المهملات فى كتاب الكليات

ويوسف بن أبى سعيد اليهودى السامرى ممن تميز فى العلوم الحكمية وقرأ الطب علي الحكيم ابراهيم السامري المعروف بشمس الحكماء ، واشتغل بعلم الادب حتى بلغ فى الفضائل أعلي الرتب ، قرأه علي تاج الدين أبي اليمن الكندى وكفى به فخراً . كان يوسف المذكور حسن الرأى وافر العلم جيد الفطرة ، استوزره الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه أحد ملوك بني أيوب

وأقام عنده ببعلبك فكان يستصوب آراءه ويشكر مقاصده ويعتمد عليه . له من الكتب شرح التوراة

وصدقة بن منجا بن صدقة اليهودى السامرى. كان قويا في الفلسفة حسن الدراية لها متقناً لغوامضها متميزاً فى الطب . له تصانيف فى الحكمة والطب. وخدم الملك الاشرف موسى من بني أيوب وكان يحترمه غاية الاحترام. وله شرح التوراة وكتاب الكنز فى الفوز من التوحيد

ورئيس زمانه وعلامة أوانه الحكيم الاجل يعقوب بن غنائم اليهودى السامرى جامع العلوم الحكمية مع اتقان الطب علماً وعملا . له التصانيف التى هي فصيحة العبارة صحيحة الاشارة قوية المبانى بليغة المعانى منها شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا أورد فيه ما قاله غيرهما وحرر ما فى أقوالهم من المباحثات وقد أجاد فى تأليفه وبالغ فى تصنيفه وله كتاب المدخل الى علم المنطق والطبيعي والالهي

وممن سلك طريقة المشائين من متأخرى حكماء الاسلام اثير الدين الابهرى في كتابه زبدة الاسلام وكتابه الآخر هداية الحكمة وقاضيمير فى شرحه عليها واللارى فى حواشيه عليه والقطب الرازى شارح المطالع فى كتابه المحاكمات الذى حاكم فيه بين شرحي الفخر الرازى والطوسي على الاشارات ومباركشاه المنطقى فى حكمة العين وحسن حيدر والنشارى والخلخالي في تآليفهم في الحكمة

***

والى هنا قد ذكرنا ما اشتهر بمعرفة طريقة الحكماء المشائين أو صنف فيها

القدس خليل الخالدي



حماة المجد

ـ بمناسبة حوادث دمشق الجديدة ـ

رِكابني لِهَمٍّ قد رماني به الدهرُ . دِمَشْقُ عراها ما يضيق به الصدرُ
ألا إنني في الحادثات أخو أسى فليس يسليني نشيدٌ ولا زَمر
دعي عنكِ تطريبي أُميمةُ جانباً وبكّي معي قوماً أصابهُمُ الضرُّ
هُمُ قد أبوا ذلَّ الحيـاة وآثروا على العيش موتاً طعمه أبداً مُرُّ
ومَنْ كان قحطانٌ أباه فانه «له الصدر دون العالمين أو القبر»
سلامٌ على تلك الشمائل إنهـا عبيرٌ نمى في الخافقيْن له نشر
فمَنْ مُبلغٌ صهْبَ العثانين أنهم لأصغرُ مِن أنْ يستتبَّ لهم أمر
وأنَّ بني قحطانَ إذ جدَّ جدُّهم لَأَعظم من أن يستنيم بهم حُرُّ
هو المجد : أمَّا بيته فمعزز ، وأمّا حُماةُ البيتِ فالعرب الغرُّ .
لحا الله قوماً يبتغون وُلوجَه ودون ذراه منهُمُ عسكر مَجْرُ
اذا صرخوا في ساحة الرَّوع صرخة تساقطتِ الأبطال وانهزم الذُّعر
فكيف بقومٍ إنْ يُقعقَعْ لكبشهم تولّى وصارت عنده أرجلٌ عشر ؟
فلو أنهم أبطالُ يومِ كريهةٍ لمـا انهزموا عند النزال وهم كُثْرُ
ولا ثأروا من أنفسٍ مطمئنة وما كان عنـد الآمنين لهُمْ ثأر
ولا روَّعوا ذات الدلال بخِدرها وما كان يوماً عندها لَهُمُ وتر
ولا ذعروا الأطفال في حجراتها وما كان للأطفال ذنبٌ ولا وزر
ولا حرّقوا البلدانَ وهي نَضيرةٌ وأنهارُها تجري وجناتها خضر

ترقرق ماء الحسن في جنباتها ... ولاح بها ثغرُ الطبيعة يفترُّ
ألا سفهت تلك الحلوم بما جنت ... وليس لعمري الذي قد جنت حصر
اذا أجمل البرقُ الخفوقُ حديثها ... فلي من خلال الغيب في شرحه خُبْرُ
فوالهفَ نفسي يا دمشقُ وما عسى ... يرد عليك اللهف والدمع والزفر
فصبراً على البلوى دمشقُ وان طمت ... فبعد اشتداد العسر ينكشف العسر
على أن في البلوى حياةً سعيدةً ... وان من الظلماء ينبثقُ الفجر
فان قُتِلَ الأحرار فيكِ فانما ... ليرفعَ بين العالمين لهمْ ذكر
وإنْ دُمِّرَتْ فيكِ القصور فانما ... ليرفع لاستقلال أصحابها قصر
هو السيف فَلْيُسْلَلْ فانّ بحدّه ... ليستنزلُ العالي وينمحقُ الشر
وما خُلِقَ الصمصام إلا لجائر ... على الحقّ لا يلويه نهيٌ ولا زجر
ومَنْ طلب استقلاله بلسانه ... كمن خطب الحسنا وما عنده مهر

بغداد ... محمد بهجة الأثري

أعظم مطبعة في العالم

أعظم مطبعة في العالم مطبعة الحكومة الامريكية في واشنطون وهي ذات بناء فخم مؤلف من ثماني طبقات يعمل فيها أربعة آلاف عامل وفيها ١٤٤ آلة صف (لينوتيب) و ٣٢٥ مصححاً . والقسم الخاص بطبع أوراق العملة يعمل لخمسة عشر ألف مصرف مالي ، فضلا عن طبعه جميع أوراق العملة في الولايات المتحدة . وفي المطبعة فرع للبطاقات يصدر أربعة ملايين بطاقة في اليوم . وفرع لطبع طوابع البريد وتلوينها وتجفيفها في آن واحد . وللمطبعة مستشفى خاص لاسعاف عمالها ومعالجتهم

غزوة بني النضير

﴿ سبب الحرب ﴾

في شهر ربيع الأول سنة ٤ هـ جاء رئيس بني عامر بن صعصعة عامر بن مالك الملقب بملاعب الأسنة الى النبي ﷺ وأهداه حصانين وذلولين ، فأبى ﷺ أن يأخذ هدية من مشرك واشترط على المهدي أن يعتنق الاسلام فلم يلب العامري الدعوة مباشرة بل طلب الى النبي ﷺ أن يرسل دعاة الى دياره في نجد لنشر الدعوة هناك ووعده بحمايتهم . فوافقه النبي وأرسل وفداً من أصحابه مؤلفاً من ٤٠ أو ٧٠ وكان معظمهم من حفظة القرآن الكريم المدنيين . وكانوا قبل سفرهم مرتبطين بخدمة النبي وأهله يأتونهم بما يحتاجون اليه من ماء وحطب وغير ذلك

سافر الوفد حاملا كتاباً من النبي ﷺ الى رئيس العامريين (عامر بن الطفيل) يدعوه فيه وأهله وعشيرته الى الاسلام . فلما اقترب الوفد من دياره أقاموا عند بئر معونة وأرسلوا واحداً منهم اسمه حرام بن ملحان بالكتاب النبوي الى ابن الطفيل ، فلم يكن من هذا الا أن قتل الرسول وجاء بعصابة من بنى سليم وباغت الوفد ، وكانت العصابة الشريرة أكثر عدداً من اولئك القراء المجاهدين ، فنشبت حرب حامية الوطيس حارب فيها المسلمون حرب الأبطال وماتوا شهداء المبدأ الشريف الذي أتوا من أجله ، ولم ينج منهم سوى اثنين هما عمرو بن امية الضمري ومنذر بن محمد وكانا حين المباغتة يرعيان الابل . فلما كان المساء وأرادا الرجوع الى اخوانهما شعرا بخيانة بني سليم ، فاختلفا في اتخاذ الطريق التي يجب اتباعها : فاما منذر بن محمد فقد ثارت النخوة في نفسه وعول

على أن ينتقم لابناء دينه ، فهاجم المعتدين الأشرار وظل يقاتلهم حتى استشهد ، وأما عمرو بن أمية فانه قصد المدينة فلما وصل الى مكان بين قرقرة وقناة وجد بدويين نائمين اعتقد أنهما ينتميان الى تلك العصابة فاستل سيفه وقتلهما انتقاماً لرفقائه الشهداء المظلومين في بئر معونة ، إلاّ أنه اتضح فيما بعد أن هذين البدويين كانا من حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم

جاءت أخبار هذا القتل في الوقت الذي كان المسلمون فيه غاية في التأثر لاستشهاد الوفد ، ومع ذلك فقد عزم النبي صلى الله عليه وسلم على تأدية دية القتيلين الاخيرين وأخذ يجمع الدية من أهل المدينة . وقد رأى من الانصاف أن يشرك يهود المدينة أيضاً في ذلك فجاء الى بنى النضير بنفسه ، وفي طريقه اليهم مر بجامع قبا فصلى فيه . ولما وصل الى حي بني النضير وجد شيوخهم مجتمعين فكلمهم في أمر الدية وفي وجوب اشتراكهم مع أهل المدينة استناداً على ما جاء في كتاب الموادعة ثم انسحب من المجلس ليتذاكروا فيما بينهم وذهب مع من جاء معه من أصحابه ليلجأ الى ظل دار من دور اليهود

وأخذ اليهود يتذاكرون . فقام من بينهم (حُيَيْ بن الاخطب) المعروف بتطرفه ونزقه وبغضه للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأنحى على المسلمين بلهجة قاسية وكلف الحاضرين أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بان يرموه بصخرة من سطح البيت الذي لجأ الى ظله . فعارضه سلام بن مشكم ، الا أن معارضته لم تفلح ، وقبل اليهود تكليف حيي ، فندبوا عمرو بن جحاش لتنفيذ الخيانة ، الا أن النبي صلى الله عليه وسلم علم بالمكيدة فغادر مكانه ورجع مع أصحابه الى المدينة فأخبر أصحابه بالمكيدة اليهودية وقرر نهائياً أن يقتص من تلك الفئة الباغية

فأرسل الى بني النضير محمد بن مسلمة الاوسي وأمره أن يخبرهم بوجوب مغادرة المدينة خلال عشرة أيام وأن الذي لا يصدع بالأمر منهم فمصيره القتل

وأمره أن يفهمهم بأنه مسموح لهم أخذ الأموال المنقولة معهم ، أما ثمار نخيلهم فعليهم أن يأتوا لقطفها في موسم كل سنة

ذهب محمد بن مسلمة وبلغ يهود بني النضير [١] الأمر النبوي ، فأسقط في أيدي هؤلاء وغاب صوابهم . ثم رأوا أن لا بد من الانصياع ، فأخذوا يستعدون للرحيل ، وأتوا بجمالهم التي كانت ترعى في سهل ذي الجزر . ومع أن بني النضير كانوا من خلفاء الاوس فان الذي أبلغهم الأمر النبوي هو محمد بن مسلمة الاوسي فقطعوا كل أمل من معونتهم [٢]

وبينما اليهود على أهبة الرحيل اذا برئيس المنافقين عبد الله بن ابيّ الخزرجي يوصيهم بالمقاومة ويعدهم بالمساعدة ويخبرهم بقرب وصول متفقيهم غطفان ويهود بني قريظة للأخذ بناصرهم ، فتنشط اليهود وقرروا فيما بينهم المقاومة ، وندبوا من بينهم (حيي بن أخطب) لتبليغ النبي ﷺ رفضهم الشروط ، وأن يقابل عبد الله بن أبي فيستحثه على إرسال المعونة لهم

الغزوة ـ في ربيع الاول من السنة الرابعة للهجرة

على أثر ذلك جهز النبي الكريم حملة قادها بنفسه الى ديار بني النضير ، فتحصن اليهود في بيوتهم وأخذوا يرمون المسلمين بالنبال والحجارة . فلما كان وقت العشاء صلى النبي ﷺ بالمجاهدين ثم غادر المعسكر مع عشرة من اصحابه وذهب واستراح في بيته . وفي اليوم التالي رجع الى المعسكر وأخذ يشرف على أعمال الهجوم . ويقول ابن هشام في سيرته ان الخمر حرمت في هذه الغزوة

---

(١) يقول اليعقوبي (٢ : ٤٩) ان بني النضير هم فخذ من قبيلة جذام العربية ثم اعتنقوا الديانة الموسوية وسكنوا جبل النضير . أما الحلبي فانه يؤكد أنهم يهود خلص ولهم قرابة بيهود خيبر ويسكنون أرضا اسمها زهرة . ونحن نرجح الرأي الثاني

(٢) الواقدي ص ٣٥٣ ـ ٣٥٨

ولقد تشدد المسلمون في هجومهم فعيل صبر اليهود وهم بانتظار المدد الذي وعدهم به رئيس المنافقين الخزرجي . فلما رأوا خيبة أملهم انقلبت حماستهم الى خوف ، وأما المسلمون فكانوا على أحسن حال ، وكان سعد بن عبادة قد تبرع لهم بكمية كبيرة من البلح. وفي أثناء الحصار قتل علي بن أبي طالب رامي السهام اليهودي عزوك ومعه جماعة من أهل ديانته ، وأراد النبي ﷺ انهاء الامر وحمل اليهود على التسليم فأمر أصحابه بقطع النخيل . فلما باشروا بتنفيذ الامر خاف اليهود على أشجارهم ، وأخذت نساؤهم يولولن ويمزقن الثياب ، وقرر اليهود أن يقبلوا بالشروط الاولى . وكان الغضب آخذاً مأخذه من المسلمين فلما طلب اليهود الصلح اشترط النبي الكريم عليهم أن يغادروا الديار دون أن يكون لهم حق بأموالهم غير المنقولة . وقد حاول اليهود تخفيف الشروط فلم يفلحوا ، ولم يروا بداً من التسليم فسلموا ، وذلك بعد مقاومة دامت خمسة عشر يوماً

غادر اليهود ديارهم ، وكان رسول الله ﷺ أمر محمد بن مسلمة الاوسي أن ينفذ الشروط ، فتسلم منهم الأسلحة ، وكان اليهود حملوا أمتعتهم ونساءهم وأولادهم على ستمائة جمل ، وخرج أهل المدينة يتفرجون عليهم وكانت نساء اليهود مرتدية أحسن الثياب ، ومتحلية بأجمل الحليات ، كأنهن ذاهبات الى عرس . وكان الرجال يمشون الى جانب الجمال ويغنون ويصفرون بصفافيرهم كأنهم يريدون أن يعلنوا سرورهم لابتعادهم عن عاصمة الاسلام الجديدة . ولقد استوطن قسم منهم ديار خيبر ، وذهب فريق منهم الى بر الشام (١)

﴿ بعد هجرة بني النضير ﴾

غادر بنو النضير حيهم بعد أن تركوا ـ بحسب الشروط التي قبلوا بها ـ في دورهم الخالية من الأسلحة ٥٠ درعا و٥٠ مغفراً و ٣٤٠ سيفاً . فجمع النبي

(١) سيرة ابن هشام ٦٥٣ الواقدي ١٦٣ ـ ١٦٦ .

ﷺ رجال الاوس والخزرج ، وذكرهم بما كانوا قدموه لاخوانهم المهاجرين من الأموال والخدمات ، ثم اقترح أن توزع أموال اليهود وأراضيهم على هؤلاء المجاهدين في سبيل الله . فرضي الانصار بكل ارتياح ، وتنازلوا عن حصتهم في تلك الغنائم إكراماً لخاطر اخوانهم المكيين . ولم يستفد من أهل المدينة من غنائم اليهود سوى رجلين فقيرين هما سهل بن حنيف وأبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنهما فقد اعطيت لهما قطعتان من أراضي بني النضير .

وكانت أراضي بني النضير منبتة جداً وكانوا يزرعون الحبوب في بساتين النخيل وبين الاشجار المثمرة . وقد اختص الرسول ﷺ نفسه بقسم من تلك الزروع فكان يأخذ ما يحتاجه من بلح وحبوب من هذه الاراضي . وفي بعض السنين كانت المحصولات تزيد على احتياج البيت النبوي فكانت تباع ويشترى بأثمانها أسلحة ومواش . وظلت هذه الأسلحة حتى أيام الخليفة الكبير عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما جاء في كتاب الاغاني .

وكان يلاحظ الاراضي النبوية أبو رافع مولي رسول الله ﷺ ، أما المهاجرون فكانوا يتولون شؤون أرضهم بأنفسهم ويعولون أنفسهم . وقد نزلت سورة الحشر بتمامها على أثر إجلاء بني النضير (١) .

وفيق التميمي

الشكوكيون

ليس شيء من أمور الدنيا إلا وهو معرض للشك ، حتى قال بعض الفلاسفة : ان كل شيء يقبل الشك حتى قولي هذا : « ان كل شيء يقبل الشك » . ومن بين الفلاسفة طائفة يعرفون بأهل الشكوك يشكون في كل شيء حتى في وجود ذواتهم .

محمد المويلحي

---

(١) الواقدي ١٦٦ – ١٦٧ ابن هشام ٦٥٤ ، ابن الاثير المجلد الثاني ١٣٣ ، الطبري المجلد الاول ١٤٤ ، السيرة الحلبية المجلد الثالث .

حركة النشر والتأليف

﴿ نيل الأوطار ﴾

تقدَّم للقراء في الجزء السالف من الزهراء (٢ : ٥٧٨) تعريفٌ بهذا الكتاب للعلاَّمة الشوكاني وبأصله (منتقى الأخبار ، من أحاديث سيد الأخيار) للمجد ابن تيمية ونوَّهنا بالهمة المبذولة لانجاز طبعه للمرة الثانية بسرعة

وها قد تمَّ الآن طبع الأجزاء الثالث والرابع والخامس على ورق جيد وبحروف لطيفة كالجزئين الاولين . أما الجزء الثالث فجاء في ٤٠٠ صفحة من قطع الزهراء الى (كتاب صلاة الخوف) ، والجزء الرابع في ٣٨٣ صفحة الى (كتاب المناسك) ، والجزء الخامس في ٤١٠ صفحات الى (كتاب الوكالة)

وكتاب نيل الأوطار هذا من امهات كتب الشرع الاسلامي ، وهو يدل على مبلغ عناية علماء الاسلام بهذه الشريعة الغراء الى منتهى مادلتهم عليه مقتضيات العصور التي مرت عليهم .

وقد علم القراء مما ذكرناه في الجزء الماضي أن موضوع الكتاب الأحاديث النبوية التي بنيت عليها الأحكام في الفقه الاسلامي . ففي كل باب من أبوابه يأتي بالاحاديث الواردة في ذلك الباب ــ سواء كان في فقه العبادات أو في فقه المعاملات ــ ويأتي على تحقيق متن الحديث ودرجته من الصحة والثبوت بذكر العلماء الذين أخرجوه . واذا كان في الباب أحاديث غير التي ذكرها صاحب المتن يشير اليها الشارح ثم يذكر وجوه استدلال الأئمة بها واختلاف انظارهم اليها والحكمة في استنباط الأحكام منها . ولا يفوت الشارح ضبط الألفاظ المحتاجة الى ضبط ، وتفسير ما يحتاج منها الى تفسير

فنرجو الله أن يعين على اتمام نشره ، تعميما لفوائده

﴿ مبادىء الفيزياء ـ الجزء الاول ﴾

مطبعة الفرات ببغداد * ٢٣٤ ص بقطع الزهراء

المراد بلفظ الفيزياء علم الطبيعــة وهو تعريب Physique الفرنسوية ، ومبادىء الفيزياءهو كتاب Physique Elémentaire لمصنفه الاستاذ فرنان مابر استاذ الفيزياء في كليــة شابتال بباريس نقله الى العربية صديقنا العالم الفاضل أبو قيس السيد عز الدين عَلَم الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومدرّس الطبيعيات في دار المعلمين العليــا ببغداد ، أشار عليه بترجمته المربي الكبير الاستاذ العلاّمة أبو خلدون ساطع الحصري وكيل وزارة المعارف العراقية وقد وضع المعرّب بين يدي الكتاب كلمة في التعريف به قال فيها ان المؤلف ألف كتابه هــذا بمعونة طلابه وفق الطريقة الاستقرائية ليجري على أذواقهم ويدنو من أفهامهم . وقد أبدع في تبويبه فجعــل في الجزء الأول باب التثاقل وباب موازنة السوائل وباب الحرارة . وفي الجزء الثاني باب الصوت وباب الضياء وباب الكهرباء وكل من هذه الأبواب يشتمل على فصول ، والفصل على موادّ علمية ، والمادة على فقرات تسلسلت أرقامها من فاتحة الكتاب حتى خاتمته . واذا أراد المصنف تذكير الطالب بمادة سبق ذكرها أشار بين قوسين الى رقمها الذي كان لها في موضعها

والكتاب مزين بالصور والرسوم ، وفيــه طائفة من التطبيقات العمليــة كالجسور المعدنية والترامات الكهربائية ، لتدريب الطلبة على ملاحظة المظاهر العلمية للحياة الحديثة . والتجارب المبنية فيــه يمكن تحقيقها بسهولة وبأدوات قريبة التناول

والاستاذ مترجم هذا الكتاب من أصحاب السابقة في الفضل ، وقد ظهر

أثر فضله في ترجمة هذا الكتاب بما تصرّف فيه من بسط العبارات الموجزة اذا اقتضت ذلك البيئة التى ترجم الكتاب لها ، مع ضرب الأمثال المألوفة . وقد حوّل ما أورده المؤلف بطريقة استنتاجية الى طريقة استقرائية

والترجمة العربية معتنى بها عناية محمودة : في انشاء الجمل ، واختيار الاصطلاحات . مع اعترافه بأن بلبلة الاصطلاح لا يزيلها الا مؤتمر لغوي عام يتألف من أعضاء جمعوا المزيتين وهما التضلع بعلوم العربية تضلعاً نظامياً ، والوقوف على حاجة العصر وقوفا ناشئاً عن تجربة وممارسة . وقد التزم المترجم جانب التعريب في بعض الاصطلاحات كما فعل فى كلمة (فيزياء) ونحا نحو الاشتقاق فى البعض الآخر كتسميته المانومتر باسم « مضغاط » والترمومتر باسم «محرار» والكالوريمتر باسم «مسعار» وآثر أن تكون الكلمات الافرنجية المنتهية بلفظ متر على وزن « مِفعال » لتصبغ بصبغة علمية . ووعد بأن يبعث بما اختاره أو وضعه من المصطلحات الى المجلات والجمعيات اللغوية لتمحصها المناظرة الصحيحة . وفى آخر الكتاب إيضاح للاصطلاح أتى فيه على المصطلحات المترجمة أو المعربة والى جانبها أصلها الافرنجي مع بيان وجيز . وبعد ذلك فهرس بأسماء أعلام الفيزياء الذين سنّوا سنة فيزيائية أو أصّلوا صلا طبيعياً فترجم لهم فى ذلك الفهرس ترجمة موجزة

وهذا الجزء الاول مطبوع طبعاً جيداً معتنى به فنرجو الصديق الفاضل ان يوفق الى نشر الجزء الثاني من هذا الكتاب والى اصدار كتب كثيرة نافعة لنا فى نهضتنا الحاضرة



﴿ تم المجلدُ الثاني من مجلة الزهراء لسنة ١٣٤٤ ﴾

« والحمد لله رب العالمين »